

# المعراج

١٣١٥

يقولون الحكمة من بناء ومن يوت الحكمة قد  
أوتى خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

بشر عبادي الذين يتسبون القول فيبوءون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و د متارا ، كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

## فاتحة السنة السابعة عشرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ  
خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،  
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَاللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ  
الْأَرْضِ رَبِّ الْمَالِكِينَ ٣٦ وله الكبرياء في السموات والارض وهو  
العزيز الحكيم) فنعمه بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه  
ورسله ، وصفوته من بني آدم الذين فضلمهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأتم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين .

وبعد فاننا نذكر قراءة الفتار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزمت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهماك في الفواحش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجاراته الام بما يستطيع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفتنون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، ويبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمسرفين ، (٤:٦) وما تأتيهم من آية من آيات ربههم الا كانوا عنها معرضين (١٠:١٠) قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠٢) - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ) سبحانه الله ان من العقلاء من يتعظ بالمبارة ، ومنهم من يكتفي بما توحيه اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستمدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل الفرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الام أشد من الافراد احتياطاً ، وأخفى حيلة وأدق استنباطاً ،  
وأوسع في المستقبل آمالاً ، وأكثر استمداداً له وأعمالاً ، لانها أطول  
أعماراً ، وأشد قوة واقتماداً ، وأكثر أعواناً وأنصاراً ، فما بال أمتنا  
لا تعظ بكلام الله ولا بكلام البشر ، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث  
والعبر ، وكلما أنذرها الله بطشته تمارى بالنذر ! ( ٤٥ : ٤ ) ولقد جاءهم من  
الانبياء ما فيه مژدجرٌ - ٥ - حكمةٌ بالغة فما تعني النذر \* - ٢١ : ٤٥ - قل إنما  
أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون

تركت هذه الامة هداية القرآن ، فقاتها ما كانت نالت به من  
الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والبسطة في العمران ، وأمست غافلة  
عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان ، بل أتى عليها أحقاب من الزمان ،  
لا تشمر بكنه هذا الخسران ، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر  
دنياها ، قبل الشعور بما كان سبباً له من فساد أمر دينها ، وبما خسرت  
من سلطانها وأملاكها ، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكتها ،  
ولما شمعت بالخطر على حياتها المادية والسياسية ، غافلة عن علمها الروحية  
وأسبابها المعنوية ، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري ، بدون أن  
تؤيده بروح الاصلاح المعنوي ، فعُد السلطان محمود مصاحبا بتغيير الزي  
الرسمي ونظام الجندي ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا باعلان التنظيمات  
الخيرية ، والسلطان عبد الحميد مصاحبا باانشاء نظارة العدلية ، ومصطفى  
رشيد باشا مصاحبا بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية ، ومدحت  
باشا وأعوانه مصالحين باقتباس القوانين الغربية الغربية ، ومحمد علي  
باشا وأحفاده مصالحين بفرجة البلاد المصرية ، والامير عبد الرحمن

خان مصالحا بالتأليف بين القبائل الافغانية. ولم توجه همة أحد الى إصلاح الاخلاق والمعادن، وازالة البدع والمنكرات، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات، فما زاد الأمة ذلك الاصلاح الصوري الاضروبا من الفساد، ولا أفاد الدولة الا إضعاف الاستقلال وإضاعة البلاد، (٤٤:٢١) بل متمننا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر، أفلا يرَوْن أَنَّا نَأْتِي الارضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا؟ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ؟ )

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوباً، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتياً، بل أقول ان أكثره كان ضرورياً، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الأمة من طيب اجتماعي، عرف من أمراضها الظاهري والباطني، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة، ويحفظ البنية ويقوي المنة، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً، حتى كادت تكون حرصاً، ازدادت ذلاً وفقراً، وتفرقاً وضعفاً، وفساداً في الاخلاق، واسرافاً في النفاق، وكان ما أدخل فيها من علوم الامم القوية وقوانينها وآدابها، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها، بل كان تقليداً صورياً، أو عارضاً وقتياً، فنه ما كان ضاراً ومنه ما كان نافعاً، فأما الضار فأكثر ضرره التقاليد والقوانين الافرنجية، التي قطعت كثيراً من روابط الأمة المليية، وأزالت ما أزالت من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والادبية، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الامم الأوربية، بل صارت عيالاً عليهم في جميع الشؤون، حتى انتهى ذلك الى هذا القتون، بأن فقدت الاستقلال، باسم النفوذ أو الحماية أو

الاختلال، (١٢:٩٦) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون  
١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون ١٣٢ وليكل  
درجات مما عملوا وما ربك بعاقل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال، التي وسمت بسمة الاصلاح،  
فانما كان نفعه موضعيا، وعارضا لادائما، فكان كداواة بعض أعراض  
الزهري (الداء الافرنجى) الظاهرة بما يزيلها، مع بقاء العلة في الباطن  
(كتسم الدم) تصدر عنها آثارها، فما زال منه بالمعالجة الموضوعية اليوم،  
يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد \* كلما داويت جرحا سال  
جرح \* ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية، وهي اكبر مظاهر السلطة  
في الامة الاسلامية، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن، من جمع  
كلمة قبائل الافغان، وتدريبها على القتال، الذي يحفظ به الاستقلال،  
وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر، فانه بنى ركني الثروة والقوة على  
أساس العلم، ولو اتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب،  
على أساس الدين وسنن الاجتماع، ثم لهم تكوين الأمة، ولاستقام لهم  
بالامة أمر الدولة، فهذا العصر عصر الامم والشعوب، لاعصر الامراء  
والملوك، ولكن جميع أقيال المسامين، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين،  
(٣٥: ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من  
قبلهم وكانوا أشد منهم قوة؟ ٤٠: ٢١ - أولم يسيروا في الارض فينظروا  
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في  
الارض فأخدمهم الله بذنوبهم \* - ٣٠: ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا  
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وتعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون )

نعم انهم لم يسيروا في الارض ، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون ، فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائة ، ومصير الدول المستبدة الظلمة ، وحسن عاقبة الامم العاملة العاملة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ، وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور ، لا يعني عن اصلاح الاخلاق وارتقاء الجمهور ، ولو ساروا لما نظروا ، ولو نظروا لما أبصروا ، ولو أبصروا لما اعتبروا ، (٤٦:٢٢) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تعنى الابصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وفساد ، حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ، وكيف يؤمن على حياة أمتة ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستمبارها ، اتباعا لترفهم ونعيمهم ، وافتنانا باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طب العلم من الجاهلين ، والتماس الهدى من الضالين ، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بنية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتباع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون )

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح، ولا إصلاح للدولة، الا بصالح الأمة، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم، يأصرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض، ولا تأثير للأمر والنهي، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي، ولا يفيد الأحكام والإجماع، الا مع مراعاة سنن الاجتماع، لا اختلاف استعداد الأقسام، باختلاف احوال الزمان والمكان، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية، فحظ الافراد الكثيرين من معنى الامة، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ، الا على سبيل التجوز في القول، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية، وبالشركات أمورها المادية، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها، وتقيمها على صراط شريعته، لهذا كان ههنا منذ سنة المنار الاولى، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى، اهتداء بقوله تعالى (٨٧:٩) فذكر ان نعمت الذكري ١٠ سيد ذكر من يخشى) وليس بعد اقامة حجة الله في الوري، الا فلاح من اتبع الهدى، وهلاك من آثر الهوى (٤٥:٢٢) أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون !

ألا وان أمر التربية والتعليم هو أهم ما يجب أن يوكل الى الجماعات، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال، وللحكومات معامل اسبك العمال، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالاً لها كالألات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سننها ويسيروا على طريقها ، وانما يربح تجارتهم برواج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جماهير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقلية الى خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأني تصلح أمة تركت تجديداتها وتكوينها ، الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ??? كلا! انها ككرة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون )

الام تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا الربون - الافرنج والمفرنجون - وترتقي بالعلم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المقتونون ، وتقوى وتمتد يجمع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكنائس ، قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية ، وقتنتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالتخرجون فيها أقلمهم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرهم الفاسقون ، يجرفون روة الأمة الى الاجانب ، ويقذفونها بالفجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويعظمون



في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المليئة ، ويزنون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الاجانب على ادارة امر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، او الجيش السلمي لشكناهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه التربية البدنية ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها اوروبيين ، ولا ظلوا مسلمين او شرقيين ، ولكنهم لغرورهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم المصلحون لشأنها ، (٢: ١٠) واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الامة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقل ادواتها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشهيرة<sup>(١)</sup> ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوربيون كان لها تأثير في حل

المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول

أوربية كلها « !! فاذا لم يكن للمسلمين مدارس مليية ، تديرها حكومة أو

جماعات اسلامية ، فتربيهم على ما يجمعون به مصالحهم الدينية والدينية ، واذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرجين

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخيلون من المنافع  
 الخسيسة المادية ، فان اوربة تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم  
 خلقا جديدا ، يكونون بها على توهج الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون  
 من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا  
 اين ينتهون ، ( ١٦ : ٢١ أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيا ن يبعثون \*  
 ٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً  
 ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،  
 قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون )

ألا اتانا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما تتوقف عليه  
 من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم  
 وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه  
 وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة  
 والآداب<sup>(١)</sup> فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،  
 لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن  
 عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف  
 ترقى لغتنا كما رفقوا لغاتهم ، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف  
 نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،  
 ولنا ان نستمين على ما نستمدده منهم ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

(١) هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد  
 بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد  
 أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية متبعا للدين وهي اعلى من  
 آداب الافرنج وأكمل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ، وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد انها حيث وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤:٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلمكم تشكرون ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وانتم تعلمون \*

## الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المقتاب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد الهمزة اللمزة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطالع على منارنا هذا بأمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولاً أو كتابة ، مينا ذلك بالدليل والبرهان ، لا يقول فلان ورأى فلان ، مع أدب المبارة ، والا كتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب الينا ، سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ماشرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا ولا يكتب الينا ، فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقواه فينا ، وانه حاسد مقتاب ، أو مدع كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سر يع الحساب منشئ المنار ومحرره محمد رشيد رضا الحسيني



﴿ كتاب مدارج السالكين . بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ﴾

هذا الكتاب الامام الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية ، شرح فيه كتاب (منازل السائرين) في التصوف لشيخ الاسلام ابي اسماعيل الهروي شرحا بين فيه خواصه ، وفصل بين ماوافق الكتاب والسنة وما يخالفها منه ، فهو افضل كتب التصوف وانتهاء ، وهو يطبع الآن في مطبعة المنار ، وقد أوشك ان يتم طبع الجزء الاول منه ، وقد رأينا أن ننشر هذا الفصل منه تعجيلا بالفائدة لقراء المنار ، ولشدة الحاجة اليه . قال المصنف رحمه الله تعالى في سياق بيان انواع الكفر :

### ﴿ فصل ﴾

وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر . فالأكبر لا يفقره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله . وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لا الهتهم في النار ( تالله ان كنا لفي ضلال مبين ) اذ نسويكم برب العالمين ) مع اقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربهم وليكفه ، وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت . وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم وبغضونها ويوالونها من دون الله . وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، وبغضونهم لانتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث اذا حرد ، واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل اذا قام المنتهك لها باطعامهم شيئا رضوا عنه ولم تنكر له قلوبهم . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان أقام وان قعد وان عمر وان مرض وان استوحى (١) فذكر إلهه ومعبوده من دون الله

(١) كتب في هامش نسختنا « لعله وان استوحش » وفي النسخة الثالثة . « وان

استوى » أي جالسا أو راكبا أو قائما

هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويؤمن انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه - وهكذا كان عباد الاصنام سواء - وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر ، وغيرهم اتخذوها (١) من البشر. قال الله تعالى حاكياً عن اسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر انه لا يهديهم فقال (٢) (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فلهذا حال من اتخذ من دون الله ويا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا ؟ بل ما أعز من لا يهدي من انكره ، والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله . وهذا عين الشرك. وقد أذكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ، وأخبر ان الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فانه يأذن سبحانه لمن شاء في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوهم شفعاء من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله به صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعاً من دون الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وحده ، والتي نفاها الله (٣) الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء ، فيما ملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون . فأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة - وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال - « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله الا الله خالصاً من قلبه » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال بالتخاذم شفعاء وعبادتهم وهو الأهم من دون الله ، فقلب النبي

(١) وفي نسخة « اتخذها » (٢) هذه الجملة بين طرفي الآية ساقطة من نسختنا

{-} المنار : نفي الله الشفاعة نفياً مطلقاً ومقيداً ، فالماطلق كقوله { اتفقوا بما

وزفناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة } والمقيد كقوله { ما للظالمين

من شفيع ولا حيم بلع } ومنها ما أشار اليه المصنف

صلى الله عليه . ولم يفي زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب اشفاة تجريد التوحيد ، فينشد بأذن الله للشافعي ان يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه ويا أو شفيما انه يشفع له وينفمه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من الاله ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده احد الا باذنه ، ولا يأذن في اشفاة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول ( من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟ ) وفي الفصل الثاني ( ولا يشفون الا لمن ارتضى ) وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من اتقول والعمل الاتوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العافية : كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ (١) وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها : لا شفاعة الا باذنه ، ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من اتقول والعمل الاتوحيد واتباع رسوله (٢) فالله تعالى : لا ينفر شرك العاديين به غيره كما قال تعالى ( ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ) وأصح القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاة والمحبة كما في الآية الاخرى ( تالله ان كنا لفي ضلال مبين \* اذ نسويكم رب العالمين ) وكما في آية البقرة ( يحبونهم كحب الله )

ورى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول : لا نجيبهم كحب الله ولا نسويهم بالله . ثم يفض لهم ولحرماتهم اذا انتهكت أنظم مما يفضبه الله ، ويستبشرون بذكرهم ويتبشش به (٣) سيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة اللهفات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويحمن قلبه ويهيج منه لواحدج التظيم والماضوع لهم والموالاة ، واذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيدة ، لحفته وحشة وضيق وخرج (٤)

(١) كتب في هامش نسختنا هنا « تعلمون » (٢) وفي نسخة « رسوله » (٣) يقال تبشش به اذا آسسه وواصه وفي نسخة « ويستأنس » بدل « ويتبشش » (٤) فات المصنف ان يستشهد هنا بقوله تعالى ( واذا ذكر الله وحده اشهازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ) ولا فرق بين المشرك الذي لا يؤمن بالآخرة البتة ، والمشرك الذي يؤمن بها على غير الوجه الذي بينه الرسول (ص)

ورماك بتقص الألهية (١) التي له وربما عاداك . رأينا والله منهم هذا عيانا، ورمونا  
بمداونتهم وبنوا لنا الفوائل (٢) والله مخزبهم (٣) في الدنيا والآخرة ، ولم تكن  
حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء تنقصتم مشايخنا  
وأبواب حوائجنا الى الله . وهكذا قال النصراني للذي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم :  
ان المسيح عبد (٤) ، قالوا : تنقصت المسيح وعبته . وهكذا قال أشباه المشركين  
لمن منهم أخذوا القبور أو ثابنا تعبد ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي اذن  
الله فيه ورسوله، قالوا : تنقصت أصحابها . فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى  
كأنهم قد تواصلوا به و(من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)  
وقد قطع تعالى الاسباب التي تعلق بها المشركون جميعها قطعا يعلم من تأمله  
وعرفه ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفيعا فهو ( كمثل العنكبوت اتخذت بيتا  
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت ) فقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون  
الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له  
منهم من ظهير \* ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ) فالمشرك انما يتخذ معبوده  
لما يحصل له به من النفع . والنفع لا يكون الا لمن فيه خصلة من هذه الاربعة :  
إما مالك لما يريد عابده منه ، فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك ، فان لم  
يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا ، فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا  
عنده . ففي سبحانه المراتب الاربعة نفايا متربعا متقلا (٥) من الاعلى الى مادونه (٦)  
ففي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، واثبت شفاعة  
لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه ، فكفى بهذه الآيات نورا وبرهانا ونجاة  
وتجريدا للتوحيد وقطعا لاصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها

(١) وفي نسخة « رماك بانتقاص الآلهة » الخ (٢) يقول مصحح الكتاب :  
نحمد الله ان كان لنا في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله أسوة ، فقد رأينا  
ما رأى وابتلينا بما ابتلي {٣} وفي نسخة « يمجزبهم (٤) وفي نسخة « عبد الله »  
(٥) وفي نسخة مرتبا منتقلا (٦) وفي نسخة الادنى

ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشمر (١) بدخول الواقع تحتها وتضمنه له ، وبظنه في نوع ، وقوم قد دخلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن . ولعمري الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم - او شر منهم او دونهم . وتناول القرآن لهم كتابوا له لا اولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه « انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشركه وما عابه القرآن وذمه ، وقم فيه واقره ، وودع اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية او نظيره ، او شر منه (٣) او دونه ، فينتقض (٤) بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

## اسلام اللورد هدي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدي » الانكليزي فكتب بعضها ما نب عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم ان اسلامه سياسي ليئيل المسلمين في مجلس اللوردات ! واني بمض المنصبين من النصارى الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس وايهام الفارسي ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين او النقيضين : التوحيد والتثليث . وكان هذا التلبيس والايهام قد استنبط من كلمة عزيت الى اللورد - وانا تنشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان ( اسلام اللورد هدي ) ما يأتي :

اللورد هدي هو البارون الخامس في بيته ( طائفة ) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشمر (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة او أسوأ (٤) وفي نسخة فينتقض . ولعله الاصل الصحيح



في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه . وقد اسلم هذا اللورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة للجمعية الاسلامية بلندن ، وكان هو نفسه حاضرا في وليمة الجمعية السنوية قال في اجتماع البارحة « انني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة ، ولما دشنتي الجمعية الاسلامية لوليتها سررت جدا لا تمكن من الذهاب اليهم واخبارهم بالتصاقي الشديد بدينهم . وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لاطيوار بندي الاقبي بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حبرها ، كما أنني لم أحفل بالرسيمات في إعلان إسلامي ، وان كان هو الدين الذي اتبعك به الآن

إن عدم تسامح المتسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم ، فانك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الاديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصراري بعضهم في بعض ، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اعتناء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الابدي

إن طهارة الاسلام وسهولته وبعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي . وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاخلاص ما لم أر مثله بين النصراري ، فان النصراني يحترم دينه عادة يوم الاحد حتى إذا ما مضى الاحد نسي دينه طول الأسبوع . وأما المسلم فبمكس ذلك ، يجب دينه دائما ، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره ، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله

وإنني وإن كنت اعتنقت الاسلام إلا أنني لازلت نصرانيا ، بمعنى أنني لازلت مؤمنا بالمسيح وفتبها تعاليم المسيح ، فان الاسلام يصدق بتعاليم جميع الانبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد « ولكن أكثر الناس لا يملكون » اه كلام هدي ثم قالت الجريدة المذكورة : إن اللورد ( هدي ) هو مهندس . وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كبروج حاز قصب السبق في الملاكمة مثل المسخر النسون وين ( Allanson Winn )

### ﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجاه في جريدة الأيزر فور الأسبوعية ( The Observer ) في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان ( لماذا أسلمت ) بقلم اللورد هدي ( Headley )  
مترجمته حرفيا : -

أخذت صحف عديدة تخوض في معتدي الديني ، ويسرني أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إليّ الآن كانت بلهجة لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما افه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار إليه ، وذلك مما يسرني . إني أحب مهنتي ومولع بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض لطلب الشهرة وبعد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سيبا في جعل الناس كيري المدارك سمحاه فأنا في غاية الاستعداد لأن أحمل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أتاني في يوم كتاب من نصرانيّ متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لثيبه عدة زوجات . فما أعجبها من فكرة عن الاسلام ! ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تسعة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يهتمون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الخاضعين لهم . نبيّ العرب المقدس كان على الأخص حصورا عن الشهوات طاهراً ، فكان مخلصاً لزوجته الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت ببعثته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضا عدة أرامل لاصحابه الذين قتلوا في الحرب لا لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليموهن ويقوم بكفالتهم ويرفع مقامهم إلى منزلة ما كان يصلن اليها بغير ذلك . وكان عمه هذا ملتما مع بعده عن الأنانية ومع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيون تمودنا أن نفخر مجبنا للانصاف والمدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم - كما يفعل أكثرنا - بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة إسلام ؟

القرآن والدعوة

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أروا في ، ولكن هذا الوهم لاحقيقة له ، فان اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما ماذا كراني الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول إني ما كنت سرورا حينما وجدت نظرياتي وتتأجج متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الحوجة كمال الدين فلم

يحاول قط أنت يكون له في أقل تأثير، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي - مع الصبر - ما لم يتضح لي من آيات المرآن . وكان سلوكه هذا مسلك المبشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب - كما يقول القرآن - أن يكون بإرادة الانسان الحرة وبرأيه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الاكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال ( ص ٦ : ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع اسمكم فاخرجوه من هناك . . . )

لني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التمهي الجارح قبيح طبعا . وقد أدى في الاكثر الى إثارة الاحقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجماعات الدين يزدرى . ولاني ليحزني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا الى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية ( أو قال نصارى أفضل منهم ) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافا فان مافي الاسلام من الخير والتسامح وسعة المدارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة أثناسيوس (١)

أذكر مثلا واحدا وهو عقيدة أثناسيوس التي تشرح التالوث شرحا في غاية التعقيد . في هذه العقيدة - وهي كبيرة الاهمية جدا وتتص على احدى العقائد الاساسية للكنايس المسيحية - ترى جليا أنها عقيدة الجمهور وأنها إذا لم نأخذ بها نهلك هلاكاً أبديا . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في التالوث بغير ذلك » وبعبارة أخرى إن الآله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نحاسي أن نصف بها أفسى البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعا لما يذهب اليه الهالك المسكين ( يريد الانسان ) في أمر التالوث . وهناك مثلا آخر من أمثلة بعمدهم عن الخير : أتاني كتاب بمناسبة مبلي للاسلام يقول لي فيه كاتبه : لاني إن لم أومن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة الوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تعرب في أهميتها من تلك المسألة الأخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

الاخيرة لضايقتني كثيرا ، ولسكني - والله الحمد - لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبنا أوحاه الله اليه ثابتا كما كان أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الاسلام والنصرانية - التي أتى بها المسيح نفسه - هما توأمان لم يفرق بينهما الا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام . يميل الناس الى الإلحاد حينما يطالبون بالأخذ بمقائد جامدة لا تحمل التسامح ، وان كانوا - ولا شك - لفي شوق الى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن للوجدان . من سمع بمسلم انقلب ملجدا ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولسكني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

#### خوف الانتقاد

إني أعتقد أنه يوجد أوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالاسلام في قلوبهم ، ولكن مخافة الاجماع وخوف الانتقاد العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تمييز يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد سألكت الآن نفس هذا المسلك . على أني أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون اليّ كأنني روح ضالة تستحق الدعاء لها ، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة ، ولكن جهري بها هو الذي أفقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لا تنحصر من الشفاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم ، ولزاد احترامهم ، ولتقتبس هنا كلمة المستر ( بلقور ) الحكيمه وهي قوله « لاناصح أضر من الفرع إلا اليأس » ولكن أفضل أن أقول في هذه الحاله « هناك ناصح أضر وأشد خطراً من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث اني قد أتيت هنا بملخص بعض الأسباب التي حثتني على اعتناق الاسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا العمل نصرانيا أكل بكثير مما كنت من قبل ، فلذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فإنه خير لاشك فيه . وفيه السعادة لسكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداء للنصرانية الصحيحة . اه

(المنار) في كلام أخينا اللورد هدي كلمتان جديرتان بالاعتبار (احداهما) قوله :

ان الاسلام هو النصرانية التي كان عليها ودعا اليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فان دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في اصوله وجوهره ، وانما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أتم وأكمل على سنة الارتقاء في الحياة ، وقد حفظه

الله من النحر بف والتبديل والزيادة والتقصان . وقد سبق لحكمتنا الكبير السيد جمال الدين الافغاني رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هدي . ذلك ان سائلا سألته عن سبب الدعوة الى المذهب (النيشيري) المادي في الهند فقال : ان الذين ارادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعوتهم أولا الى النصرانية فلم تجح دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويطلب ما زاده النصراني في دينه من الخرافات ، - أي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدى الكامل - فلما خابت هذه الدعوة رأوا ان يشككوا في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالمعنى . ولولا المصديات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبمدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبلغتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي اسدته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أثارته الخرافات الكنيسية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا المعمر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ما غشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الاخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يتجلى حقه لهم بعد احقاب ان لم يكن بمد اعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الايام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سزيم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد \* ألا إنهم في صرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط )

وأما الكلمة الثانية من كتي (اللورد هدي) فهي اخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فاقشمت به ظلمات الأوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فعلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولكنه غير أديان الكنائس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولكنهم يخافون ان يظهروا اسلامهم كما كان يخاف هومدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحتقرهم قومهم ، ويمتعض منهم أهلهم ، لأن تمصبتهم للدين وللمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفهاء المتفرجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج ماروقون من الدين . لانهم لميلهم الى الاحاد لا ينجذبون الا الى أهله ، وقد يحملون من الكلام عليه ما لا يراد به منه ، كما أنهم لاقتانهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بنايا ، وانهم لاهم لهم من حياتهم

ولا اشتغالهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يبحثون الا عن ذلك . ولو كان هم الذين يذهبون الى اوربة منهم موجهها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدأ لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا هم لهم في غيره . على ان في الافرنج من بهم بافساد دين الشرقي لانفساد جامته التي ينتمى بها هذا واقما كنا منذ ميزنا وعقلنا لسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يجروون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائضه كلها أو بعضها في الحفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديان ، وأخبرنا والذي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائمقام في أحد أفضية جبل لبنان في مرض موته - وكان صديقاله - فخلاه به فأشده على نفسه أنه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الاحاديث النبوية وكان يذكر النبي ( ص ) بتعظيم فوق المعتاد في مجاملة أدباء النصارى للمسلمين ، فحملت ذلك على المبالغة في المجاملة وانني أعرف افراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حورية دينية يندرجهم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلماً اعتقاداً منه بأفضلية الاسلام ورجحانه على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لفرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يجزم بأنها لاتصلح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان للاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتنفذ أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تقفيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لاتدوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا

## تاريخ الجهمية والمعتزلة<sup>١)</sup>

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب  
(قال الامام الفزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي  
علم الكلام — فقصوره حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف  
الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها  
ويزعجها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الامم العوام قبل اشتداد تعصبهم .  
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقلما ينفع معه الكلام ،  
فانك ان احمته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان  
عند غيره جواباً ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .  
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان  
يشد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب  
سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم  
يبالغون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بمين الازدراء والاستحقار ،  
فتنبهت منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتوفر دواعيهم على  
طاب نصره الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا  
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لاني معرض التعصب  
والتحقير ، لا ينجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا  
يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب

(\*) تابع لما نشر في ج ١٢ م ١٦ ص ٩١٣

عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اه

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله

ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث

تثبتت دواعيهم ، ويشتد حرصهم على الاصرار عليه (قال) وليكن

هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ، ولذلك ترى المتدع

العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللفظ في اسرع زمان ، الا اذا كان

نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون

والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب

وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمنعه من

ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ،

ويعرفك بالبيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به

خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ،

وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اه

وقال العلامة القبلي في العلم الشاخص : واعلم ان الخلاف والتعصب

والتحزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحل دمائهم

واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرها كالمدم بسد

باب الاجتهاد اه

(وقال ايضا) ثم ترب على الافتراق قويم كل لعمود الشقاق ،

وصار كل منهم انما يعتز بمن مال اليه من الملوك على خصمه اه

وبالجملة فن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،



بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى أصبح يعض القريب قربه اذا وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو اقام على صحة رأيه مئين من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغا دفع به ان يحق على مخالفه ، ويتحين الفرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت زلة - ولا معصوم الا المعصوم - رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً الأرض والسماء صراخا بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويح مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار على احتدائهم هذا الحدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا ضغب هؤلاء الرهط ، وبثهم هذه الالقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة الغادر المنتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيقتفي أثرهم مقلدم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم انعصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

(١٣) حذر الأئمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضا بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالمتجهد منهم وإن اخطأ مأجور ( وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية ) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول<sup>(١)</sup> عن الامام الرازي ( في نهاية العقول ) في مسألة التكفير مأمثاله : « قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب ( مقالات الاسلاميين ) : اختلف المسلمون بعد نبينهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين » واما النقيض ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أورد شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،<sup>(٢)</sup> فانهم يمتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احدا من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .

« واما المنزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا

{ ١ } جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة ( ٢ ) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مقلص كان قبجه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مرارا لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن اراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فليرجع الى كتاب رجال الشيعة لسكيتي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم مخالفوهم من اصحابنا ومن المعتزلة، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من يكفري ، وكل مخالف يكفرا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لا نكفر احدا من اهل القبلة والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي ام لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والاول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجري حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي الامتناع من تكفير اهل القبلة » اه

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : « والاصل في هذا الباب ان الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ، فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع

كان مدموما كاسم الكافر والمنافق والمحدد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محمودا كاسم المؤمن والتقوي والصديق ونحو ذلك »

«واما الالفاظ التي ليس لها اصل في الشرع ، فلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنهي على معناها ، الا ان يبين انه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كالفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له ان يكفر بخالفه ان لم يكن قوله مما يبين الشرع انه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متقن عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع ، كما انه ليس كل ما كان صوابا في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من اهل الكلام : ان اصول الدين التي يكفر بخالفها هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، واما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الارشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : احدهما ان اصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني ان المخالف لها كافر ، وكل من القدمتين وان كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان ما لا يعرف الا بالعقل لا يعلم ان مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فانه ليس في الشرع ان من خالف ما لا يعلم الا بالعقل يكفر ، وانما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما اخبر به ، او الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقته ، مثل كفر فرعون واليهود

( المنار - ج ١ م ١٧ ) القاعدة في الكفر والايان . تحامى أهل السنة التكفير ٤٧

ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تطبيق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بأرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجييسا واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والممثلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفيصل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحموه لانهم تجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يترحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

( ١٤ ) بيان انه لا تضليل ، لمن اصره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولاً اننا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان ذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل الذيل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودوّن علم الكلام ، وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وفر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيف ، تقليداً لمن يبنزهم بذلك من حشوية المتفهبين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاةهم وعدة من علمائهم ؟ وهم يحتجون لما يدعون ، ويبرهنون على ما يذهبون ، لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا العقيد بلغ تمكن صحته من نفوسهم متباهين باليقين حمله الخلفاء على اكرامه الناس عليه ابتغاء نجاتهم - بزعمهم - بتصحيح عقيدتهم على ما يرون ، وجلي ان كل من استدل على ما يراه ، واحتج على دعواه ، فقد آذن في اجتهاده فيه ، ونحري الحق فيما يقصده ويبيغيه ، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته ، ان يكون مجتهداً مخطئاً ، وهو مندور بل مأجور ، اذ لم يرد الا الحق ، فن ابن يسوغ بعد ذلك قرض الاعراض بالتضليل والتفسيق ، وتثوير المنبوز على المقابلة بالمثل بل الامثال ، والخروج بالاقذاع عن آداب المناظرة والجدال

ان نيز الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن  
النظر في ادلة كل منها ، لتزن المقبول منها بمعياره ، والمردود بمقداره ، لأنها  
حاولت الضغط على الافكار ، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل ،  
لتحملها على رأي واحد ، ومذهب منفرد ، وذلك ما كان ولن يكون .  
ان اختلاف الآراء لا يدعو بطبيعته الى الحفاظ والاضغان ، وغرض  
الاحقاد والشنآن ، ولكن اكثر الفرق استوات على مناظريها الضمائن ،  
فذهبت بهم مذهب التنسفي والانتقام ، هذه بالنز بالالقباب السوءى ،  
وتلك بها او بسلطتها الجائرة ، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب

من عجيب امر التناز ، ان الاغراق فيه قد يغري خلي الذهن  
بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه ، فيجمله على التأمل في مداركه ، والتبصر  
في ما أخذه ، فربما انضم اليه وشايعه تقليداً أو نظراً واستدلالاً  
فالمتحاملون على فئة قد يحبون فيها من حيث يريدون التنفير منها ،  
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :  
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتحاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ،  
وفاتهم ان هذا لا يعني من البرهان ، ولا يجزى من الحق شيئاً ، بل قد  
يكون من اعظم اماني الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما  
يكون قد بلغ اشده واستوي ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .

ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عايه الرحمة والرضوان رمية  
بالكفر (وما أسهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الأشعري ، اتدب لتأليف

كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فيصل التفرقة » ، بين الاسلام والزندقة ، قال في خطبته : فهون ايها الاخ المشفق على نفسك ، لا يضيق به صدرك ، وقل من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جملا ، واستعقر من لا يُحمد ولا يقذف ، واستصفر من بالكفر والضلال لا يعرف (١) ،

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج وغيرهم اوردها ، فامرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر . كيف تسامح مع أهل التأويل من المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح بعد هذا التنبؤ بالتنسيق أو التضليل ؟ حاشا وكلا ! وهذا لمن عرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال ، والله المستعان

\*\*\*

(١٥) ما وصى به الائمة من اطراح اقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن

الناس الحكمة انما وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه ( جامع العلم وفضله ) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وعنه رضي الله عنه قال : خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وقفا على اخبار العلماء واعلام الجهابذة الحكماء ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبله الى الآن



وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء

الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن ابي حازم قال سمعت ابي يقول : العلماء كانوا

فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم  
الغنيمة ، واذا لقي من هو مثله ذا كره ، واذا لقي من هو دونه لم يزه  
عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان  
ينقطع منه ، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه ، ولا يذاكر من هو  
مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس

( قال الامام ابن عبد البر ) : لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم

فلم يقنعوا بدم العامة دون الخاصة ولا بدم الجهال دون العلماء ، وهذا كله  
يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ،  
وعلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبار ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ،  
وشره اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو  
الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

( وقال الذهبي ) في ميزان الاعتدال - في ترجمة ابي نعيم أحمد

الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده  
( قال الذهبي ) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان .

ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لك  
انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينبو منه الا من عصم الله ( قال ) وما  
علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء  
والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال الملامة المقبل: واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لانه يزعمه ديناً، ويمرن عليه فيغير نفسه انه دين، وحظ الهوى في ذلك أوفى واوفر، نسأل الله العافية وان يحملنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال التي ينال بها العلم، عن علي كرم الله وجهه قال: العلم ضالة المؤمن نخذوه ولو من ايدي الشركين، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمها منه. وعنه كرم الله وجهه قال: الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال: انك لا تعرف خطأ مملوك حتى تجالس غيره، وعن علي رضي الله عنه قال: ان الناس ابنا ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن، فتكلموا في العلم تبيين اقداركم. (قال ابن عبد البر): ان قول علي بن ابي طالب «قيمة كل امرئ ما يحسنه» لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا: ليس كلمة احض علي طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما نرك الاول للآخر شيئاً) قال ابن عبد البر: قول علي رضي الله عنه «قيمة كل امرء ما يحسن» من الكلام المعجب الخطير، وقد طار له الناس كل مطير، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به، وكلفا بحسنه، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله:

لا يكون السريّ مثل الدنيّ \* لا ولا ذو الدكاء مثل النجبيّ  
لا يكون الألدُّ ذو المقول المر (م) هف عند القياس مثل العبيّ  
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) قضاء من الامام عليّ

وقال غيره :

يلوم على أن رحى للعلم طالبا  
فيا لا ثمى دعني اغالي بقيمتي  
وقال ابو العباس الناشئ :

تأمل بعينك هذا الانا  
خفية كل فتى فضله  
فلا تتكل في طلاب الملا  
فما من فتى زانه قوله  
ومما ينسب لعملي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أ كفاء  
وانما امهات الناس اوعية  
فان يكن لهم من اصلهم شرف  
وان اتيت بفخر من ذوي نسب  
مالفضل إلا لأهل العلم انهم  
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه  
فقم بعلم ولا تبغ به بدلا

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

## الباب الاول من كتاب الاعتصام<sup>٥٤</sup>

﴿ في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظا ﴾

وأصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى « بديع السموات والارض » أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتداء طريقة لم يسبقه اليها سابق. و: هذا امر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكانه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة. فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله

ثبت في علم الاصول ان الاحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة: حكم يقتضيه معنى الامر كان للايجاب أو النذب، وحكم يقتضيه معنى النهي كان للكرهية أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير وهو الاباحة. فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الاقسام الثلاثة: مطلوب فعله، ومطلوب تركه، ومأذون في فعله وتركه. والمطلوب تركه لم يطلب

(\* الكتاب للإمام أبي اسحاق الشاطبي الاندلسي صاحب كتاب (المواقفات) في أصول الشريعة وحكمها وهو يطبع الآن بمطبعة المنار على نفقة دار الكتب الخديوية التابعة لبطانة المعارف المصرية، فنشر علماء الاسلام بذلك، ونشر لهم هذا النموذج منه

الا لكونه مخالفاً للقسمين الاخيرين ، لكنه على ضريين (أحدهما) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك ، وهو ان كان محرماً سمي فعلة مصيبة وإثماً ، وسمي فاعله عاصياً وآثماً ، وإلا لم يسم بذلك ، ودخل في حكم الفحوا حسبما هو مبين في غير هذا الموضوع . ولا يسمي بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لان الجمع بين الجواز والنهي جمع بين متنافيين (والثاني) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعينة أو الازمنة المعينة مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً - فالبدعة إذن عبارة عن « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعادات . وأما على رأي من أدخل الاعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » . ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو مارسم للسلوك عليه . وإنما قيدت بالدين لانها فيه تخترع واليه يضيفها صاحبها ، وأيضا فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كاحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم - فمنها ما له أصل في الشريعة . ومنها ما ليس له أصل فيها - خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع ، اذ

البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع . وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ، كعلم النحو والتعريف ومفردات اللغة وأصول الدين ، وسائر العلوم الخادمة للشريعة . فانها وان لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، اذ الامر بأعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة فحقيقتها اذاً انها فقه التعمد بالالفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سهلة التمس .

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير الأدلة القرآن والسنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به ، كما كان الفقه تقريراً لادلتها في الفروع العبادية . (فان قيل) . فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع . (فالجواب) : ان له أصلاً في الشرع ، ففي الحديث ما يدل عليه ،

ولو سلم انه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجماته يدل على اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسله ، وسيأتي بسطها بحول الله فعلى القول بإثباتها أصلاً شرعياً لا إشكال في أن كل علم خادم للشريعة داخل تحت أدلته التي ليست بماخوذة من جزئي واحد . فليست ببدعة البتة وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات . واذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة لان كل بدعة ضلالة من غير إشكال ، كما يأتي بيانه ان شاء الله

ويلزم من ذلك ان يكون كتب المصحف وجمع القرآن قبيحا ، وهو

باطل باجماع ، فليس اذا بدعة . ويلزم أن يكون له دليل شرعي ، وليس الا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة .  
وإذا ثبت جزئي في المصالح المرسله ، ثبت مطلق المصالح المرسله .  
فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو علم الاصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلا .  
ومن سباه بدعة فيما على المجاز كما سعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة . فلا يكون قول من قال ذلك معتدا به ولا معتمدا عليه .

وقوله في الحد « تضاهي الشرعية » يعني انها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة .  
منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل .  
والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقصار من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة .

ومنها التزام الكيفيات والهيآت المعينة ، كالذكر هيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولا دة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وما أشبه ذلك .  
ومنها التزام المبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة ، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته <sup>(١)</sup>

(١) هذا هو الصواب ولا يعتن أحد بتوجيه الخطباء الجاهلين في ذلك ، ولا بالحديث الذي يذكره على منابرهم وهو « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ! ألا مسترزق فأرزقه ! ألا مبتلى فأعاقبه ! ألا كذا =

وَم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة فلو كانت لاتضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة لأنها تصير من باب الافعال العادية وأيضاً فإن صاحب البدعة انما يبتدعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، أو تكون هي مما تنبس عليه بالسنة ، اذ الانسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع ، لانه اذ ذاك لا يستجاب به في ذلك الابتداع قعاً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه . ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير

فأنت ترى العرب الجاهلية في تعبير ملة ابراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإِشراك ( ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ) وكترك الحُسن الوقوف بعرفة لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته . وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً قائلين . لا نطوف بذياب عصينا الله فيها . وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصبروه بالتوجيه كالشروع ، فما ظنك بمن عدَّ أو عدَّ نفسه من خواص أهل الملة ؟ فهم أخرى بذلك ، وهم المخطئون وظنهم الاصابة . واذا تبين هذا ظهر أن مضاهاة الأمور المشروعة ضرورة الاخذ في أجزاء الحد وقوله « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى » هو تمام

معنى البدعة اذ هو المقصود بتشريدها

= ألاكذا ، حتى يطلع الفجر » فان هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وقد قال فيه ابن معين والامام أحمد انه يضع الحديث . نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد . وواقفه الذهبي في الميزان في الامام أحمد ، وذكر عن ابن معين انه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي « متروك »



وذلك ان أصل الدخول فيها بحث على الانقطاع الى العبادة والترتيب في ذلك، لان الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فكان المتدع رأى ان المقصود هذا المعنى، ولم يتبين له ان ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ، فرأى من نفسه انه لا بد لما أطلق الامر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يدخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظهره، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة.

وأيضاً فان النفوس قد تملأ وتسام من الدوام على العبادات المرتبة، فاذا جدد لها أمر لا تعده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء على الامر الاول. ولذلك قالوا « لكل جديد لذة » بحكم هذا المعنى، كما قال: « كما يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فكذلك يحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفجور »

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: فيوشك قائل أن يقول ما هم بمتبعي فيتبعوني وقد قرأتك القرآن فلا يتبعني حتى أبتدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة<sup>(١)</sup>

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهاى المشروع ولم يقصد به التمسك فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغارم الملازمة على الاموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقد مر بخصوص مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن اليها ضرورة.

وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليد بالأشنان وما أشبه ذلك من الامور التي لم تكن قبل، فانها لا تسمى بدعاً على احدى الطريقتين

(١) كذا في الاصل فليراجع الحديث وليضبط

وأما الحد على الطريقة الأخرى فقد تبين معناه الإقوله: يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية. ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأثيرهم في الدارين على أكل وجوهها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته. لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات، فإن تعلقت بالعادات فأما أراد بها أن يأتي تبديده على أبلغ ما يكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه. وإن تعلقت بالعادات فكذلك لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياه على تمام المصلحة فيها. فمن يجعل المناخل في قسم البدع فظاهر أن التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول وكذلك البنات المشيدة المختلفة، التمتع بها أبلغ منه بالحشوش والحرب: ومثله المصادرات في الأموال بالنسبة إلى أولى الأمر، وقد أبحاث الشريعة التوسع في التصرفات، فيمد المبتدع هذا من ذلك.

وقد ظهر معنى البدعة وما هي في الشرع والحمد لله

## فصل

وفي الحد أيضا معنى آخر مما ينظر فيه. وهو أن البدعة من حيث قيل فيها: أنها طريقة في الدين مخترعة - إلى آخره - يدخل في عموم لفظها البدعة التركية، كما يدخل فيه البدعة غير التركية، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمتروك أو غير تحريم، فإن الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيجرمه الإنسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا.

فهذا الترك إما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أولا، فإن كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه، إذ معناه أنه ترك ما يجوز تركه أو ما

يطلب بتركه<sup>(١)</sup> كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك ، فلا مانع هنا من الترك . بل ان قلنا بطلب التداوي للمريض فان الترك هنا مطلوب ، وان قلنا بإباحة التداوي فالترك مباح . فهذا راجع الى العزم على الحمية من المضرات . وأصله قوله عليه السلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج — إلى ان قال — ومن لم يستطع فعليه بالصوم »<sup>(٢)</sup> الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير الى العنت .

وكذلك اذا ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس فذلك من أوصاف المتقين ، وكترك المتشابه حذرا من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض وان كان الترك لغير ذلك ، فاما أن يكون تدينا أو لا . فان لم يكن تدينا فالتارك عابث بتحريمه الفعل أو بعزيمته على الترك . ولا يسمى هذا الترك بدعة اذ لا يدخل تحت لفظ الحد إلا على الطريقة الثانية القائلة :

(١) لم يظهر لنا معنى الباء فالظاهر انها زائدة من الناسخ  
 (٢) تمة الحديث بعد كلمة الصوم « فانه له وجاء » فقوله « الذي يكسر من شهوة الشباب » الخ من كلام المصنف يبين به علة كون الصوم وجاء . وهو إضعاف الشهوة على رأي الجمهور ، وهو لا يظهر الا في الصوم الكثير مع التقشف والاكتفاء عند الفطر بقليل الطعام ، والا فان الصوم من اسباب الصحة وزيادة القوة ، حتى في المعيشة المعتدلة : وحينئذ يكون وجه الشبه بين الوجاء الذي هو دق عروق خصتي الفحل المضعف أو المزيل لشهوته وبين الصوم هو كون الصوم سبب التقوى كما قال الله تعالى في تعليل فرضيته « لعلكم تتقون » فمن اكثر من الصوم وترك ما يشتهي من الطعام والشراب المباحين لوجه الله تعالى يستفيد فائدتين احدهما ملكة مراقبة الله تعالى الذي يترك طعامه وشرابه لأجله ، والثانية ملكة ترك الشهوات التي يحتاج اليها كل يوم فتقوى ارادته وعزيمته ، فيسهل عليه ترك سائر الشهوات ومنه غض بصره واحصان فرجه

ان البدعة تدخل في العادات. واما على الطريقة الأولى فلا يدخل. لكن هذا التارك يصير عاصيا بتركه أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله وأما ان كان الترك تدينا فهو الابتداع في الدين على كلتا الطريقتين، إذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التحليل. (١) وفي مثله نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) فهي أولا عن تحريم الحلال. ثم جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء، وأن من اعتدى لا يحبه الله

وسأتي للآية تقرير ان شاء الله. لأن بعض الصحابة هم ان يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الاكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاص، مبالغة في ترك شأن النساء. وفي امثال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رغب عن سنتي فليس مني » فاذا كمل من منع نفسه من تناول ما أحل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه

(فان قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا هل يسمى مبتدعا أم لا؟ (فالجواب) أن التارك للمطلوبات على ضربين: (أحدهما) ان يتركها لغير التدين إما كسلا أو تضييما أو ما أشبه ذلك من الدواعي (١) ان اهل الاستانة لا ياكلون لحم الحمام، فهو يعيش ويفرخ في مساجدهم ويوتهم ولا يأكل احد منه شيئا، بل يتمرجون من ذلك وينكرونه. والظاهر ان عامتهم يعتقدون ان أكله حرام، أفلا يجب في هذه الحال على العلماء مقاومة هذه البدعة التركية بالقول والفعل

النفسية . فهذا الضرب راجع الى المخالفة للامر . فان كان في واجب فمحصية ، وان كان في ندب فليس بمحصية اذا كان الترك جزئيا ، وان كان كليا فمحصية حسبا تبين في الأصول ( والثاني ) أن يتركها تدينا . فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدبّن بضد ما شرع الله . ومثاله اهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف اذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه : فاذا قوله في الحد « طريقة مخترعة تضاهي الشرعية » يشمل البدعة التركيبية كما يشمل غيرها ، لان الطريقة الشرعية ايضا تنقسم الى ترك وغيره وسواء علينا قلنا إن الترك فعل أم قلنا انه نفي الفعل - على الطريقتين المذكورتين في أصول الفقه .

وكما يشمل الحدّ التركّ يشمل أيضا ضد ذلك ، وهو ثلاثة أقسام : قسم الاعتقاد ، وقسم القول ، وقسم الفعل . فالجميع اربعة اقسام . وبالجملة فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع . اهـ

## تقرير المطبوعات الجديدة<sup>\*)</sup>

### كتاب الهدى الى دين المصطفى

الجزء الاول منه لمؤلفه ... النجفي في مدينة ( سرمن رأى ) بالمرق طبع بمطبعة المرغان طبعا نظيفا على ورق متوسط ص ٣٩٢ بقطم المنار ثمنه ٢٠ قرشا ويباع في مكتبة المنار بمصر

كثرت دعاة النصرانية في هذه البلاد كما كثروا في كل بلد دخله النفوذ الغربي ، ودخلوا القرى بدون اذن اهلها ، وجاسوا خلال الديار وائدين الفتنة والتفريق ، وقد كان المسلمون عامتهم وعلماؤهم لا يهتمون بما يبثه هؤلاء الدعاة بين المسلمين لسخافتهم وبداهة بطلانهم ، وليس في هذه البلاد من اقله وزير آدم فيأتي هؤلاء الدعاة بحتمي منه في حظيرتهم ، ولا من ضاق صدره بتوحيد الله عز وجل فيجيب هؤلاء

(\*) كتب تقارظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح محاسن رضا

المعددين ليجد له عندهم متسماً في ثائوهم ، ولا من حصر صدره بعصمة الانبياء الهداة حتى يتحكك بهؤلاء الكتبة لثأجوا صدره وبجرؤه على المعاصي بقصة نوح مع ولديه أو ابراهيم مع امرأته أو يهوذا مع كتنه أو داود مع امرأة قائده أو سليمان مع اصنام نسائه أو ابن يعقوب مع امرأة ابيه أو يعقوب مع ملاك وبه أو لوط مع بنته الخ بل ان المسلمين ليسوا بمحتاجين مسيخهم الخيالي (وهو غير مسيخ الله عليه السلام) الذي يدعي هؤلاء الصدوقيون أنهم يعبدونه ويتكرون سيرته الانجيلية ويرون عصمته عن السكر وعن غسل أرجل التلاميذ وعن طرد امه واخوته وإنكاره لها وعن البخل بهداية الكنعانية الى غير ذلك مما نراه في اناجيلهم .

لا خوف من هذه التعاليم على عامة المسلمين فضلا عن علمائهم، ولكن السكوت على باطلهم خيل اليهم أنهم على حق ففتنوا في طرق دعوتهم حتى أنهم يصدرون بعض كراريهم بالآيات القرآنية أو بخطب تضارع الخطب التي اصطلح بعض الخطباء الرسميين على تلاوتها يوم العيد وأيام الجمع الخ كل ذلك ليدخلوا الى قلوب المسلمين فيفسدوا عليهم ما بقي لهم من دينهم ، ويحلوا الروابط التي تربطهم بأمتهم . ولذلك قام العلماء في جميع الاقطار يرسلون شهب ردودهم فتخمد انفاس شياطين التفريق . واول من كتب في الرد عليهم في هذا العصر بعقل وبمحت وروية الشيخ رحمة الله الهندي ثم تبعه قوم آخرون هم عيال عليه في هذا الباب . ثم رأينا مثالا له في هذه الآونة من رسائل الدكتور صدقي وكتاب النجفي ، وهو هذا المؤلف الذي هو نتيجة بحث علمي وتمحيص المسائل وتحقيها

فيها الله العلامة النجفي فقد دحض مزاعم دعاة النصرانية بكتابه هذا وقذف بحقه على باطلهم فاذا هو زاهق ولهم الويل ما يصفون . وضع كتابه هذا رداً على كتاب «مقالة في الاسلام» لسابل الانكليزي المترجم بالعربية وعلى الكتاب البذيء المسمى بالهداية الموضوع للرد على كتاب «اظهار الحق» وكتاب «السيف الحميدي» تهدم أركانها وقوض بنائها بالأدلة العقلية والنقلية ، بمبارة طلية جليلة ، فيجدر بمن هني بالرد على هؤلاء المشاغبيين ان يطلع على هذا الكتاب

(كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار)

الجزء الأول بقلم صبحي اياظه طبع بمطبعة الرقن بصيدا سنة ١٣٣١ ص ١٢٥ بقطر  
الدار ثمنه ٢٠ قرشا يطلب من مكتبة النار بمصر

اسم الكتاب يدل على موضوعه وفيه فوائد حمة جاءت من طريق الاستطراد

## ﴿ في التربية والتعليم ﴾

تأليف محمد امين . طبع بمطبعة التقدم بمصر على ورق جيد . ص ١١٤ بالقطع الصغير . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر  
مواضيع الكتاب : بعد مقدمة بقلم أحمد بك لطفي السيد مدير الجريدة ،  
(١) الشكوى ٢ تمخيص المادة ٣ وصف الدواء ثم الاطوار الثلاثة ، في البيت والمدرسة  
والمجتمع ؛ التربية الحسية والمعملية والاخلاقية ثم الخاتمة . والكتاب مجموعة مقالات  
نشرت في الجريدة ثم طبعت على حدها غير مصدرة بالبسملة ولا الحمدلة ، على سنة  
من يتفحصون من كل ما يربطهم بالامة الاسلامية من الشعائر والمقومات والشخصات  
مرشد المترجم الصغير ( لطلبة الشهادة الابتدائية )

تأليف محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وعوض ابراهيم بك وكيل  
المدرسة السعيدية . طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً ص ١٤٠ بالقطع الوسط . ثمنه  
خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر  
وضعه مؤلفاه لطلبة الشهادة الابتدائية وتوخيا فيه تدليل عقبات الترجمة من العربية  
الى الانكليزية وبالعكس وتسهيلها على التلميذ بشرح المفردات التي يهتدي اليها بسهولة ،  
وقد اطلع عليه المستر استيفنز معلم الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . والكتاب  
يفيد التلميذ علما بالشئون الاجتماعية بمواضع المفيدة  
الاجوبة المسكتة

تأليف أحمد أفندي صابر من مستخدمي ( نظارة الاوقاف ) وقد طبع  
الطبعة الثانية بمطبعة الجملية بمصر مع زيادات ومحسينات . ص ٢٥٢ بقطع رسالة  
التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر وهو غني عن التعريف  
غاية الانسان

كتاب في الفلسفة الادبية مفيد . وضعه الفيلسوف جافينون وترجمته وسيلة محمد  
مترجمة « روح الاعتدال » وناهيك بها سلاسة وجودة . ص ١٦٠ بقطع سابقة .  
طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف  
ومكتبة المنار بمصر

### ﴿ارجوزة ابن المعتز﴾

طبعت في المطبعة الجالية بمصر سنة ١٣٣٠ على نفقة ابن منصور في ٢٤ ص بقطع  
ورسالة التوحيد على ورق جيد ثمنها قرش صحيح واحد وتطلب من المكاتب المصرية  
وموضوع الارجوزة تاريخ المنفرد بالله العباسي ، وما هو بالتاريخ الذي يند به

### نشوء الاجتماع (الجزء الاول منه)

تأليف بنيامين كد وتمرير محمد زكي صالح في طنطا . طبع بمطبعة الاخبار بمصر  
سنة ١٩١٣ على ورق جيد . ص ١٣٥ بقطع «الاسلام والنصرانية» ثمنه خمسة قروش  
ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيعه بعد مقدمة المترجم التي الت بموضوع الكتاب وآراء العلماء والجرائد  
فيدهي: (١) الحاضر (٢) اسباب الارتقاء (٣) العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء (٤) اجلي  
طبعة في التاريخ الانساني (٥) وظيفة العقائد الدينية في نشوء الاجتماع .

والكتاب مفيد في موضوعه منه للعقل موقظ للقوة الفكرة . وارى ان استمر  
لتقريبه كلمة الأستاذ «ويسمن» الالماني التي كتبها في مقدمة الترجمة الالمانية وهي :  
«لا ارمي الى تحليل هذا الكتاب الفذ بل اقول انه جدير بالنظر والاعتبار . . .  
الحج » والمرجو ان يظهر العرب الجزء الثاني منه وان يعتني بترجمته وتصحيحه ليسلم  
من مثل الاغلاط التي في الجزء الاول

### ( كتاب آداب العرب )

تأليف ابراهيم بك العرب . طبعته نظارة المعارف على نفقتها في المطبعة الاميرية  
سنة ١٩١١ وقررت تدريسه في مدارس الابتدائية وفي مدارس المعلمين والمعلمات  
ويطلب من مخزن المعارف

الكتاب مجموعة مواظظ منظومة على أسن الحيوان والطيور على نمط كتاب  
الصادق والباغم

### ( المطالعة الفصيحة لامهات اليوم والغد )

الجزء الاول منه تأليف الشيخ مهدي احمد خليل المدرس بمدرسة المعلمين في بولاق . المطبعة الاولى  
منه سنة ١٣٣١ ص ٢٥٥ بقطع رسالة التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر  
الكتاب ادبي اجتماعي لغوي كبير الفائدة ولذلك قررت نظارة المعارف تدريسه  
بجميع تلميذات مدارس البنات العالية والابتدائية والخصوصية



## محاسن الطبيعة ومعجائب الكون

تأليف الاورد (افرى) ترجمة وديع البستاني . ص ٢٩٤ بالوسط طبع مطبعة المعارف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار ومكتبة المعارف  
 ابحاث الكتاب : عميد ، عالم الحيوان ، والنبات ، والحقول والحراج ، والماء ، والبحر ، ثم القبة الزرقاء . وهو يجول في هذه الابحاث جولة المفكر المتعقل المستر .  
 واذا كان هذا الكتاب أسمى معاني واكثر دقة من سائر ما قرأنا من مؤلفات لورد افري التي عربها وديع البستاني فان ترجمته أسح وأسلم وأقل غلطاً من جميعها أيضاً

## رواية جزيرة الذهب

مترجمة عن الالمانية بقلم ماري ابراهيم نجار ، طبع الجزآن الاول والثاني منها بمطبعة جريدة الهدى في نيوبورك على نفقتها فكانت ص ٢٥٤ بالقطع الوسط وموضوعها تحويل الافكار عن عبادة الذهب وتوضيحية كل شيء في سبيل الحصول عليه الى فكرة الانسانية الراقية . وما أجدر هذه المترجمة المأقولة الفاضلة ، باختيار هذه القصص المفيدة النافعة .

## مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة تصدر في بيروت تحت في الحقوق والاقتصاد والاجتماع . سقتها عشرة شهور شمسية تقبدي من ايلول (سبتمبر) من كل سنة . الجزء منها ٣٢ ص . منشئها الحامي توفيق افندي الناطور المتخرج في مدرسة الحقوق في باريس ، ومدير تحريرها الشيخ محمد منيب افندي الناطور من تلاميذ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي  
 قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وريالان مجيديان وفي البلاد الاجنبية عشرة فرنكات وان في سعة منشئها ومديرها وتوخيهما النفع لها ما يوجب الاقبال عليها لما يختاران نشره فيها من العلوم والفوائد التي أصبحت في هذا العصر حاجة من حاجات الامة ، فتمنن نرجو لها الرواج والنجاح ، ونعده عنواناً لاستعداد الامة للارتقاء . وقد فتحت باباً لادبيات اللغة العربية فضمت الى فوائدها العلمية هذه الفائدة اللغوية ويمكن الاشتراك فيها بواسطة مجلة المنار ومكتبته

## الشيخ علي يوسف



{ فصل في بقية الكلام على سياسته المصرية }

بينا ان سياسة الشيخ في المؤيد كانت تدور في أول العهد على ثلاثة أقطاب (١) تأييد سلطة الأمير ونفوذه (٢) مقاومة نفوذ الاحتلال الانكليزي (٣) الاعتماد في هذه المقاومة على نفوذ الدولة العثمانية وحقوقها الرسمية في مصر . وكذا على نفوذ فرنسا ومصالحها السياسية فيها ، وانها بعد طول الاختبار وتغير الحوادث طرأ عليها بعض التغيير . وتزيد ذلك بياناً فنقول وان كررنا بعض المعاني :

انه بعد حادثة فشودة علم المترجم ان الاتكال أو الاعتماد على وعود أو عهود دولة أوربية لا يكون الا دون الاتكال على المواعيد العرقية ، وانه بعد اختبار السياسة العثمانية بالفصوص في اعماق الحوادث التي بينها وبين أوربية ، وبقاء كبار رجالها في الاستانة ومصر وأوربية ، علم انه لا يتكل عليها في شيء ، وان الذي يبني عمله على الرجاء فيها فاعسا يبني على شفا جرف ، اذ لا يؤمن خذلانها له في كل عمل ، فاكتفى من خدمة الدولة فيما يسمونه المسألة المصرية بالمحافظة على حقوقها الرسمية في مصر ، وجهل فرماناتها الرسمية لامراء مصر ركن استقلالها الركين ، الذي يصد به بعض ما ينحني من هجمات الاحتلال عليه . وأما فرنسا وسائر دول أوربية فقد علم كما يعلم كل خير بصير انها دول تجارية تتجر بالامم والشعوب والدول ، وانها لا تراعي في تجارتها حقاً ولا عدلاً ، ولا رحمة ولا فضلاً ، وانما رأس مالها القوة والحيلة والآرة ، فلا يقدر ان يستفيد منها ، الا من جعل منفعتها وسيلة الى منفعتها ، وهبات ان يتسنى للأدنى ، ان يستخدم لمنافعه من هو أعلى منه قوة وعلماً . وما كل من تنفعه تقدر ان تستخدمه ، وناهيك بدول أوربية ومعارضة بعضها لبعض في سياستها أو مطامعها في بلادنا ، فاذا أراد بعضها ان ينفعنا قليلاً لينتفع منا كثيراً ، عارضه في ذلك من يكره لنا هذه المنفعة ويراهما عقبة في طريق مطامعها فينا

وكان الفقيه يعلم أيضاً ان شعوب أوربية خير من حكوماتها ، وان فيهم كثيراً من الاحرار ومحبي الحق والخير لكل البشر ، وان رأي الشعب العام له السلطان الاعلى على الحكومات ، فلهذا كان يرى أخيراً انه ينبغي ان يكون للمصريين صلة

بعض أهل الفضيلة من أحرار الانكليز لهم يستعينون بهم على مقاصدهم، وإيصال ما يشكون منه بحق من إنكليز مصر الى انكليز اندرة . حتى لا تكون الشؤون المصرية محجوبة عن عجي الانصاف، لا يصر فون منها الا ما يكتبه عميد انكلترة في مصر الى ناظر الخارجية في اندرة وبعض مراسلي الجرائد . والعمل بهذا الرأي إما أن ينفع وإما أن لا يضر . ولكن عارضه فيه أحداث الوطنية في جريدة اللواء وما أحدثوه بعد مصطفى كامل من الجرائد كدأبهم وعادتهم ، وقد بينا وجه ذلك عندهم في هذه الترجمة ( الجرائد والأحزاب بمصر )

ونقول هنا إن السياسة في مصر لا تظهر لها الا الجرائد ، وقد تألفت الاحزاب لأجل الجرائد ومديري سياسة الجرائد ، ولم يستطع حزب من الأحزاب أن يجعل جريدة أكثر رواجاً وقبولاً من جريدة أخرى عند الرأي العام بمصر . وقد سبق القول بأن الجرائد العربية المؤثرة في الجمهور المصري كانت ثلاثة : الاهرام والمقطم والمؤيد ، وأن التنازع انما كان أولاً بين الاهرام والمقطم . ثم كانت الاهرام تشابع المؤيد بمد ظهوره لاتفاهه معها في الميل الى السياسة الفرنسية التي تعد الاهرام هي الركن الأول لها ، ولأن مشابهته على المقطم كانت تعد من آيات صدق الخدمة الوطنية لمصر . ولما انقطع أمل المصريين من فرنسة صارت جريدة الاهرام في المرتبة الثانية بين الجرائد اليومية ، بل كادت تموت من شدة ضعفها ، لولا أن تداركها همة بشارة باشا تقلا القوية ومن ساعده على تحريرها من أذكياء الكتاب ، وأطاعه على ذلك ثقة جمهور التجار والزراع بأخبارها التجارية . بذلك انتشبت بعد ان سقطت ، وارتفعت بعد ان انخفضت . وحفظت مكانتها بين الجرائد اليومية الكبرى ، فان لم تعد رأساً في سياسة خاصة ، فهي رأس في الثروة والمباحث العامة . ولا يضاهاها في هذين الامرين الا المقطم . فهما الآن في مقدمة الجرائد المصرية في الثروة ، وصحة الاخبار العامة ، والقدرة على التصرف في الكلام عن الشؤون المصرية . على انهما لم تألف لهما أحزاب ، وانما تلك كفاءة أصحابها ومحرريهما ، والجمع بين حسن الادارة ، والبراعة في الكتابة وقد تألف في مصر ثلاثة أحزاب سياسية حول ثلاث جرائد يومية ، هن أكبر جرائد مسلمي هذا القطر وأوسمها انتشاراً - المؤيد واللواء والجريدة - ولم يكن لواحدة منهن دخل يوازي دخل المقطم والاهرام الا للمؤيد ، فقد كان أوسع منهما انتشاراً وعلى مقربة منهما في المال، ولو أتيح للمؤيد مديري مالي يسير بإدارته سيرة أصحاب تلك الجريدتين لسكان أوسع الجرائد ثروة ، على أن الشيخ رحمه الله عاش به في سعة ورخاء ، كما

يهيش الامراء والكبراء ، حتى تورط في شراء الدور وأراضي البناء ، في ابان امراف الناس في التغالي بها ، فركبته الديون وجاءت سنو العسرة المالية فأنت على جميع ما في يده ، وكادت تذهب بالمؤيد نفسه ، لولا أن تداركه بتأسيس شركة مساهمة له ، خالت دون موته ، لادون مرضه ، فقد مرض المؤيد امراضاً أشرفت به على الموت عدة مرار ، وصارت حركة ظهوره كحركة المذبوح أو حركة الاستمرار ، وهو لا يزال محتاجا الى تجديد الحياة ، وأما يكون ذلك بحسن الادارة والنظام ، وجمل التحرير على الوجه الذي يناه من قبل ، وهو ما به يظل المؤيد صاحب التأثير الاول في كل ما يتعلق بمصالح المسلمين في مصر ، - ركذا في غيرها - ثم بالمصالح المصرية والمثانية . فاذا قصر المؤيد في هذا الامر الذي لم يكن لولاه أمرا ذابا ، يحكم عليه الرأي العام الاسلامي بالمدم والزوال ، ويطلب بلسان حاله جريدة محل محله حتى ينهض بها من يؤهله الاستعداد ، من الشركات أو الافراد

وجملة ما يزيد الاعتبار به أن المؤيد قد جعله مشر به الاسلامي والمصري فوق جرائد الفطار كلها ، بل جعله حاجة طبيعية ، من حاج البلاد المصرية فالاسلامية ، ولقي من المساعدة والاقبال ما لم يلق غيره ، ومع هذا كله لم يستطع أن يكون في ثبات الاهرام والمقطم وفي مثل ثروتها ، ولا في المحافظة على إشعار الجماهير بحاجاتهم اليه ، وبانه لا بد لهم في الحوادث الطارئة من رأيه ، وقد ألف صاحبه له حزبا سياسيا سماه ( حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ) فلم يفده قوة تذكر ، ولا رد عنه غارة تشن ، وإنما كانت قوته المنوية في هجومه ودفاعه سنان قلم الشيخ علي ، وحسن استعماله لأسنة الأفلام التي كانت تساعد ، ومنها ما كان أفقد من سنانه في بعض الشؤون وأقتل . فلما مرض الشيخ مرض المؤيد ، ولما مات خشي الناس أن يموت كما مات حزبه ، ولكن الشركة المالية تداركت حياته المادية ، وعسى أن توفق لتدارك حياته المعنوية ، فان لم يتم هذا يفقد مسلمو مصر الانتفاع بقوتهم المعنوية ، ولا يبقى لهم قائد منهم في حياتهم السياسية والادبية ، ولا مدافع يؤثر صوته في مصالحهم الدينية ، فالشعب جريدة احداث جهال ، والجريدة ليست اسلامية المشرب ، والاهالي كذلك ، على انها ولدت سقطا كما قال أحد الأدباء . فالجريدة الاسلامية المصرية هي المؤيد ، فاذا مات يسر وجود خلف له . وانني بهذه الحرية في الصيحة ، ربما أثير على نفسي حقدًا قديما وعداوة جديدة ، ولا أبالي ذلك في سبيل مصلحة المسلمين ، على أنني است على ثقة من قبولها والله الموفق

وأما اللواء فقد بينا أن منشئه تربى في مدرسة المؤيد السياسية ، فكان تلميذا له ، إلا أنه عقه وكفره ، وكان يحسب أنه يبذره أو يكون ناسخاً له ، لأنه يبائع وينلو في ككل المقاصد التي صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها ، كمدح السياسة الحميدية ، وذم الحكومة المصرية ، ومقاومة الاحتلال ، بالذم والاحتجاج ، وذلك ان الناس كانوا قد ألفوا بعض المبالغة من المؤيد ، فاذا أرجعته عنها الحكمة والخبرة ، يعد عوامهم وشبانهم ذلك من تغيير الخطأ ، ومن دأب الاحداث والعوام ، حب الاغراق والغلو في الكلام ، وناهيك بما يتعلق منه بالسياسة والحكام . وقد بذَّ اللواء المؤيد في المبالغة بهذه المقاصد ، وانفرد دونه بدعوة مسلمي مصر الى تكوين رابطة جنسية وطنية ، لسكنها رابطة تنافي إغناء الاسلام ولا ترضي القبط وسائر طوائف النصرانية صادف اللواء من مساعدة الاستانة ومساعدة بعض اراء مصر وأغنيائها ما لم تصادفه جريدة أخرى . حتى كان يبذل له الذهب بالالوف ، وهو على هذا كله لم يتسع انتشاره الا بعد سنين من نشائه ، ثم إنه غلب المؤيد على استيالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام ، وصار المؤيد باعتداله - على رضاء أكثر العوام عنه - جريدة الخواص . لم يستطع اللواء ان يصل بكل ذلك الى أن يكون كجريدة الاهرام أو المقطم في ثباتهما وثروتتهما ، وقد آلت صاحبه له الحزب الوطني الحديث (١) وألف شركة وأس ماها عشرون ألف جنيه لاجل إصدار لواءه أو لوائين آخرين باللغتين الفرنسية والانكليزية . وانما كانت هذه الشركة صورية لا غرض منها الا بذل ذلك المال لمصطفى كامل يتصرف فيه كما يشاء - كما يفهم من قانونها - وقد فعل . أضع هذا المال كما أضع ما سبقه من الاطانات مع كل غلة اللواء ومطبعته في السرف والخيلة والمضاربات ، وطقق ينشد في اللواء شركاء يشتركون سهاماً أخرى من الشركة فلم يستجب لرقبته أحد ، ولم يلبث مصطفى باشا كامل ان مرض وضاعف ثقل المرض عليه هم الدين والموز ، وفي أثناء مرضه آلف الحزب الوطني الحديث (١) وكل ذلك لم يفن شيئاً . ومات ( كما مات صاحب المؤيد بعده ) مثقلاً بالديون ، فقد تبين ان عليه عشرات الألواف من الجنيهاً . وقد حجز الناشئون مطبعة اللواء ، وبيع أناث زعيم الوطنية في محل رجل رومي ببيع الأناث بالمزاد ، ثم مات اللواء بعد ان اضطر أصحابه الى استخدام بعض الكتاب من نصارى السوريين لتحريره وقد كان أعدى أعدائهم ، وبعد ان انشق الحزب

(١) أول من آلف حزبا سياسياً بمصر باسم الحزب الوطني حكيمنا السيد جمال الدين الافغانى . والحزب الذي كان يذكره مصطفى كامل في حال صحته لم يكن حزبا مكونا بالمثل

وأشأ بسمي محمد بك فريد رئيسه جريدة لتكون لسان حاله ساءها العلم (بالبحريك) ناطق رياسة نحريرها بالشيخ عبد العزيز شاونيش ، فكانت دون اللواء واحط منه في كل شيء الا الضلوع والاسراف ، في الكذب والارجاب ، والظلم في الشعوب والافراد. لذلك اضطرت الحكومة الى إلغائها بعد ان حوكم رئيس نحريرها (شاونيش) غير مرة ، وحكم عليه بالسجن وسجن .

في أثناء هذه الحوادث كان المتحمسون من رجال الحزب الوطني وآخرون ممن يودون استهالة محبي الرجل من التلاميذ يجتمعون المال لنصب تمثال له ، يخلدون به ذكره ، ولو راعوا الآداب الاسلامية حافظوا بهذا المال على جريدة اللواء ، وانتقوا لها محررين من العقلاء الادباء ، فان هذا هو الذي يحفظ ذكره كما حفظ الأهرام اسمي سليم قلا وبشاره قلا . فما من يوم الا ويقوم الأهرام ألوف من الناس يرون هذين الاسمين ويتذكرون مؤسسي هذه الجريدة المرقية . وفي مصر عدة تماثيل لا يحطل اصحابها لاحد على باب حق عند رؤيتها مائة بالشوارع .

وأما (الجريدة) فالعبرة بها أعظم فقد أنشأها جماعة من سرورات البلاد أصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية ، وحصلوا لها رأس مال عظيم ، ووضعوا لها قبل انشائها قانونا من أدق القوانين ، وأسسوا لها مطبعة من أرق المطابع ، وجعلوا ادارتها ومطبعتها في قصر من أحسن القصور ، واختاروا لها مديرا من أذكي الكتاب واعلمهم بالسياسة والقوانين واختار هو من المحررين من سبق لهم التمرن على الكتابة حتى في إدارة الأهرام وإدارة المتطعم والمقطم . وأتت اولئك السرورات المؤسسون لها حزبا سياسيا يكفلها سموه (حزب الأمة) فهي قد وكنت بالغة راشدة فلم تكن كالقويد واللواء طفلا ، وفي ادارته رويدا رويدا ونسكنا على كل هذه المزاي لم نستطع ان نجد لها مقعدا ولا موقفا من المسكان القسيس الذي وجدته قبلها القويد أو اللواء من قلب الرأي العام المصري ، ولم نستطع ان نكاه من حبيبه بعض مايناك المقطم أو الأهرام ، بل كانت تحتاج كل سنة الى إمداد اولئك السرورات لها بالعلم ، على أنها ليست في الحقيقة لسان حالهم ، وسبب ذلك كاه ان الروح الذي فقخ في هذه الجريدة لتحيا به ليس إسلاميا ، وأنا هو فلسفة خاصة لا تكاد تجاوز دماغ مدير الجريدة وأدبته بعض أصدقائه من المحامين وغيرهم (الذين هم حزب الجريدة المنضوي لا المالي) الا بتدرج بطيء جدا ، ثم انه لا يرجي أن يعم ، وليس من الحكمة ولا مما يبيح الاقتصاد ان يكون له جريدة نوقف عليه في مثل هذه البلاد التي لم تستد لآب تبش فيها

جريدة أو مجلة خاصة بشيء واحد مما تم الحاجة إليه كالاقتصاد والزراعة أو الادب،  
دع الفلسفة بمجملتها ، دون مذاهب الافراد فيها فقط

وجهة القول ان الجريدة لا ترمي عن قوس عقيدة مسلمي مصر ، ولا تصلح  
للتأثير بالرأي العام المصري ولا فيه ، فهي لا تستطيع أن تستخدمه كما يجب ، ولا أن  
تستخدمه كما يجب ، لان روحها غير اسلامي ، فلا هي لسان حال المسلمين ، ولا  
لسان الذين أسست بأموالهم منهم ، وهم لم يستمروا على الاتفاق عليها الا لما يشعرون  
به من التضاضة عليهم اذا أغووا وأبطلوها ، ولا يرجى لها بهذا المشرب أن تبلغ شأوا  
المنظام أو الأهرام من نفوس الناس ولا من الرواج والريج

فظهر بما شرحناه ان الأحزاب في مصر لا عمل لها ولا تأثير الا بالجرائد ، وان  
الجرائد بالرجال الذين يتولون سياستها وأدارتها ، وأنه لم توجد بمصر جريدة للمسلمين  
حسنة الإدارة والنظام اللهم الا الجريدة في الجملة أو في ضبط الاعمال المالية وان جريدة  
المؤيد هي الجريدة الاسلامية السياسية التي أوجدتها الحوادث وكفاهة الشيخ علي  
يوسف في مكانة من الرأي العام الاسلامي يربها لها أهل الساسية في أوربة ، ويمدونها  
لسان حال مسلمي مصر وغير مصر أيضاً . وحدثت جريدة اللواء حذوها ، ولم تبلغ  
شأوها ، لأن صاحب المؤيد كان في السياسة الاسلامية مستقلا ، وصاحب جريدة  
اللواء كان فيها مقفدا ، وانما كان حظه منها بقدر ما اقتبس من سياسة المؤيد . وكل  
ما خالف فيه المؤيد كان خطأ في جهته ، ان لم يكن خطأ في كل فروعه وجزئياته ،  
ولكن الفرية لا تكون الا بالخلافه في بعض الشؤون ، فصاحب المؤيد واللواء هما  
أوجدا المؤيد واللواء ، وقد كان لسوء تصرفهما المالي دخل عظيم في اضافة جريدتهما ،  
حق ماتت احدهما بعد موت صاحبها بعد ما اشرفت على الموت المالي في عهده ،  
ويخشى أن تموت الأخرى مثلها ، ان لم يمن بها أهل الفيرة والبصرة عناية يراعى  
فيها ما ينه في هذه الترجمة مرارا .

فيجب على مسلمي مصر أن يتدبروا هذا النقص العظيم ، وأن يتذكروا ان شعبهم  
المتعدد للعالم والادب والترية السياسية والاقتصادية ، هو الذي جعل الأهرام والمقطم  
أغنى الجرائد في بلاده ، لان محليهما عرفوا كيف يحاطبونه بحسب استعداده ، وهو  
قد ساعد المؤيد واللواء ما لم يساعدهما ، فيجب على من يستخدمه أن يخاطبه بلسان  
استعداده . وأن يتذكروا ان (مصر) و(الوطن) الجريدتين القبطيتين ، تليان في الثروة

والثبات الأهرام والمقطم السوريتين . ولولا عصبيتها القبطية لما كانتا دونهما تأثيراً في نفوس المسلمين . فمن التقص بل من العاز على المسلمين أنت لا يكون لهم جريدة أو جرائد مثل هذه أو أرقى منها في النظام والثروة ، بله التأثير والحظوة ان لي أن أفاخر بكفاة أصحاب المقطم والأهرام ومحروبيهما وبراعتهم ، لانهم من أبناء وطني الأول الذي هو وطن المولد والمنشأ . وأود - والله - أن أفرج بمنزل عملهم من أبناء ديني ووطني الثاني الذي هو وطن العمل . ولا يسرنى من مثل المقطم والأهرام في مصر الا ما ينفع المصريين ، لان أبناء وطني السوريين ليس لهم مصالح في مصر تنافي مصالح المصريين ، فهم غير محتاجين الى جرائد خاصة لهم من دون المصريين ، لأجل هذا بهمني أمر المؤيد ، ويسرنى أن يكون أرقى الجرائد المصرية تحريراً ونظاماً وإفادة واستفادة ، لان المسلم أجدر بمعرفة حاجة الجمهور المسلم وبياناتها والدفاع عنها ، من مثله في علمه وبيانه من غير المسلمين ، وأقدر على التأثير فيه بحمله على الخير أو صرفه عن الشر ، وعلى التأثير به بحمله بجنا يدفع به عنه ما يراه ضاراً به . وقد رأيت غير واحد من المشتغلين بالعلم والسياسة من النصارى يمتنون لو ولدوا مسلمين ، لأجل أن يكونوا أقدر على خدمة وطنهم أو الشرق الاسلامي كله .

وما أطلت الكلام على الجرائد في ترجمة الشيخ علي يوسف الا لأذكر لإخواني مسلمي مصر ما أراهم غافلين عنه ، وهو أنه لم توجد لهم جريدة تصح ان تكون لسان حالهم بحق الا المؤيد ، وان الروح الذي كان به المؤيد هو المؤيد يجب ان يبقى له ، ويجب ان يكفل ، وان يكون هيئة التحرير فيه مع الرئيس الكفو ، مراقب موثوق به ، مثل سعد باشا زغلول الذي كان ركنا من أركان تأسيس المؤيد . والا خسر مسلمو مصر خسارة يصعب عليهم الاستماضة عنها في سنة أو سنتين قليلة ، وربما حرموها الاجيال طويلاً ، وقد ذكرناهم بما يوجب العبرة من تاريخ أعظم جرائدهم هذا وان أية جريدة من جرائد المسلمين في مصر يتولى رئاسة تحريرها كاتب خبير بمصالح المسلمين غيور عليها ، قادر على الدفاع عنها ، يمكن ان تحل محل المؤيد الأول وأن تكون أكل منه فيه وأثبت ، ولكن لا يكون ذلك الا بعد ثقة الجمهور المسلم بها ، وهذه الثقة اذا استعادها المؤيد في سنة واحدة ، لا تنالها جريدة جديدة الا بعد سنتين كثيرة أو قليلة ، ومن ذا الذي ينفق على جريدة جديدة عدة سنين ، منتظراً طرود الحوادث التي تقنع الرأي العام بانها هي حاجته التي يطلبها لسان حاله واستعداداه ؟

( للترجمة بقية )



## الجامعة الإسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استقلال الحجرة النبوية)

تجدد الخوض في ذكر الجامعة الإسلامية بما ظهر أخيراً من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرر ما كان من اعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الارض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلم المال لاعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلها للبلقانيين . ففي أثناء الحرب ألقوا في الآستانة جمعية إسلامية خيرية تحت رياسة أو رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، ويرجون أن يجمعوا لها مالا جماً ، وان لم يعرف العالم الاسلامي ان يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

وإذا عوا في الاقطار خبير تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة - ويبر عنها الترك باسم « دار فنون » - ثم أرسلوا وفدا إليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة الموسوع لفتح باب الاعانات لها . ونحن نتفكر ان نرى نظام هذه المدرسة نعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولتعلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا نبحث عن المعلمين والكتيب قبل أن نعرف لغة التعليم ، فإن نظارة المعارف العثمانية تمتدح عما نطلبه من جعل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة أهلها ، وأظهر أعضائها عدم وجود الكتيب والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألقت لجنة فيها لأجل اختيار الكتيب العربية الصالحة . وعلمنا أنها طلبت نموذجاً من كتيب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأميرية فأرسل إليها . وإلى الآن لم تر احد اللجنة أثراً يذكر . وإذا كانوا يريدون التمام في المدينة باللغة التركية فإن لنا في ذلك كلاماً آخر . نقول هذا ونحن لا نثقل فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مراداً ، ولا نغان أنه مراد . ولكننا قد

تبنى بناء فخماً تسميه مدرسة جامعة، وتجلب إليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة، فيعلمون دروساً ابتدائية أو فوق الابتدائية، حسب استعداد من يحضر. ثم تستدعي أكف أعيان الطبع وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستدعيها الآن لأجل تأسيسها بامانتهم وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الإسلامية في قوس المنهين - كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها - فالظاهر ان السياسة الاتحادية الاخيرة تود إذاعة هذا المعنى عنها، وتخص الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الأنجاد والترقي تخدم الدولة والاسلام، وأنه يجب ان تساعد على ذلك بما استطاع من النفوذ والمال، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة، ومن حال المذبذب الذي بقي هنالك بعد الاحتفال (وهو الأمير شبيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدرزي في جبل لبنان) الذي كتب المشرات بل المئات من المقالات في إطرار الجمعية والوطن في طلاب الإصلاح من العرب للبلاد العربية. أما الشيخ عبد العزيز شويش رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد التادر أفندي المغربي فهما من غلاة أنصارها الذين تبذوا على خدمتها في الأقبال والأدبار، على اختلاف المظاهر والاطوار، ومن كان هذا شأنه معها فيها رجعت عنه من سياستها القديمة، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة؟

أما أنا فأتبني لو توجد مدرسة جامعة في المدينة المنورة، أو مدرسة ما مهما كانت درجتها، ومهما كان الغرض من إنشائها، فإذا لم تكن كما نحب اليوم، فإنا نرجو أن تكون كما نحب غداً. ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أتميتها على أعمال الجمعية، أيام كان الخلاف بينها وبين قومنا العرب على أشده، حتى أنني عدت - كما كنت في عهد عبد الحميد - لا آمن على نفسي ان أخرج بيت الله الحرام، أو أزور حرم رسوله عليه الصلاة والسلام، وكانت تمثل لي هذه المدرسة - عند سماع خبر العزم عليها - كمجد الضرر. وقد دخل قومنا معها الآن في طور جديد تمنينا فيه بكل ما نطلب من الإصلاح، والله المسئول ان تصدق الأمانى وتحصل الآمال

وأما رأي الذي أتصح به للدولة، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لتحريرك أو تار الجامعة الإسلامية بضر الدولة كثيراً ولا ينفعها إلا قليلاً، ويوشك ان تكون هذه الأقوال التي قيات في هذه المسألة - على قدر تأثيرها - من أسباب ما نراه من شدة

تحامل أوربة عليها ، وأكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكره الامام الغزالي في الاحياء : « كني يهوديا صرفا والا فلا تسلب بالتوراة »

ومرادى من هذا انه يجب عليها أحد امرين : ( الاول ) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يخلف باختلاف الانواع ، وتطلي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الأديان ، ولا يسعزها حينئذ ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الأجنبية ، بل يكون ارضاءهم أسهل عليها منه الآن ان شاء الله . ولو كان لي رجاء في إصنائها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لبيئت ذلك بالتفصيل ، ولا ورددت ما أعلمه من المشكلات والمعقات التي تتعرض في طريق تقيده من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجى لها من الخطر ، وان تراهى لكثير من الناس انه هو المسرع بالخطر ، ظنا منهم أن أوربة تسجل بالأجهاز على الدولة اذا قامت بها شرعت بهضة إسلامية ، لعلها بأنها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالتنويه والاهتمام اكثر السياسيين

{ الثاني } ان تدع كل ما عدا الامور الرسمية المهودة لديها عن أمور الدين الى الجمعيات الدينية الخيرة ، والافراد الذين يفهمهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالطاقة ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، ( اذا كانت تريد بقاء الأوقاف العامة في يدها ولم تحب طلاب الاصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها ) مع ابقائهم بمنزل عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزينة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما نجح به هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . ( فستذكرون

(١) قال لورد كاتشر لبعض من لقيه بن العثمانيين المشتملين بالسياسة : ان الدولة العثمانية لاتصلح بالقوانين التي تقتبسها منا ( أي الأوربيين ) ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد ترويضها في عدة قرون كما تغير فيها وتبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لمبادئكم ولاحوالكم الاجتماعية فلواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين أوربة قديمة المتدل وتمنظ الأمن وتستقل بلادها الخصبية ، وعندى انها لاتصلح بتغيير هذا

ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد )

### استقلال الحجرة النبوية

بلغنا والمعهد على الرواة أن بعض المنافقين الذين يتقربون الى ( حمية الاتحاد والترقي ) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استخراج المال من جيوب المسلمين ، قد زيفوا لها أن تتخذ دفترًا تضمه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتدفع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليئذ قطع من النقود الذهبية ، ( كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية ) ونحن تصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تنفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه بحملهم معروفين عند نبيهم ( ص ) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وأنه يمكن ان يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه ( ص ) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير

هذه بدعة قبيحة لا نظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو يحتاجون الى نصيح الناصحين ، وهي على كونها حديثًا وبدعة في مسجد الرسول ( ص ) وعنا بالدين ، تحل بتعظيمه وتكريم مقامه ( ص ) وقد لعن من أحدث حديثًا في مسجده ( وسيائي الحديث فيه ) وكذا في مدينته وما حولها : روى الشيخان في صحيحهما وغيرها عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله ( ص ) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى نور ( ١ ) فمن أحدث فيها حديثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يمجز اصحاب الجراة من المنافقين ان يقولوا ان استقلال حجرة المصطفى وقبره ( ص ) بمثل هذا الدفتر لا يمد حديثًا ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين ( مثلا ) ويمكن ان يتقى فيه الكذب في الدين وإبهام الباطل والكذب على الرسول ( ص ) حتى لا يكون توسلا باسمه ( ص ) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أنهض حجة وأقوم قتيلا ، فلا يمجزهم أن يظهروا الدلائل

( ١ ) عير ونور جبلان جملهما « ص » حدين للمدينة . ونور جبل بمكة أيضا وقد اشتبه بعض سراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية « ما بين عير وأحد » وان كانت الاولى أصح سندًا . وقال بعضهم تور الذي يحد المدينة وراء احد الى الشمال وهو مدور ولونه الى الحمرة . فالظاهر انه جبل صغير ثلثه بعض الناس جزءا من احد

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا الخويبه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام  
وانني انقل هنا اثرا واحدا من آثار السلف الصالح في التوقي في احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدينته حذرا من لعنته . نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعونا ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالك : قدم علينا ابن مهدي - يعني المدينة - نصلي ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نسمان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكي ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

( قال الشاطبي ) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوفا من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب ؟ اه (وتقول) فما ظنك بدعة وحدث في حجرة الرسول (ص) يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا إحداث قرينة جديدة وعبادة مخترعة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هنالك لكفى ، فان قالوا اننا لانعده قرينة ولا سببا للثواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ولرسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله اعلم خبير

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يحتم القرآن كل ليلة ويتجدد بنصته . لهذا كان قولهم للامام مالك « هذا ابن مهدي » سببا لمبادرته الى اخراجه من الحبس لعلمه أن كلمة حتى واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر الحبس الطويل في نفس غيره .

## ﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب اليانا غير واحد من البحرين أن الذي سألنا عن حكم الحج وامرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسألتم تلك الا مظهر مافي نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وانما كان ينبغي ان يجابوا الا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم . هذا معنى ما كتب اليانا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية { للبشرين } فأزاحوا عقائدهم أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت اليانا تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة ( الحج ) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدفعها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أوشاك يختبر علماء المسلمين ليرى ما عندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمأن بما عنده . والواجب علينا ان نقرب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نجيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين ايمانا ، وان كان شاكا أو زائعا يوشك ان يعود الى الرشد، ويطمئن بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان تهم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم اليانا ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين ، عرقون كلهم من الدين .

وإذا كان بعض أهل البحرين يملكون مبلغ أفساد دعاة النصرانية في بلادهم ، فلماذا لا يحذرون العاقبين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويتفوتهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونها لهم ، يعلمونهم فيها من علوم العاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويزيدون عليهم تعلم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وآدابه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون أنهم بترك معارضة هؤلاء المخارين لدينهم آمنون كلهم ؟ وان هذا الأمر لا يزول الا بإنشاء مدرسة يتقدمون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي سنلقي المداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟ وعسى أن يعتبر بهذا من يدعون في حضرموت وغيرها من اطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويقطنوا لنا في ذلك من الخطر على دينهم

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيديون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

الملك  
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متارا » كمنار الطريق

مصر سانخ صفر ١٣٣٢ هـ ق ٧ الشتاء الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٦ يناير ١٩١٤

## فَكَانَ الْمُنَابِتُ

الفتحة هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسم الناس طامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا من اواخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما احيانا غير مشترك لثقل هذا، وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

﴿ المواليد بدعة أم سنة ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في فليمينغ (سومطرة)

من فليمينغ الى القاهرة في ٢٥ المحرم عام ١٣٣٢

جناب الاستاذ مرشد الامة ورشيدها سيدي محمد رشيد رضا ادام المولى وجوده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ارجو من فضلكم اجابة السؤال الآتي على صفحات المنار . ما قول سيدي في قرادة القصص المسماة بالمواليد هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن اول من فعل ذلك ؟ واي المواليد المتداولة بين ايدينا اخرى بالقراءة واحسن ؟ فان كثيرين من رجال المناصب يزعمون ان مولد الديلمي هو امثل المواليد وانفضاها وان روح النبي صلى الله عليه وسلم تحضر عند قرأته خلافا للموالد الاخرى . ارجو ان تفضل بازالة الاشكال والجواب على هذا السؤال ولكم الفضل اولا وآخرا ودمتم والسلام (طالب الدعا منكم السيد عقيل بن عبدالله بن عقيل الحبشي)

{ ج } هذه المواليد بدعة بلا نزاع ، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي احد ملوك الشرا كسة بمصر . وقد شرحنا ما في هذه الاحتفالات التي يسمونها المواليد بمصر في مجلد السنة الاولى من المنار ثم في غيره من المجلدات . ولم نطلع على قصة من نعت المولد النبوي الشريف الا ورأينا فيها كثيرا من الاخبار الموضوعة . حتى جمع صديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين الفاصمي من مكتب الصحاح والسنن اصح وامثل ما ورد في ذلك و(شذرة من السيرة النبوية) وقد طبع في مطبعتنا وصار محبو السنة ومبغضو البدعة يستفنون به عن تلك القصص المشحونة بالموضوعات والا كاذيب التي يؤثرها الجهال زعما منهم انها اكثر تمظيما للنبي (ص) وقد اغناه الله تعالى بفضله المظم عليه عن تمظيم غيره له بالكذب في سيرته . ولم نطلع على مولد الديلمي . فان كان هو الحدث المشهور فالمرجو ان يكون ما كتبه خاليا من الموضوعات ، وان لم يخل من الضعاف التي يتساحون بها في ذكر المناقب .



﴿ قراءة البخاري لطلب النصر في الحرب ﴾

(س ٢) من علي أفندي مهيب (بديوان عموم التفارقات) بمصر (ناخر)

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فقد قرأت في الجرائد في الايام الاولى للحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان ان صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر كلف حضرات العلماء بقراءة البخاري امام القبلة طلباً للنصر من الله سبحانه. فهل ورد شيء عن قراءة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم اثناء الحرب طلباً للنصر؟ ولماذا لم يقرأ كلام الله سبحانه بالاولى اذا كانت التلاوة تعني عن العمل؟ أرجو الافادة على صفحات المنار الاغر ولحضرتكم جزيل الشكر.

(ج) جاءنا هذا السؤال في اثناء الحرب الاخيرة فوضعناه بين الاسئلة الكثيرة ولم يتفق وقوعه بيدنا الا الآن. وموضوعه يتكرر عند الحرب وغير الحرب من المصائب كالوباء والتحطت. والجواب انه لا يعقل أن يكون قد ورد في الكتاب أو السنة أمر أو ترغيب بقراءة أحاديث الرسول (ص) لطلب النصر أو رفع المصائب ولا أن يكون ذلك معروفاً في الصدر الاول. فان الاحاديث لم تكن مدونة في زمن الخلفاء الراشدين (رض) وانما دونت في زمن التابعين، وأول من أمر بجمعها ونشرها عمر بن عبد العزيز (رض) ولم يكن التابعون ولا تابعو التابعين يقرعونها لتكون قراءتها سبباً للنصر. وانما فعل ذلك المتأخرون ولا أدري في أي زمن أحدثوا ذلك، وما أظن ان أحداً من أهل العلم يقول ان هذا سنة أو مأمور به شرعاً، ولعل أقوى ما يمكن أن يقولوه في سببه: اننا نجتمع للدعاء ونقرأ قبل الدعاء طائفة من أحاديث الرسول (ص) لما يرجى من تأثيرها في حضور القلب، والخشوع للرب، الذي يرجى أن يكون سبباً لاستجابة الدعاء. وعلى هذا يتجه السؤال الثاني وهو « لماذا لا يقرأ كلام الله سبحانه »

وما أظن ان حدا من أهل العلم يقول ان قراءة الحديث أو القرآن في المساجد بنية نصر الحار بين سبب لنصر الحار بين في ميدان القتال، وقد بين الله تعالى أسباب النصر في كتابه وأمر بها وأهمها اعداد ما يستطيع من القوة في كل زمن والنيات وذكر الحار بين لله تعالى في قلوبهم عند لقاء العدو، كذكر وعده بأحدى الحسينين وثوابه للشهداء، وبألستهم كالتكبير فانه يعلي الهمة ويقوي الامل والرجاء. وقد بينا ذلك بالتفصيل غير مرة. وقد ظهر المشركون على المسلمين في أحد وحين والني (ص) معهم وأنزل الله تعالى في أحد (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم) فراجع تفسيرها في المنار أو في الجزء الخامس من التفسير، ان شئت زيادة الايضاح والتفصيل.

## التصوف الإسلامي الصحيح

(فصل من كتاب مدارج السالكين ، بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» )

للامام العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى

في مشاهد الخلق في المعصية وهي ثلاثة عشر مشهداً (١) : مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة - ومشهد اقتضاء رسوم الطبيعة ولوازم الحلقة - ومشهد الجبر - ومشهد القدر - ومشهد الحكمة - ومشهد التوفيق والخذلان - ومشهد التوحيد - ومشهد الاسماء والصفات - ومشهد الايمان وتعدد شواهدة - ومشهد الرحمة - ومشهد المعجز والضمف - ومشهد الذل والافتقار - ومشهد المحبة والعبودية . فالاربعة الاول المنحرفين ، والثمانية البواقى لاهل الاستقامة . واعلاها المشهد العاشر . وهذا الفصل من أجل فصول الكتاب وأنفها لكل أحد ، وهو حقيق بأن تنبي عليه الخاصر ، ولملك لا تظفر به في كتاب سواه ، الا ما ذكرناه في كتابنا المسعى بسفر المهجرتين ، في طريق السعادتين

### ﴿ فصل ﴾

فأما (مشهد الحيوانية وقضاء الشهوة) فشهد الجهال ، الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان الا في اعتدال القامة ونطق اللسان ، ليس همهم الا مجرد نيل الشهوة بأي طريق أفضت اليها . فهؤلاء نفوسهم نفوس حيوانية ، لم تترق عنها الى درجة الانسانية ، فضلاً عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم اخس من ان تذكر ، وهم في

{١} المعنى المراد من لفظ المشهد هو ما يغلب على اعتقاد الانسان أو وجدانه وشعوره في معصيته أو معصية غيره ، ومثله كل عامل في عمله ، ويعبر بعض الناس الآن عن مثل هذا المعنى بالملاحظة . فيقال علي عرفهم : إن العامي الجاهل لا يلاحظ في المعصية الا إرضاء شهوته . ولكن الطبيب الجاهل يلاحظ معنى آخر مع قصد الشهوة ودوان هذا العمل من الوظائف الطبيعية لبعض اعضاء الجسم . وعلى ذلك نفس

أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات التي هم على اخلاقها وطباعها ( فمنهم ) من نفسه كلبية لو صادف جيفة تشبع ألف كلب اوقع عليها وحماها من سائر الكلاب ، ونجح كل كلب يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب الا على كره منه وغلبة ، ولا يسمح لكتاب بشيء منها ، وهمه شبع بطنه من أي طعام اتفق : ميتة او مذكي ، خبيث او طيب . ولا يستحي من قبيح ، ان يحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ان اطعمته بصبحن بذنبة ودار حولك ، وان منعه هرك ونبحك .  
( ومنهم ) من نفسه حمارية لم تخلق الا للكد والماف ، كلما زيد في علفه زيد في كده ، ابكم الحيوان واقله بصيرة . ولهذا مثل الله سبحانه وتعالى به من حمله كتابه فلم يعرفه معرفة ولا فقها ولا عملا . ومثل بالكلب عالم السوء الذي آذاه الله آياته فانسلخ منها وأخذ الى الارض واتبع هواه . وفي هذين المثالين اسرار عظيمة ليس هذا موضع ذكرها .

( ومنهم ) من نفسه سبعية غضبية همته المدبران على الناس وقهرهم بما وصلت اليه قدرته ، طغيته تقاضي ذلك كقاضي طيعة السبع لما يصدر منه .  
( ومنهم ) من نفسه فارسية ، فاسق بطيعة ، مقسد لما جاوزه ، تسبيحه بلسان الحال :  
سبحان من ختمه للفساد .

( ومنهم ) من نفسه على نفوس ذوات السموم والحيات ، كالحية والعقرب وغيرها ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بهينه فيدخل الرجل القبر ، والجل القدر ، والمين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب ، وقابلت المين على غرة منه وغفلة ، وهو اعزل من سلاحه ، فلذغته ، كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتنهشه ، فإما عطب وإما اذى . ولهذا لا يتوقف اذى المائن على الرؤية والمشاهدة ، بل اذا وصف له الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه . والذنب لجل المين وغفلته وغرته عن حمل سلاحه كل وقت . فالمائن لا يؤثر في شاكبي السلاح ، كالحية اذا قابلت درعا سايقا على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف ، فحق على من أراد حفظ نفسه وحمايتها أن لا يزال متدرعا متحصنا ، لا بسا اداة الحرب ، مواظبا على أواد التعوذات

والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن (١) .

وعلى هذا الشبه اعتماد أهل التعبير للرؤيا في رؤية هذه الحيوانات في المنام عند الانسان وفي داره أو أنها تحاربه . وهو كما اعتمده . وقد وقع لنا وانبرنا من ذلك في المنام وقائع كثيرة . فكان تأويلها مطابقا لا أقوام على طباع تلك الحيوانات . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أحد بقرا تنحر ، فكان ما أصيب من المؤمنين بنحر الكفار ، فان البحر أنفع الحيوان الارض وبها صلاحها وفلاحها مما فيها من السكينة والمنافع والذل (بكمس الذال) فانها ذلول مذلة منقادة غيرأية ، والجواميس كبارهم ورؤسائهم (٢) ورأى عمر بن الخطاب كأن ديكاً نقره ثلاث نقرات ، فكان طمن أبي ثؤاوة له . والديك رجل أعجبي شري .

ومن الناس من طبعه طبع خنزير يمر بالطيات فلا يابى عليها ، فاذا قام الانسان عن رجليه قه . وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضاف أضاف المساوي ، فلا يحفظها ولا يتقيا ولا يتأسبه ، فاذا رأى سقطلة أو كلمة عوراء وجد بغيته وما يناسبها فجماها فأكته ونقله

(ومنها) من هو على طبيعة الطاوس ليس له إلا ان يطوس والتزين بالريش وماور ، ذلك شيء (ومنها) من هو على طبيعة الجمل أحقد الحيوان وأغلظه كبداء (ومنها) من هو على طبيعة الدب أبكم خبيث ، وعلى طبيعة القرد (٣)

أحمد طبائع الحيوانات طبائع الخيل التي هي أشرف الحيوانات نفوسا وأكرمها طبعا ، وكذلك الفم ، وكل من ألف ضربا من ضروب هذه الحيوانات اكتسب من طبيعه وخلقه ، فان تغذى لحمه كان الشبه أقوى . فان الغاذي شبيهه بالتغذي (٤) . ولهذا حرم الله أكل لحوم السباع وجوارح الطير لما يورث آكله (٥) من شبه

{١} حذفنا من هذا الموضع بحثا وحيزا في عقاب من ثبت انه يؤدي بغيته ، وانه

ان قتل بالعين لا يقتل بالسيف لان الجزء من جنس العمل

{٢} أي كبار الناس النافعين ورؤسائهم . أي تعبير رؤيتها في المنام بذلك

{٣} أي في إفساد كل ما تصل اليه يده (٤) وفي نسخة « المتغذي »

{٥} وفي نسخة « أكلها »

نفوسها بها والله أعلم . والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ليس لهم شهود سوى ميل نفوسهم وشهواتهم لا يعرفون ما وراء ذلك البتة

### ﴿ فصل ﴾

( المشهد الثاني مشهد رسوم الطبيعة واوازم الخلق )

كشهد زنادقة الفلاسفة والأطباء الذين يشهدون ان ذلك من لوازم الخلق والطبيعة الانسانية ، وان تركيب الانسان من الطبائع الاربع وامتزاجها واختلاطها كما يقتضي بغي بعضها على بعض وخروجه عن الاعتدال بحسب اختلاف هذه الاخلاط ، فكذلك تركيبه من البدن والنفس والطبيعة والاخلاط الحيوانية يتقاضاه اثر هذه الخلق ورسوم تلك الطبيعة ، ولا تنفجر الا بقاهر إما من نفسه واما من خارج عنه . وأكثر النوع الانساني ليس له قاهر من نفسه ، فاحتياجه الى قاهر فوقه يدخله تحت سيادة وايلة ينتظم بها أمره ضرورية (١) كحاجته الى مصالحه من الطعام والشراب واللباس . وعند هؤلاء ان الماقل متى كان له وازع من نفسه قاهر لم يحتج الى أمر غيره ونبيه وضبطه (٢) . فمشهد هؤلاء من حركات النفس الاختيارية الموجبة للجنايات ، كشهدهم من حركات الطبيعة الاضطرارية الموجبة للتغيرات (٣) وليس لهم مشهد وراء ذلك .

### ﴿ فصل ﴾

( المشهد الثالث مشهد أصحاب الجبر )

وهم الذين يشهدون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وانها واقعة بغير قدرتهم ، بل لا يشهدون أنها أفعالهم البتة . ويقولون : ان أحدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر ، وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه ، وانه آلة محضة ، وحركاته بمنزلة هبوب الريح وحركات الاشجار . وهؤلاء اذا أنكرت عليهم أفعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه ، وقد يفعلون في ذلك حتى يروا أفعالهم كلها طاعات خيرها وشرها ،

(١) كان الظاهر أي يقال « ضروري » لانه خبر قوله فاحتياجه

(٢) كذا (٣) وفي نسخة التغيرات

لموافقتها المشيئة والقدر. ويقولون: كما أن موافقة الأمر طاعة، فوافقة المشيئة طاعة. كما حكى الله تعالى عن المشركين إخوانهم أنهم جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلاً على أمره بها ورضاه.

وهؤلاء شر من القدرية النفاة، وأشدّ عداوةً لله، ومناقضةً لكتبه ورسوله ودينه، حتى أن من هؤلاء من يعتذر عن إبليس ويتوجع له ويقيم عنده بجوده، وينسب ربه تعالى إلى ظلمه بإسنان الحمال والمقال، ويقول: ما ذنبه وقد صان وجهه عن السجود لغير خالفه؟ وقد وافق حكمه ومشيئته فيه وأرادته منه؟ ثم كيف يمكنه السجود وهو الذي منعه منه وحال بينه وبينه؟ وهل كان في ترك السجود لغير الله إلا محسناً؟ ولكن:

إذا كان الحب قليل حفظ فما حسنته إلا ذنوب

وهؤلاء أعداء الله حقاً، وأولياء إبليس وأجباره وأخوانه. وإذا نأح منهم نأح على إبليس وأيت من البكاء والخنين أمراً عجيباً، ورأيت من تعظم الأقدار، واتهام الجبار، ما يبدو على فئات الستهم وصفعات وجوههم، وتسمع من أحدهم من التعالم والتوجع ما تسمعه من الخصم المغلوب الماجز عن خصمه. فهؤلاء هم الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية في تأييده:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً فرقة القدرية

### (فصل)

#### (المشهد الرابع مشهد القدرية النفاة)

ويشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها، وأنها واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعالى، وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاءه ولا خلق أفعالهم، وأنه لا يقدر أن يهدي أحداً ولا يضلّه إلا بمجرد البيات، لا أنه يلهيه الهدى والضلال، والفجور والتقوى، فيجعل ذلك في قلبه. ويشهدون أنه يكون في ملك الله ما لا يشاؤه، وأنه يشاء ما لا يكون، وإن المباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله. فالماهي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم، لأنّها خلق الله

ولا تتعلق بمشيتته . وهم لذلك ميخوسو الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه والاعتصام به ، وسؤاله ان يهديهم ، وان يثبت قلوبهم وان لا يزيقها ، وأن يوقهم لمرضاة وبجانبهم مصيئته . اذ هذا كله واقع بهم وعين أفعالهم لا يدخل تحت مشيئة الرب . والشيطان قد رضي منهم بهذا القدر ، فلا يورثهم إلى المعاصي ذلك الأثر ، ولا يزعجهم اليها ذلك الإزعاج . وله في ذلك غرضان مهمان ( أحدهما ) ان يقرر في قلوبهم صحة هذا المشهد وهذه العقيدة ، وأنكم تاركون الذنوب ( ١ ) والكبائر التي يقع فيها أهل السنة . فدل على أن الأمر مفروض اليكم واقع بكم ، وأنكم العاصمون لانفسكم المانعون لها من المصيبة ( الغرض الثاني ) أنه يصطاد على أيديهم الجهال ، فاذا رأوهم أهل عبادة وزهادة وتورع عن المعاصي وتمظيم لها قالوا : هؤلاء هم أهل الحق . والبدعة آثر عنده واحب اليه من المصيبة ، فاذا ظفر بها منهم ، واصطاد الجهال على أيديهم ، كيف يأمرهم بالمصيبة؟ بل ينههم عنها ويقبحها في أعينهم وقلوبهم ، ولا يكشف هذه الحقائق الا ارباب البصائر .

### ﴿ فصل ﴾

( المشهد الخامس وهو احد مشاهد اهل الاستقامة : مشهد الحكمة )

وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يفضيه سبحانه ويكرهه ، ويلوم ويقب عليه ، وانه لو شاء لهضمه منه ، ولحال بينه وبينه ، وانه سبحانه لا يعصى قسرا ، وانه لا يكون في العالم شيء الا بمشيئته ( ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين )

وهؤلاء يشهدون ان الله سبحانه لم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ، وانه له الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر ، وطاعة ومصيبة ، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الاحاطة بكنها ، وتكفل اللسان عن التعبير عنها ، فصدر قضائه وقدره لما يفضيه ويستخطه اسمه الحكيم الذي بهرت حكمته الابواب ، وقد قال تعالى ملائكته لما قالوا ( أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ) فاجابهم سبحانه بقوله ( اني اعلم ما لا تعلمون ) فله سبحانه في ظهور المعاصي

والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم ، وأنواع التعريفات الى خلقه ،  
وتنوع آياته ، ودلائل ربوبيته ووحدانيته ، وإلهيته وحكمته وعزته ، وقام ملكه وكامل  
قدرته ، وإحاطة علمه ، ما يشهد أولو البصائر عيانا بصائر قلوبهم ، يقولون ( ربنا  
ما خلقت هذا باطلا سبحانه ! ) ان هي الا حكمة الباهرة وآياتك الظاهرة

وقه في كل تحريك ونسكينة ابدأ شاهد

وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

فكم من آية في الارض بينة دالة على الله وعلى صدق رسله وعلى ان لقائه  
حق ، كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم ، كآية في اغراق قوم نوح ، وعلو الماء على  
رؤس الجبال ، حتى اغرق جميع اهل الارض ، ونجى اولياءه واهل معرفته وتوحيده .  
فكم في ذلك من آية وعبرة ، ودلالة باقية على مر الدهور ، وكذلك إهلاك قوم  
عاد وثمود ، وكم له من آية في فرعون وقومه من حين بث موسى اليهم ؟ بل قبل بعثه  
الى حين إغراقهم ، لولا معاصيهم وكفرهم لم تظهر تلك الآيات والمعجائب ، وفي  
التوراة ان الله تعالى قال لموسى : اذهب الى فرعون فاني سأقسي قلبه وامنعه عن ( ١ )  
الايان لا تظهر آياتي ومعجائبي بمصره . وكذلك فعل سبحانه فآظهر من آياته ومعجائبه  
بسبب ذنوب فرعون وقومه ما اظهر . وكذلك اظهاره سبحانه ما اظهر من جبل  
النار بردا وسلا على ابراهيم ، بسبب ذنوب قومه ومعاصيهم ، وإيقاظهم له في النار ،  
حتى صارت تلك آية ، وحتى نال ابراهيم ما نال من كمال الخلة .

وكذلك ما حصل الرسل من الكرامة والمنزلة والرفق عند الله والوجاهة عنده  
بسبب صبرهم على اذى قومهم وعلى محاربتهم لهم ومعاداتهم . وكذلك اتخذ الله  
تعالى الشهداء والاولياء والاصفياء من بني آدم ، بسبب صبرهم على اذى بني آدم  
من أهل الماصي والظلم ومجاهدتهم في الله ، ومحاربتهم لأجله من أعدائه ما هو بعينه  
وعلمه ، واستحقاقهم بذلك رفعة الدرجات . - الى غير ذلك من المصالح والحكم  
التي وجدت بسبب ظهور الماصي والجرائم ، وكان من سببها تقدير ما يفضيه الله  
ويستخطه ، وكان ذلك محض الحكمة ، لما يترتب عليه مما هو أحب اليه وأمر عنده



من فوته بتقدير عدم المعصية . فحصل هذا المحبوب العظيم ، أحب إليه من فوات ذلك المفضول المسخوط ، فان فواته وعدمه وان كانت محبو به لكن حصول هذا المحبوب الذي لم يكن يحصل بدون وجود ذلك المفضول أحب إليه ، وفوات هذا المحبوب ، أكره إليه من فوات ذلك المكروه المسخوط ، وكال حكمته تقتضي حصول أحب الأمرين إليه فوات أدنى المحبوبين ، وان لا يظلم هذا الأحب بتعطيل ذلك المكروه . وفرض الذهن وجود هذا بدون هذا ، كفرضه وجود المسببات بدون أسبابها ، والملازمات بدون لوازمها ، مما تمته حكمة الله وكال قدرته وبروبيته .

وبكفي من هذا مثال واحد وهو أنه لولا المعصية من أبي البشر بأكله من الشجرة لما ترتب على ذلك ما ترتب من وجود هذه المحبوبات العظام للرب تعالى ، من امتحان خلقه وتكليفهم ، وإرسال رساله ، وانزال كتبه ، وإظهار آياته وعجائبه ، وتنويعها وتصريفها ، وإكرام أوليائه ، وإهانة أعدائه ، وظهور عدله وفضله وعزته وإتقانه ، وعفوه ومغفرته ، وصفحته وحلته ، وظهور من يعبدونه ويحبه ويقوم بمراضيه بين أعدائه في دار الابتلاء والامتحان . فلو قدر أن آدم لم يأكل من الشجرة ولم يخرج من الجنة هو وأولاده ، لم يكن شيء من تلك ، ولا ظهر من القوة إلى الفعل ما كان كامنًا في قلب إبليس بطله الله ولا تلمه الملائكة ، ولم يتميز حيث الخلق من طيبه ، ولم تتم الملكة حيث لم يكن هناك إكرام وثواب ، وعقوبة وإهانة ، ودار سعادة وفضل ، ودار شقاوة وعدل .

وكم في تسليط أوليائه على أعدائه ، وتسليط أعدائه على أوليائه ، والجمع بينهما في دار واحدة ، وابتلاء بعضهم ببعض ، من حكمة بالغة ، ونعمة سائغة ؟ وكم في طيبها من حصول محبوب للرب ، وحمد له من أهل سمواته وأرضه ، وخضوع له وتذلل ، وتعبد وخشية وافتقار إليه ، وانكسار بين يديه ؟ أن لا يجعلهم من أعدائه ، إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم ، وإعراضه عنهم ، ومقتله لهم ، وما أعد لهم من العذاب . وكل ذلك بمشيئته وإرادته ، وتصرفه في مملكته ، فأوليائه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون ، على أشد وجل وأعظم تخافة وأتم انكسار . فإذا رأيت

(المنار-ج ٢ م ١٧) معنى القدر وكونه ليس بالجبر ولا بالخلق المستأنف ١٢١

الملائكة إبليس وما جرى له ، وهاروت وماروت ، وضعت رؤوسها بين يدي الرب خضوعاً لمظلمته ، واستكانه لمرته ، وخشية من إيماده وطرده ، وتذلاً لهيئته ، وافتقاراً إلى عهده ورحمته ، وعلت بذلك منته عليهم ، واحسانه اليهم ، وتخصيصه لهم بفضل وكرامته .

وكذلك أولياؤه المتقون ، إذا شاهدوا أحوال أعدائه وقتته لهم ، ونفضه عليهم ، وخذلانه لهم ، ازدادوا له خضوعاً وذللاً ، وافتقاراً وانكساراً وبه استمانته وإليه إنابة ، وعليه توكل ، وفيه رغبة ، ومنه رهبة ، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلا إليه ، وأنهم لا يعينهم من بأسه إلا هو ، ولا ينجيهم من صخطه إلا مرضاته ، فالفضل بيده أولاً وآخرها

وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقته . والبصير بطالع بصيرته ما وراءه فيطامه على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ، ولا تنالها الصفة . وأما حفظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة فيحسب استعداده وقوة بصيرته ، وكال علمه ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته ، ومعرفته بحقوق اليهودية والرؤية ، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم ، ونظام لا يتمناه ولا يتخطاه (١)

(١) بقي من بيان حكمة الله تعالى في تقدير الكفر والمعاصي كلفه ضرورة لا يتم بدونها . وهي معنى ذلك التقدير ، وكونه لا دلالة فيه ولا اقتضاء للجبر والاكراه على الفعل . وذلك أنه تعالى خلق الناس مختارين في أفعالهم ، يعملونها بإرادتهم ، حسب علمهم أو ظنهم بأن فعل كذا أو تركه خير لهم . فكل عمل من أعمالهم حلقة من سلسلة الأسباب والمسببات قبله حلقة الاختيار ، وهذا الترتيب هو التقدير ، فالقدر جعل المسببات على قدر الأسباب ، وانتظام الجميع في سلسلة واحدة . وضده الخلق الأتق الذي هو مذهب القدرية . ومعناه أن الله تعالى يخلق كل شيء يقع في الكون ابتداء واستئنافاً لا يكون شيء من الحوادث مبنيًا على تقدير ونظام سابق ، تكون فيه الأسباب على قدر المسببات ، والنتائج أرباً لترتيب المقدمات . فكل مخلوق له علم وإرادة واختيار يطبع أو يعصي باختياره الذي هو من قدر الله ، ولا يخلق الله كل عمل يصدر منه خلقاً مستأنفاً كما يزعم منكرو القدر العميان . وله في هذا التقدير حكم كثيرة أشار المصنف إلى طائفة منها ، والله عليم حكيم

## ﴿ فصل ﴾

( المشهد السادس مشهد التوحيد )

وهو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا تتحرك ذرة الا بإذنه ، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته ، وأنه ما من قلب الا وهو بين أصابعه ، إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيقه أزاعه . فالقلوب بيده وهو مقابها ويصرفها كيف شاء وكيف إرادته ، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين ثقلها ، وهو الذي هداها وزكاها ، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها « من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له » يهدي من يشاء بفضله ورحمته ، ويضل من يشاء بعذابه وحكمته . هذا فضله وعطاؤه وما فضل الكريم بمنون (١) وهذا عدله وقضاؤه (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) قال ابن عباس : الأيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيداً ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيداً . وفي هذا المشهد يتحقق للعبد مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) علماً وحالاً ، فيثبت قدم العبد في توحيدهِ (٢) الربوبية ، ثم يرقى منه صاعداً الى توحيد الالهية ، فانه اذا تبين أن الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، والهدى والضلال ، والسعادة والشقاء ، كل ذلك بيد الله لا بيد غيره ، وأنه الذي يقرب القلوب ويصرفها كيف يشاء ، وأنه لا موقف الا من وقفه وأهانته ، ولا مخدول الا من خذله وأهانته وتغلب عنه ، وان اصبح القلوب وأسلمها وأقومها ، وأرقها وأصفاها ، وأشدّها وألينها ، من اتخذها وحده إلهاً ومعبوداً ، فكان أحب اليه من كل ما سواه ، واخوف عنده من كل ما سواه ، وأرجى له من كل ما سواه ، فتقدم محبته في قلبه جميع المحاب ، فتساق المحاب تبعاً لها كما يساق الجيش تبعاً للسلطان ، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات ، فتساق المخاوف كلها تبعاً لخوفه ، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجا ، فتساق كل رجا تبعاً لرجائه .

{١} وفي نسخة بزيادة « اي مقطوع » وهو تفسير لمنون {٢} وفي نسخة

فهذا علامة توحيد الآلهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية ، أي باب توحيد الآلهية توحيد الربوبية (١) فإن أول ما يتعلق القلب (٢) بتوحيد الربوبية ثم برهني إلى توحيد الآلهية ، كما يدعو سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ، ويمتج عليهم به ، ويقررهم به ، ثم يخبر أنهم ينتفضونه بشر كهم به في الإلهية .

وفي هذا الشهد يتحقق له مقام (إياك نعبد) قال الله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ: الله . فأنى يؤفكون؟) أي فنى أين بصرفون عن شهادة ان لا اله الا الله ، وعن عبادته وحده ، وهم يشهدون انه لا رب غيره ولا خالق سواه (٣) وكذلك قوله تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟) سيقولون : الله . قل أفلا تدكرون ؟) فعلمون أنه اذا كان وحده مالك الأرض ومن فيها ، وخالقهم وربهم ومليكمم ، فهو وحده المسموم ومعبودهم ، فكما لا رب لهم غيره ، فكذا لا إله لهم سواه (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟) سيقولون : الله . قل : أفلا تفتنون ؟ قل : من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ؟) - الآيات . وهكذا قوله في سورة النمل (قل : الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أمّا يشركون ؟ أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم ان تُنبتوا شجرها ؟ إله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون) إلى آخر الآيات . يحتاج عليهم بأن من فعل هذا وحده ، فهو الإله وحده ، فإن كان معه رب فعل هذا فينبغي أن تبدو ، وان لم يكن معه رب فعل هذا فكيف نجعلون معه إلهاً آخر ؟

ولهذا كان الصحيح من القولين في تقدير الآية « أم له مع الله فعل هذا ؟ » حتى يتم الدليل ، فلا بد من الجواب بلاه فاذا لم يكن معه إله فعل كفعله فكيف تعبدون إلهة أخرى سواه ؟ فعلم ان إلهية ما سواه باطلة ، كما ان ربوبية ما سواه باطلة باقراركم وشهادتكم . ومن قال : المسمى هل مع الله إله آخر ؟ من غير أن

(١) وبعبارة أخرى توحيد الربوبية ، باب يدخل منه إلى توحيد الإلهية .

(٢) وفي نسخة « العبد » (٣) وفي نسخة « وانه لا خالق سواه »

يكون المعنى « فعل » فقوله ضميم نوجبهن (أحدهما) أنهم كانوا يقولون : مع الله آلهة أخرى، ولا ينكرون ذلك (الثاني) أنه لا يتم الدليل، ولا يحصل افحامهم وإقامة الحججة عليهم إلا بهذا التقدير، أي فإذا كنتم تقولون : إنه ليس معه إله آخر فعل مثل فعله، فكيف تجهلون معه إلهاً آخر لا يخلق شيئاً وهو عاجز؟ وهذا كقولهم (أم جهلوا الله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم؟ قل : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) وقوله (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه؟) وقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق؟) وقوله (والذين يصدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون) وهو كثير في القرآن وبه تتم الحججة كما تبين .

والمقصود أن العبد يحصل لهذا المشهد من مطالعة الجنايات والذنوب وجريانها عليه وعلى الخليفة بتقدير العزيز الحكيم، وأنه لا عاصم من غضبه وأسباب مسخطة إلا هو، ولا سبيل إلى طاعته إلا بعبودته، ولا وصول إلى مرضاته إلا بتوفيقه، فوارد الأوامر كلها منه ومصادرهما إليه، وإزمة التوفيق جميعها بيديه، فلا مستعان للمباد إلا به، ولا متكل إلا عليه (١) كما قال سميع خطيب الأنبياء (وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

### ﴿ فصل ﴾

#### (المشهد السابع مشهد التوفيق والخذلان)

وهو من تمام هذا المشهد وغروعه، ولكن أفرد بالذكر لحاجة العبد إلى شهوده وانتفاعه به . وقد أجمع المارفون بالله أن التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك (٢)

(١) أي إن الذي يدرك حقيقة معنى القدر يعلم أن ما آناه الله تعالى إياه من هدايات الخواص والنقل والوجدان، وما يصل إليه علمه المكتسب بها والضروري الذي هو أموى منه، كل ذلك لا يكفي لتصرف إرادته واختياره دائماً فإما هو خير له، فإنه مهما اتسع علمه واختياره يختار لنفسه أحياناً كثيرة ما هو شر له في دينه ودنياه وعاجل أمره وآجابه، فإذا فقه هذا علم علم شهود أنه لا يستغني طرفه عين عن توفيق الله وعنايته . (٢) هذا تفسير باللازم وأما باللازم فتكون الأسباب المكسوبة وغير المكسوبة موافقة للمصلحة التصحيحية

والخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك . فلهيبد متقابلون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة بنال نصيبه من هذا وهذا فيطيعه ويرضيه ويذكّره ويشكره بتوفيقه له ، ثم يعصيه ويخالفه ويستخطئه وينزل عنه بخذلانه له ، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه ، فان وفقه فيفضله ورحمته ، وإن خذله فيعده وحكمته ، وهو المحمود على هذا وهذا ، له أتم حمد وأكمله ، ولم يمنح العبد شيئا هو له ، وإنما منعه ما هو مجرد فضله وخطئه ، وهو أعلم حيث يعصيه وأين يجوله . ففى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه ، علم ضرورته وحاجته الى التوفيق كل نفس وكل لحظة وطرفة عين ، وإن إيمانه وتوحيده بيده تعالى ( ١ ) ، لو تخلى عنه طرفة عين أشلى عرش توحيده ، ولخرت سماء إيمانه على الأرض ، وإن المسك له من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه فمجهري قلبه ( ٢ ) ودأب لسانه « يا قلب انقلوب ثبت قلبي على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبي الى طاعتك » ودعواه « يا حي يا قيوم . يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى احد من خلقك » ففى هذا المشهد يشهد توفيق الله وخذلانه ، كما يشهد ربوبيته وخلقته ، فيسأله توفيقه مسألة المضطر ويهوذ به من خذلانه عياذ اللطوف ويلقي نفسه بين يديه ، طريحا بيا به مستسلا له ، ناكس الرأس بين يديه خاضعا ذليلا مستكينا ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا .

والتوفيق ارادة الله من نفسه ان يفعل بعبد ما يصالح به العبد ، بأن يجمله قادرا على فعل ما يرضيه ، مريدا له ، محبا له ، مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يستخطئه ويكرهه اليه . وهذا مجرد فعله ، والعبد محل له ، قال تعالى ( ولكن الله حجب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان . أولئك

{ ١ } وفي النسخة الثانية « وتوحيده يمسك بيد غيره بيده تعالى » { ٢ } هيري الانسان ) بكسر الهمزة وتشديد الحيم المكسورة والنصر ) دأبه الذي يلزمه ولا يتركه . ويسديها الناس في بعض البلاد في هذا العصر « لازمة » فالذي يكثر في كلامه من كلمة « لازم » يقولون : لازمه مثلا

هم الراشدون \* فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم ( فهو سبحانه عليم بمن يصالح لهذا الفضل ومن لا يصالح له ، حكيم يضعه في مواضعه وعند أهله ، لا يمنه أهله ، ولا يضعه عند غير أهله . وذكر هذا عقيب قوله ( واعلموا أن فيكم رسول الله لو بطئكم في كثير من الأمر لعنتنم ) ثم جاء به ( ١ ) بحرف الاستدراك فقال ( ولكن الله حبيب اليكم الايمان ) يقول سبحانه: لم تكن محبتكم للايمان وارادته وتزينه في قلوبكم منكم ، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك فأثرتوه ورضيتوه . فذلك لان قدموا بين يدي رسولي ، ولا تقواوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يأمره فالتى حبيب اليكم الايمان أعلم بمصالح عبادته منكم ، وأنتم فلولا توفيقه لكم ( ٢ ) لما أذعنت نفوسكم للايمان ، فلم يكن الايمان بمشورتكم وتوفيق أنفسكم ، ولا تقدمتم به اليها ، فنفوسكم تقهر وتمجز عن ذلك ولا تلبغه ، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ، وهلكتم وفسدت مصالحكم وانتم لا تشمرون ، ولا تظنوا ان نفوسكم تزيد بكم الرشد والصلاح ، كما اردتم الايمان ، فلولا أي حبيته اليكم وزينه في قلوبكم ، وكرهت اليكم ضده ، لما وقع منكم ولا سمحت به أنفسكم .

وقد ضرب للتوفيق والخذلان مثل ملك أرسل الى أهل بلد من بلاده رسولا وكتب مع ( ٣ ) كتابا يملهم أن العدو مصبحهم عن قريب ، ومحتاجهم ومغرب البلد ومهلك من فيها ، وأرسل اليهم أموالا وعراكب وزادا وعدة وأدلة ، وقال . ارتحلوا الي مع هؤلاء الأدلة ، وقد أرسلت اليكم جميع المحتاجون اليه . ثم قال لجماعة من مماليكه : اذهبوا الي فلان فخذوا بيده واحملوه ( ٤ ) ولا تدرره بقعد ، واذهبوا الي فلان كذلك والى فلان ، ودرروا من عداهم فأنهم لا يصاحون ان يساكنوني في بلدي . فذهب خواص مماليكه الي من أمروا بحملهم فلم يتركوهم بقرون ، بل حملوهم حملا وساقوهم سوقا الي الملك ، فاجتاح العدو من بقي في المدينة وقتلهم ، وأسر من أسر . فهل يمد الملك ظلما هؤلاء أم عادلا فيهم ؟ نعم خص أولئك باحسانه وعنايته وحرماها من عداهم ، اذ لا يجب عليه التسوية بينهم في فضله واكرامه ، بل ذلك فضاه

( ١ ) سقط من النسخة الثانية لفظ « به » ( ٢ ) سقط من النسخة الثانية لفظ « لكم »

{ ٣ } وفي نسخة « له » ( ٤ ) وفي نسخة « فاحملوه »

يؤتية من يشاء .

وقد فسرت القدرية الجبرية التوفيق بأنه خلق الطاعة ، والخذلان (بأنه) خلق المصيبة . ولكن بنوا ذلك على اصولهم الفاسدة من انكار الأسباب والحكم ، وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة . وقابهم القدرية النفاة ، ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدي العام ، والتمكن من الطاعة والإقبال عليها وتمهية أسبابها . وهذا حاصل لكل كافر ومشرک بلغته الحجة وتمكن من الايمان . فالتوفيق عندهم أمر مشرك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقدار والتمكين والدلالة والبيان قد عم به الفريقين (١) ولم يفرق المؤمن عندهم بتوفيق وقع به الايمان منهم ، والكفار بخذلان امنع به الايمان منهم ، ولو فعل ذلك لكان عندهم محاباة وظلم . والتزموا هذا الاصل لوازم قامت بها عليهم سوق الشناعة بين العقلاء ولم يجدوا بدا من التزامها ، فظهر فساد مذهبهم ، وتناقض أقوالهم (٢) ، لمن أحاط به تلياً وتصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطال مذهب (?) في العالم وارداه .

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . فلم يرضوا بطريق هؤلاء ولا طريق هؤلاء ، وشهدوا انحراف الطريقين عن الصراط المستقيم ، فأثبتوا القضاء والقدر وعموم مشيئة الله للكائنات وأثبتوا الأسباب والحكم والغايات والمصالح ، ونزهوا الله عز وجل أن يكون في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ولا مشيئته ، أو أن يكون شيء من أفعالهم واقعا بغير اختياره وبدون مشيئته . ومن قال ذلك فلم يعرف ربه ، ولم يثبت له كمال الربوبية . ونزهوه مع ذلك عن العبث وفعل القبيح وأن يخلق شيئاً سدى ، وأن تخلو أفعاله عن حكم بالغة لأجلها أوجدها ، وأسبابها سببها ، وغايات جعلت طرقاً ووسائل إليها . وإن له في كل ما خلقه وقضاه حكمة بالغة . وتلك الحكمة صفة له قاعة به ليست مخلوقة كما تقول القدرية النفاة للقدر والحكمة في الحقيقة .

فأهل الصراط المستقيم بريئون من الطائفتين ، إلا من حق تضمنه مقالاً منهم ،



فانهم يوافقونهم عليه ويجهون حتى كل منهما الى حق الاخرى ، ولا يبطلون ما مهمهم من الحق لما قالوه من الباطل ، فهم شهداء الله على الطوائف أمناء عليهم ، حكماء بينهم ، كما كون عليهم ، ولا يحكم عليهم احد منهم ، يكشفون أحوال الطوائف ، ولا يكشفهم الا من كشف له عن معرفة ما جاء به الرسول (١) وعرف الفرق بينه وبين غيره ولم يلتبس عليه ، وهؤلاء افراد العالم ونخبته وخلاصته ، ليسوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ولا من الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، بل ممن هو على بينة من ربه وبصيرة في إيمانه ، ومعرفة بما عند الناس ، والله الموفق .

### ﴿ فصل ﴾

#### المشهد الثامن مشهد الأسماء والصفات

وهو من أجل المشاهد وهو أعلى مما قبله وأوسع . والمطلع (٢) على هذا المشهد معرفة تعلق الوجود خلقا وامرا بالأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وارتباطه بها ، وان كان العالم بما فيه من بعض آثارها ومتنضياتها . وهذا من أجل المعارف وأشرفها ، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة ، فان أسماءه أوصاف مدح وكمال ، وكل صفة لها مقتضى ، وفعل : إما لازم وإما متعمد ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه وهذا . في خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن الخيال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال ، وتعطيل الأفعال عن المفعولات ، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله ، وأفعاله عن صفاته ، وصفاته عن أسمائه ، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته .

وإذا كانت أوصافه صفات كمال ، وأفعاله حكما ومصالح ، وأسمائه حسنى ، ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . ولهذا ينكر سبحانه على من عطاه عن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، وانه نسيه الى ما لا يليق به ، ويتنزه عنه (٣) وان

{١} وفي نسخة الرسل (٢) المطلع بفتح اللام . وخبره معرفة تعلق الوجود

(٣) وفي نسخة : بل يتنزه عنه

ذلك حكم سيء من حكم به عليه ، وان من نسيه الى ذلك فما قدره حق قدره ، ولا عظمه حق تعظيمه ، كما قال تعالى في حق منكري النبوة وارسال الرسل وانزال الكتب ( وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ) وقال تعالى في حق منكري الماد والثواب والعقاب ( وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ) وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المختلفين كالأبرار والفجار ، والمؤمنين والكفار ( أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) فأخبر ان هذا حكم سيء لا يليق به ، تأباه أسماؤه وصفاته ، وقال سبحانه ( أفضبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اينالان ترجعون ؟ ) فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم عن هذا الظن والحسبان ، الذي تأباه اسماؤه وصفاته .

ونظائر هذا في القرآن كثير ، ينفي عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته ، اذ ذلك (١) مستلزم تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها ، فاسمه الحميد المجيد يمنع ترك الانسان سدى مهلا معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب ، وكذلك اسمه الحكيم ، يأبى ذلك ، وكذلك اسمه الملك ، واسمه الحي يمنع أن يكون معطلا من الفعل بل حقيقة الحياة الفعل ، فكل حي فعال ، وكونه سبحانه خالقا قيوما من موجبات حياته ومقتضياتها ، واسمه السميع البصير يوجب مسوعا ومرثيا ، واسمه الخالق يقتضي مخلوقا . وكذلك الرزاق ، واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفا وتدبرا واعطاء ومنعا وإحسانا وعدلا وثوابا وعقابا . واسم البر المحسن المعطي المنان ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها .

اذا عرف هذا فن اسماؤه سبحانه الغفار التواب الغفور (٢) فلا بد لهذه الاسماء من معاملات ، ولا بد من جنابة تغفر ، وتوبة تقبل ، وجرائم يعفى عنها . ولا بد لاسمه الحكيم من متعلق يظهر فيه حكمه (٣) اذ اقتضاء هذه الاسماء لا آثارها (١) ونسخة « ذاك » (٢) وفي نسخة بواو المطف في هذه الاسماء الثلاثة الأخيرة . وهنا محل الشاهد {٣} وفي نسخة « حكمة »

كاقضاء اسم الخالق الرازق المعطي المانع المخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع وهذه الأسماء كلها حسنى ، والرّب تعالى بحب ذاته وأوصافه وأسمائه . فهو عفو يحبّ العفو ، ويحبّ المغفرة ويحبّ التوبة ، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال . وكان تقديراً ينفقه ويمنوع عن فاعله ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه من موجب أسمائه وصفاته . وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك ، وما يحمده به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه ، ما هو من موجبات كماله ويمتضى حمده . وهو سبحانه الحميد المجيد ، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما ومن آثارهما مغفرة الزلات ، وإقالة العثرات ، والعفو عن السيئات ، والمسامحة على الجنايات ، هذا ( ١ ) مع كمال القدرة على استيفاء الحق ، والعلم منه سبحانه بالجناية وتمام عقوبتها ، فحلمه بمد علمه ، وعفوه بمد قدرته ، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته ، كما قال المسيح صلى الله عليه وسلم ( إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ) أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك ، لست كن يغفر عجزاً ، ويسامح جهلاً بقدر الحق ، بل أنت عليم بحقك ، قادر على استيفائه ، حكيم في الأخذ به .

فمن تأمل سر بيان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد ، وتقديرها هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال ، وغاياتها أيضاً مقتضى حمده ومجده ، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته ، فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة ، والآيات الباهرة ، والتعرفات إلى عبادته بأسمائه وصفاته ، واستدعاء محبتهم له وذكرهم له وشكرهم له ، وتمييزهم له بأسمائه الحسنى ، إذ كل اسم فله تمتد مختص به علماً ومعرفة وحالاً ، واكمل الناس عبودية التبعيد بجميع الأسماء والصفات التي يطاع غايباً البشر ، فلا يحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر ، كمن يحجبه التبعيد باسمه القدير ، عن التبعيد باسمه الحكيم الرحيم ، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي من عبودية اسمه المانع ، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم ، أو التبعيد بأسماء التودد والبر واللاطف والأحسان

عن اسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك .  
وهذه طريقة الكمل من السائر الى الله ، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن .  
قال الله تعالى ( والله الاسماء الحسنى فادعوه بها ) والدعاء بها يتناول دعاء المسئلة  
ودعاء الثناء ودعاء التعبد . وهو سبحانه يدعو عباده الى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ،  
ويتنوا عليه بها ، يأخذوا بحظهم من عبوديتها ، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه  
وصفاته . فهو عليم يحب كل عليم ، وجواد يحب كل جواد ، وتر يحب الوتر ،  
جميل يحب الجمال ، عفوي يحب العفو وأهله ، حيي يحب الحياء وأهله ، بتر يحب  
الأبرار ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، حلیم يحب أهل الحلم ،  
فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو  
عنه ، وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ، ليعترب عليه المحبوب له  
المرضي له ، فتوسطه كتوسط الاسباب المكروهة المفضية الى المحبوب .

فربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سببا ما مثله سبب  
والاسباب مع مسبباتها أربعة أنواع : محبوب يفضي الى محبوب ، ومكروه  
يفضي الى محبوب . وهذان النوعان عليهما مدار أفضيته وأقداره سبحانه بالنسبة الى  
ما يحبه ويكرهه . والثالث مكروه يفضي الى مكروه . والرابع محبوب يفضي الى  
مكروه . وهذان النوعان ممتنعان في حق سبحانه ، اذ الغايات المطلوبة من قضائه  
وقدره - الذي خالق ما خلق وقضى ما قضى لأجل حصولها - لا تكون الا محبوبة  
للرب مرضية له ، والاسباب الموصلة اليها منقسمة الى محبوب له ومكروه له .  
فالطاعات والتوحيد أسباب محبوبة له موصلة الى الاحسان والثواب المحبوب له  
أيضا ، والشرك والمعاصي أسباب مسخوطة له ، موصلة الى العدل المحبوب له ،  
وان كان الفضل أحب اليه من العدل . فاجتماع العدل والفضل أحب اليه من انفراد  
أحدهما ، لما فيهما من كمال الملك والحمد ، وتنوع الثناء وكمال القدرة .

فان قيل : كان يمكن حصول هذا المحبوب من غير توسط المكروه . قيل هذا  
سؤال باطل لأن وجود المازوم بدون لازمه ممتنع ، والذي يقدر الذهن وجوده شيء  
آخر غير هذا المطلوب المحبوب للرب ، وحكم الذهن عليه بأنه محبوب للرب حكم

بالعلم ، بل قد يكون ميفوضا للرب تعالى لمنافاته حكمته ، فاذا حكم الذهن عليه بأه محبوب له كان نسبة له الى ما لا يليق به وية تعالى عنه . فليعط اللبيب هذا الموضع حقه من التأمل فإنه مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، ولو أمسك عن الكلام من لا يعلم أقل الخلاف ، وهذا المشهد أجل من ان يحيط به كتاب ، أو يستوعبه خطاب ، وإنما أشرنا منه الى أدنى إشارة تطلع على ما وراءها والله الموفق (٩) .

### ﴿ فصل ﴾

المشهد التاسع مشهد زيادة الايمان وتعدد شواهد

وهذا من ألطف المشاهد وأخصها بأهل المعرفة . وأمل سامعه يبادر الى انكاره ويقول : كيف يشهد زيادة الايمان من الذنوب والمعاصي ؟ ولا سيما ذنوب (٢) العبد ومما صبه ، وهل ذلك إلا منقص للايمان ؟ فإنه باجماع السلف يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . فاعلم ان هذا حاصل من الثقات الثمارف الى الذنوب والمعاصي منه ومن غيره ، والى ترتب آثارها عليها . وترتب هذه الآثار عليها علم من أعلام النبوة ، وبرهان من براهين صدق الرسل وصحة ما جاءوا به . قالت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أمروا العباد بما فيه صلاح ظواهرهم وبواطنهم في معاشهم ومهادهم ، ونهوهم عما فيه فساد ظواهرهم وبواطنهم في المعاش والمعاد ، وأخبرهم عن الله عز وجل انه يحب كذا وكذا (٣) وانه ينفذ كيت وكيت ، ويمساق عليه بكيت وكيت ، وانه اذا أطيع بما أمر به شكر عليه بالإمداد ، والزيادة والنعم في القلوب والأبدان والأموال ، ووجد العبد زيادته وقوته في حاله كلها ، وانه اذا خواف أمره ونهيته ترتب عليه من النقص والفساد والضعف والذل والمهانة والحقارة وضيق العيش وتكد الحياة ما ترتب ، كما قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياطة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال (قل : يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ، لانين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولندار الآخرة خيرا) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم

(١) وفي نسخة زيادة «المعين» (٢) وفي نسخة «من ذنوب» (٣) وفي نسخة

زيادة «فيطيب عليه»

ثم توبوا اليه بتمكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله )  
وقال تعالى ( ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة  
أعمى ) وفسرت المعيشة الضنك بمذاب القبر، والصحيح أنها في الدنيا وفي البرزخ  
فإن من أعرض عن ذكره الذي أنزله فله من ضيق الصدر ونكد العيش وكثرة  
الخوف وشدة الحرص والتعب على الدنيا واتعسر على فوائدها قبل حصولها وبمد  
حصولها ، والآلام التي في خلال ذلك - ما لا يشعر به القلب اسكرته وانغمسه  
في السكر . فهو لا يصحو ساعة الا أحس وشعر بهذا الألم فبادر الى ازالته بسكر ثان،  
فهو هكذا مدة حياته . وأي عيشة أضيق من هذه لو كان للقلب شعور؟ فقلوب أهل  
البدع والمعرضين عن القرآن وأهل الغفلة عن الله وأهل المعاصي في جحيم قبل  
الجحيم الكبرى ، وقلوب الابرار في نعيم قبل النعيم الاكبر ( ان الابرار في نعيم  
وان الفجار في جحيم ) هذا في دورهم الثلاث ليس مختصا بالدار الآخرة ،  
وان كان تمامه وكاله وظهوره إنما هو في الدار الآخرة (١) وفي البرزخ دون ذلك،  
كما قال تعالى (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) وقال تعالى (ويقولون متى هذا  
الوعد ان كنتم صادقين؟ « قل : عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون )  
وفي هذه الدار دون ما في البرزخ ، ولكن يمنع من (٢) الإحساس به الاستفراق في  
سكره الشهوات ، وطرح ذلك عن القلب وعدم التفكير فيه . والعبد قد يصيبه ألم  
حسي فيطرحه عن قلبه ويقطع التفاته عنه، ويجهل أقباله على غيره لئلا يشعر به جملة ،  
فلو زال عنه ذلك الالتفات لصاح من شدة الألم فما الظن بمذاب القلوب والآلام؟  
وقد جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثارا محبوبة لذينة طيبة لذتها فوق  
لذة المنصية باضعاف مضاعفة لانسبة لها اليها، وجعل للسيئات والمعاصي الآلام وآثارا  
مكروهة، وحرارات تروبي على لذة تناولها باضعاف مضاعفة . قال ابن عباس : ان  
للحسنة نورا في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ،  
ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة سوادا في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ،

(١) ما رأيت أحدا سبقني الى تقرير هذا المعنى والاستدال عليه بالقرآن مثل المصنف

(٢) وفي نسخة بسقوط « من »

ونقصا في الرزق ، و بغضة في قلوب الخلق ، وهذا يعرفه صاحب البصيرة ويشهده من نفسه ومن غيره ، فما حصل للعبد حال مكروهة قط الا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر . قال الله تعالى ( وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ) وقال لخيار خلقه وأصحاب نبيه ( أو لَمَّا أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا فَلْنَمُ : أَلَمْ يَأْتِ هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ) وقال ( ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ) والمراد بالحسنة والسيئة هنا النعم والمصائب التي تصيب العبد من الله . ولهذا قال « ما أصابك » ولم يقل : ما أصبت . فكل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ومخافة أواخر الرب ، فليس في العالم شر قط الا الذنوب وموجباتها

وآثار الحسنات والسيئات في القلوب والابدان والاهوال امر مشهود في العالم ، لا ينكره ذو عقل سليم ، بل يعرفه المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، وشهود العبد هذا في نفسه وفي غيره وتأمله ومطالعه مما يقوي إيمانه بما جاءت به الرسل ، وبالآواب والعقاب ، فان هذا عدل مشهود محسوس في هذا العالم ، ومثوبات وعقوبات عاجلة دالة على ما هو اعظم منها لمن كانت له بصيرة ، كما قال بعض الناس : اذا صدر مني ذنب ولم ابادره ولم اتداركه بالتوبة انتظرت أثره السيئ ، فاذا اصابني اوفوقه اودونه كما حسبت ، يكون هجراني « اشهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله » ويكون ذلك من شواهد الايمان وادلته ، فان الصادق مني اخبرك انك اذا فعلت كذا وكذا ترتب عليه من المكروه كذا وكذا ، ففعلت كذا ففعلت شيئا من ذلك حصل لك ما قال من المكروه ، لم تزد الا علما بصدقه وبصيرة فيه ، وليس هذا لكن احد ، بل اكثر الناس يرين الذنوب على قلبه فلا يشهد شيئا من ذلك ولا يشعر به اليقظة ، وانما يكون هذا لقلب فيه نور الايمان ، واهوية الذنوب والمعاصي تمصف فيه ، فهو يشاهد هذا وهذا ، ويرى حال مصباح ايمانه مع قوة تلك الاهوية والرياح ، فيرى نفسه كراكب البحر عندهيجان الرياح وتقلب السفينة وتكفيها ، ولا سيما اذا انكسرت به وبقي على لوح تلعب به الرياح ، فهكذا المؤمن يشاهد نفسه عند ارتكاب الذنوب ، اذا أريد به الخير ، وان أريد به غير ذلك فقلبه في واد آخر .

ومتي انفتح هذا الباب للعبد انتفع بمطالعة تاريخ العالم واحوال الامم ، وماجريات انطاق ، بل انتفع بما جريات اهل زمانه وما يشاهده من احوال الناس ، وفهم حينئذ معنى قوله تعالى ( أفمن هو اقرب على كل نفس بما كسبت ) وقوله ( شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو انام قائما بالقيسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ) فكلما تراه في الوجود من شر وأثم وعقوبة وجذب ونقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقيسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وان اجراه على يد ظالم فالسيطر له اعدل العاديين ، كما قال تعالى ان افسد في الارض ( بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار ) الآية . فالذنوب مثل السموم مفسدة بالذات ، فان تداركها من سقي بالادوية المقاومة لها . . . ، والاقهرت القوة الايمانية وكان الهلاك ، كما قال بعض الساف : المعاصي تريد الكفر ، كما ان الحى يريد الموت فشهود العبد نقص حاله اذا عصى ربه ، وتغير اقلوب عليه رجفوها منه ، وانسداد الابواب في وجهه ، وتوعر المسالك عليه وهو انه على اهل بيته واولاده وزوجته واخوانه ( ١ ) وتطلبه ذلك حتى يعلم من اين انى ، ووقوعه على السبب الموجب لذلك مما يتقوى ايمانه . فان اقلع و باشر الاسباب التي تنفضي به الى ضد هذه الحال ، وروى المر بعد النذل ، والغنى بعد الفقر ، والسرور بعد الحزن ، والامن بعد الخوف ، والقوة في قلبه ، بعد ضعفه ووهنه . . . ازداد ايمانه ، فتقوى شواهد الايمان في قلبه ، وبرايمته وادلتها في حال معصيته وطاعته ، فهذا من الذين ( يكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون ) وصاحب هذا المشهد متى تبصر فيه واعطاه حقه صار من اطباء القلوب العالمين ندائها ودوائها ، فنقمه الله في نفسه

( ١ ) هذه الآثار التي تترتب على الذنوب لا يشهد بها كلها الا المؤمن الذي يعيش بين المؤمنين الصادقين . واما الجاحدون واثنافتون والفاسقون المصرون ، فلا تغير قلوب بعضهم على بعض لاجل المعصية ، ولا يشعرون بهوائهم على اهل بيوتهم ، الا قليلا وفي بعض المعاصي دون بعض . فالذين اعتادوا شرب الخمر في بيوتهم ، وغير بيوتهم يمدونها هم واهلهم كشراب الماء . وللمعاصي آثار أخرى في الاخلاق وفي الصحة لا يفطن عن قبحها وشؤمها الا من هو اجهل من الانعام



وتنع به من شاء من خلقه \* والله اعلم \*

### ﴿ فصل ﴾

#### المشهد العاشر مشهد الرحمة

فإن العبد إذا وقع في الذنب خرج من قلبه تلك الغلظة والقسوة ، والكيفية الغضبية التي كانت عتده لمن صدر منه ذنب ، حتى لو قدر عليه لاشراكه ، وربما دعا الله عليه ان يهلكه ويأخذه قضيا منه الله وحرصا على ان لا يمضي ، فلا يجد في قلبه رحمة المذنبين الخاطئين ولا يراهم الا بسين الاحتقار والازدراء ، ولا يذكرهم الا بلسان الطعن فيهم والعيب لهم والذم ، فإذا جرت عليه المقادير وخلي نفسه استغاث بالله والتجأ اليه ، وتعلم بين يديه تعلم السليم ، ودعاه دعاء المضطر ، فتبدلت تلك الغلظة على المذنبين رقة ، وتلك القساوة على الخاطئين رحمة ولينا ، مع قيامه بمحدوداته ، وتبدل دعاؤه عليهم دعاء لهم ، وجعل لهم وظيفة من عمره - يسأل الله فيه ان يفر لهم ، فما انعمه له من مشهد ! وما اعظم جدواه عليه ! والله اعلم .

### ﴿ فصل ﴾

#### فيورثه ذلك ( المشهد الحادي عشر )

وهو مشهد العجز والضعف ، وأنه اعجز شيء عن حفظ نفسه واضعفه ، وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول الا بربه ، فيشهد قلبه كريحته منقاة بارض فلاة تقابها الوباح بينا وشمالا ، ويشهد نفسه كراكب سفينة في البحر تهيج بها اربابح ، وتلاعب بها الامواج ، تردها تارة وتخنضها تارة أخرى . تجري عليه احكام القدر وهو كالألة ماريحما بين يدي وايه ملقى بيايه ، واضحا خنده على ثرى اعتابه ، لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ليس له من نفسه الا الجاهل والظلم وآثارها ومقتضياتها ، فاطلاك ادنى اليه من شركائه ، كساة منقاة بين الذئب والسباع لا يردهم عنها الا الراعي ، فلو تخلى عنها طرفة عين لتفاسدها اعضاءها . هكذا حال العبد ملقى بين الله وبين اعدائه من شياطين الانس والجن ، فان حماه منهم وكفهم عنه لم يجدوا اليه سبيلا ، ان تخلى عنه ووكله الى نفسه طرفة عين لم ينقسم

عليهم بل هو نصيب من ظفر به منهم .

وفي هذا المشهد يعرف نفسه حقا ، ويعرف ربه ، وهذا احد التأويلات للكلام المشهور « من عرف نفسه عرف ربه » وليس هذا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما هو اثر اسراييلي بنير هذا اللفظ ايضا « يا انسان اعرف نفسك تعرف ربك » وفيه ثلاث تأويلات ( احدها ) ان من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة ، ومن عرفها بالمعجز عرف ربه بالندرة ، ومن عرفها بالذل عرف ربه بالعز ، ومن عرفها بالجهل عرف ربه بالعلم ، فان الله سبحانه استأثر بالكمال المطلق والحمد والثناء والمجد والنفى ، والعبد فقير ناقص محتاج ، وكلما ازدادت معرفة العبد بنقصه وعيبه ونقصه وذلته وضعفه ، ازدادت معرفته لربه باوصاف كماله .

( التأويل الثاني ) ان من نظر الى نفسه وما فيها من الصفات المدبوحة من القوة والارادة والكلام والمشيئة والحياة عرف ان من اعطاه ذلك وخلق فيه اولى به ، فعطي الكمال احق بالكمال ، فكيف يكون العبد حيا متكلميا سميعا بصيرا مريدا عالما يفعل باختياره ، ومن خلقه وأوجده لا يكون اولى بذلك منه ؟ . فهذا من أعظم المحال ، بل من جعل العبد متكلما اولى أن يكون هو متكلميا ، ومن جعله حيا عالما سميعا بصيرا باعلا قادرا ، اولى أن يكون كذلك . فالتأويل الاول من باب الضد . وهذا من باب الأولوية .

( والتأويل الثالث ) ان هذا من باب النفي . أي كما انك لا تعرف نفسك التي هي أقرب الاشياء اليك ، فلا تعرف حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها ، فكيف تعرف ربك وكمية صفاته ؟ . والمقصود أن في هذا المشهد يعرف العبد أنه عاجز ضعيف ، فيزول عنه دعوات الدعاري والاضافات الى نفسه ، ويعلم انه ليس له من الامور شي ، وليس بيده شي ، ان هو الا محض الفقر والمعجز والضعف .

( للبحث بقية )

## الرد المتين

## على مقتريات المبشرين (\*)

لقد اطمانا على الجهة المدعوة « الشرق والقرب » التي يطبعها المبشرون بمصر وقرأنا الممدد الاول الذي صدر في ١ كانون الثاني سنة ١٩١٤ والممدد الثاني الذي صدر في ١٥ من الشهر المذكور واذا فيما على زعم أولئك المبشرين تفنيد لما كتبناه في كتابنا الذي سميناه « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » وجميع مآلوه ينحصر في خمسة أمور (الاول منها) تطاولهم واستباحتهم لكلام البذاء والتطاول وهذا ليس له عندنا جواب فليفرحوا وليتسموا به

(الامر الثاني) ادعواهم أننا اعتمدنا في كتابنا على اقوال علماء نصارى اوروبيين ملحدين . وهذا نجوابهم عليه بان لهم الخيار بما يصفونهم به . أما نحن فنقول بحقهم انهم علماء مستقلون قالوا الحق الذي وصل اليه علمهم بشأن ديانة المبشرين غير مباليين بمن لا يرضاه منهم (الامر الثالث) عدم تصديقهم باطلاعنا على الكتب التي ذكرناها في اول الكتاب . وهذا ايضا لهم الخيار فيه صدقوا أم لم يصدقوا . وتقول لهم ولئن هم على شاكتهم : ها هي ذى مكتبتنا حاضرة لكل من يروم الاطلاع عليها ، وزيدهم - وربنا شهيد - انه عندنا عدة كتب غير التي ذكرناها لم تقبل منها كلمة واحدة ، لشدة اعتراضاتها على الديانة النصرانية . وجميعها تأليف علماء مسيحيين اوروبيين . وان احبوا فاتنا مستعدون لتذكر اسمائها ، واسماء المدن التي طبعت فيها مع اسماء الطابعين (الامر الرابع) قولهم مانصه بالحرف « فاذا استزادنا حضرته من نقد بقية مافي كتابه فرجنا عدنا اليه في فرصة اخرى . ولكن ليسمع لنا الآن بهذه النصيحة وهي ان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين ، بل ليدع ذلك لرجال العلم وليبحث له عن شغل يرتزق منه والله يهدي سواء السبيل »

اما من جهة تقديم بقية مافي كتابنا فاتنا نشكره لهم سلفا ، فاتالم نأت بكلمة واحدة من عندنا ، ولا بكلمة واحدة من كلام علماء المسلمين رضي الله عنهم ، بل جميع ما ذكرناه مأخوذ من كتب علماء الغرب المسيحيين خاصة ، واما امرهم ايانا بان لا يحشر نفسه بين العلماء الباحثين بل لنضع ذلك لرجال العلم ، وأن نبحت عن

شغل ترتزق منه ! فأجيبهم عنه بأصعب عظيم : ان والدي منذ نسومة اظفاري وضعتي بمدارس المبشرين ، ولم يعلم ان الدارس فيها يخرج محباً للكسل والبطالة واللهو والسباحة والتسول ، واكره شيء عليه السعي وراء شغل يرتزق منه : ويفضل التحول على السعي ، والفاقة على الغنى ، لرسوخ ما علوه اياه في عقله كتعليمهم لتلاميذهم الصغار « فلا تهتموا للغد لأن الغد بهم بما لنفسه » وكذلك « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون » وكذلك « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم السماوي يقوتها » وكذلك فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ؟ وأقول لكم ايضا ان مرور حمل من ثقب إبرة يسر من أن يدخل غني الى ملكوت السموات . . . . فاجاب بطرس حينئذ وقال له هانحن تركنا كل شيء وتبعناك ، فاذأ يكون لنا . . . . وكل من ترك يوتاً أو اخوة أو اخوات أو أباً أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي ياخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية » وغير ذلك كثير مما هو على هذا النمط

أما لو وضعتي بمدارس المسلمين ، لكنت لكم من الشاكرين ، لان نصحكم يكون تذكري لي بما درسته فيها من آيات القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، كقوله تعالى { فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله } وكقوله تعالى ( هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكاوا من رزقه واليه النشور ) وكقوله تعالى ( ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » وقوله صلى الله عليه وسلم « اعمل عمل امرئ يظن انه لن يموت أبدا ، واحذر حذر امرئ يخشى ان يموت غدا » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « ما اكل احد قط خيرا من ان يأكل من عمل يده » (٢) وكذلك أيضا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا : وحق هذا لو كان شابه وجلده في سبيل الله . فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقولوا هذا فانه ان كان يسمى على نفسه بسبيل الله عن المسئلة ويفتيها عن الناس فهو في سبيل الله ، وان كان يسمى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليفتيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله » (٣) واحسرتاه ! لبتة وضعتي بمدارس تعلم القرآن المجيد ، والحديث الشريف ، أي تعلم الحكمة ، والهمة

(١) المنار : رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو (٢) رواه البخاري عن المقدم

(٣) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة

والرحمة، ولا كان وضعي بمدارس تعلم الكسل والحمول والبلادة وحب التسول والغافة  
وبفض المجد وكره الفنى

(الأمر الخامس) اعتراضهم على بعض علماء المسلمين الكرام وتهميرهم باسم  
الامير صاحب التأليف المشهورة المبينة على آيات القرآن المجيد والحديث الشريف ،  
ويكفهم رداً على اعتراضهم ونهاملهم ما أبدوه من العداوة والبغضاء للحق وأهله  
أما اعتراضهم على آيات القرآن المجيد كقولهم مانصه بالحرف «ولأن نطلب من  
إخواننا المسلمين ان يبينوا لنا كيف يصح القول بأن هانان كان وزير فرعون ، وان  
صريم العذراء كانت أخت موسى وهرون ، على ما استفاد من القرآن ، ولا غير ذلك  
من المشاكل التي يستحيل التوفيق بينها وبين التاريخ »

على رسلكم يا أيها المبشرون الزاعمون انكم لا تقولون الا الحق المبين : فما معنى  
ذكر مثل هذه المسائل وما مدخاها مع تفنيديكم لكتابتنا ؟ اما أن لكم ان تركوا  
المغالطات والسفسطات والتوبيخات وتمقنوها ؟ اما أن لكم ان تركوا التشديق بما يهود  
عليكم بالخبيثة والحذلان ؟ والله لو كان قصدكم الاستفهام حقيقة لما كنا تتأثر  
باعراضاتكم وتشدقاتكم ، ولكن انلم أن قصدكم بها اغواء عباد الله تعالى وتشكيك  
عوام المسلمين في دينهم . ومع ذلك نقول لكم يا مرحبا سلوا عما تشاؤون من المشاكل  
التي تظنون استحالة التوفيق بينها وبين التاريخ الذي كتبه أيدي الصادقين .

ونقول لكم مع اننا نعلم انكم قصدتم بالتجاهل الاغواء وتشكيك عباد الله  
تعالى : ان المقصود من أخوية صريم العذراء هو أخوية تشبيه لا أخوية ولادة من أب  
وأُم . وهذا التشبيه كثير ومشهور في اللغات الشرقية . ولقد جاء مثله في انجيل متى  
ففي الفصل الثاني عشر من عدد ٤٦ الى ٥٠ « وفيما يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد  
وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه فأجاب وقال للقائل له : من هي امي ومن هم اخوتي ؟  
ثم مد يده نحو التلاميذ وقال ها امي واخوتي ، لأن من يصنع مشيئة ابي الذي في  
السموات هو أخي وأختي وأمي » وجاء مثله في انجيل مرقس { راجع الفصل الثالث  
من عدد ٣٢ الى ٣٤ }

وهكذا أخوة صريم لهرود عليها السلام أي كاخوة المسيح عليه السلام لمن  
أشار اليهم بيده . وكما يشبهون الصالح بأحد المشهورين بالتقوى والعباد في الايام  
الحالية كذلك يشبهون الشرير المشهور بالحياة في القرون الماضية كقولهم « أخو  
الحارث بن ظالم » وهكذا

ولنا على الأعداد التي ذكرناها من الانجيل سوالات عديدة نود الاستفسار عنها من حضرة المبشرين الذين انتقدوا اطلاق لقب «أخت هارون» على صريح ولكن خوفاً من ان يتوهم أحد المسيحيين الشرقيين بأننا نقصد الخط من المعتقدات النصرانية كما توهموا قتلنا عن البطارين وحنناهم أنهم كذبار ظالمون لاستباحتهم سفك دماء نساء وبنات وأولاد المسلمين ودفنهم جرحى المساكين العمانية تحت التراب وهم احياء يقاسون ألم الجراح وألم الموت خفياً ، واحراقهم النساء المسلمات ، وغير ذلك من الاعمال الوحشية التي لم يرو التاريخ صدور مثلها حتى ولا من القبائل المتوحشة في افريقية . لذلك نكتفي بهذين السؤالين مؤملين من حضرتهم افادتنا عنهما وهما :

( ١ ) أنهم يقولون عن صريح المذراه عليها السلام انها لم تلد أحداً غير المسيح عليه السلام ، والانجيل تقول انه كان لها اولاد ، فهل تصدق كلامهم وانضرب بكلام الانجيل عرض الحائط ام تصدق كلام الانجيل ونكذب كلامهم .

( ٢ ) يظهر من كلام الانجيل انها اي أمه لم تكن مؤمنة به ولا صانعة ارادة مرسله كتلاميذه . ولولا ذلك لما تبرأ منها هي ومن معها من اخوته وأشار نحو الحاضر بن بانهم هم اخوته واخواته وأمه . فلو كانت مؤمنة به لما قبل هذا لان فيه اهانة عظيمة لها ، كما هو المتبادر من عبارة الانجيل لكل من يقرؤه . ومعلوم اننا نحن لا نؤمن بهذه القصة التي سموها انجيلاً ، بل نؤمن بان أمه كانت مؤمنة تقيّة ، وأنه كان برا بها كما حكى الله عنه في قوله ( وبرا بالذي )

وقد أرسلنا اليهم كتاب تاريخ الفحشاء هدية كي يتسلوا به الى ان نختصر بعض فصول كتابنا الذي سيناها « مقام عيسى المسيح عليه السلام في النصرانية والاسلام » لتتشر في المنار الاغر أدام الله شمس صدقه فيرة سماء العدل والمدونة واما اعتراضهم على مسألة تحديد تعدد الزوجات ، واقوال انصوفي المنصر وغير ذلك كما ذكره بمجلتهم فسرد عليه في الفصول الآتية ان شاء الله تعالى

(محمد ظاهر التنير)

( المنار ) نشرنا هذه التبعة وبتلوها الفصل الاول من الكتاب الذي أشار اليه الكتاب ، وقد تصرفنا في المبارة بعض التصرف فان في الاصل شدة في المبارة لإحاجة اليها . وسنعلق على الفصل الآتي كلاماً نبين فيه الفرض من نشر أمثال هذه المقالات

## مقام

﴿ عيسى ( يسوع ) المسيح عليه السلام ﴾

« في النصرانية والاسلام »

﴿ الفصل الاول في نسبه ﴾

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان اهانة الناس واحتقار اديانهم من اقبح الاعمال وانتظمتها كرها ومقتنا عند المسلمين كافة ، ولا يتأني عنها الا السداوة والبغضاء ، على مخالفتها للشريعة الفراء ، قال الله تعالى ( لا / كراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ) وكل من يتدبر الحقائق بعين الصدق والانصاف يرى ان جميع ما كتبه علماء المسلمين { رض } قديما وحديثا بشأن النصرانية لم يكن سوى ردة على المفتربات التي رعى الظالمون بها دين الاسلام المبين ، بنيا وعدوانا حيناً بمد حين ، وهذا الافتراء الذي اتخذته المبشرون وغيرهم من قيسي الفرق النصرانية مهنة لهم في هذه الايام هو الذي اضطرنا الى كتابة هذه الكتب وهي ( العقائد الوثنية ، في الديانة النصرانية ومقام عيسى عليه السلام ، في النصرانية والاسلام ) و ( آداب الاسلام وتعاليم التوراة والانجيل ) و ( الاخلاق عيسى المسيح عليه السلام في الانجيل وفي القرآن المجيد ) ولم يطبع منها سوى ( كتاب العقائد الوثنية ) وان شاء الله تعالى سنطبع البقية باقرب وقت بعد ما ننشر اكثر نصوصها باختصار في المنار الاغر .

وقد بينا الحقائق ولله الحمد بطريقتي رضي حتى أشد الناس عداوة لدين الاسلام المبين ، اذ لا خير يرجى من كتابة ما يفضب الناس ولا سيما في الامور الدينية التي هي أعز شيء عند الانسان ، مهما كان دينه . قال الله تعالى ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ) فالحمد لله على نعم تعاليم القرآن المجيد ، الذي لولاه لكاننا مثل أولئك المبشرين ومن بنحو نحوهم ، الذين اتوا تلك الكتب السافلة المشحونة بالباطل والظاويل والافتراء وغير ذلك مما هو من اخلاقهم وخصالهم .

وانا نلتفت نظر القارئ المتفاضل الى امر ذي بال وهو اقتصارنا على ما جاء

في التوراة والأناجيل كي لا يقدر احد منهم على نسبة الكلام اليها كما فعلوا بنسبة كلام العلماء الاوروبيين الذين استشهدوا بكلامهم في كتابنا (العقائد الوثنية) اليها ، مع اننا ذكرنا اسماءهم بالفرنسية والافرنجية ، ولنتنظر الآن ما ذا يقول أولئك القوم الذين ألفوا تلك الكتب السافلة ضد دين الاسلام المبين .

### ( الجذ الاول من حدود الزنا )

عقد الفصل ال ٣٨ من سفر التكوين من اوله الى آخره لبيان زنا القديس (يهوذا) بكنته (ثامار) وحملها منه . وانها وضعت ولدين ذكرين سماهما (فارص) و (زارح) والمبشرون المؤلفون لتلك الكتب والرسائل يقولون : ان فارصهم ومخلصهم وخالفهم « يسوع المسيح » من سلالة (فارص) المباركة وبما ان هذه القصة الشريفة لها علاقة مهمة مع هذا الرب المختار الولادة من الزنا تأتي عليها باختصار ، ومن يجب الزيادة فليقرأ الفصل المذكور ير فيه ما ملخصه ان يهوذا نزل عند رجل عدلامي اسمه (حيرة) فرأى ابنة رجل كنعاني اسمه (شوع) فأخذها ودخل عليها وولدت له ثلاثة اولاد ذكور اسم الكبير (عير) والثاني (اوثان) والثالث (شيلة) ولما كبر عير اخذ له زوجة من بنات الكنعانيين اسمها (ثامار) فعمل الشر بعيني الرب فأهلكه فأمر يهوذا ابنه { اوثان } بأن يأخذ زوجة اخيه ويقم له نسلا فزوجها اوثان . وبما ان النسل الذي يأتيه منها يعد نسل اخيه لا نسله صار اذا ضاجعها يفسد على الارض { اي يعزل ماءه } لئلا تحمل منه فأمناته وب التوراة وأبقى اياه القديس لانه لما زنى بها لم يفسد على الارض . ولما مات أمرها يهوذا بأن تقعد أرملة بيت ابيها وانه متى كبر ابنه شيلة يعطيها اياه وزوج لها وقال في نفسه ربما يعمل كما عمل اخواه فيسبته الرب مثلها . فذهبت الى بيت ابيها ومضت الايام وكبر { شيلة } ولم يعطه لها . وبلغها ان حياها المذكور (القديس يهوذا) ذاهب الى {تمنة} مع صاحبه العدلامي ليقتص صوف غنمه فحملت ثياب ترملها وغطت وجهها وجلست على طريق {تمنة} فلما رآها ظنها هذا القديس زانية وراودها عن نفسها فقالت له : ماذا تعطيني ؟ فقال لها اعطيك جدي ممر آمنه لك . فقالت له اعطني وهنا فأعطاها عصا بته وخاتمه وعصاه وزنى بها . ولما وصل الى تمنة ارسل لها الجدي مع صديقه العدلامي ليفتك الرهن . فلم يجدها فرجع واخبر يهوذا . فقال له لتذهب بما معها كي لا يلاحقنا عار . فحملت منه ووضعت ولدين ذكرين سمتهما «فارص» و «زارح» ويسوع المسيح من نسل فارص المبارك



ولنا على هذه القصة عدة أسئلة وملاحظات مهمة ذكرناها في كتابنا (مقام عيسى المسيح عليه السلام، في النصرانية والاسلام) نذكر منها هنا مسألتين فقط لأن قصتنا الاختصاصي لا نضيق كثيرا من صفحات المنار الأغر لأن عليه أداء خدمات اسلامية مهمة .

(أولاهما) تقول التوراة انه ظنها زانية لأنها كانت مغطية وجهها، وهذا باطل عقلا ويكفي لرده واظهار بطلانه متجاه في التوراة والانجيل (منها) في قول سفر التكوين (٢٤ : ٦٤ و ٦٥) ورفعت رفة عينها فرأت اسحق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل لناثنا؟ فقال العبد هو سيدي . فأخذت البرقع وتغطت ) وجاء في الرسالة الاولى الى أهل كورنتوس ( ١١ : ١٦ ) « لان المرأة ان لم تنطق فليقص شعرها أو يحلق وان كان عيبا على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فلتنطق ) فالحيجاب علم الخدورات الطاهرات ، وسيمة الحيرات الطيبات، كما ان التبرج والابتذال من علامات الفواجر الزانيات

(ثانيها) تخبرنا التوراة عن ذهاب يهوذا مع صاحبه العدلامي ، وأنه كان معه لما راودها عن نفسها ، وأنه أرسل الجدي الوديع معه، وأنه لم يجدها وغير ذلك ، لكنها لم تذكر هل زنى بها هذا العدلامي أيضا أم لا ؟ وبدل العقل والعادة بين الفساق في هذه الامور اني يشتركون فيها وارسل الاجرة أي الجدي اليها معه على انه زنى بها مع يهوذا . واذا صح هذا فن الحال معرفة ممن كان الحمل وربما حملت من كل واحد بولد ، ولا يبعد حينئذ ان يكون زارح ابن يهوذا ، وفارص ابن العدلامي . وكيفما كان فان هذا الجدا الاعلى للديسبح قد خاق من ماء الزنا

### ( الجدل الثاني )

جاء في سفر يشوع بن نون مانصه ( ٢ : ١ ) « فأرسل يشوع بن نون رجلين من شطين جاسوسين تحت الحفاء قائلا امضيا النظرا الارض واربحا . فانطلقا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب وبنا عندها » وجاء في هذا السفر ذاته ( ٦ : ١٧ ) وانسكن المدينة بكل ما فيها مبسلة للرب ، وانسكن راحاب الزانية نجيا هي وجميع من معها في بيتها . انتهى

وهذه راحاب الزانية زنى بها سلمون وهو من سلالة فارص الذي هو الاصل الاول من اصول الزنا المقدس . فحبلت روضت (بوعز) الذي من سلالة جاء «سحل الله الوديع» وما قلناه بخصوص عدم معرفة الحمل ممن كان عند ذكرنا الجدل الاول ،

هل كان من يهوذا أو من المدلاسي ؟ نقوله هنا أيضا . لان كلا الحاسوسين باتا عند هذه الزانية فكيف يعرف عن علفت ؟

{ الشاهد الثالث } في سفر الملوك الثاني { ١١ : ٢-٥ } نقلنا هذه الاعداد عن التوراة المطبوعة بمطبعة اليسوعيين بمدينة بيروت . واسم هذا السفر في توراة الابروسطانت { سفر صموئيل الثاني } : « وكان عند المساء ان داود قام عن سريره وعمشى على سطح بيت الملك فرأى عن السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ، فارسل داود وسأل عن المرأة فقيل له هذه بثشايع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ، فارسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه فدخل بها ، وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ، وحملت المرأة فارسلت واخبرت داود وقالت اني حامل » انتهى فوضعت ولدا ومات ثم زنى بها ثانية ( على رعمهم ) فحبلت ووضعت سليمان وهو الاصل الثالث من الثالوث الزائبي وبما اتنا قصدنا الاختصار بقدر الامكان لذلك لم نكتب ماجاء في تفاسيرهم على التوراة والابحيل وان كان موجودا في كتابنا ، لان على المنار الاغراض خدمات عظيمة فلا نضيع من صفحاته اكثر من هذا القدر

فهذا ما عندهم وهذا ما يدعون الناس الى الايمان والاهتداء به ، واما ما عندنا وندعو اليه أهل الفضل والعقل بعد تربية انبياء الله من الفسق والفجور فهو :

## اعتقاد المسلمين

طهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين \* ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم \* اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم \* فلما وضعتها قالت وبإني وضعتها أنثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى ، وإني سميتها مريم وإني اعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم \* فتقبلها ربها بقبول حسن وأنيقها فلما حسنها وكفلها زكريا )

وقال الله تعالى في سورة العنكبوت بمد ذكر ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام

{ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب، وآييناه أجره في الدنيا وأنه الآخرة لمن الصالحين}

الله أكبر ! فلينظر المبشرون والاب لويس شيخو - الذي الف رسالة منذ بضع سنين وصياها (خرانات القرآن) وقد ترجمها المبشر المدعو « زويمر » { } ونشرها في مجته « العالم الاسلامي » - الى اعتقاد المسلمين بطهارة نسب عيسى المسيح عليه السلام . فانهم اذا نظروه من جهة القرآن المجيد يرونه من سلالة طيبة زكية سخاها الحلي القيوم من التلطف بأقذار وادوان الزنا والسفاح . فلينظروا أي الوصفين أحب اليهم بحق هذه الذات الشريفة وايمسكوا به . وایم الله اتا ما كنا نحب كتابة ما ذكرناه على هذا الموضوع غير أن ضرورة الحال تمنعنا

## اعتقاد المبشرين

أن المسيح إلههم صار لعنة

والبياد بالله تعالى

قال مقدسهم بولس في رسالته الى أهل غلاطية الاصحاح الثالث الممدد (١٣:٣)  
« المسيح اقتدانا من لعنة الناموس اذ صار لعنة لاجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة »

يحمل الناس ان النصارى يعتقدون أن المسيح هو إلههم وربهم وخالقهم ومخلصهم، وكتابتهم المقدس يلقتهم أنه « صار لعنة » واللجنة غاية المبالغة في الشتم والأزدراء وليس بعدها زيادة لمستزيد ، واي شيء يمكن ان يؤتى به ويكون اشد قبحا من قول مقدسهم إله « صار لعنة » اي انه نفس اللعنة ؟ فما هذا الحب الذي قادهم الى القول بألوهيته من جهة ثم قادهم الى القول بأنه « صار لعنة » من جهة أخرى ؟ ! . دع اعتقادهم بأنه من سلالة زناه مثلت كما يفتاه سابقا ، فهم والحالة هذه أسوأ حالا من اشد أعدائه ، لأن مقام المداوة لا يطلب الا اقباح الأوصاف ، ومقام المحبة لا يطلب الا احسنها واكملها ، فهم يدعون بحبه عليه السلام ويعتقدون انه خالقهم ورازقهم وقادهم ومخلصهم ، ثم يصفونه بهذا الوصف . . . فما بالحلم لا يتدبرون ما يعتقدون ! .

( ١ ) هو زويمر الذي حراً دعاة النصرانية في مصر وبلاد العرب على الفسطاط في القرن في الاسلام واهانة المسلمين وتهيج المداوة بينهم وبين النصارى

وبما انه إله على حسب اعتقادهم - والماذ بالله تعالى - فمن ذا الذي صيره لعنة ؟ هذا ما نود ايضاحه منهم ! وأغرب من ذلك اعتقادهم أن الإله ذو ثلاثة أقانيم (اي اشخاص) وهي الآب والابن والروح القدس، وأن هذه الاقانيم الثلاثة هي إله واحد . فكيف صار الابن الذي هو ثلث إلههم « لعنة » دون الثالين الآخرين، اي الآب والروح القدس ؟ وما داموا يقولون بأن الثلاثة واحد حقيقة فلا بد من دخولهم جميعا تحت اللعن بهذا الأتحاد !! فتدبر هذا وسلمهم : من اللاعن ؟ ومن هو يا ترى ؟  
( ستأتي البقية )  
عبد الوهاب وولده محمد طاهر

( المنار ) قد غلا دعاة النصرانية في العام الماضي وفي هذا العام في الطمن بالاسلام قولا وكتابة ، فلم يكتفوا بصحفهم الدورية ، ولا بالكتب التي نشروها من قبل ، بل هم يلفقون رسائل جديدة بمعنى ما تقدمها في الطمن والتمجيد والتعوية ولكن تختلف اسماؤها واساليبها . وأكثرها المحافل والمجتمعات في القاهرة وسائر البلاد والقري لأجل الدعوة الى النصرانية . ومن العجائب أنهم كانوا من قبل أصحاب صبر وإناة فخاضوا الصبر في هذه السنة حتى صاروا يهينون من يرد عليهم في المجتمعات إهانته شديدة . وقد خدعوا أفرادا من فقراء العامة بالمال وادراو الرزق فأظهروا النصر ، ثم بدأ لهم وندموا ، فصار من يريد الرجوع الى حظيرة الاسلام يهدد بالإيذاء ، حتى اخبرنا بعضهم انه لا يمكنه الا ان يفر من القاهرة الى بلد آخر يظهر اسلامه فيه لأجل هذا العدوان وحب علينا ان لا نقف عند حد رد مطالعهم التي يكررونها كما كنا نفعل من قبل ، وان نبين لآخواتنا المسلمين حقيقة دينهم والمقابلة بينها وبين ديننا ، وبيان أننا نحن نعظم المسيح ونكرمه بالحق ، فلا نحتاج الى من يدعونا الى الابان به إيمانا بجمع النقاوض ككوثه واحدا وثلاثة ، ومقدسا ولعنة ، برأه الله كما قالوا . وهذا مما يجب علينا شرعا كالصلاة وغيرها من الفرائض . ولهذا نشرنا هذه الرسالة بعد تصحيحها . نعم أنهم هددونا بالسلطة الانكليزية ، واغروا المعتد الانكليزي بنا عسى ان يأمر الحكومة المصرية بأفعال المنار ومقاومة ( مدرسة دار الدعوة والارشاد ) ومنع نظارة الاوقاف أن تساعدنا بشيء من أوقاف المسلمين بعد أن صارت الاوقاف تحت سيطرته ، ليتسنى لهم ان يقولوا : ان جميع المسلمين في مصر تعجزوا عن الرد عليهم ، وليكتفوا مؤنة من يرد عليهم في المستقبل اذنا نجحت مدرسة دار الدعوة والارشاد ( فاعتبروا يا أولى الابصار )

## مطامع الدول فينا<sup>\*</sup>

« وضمت الحرب أوزارها، واستخدمت المدافع انفسها، واعيدت السيوف الى اعتمادها، وعبادت الدول المتناحزة بالامس عن مبادئ القتال الى ردهات المجلس فمقدت بعضها مع بعض مهادتات تضمن صيانة السلام الى حين . ثم خنت كل واحدة الى نفسها تناقشا الحساب، وتبحث في ماناها من الغنم . فكانت الهمة الاولى منصرفه الى اقتسام الاراضي المكتسبة . ثم الى النظر في مائمه النفقات الحربية في ميزانياتها، وما يقتضيه سد تلك النفور من الاموال الطائلة ، وهي لا سبيل اليها الا بمقتد القروض

« ولو انحصر الامر في الدول الخارجة من ميدان القتال لكان الخطب، ولكن تمت دولا اخرى ائت الا ان يكون لها من الغنيمة نصيب

« تنازلت تركيا لاطاليا عن ولاياتها الافريقية . ثم تخلت حكومات البلقان عن ولاياتها الاوربية غير ولاية ادرنه . ثم تقاسمت الدول ما بقي بشكل مناطق تفوذ كل واحدة بحسب ما توحيه اليها مطامعها في الاملاية والحهر

« ورضيت انكلترا نصيباً لها سواحل خليج المعجم من الاوقيانس الهندي الى البحر الاحمر . فأصبحت سلطتها مهسوطة على البلاد العربية من البصرة الى السويس ومن الخليج المعجمي الى ترعة السويس . وأصبحت في يدها الطريقان البحر يتان الموصلتان من املاكا الشرقية الى املاكا الغربية . واتصلت امبراطوريتها الاسيوية ( الهند ) بملكها الافريقي ( مصر )

\*\*\*

« أما ايطاليا ولية امس طرابلس الغرب والواضحة يدها على جزيرة رودس وما جاورها من حزر البحر المتوسط فانها فازت بهذه البقعة الآهلة باليونانيين والاروام، والقاعة بين خط بغداد والارخبيل، ومهما ميناء اضايا وخط حديدي يمتد الى الداخلية، ويتصل بالخطوط الاملاية ، - خط بغداد وخط ازمير

« وأما ألمانيا فكان نصيبها هذا الخط البغدادي الكبير بجماته لا مسيطر عليها فيه ولا مهين ، وهو الذي طمحت اليه ، ومن ورائه ما بين النهرين وكل البلاد الواقعة بين اسكودار والبصرة من البوسفور الى الخليج المعجمي

« وان اتفاق بوتسدام مهد اللامانيين السبيل الى بلاد ايران اذ خو لهم حق تمديد

(\*) بقلم الموسيولوجورنيس وزير خارجية فرنسا سابقا وترجمة جريدة الاحرام

خط حديدي من بغداد الى طهران . وفي مقابل ذلك جعلت حصة روسيا ارمينيا الكبرى . وهي تنازل الاراضي الواقعة الى شمال الخط البغدادي والى جنوبه بجملتها بين انقره وبغداد .

« على أن تمت عقبة كان لا مندوحة عن تذليلها . فان الاستئثار بتلك البقاع الواسعة كان لا بد من تموينها بحجبة من الحجج ووسيلة من الوسائل فكانت هذه الوسيلة الاشغال العمومية والمشروعات النافعة الواجب اجراؤها . بيد أن روسيا لم يخطر لها أن تبذل أموالها الخاصة في هذا السبيل بل لجأت الى فرنسا . افليست هي على الدوام مستعدة لبذل أموالها لتمديد تركيا للتخلي عن أراضيها؟ وعلى هذه الصورة تم الاتفاق على أن فرنسا تتولى انشاء مينائي بيني بولي وهر كاه ( على البحر الاسود ) والخطوط الحديدية ( سمسون سيواس - ديار بكر ، وديار بكر - أرضروم - طرابزون ) مع العلم بقله إرادتها المتوقعة ، لانها لازمة لروسيا أليدا لموقفها السياسي والاقتصادي والحربي أيضاً ، وإن كان لا فائدة لنا نحن من ذلك الاطلاق . وانما اعطينا في مقابل ذلك البقعة السورية في جنوبي غربي خط بغداد ، مع حق انشاء مينائي حيفا ويافا وتمديد خط ربايق الحديدي الى القدس ، ثم الاتفاق على اقتسام النقل بين خط دمشق - حماه والخط الحجازي ، وكلاهما متصل بالسواحل السورية : الاول في بيروت والثاني في حيفا . وكلها امتيازات لا نتم لنا منها مادمت حكومتنا متعاضية عن معاهدتنا السكاوليكية في الشرق ، ضاربة بنا لنا من الحق في حماية الاراضي المقدسة وحماية المارونيين عرض الحائط ، ومهدت للايطاليين قطع السبيل علينا بما ينشئونهم لانفسهم في رودس واصاليا وطبرق وسراقوسة

« لا يتوهم من متوهم ان الدولة العثمانية بذات كل ما تملك الاخذين على انفسهم صيانة كيانها . كلا ! فهي لا تزال باقية لها الاراضي الواقعة على ضفتي المضائق . وما زالت في عهدتها حماية البوسفور والدردينل (!!) وأنه لشرف عظيم (!!) ونظر باق وإن كان يلقى على كامله صاحبه مسؤوليات عظيمة . ثم انهم لا يزالون مالكيين ادرته والاسنانة وروسه وأزمير واسقانا مترامية الاطراف خصبة التربة تكفي ايراداتها - في ما يقولون - لدفع فوائد ديونها المترأكة (!!)

« بهذا الثمن نجحت الدولة العثمانية من الطور الثاني . واعني به طور التقسيم أو طور التجزئة . بقي الطور الثالث واعني الحاجة الى المال . ومعلوم اننا نحن معاشر الفرنسيين لانجح أبداً من بل أحد . في بلغت المسائل هذا الطور واعني طور الدفع . اذن الى

فرنسا أجهت الابصار للمطالبة بسد الفراغ الذي سببته هفوات وجنون بل جنائيات الآخريين حتى يتوباً لأرباب الجشع والطمع ممن ذكر ان يستبغوا تحقيق مطالبهم .  
 اما ما يباطلوتنا به هذه المرة فهناي مئة مليون فرنك

« ولقد غامرت الامة الفرنسية الى هذا الحين بمبالغ طائلة من توفيرات ابناؤها في المشروعات الألمانية فلا ينكر عليها حق السعي في استرداد ذلك المال . ولكن هذا لا يجب ان يتخذ ذريعة لتضحية مصالح البلاد في سبيل منافع بعض المالبين ، فبمد تكبات الجيوش الألمانية انتقت الصحافة وأجمع الرأي العام في فرنسا والعالم كله على إلغاء تيمة تلك الانكسارات على عاتق جمعية الأتحاد والترقي . فان الأتحاديين هم المسؤولون عن سوء انتظام الجيش وسوء الادارة وضياع أموال الحكومة . وان هؤلاء الأتحاديين هم أنفسهم المتقذون الاحكام اليوم وفي أيديهم التصرف بالاموال العمومية . وهم أنفسهم الذين يتطالبون اليوم الاموال الفرنسية في حين ان لاستعمالها في فرنسا وجهة أولى وأتمم ، ولكن ما تم من اعتراف ، فان قلم المراقبة في وزارة الداخلية كان قد أنفي بأعادته المتولون على شكل أضامن لمصلحتهم

« ومن أهم ما يتهمون به جمعية الأتحاد والترقي نزاعها الألمانية وهي تكاد تكون محرشاً بنا . ثم يتهمونها بأنها ألقت بين يدي الضباط الألمانين تنظيم جنديتها حتى ألقى بعضهم على الجبال فنذر غولنز تيمة انكسارات للألمانين في فرق كايسه ولوله برعاس .  
 « فلما استعاد الأتحاديون السلطة كان أول عمل قاموا به انتداب تيمة ألمانية

جديدة لتنظيم الجيش الألماني . ورخصي العامل الألماني بايفاد ثلاثة وأربعين رجلا من ضباط جيشه الى الاستانة ، ولكنه اشترط أن تكون لهم مع تحمل المسؤولية السلطة الفعلية ، وان تكون القيادة العليا لزعيم البعثة ، وان يكون الضباط الألمانيون في الجيش خاضعين لضباط الألمانين . ولما كان الخط البدادي الذي يجتاز آسيا الصغرى من أدناها الى أقصاها - من خليج المعجم الى البوسفور - وكل الخطوط الحديدية الأخرى فروعه ، هو الوسيلة الوحيدة لتعبئة الجيش وبعده ، فان الجيش الألماني بقيادة الضباط الألمانين سيكون بمنزلة إحدى فرق الجيش الألماني ، فالخاني مئة مليون فرنك التي تطالبنا الحكومة الألمانية بها اليوم ستنفق في تسليح ونجوز وتنظيم وتدريب جيش يكون في طليعة الجيوش المهاجمة لنا في أول حرب نخوض غمراتها . وتكون أموالنا نحن الفرنسيين قد تحولت الى حديد ورصاص يخترق صدور ابناؤنا .

« ولقد بلغ من حرج الموقف ان الحكومة الروسية مع عدم رغبتها في انتهاج

خطة المجافاة والمشاكسة بإيعازها الا اقامة الحججة في عاصمة السلطنة . وليست زارتنا الحربية والخارجية في فرنسا ببعيدتين عن وزارة المالية فجدير بوزيرهما ان يجتعا بزمايها ويكاشفاه بان في الحياة موافق لا يجوز فيها تضحية الوطنية في سبيل مصالح بعض الافراد ، وان بعض القروض يجب مجاباة قبولها في بورصة باريس

« أما أنا فاني لا ابذل قلما واحدا من مالي للذين يساومون في تربة الوطن وفي موارده الطبيعية ترافا لبعض العظماء ، ولا اعتبر من يجود باموال الامة على هذه الصورة مؤثما أميناً

« رب قائل يقول ليس في الأمر شيء ، مما تخشاه ، وكل ما هناك قاهم بتبين مناطق فهو ذلك دولة ، نعم . ولكن لتحدث غداً فتنة أو ثورة أو مذبحه - وليس ذلك بالامر النادر حدوثه في آسيا الصغرى - اذن لانتبث أن نرى العمارة الايطالية في ايطاليا ، والانكار في الكويت ، والالمان في مرسين ، والفرنسيين في بيروت ، والروسين في طرابزون . وفي وملت اقدامهم الارض فبهيات ان تترجح عنها . وان لدينا في موقف ايطاليا اليوم في جزر بحر ايجه خير شاهد ، فالامر اذن ليس يمتحصر في تبين مناطق النفوذ ، بل هو يتجاوز الى تقسيم الاملاك العثمانية الاسيوية والسلام . ( الاهرام )

ثم عقلت الاهرام عليه بما يلي :

هذا هو كلام ذلك الوزير وهو لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ولكنه يقوله لنا ونرده على أنفسنا لتمظ وتخذ الحيلة وأعمل بقول الشاعر:

ما حلك جلدك مثل ظفرك      تقول أنت جميع أمرك

( النار ) صدقت الاهرام إن هذا السياسي الكبير لا يقول لنا شيئاً لانعرفه ، أي لا يعرفه أهل البصرة منا ، واسكنهم - واحسرتاه ! - قليلون فينا والجمهور مغرور بما يرى حيناً بعد حين من إغماض الذئب قبل الخمرود ، كما أومض لإغماضة حسبوا أنهم في عالم الحياة التورنية داخلون ، وإذا أظلم عليهم عادوا في ظلمتهم يعمهون ، وإذا صاح بهم المنذرون ، : يا قومنا فروا الى التجمعة فانكم الى الفخ تساقون . وسوس لسوس للوسوسون ، : ان هؤلاء قوم غاشور ، وعن حظيرة الاخلاص الامجاد خارجون ، وبالسنة أعدائنا الافرنج يتلقون ، أما ترون وميض انوار التجديد ، يلوح لأعينكم من بعيد ، فابذلوا هؤلاء المجددين كل ما تملكون من المال ، تناولون جميع الآمال



بيننا في المجلد الماضي وفيما قبله ما وصلنا اليه من الخطر القريب ، وبيننا ان الأوربيين لا يقبلون ان يأخذوا بلادنا الا بانفسهم السليبي المدير عنه بمناطق الاقتصاد والنفوذ ، وبيننا طريقة التجارة ولكن ان لا يسع ولا يصبر ، وهما نحن أولاء نرى غير الرسميين من ساسة الأفرنج يصرحون بذهاب ملكنا تصريحاً والرسميين منهم يصرحون بالصل ويصرحون بالقول تعريضاً وحسبنا ان نصحنا وأدينا الأمانة . وان عرضنا فسننا فلا ذى والأهانة .

## تقرير المطبوعات الجديدة

### ﴿ تاريخ حرب البلقان الأولى ﴾

« بين الدولة العلية والاتحاد البلقاني »

عني يوسف افندي البستاني أحد محرري الجريدة اليوم ، يتبع حوادث هذه الحرب من أول المهد بشوب تاريخها الى ان خمدت ووضعت أوزارها ، وقرأ ما كتبه أشهر كتاب الأفرنج في الجرائد الأوربية ، وما ألفوه من الكتب في ذلك . وما كانت نشره الجرائد العربية لمراسليها في الآستانة وغيرها . فتحذ ذلك مادة لوضع تاريخ لهذه الحرب كتبه بتعداد الروية والاعتدال ، شأه تاريخاً مفيداً جامعا لنا فيه المبرة النافعة ، والموعظة العاجلة ، بعيداً عن الغول وهراء . وبنات صفحاته ٣٢٧ طاعدا صفحات المقدمة والصور والرسوم . ( وفيه : درسا وخزيطان ) وقد كتب في الحرب عدة مصنفات عربية : نذكر منها ما ذكرنا مع هذا الكتاب بلقيني ان يكون مول قراءة الروية عليه دويتها . وهو يتطلب من مكتبة المار بصبر ونحن النسخة منه خمسة عشر قرشا خلا أحرة البريد

### ﴿ بيكي مجموعة سي ﴾

مجملة علمية شهرية تركية تصدر في الآستانة العلية صفحاتها ٢٤ قيمة اشترائها في الممالك العثمانية عن سنة واحدة نصف ليرة عثمانية وفي روسيا خمس روبل ونصف و١٥٥ فرنكا في سائر انصانك وهي مطبوعة طبعا جريدا على ورق اظيف وعن العدد

﴿ كتب تقرير هذا الجزء شقيقنا السيد ساج عباس رضا

## الواحد خمسة قروش عثمانية

(مجلة الناشئة) مجلة شهرية تبحث في الناشئة وشؤونها يحررها طلاب المدرسة العلمية الوطنية في دمشق ، قيمة الاشتراك السنوي ١٥ قرشا ولتلاميذ المدرسة ١٠ قروش . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج ٠ وصفحاتها ٣٢ بالقطع الصغير . تبحث على مطالعتها تشجعا لحرورها واطلاعا على سير العلم في ائمة الأمة

(لسان العرب) مجلة تاريخية اجتماعية ادبية مصورة . لتشتا أحمد عزت الاعظمي صفحاتها ٥٦ مطبوعة على ورق جيد ، قيمة اشتراكها السنوي ثلاثة ريالات مجدية في الممالك الاجنبية وللطلبة بنصف القيمة وعنوانها « الاسنانة » . شارع ابو السعود . صندوق البريد عدد ١٤٩٠ . وهذه المجلة مسكنة في نفسي وارجو أن اوفق الى قراءة ما لدي من اعدادها فاعود الى تقريرها بالتفصيل الذي يليق بها

(مجلة كمال) مجلة ادبية فكاهية شهرية (سنتها عشرة أشهر) مطبوعة على ورق نظيف طبعا نظيفا صفحاتها ٩٦ بقطع المنار . يصدرها في بيروت كمال افندي عباس . قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وبلدان مجيديان وفي مصر والبلاد الاجنبية عشرة فرنكات

(المرأة) جريدة اسبوعية مصورة سننها خمسون عددا ، صفحاتها ٢٨ وهي في شكل مجلة من المجلات ذات الصفحات الكبيرة يصدرها في بيروت خليل افندي زينية المعروف لدي كتاب وقراء العربية ، قيمة اشتراكها السنوي في بيروت ٨٠ قرشا سوريا وفي لبنان وسائر الولايات العثمانية ٢٠ فرنكا وفي الخارج ٢٥ فرنكا

## باب الاخبار والآراء

## ﴿ لا يابوية في الاسلام ﴾ ولا تباع شفاعة خير الانام ﴿

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المتناقين زين الاتحاديين ان يستقلوا حجرة المعصاني صلى الله عليه وسلم بوضع دقار فيها يكتب فيها اسماء الناس الذين يبذلون لهم الذهب الاحمر لتكتب اسماءهم في تلك الدقار ، وينا قباحة هذه البدعة المشتملة على تعدد جرائم منكورة ، وينا ان سالف الامة الصالح ما كانوا يتسامحون في إحداث بدعة من العادات المباحة في مسجد الرسول (ص) لئلا يدخل محدث ذلك والراضي به في عموم قوله (ص) « من أحدث في مسجدنا هذا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وهو الحديث الذي اجتنح به الامام مالك على ابن مهدي العالم الزاهد لما

(المنار ٢) (٢٥) (المجلد السابع عشر)

حلي على ثوبه . وبنينا على ذلك اتنا لا نلقن ان جمعية الأتحاد والوطني قبل هذا الاقتراح ، ولا ان الحكومة تفذه

ثم بلغنا بعد ذلك ان موضوع المشروع ان تسمى تلك الدفائر دفائر المستشفين . أي ان كتابة الاسماء في تلك الدفائر طريق أو سبب لشفاعة النبي (ص) فهي اذا عبارة عن بيع شفاعة المصطفى (ص) لمن يريد ان يشتري ، وان أقل ممن لها ليرفعها بهذا الشفاعة لأملك قباج ، ومن يدعي ان كتابة اسم أحد ووضع في الحجر والنسوة يكون سببا لشفاعة الرسول (ص) له فهو كفر على الله ورسوله ، لأن هذا أمر لا يعلم الا بوحى من الله ، ولو أنزل الله تعالى فيه شيئا يدل عليه بالنص أو بالدحوى لكان أجدر الناس بمعرفة العمل به الصحابة (رض) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

لهذا نصح للذين لا يعرفون أصول الدين وفروعه من رجال الدولة الأتحاديين ان يجنبوا هذه البدعة ، فليست هذه المسألة كغيرها من الأمور التي تجرموا عليها . وليتذكروا ان مسألة بيع البابوات للقران هي التي احدثت الانقلاب الديني العظيم الذي آل الى سلب السلطة السياسية من البابوات ، بعد حروب شابت من هولها الولدان . على ان بيع القران له وجه ما في دين التصاري اذ محتجون عليه بقول اناجيلهم ان ما يملونه او يعقدونه في الارض يكون كذلك في السماء . وبيع الشفاعة بدعة في الاسلام ليس لها وجه ولا شبهة . بل تدل الحجة الكثيرة على بطلانها وفقرتها بالشرك بالله تعالى لانه قول على الله بغير علم ، وشرع لم يأذن به الله ، وزيادة في الدين الذي اكفه ، وداخل في عموم الاحداث والبدع التي نهى وحذر الشارع منها ولعن محدثيها . والآيات والاحاديث في هذا كثيرة . تدعمها الآيات السابقة بان يوم القيامة لا يملك فيه احد لاحد شيئا لشفاعة ولا غيرها «والامر يومئذ لله وحده فلا يشفع احد عنده الا باذنه ولا يأذن الا لمن رضي له قولا ( ولا يشفعون الا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) واجمع المستنون على انه ليس لاحد ان يبيع مستقبل احد في الآخرة الا بنص من الشارع . فليس لاحد من رجال الحكومة العناية ولا غيرهم أن يدعي ان النبي (ص) يشفع له او لاحد معين ، فمن لا يملك الشفاعة لنفسه ، كيف يبيعها لغيره ؟ فان كانوا في شك من بصحة حديثنا وهم في هذه المسألة فلمرضوها على علماء الفاضح وعلماء السليمانية ان ناصحتهم ويطلبوا منهم اجراء رأيهم فيها بالحرية التامة . وربما نود الى بيان ذلك بالفصيل ، ودلائل السنة والتزويل ، « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

## ﴿ جمعية خدام الكعبة في الهند ﴾

جهنا من هذه الجمعية رسالة وحيزة مالمخصها ان الدولة العثمانية أصبحت على خطر مما يبيت لها الاعداء ، وان أكبر أمانى المسلمين ان تكون غنية قوية ، وان مؤسسي الجمعية احساسوا بما سيصيب الحرمين الشريفين من المصائب الحاضرة فأسسوا هذه الجمعية لا يقصدون منها « الا مساعدة الدولة العثمانية في المحافظة على الحرمين الشريفين وبذل المال والنفس في سبيل حمايتهما من الفوائيل » ومن ذلك تعلم العرب الذين يقسمون السبل على الحجاج كل هذا حسن . ولكن جاء بعده ان الجمعية تريد إنشاء جريدة باللغتين العربية والاوردية . قال الكاتب « حتى تنشر افكارنا في جميع البلاد الاسلامية ونبه المسلمين الى ما يجب عليهم نحو دينهم وديولتهم الوحيدة » الخ وهذا هو الامر الذي لم تقم به : جمعية خدام الكعبة انشئت لخدمة الحرمين الشريفين فكيف يجوز لها صرف المال الذي تجمعه للحرمين الشريفين في انشاء جريدة سياسية . وما هي هذه الافكار التي يريد رئيس تحرير الجريدة ان يبثها في العالم الاسلامي ؟ هل هي افكاره ام افكار الذين تبرعوا بالمال لخدمة الحرمين الشريفين ؟ ومن اين وقف على افكارهم ؟ وهل دفعوا المال لاجل نشر الافكار السياسية أم لاجل خدمة الحرمين ؟

قد بينا رأينا من قبل في هذه الجمعية وفيما يجب ان تكون عليه فلا نسيده . ونقول الآن انه لا يجوز لها بحسب قانونها الذي نشرناه وبحسب ما اقترحناه من تعديله ان تتفق شيئاً من ماها على انشاء الجرائد ، فهذه الفكرة الجديدة قد ازلت تقنا بالجمعية الا ان يرجعوا عنها .

أما مساعدة الدولة العثمانية بالمال والنفس فهو عمل نشكره لسكل من قام به في الهند وغيرها فن شاء فليؤلف له جمعية مستقلة ولينشئ له ما شاء من الجرائد بما شاء من اللغات . واما خدمة الكعبة والحرمين الشريفين فيجب ان يكون بمنزل عن السياسة واهلها . وهو عمل تخدمه جميع الجرائد الاسلامية في جميع الاقطار وتنشر لجميته ما شئت من غير أجره فلا يحتاج الى جريدة خاصة .

ان مساعدة الدولة بالمال والنفس وبث فكرة الجامعة الاسلامية بوشك ان تقاومه حكومة تلك البلاد وتبطله وتصادر جريدته ، فاذا كان ملصقا بجمعية خدام الكعبة بوشك ان يكون شؤما عليها وسببا لزوالها . لاجل هذا نحب ان تكون بمنزل عن السياسة . وما دما نرى هذا الرأي فالتا تصح لسكل مسلم أن يقاوم هذه الفكرة الجديدة التي عزمت عليها جمعية خدام الكعبة ، لتكون جمعية خيرية محضة ، والسلام على من أتبع الهدى ، ورجع الخلق والمصلحة على الهوى .

## ﴿ مفاسد المتفرنجين ، في أمر الاجتماع والدين ﴾

بهاجم الاسلام والمسلمين جيش خارجي من دعاة النصرانية ، وجيش آخر داخلي من دعاة التقاليد الافرنجية . والثاني أنكى من الأول وأضر ، وأدهى وأمر ، لأن جل أفراده من المارقين الذين يمدهم المسلمون منهم وما هم منهم ، ويسمعون عدوا خارج الدار ، أهون من عدو واحد في الدار . فقد تمر السنون ودعاة النصرانية تبسح أصواتهم من الصياح بالحطب والجذل ولا يقع في شركهم في الفطر الكبير الا واحد أو آحاد يلبثونهم الفقر الى ان يكونوا من خرافهم ، لانهم يجحدون من المرعى عندهم مالا يجحدون عند غيرهم . وقد ورد في الحديث « كاد الفقر ان يكون كفرا » وقلما نجد واحدا من هؤلاء الخراف يأنس مرعى له خارج دمنتهم الا ويتفك منها

وأما هؤلاء المنافقون المتفرنجون فانهم يفتشون المسامين بأنهم منهم ، يفهم ما يفهمهم ويضرمهم ما يضرهم ، وانهم لنا يدعونهم الى الترفي عما هم عليه الى مدينة أعلى وحضارة أسمى ، وهي ان يكونوا مثل الافرنج في عزهم وروتهم وخرافهم ، ويحسبون اصغر عقولهم ، وقصر نظرهم ، ان ما يفوقنا به الافرنج من الثروة وأسباب القوة ، قد جاءهم من رقص نساتهم مع رجالهم ، ومن اختلاطهم بهم في مجاهدتهم ومحافاتهم ، - أو من عدم مبالاة كثير منهم بالدين ، وان كان الاكثرون يتعصبون له ويبدلون له الملايين . - أو من طاعتهم في طعامهم وشرابهم وأزيائهم ، وفسقهم وفجورهم ، واجتماعهم وافتراقهم ، قطفوا يقلدوهم في شر ما عندهم ، ويدعون المسلمين الى تقليدهم في أمثال هذه الظواهر ، على ان منها ما هو من سيئات مدينتهم وقبايحها التي ينكرها عليهم حكماؤهم وعقلاؤهم ، ومنها ما هو مناسب لطبيعة بلادهم وأجياهم دوننا ، ومنها ما لا تقع فيه ولا ضرر لذاته ولكنه يضرنا من حيث هو تقليد لهم بضمف روابطنا القومية ، ومشخصاتنا الاجتماعية ، ويحقر أمتنا في أنفسنا ويمظم أعمهم فيها ، فيكون تمهيدا لقبول سيادتهم علينا بغير امتعاض ، دع ما يتوقف عليه البقاء من الجهاد .

وقد قوي هجوم هؤلاء المتفرنجين في فائحة هذا العام فكان أشد مما كان عليه في العام الماضي ، فكان شأنهم ممنا كشأن دعاة النصرانية سواء . ومنبت هذه الفتن ومطلع رؤس شياطينها الآستانة ومصر ، وقد اشتركت المدينتان في مسألة الدعوة الى تهتك النساء باسم تحرير المرأة ، وامتازت الآستانة بالفلو في عصية الجنسية ، وقطع ما امر الله به ان يوصل من الوشائج الدينية ، بمثل كتاب ( قوم جديد ) و ( ترجمة القرآن ) بالتركية وغير ذلك .

## مسألة تحرير المرأة أو تهتكها

ان الاستانة ومصر فرسا رهان في تهتك النساء وفي تجري المنفرحين على ذلك ، وقد نشر بعض الشبان في الجرائد المصرية دعوة الى جمعية تسعى لتك ما بقي من آثار الحنطة التي يسمونها حجابا وإبطال ذلك بالفضل ، وعقدوا اجتماعا في ادارة (الجريدة) التي هي لسان طاهم واقدموا بعض النساء بحضوره حاسرات فهجم بعض الشبان عليهم لظاهمتهم وتقبلين منهم آخرون . وقد اختلفت الروايات علينا في تفصيل ما كان في هذا الاجتماع فلا يحزم بشي منه ولا فائدة في شرحه .

قام هؤلاء الشبان بهذه الدعوة في وقت جاءته فيه البرقيات الأوروبية ببيان ضرب من ضروب فضائح اختلاط النساء بالرجال ما كان يذاع مثله من قبل . وهو انه قد اقتضت عدة من العذارى التواني يتلقين العلوم العالية في مدارس المانية الجامعة . هذا وان الالمانيين اشد عناية من السكسونيين - مع الالبيين - في التربية الدينية والصيانة المنزلية . وان كثيرا من الدعوة الى تهتك النساء الذي يهرون عنه بتحرير المرأة ، لا يفون الا ان يهدوا السبيل لانفسهم لتمتع بالحسان من ثبات وابكار ، وقليل منهم يريد الظهور بلباس الصالح المدني وهو حاجز عن كل اصلاح فلا يرى اهون عليه من اللغط بالكلام في هذه المسألة ، لانه لا يتوقف على علم ولا عمل ، فما على الا لغط الا ان يبرز ما كتب غيره من قبل في قالب جديد ، ويزيد عليه من لغو الكلام ما يشاء ان يزيد .

يقول لي أهل الصيانة مالك لا ترد على ما يكتب هؤلاء المفسدون ، فتك نطلب ، وإليك نرجو ، ان تتبع عوارهم ، وتعلم أظفارهم ، وإني أرى ان الذين قاموا في وجوههم صائحين متبهكين قد كانوا لهم الصاع صاعين أو عدة أصع ، وليس عندهم شباهت قوية تحتاج الى علم واسع وحجج قبيحة . بل لا يكاد يفهم مرادهم من كلامهم ، ولا أوامهم يبينون ما يريدون . فليست المرأة مستعدة فيكون طلبهم تحريرها طلب حقي لها شرعي أو ثقلي ، وليست محجوبة في مصر حجابا مانا لها من التصرف والرياضة ولا التبرج المذموم أو غير المذموم بل هي تمل ما تشاء . الا ان القاعدة العامة في نساء الانبياء والنوسطين في المدن انهن لا يحضرن أندية الرجال وميجمعهم العامة ، وأما المجالس الخاصة والمحاكم ومحال التجارة فيحضرها كثير منهن . وانهم لا يخلون بالرجال الا حباب في البيوت الا شذوذا . فالظاهر ان هؤلاء المنفرحين يطالبون الآن بإبطال عاتين العادتين دفعة واحدة . ولا يشك ذو عقل ان ذلك مما يستشري به الفساد ، وتفاهم به فوضى الأعراض ، وليس له حسنة فهو سيئة من سيئاته ، على ان دفع

المفاسد مقدم عقلا وثقلا على جلب المصالح ، وابن هي في مسألتنا .  
 إن نساءنا في حاجة الى علم وأدب تتقف بهما عقولهن ، وتصلح بهما عادتهن ،  
 ويقدرن بهما على تدبير المنازل وربية الاولاد ، ويكون عوناً للرجال على تحديد حياة  
 الامة الاجتماعية بمقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والمعادن الحسنة . ولا يتم هذا  
 الا بتأليف جمعية من أهل البصيرة والرأي تنشئ المدارس الداخلية للتعليم والربية الدينية  
 والمدنية بالعمل . وجمعية أخرى للنساء المتعلقات المهذبات غير المفتونات بالتفرنج تهتم  
 بإصلاح البيوت الموقت . والتفرنجون لا يطلبون هذا وإنما يريدون ان ينسلخ جميع المسلمين  
 عما بقي من عادتهن ويقدرن نساء الافرنج في الاستئلاط بالرجال غير المحارم في الربوب والطعام  
 والأندية والملاعب والملاهي والمتنزهات ، وما يتبع ذلك من العادات في الزي والمعيشة .  
 ولو فرضنا ان جميع ما ينسلخن منه بهذه الصفة قبيح أو ضار من بعض الوجوه ،  
 وجميع ما يدخلن فيه حسن في ذاته ونافع لاهله ، لما صدنا ذلك عن إنكار هذا  
 التحول والاقبال ، لما يترب على التغيرات القومية من المضار وضمف مقومات الامة  
 ومشخصاتها ، وتراخي روابطها وانقسام عرى جامعها . وناهيك به اذا كان تقيداً  
 لامة أخرى تراها أرقى منها . فكيف اذا كان ما يطلب من نساءنا التحول إليه إما  
 قبيح ضار لداته أو ضاراً بامتدادون الافرنج

ان الضرر في تفرنج نساءنا أنواع : ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي ، ولا يمكن  
 شرح هذا في جملة كهذه . ولكن التفرنج فتنة ، ولكل جديد فتنة ، ونحن نرى  
 ان ما يطلبه التفرنجون من نساءنا من هنك الحجاب الرقيق الخائل دون تمام التعمير من ربه  
 ما ذكرناه من بقايا المعادات - قريب غير بعيد ، فقد بدأ به بعضهم ولا سيما  
 سريان التقليد فيه . بأن الذين يسافرون بنساءنا الى أوربة يلبس نساءنا ما يلبس  
 الافرنج وبأكثر من الرجال ويجلسن معهم في الملاهي والملاعب . ومنهم من يلبس  
 نساءنا بلباقه أصدقائهم ومجالستهم ومؤاكتهم ، يكون هذا يذهب تقليد رفق  
 لم يرض بعض الشبان لانه تدرج وهم يطلبون العاقرة . ومن تشتم عريضة  
 الهاتكين لأحسن ما نرى من عادات نساءنا لرأي وسمح من الفضائل التي تتجلى  
 وتدوينه . وأنا ليحزنا ان نرى هذا المستوى قد سرت الى بعض الفتيات  
 وجملة القول ان تفرنجي مصر والآستانة يستعملون تقبيل النساء على  
 والجمع بينهما وبين الرجال تقليداً الافرنج ، على انه ليس لهم ولا نساءنا  
 وتربيتهم وآدابهم وأخلاقهم الضرورية فيجعل التفرنج كسنة

لا معنى بأشد ما يحتاج الى أنواع ، منه من مزايا الافرنج وفضائلهم لان في تحصيله مشقة ، بل  
 اعنى بمحاكتهم في مظاهر الزينة والذلة ، وطمنا اهلك الذلة والزينة الامم القوية ،  
 فكيف يكون فعلها بالامم الضعيفة ؟ ان مسلمي الهند من اشد أهل الارض مبالغة في  
 حجب النساء ولم يمنع ذلك الطبقة المصرية منهم ان تكون أرقى من مثلها في الآستانة  
 ومصر . ولكن من كان له هوى في شيء لا يلتفت الى ما يخالف هواه ، وان كان مؤبدا بأقوى  
 الحجج وعينا بأوضح الشواهد والأمنال . فالمصريون والترك يريدون بالفرنح ان  
 يكونوا مثل الافرنج ، هو الذي يبعدهم عن ان يكونوا مثله ، بما يجعلهم عالة عليهم ،  
 ويذهب بما بقي من استقلالهم السياسي ، لانه منوط باستقلالهم الاجتماعي والخلقي ،  
 ان السواد الاعظم من الشعب التركي والشعب المصري يحقت هذا الفرنح ، ولكن  
 ليس للسواد الاعظم زعماء يستعملون قوته المنوية في المحافظة على مقومات الامة  
 بعشوائها مع اقتباس ما يقويها من الفنون والصناعات المصرية . وأما المتفرنجون فهم  
 على قنتمهم يمتزجون بالافرنج أنفسهم ، وناهيك بنفوذهم وساطرتهم ، وكون جل رجال  
 الحكومة من سبك معالهم . ولا حظ لهؤلاء الافرنج الاجل جميع ممالك الشرق  
 مزارع ومناجم لهم ، وأهلها فداء لخدمتهم ، وسوقا لانواع سلمهم . ولله درهم ! فان  
 أرقى ما وصلوا اليه من العقل والعلم هو ما جعلهم يتصرفون في الائم والشعوب كما  
 يتصرفون في الحيوان والنبات والجماد

هذا ما أحببت اذكر به الكارهين لهذا الغلو والاستمجال ، بالجمع بين النساء  
 والرجال ، وهو لا يغير شيئا من هذه الاحوال ، وانما الذي يمكن ان يغيرها هو العمل  
 الذي أشرنا اليه دون سواء .

#### العصبية الخندية

ان روح التعليم الأوربي والسياسة الاوربية أحدثت في ايم الشرق كلها نزعة جنسية .  
 وقد كان المسلمون أبعد الناس عن هذه النزعة فلذلك كانوا ضعافا فيها ، وكان العرب  
 أندهم بعدا عنها وضعفا فيها ، ولذلك كتبت في مقالات ( العرب والترك ) التي نشرتها  
 في الآستانة ثم في المنار ان تكوين عصبية جنسية للعرب لا يمكن ان يكون الا من عمل الآستانة  
 ان في الترك من غلاة العصبية الجنسية من يعز نظيرهم في غيرهم ، واتفق ان  
 كان زعماء جمعية الأتحاد والترقي من هؤلاء الغلاة . فلما صار اليهم أمر الدولة ، اندفعوا  
 اندفاعا شديدا في تقوية العصبية التركية ، ومحاولة تربك جميع الشعوب العثمانية ، فهبجوا  
 بذلك عصبية هذه الشعوب حتى نجحت قرون الفتن ، وسفكت الدولة دماء غزيرة في



بلاد الارنووط وبلاد العرب ، واتته سياسة الشدة والقوة بحرب البلقان التي خذت بها الدولة ، وورث البلقانيون جميع ولاياتها الاوربية الا ( ادرنه ) فبقيت لها ، وبلاد الارنووط فانها استقلت بنفسها . فاضطر الاتحاديون الى سياسة المداراة وتعزيز الجنسية التركية في نفسها بالمدارس ونشر الكتب والرسائل والصحف ، مع ترك سائر الشعوب العثمانية تحبب مجملها اذا لم ترض الاضطباع بالجنسية التركية في مدارس الدولة الرسمية ، والمدارس الاهلية التركية ، التي يجمعون لها الاعانات بنفوذ الدولة والخلافة من العثمانيين ومن مسلمي الممالك الاجنبية

يرى هؤلاء العاملون انه ليس في طريقهم عقبة تحول دون بلوغ المقصد بالسرعة التي يبغيون من وراء هذا العمل الا حاجة الترك الى اللغة العربية لاجل الدين . ورون ان هذا الدين ولغته مما يميح تكوين امة تركية ودولة تركية محضة على الطراز الافرنجي الفرضي ، فاجتهدوا في ازالة هذا المانع بمزيلين ( أحدهما ) ترجمة القرآن بالتركية ودعوة الترك الى الاستغناء عن القرآن العربي بما سموه القرآن التركي ، واذا استغنوا عن القرآن يستغنوا بالاولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية ( الثاني ) نشر الكتب والرسائل التي تجمل الجنسية التركية اعلى واسمى في النفوس من رابطة الدين تمهيداً لنسخ الثانية بالاولى ، بمؤونة الكتب الكثيرة التي نطمن في الاسلام ككتاب تاريخ الاسلام الذي ألفه أعداء الاسلام من الايطاليين وترجمه الدكتور عبد الله بك جودت بالتركية ، فكان له تأثير شديد عند طلبة المدارس العالية ولاسيما مدرستي الطب والحربية ، الذين لا يكادون يعرفون من الاسلام شيئاً وقد نشروا في الآستانة كتاباً تركياً اسمه ( قوم جديد ) كان انصح معبر عن رأي هؤلاء المتفرنجين من الترك ، ومما جاء فيه الانكار الشديد على وضع اسماء الخلفاء الراشدين وسبطي الرسول ( رضوان الله عليهم ) في ألواح معالمة في قباب المساجد التركية مع ان أوائلك الرجال من العرب ، فالكتاب ينكر عليهم ذلك ويقول للترك اليس عندكم من الخلفاء والرجال المظام من الترك من هم خير من أوائلك العرب . انزعوا هذه الاسماء وضموها مكانها اسماء عظام الترك مثل طلعت بك وقمحي بك وانور بك « صلوات الله عليهم » (??) ويقول إن كل من يساعد رجال الدولة على الاعمال العسكرية يكون أفضل من الائمة المجتهدين ومن شيخ الاولياء المارفين الشيخ عبدالقادر السكيلاني الخ وهذا قليل من كثير ، والامر لله العلي الكبير .

( تنبيه ) : سقط في الآية لفظ « في » في ص ١٠٧ السطر السادس فليصلح

يقدر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الأنور ١٣٣٢ هـ ق ٥ الشتاء الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٥ فبراير ١٩١٤

# فَتَاوَى الْمُبْتَلِينَ

انتتعا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع اناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ونفبه وبلده ومهله ( بطيفته ) وله بهد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانقاذ ذكر الاسئلة بالتدرج فالباور عما قدمناه تاخر السبب كعاجه الناس الى بيان موضوعه ورعا جينا غير مشترك لتل هذا ، وان مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صريح لافقاه

## ﴿ دعاء البهائية ومجلة البيان المصرية ﴾

( س ٣ ) من صاحب الامضاء في القاهرة

حضرة العالم الفاضل صاحب المنار الاعز

نشرت مجلة البيان التي تصدر في مصر مقالا عن البهائين وزعيمهم عباس افندي جاء فيه ما يأتي : - « ذلكم هو مولانا عباس افندي المقلب بعبد البهاء بطل الاصلاح الديني وسيد المصلحين الدينين ، والمصدر الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » البهائية هي كمال حيي - « هي الكأوليكية الصادقة » . وما دعوتها في الحقيقة الا دعوة اصلاح ورقى للاسلام - ان انصارها استخرجوا اسمي تعاليم القرآن فقوها مما علق بها مما ليس من الدين الصحيح في شيء - « ان نعم الآخرة وهم وخيال » هذا بعض ما جاء في تلك المجلة وما نشره صاحبها المسلم الازهري تقب مقابله لزعم البهائين في الاسكندرية

وقد رد على ( البيان ) الاستاذ صاحب ( عكاظ ) في عدة مقالات وتبعه كاتب في جريدة الشعب ثم تبعتها جريدة الافكار وكا هم كان يطلب الى صاحب ( البيان ) تكذيب ما نشره في هذا الموضوع والرجوع الى الحق ، ولكنه كان يقول لهم اني كتبت واكتب عن البهائين وزعيمهم كما كتبنا عن فولتير وسبينسر ونيتشه ، وكما كتب الأوربيون و يكتبون عن العظماء والفلاسفة والتأبين

فما رأي العالم الجليل صاحب المنار في ما نشره « البيان » في موضوع البهائين وزعيمهم ؟ وما رأيه في رد عكاظ اولا والشعب والافكار ثانيا ؟ { ف - صحفي قديم }

( ج ) ينافي المنار مرارا ان البهائية قد اتحلوا ديننا جديدا في هذا العصر ،

.....

هو أساس الاسلام ، واساس دين البهائية وثني مادي ، وهم يعبدون والد زعيمهم عباس افندي الملقب (بمبدالبهاء) وما هذا الا لقب الاعوان القول بالوهية البهاء . ولهم شريعة ملفقة من الأديان المختلفة ، وفلسفتها هي عين فلسفة سلفهم من فرق الباطنية ، الذين حاربوا الاسلام بالدسائس التي اخترعتها لهم جميعات الجوس السرية ، لافساد أمر المسلمين وازالة ملكهم اتقاما للمجوسية التي ابطالها الاسلام . الا وان مرزا حسين الملقب بالبهاء هو وولده الداهية عباس افندي قد جعلتا دينهما الجديد تنقيحا لما دعا إليه الأبه الزنار مرزا محمد علي الذي اشتهر بلقب (الباب) وانما مهد السبيل لدعوته في بلاد الفرس بدعة الشيخية ، الذين هم اكبر الفسدين في الشيعة الامامية ، وسنشر في المنار شيئا من فلسفتهم الخيالية ، التي اتزعواها من باطيل الباطنية ، وزفوها في معرض الاساليب الصوفية .

وجملة القول ان دين البهائية دين مخترع ، افتراه الباب الخدوم ، وقبحه بتأدي الزمان الباقعة عباس افندي . وهو أضر على الاسلام من كل دين في الأرض ، لان أهله يسلكون في الدعوة اليه مسلك سلفهم الطالح في غداة عوام المسلمين وابهامهم أنهم يصاحون لهم دينهم ، واحتجاجهم بالشبهات التي يجرعون بها القرآن والاحاديث بالتأويلات البعيدة ، فهم أكبر فتنة على المسلمين في هذا العصر ولا سيما على الشيعة ، لان الفلو في التشيع سلم للباطنية ، ولهذا كان يقول بعض العلماء يقول : انتهى برافضي كبير اخرج لك منه باطنيا صغيرا ، وانني باطني كبير اخرج لك منه زنديقا كبيرا .

فن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو اصلاحا للاسلام ، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كانت بذلك مرتدا عن الاسلام ، وان زعم انه مسلم ، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية اذا كانوا ضغفاء بين المسلمين فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الاسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم الى باطلهم وتحريف معاني القرآن الاستدلال عليها وإبطال ما يقهه المسلمون منها . فاذا كان صاحب البيان قد قال ما نقله عنه السائل متقدما له فالامر ظاهر ، وان كان قد كتبه عن جهل بحقيقة الفوم فكان الواجب عليه بعد ان تبينه جريدة تكاظم وغيرها ان يرجع الى الحق ويصرح ببطالان دين البهائية وتحذير المسلمين من خداع دعائه (وإسموئهم مبلغين) وأما ما ذكره السائل عنه من الاعتذار عن تقديس دين وثني مادي وتقديس داعيته واحد مخترعيه - بان مدحه له كدحه لغواتير - فهو غريب ، فان مدحه لغواتير إن

كان باطلا فهو تأييد للباطل بالباطل ، وان كان يراه حقا ويرى ان ما قاله في عباس افندي ودينه حق أيضا ، يكون قد ارتد عن الاسلام ودخل في دين البهائية . والا فان من قال حقا وقال باطلا ، لا يكون قوله الحق صرة منذرا له اذا قال الباطل بعده . والذين مدحوا مثل فواتير من كتاب الاقربح كانوا مثله مارقين من التصرفانية ، قول يرضى صاحب البيان ان يكون مدحه لعباس كمدحهم لفواتير ؟ وليس ما نقله السائل عن البيان قول مؤرخ يحكي شيئا وقع لارأي له فيه ، حتى يقال « ان حاكمي الكفر ليس بكافر » بل ذلك مدح لهذا الدين الجديد وتفضيل له على غيره يتضمن دعوة المسلمين اليه . فاذا لم يكن هذا مراده فليصرح كتابة براءته من البهائية والتحذير من كفرهم بالاسلام . على ان فيما نقله السائل عنه ما هو كفر في نفسه بالاجماع ، كإنكار حقيقة امم الآخرة ، وتسميته وهما وخيالا ، بناء على ان هذا من مذهبهم . وجملة القول ان من شأن المسلم ان لا ينشر شيئا يمدح كفرا في دينه ، وان لا ينقله عن غيره مقرا له ومستحسنا . فكيف ينوه بمدح دين جديد يراد به نسخ الاسلام وابطاله من الارض ويصفه بأنه هو الحق الذي لا يأتيه البطل من بين يولاه من خلفه ؟ وقد قرأنا بعض ما نشر في عكاظ ردا على البيان فرأينا مبنيا على اساس الصواب ولم نر ما كتب في جريدة الشعب لانا لانكاذت قرأها بل قلنا زارها - وكذا جريدة الافكار - والحق ظاهر في نفسه

\*\*

### ( البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب )

( س ٤ ) من صاحب الامضاء في مصر

فضيلة الاستاذ العالم العلامة منشي المار الأغر

بعد الاحترام نرجو من سيادتكم اجابتنا على السؤال الآتي في منازك الأغر :

هل بعد البحث في تعدد الزوجات والطلاق والحجاب من الوجهة العمرانية

وتبيان اضرارها في الناس من الوجهة الاقتصادية اهانة للدين الاسلامي

عبد الحميد حمدي بشبرا مصر

( ج ) حاشا لله ان بعد البحث في هذه المسائل اهانة للدين الاسلامي مطلقا .

بل كثيرا ما يكون البحث فيها كاشفا عن حكم الاسلام وفضائله ، ومبيناً وجه كونه

دين الفطرة الجامع بين مصالح الروح والجسد . ولكن غير المسلم قد يهين الدين

الاسلامي اذا خالف هواه ورأيه بعض أحكامه ، فيتخذ ذلك وسيلة للطمأن فيه .  
أما المسلم فانه يبحث عن الحقائق مع الادب فان عرضت له شبهة على حكم إسلامي  
ثابت يزداد بحمنا ليزداد علما ، ولكنه ينسب الفصور الى نفسه لا الى دينه ، ويجعل  
هذا قاعدة للبحث ، الى ان يقين له الحق .

\* \*

﴿ اسئلة من صاحب الامضاء في ( العطف ) من ٥ - ١١ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الاستاذ الأوحد منشيء المنار المنير ، السيد محمد رشيد رضا ، شاد الله به  
منار الدين

السلام عليكم ورحمة الله . اما بعد فاني سائل فضيلتكم عن أمور أشكلت علي  
مؤملا اسعافي باجوبتها لما اني لا ارى لذلك ممن اعرف اهلا سواكم  
(١) لماذا حمل الاستاذ الامام اخذ الكتب في القيامة بالايمن وبالشمال من  
وراء الظهور على اخذها بنشاط وسرور أو بضد ذلك مع إمكان الحمل على الظاهر  
الذي تمتنع مخالفته بلا دليل ؟ واستبعاد تصوير وراء الظهر بما صور به لا يوجب  
رفض الظاهر فلم لا يقال يأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره حقيقة ، ولا يزداد على  
ذلك ؟ ويجعل النشاط والسرور سبباً للأخذ باليمن وضد ذلك سبباً للأخذ بالشمال  
من وراء الظهر ؟

(٢) هل يحل التداوي بالخمر اذا ظن نفعها بخير طيب أخذاً من آية ( ما جعل الله  
عليكم في الدين من حرج ) ومن القاعدة المتفق عليها : الضرورات تبيح المحظورات .  
واذا جوزتم فما ترون في حديث « إنها داء وليست بدواء » أو كما ورد

(٣) هل الخمر نجسة وما دليل نجاستها ان قلمتم بها ؟ فاني لم ارد ليلاً شافياً بعد  
شدة البحث

(٤) ما جواب مجوزي سماع الملاهي عن حديث تحريم سماع المعازف الذي في  
البخاري

(٥) ما درجة حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وهل له معارض ؟ وما رأيكم  
في هذا التعليم ؟ والحديث المشار اليه ذكره في فتح البيان عن البيهقي والحاكم وابن  
مردويه وسكت عليه ، فهل ذكر الحاكم له يفيد صحته

(٦) ما درجة حديث جابر في خلق النور المحمدي قبل الاشياء فقد انكر الشيخ عبد العزيز شاويش صحته مع ذكره في كتب جمعة كشرح الهمزية لابن حجر لكن لم ار من صححه بعد شدة بحث في كثير من كتب السنة

(٧) لم شرطتم على المفتي ذكر دليل الحكم للعامة مع ان كثيراً من الادلة يصعب جداً تفهيمه ايها فالتكليف به حرج شديد ؟ واذا وسع العامي أن يثق برواية المفتي فلم لا يسهل أن يثق بانه اخذ فتواه من دليل صحيح ؟ فانا اذا نظرنا الى احتمال خطأ العالم في اخذ الحكم أو فتواه بما لا يعلم لزم أن ننظر الى احتمال كذبه في الرواية أو في تفهيم مرويه ، ولا اخالكم ترابون في صعوبة تفهيم العامي بعض الادلة لعلمكم بان مأخذ الحكم قد يتركب من حديثين أو احاديث أو من سنة وقرآن ، ويحتاج تهريره الى فطنة والممام بحماسة علوم

هذه ياسيدي الاستاذ مسائل اشتدت حاجتنا الى معرفة الحق فيها جداً فلجأنا اليكم والامل بتحقيق طلبنا ملء القواد لا برحمتك عضد الحق

خادم العلم الشريف

م . ز - بالعطف

### ﴿ أخذ الكتب بالإيمان والشئام ﴾

حمل الاستاذ الامام الاية في سورة الانشقاق على الكناية لانه الابليغ الذي يظهر به معنى الوعد والوعيد الذي وردت الآية في سياقه . والكناية لا تنافي الحقيقة ، فيجوز أن يكون المراد هو ما فسر به الآية مع كون الاخذ بالإيمان والشئام معدودة الى ما وراء الظهر يقع بالفعل . ولكن ارادة الحقيقة وحدها خير مجرد ليس فيهما في الكناية من الموعظة و بيان حسن حال من يأخذ كتابه يمينه من قبل وجهه ، وسوء حال من يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وحمل كلام الله على ابليغ الوجوه العربية واظهرها انطباقاً على مقاصد القرآن هو الاولى بل المتعين ، وقد انزل الله القرآن هدى وموعظة وعبرة وذكرى كما هو مبين في عدة آيات . نعم لا يجوز ان يتكلم المفسر في كلام الله تعالى معاني لا يسيغها الاسلوب العربي البليغ للهروب من معنى متبادر لا يوافق ذوقه أو رأيه . وقد عهد في الاستعمال العربي البليغ التعبير باليمين والاخذ باليمين عن اليمين والنشاط والعناية ، وبالتعبير بالشئام عن ضد ذلك من الشؤم وانكراهة . رسمت العرب اليد اليمين اليمنى ، والشئام الشؤم . وكانوا يمينون بالطير اذا مرت يميناً ويتشاءمون

بها اذا مرت شمالاً . فقول العرب اخذ فلان كذا يمينه او بشاله ، قلما يريدون الا الكناية ، فهو من الكنايات المشهورة بينهم ، لأن ارادة الحقيقة قلما تكون لها فائدة . واما قول العلماء ان الاصل في الكلام الحقيقة ولا يصار الى المجاز أو الكناية الا بدليل وقرينة ، فلا يريدون به ان كل ما يمكن أن يراد به الحقيقة يحمل عليها مطلقاً ، فان من الكلام ما يجزم سامعه عند سماعه انه مجاز أو كناية مع إمكان ارادة المعنى الحقيقي . ثم ان تحديد الحقيقة في كل مواد الكلم والتمييز بينها وبين المجاز والكناية ليس من السهولة بحيث ينال من طرف الثمام ، ولعسر انكر بعض النقاد المجاز من اصله وعد الجاهير كثيراً من المجازات حقائق ، وخطت معاجم اللغة الحقيقة بالمجاز ولم يعن بالتريل بينهما الا افراد من الجهابذة كالزمخشري في أساس البلاغة ، وليس هذا المقام بالذي يتسع لبيان ذلك

### التداوي بالخمر

التداوي بالخمر لمن يظن نفعها شيء . والاضطرار الى شربها شيء آخر . فاما الاضطرار فانما يعرض لبعض الافراد في بعض الاحوال ، وهو يبيح اعتراف من طعام وشراب بنص قوله تعالى (وقد بين لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وبنفي الخمر والعسر وغير ذلك من الادلة . وقد مثل الفقهاء له في شرب الخمر بمن غص بلقمة فكاد يخنق ولم يجد ما يسقيها به سوى الخمر . ومثله من دق من البرد وكاد يهلك ولم يوجد ما يدفع به الهلاك برذاً سوى جرعة أو كوب من خمر ، ومثله أو أولى منه من اصابته نوبة ألم في قلبه كادت تقضي عليه وقد علم أو اخبره الطبيب بانه لا يجد ما يدفع عنه الخطر سوى شرب مقدار معين من الخمر القوية كالنوع الحديث الافرنجي الذي يسمونه (كونياك) فاننا نسمع من الاطباء انه يتعين في بعض الاحيان لعلاج ما يعرض من مرض القلب ودفع الخطر وقد ثبت ذلك بالتجربة . وهذا النوع من العلاج لا يكاد يكون شرباً للخمر وانما يؤخذ منه قطرة قليلة لا تسكر . واما التداوي المعتاد بالخمر لمن يظن نفعها ولو باخبار الطبيب كتنوية المعدة او الدم ونحو ذلك مما نسمعه من كثير من الناس فهذا هو الذي كان الناس يفعلونه قبل الاسلام ونهى عنه النبي (ص) وخص الحديث الذي اشار اليه اسائل «انه ليس بدواء وانكسره ناء» رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذي . وسببه ان طارق بن سويد الجعفي سأل النبي عن الخمر وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال إنما اصنعها للدواء . فقائه وقوله



«ولكنه داء» هو الحق وعليه اجماع الاطباء ، فان المادة المسكرة من الخمر سم تتولد منه امراض كثيرة يموت بها في كل عام الوف كثيرة ، والسوم قد تدخل في تركيب الادوية ، ولكن الذين يشربون الخمر ولو بقصد التداوي بها لا يلبثون أن يؤثر في اعصابهم سمها ، فتصير مطلوبة عندهم لذاتها ، أي لا مجرد التداوي بها ، فيضربون بسمها ، فلا يعترف مسلم بأمر احد من الاطباء بالتداوي بها لئلا ما يصفونها له عادة والله الموفق

### ﴿ نجاسة الخمر ﴾

ذهب جمهور الفقهاء الى نجاسة الخمر ، وروي عن ربيعة شيخ الامام مالك القول بطهارتها ، فاما نجاستها المعنوية فلا شك فيها ، واما النجاسة الحسية فلا تصدق على الخمر لئلا يفتقر الى قدرة والنجس ما كان شديد القذارة ، ولا قام عليها دليل من الكتاب ولا من السنة . وقد شرحنا ذلك في المجلد الرابع من المنار (ص ٥٠٠ و ٨٢١ و ٨٢٦) فليرجع اليه السائل ان شاء . وقد جمعنا الايام بعد كتابة ما كتبناه في ذلك المجلد بجماعة من اكابر علماء الأزهر في قطار خاص من قطارات سكة الحديد كان يجمنا الى بلدة (ديروط) بدعوة قطب باشا قرشي (رحمه الله) للاحتفال بتأسيسه مسجداً ومدرسة فيها ، فدار الكلام بيننا في هذه المسألة ، فقال احد علماء المالكية انه يريد أن يكتب رسالة يثبت فيها نجاسة الخمر بالدليل فتكون رداً على المنار ، قلت له اذا جئت بدليل صحيح يقبله المنار وينشره في الاقطار ، والا رد عليك ما تكتب ، ويمكنك أن تذكر الآن ما عندك من الدليل ، قال «الاجماع» قلت لم ينقله احد بل نقلوا عن الامام ربيعة التصريح بطهارتها ، قال «آية المائدة» قلت : إن لفظ «رجس» محمول فيها على الخمر والميسر والانصاب والازلام ، ولم يقل احد من المسلمين بنجاسة الميسر والانصاب والازلام ، فتعين ان يكون الرجس هو المستفح عقلاً وشرعاً لضرره ، والرجس يكون حسياً وهو ما يدرك باحد الحواس ، ويكون معنوباً وهو ما يعرف بالعقل والشرع مجتمعين أو منفردين ، قال تعالى (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقال (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم) وقال (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) ولا يمكن ارادة النجاسة الحسية بشيء من ذلك . . . ولما لم يستطع الاستاذ المالكي أن يقيم دليلاً ، سال احد الحاضرين مفتي الديار المصرية - وكان يسمع المناظرة - عن رأيه في المسألة . فقال

المتقی : ما مذهب الأستاذ ؟ یعنی كاتب هذا - قيل له شافعی . فقال لي : ما المعتمد عند الشافعية في المسألة ؟ قلت المعتمد ان الظن نجسة . قال انتهى الامر . قلت لا ، انما تبحث في الدليل على نجاسة الظن لا في نص المذهب . فان كان لديك دليل فاذكرة لنا . فلم يات بشيء . ثم سكت الشيوخ وسكتنا .

### ﴿ سماع المازف ﴾

قد شرحنا في الجزئين الأول والثاني من المجلد التاسع هذه المسألة فذكرنا أدلة مجوزي السماع وأدلة حظريه . وأقوى أدلة الحائرين حديث البخاري الذي أشار إليه السائل . إذ لم يصح في الباب سواء . بل قال ابن حزم : لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما فيه موضوع . وبيننا أجوبة المجوزين عن هذا الحديث ( فمنها ) انه منقطع الإسناد فيما بن البخاري ( ومنها ) ان في اسناده صدقة ابن خالد وقد قال فيه يحيى بن معين انه ليس بشيء ، والامام احمد انه ليس بمستقيم ( ومنها ) انه مضطرب المتن والسند بما بيناه هنالك ( ومنها ) ان كلمة المازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود . ( ومنها ) ان انظة يستحلون ليست نصا في التحريم فقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي لها معنيين أحدهما ان المعنى : بمتقدون ان ذلك حلال . والثاني ان يكون مجازا عن الاسترسال والاكثر من ذلك ( ومنها ) ان انظة المازف مختلف في مدلولها والاختلاف يوجب الاحتمال المسقط للاستدلال ( ومنها ) ان المازف المتصوص عليها فيه هي ما كانت مقترنة بشرب الخمر كما استفاد من بعض روايات الحديث ( ومنها ) ان المراد بالحديث يستحلون مجموع ما ذكر فيه لا كل واحد منها . وحينئذ يستنون المازف بدليل كون الدف والفناء منها جمعا بين الأدلة ، إذ ثبت في الاحاديث المتفق عليها سماع النبي ( ص ) واجازته لهما . واذا أراد السائل ان يقف على تفصيل هذه الوجوه والاجوبة عنها وماخص ما قاله المجوزون والمحرمون في المسألة فليرجع الى المجلد التاسع من المنار .

والذي ظهر لي من مجموع ما ورد في هذا الباب ومن كلام العلماء المختلفين في المسألة ان سماع الفناء وآلات اللهو ليست محرمة لذاتها مطلقا ، ولكن الاكثر منها مكروه ولو لم تبعت على معصية ، فاذا كانت مقترنة بالفسق كما يقع كثيرا حرمت لشد الذريعة . ولما كثر اللهو والفسق من المفتونين بالمازف وصارت أعينهم كلها غرامية خلافا لما كان عليه الناس في القرون الاولى وصارت بذلك من دواعي السكر والعشق المؤدي للفسق . اكثر علماء الدين من ذمها والتنفير منها والحزم بتجريمها - كما حرموا

ابدها المرأة لما ظهر من زينتها وكشف وجهها وكفيتها خوف الفتنة ، حتى ننموا  
النساء الصلاة في المساجد . وقالوا مثل ذلك في الاصرار الجليل الصورة . وحديث  
البخاري أي المسئول عنه اخبار بالتيب عن حال هؤلاء الفساق ، فلم يبعد عن القوم من  
قال انه في تقييح حال هؤلاء الفساق في جملة أفعالهم . فرواية البخاري « ليكون  
من امتي قوم يستحلون الحر (١) والحرير والحمر والمعازف » ورواية بعض السنن  
« ليشرن ناس من امتي الحمر يسمونها بغير اسمها يزف على رءوسهم بالمعازف  
والمغنيات » وفي لفظ « روح عليهم القيان وتمدو بالمعازف » فالحديث مروى بالمعنى ولذلك  
اختلفت ألفاظه . ولا شك ان ما يؤخذ من تعدد الفاظه يدل على استباح النبي (ص)  
لمجموع فعل هؤلاء الفساق ، ومنه عزف المغنيات لهم على شربهم وفسقهم . فهو مثل  
حديث « صنفان من اهل النار لم ارهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون  
بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات عيالات ، على رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ،  
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربهن ، وان رجحها لوجود من مسبرة كذا وكذا » رواه  
احمد ومسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة . قلنا الرجال الذين يضربون الناس  
بسياط كأذناب البقر فهم اعوان الحكام الذين ابتدعوا السياط التي تسمى الكرايبج  
وحاربوا يهذبون الناس بها . واما النساء الموصوفات بما ذكر فهن مشاهدات في  
زماننا . ولم يفهم المراد من وصفهن بما ذكر كثير من العلماء قبل وجودهن . وانت ترى  
من وصفهن انهن يضمن على رءوسهن شيئاً مرتفعاً شبه سنم البخت من الابل . وهذا  
يحد ذاته مباح بالاجماع ، ولكنه مع سائر تلك المنومات يمثل حال طائفة من الفواسق  
الوافي اللواتي يضلن كثيراً من الناس

### ﴿ تعليم النساء الكتابة ﴾

لم يصح في النهي عن تعليم النساء الكتابة شيء . وليس كل ما يرويه الحاكم  
صحيحاً بل صحح في مستدركا على الصحيحين أحاديث جزموا بان بعضها ضعيف  
وبعضها موضوع . ومنها هذا الحديث الذي يشير اليه السائل « لا تسكنوهن الغرف  
ولا تعلموهن الكتابة » رواه في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن  
عائشة ، وهو كذاب كما قال ابو حاتم ، متروك كما قال نسائي ، تنكر الحديث كما قال  
الدارقطني . وقال الحافظ بن حجر في الاطراف بعد ذكر صحيح الحاكم : بل عبد  
(١) الحر بالسكر الفرج والمراد الزنا ، وفي لفظ الحر عيسيف . وهو نوع من الديباج  
وهذا من الاضطراب في متن الحديث

الوهاب متروك، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامي عن شبيب بن اسحق ، و ابراهيم رماه ابن حبان بالوضع . وان حبان هو الذي روى حديثه هذا في كتاب الضعفاء ، وقال الدارقطني فيه : كذاب . واخرج ابن حبان في الضعفاء أيضاً عن ابن عباس صرفوعا « لا تعلموا نساءكم الكتابة » وفي سنده جعفر بن نصر وهو منهم بالكذب كما قال الذهبي . وهذه الروايات الواهية او الموضوعية معارضة بروايات صحيحة في مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حديث الشفاء التي علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة ، وقال لها النبي (ص) مرة مازحا « الا تعلمين هذه رقعة السملة كما علمتها الكتابة » رواه احمد وابو داود بسند رجاله رجال الصحيح ، الا ابراهيم بن مهدي البغدادي المصعب وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائي والحاكم وصححه ، وغيرهم . وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفاء يدل على جواز تعليم وتعلم النساء الكتابة ، وفي الأدب المفرد للبخاري ان عائشة بنت طلحة كانت في حجر عائشة أم المؤمنين تكتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونها لمكانها من أم المؤمنين فتأمرها أم المؤمنين بأن تحببهم على كتبهم وتسيرهم على هداياهم . وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكتابات المملات بالحديث والأدب والفقهاء . وهن يدخلن في عموم خطاب الشرع في جميع احكامه الا ما خصص . ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الايية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص في كتاب الله تعالى

### حديث جابر في اول الخلق


تجدون الكلام على هذا الحديث وما في معناه من كون نبينا (ص) كان نبياً وأدم بين الماء والطين وغيره في ص ٨٦٥-٨٦٩ من مجلد المنار الثامن . ولا عبرة بكلام مثل الشيخ عبد المنز جويش في انكار حديث ولا في اثباته فانه ليس من علم الحديث في شيء ، وهو جريء على القول في الدين بالهوى والرأي حتى انه انكر بعض احاديث الصحاحين بغير علم ، فهو ينكر ما لا يوافق عقله ورأيه

### ذكر المفتي للدليل

ليتكم ذكرتم في السؤال عبارتنا التي استنبطتم السؤال منها فانا لا تذكر مسألة الشرطية ولا تذكرها ، وانما نذكر اننا كتبنا مرارا انه ينبغي للمعلم والمفتي في الدين أن يبين للناس نصوص الكتاب والسنة في المسائل ايمر فواصل دينهم ، ومن ان أخذ الحكم الذي لغتوه أو افتوا به . وهذا هو الواجب الذي أخذ على اهل الكتاب المهدي أن يبينوه

للناس ولا يكتموه ، فاذا تمسروا أو تمذروا على بعضهم فهم الآية أو الحديث بمد يانه بقدر الاستطاعة خرج المفتي من تهمة الكتمان . واما المسائل التي لا نص فيها بينها ويتعذر على السائل فهم مأخذها ، كبعض مسائل المواثيق التي بدخلها العول مثلا ، فلا بأس ببيان الحكم فيها بدون ذكر مأخذها . واما تعويد الناس اخذ مسائل الدين بدون وصلها بأصلها من الكتاب والسنة فهو قطع لحبل الله ورسوله بين المؤمنين ، وهو الذي فتح للباطنية وغيرهم من المضامين ، باب اضلال المسلمين . اذ صارت العامة تقبل كل ما يقال لها انه من الدين . - فهنا سبب ما رأيناه وسميناه اشتراطاً ، ولولا ضيق الوقت لراجعنا ما تشيرون اليه من مظانه واجبتنا عنه بعينه ، والخطب سهل ان شاء الله تعالى .

## باب الانتقاد على المنار

قد عباد في المنار ، والمناظرات بين دعاة النصرانية وعلماء الاسلام  ارسل اليها طاهر افندي التتير من بيروت بذتين في الرد على دعاة النصرانية الذين فتح لهم الدستور باب الجرأة على توزيع رسائل الطعن في الاسلام في سورية حتى قاربوا ان يجهروا فيها كما يجهرون في مصر ، وقد رأينا في كل من التبتين عدودا في التعبير حذفاً ونقحنا وتصرفنا في العبارة محذوف بعض المعاني الشرعية التي تؤثر تأثيراً رديئاً بلا فائدة . وقد ظهر لنا بعد ذلك انه بقي في الكلام ما ينتقد على الكاتب ، وكذا على الناشر ، لانه يؤلم القارئ من النصارى ، اذ كاشفنا بعض اصدقاتنا السوريين بما انتقدوه ، وقالوا ان مثل هذا لا يعهد من المنار ، فهو يرد على المبشرين من سنين طويلة ولم ينتقد عليه كلمة واحدة تعد جارحة أو بعيدة عن الأدب ، ثم انه قد عرف بأنه داعية وفاق ومودة ، فلا ينبغي له ان ينشر ان لا يراعون مشربه هذا ما يتأف به . فرأينا ان نكتب كلمات في هذا الموضوع تزيل اللبس ، وتكون هي القول الفصل ، وهي :

(١) انا محمد الله تعالى ان جعلنا من دعاة الوفاق والمودة ، ومن محبي الأدب والزاهة ، وانه ليسوعنا وبخزنا ان تقع في سهو او غلط ينافي ذلك وبما رخصه ، واذا عثرنا سارع الى التوبة والندم ، وتلافي ما يمكن تلافيه بما تحمله الطاقة ، وتناوله الاستطاعة .

(٢) ان المنار لا يشترك فيه النصارى كما يشترك المسلمون في عقدهم الدينية . - دع السياسية التي تسمى عامة . - فلا يوجد في مشركيه عشرة نفر من النصارى ، لأجل هذا لا نخطر في بالنا عند كتابة كل شيء او نشره ان نراعى فيه موقفة من نفوسهم ، وتأثيره فيهم وديهم ، والادب مطلوب عندنا لذاته . وانما نطلع عليه عند قليل من اهل العلم والادب كاعجاب الصحف التي يادها المنار ، وهؤلاء من الامهرار اعجاب الصبور

الواسعة ، فاذا هم استنكروا شيئا لا يذيعونه في جمهور قومهم ، ونتيجة هذا أن ما ينشره المنار لا تأثير له في عامة النصارى حتى يقال ان المجلات كالجرائد يجب ان يراعى فيها شعور جميع الملل التي تقيم في الوطن التي تصدر فيه او تنطق باللغة التي تكتب بها . فهو اذا من كتب الاسلام الدينية ، فلا وجه لمطالبتنا بأن يراعى شعورهم فيه ، ولا لدعوى ان ما ينشر مخالفا لعقائدهم او ردا عليها يوجب التفرقة والعداوة .

(٣) إن دعاة النصرانية هم المعتدون على المسلمين بالظلم في دينهم بما ينشرون من الكتب والرسائل والصحف ، وبما يعتقدون من الجاهل لدعوة المسلمين الى دينهم وفي مدارسهم ومستشفياتهم ، فصار من الواجب علينا شرعا أن ندافع عن ديننا ، ونفرد عوامنا عن قبول دعوتهم . فالفرق بيننا وبينهم انهم مهاجمون ونحن مدافعون ، وانهم يكتبون مطاعنهم لينشروها في المسلمين ، كما يشنون مطاعنهم القولية فيهم ، ونحن لا ننشر مطاعنا بين النصارى ولا نشافهم بها ، ولا يكاد يطلع عليها الا عدد قليل من محبي الوقوف على الشؤون العامة . فمن ينتقد ما نكتبه بدعوى انه يوجب العداوة والتفرقة بين عامة الفريقين مخطيء ، وانما يكون مصيبا اذا قال ذلك فيما يكتبه اهل ملته ودينه ، لانهم ينشرونه بين المسلمين فينفروهم من النصارى ، ولا يغفل عن هذا او يتعاطل عنه الا الغالي في التعصب .

(٤) قال بعض اصحابنا إن الطاعنين في الاسلام من النصارى كلهم من الاجانب كالا مريكانيين والانكليز لا من ابناء وطننا ، فلا ينبغي ان نسيء الى ابناء وطننا بردنا عليهم . وتقول (اولا) أن هذا القول غير صحيح ، فكتاب (الضلالة) المسمى بضد اسمه تأليف رجل من متعصي القبط وهو افقر هذه الكتب وأقلها أدبا في الطعن في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اجاث المجتهدين مؤلفه سوري ، بل اقول ان اكثر تلك الكتب والرسائل والصحف الطاعنة في الاسلام يكتبها اجراء المبشرين من الوطنيين او يترجمونها اذ لا يكاد يوجد في أولئك الاجانب من يحسن الكتابة العربية ، وانما ينشرها الاجانب لان لديهم أموالا كثيرة مرصدة لذلك من اهل بلادهم الذين يقول لنا ابناء وطننا انهم هم البراء من التعصب الديني دون اهل الشرق . ولأن لهم من الامتيازات والنفوذ السياسي ما يحتملهم من سلطة الحكومة . ونحن نرى جمهور الوطنيين من ذنب أولئك الاجراء ولا نعدده مانعا من الاتفاق بيننا وبينهم (وثانيا) اذا فرضنا ان هذا العدوان من الاجانب خاصة ، فهل من العدل ان يطالبنا نصارى بلادنا بأن لا نورد عليهم ، ولا نحذر عوامنا ونحول بينهم وبين افسادهم لعقائدهم ، لان دفاعنا عن ديننا يجرح عواظهم الدينية ؟ أليس مستهيا التعصب والسعي للعداوة والتفرقة ان تطالب ابن وطنا بان يترك الدفاع عن دينه ، وتعلم اهله ما يصونهم عن الارتداد عنه ، أو عن فساد العقيدة الذي قلما تنتج دعوة المبشرين

غيره، وأن يرضى أن يكذب قرآنه ويشتم رسوله، إكراماً لخاطرك، ومراعاة لعواطفك؟

(٥) ان القاعدة الصحيحة المعقولة للاتفاق هي قاعدة المنار الذهبية التي دعا إليها المختلفين في المذاهب والاجناس من المسلمين، والمختلفين في الأديان والاجناس من العثمانيين . وهي « تتعاون على ما نشترك فيه . ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه » وقد شرحناها غير مرة ولكن كثيراً من الناس لا يحبون الوفاق ، ومنهم اعوان المبشرين من الوطنيين ، وبعض الكتاب والصحافيين ، كالشيخ يوسف الخازن من نصارى السوريين، الذي وضع قاعدة للخلاف، ضد القاعدة التي وضعها للوفاق ، وصرح بها في ملأ من أدباء نصارى السوريين كنت اكلهم في وجوب السعي الى الوفاق والوحدة . فسخر من هذه الدعوة ، وقال : اذا كان الخلاف بين مسلم ونصراني فانا مع النصراني على المسلم كيفما كان - أي في الحق والباطل ، واذا كان بين كاثوليكي وغير كاثوليكي فانا مع الكاثوليكي مطلقاً ، واذا كان بين كاثوليكي ماروني وكاثوليكي غير ماروني فانا مع الماروني مطلقاً قال وكل الناس كذلك . فمثل هذا لا يذر المسلمين في كلمة يخالفون فيها النصارى ولا بقولهم ولو في كتبهم ومخفهم الخاصة بهم اننا على الحق والطاعن في ديننا على الباطل . ولذلك اقام النكير على المنار مرة لانه ذكر اسم المبشرين في سياق الكلام على ما افند بلادنا من سعي فساق الافرنج كواخير البغاء وحانات الخمر ويوت القمار . ونحن نرى المبشرين اشد افساداً في بلادنا من غيرهم لان صاحب الحانة يحمل المسلم او يساعده على مخالفة الاسلام في امر واحد وهو السكر ، والمبشر يحمله على ترك دينه كله ، وزد على ذلك ان المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين انفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو اساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق . فمثل الشيخ يوسف الخازن من متعصي النصارى السوريين ، وبعض اصحاب الجرائد من متعصي القبط ، اشد سعياً في التفريق بين المسلمين والنصارى من المبشرين الاجانب ، لانهم يحثون عن كلمة يقولها مسلم في الدفاع عن دينه فيجد دونها عن سبها والحامل عليها من الأعداء ويزفونها الى قومهم في صورة مشوهة وإضافات باطلة . وما بلغ المكروه الا من نقل

(٤) ان مجالنا في الرد على النصارى اشد من مجالهم لاننا نؤمن بنبيهم المسيح ونعظمه ونعظم حواريه ، ونعد الطعن فيه كفراً وردة عن الاسلام ( لان فرق بين احد من رسله ) وهم يطعنون بلا قيد ولا حد . فغاية ما يمكن ان يكتبه المسلم هو النقل من كتبهم الدينية او كتب احرار الاوربيين بشرط اظهار البراءة من كل مالا يليق بكرامة المسيح او غيره من انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، والتصريح بأن نقل ما ذكر من باب ( ناقل الكفر ليس بكافر ) وانا لا احب لنفسى سلوك هذه الطريقة . وهي التي اضطر اليها بعض من كتب في المنار ، وكتابة التنبيه من

هذا الباب، واني حبا في النزاهة والادب، وكراهة للشعريات في المناظرة والجدل، عملا بقوله تعالى ( ولا تجادلوا اهل الكتاب الاباتي هي احسن ) قد تمحنتها ، فاذا كان قد بقي فيها كلمة شاذة ككلمة الثالث الزنائي في سياق قصة ولادة سليمان عليه السلام ، فانما ذلك من السهو الذي يظهر بما نبين من سببه ، وهو ان الكاتب جعل عنوان مقاله ( الثالث الزنائي المقدس ) وصدر الكلام في كل قصة من القصص الثلاث التي نقلها من التوراة بقوله ( الاقنوم الاول من الثالث الزنائي المقدس ) الخ وكان يخطئها بمثل هذه الكلمة ، ويكررها في أثناء العبارة ، فرجنا ( شطبنا ) كل هذه الكلمات لان فيها امتها نال اصطلاحات محترمة ، وغرضنا من تحذير عوام المسلمين من الاستجابة للمبشرين لا يتوقف على ذلك ، ولا هو مما يرضاه آدابنا ، وجعلنا مكان كلمة الاقنوم كلمة الجد ، وحذفنا لفظ الثالث من العناوين ومن تضاعف الكلام ، واتفق اننا لم نقرأ تلك الاوراق في وقت واحد لكثرة الشواغل وضيق وقتنا عنها ، ولذلك جعلنا في القصة الثالثة لفظ ( الشاهد ) بدل ( الجد ) وبقي في آخرها كلمة « الثالث الزنائي » على اني اذكر جيدا اني حذفته هذه العبارة التي كانت في العنوان الاول وتكررت في الكلام . فلا أدري اكان ترميجه ( شطبها ) غير ظاهر فجمعت حروفها ، ام كنت قد نسيتها لاني قرأت تلك الورقة التي هي فيها وحدها . ولهذا قلت فيها الشاهد الثالث بدل الجد الثالث . وقد ظهر بهذا الذي شرحته ان هذه الكلمة قد بقيت في المقالة كالعضو الأخرى . وان اللام فيها لام العهد الذكري . اي الثالث الذي تقدم ذكره . واني لما ذكرت لي ما صدقت حتى راجعت ورأيته بعيني . وقد امتعضت امتعاضا شديدا ظهر علي وسئلت عن سببه . فان من خلقي وغيري أن انألم مما يقع مني مخالفا لمشربي ورأيي ، ولو سهوا او نسيانا . ولا أبالي بما ينتقده الناس اذا كنت اعتقد انه حق و صواب وغير خارج عن حدود الآداب . ومثل هذا الغلط والسهو يقع كثيرا وفي هذا الجزء من المنار غلط في آية من القرآن غفلنا عنها . لاجل هذا قلت لمن نهني ولغيره : اني أحب ان أتلافى هذا الخطأ بما يرضى المتألمين ، منه وادع لاهل الانصاف من النصارى اقتراح ما يرونه ويرضونه من اعتذار او انتقاد لما كتب ، او حذف الكراسة من المنار وطبع كراسة بدلها خالية من كل كلمة جارحة . وانما اقبل في هذا قول المعتدلين البراء من التعصب كاسكندر بك عمون وسامي افندي الجريديني من فضلاء المحامين السوريين . على ان هذه الكتابة يصح ان تمد ترصية للمنصفين ودليلا على اننا لم ننشر تلك العبارة عمدا . واما المتعصبون فلا يرضيهم منا الاخر وجنا من ديننا . فلا زالوا ساخطين وقد سموا مع بعض المبشرين من قبل لاقتناع الوكالة البريطانية بالغاء المنار ومنع اصداره ظنا منهم بان الجوى يخلو لهم ولغيرهم من اعداء الاسلام فلا تجرأ احد على الرد عليهم .

(٧) ان سبب نشر هذه المقالة والمعنى الذي أردنا ان يفهمه المسلمون منها هو ان



إيماننا بالمسيح والانبياء اصبح من إيمان المبشرين، وتكررنا لهم خير من تكريرهم، فهم قد جمعوا فيما قالوه في المسيح عليه السلام بين الضدين فأطروه حتى أخذوه ربا وإلهاء، وتقلوا في نسبه لأمه وأبيه الناهوسي (لا الحقيقي) انه من نسل سليمان بن داود من سبط يهوذا وقد ثبت في العهد العتيق عندهم (لا عندنا) ان بعض أجداده في هذا النسب (الذي سردده متى ولوقا في انجيليهما) من اولاد الزنا . وثبت عن مقدسهم بولس أنه صار لعنة لأجلهم . ونحن المسلمين نقول انه عليه السلام اهل لكل كرامة وفضيلة ، وانه من روح الله وآية منه، ولكن ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله . وتقول انه ظاهر من نسب طاهر، فنحن ننقل ما نقلنا عن العهدين العتيق والجديد مما لا يسعهم إنكاره، لاقامة الحججة عليهم، وإعلاما لعامة اهل ديننا باننا لسنا في حاجة الى من يدعونا الى الايمان به عليه السلام، بل نحن أحق بأن ندعوا هؤلاء الدعاة الى تبرئته من اللعنة ومن دنس النسب، كما نبرئ سائر الانبياء عليهم السلام مما لا يليق بهم، ونحشو التراب في فم من يزعم اننا نقول كلمة فيهم نشعر بنقصهم . قال ابو بصيري رحمه الله في لاميته

وأبيك ما أعطى يهوذا خاتما لونا بمحصنة ولا منديلا

لوتوا بغير الحق السنة بما قالوه في ليا وفي راحيلا

ودعوا سليمان النبي بكافر واستهونوا افكا عليه مقولا

﴿ ٨ - صنوة الكلام وفصل الخطاب ﴾

ان المسلمين مدافعون لامعتدون، وهذا الدفاع فرض ديني عليهم، والمنار الذي يرد عليهم يوزع على المسلمين أيضا ليحذرهم من الارتداد عن دينهم أو يحول دون شكهم فيه ، والمثركون فيه من غير المسلمين يعدون على اصابع اليد ، فإيكتبون يثير سخيم الرأي العام الاسلامي ، ولذلك طفق المسلمون يؤلفون الجمعيات في مصر لمقاومتهم وما يكتبه المسلمون على كونه دفاعا لا يكاد يشعر العالم النصراني لانه يوزع على المسلمين دونهم ، الا اذا بحث عنه بعض المتعصبين من اصحاب الصحف او غيرهم . والمعلول يدوم بدوام عذبه . فنحن لا نترك الرد عليهم ما داموا يدعونا الى دينهم قولا وكتابة ويتعرضون في خطبهم وكتبتهم وصحفهم لدينا، فان تركوا تركنا ، واذا استمروا استمروا ، ونازما الادب في العبارات بقدر فهمنا واجتهادنا، فمن كان ساعيا في منع ذلك باخلاص وحب للوفاق فليبدأ باسكات المبشرين عن ذكر كتابنا وديننا واصول ديننا وفروعه ، ويبقى لهم مجال واسع في الدعوة الى دينهم بذكر محاسنه وما عندهم من الدلائل عايه ، ومن لم يرضه منا الا ان نسكت لهم عن الطعن في ديننا والتفكير عنه والتحرير انصوصه فلا زال ساخطا غاضبا حاقداً - الى ما شاء من لوازم تعصبه . ولعل سوء تأثير هؤلاء المبشرين سيضطّر الحكومة والمحتامين الى وضع حد لهذا الامر إما بقانون أو بغير قانون، ولا نظن أن الانكليز يجبروننا على السكوت ويدعونهم يبعون كما يريدون

فصل<sup>٥</sup>

فيثبتذ يطامع منه على ( المشهد الثاني عشر )

وهو مشهد الذل والانكسار ، والخضوع والافتقار للرب جل جلاله ، فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما الى ربه ووليه ، ومن يده صلاحه وفلاحه ، وهده وسعادته ، وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها ، وانما تدرك بالحصول ، فيحصل فيه كسرة خاصة لا يشبهها شيء ، بحيث يرى نفسه كالاناء المروض تحت الارجل الذي لاشيء فيه ، ولا به ولا منه ، ولا فيه منفعة ، ولا يرغب في مثله ، وانه لا يصلح للانتفاع الا بجبر جديد من صانعه وقيومه ، فيثبتذ يستكثر في هذا المشهد ما من ربه اليه من الخير ، ويرى انه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا ، فأبي خير ناله من الله استكثره على نفسه ، وعلم أن قدره دونه ، وأن رحمة ربه اقتضت ذكره به وسياقته اليه ، واستقل ما من نفسه من الطاعات لر به ، ورآها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما يذفي لر به عليه ، واستكثر قليل معاصيه وذنوبه ، فان الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله ، فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور ! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه ! وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه ! وذرة من هذا ونفس منه أحب الى الله من طاعات أمثال الجبال من المدتين المعجيين بأعمالهم وعالومهم وأحوالهم وأحب القلوب الى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة ، وملكته هذه الذلة ، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه اليه حياء وخجلا من الله . قيل لبعض المارفين : أيسجد القلب ؟ قال : نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها الى يوم اللقاء . فهذا سجود القلب ، فقلب لا تبشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه . واذا سجد القلب لله هذه السجدة العظيمة سجدت معه جميع الجوارح ، وغنا الوجه حينئذ للحق القيوم ، وخشم الصوت والجوارح كلها ، وذل العبد وخضم واستكان ، ووضع خده على عتبة العبودية ،

(\*) تابع لما نشر في ص ١١٣ من المجلد السابع عشر

ناظرا بقلبه الى ربه ووليه نظر الذليل الى العزيز الرحيم ، فلا يرى الا متملقا لربه خاضعا له ، ذليلا مستعظما له ، يسأله عطفه ورحمته ، فهو يترضى ربه كما يترضى المحب الكامل المحبة محبوبه المالك له ، الذي لاغنى له عنه ، ولا بد له منه ، فليس له هم غير استرضائه واستعطافه ، لانه لا حياة له ولا فلاح الا في قر به ورضاه عنه ، ومحبه له ، يقول : كيف أغضب من حياتي في رضاه ؟ وكيف أعدل عن معادتي وفلاحي وفوزي في قر به ووجهه وذكره ؟

وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يذوه بأطيب الطعام والمشرب واللباس ، ويربيه أحسن التربية ، ويرقيه في درجات الكمال أتم ترقية ، وهو القيم بمصالحه كلها ، فبشبهه أبوه في حاجة له فخرج عليه في طريقه عدو فأمره وكتبه وشده وثاقا ، ثم ذهب به الى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب ، وعامله بضد ما يكون أبوه يعامله به ، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه اليه الفينة بعد الفينة ، فيهبج من قلبه لواعج الحشرات كلما رأى حاله ، وتذكر ما كانت عليه ، وكل ما كان فيه . فبينما هو في أمر عدوه يسومه سوء العذاب ، ويريد نحره في آخر الأمر ، إذ حانت منه التفاتة الى نحو ديار أبيه ، قرأى أباه منه قريبا ، فسعى اليه ، وألقى نفسه عليه بين يديه ، يستغيث يا أبتاه يا أبتاه يا أبتاه ! أنظر الى ولدك وما هو فيه ، ودموعه تسبق على خديه قد اعتنقه والتزمه ، وعدوه في طلبه ، حتى وقف على رأسه وهو ملتزم لوالده ممسك له . فبيل تقول ان والده يسلمه مع هذه الحال الى عدوه ويخلي بينه وبينه ؟ فما الظن بمن هو أرحم بعبدته من الوالد بولده ، ومن الوالدة بولدها ؟ إذ قر اليه ، وهرب من عدوه اليه ، وألقى نفسه طريحا ببابه ، مرغ خده في ثرى أعتابه ، با كيا بين يديه يقول : يارب ! يارب ! ارحم من لا واهم له سواك ، ولا ناصر له سواك ، ولا مؤوي له سواك ، ولا مغيث له سواك ، مسكينك وفقيرك وسائلك ومؤمئلك ومرجيك ، لا ملجأ له ولا منجأ له منك الا اليك ، أنت معاذه ، وبك ملاذه

يامن ألوذ به فيما أومله      ومن أعود به بما أحاذره  
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره      ولا يهبضون عظما أنت جابره

﴿ فصل ﴾

فاذا استبصر في هذا المشهد ، وتمكن من قلبه ، وباشره وذاق طعمه وحلاوته ، ترقى منه الى ( المشد الثالث عشر ) وهو الغاية التي شمر اليها السالكون ، واما القاصدون ، ولحظ اليها الماملون

وهو مشهد العبودية والمحبة والشوق الى لقائه والابتهاج به ، والفرح والسرور به ، فتشقرُّ به عينه ، ويسكن اليه قلبه ، وتطمئن اليه جوارحه ، ويستولي ذكره على لسان محبه وقلبه ، فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية ، وارادات التقرب اليه والى مرضاته ، مكان ارادة معاصيه ومساخطه ، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات ، مكان حركاتها بالمعاصي ، وقد امتلأ قلبه من محبته ، وطج لسانه بذكره وانقادت الجوارح لطاعته ، فان هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يعبر عنه .

ويحكى عن بعض العارفين قال : دخلت على الله من ابواب الطاعات كلها فما دخلت من باب الا رأيت عليه الزحام فلم أتمكن من الدخول ، حتى جئت باب الذل والافتقار فاذا هو اقرب باب اليه واوسع ، ولا مزاحم فيه ولا معوق ، فما هو الا ان وضعت قدمي في عتبة فاذا هو قد اخذ بيدي وأدخلني عليه . وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : من اراد السعادة الابدية ، فليارث عبية العبودية . وقال بعض العارفين : لا طريق اقرب الى الله من العبودية ، ولا حجاب اغلظ من الدعوى ، ولا ينفع مع الاعجاب والسكبر عمل واجتهاد ، ولا ينضم مع الذل والافتقار بطاعة ، يعني بعد فعل الفرائض .

واقصد ان هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله ، وترمي به على طريق المحبة ، فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق ، وان كانت طرق سائر الاعمال والطاعات تفتح للعباد ابوابا من محبة ، لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وزدراء النفس ، ورؤيتها بين الضعف والعجز واليأس والنقص والدم ، بحيث يشاهدها ضيقة وعجزا واهربا وذنبا وخطيئة ، نوع آخر وفتح آخر . والسالك بهذه الطريق غريب في الناس . هم في ود وهو في باد . وهي تسمى طريق الطير ، يسبق الغائم فيها على فراشه السعادة فيصبح وقد قطع الراكب ،

بيننا هو يحدثك واذا به قد سبق الطرف وفات السماء . فإله المستعان وهو خير  
 الغافرين . وهذا الذي حصل له من آثار محبة الله له وفرحه بتوبة عبده ، فانه  
 سبحانه يحب التوابين ويفرح بتوبتهم أعظم فرح واكمله ، فكالمالطالم العبد منه  
 سبحانه عليه قبل الذنب وفي حال موافقته وبعده ، وبره به وحده عنه واحسانه  
 اليه . هاجت من قلبه لواعج محبته والشوق الى لقاءه ، فان القلوب مجبولة على حب  
 من احسن اليها ، واي احسان أعظم من احسان من يارزقه السيد بالمعاصي ، وهو  
 يده نعمه ويماره بالطفه ، ويسبل عليه ستره ، ويحفظه من خطائات أعدائه  
 المترقبين له اذنى عنزة ينالون منه بها بنيتهم ، ويردهم عنه ويحول بينهم وبينه ،  
 وهو في ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه ، فالسما تستأذن ربه ان تهبه والارض  
 تستأذنه ان تخسف به ، والبحر يستأذنه ان يغرقه ، كما في مسند الإمام احمد عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم « ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يغرق ابن آدم ،  
 والملائكة تستأذنه ان تواجهه وتهلكه (١) والرب تعالى يقول : دعوا عبدي فأنا أعلم به  
 اذ أنشأته من الارض ، ان كان عبداً فشاأنكم به ، وان كان عبدي فتني الى عبدي ،  
 ومزني وجلالي ان أتاني ليلاً قبلته ، وأن أتاني نهاراً قبلته ، وان تقرب مني شبراً  
 تقربت منه ذراعاً ، وان تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، وان مشى الى هروا  
 اليه ، وان استغفرني غفرت له ، وان استغاني أقلته ، وان تاب الي تبت عليه . من  
 اعظم مني جوداً وكرماً وانا الجواد الكريم ؟ عبدي بيتوت ببارزوتي بالمظالم ،  
 وانا أكاؤهم في مضاجعهم ، وأعرسهم على فرشهم ، من اقبل الي تقيته من بعيد ،  
 ومن ترك لأجلي أعطيته فوق المزيد ، ومن تصرف بحولي وقوتي أنت له الخليل ،  
 ومن اراد مرادي ردت ما يريد . أهل ذكري أهل محبتي ، وأهل شكري أهل  
 زيادتي ، وأهل طاعني أهل كراتي ، وأهل مصيبي لا اقنطهم من رحمتي ، ان تابوا  
 الي فأنا حبيبتهم ، وان لم يتوبوا فأنا طيبيتهم ، أبتليهم بالمصائب ، لاظهرهم من المعائب »

(١) لعل المراد ان الانسان عرضة للهلاك في البر والبحر بمجهله وخطاياه ،

لولا عناية الله به وتسخيره هذه المخلوقات له . والكلام عن لسان الخال ، قد يكون

أنصح من لسان المقال

## ﴿ نموذج آخر من الكتاب ﴾

في بعض منازل السير الى الله تعالى

فما تقدم هو نظر الصوفية في المهيمية، واختلاف مشاهد اصناف الناس فيها بين من يعتبر ويندم ويزداد بمدى صلاحها، ومن يرى انه مجبور ومعذور بالقدر، ومن يرى انه مؤد لحق الطبيعة وظوائف الاعضاء الخ وذلك جاء كله في مباحث التوبة. واما هذا النموذج فهو من نظرم في سير السالكين الى الله تعالى أي الى معرفته العليا وما لهم من المنازل في طريقهم

## ﴿ فصل ﴾

ثم ينزل القلب منزل الاعتصام وهو نوعان: اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله. قال الله تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) وقال ( واعتصموا بالله هو مولاكم، فتم المولى ونعم النصير ) والاعتصام افعال من العصمة وهو التمسك بما يصحك ويمسك من المحذور والمخوف، فالعصمة الحية، والاعتصام الاحياء، ومنه سميت القلاع المواضع، لمنعها وحمايتها. ومدار السعادة الدنيوية والاخروية على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة الا لمن تمسك بهاتين العصمتين. فاما الاعتصام بحبله فانه يعصم من الضلالة، والاعتصام به يعصم من الهلكة، فان السائر الى الله كالسائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج الى هداية الطريق والسلامة فيها، فلا يصل الى مقصده الا بمد حصول هذين الأمرين له، فالدليل كفيل بعصمته من الضلالة، وان يهديه الى الطريق، والعدة والقوة والسلاح بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفتها، فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتباع الدليل، والاعتصام بالله يوجب له القوة والعدة والسلاح والمادة التي يستلزم بها في طريقه، ولهذا اختلف عبارات السلف في الاعتصام بحبل الله بمد اشارتهم كلهم الى هذا المعنى، فقال ابن عباس: تمسكوا بدين الله. وقال ابن مسعود: هو الجماعة. وقال: عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة، خير مما تحبون في الفرقة. وقال مجاهد وعطاء: بهد الله. وقال قتادة والسدي وكثير

من أهل التفسير : هو القرآن . قال ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان هذا القرآن هو جبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، وعصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه » وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن : هو جبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاعواء ، ولا يخالف به الأسن ، ولا يخفق عن كثرة الرد ، ولا تسبح منه الماء » وقال مقاتل : بامر الله وطاعته ، ولا تفرقوا كما تفرقت اليهود والنصارى . وفي الموداء من حديث مالك عن سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعصموا بحبل الله جميعا ، وان تناصحوا من ولاة الله امركم . ويسخط لكم قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه مسلم في الصحيح

قال صاحب المنازل : « الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبة لا أمره » ويريد بمراقبة الأمر انقيام بالطاعة لأجل ان الله أمر بها وأسبغ ، لا مجرد العادة أو لعلها باعثة سوى امثال الأمر ، كما قال طلق بن حبيب في التقوى : هي العين بطاعة الله على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وترك مضمية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله . وهذا هو الايمان والاحتمساب المشراية في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كقوله « من صام رمضان ايمانا واحتسابا - ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا - غفر له » فالصيام والقيام هو الطاعة ، والايمان مراقبة الأمر ( ١ ) واخلاص الباعث هو ان يكون الايمان الأمر ( ٢ ) لا شيء سواه . ولا احتساب رجاء ثواب الله ، فالاعتصام بحبل الله يعني من البدعة وآفات عين والله أعلم

(١) ضبط في نسختنا الأمر بصيغة اسم الفاعل . وفي نسخة أخرى الأمر بصيغة المصدر وهي الموافقة لقول صاحب المنازل والاسم ، فاخترناها (٢) لم يوضح لهذه في نسختنا علامة المد ، وفي نسخة الأمر ، والاصواب بالاختراء . أي ان هذه هي التي يجب ان تكون اسم فاعل معرف والأولى هي المصدر .

﴿ فصل ﴾

وأما الاعتصام به فهو التوكل عليه ، والامتناع به ، والاحتواء به ، وسؤاله ان يجي العبد وينعمه ويصمه ويدفع عنه ، فان ثمرة الاعتصام به هو الدفع عن العبد ، والله يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به كل سبب يقضي الى العطب ، ويحويه منه ، فيدفع عنه الشبهات والشهوات وكيد عدوه الظاهر والباطن ، وشر نفسه . ويدفع عنه موجب أسباب الشر بعد انعقادها ، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه ، فتفقد في حقه أسباب العطب فيدفع عنه موجباتها ومسبباتها ، ويدفع عنه قدره بقدره ، واراذه بإراذته ، ويمينه به منه .

فصل

وأما صاحب المنازل فقال ﴿ الاعتصام بالله الترقى عن كل موهوم ﴾ الموهوم عنده ما سوى الله تعالى . والترقى عنه الصمود من شهود نفسه وخره ، وعطائه ومنعه وتأثيره ، الى الله تعالى . وهذه إشارة الى الفناء ، ومراده الصمود عن شهود ما سوى الله الى الله . والكمال في ذلك الصمود عن ارادة ما سوى الله الى ارادته . والاتجاهي يفسره بالصمود عن وجود ما سواه الى وجوده ، بحيث لا يرى غيره وجودا البتة ، ويرى وجود كل موجود هو وجوده ، فلا وجود لغيره الا في الوهم الكاذب عنده .

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعانا

بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ﴾ يعني أن العامة اعتصموا بالخير الوارد عن الله استسلاما من غير منازعة ، بل ايمانا واستسلاما ، وانقادوا الى تعظيم الأمر والنهي والإذعان لها ، والتصديق بالوعد والوعيد ، وأسسوا معاملتهم على اليقين ، لاعلى الشك والتردد (١) وسلوك طريقة الاحتياط كما قال القائل :

زعم المنجم والعليب كلاهما لا تمش الأجساد قلت اليكما  
ان صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولني فالخسار عليكما

(١) وفي نسخة : لاعلى شك والترديد . ولعله وتردد



هذه طريق أهل الريب والشك ، يقومون بالأمر والنهي احتياطاً ، وهذه الطريق لا تنجي من عذاب الله ولا يحصل لصاحبها السعادة ولا توصله إلى المآمن .  
وأما الانصاف الذي أسسوا معاملتهم عليه ، فهو الانصاف في معاملتهم لله وخلقه . فأما الانصاف في معاملة الله ، فإن يعطي العبودية حقها ، وأن لا ينازع ربه صفات السموات التي لا تليق بالمبدول لا تنبغي له ، من العظمة والكبرياء والجلية .  
ومن انصافه له ان لا يشكر سواه على نعمه وينساه ، ولا يستعين بها على معاصيه ، ولا يحمد على رزقه غيره ، ولا يعبد سواه ، كما في الاثر الإلهي «أني والجن والانس في نبي عظيم : أخلقُ وُعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي» وفي أثر آخر «ابن آدم ما انصفني ، خيرني اليك نازل ، وشرك اليّ صاعد ، أتجيب اليك بالنعم ، وأنا عنك غني ، وتبخض اليّ بالمعاصي وأنت فقير اليّ ، ولا يزال الملك الكريم ، يعرج اليّ منك بعمل قبيح » وفي أثر آخر «يا ابن آدم ! ما من يوم جديد ، الا يأتيك من عندي رزق جديد ، وتأتي عنك الملائكة بعمل قبيح ، تأكل رزقي ونعصبي ، وتدعوني فاستجيب لك ، وتسألني فأعطيك ، وأنا أدعوك الى جنتي فتأبى ذلك ، وما هذا من الانصاف » وأما الانصاف في حق العبيد فإن يعاملهم بمثل ما يحب أن يعاملوه به . ولعمري الله هذا الذي ذكر أنه اعتصام العامة هو اعتصام خاصة الخاصة (١) في الحقيقة ، ولكن الشيخ ممن رفع له علم القناء فشر إليه ، فلا تأخذه فيه لومة لائم ، ولا يرى مقاما أجل منه .

### ﴿ فصل ﴾

قال ( واعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الارادة قبضاً ، واسبال الخلق عن الخلق بسطاً ، ورفض الملائق عزماً ، وهو التمسك بالمرودة الوثقى ) يريد انقطاع النفس عن اغراضها من هذه الوجوه الثلاثة ، فيصون إرادته ويقبضها عما سوى الله سبحانه ، وهذا شبيه بحال أبي يزيد فيما أخبر به عن نفسه لما قيل له : ما تريد؟ فقال : أريد أن لا أريد

(الثاني) إسبال الخُلُق على الخلق بسطا . وهذا حقيقة التصوف فإنه كما قال أبو بكر الكتاني : التصوف خُلُق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . فإن حسن الخُلُق وتزكية النفس بمكارم الأخلاق ، يدل على سعة قلب صاحبه ، وكرم نفسه وسعته . وفي هذا الوصف يكف الأذى ويحمل الأذى ، ويوجد الراحة ، ويدير خدع الأيسر لمن لطم الأيمن ، ويعطي رداءه لمن سلبه قميصه ، ويمشي مياحين مع من سخره ميلا (١) وهذا علامة انقطاعه عن حظوظ نفسه واغراضها .

وأما رفض الملائق عزما ، فهو العزم التام على رفض العلائق وتركها في ظاهره وباطنه ، والأصل هو قطع علائق الباطن ، فمتى قطعها لم تضره علائق الظاهر ، فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر ، ومتى كان في قلبك ضررك ولو لم يكن في يدك منه شيء . قيل للإمام أحمد : أياكون الرجل زاهدا ومعه الف دينار ؟ قال : نعم على شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت . ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال ، وقيل لسفيان الثوري : أياكون ذو المال زاهدا ؟ قال : نعم إن كان إذا زيد في ماله شكر ، وإن نقص شكر وصبر . وإنما يحدد قطع العلائق الظاهرة في موضعين : حيث يخاف منها ضررا في دينه ، أو حيث لا يكون فيها مصالحة واجبة ، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير

(١) قوله : وفي هذا الوصف الخ يريد به تزكية النفس ، وهو غير حسن الخلق فإن التزكية تهذيب فهي مبدأ ، وحسن الخلق غاية . وفي طور التزكية والتهذيب يحسن ما ذكره من العمل بوصايا الأنجيل ، كقوله : من لطمك على خدك الأيمن فأدره الأيسر . الخ ودين المسيح كله تهذيب للدين محمد عليهما السلام ، بل هما دين واحد جاء التقسم الأول منه تهديدا للثاني ، كما أخبر المسيح أصحابه بأنه لا يستطيع أن يقول لهم كل شيء ، ويشرحهم بأنه سيأتي بعده البارقليط الذي يقول كل شيء من حقائق الدين . وهو محمد (ص) بدليل أنه لم يجيء بعده في غيره ، وأنه هو الذي بين كل شيء . وفصل بين السائرين إلى الله تعالى بالتزكية والتهذيب وبين الواصلين إليه ، وبين فضيلتي العدل والاحسان وغير ذلك

كلايب على الصراط تمنه من العبور ، وهي كلابب الشهوات والشبهات ، ولا يضره ما تعلق به بعدها .

### ﴿ فصل ﴾

قال ( واعتصام خاصة الخاصة بالانصال ، وهو شهود الحق تفريدا ، بعد الامتحناء له تعظيما ، والاشتغال به قربا ) لما كان ذلك الاقطاع ، موصلا الى هنا الاتصال ، كان ذلك للمتوسطين ، وهذا عنده لأهل الوصول . ويعني بشهود الحق تفريدا ، أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا ولا شيء معه ، وذلك لفناء الشاهد في الشهود ، والحوالة في ذلك عند القوم على الكشف . وقد تقدم ان هذا ليس بكمال ، وان الكمال ان يفني بمراده عن مراد نفسه . واما فناؤه بشهوده عن شهود ماسواه ، فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدم .

وأما قواه بعد الاستحناء له تعظيما . فالشيخ قدس الله روحه لكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بلفظة الاستحناء التي هي استفمال من المحاذاة ، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه . بل قد واجبه وقابله بكليته وجميع اجزائه . ( ١ ) ومراده بذلك القرب وارتفاع الوسائط المانعة منه ، ولا ريب ان العبد يقرب من ربه ، والرب يقرب من عبده ، فاما قرب العبد فكقوله تعالى ( واسجد واقرب ) وقوله في الأثر الأسي « من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا » وكقوله « وما تقرب اليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » وفي الحديث الصحيح « أقرب

( ١ ) هذا التفسير للاستحناء لم نجده في معاجم اللغة كلسان العرب والقاموس ونسجه بل المعروف فيها ان معنى استحنى فلان فلانا ، طلب منه أن يلبسه حذاء . كاستعلمه وأستكسماه . واظن أن الاستحناء في كلام الهروي بالخاء المعجمة وهو الخضوع والانكسار لله تعالى . وانما تكلف المصنف له هذا التفسير لأنه وجد نسخ المنازل فذكره الاستحناء بالمهملة

ما يكون الرب من عبده في جوف الليل الأخير « وفي الحديث أيضا « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فقال « يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، ان الذي تدعون سميع قريب ، أقرب الى أحدكم من عنق راحلته » فعبر الشيخ عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا شرعيون عابديه وأوليائه الا به ، بالاستحذاء . وحقائقه موافاة العبد الى حضرته وقدامه وبين يديه ، عكس حال من نبذه وراء ظهره ، واعرض عنه ونأى بجانبه ، بمنزلة من ولى المطاع ظهره ، وهال بشقته عنه .

وهذا الأمر لا يدرك معناه الا بوجوده وثوقه ، وأحسن ما يعبر عنه بالعبارة النبوية المحمدية « وأقرب عبارات القوم انه التقريب برفع الوسائط التي يارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعظيم . فلذلك قال : الاستحذاء له تعظيما . ومن اراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم اسمه القريب ، مع امتلاء القلب بحبه ، وطبع اللسان بذكره . ومن هاهنا يؤخذ العبد الى الفناء الذي كان مشمرا اليه ، عاملا عليه ،

فان كان مشمرا الى الفناء المتوسط وهو الفناء عن شهود السوى ، لم يبق في قلبه شهود لغيره البتة ، بل تصححل الرسوم وتفتى الاشارات ، ويفنى من لم يكن ويقتى من لم يزل . وفي هذا المقام يجيب داعي الفناء طوعا وورغبة لا كرها ، لأن هذا المقام امتزج فيه الحب بالتعظيم مع القرب ، وهو منتهى سفر الطالبين لمقام الفناء وان كان هذا مشمرا للفناء العالي ، وهو الفناء ، عن ارادة السوى ، لم يبق في قلبه مراد بزاحم مراده الديني الشرعي النبوي اقرآني ، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب هو مراد العبد . وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح . وهو الاتحاد في المراد لا في المريد ولا في الارادة . فتدبر هذا الفرقان في هذا الموضع الذي طالما زلت فيه اقدام السالكين ، وضأت فيه افهام الواصلين . وفي هذا الباب (١) حقيقة يفنى من لم يكن ارادة وإيثارا ومحبة وتنظيما وخوفا

ورجاء وتوكلا ، ويتى من لم يزل . وفيه ترتفع الوسائط بين الرب والعبد حقيقة ، ويحصل (١) له الاستحذاء المذكور مقرونا بنهاية الحب وغاية التعظيم . وفي هذا للمقام بحبيب داعي الفناء في المحبة طوعا واختيارا لا كرها ، بل ينجذب اليه انجذاب قلب المحب وروحه الذي قد ملأت المحبة قلبه ، بحيث لم يبق فيه جزء فارغ منها ، الى محبوبه الذي هو اكمل محبوب واجله واحقه بالحب . وهذا الفناء اوجبه الحب الكامل المتميز بالتعظيم والجلال والقرب ، ونحو ما سوى مراد المحبوب من القاب ، بحيث لم يبق في القلب الا المحبوب ومراده . وهذا حقيقة الاعتصام به وبجبه والله المستعان .

واما قوله : والاشتغال به قريبا . أي يشغله قرب الحق عن كل ما سواه ، وهذا حقيقة القرب . ألا ترى ان القريب من الساطن جدا المقبل عليه المكلم له لا يشتغل بشيء سواه البتة ؟ فعلى قدر القرب من الله يكون اشتغال العبد به . والله اعلم .

### ﴿ فصل ﴾

ومن منازل اياك نهد واياك نستعين ( منزلة الفرار ) قال الله تعالى ( ففرروا الى الله ) وحقيقة الفرار الهرب من شيء الى شيء ، وهو نوعان : فرار السعداء وفرار الاشقياء . فرار السعداء الفرار الى الله عز وجل ، وفرار الاشقياء الفرار منه لا اليه . واما الفرار منه اليه ففرار اوليائه . قال ابن عباس في قوله تعالى ففرروا الى الله ففروا منه اليه ، واعملوا بطاعته . وقال سهل بن عبد الله : ففروا بما سوى الله الى الله . وقال آخرون : اهربوا من عذاب (٢) الله الى ثوابه بالابتن والطاعة .

وقال صاحب المنازل ( هو الهرب مما لم يكن الى من لم يزل ، وهو على ثلاث

درجات : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق الى السعة ثقة ورجاء ) يريد بما لم يكن « الخلق » وما لم يزل « الحق » وقوله : فرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا - الجهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومنتضاه ، فكلاهما جهل افة وعرفا وشرعا

وحقيقة . قال موسى ( أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ) لما قال له قومه ( أتخذنا هزوا ) أي المستهزئين ( ١ ) وقال يوسف الصديق ( وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ) أي من مرتكبي ما حرمت عليهم . وقال تعالى ( إنما التوبة على الله للذين يهملون سوء بجهالة ) قال قتادة : أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل ما عصى الله به فهو جهالة . وقال غيره : أجمع الصحابة ان كل من عصى الله فهو جاهل . وقال الشاعر

ألا لا يجهان احد علينا فنجعل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، اما لانه لم ينتفع به فنزل منزلة الجهل ، واما لجهله بسوء ما ينبغي عواقب فعله . فالفرار المذكور هو الفرار من الجهلين - من الجهل بالعلم الى تحصيله اعتقادا ومعرفة وبصيرة ، ومن جهل العمل الى السعي النافع والعمل الصالح قصدا وسعيا .

قوله « ومن الكسل الى التشمير جدا وعزما » أي يفر من اجابة داعي الكسل الى داعي العمل والتشمير ، بالجد والاجتهاد . والجد هو هاهنا صدق العمل واخلاصه من : وائب الفتور ووعود التسوية والنهاون ، وهو تحت السين وسوف وعسى ولعل . فهي اضرسية على الابد . وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات . والفرق بين الجد والعزم ان العزم صدق الارادة واستجماعها ، والجد صدق العمل وبذل الجهد فيه . وقد أمر الله سبحانه وتعالى بتلقي أوامره بالعزم والجد فقال ( خذوا ما آتيناكم بقوة ) وقال ( وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتذكيرا لكل شيء فخذها بقوة ) وقال ( يا يحيى خذ الكتاب بقوة ) أي بجد واجتهاد وعزم ، لا كمن يأخذ ما أمر به بتردد وفتور .

وقوله « ومن الضيق الى السمة ثقة ورجاء » يريد هروب العبد من ضيق صدره بالهموم والنوم والاحزان والخاوف التي تهترية في هذه الدار من جهة نفسه ، وما هو خارج عن نفسه مما يتعلق باسباب مصالحة ومصالح من يتعلق به ، وما يتعلق بماله وبدنه وأهله وعرضه ، - يهرب من ضيق صدره بذلك كله الى سمة نضاء الثقة

بأنه تبارك وتعالى ، وصدق التوكل عليه وحسن الرجاء لجبل صنعه به ، وتوقع المرجو من لطفه وبره . ومن أحسن كلام العامة قولهم : لا هم مع الله . قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل مضيق ويخرجنا من كل ضيقة على الناس . وقال أبو العالمة : مخرجا من كل شدة . وهذا جامم لشدائد الدنيا والآخرة ومضايق الدنيا والآخرة . فان الله يجعل للمتقي من كل مضيق على الناس واشتد عليهم في الدنيا والآخرة مخرجا . وقال الحسن : مخرجا مما ناه عنه ، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافي من يتق به في نوائبه ومهمات . يكفيه كل ما أهمه . والحسب الكافي « حسبنا الله » كافينا الله . وكما كان العبد حسن الظن بالله حسن الرجاء له صادق التوكل عليه ، فن الله لا يخيب أهله فيه ألبتة . فانه سبحانه لا يخيب أهل أمل ، ولا يضيع عمل عامل . وعبر عن الثقة وحسن الظن بالسمعة ، فانه لا أشرح للصدر ولا أوسع له بعد الايمان من ثقته بالله ورجائه له وحسن ظنه به

### ﴿ فصل ﴾

قال (و فرار الخاصة من الخبر الى الشهود ، ومن الرسوم الى الاصول ، ومن الحفظ الى التمهيد) يعني انهم لا يرضون ان يكون ايمانهم عن مجرد خبر حتى يترقوا منه الى مشاهدة الخبر عنه ، فيطلبون الترقى من علم اليقين بالخبر الى عين اليقين بالشهود ، كما طلب ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه ذلك من ربه إذ قال (رب أرني كيف نبئي الموتى) ، قال : أولم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي) فطلب ابراهيم ان يكون اليقين عيانا ، والمعالم مشاهدا . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالشك في قوله « نحن احق بالشك من ابراهيم » حيث قال « رب أرني كيف نبئي الموتى » وهو صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ابراهيم حاشاها من ذلك . وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة . هذا احد الأقوال في الحديث . وفيه قول ثان انه على وجه النفي ، أي لم يشك ابراهيم حيث قال ما قال ، ولم تشك نحن . وهذا القول صحيح أيضا . أي لو كان ما طلبه للشك لسكننا نحن احق به

منه ، لكن لا يطلب ما طلب شكاً ، وإنما طلبه طمأنينة .

فالمراتب ثلاث : علم يقين يحصل عن الخبر ، ثم تجلي (١) حقيقة الخبر عنه للقلب أو البصر حتى يصير العلم به عين يقين ، ثم يباشره ويلابسه فيصير حق يقين ، فعلنا بالجنة والنار الآن علم يقين ، فإذا أزلت الجنة المتيقن في الموقف ، وبُرتت الجحيم للفاوتين ، وشاهدوها عياناً ، كان ذلك عين يقين ، كما قال تعالى ( لترون الجحيم \* ثم اترونها عين اليقين ) فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فذلك حق اليقين . وسنزيد ذلك ايضاحاً ان شاء الله تعالى إذا انتهينا اليه .

وأما قوله « ومن الرسوم الى الاصول » يريد بالرسوم ظواهر العلم والعمل ، وبالاصول حقائق الايمان ومعاملات القلوب وأذواق الايمان ووارداته ، فيفر من إحكام العلم والعمل الى خشوع السر للعرفان ، فان أرباب العزائم في السير لا يقنعون برسوم الاعمال وظواهرها ، ولا يستدون الا بأرواحها وحقائقها ، وما يثبته لهم التعرف الإلهي وهو نصيبهم من الامر . والتعرف الإلهي لا يقتضي مفارقة الامر كما يظن قطاع الطريق وزنادقة الصوفية ، بل يستخرج منهم حقائق الامر واسرار العبودية وروح المعاملة ، فحظهم من الامر حظ العالم بمراد المتكلم من كلامه تصريحاً وإيماءً وتبليهاً وإشارة ، وحظ غيرهم منه حظ التالي لمحافظة بلا فهم ولا معرفة لمراده ، وهؤلاء احوج شيء الى الأمر لانهم لم يصلوا الى تلك التعرفات والحقائق الا به ، فالمحافظة عليه لهم علماً ومعرفة وعملاً وحالاً ضرورية لا عوض لهم عنه البتة .

وهذا القدر هو الذي فات الزنادقة وقطاع الطريق من المنتسبين الى طريقة القوم ، فانهم لما علموا أن حقائق هذه الاوامر هي المطلوبة ارواحاً ، لا صورها واشباحها ورسومها ، قالوا : نجمع همماً على مقاصدها وحقائقها ، ولا حاجة لنا الى رسومها وظواهرها ، بل الاشتغال برسومها اشتغال عن الغاية بالوسيلة ، وعن المطلوب لذاته بالمطلوب لغيره . وغرهم ما رأوا فيه الواقفين مع رسوم الاعمال وظواهرها دون مراعاة حقائقها ومقاصدها وارواحها ، فرأوا نفوسهم أشرف من نفوس أولئك وهمهم اعلى ، وانهم المشتغلون باللب وأولئك بالقتل ، فتركب من تعبير هؤلاء

(١) لعلها تجلي بتائين ، وفي نسخة أخرى « تجلي » بناء ونون



## ٢٠٨ عبادة القلب والجوارح. الفرار من الحظوظ الى التجريد (المنارج ٣٣ م ١٧)

وعدوان هؤلاء تعطيل جملة الامر - هؤلاء عطلوا سره ومقصوده وحقيقته ، وهؤلاء عطلوا رسمه وصورته ، فظنوا انهم يصلون الى حقيقة ، من غير رسمه وظاهره ، فلم يصلوا الا الى الكفر والزندقة ، وجحدوا ما علم بالضرورة بحجج الرسل ( ١ ) به . فهؤلاء كفار زنادقة منافقون ، وأولئك مقصرون غير كاملين . والقائمون بهذا وهذا هم الذين يرون أن الامر متوجه الى قلوبهم قبل جوارحهم ، وان على القلب عبودية في الامر كما على الجوارح ، وان تعطيل عبودية القلب بمنزلة تعطيل عبودية الجوارح وان كمال العبودية قيام كل من الملك وجنوده (٢) بعبوديته ، فهؤلاء خواص اهل الايمان ، واهل العلم والعرفان .

### ﴿ فصل ﴾

قوله « ومن الحظوظ الى التجريد » يريد الفرار من حظوظ النفوس على اختلاف مراتبها ، فانه لا يعرفها الا المتهنون بمعرفة الله ومراده وحقه على عبده ، ومعرفة نفوسهم وأعمالهم وآفاتهما . ورب مطالب عالية لغوم من العباد هي حظوظ تقوم آخريين يستغفرون الله منها ويفرون اليه منها ، يرونها حائلة بينهم وبين مطلوبهم . وبالجملة فالحظ ماسوي مراد الله الديني منك كأننا ما كان ، وهو ما يبرح حظ محرم الى مكروه الى مباح الى مستحب غيره احب الى الله منه ، ولا يميز هذا الا في مقام الرسوخ في العلم بالله وامره ، وبالنفس وصفاتها واحولها . فهناك يتبين له الحظوظ من الحفوق ، ويفر من الحظ الى التجريد . واكثر الناس لا يصاح لهم هذا لانهم انما يعبدون الله على الحظوظ وعلى مرادهم منه ، واما يجريد عبادته على مراده من عبده .

فذلك منزلة لم يعطا احد سوى نبي وصديق من البشر  
والزهدي زهدك فيها ليس زهدك في ما قد أيسح لنا في محكم السور  
والصدق صدقك في تجريدك كذا (م) الا خلاص تخليصها ان كنت ذا بصير  
كذا توكل ارباب البصائر في تجريد أعمالهم من ذلك الكدر  
كذلك توبتهم منها فهم ابداء في توبة او يصبروا داخل الحفر

(١) وفي نسخة الرسول (٢) يريد بالملك القلب ومجنوده الاعضاء

وبالجملة فصاحب هذا التجريد لا يتنسم من الله بأمر يسكن إليه دون الله ، ولا يفرح بما حصل له دون الله ، ولا يأسى على ما فاتته سوى الله ، ولا يستغني برتبة شريفة وان عظمت عنده او عند الناس ، فلا يستغني الا بالله ، ولا يفتقر الا الى الله ، ولا يفرح الا بموافقة لرضة الله ، ولا يحزن الا على ما فاتته من الله ، ولا يخاف الا من ستوطه من عين الله ، واحتجاب الله عنه ، فكلمه بالله ، وكلمه الله ، وكلمه مع الله ، وسببه دائما الى الله ، قد رقم له علم فشر إليه ، وتجرد له مطالبه بأمل عليه ، تناديه بالخطوطة : التي ! وهو يقول : انما أريد من اذا حصل لي حصل لي كل شيء ، واذا انتهى فأتني كل شيء ، فهو مع الله مجرد عن خلقه ، ومع خلقه مجرد عن نفسه ، ومع الامر مجرد عن خلقه - اعني الحظ المزامح للامر ، واما الحظ الممين على الامر ، فانه لا يحطه تناوله عن مرتبته ، ولا يسقطه من عين ربه .

وهذا ايضا موضع غلط فيه من غلط من الشيوخ فظنوا ان ارادة الحظ تقصر في الارادة ، والتحقق فيه ان الحظ نزعان : حظ يزاحم الامر ، وحظ يوزر الامر فينزهه . الاول هو المذموم والثاني محمود . وتناوله من تمام العبودية . فهذا اوز وهذا اوز .  
( النموذج بنية )

( المنارج ) : أرأيتم ايها البشرون الذين تدعوننا الى النصرانية هذه المعارف انالية في الايمان ، والملم بالله وتزاي الانسان ، وهذه التفضيية والكسالم في الاسلام ؟ - هذا النموذج نقطة من بحر كلام عاماتنا في منازل السالكين المعارفين . أرأيتم من ارتقى في الدين الى الذروة العليا يمكن اقناعه بأن النزول عنها الى الدرجات التي هي دونها ، خير له من البقاء على ارتقائه وكلمه فيها ؟ ارضى من هذا خلقه من الدين والايان ان يشغل خياله ولسانه باسم يسوع ، وصورة يسوع ، وتثيت يسوع ، وفداء يسوع ، الذي لا يعقل ؟ اما والله لو كان يسوع وتلاميذ يسوع وبوحننا الذي عمد يسوع ومسح رأسه ودعا له بالبركة ، ومعهم موسى واسرائيل وكل انبياء ابائنا احياء وجاءهم محمد ( عليهم الصلاة والسلام ) بهذا القرآن ما وسعهم الاتباته ، وقد كانوا كلهم على الحق والتوحيد الذي نسختموه بتثيت وفداء فاربعوا على ظلمكم ، وادعوا الى دينكم البراهمة واليهوديين وانا لهم الذين كاث لم نالوث كمالوثكم ، فأوائلك لا بعد ان ينتقلوا من نالوث الى نالوث . واما صاحب التوحيد الذي هو اكل واتي معارف البشر ، فلا يترك التوحيد الى ما هو دونه .

## الاسلام يقاوم نفوذ النصرانية\*

الاسلام في المستقبل سيكون نظير الدين الاسرائيلي يبايق نفسه على حاجات العصر الحديث ولا يدعم النصرانية نظليه وتسلبه ابتاهه

(مقدمة للمترجم)

ان نشوء الاسلام في المستقبل سيميد تاريخ الدين اليهودي الحديث بدرجة مشابهة، فالبشرون بالانجيل الذين لا يزالون يتوقفون انضمام كل الاديان الى النصرانية لا تحقق احلامهم فيها يتعلق بالاسلام، لان الدين الاسلامي سيعطل دينا قويا نشيطا نظير الدين اليهودي، ويطبق نفسه نظير الدين اليهودي على حاجات العصر المتغيرة

هذا هو رأي الدكتور ( كريستيان سنوك هرغرنج ) الهولندي الذي قضى ربع قرن يدرس القضايا الاسلامية وشريعة الاسلام وفلسفته

وما يقال عن هذا الاستاذ : انه اكثر من خيالي ونبي متعرض فهو اعلم علماء عصره في الاسلام - لانه لا يعرف تاريخ الاسلام وشريعته وفلسفته معرفة دقيقة فقط ، ولكنه قضى ربع قرن يدرس الاسلام من وجه علاقته بالمؤسسات الدينية والسياسية الاخرى

وقد اوسلته جامعة لندن في هولندا على سبيل المبادلة الى الولايات المتحدة للمرة الاولى ليلقي في امهات كلياتها العامة اربع محاضرات في تلخ درسه الاسلام ، وقد فصل في هذه المحاضرات زيارته لمكة ( مدينة الاسلام المقدسة ) فانه قضى ثمانية اشهر ضمن تلك المدينة المسورة وكان فيها عضوا من بطانة رجل مسلم ، فاتم هناك الفرائض الدينية التي كانت يقوم بها يوميا مائتا الف من حجاج مكة ، وتهد الجوامع هناك ، وسمع المحاضرات التي لم يكن يسمعها في الزمن الماضي غير المسلمين ، ولم من قصة رويت عن نصارى اضلوا الطريق ويهود مغامرير قتلوا في مكة لاثامهم بانهم تجرءوا على الدخول الى المدينة الاسلامية المقدسة ؟ واذا لم تصدق هذه الاخبار فقد ثبت ان كثيرين من غير المسلمين طردوا من المدينة باهانة ضد ما ظهر انهم غير مسلمين

(٥) التي الدكتور ( كريستيان سنوك هرغرنج ) الهولندي في امركة عاشره في حال المسلمة الدينية بالاحتجاجية وبه تتجاهلها فوجهها العربي ، بعد الهدى السورية التي توارى في ( نيويورك ) ووضعت لها هذا العنوان : - سفرها بقصة في منظر سيرة الدكتور - فتلخها عنها من تصحيح بعض الالفاظ لما فيها من الغير للمسلمين

ثم ان الدكتور هرغونج ليس يعرف اللغة العربية فقط بل انه قبل ذهابه الى مدينة الاسلام المقدسة قضى عدة سنين يدرس التاريخ الاسلامي ، وكانت معرفته هذه للاسلام وسيرة امتطاع بها ان يحافظ على تذكره مدة ثمانية اشهر قضاها في مكة ، وبلغ منه انه خدع الكلاب الشاردة التي تفرق المسلم عن غير المسلم لانها تعرفه بقوة الشم فتهاجمه وتفضح امره

وقد وضع الدكتور المذكور بعد اقامته في مكة فصلا فيها وفي تاريخها وحياتها العمومية الحاضرة يعتبر الكتابة الوحيدة التامة عن هذه المدينة الحمية وليس اهتمام هذا الدكتور بالاسلام اهتمام طالب علم فقط ، فقد قضى سبع عشرة سنة في الهند الشرقية الهولندية مستشارا لحكومة هولندا في المسائل المتعلقة بإدارة سكان الهند الشرقية الوطنيين ، واستطاع بدرسه الاسلام درسا عميقا واسعا ان يضم هولندا السياسة التي تجري عليها مستعمراتها الاسلامية التي تحتوي على نحو من خمسة وثلاثين مليوناً من تابع النبي محمد

ومن مضي سبع سنين عاد الدكتور الى هولندا ليكون استاذ اللغتين العربية والسلافية في جامعة (ليدن) فقبل هذه الوظيفة على شرط ان يبقى مستشارا عموميا للحكومة في المسائل الاسلامية

وزيادة على ذلك انه ساه في اكثر البلدان الاسلامية ، وكان في خلال ربع قرن مضى يراقب الحركات الدائمة على احداث تغيير ديني وسياسي في العالم الاسلامي كله ، ولذلك كانت صورته التي صور بها مسألة الاسلام الحاضرة ، والطريقة التي جرى عليها في تتبع نشوئه في المستقبل ، امرين خارجين عن األوف الذين يعتبرون ان الاسلام لا يزال برزوا في شكله الشرقي ، بل انه يرى ان الحواجز بين الشرق والغرب تهدم بالتدريج بعدما يؤدي الى امتزاجهما السريع في خلال سنين تأتي وقد التقى هذا الدكتور محاضرة بالأمس في جامعة كولومبيا في الاسلام هذا ما قاله فيها : —

### ﴿ محاضرة الدكتور هرغونج في الاسلام ﴾

ان المدينة الاسلامية كانت في خلال الف سنة مضت ترتفع الى الدرجة الحاضرة الراهية ، فمن مضي الف سنة اعتقد المسلمون ان احوالهم الدينية راضية تمام الرضى ، وكان المعتد الديني عندهم مسألة مفررة ، وكان السواد الاعظم من المسلمين

يقولون بعصمة الدين الاسلامي ويقبلون حقيقة الكشوفة بدون ريب، نظير اجماع النصارى على عصمة الكنيسة الكاثوليكية، وكانت للاسلام شرائع تتعلق بالحياة في كل اطوارها من شخصية وعمومية وفردية واجتماعية وعلى الجملة ان الاسلام كما قام على استقلال المسلمين السياسي، فقد كانوا في دائرتهم الخصوصية احرارا مستقايين اعتبروا العالم كله ملكا لهم، فالذي لم يكن لهم كان عليهم ان يفتحوه، وبذلك كان حكم السيف ممكنا اذا لم يكن محتلا، ولكن ثبتت استحالة في الالف سنة التي مضت. ففي خلال القرن الماضي تعرى الاسلام من استقلاله السياسي باعتداء الدول الاوروبية التدريجي عليه، وتبع عن ذلك ان الاسلام اضطر ان يعدل آراءه واعماله، وتؤكد للمسلمين انه يجب عليهم ان يحسبوا حسابا لما تفعله الامم الاخرى ويحصل عليه وقد نجمت عن هذه الحالة مسألتان - الاولى منهما هي: هل يستطيع الاسلام الذي يرشد حياة تابعيه وأفكارهم ان يجاري هذا التغير عند ما يفقد استقلاله السياسي الذي قام عليه؟

ان الذين درسوا القضايا الاسلامية استنتجوا ان القضايا الروحية، منصفة تمام الاتصال بالقضايا المادية في الدين الاسلامي، بحيث ان سقوط الاستقلال السياسي يستلزم سقوط الاسلام نفسه، ولكني لا أوافقهم على هذا القول  
اما المسألة الثانية فهي اهم من الاولى وهي: هل اذا كان الاسلام قادرا على احوال ذلك التغير - كما اعتقد انه قادر - يقدر ان يطبق نفسه على قضايا الحياة الحديثة بطريقة يستطيع بها تابعوه بان يكونوا في مقدمة الصفوف في ارتقاء العالم ومدنيته؟  
هاتان هما المسألتان مع كل القضايا الاخرى المتفرعة عنهما ما أريد البحث فيه على مسامع الامر بكيين رجاء ان اوقف القاريين على الانقلاب العظيم الجاري في العالم الشرقي وجاري هذا الانقلاب  
قتل محاولة تنصير المسلمين

والامر الجوهري في هذا الشأن هو الوجه المنظور فيه الى قضية مستقبل الاسلام، فاذا نظرتم اليها بعيني المرسل النصراني الديني فلا بد انكم تستنتجون انه لا يرجى شيء كثير من نشوء الاسلام، لان الاسلام قبل صيرورته كفوا يجب عليه ان يتخذ النصرانية اولاً. ولكن هذا هو اسوأ رأي يقول عليه، وأنا مسرور بقولي: انه ليس وأيا شاملا، فالمسلمون لا يقصدون ان ينصروا، وقد احتاطوا اعظم احتياط هذا الامر الذي ادركه كل المبشرين النصارى المتورين في الاراضي الاسلامية، ففي

الهند الشرقية الهولندية - حيث قضيت سبع عشرة سنة ملتصقا تمام الالتحاق بالمؤسسات الإسلامية - لا يقدر المرسل النصراني الذي ان يربح تأييد لدينه، نعم يوجد كثيرون من المدعوين مسلمين ولا سيما سكان د خاية البلاد الذين لم يتغافل اليهم دين من الإديان، وقد ابتعدوا خطوة واحدة عن حالتهم الوثنية الفطرية، ولم يمد يدهم بتصحيحهم، وفي بعض جهات جاوه حيث انتشرت الديانة الهندية سابقا لم يجد المرسلون النصراني صوبية في تنصير قبائل برمتها

ولكن الكثير دعاة النصراني الدينيين في البلاد الإسلامية المحضة - حيث الإسلام تقليد قديم لا دين يتدين به - يرون صعوبة كبرى في تنصير المسلمين، وقد تحولوا عن التبشير بالمسيح الى التهذيب والأعانة، وما داموا جارين على هذه الطريقة فالمسلمون مستعدون لقبول ما يقدمونه لهم

مثلا ان الذي تقدمه كلية روبرت الأمريكية في الاستانة يقبله كل مسلم. وقد كان للكلية المذكورة نضال كبير في نشر المعرفة والطرائق التي يعتبرها المسلمون منتهى التقدم. ولكن الكلية المشار اليها لم تحول مسلما واحدا عن معتقده وقد حدثت مؤخرا احد زملائي الفرنسيين الذي قضى عدة سنين في الجزائر ودار فقي بتصويب المسلمين في شالي افريقيا سألته عن العمل التبشيري الذي تقوم به الجماعات الكاثوليكية الدينية المتعددة فقال: انه عمل ناجح ولكن لا ذكر البتة للدين فيه.

هذا وان هولندا تحكم على خمسة وثلاثين مليوناً من المسلمين ولم تعد تشكر قط في هدايتهم وتنصيرهم. وكل ما ادركناه هو حاجتنا الى تبليغ هؤلاء الناس الذين وكالت أمورهم النيا بطيات الحوادث التاريخية. وادركنا ان افضل شيء لنوسمهم هو تطبيق دينهم الخاص وهؤسسانهم الخاصة على حاجات العصر الحاضر ولا اعتقد ابداً ان الدين الإسلامي يستطع امام النصرانية، لان اناسم، محتاط اشد الاحتياط تقاومة النفوذ النصراني، فهو يعرف النصرانية التي ليست عنده شيئاً جديداً غير مأوف، فقد عرف اصحابها وطريقتة اشوهاء هو يعتبرها ديناً فسد بالتدرج، واخيراً نسخة وحى النبي محمد خاتم الانبياء الموحى اليهم. وبالتالي انه يشبه النصرانية شيئاً منى، ويرى تبدينه بها خطوة الى الوراء. ومهما كان التبشيري يقع على الإسلام في ربع القرن الجاري او نصفه فانه لا يكون تغييراً يتناولون تبدين بالنصرانية، اذ لا تدعو الضرورة في الإسلام الى هذا الاصلاح

ولا يخفى ان كل من عاش في اراضي الاسلام لا ينكر انه حدث في النصف الاخير من القرن الماضي تغيير عظيم ، فقد اشادت حاجة المسلمين الى كل ما هو ضروري للاشتراك في الحياة الحديثة التي تمت دخول الغزاة الغربيين الى الشرق ، ولم يعد المسلمون المتورون اليوم يكتفون بالتربية الاسلامية القديمة ، فهم يطلبون اطباء حديثين وكيمياء حديثة ، واحداث شتى في علم الحياة ، وصاروا يطلبون دروساً اجتماعية في مدارسهم ، واللغات الحديثة والفن الحديث ، ولا يبالون من يقدم لهم هذه الاشياء اذا قدمت لهم في غير صيغة دينية

سواءً زمان كان فيه المسلم يعرف اخاه المسلم بالف طريقة مختلفة - كأخلاقه وطريقة مهنته ولباسه واكله ، ولكن كل هذه الميزات اخذت تزول بالتدريج ، بل ان الميزة الوحيدة التي كان بها المسلم يقدر ان يعرف اخاه في الدين سبيلها التهذيب والتسليم ببقية معروفة من العقيدة الدينية

وقد زالت عادات اسلامية قديمة كثيرة ، واصبح كثير منها آخذاً الآن بالزوال ، فزي الياضي الشائع الذي دخل من الغرب الى الشرق يجعل تأدية الصلوات الخمس الواجبة يوماً امراً مستحيلاً ، فلم يعد المسلم الشرقي يقدر اليوم ان يصلي خمس مرات في اليوم بين شروق الشمس وغروبها (١) وهو يضطر ان يشتغل ثلثي ساعات في اليوم - بل انه لا يقدر ان يحافظ على مركزه في الصناعة المنظمة التي يضطر الى مزاولتها بالتدريج ويصوم سجادة النهار في شهر رمضان

وقد كانت هذه الامور قديماً شرائع لا بد من العمل بها . اما الآن فانها تصير اشياء لا يقدر ان يمارسها غير حجاج مكة والائمة المصروفين ، بل حدث تراخ في كل شيء ، فقد ساد الاسلام في وقت من الاوقات ، وتناولت سيادته التجارة ايضا ، ولكن حفت به المشاكيل بالتدريج . نعم ان ضمان الحياة لا يزال عند المسلمين شكلاً من اشكال المقامرة ، ولكن الربا في استثمار المال صار ممكناً باعتباره قسماً من المقامرة الاصلية درجة تأثير الافكار الاوربية في المسلمين

تغلطت الافكار الاوربية في كل جهة من الاراضي الاسلامية ، ولكن لم يجد فيها العمور الاوربية مركزاً ولهذا انجراً على القول بان المسلمين سيستمرون على دينهم مهما أخذوا من التهذيب والمدنية الغربيين . ففي كل المدارس الاوربية الكبرى تجد كثيرين من الطلبة المسلمين ، وهم من فئة المتورين الذين بواسطتهم تحدث التغييرات

الاولى في الاسلام . وهؤلاء الشبان من اهل العلم في العالم، فقد درسوا العلوم الغربية  
بفروعها نظير خبرة طلبتنا الغربيين، وهم لا يقومون بكل الفرائض المطلوبة من المسلم  
الحقيقي ، لانهم مثانا في طرائق اللباس والماكل والمعيشة  
ولكن يجري عقولهم لا يزال اسلاميا ، فقد كان بين تلاميذي طلاب مسلمون، وعندما  
كنت اتناول مباحثهم التي يكتبونها كنت أرى فيها مظاهر فكر اسلامي في شكل  
مختلف كل الاختلاف عما يكتبه طلبتي الآخرون، بل كنت دائما أعرف الطالب المسلم  
من مباحثه .

ثم انك ترى موقف المسلمين المتورين تجاه شريعتهم وعتيقاتهم القديمة نفس  
موقف المتورين بين الاسرائيليين في العصر الحاضر، وكلما عشت بين المسلمين ازددت  
اعتقادا ان الاسلام سيجري في نشوئه على الطريقة التي سلكها الدين الاسرائيلي في  
تاريخه الحديث .

نعم انت الضغط الشديد الذي وقع على الدين الاسرائيلي لم يقع على الاسلام .  
تفريق الاسرائيليين بين اثم الارض اضطرهم الى ان يطبقوا حياتهم على شرائع  
غير شرائعهم، وكذلك اضطر المسلمون الى ان يتقنوا الطائفة الكبرى من شرائعهم  
المسيطر على حياة الفرد اليومية من جراء انتساع الاراضي التي احتلوها بالتصير، والخطاب  
المتعددة التي اضطرروا الى العمل بموجبها

#### الاسلام واليهودية

وبين الاسلام والدين الاسرائيلي تشابه عميق يزداد ظهورا في مخالطة المتورين  
الاسرائيليين والمسلمين، فالوحيد هو قاعدة الدينين، وليس الله سبحانه خدما في هذين  
الدينين الا مشترع يرى كل قسم من حياة الرجل يحتاج الى شريعتهم، ومن اجل ذلك  
صار درس الشريعة فيها عاملا مهما. ولكن الوجه الخيالي في الدينين المذكورين انحط  
اعتباطا عظيما، وأخذ يقتصر على القائم ضمن جدران المدارس، ولم يبق له علاقة  
قوية بحاجات الحياة الفعلية

وقد صار تفسير الشريعة في الدين الاسرائيلي متوقفا بالخاطمين، وما عدا بعض  
مراسم دينية خارجية ترى أكثر المتورين الاسرائيليين مكتفين بحفظ العقائد الاولى  
من دينهم، أما عامة القوم فانهم يضيفون اليها طائفة من الحرافات القديمة  
وترى الاسلام تاليا لوالدين الاسرائيليين. فخذ القرآن مثلا وانظر الى التفسير الذي  
حدث في خلال ثلاثة عشر قرنا مضت على تأسيس الاسلام، فالمسلم العربي الولد لا يقدر



ان يفهم آيات القرآن الا بعد درس طويل  
ولا يخفى أن أكثر المسلمين يعتبرون القرآن كتاباً مغلقاً، فقد كان في وقت من  
الأوقات قوة اصلاحية في العالم، وكان يقرأه كل مؤمن ورع، أما اليوم فان الائمة  
والعلمانيين يقرأونه بتجويد دون أن يتدبروا معناه، حتى أن الكلمات التي  
يجودونها حجة عليهم في اشياء يضمنونها كل يوم حتى خلال التجويد  
وسيقع أيضاً تغيير على الشرائع وانؤسسات الاسلامية فيعدل درسها بالتدريج  
عمل ممارستها بالرغم من التقليد المقدس الذي ينطق بان المعرفة بدون عمل لا فائدة  
منها. وزد على ذلك ان الناشئة الاسلامية المراهضة لا تريد أن تكذب ذهنها في درس  
الشريعة الاسلامية، كما هي تهاب رثانها بتجويد الآيات القرآنية، فان هذا الأمر  
سيقصر على فئة خاصة من المسلمين، كما هي الحال عند الاسرائيليين في الوقت الحاضر  
ولكن ترك العادات القديمة والاعتراف بعدم اتفاق الشريعة القديمة مع حاجات  
الحياة الحديثة لم يفهم منهما ان الاسرائيليين تركوا دينهم، وكذلك لا يفهم منهما ان  
الاسلام سينحط. نعم ان بين المسلمين المتتورين اليوم تعصباً قليلاً، ولكن في صدورهم  
ميلاً قوياً الى التسامح بدين آباءهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة. بل ان المسلمين  
المتتورين اليوم لم يودوا بذكر كون الجهاد، ولكنهم يفتنون الأنظار الى انهاء التساهل  
واتساع المعرفة التي تتناول في كل جهة من جهات العالم الاسلامي  
وهائنا أمر آخر هو أن المسلم المتتور يشعر نظير الاسرائيلي المتتور بالرابطة  
الروحية التي تربطه الى اخوته في الدين وهو لا يريد ان يقطع هذه الرابطة. نعم ان  
المراد الاعظم من المسلمين - ولا سيما حيث انفوذ الاوربي لا يزال خفيفاً - هم الآن حيث  
كانوا من هضي خمسين سنة. وكذلك توجد ثمة بين الاسرائيليين لا تزال تمارس  
شريعة لم تصدم بالحياة الحديثة بعد وقد كان تطبيق التقليد المقدس على حاجات المحيط  
التغير ظاهراً باجلى مظهره في الدين الاسرائيلي. ولكن انقشابه في نشوء الدين  
الاسرائيلي والاسلامي يجعل لواحد عن أن يتوقع للاسلام نفس ما وقع في  
الدين الاسرائيلي

ولا يمكن أن يتبع انحطاط تدريجي في الاسلام، لانه توجد بواعت خارجية تمنه،  
فالاسلام قوي ولم يضمف لاسباب في تقرر الماضي، وقتل فيه الانشعاقات الداخلية.  
وزد على ذلك أن الاسلام يربح أكثر من اتصراية تابعين له من الوثنيين. قلندي  
يصير مسلماً لا يطلب منه شيء كثير، اذ لا يوجد تقديس ولا طقس ديني ولا تعليم

طويل، فكل ما يطلب منه ان يعترف بالله أنه كلي القوة، ومن ثم يدرج الى تعلم الفرائض الاسلامية الدينية، وعندما يصير مسلماً يتغير مركزه الاجتماعي، ولكن اذا قصص فانه يبقى دون غيره، ويظل المرسل الديني غريباً ملماً متحجياً عنه الاسلام بمكة ويبلغ علم الخطيب به

ولكنني باظهارى لكم هذه الصورة عن الاسلام والحوادث التي تدير مجراه لا اقول انه لا يوجد فيه كثير من التنايلد القديمة التي لا تصدق. فتمى خلال الثمانية الاشهر التي قضيتها في مكة سكنت احسبني مقبلاً في مدينة في القرن اثني عشر او الثالث عشر. فهناك درست الشريعة الاسلامية بكل فروعها وكل اسرار الاسلام في الاشهر الثمانية التي كانت فيها المدينة غاصة بحجاجها البالغ عددهم مائتي الف ولا توجد تجارة في مكة غير نهب الحجاج فان سكانها الوطنيين يسلبونهم كل ما يكون معهم من مال بالبيع المنبون

ولا شيء ادل على البداوة القديمة من مكة، فهي تمثل الاسلام في المصور القديمة فلا بيوت هناك. اما وسائل النور والحرارة والماء التي اعتدناها في العصر الحاضر فهي هناك كما كانت في المصور المظلمة. ولكن الذي لم يذهب الى مكة ولا أقام في بيت اسلامي فيها ودرس في جوامعها لا يقدر ان يفهم الاسلام، او يجد صعوبة شديدة في معرفة نشوء بلاد اسلامية

وقد كثر التحدث حيناً بعد آخر عن مكة، أنها ستفتح العالم بالقوة، ولكنني لا ارى شيئاً يدل على ان انكثراً ستحاول فتح مكة، لانها اذا اقدمت على هذا الامر جلبت لنفسها اضطرابات كثيرة في الهند. ولذلك ستظل مكة عدة سنين مركز القليد الاسلامي وعلى الجملة اني اقول ان نشوء الاسلام في القرن الحاربي لا يكون شيئاً باعاً على الدهشة، بل سيكون طبقة للحركة الصوموية التي تقرب بين الامم والاديان، دون زوال الاحترام للتقاليد الأوروبية عن السلف، ولا بد للاسلام من الاتصال بالعالم الغربي وسيفعل ذلك، ولكن قصصه العظيم او النقطة التي يحتاج فيها اشد الاحتياج الى اتخاذ الافكار والمبادئ الاوربية هي موقفه تجاه نسائه، وقد اخذت تساهل في موقفه نحوهن تساهلاً بطيئاً تدريجياً، فالاسلام لا يمكن ان يرتقي ارتقاء حقيقياً الا اذا حرر نسائه الراسقات في سلاسل التقاليد القديمة التي لا تنطبق على روح العصر الحديثة، التي هي روح الترقى الحقيقي

( المنار ) : سنين رأينا في هذه المحاضرة في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

## اعتقاد الشيخية<sup>\*</sup>

على ما نقل من كلامهم في كتبهم المروفة الكاشفة عن اعتقادهم في مراتب اصول العقائد ( ففي مرتبة معرفة الذات ) قالوا « إن الذات ذاتان » ذات غيبية بطنية لا اسم لها ولا رسم لها ، ولا تسمى ولا توصف ، ولا تكليف على العباد بعرفتها وتوحيدها وعبادتها . وذات ظاهرة تسمى وتوصف ، وفي هذا القسم من الذات قالوا : ان المعرفة فرع ادراك المعروف ، والعبادة فرع ادراك المعبود ، فيجب أن يكون المعبود في صقع العارف والعابد ، حتى يعبد بجسمه جسم المعبود ، وبفسه نفس المعبود ، وبقله عقل المعبود ، وبثؤاده ثؤاد المعبود . فهناك ذات ظاهرة معرفتها تسمى بمعرفة البيان ، وهي المتعلقة بها المعرفة والعبادة ، وهي في مقام النبوة نبي ، وفي مقام الامامة إمام ، وفي مقام الركنية ركن رابع . ولذا قالوا : ان الخطاب في « إياك نعبد وإياك نستعين » الى النبي والامام

والركن الرابع صرح به الشيخ أحمد بن صفور المشهور بزین الدين وانرا الاحصائي في رسالته الخطابية المطبوعة في جوامعه ، والسيد كاظم الرشتي في شرح الخطبة ، والشيخ كرم خان في موارد من ارشاده المعروف المطبوع في عصره . وهذه المقالة دعيتهم الى مصاحبتهم لصور مشايخهم ، وجعلها في محال سجدتهم ، وقد اشتهروا بذلك بحيث لا يتمكنون من انكاره

( وفي مرتبة معرفة الصفات ) قالوا : ان الاسماء والصفات للذات الظاهرة التي والامام والركن الرابع وهي معرفتهم بالمعاني . وقالوا : ان الصفات كلها حادثة ، قاله العالم الأشرف بلم حادث ، وقادر بقدره حادثة ، وهكذا . وقالوا : ان الصفات متحدة في المفهوم كما هي متحدة في المصادق . وقالوا : نسبة الخاق والرزق اليه تعالى كفر . قال الخان السكرماني في ارشاده بالفارسية : پس هر كه بگوید ذات خداي تعالى خالق اشياء است باجماع مسلمانان از ضرورت دين بيرون رفته . وصرح بهام ذلك ابن صفور في شرح المرشدية ، والرسالة العلمية ، وشرح الزيارة ، والسيد الرشتي في شرح الخطبة ( وفي مرتبة معرفة الاسماء ) قالوا : ان الذات لا اسم لها ولا رسم لها ، ويقولون في

الذات لا اسم لها ولا رسم لها ، ويقولون في  
الذات لا اسم لها ولا رسم لها ، ويقولون في  
الذات لا اسم لها ولا رسم لها ، ويقولون في

قوله تعالى «ولله الاسماء الحسنى» يعني الربوبية الثانية في الذات الظاهرة قال سيدهم في شرح الخطبة: ان الربوبية لها ستة مقامات ( احدها ) رتبة الذات البحت التي لا اسم لها ولا رسم { الثانية } رتبة الذات الظاهرة التي هي مظهرة تلك الذات البحت ( والثالثة ) رتبة الذات في مقام يعبر عنها بهو ( والرابعة ) رتبة يعبر عنها بالله ( والخامسة ) رتبة يعبر عنها بسائر الاسماء ( والسادسة ) هي الرتبة الربوبية ، السارية في العبودية ، وخصها بشيخه وكثرها الخلف الكرمانى بغير حساب . قال في الارشاد : من نيكتم انخذائكم سابق من يستد باطل بوده بلكه ميكون او حق بوده وعبادتس درست بوده ولكن امروز چون شعور شما زياد شده بايد بدانيد كه ان خدا نبوده بلكه بنده بوده واينكه امروز ميكونم اين خدا است وبهد از اين شعورها زياد بشود مي سيد ايند كه اين خدا نيست بلكه بنده ايست از ايند كان خدا و خدا ديكر نيست .

وقال الشيخ أحمد في شرح الزيادة في تفسير الدعاء : أنت الله عماد السموات - يعني الحسن ابن علي - وقالوا أنت الله قوام الارضين - يعني الحسين بن علي - وقالوا : ان الضمائر له في القرآن من الغيبة والخطاب والتكلم راجعة الى النبي والامام والركن الرابع في مرتبة المعاني . وقال الشيخ أحمد : كما ان له الاسماء الحسنى كذلك له الاسماء السوءى ، لكن امرنا بدعوته بالحسنى دون السوءى . وقال ان معنى قولك « الله علم قادر بصير » الله الله الله . لا محادها في المفاهيم القوية كما محادها في المصداق الوجودي ( وفي مرتبة معرفة الافعال ) قالوا الافعل لله تعالى ، ولا انتسب اليه الفعل ، ولا يطاق على الذات اسم الخالق والفاعل وأمثالهما ، لانها يجب ان يكون مقارنة للفعل والذات لا يقارن شيئا . واستدلوا بقوله : ان الارادة لا تكون الا والمراد معها ، ولا يفهمون ان ممية المراد مع الارادة حادثة هي لامع المريد الذي هو القديم تعالى

( وفي مرتبة العدل ) قالوا لا خصوصية للعدل في حق معرفته من الاصول دون سائر الصفات . ولذلك جعلوا اصول دينهم أربعة { احدها } معرفة الله ( والثانية ) معرفة النبي ( والثالثة ) معرفة الامام ( والرابعة ) معرفة الركن . وعلمه في الارشاد الخان الكرمانى ( وفي معرفة النبوة ) قالوا المكل نوع من الوجودات في من نوعهم ، فله جماد نبي من الجمادات ، ولنبات هكذا ، والحيوان ايضا . وقالوا ان الصفات المقررة في انبياء بني آدم مقررة لها من كونها ظاهرة مطهرة ، عافية معلقة ، قابلة للوحي والاطعام ، معصومة فاضة على ما تحتها من امثاليها . وشاؤها من بعدها حادثة لشرائعها ونبيها ونبيها . شرح به الشيخ أحمد في جوابه ، والخان في ارشاده ، وزاد اشياء اخرى ،

فقال : ان محمدا نزل وتطور في كل مقام في صورة كل نوع فينبى فيها وينفها ، فانهم قد يظهرون في صور الجمادات والنباتات والحيوانات ، وصور بني آدم سيدهم وشقيهم . وبه قال الشيخ احمد في موارد من كتبه . منها ما ذكر في شرح الزيارة في تفسير « واجسادكم في الاجساد » وقال ان الائمة قد يظهرون في احسن صورة لا وليائهم ، وفي اوحش صورة لأعدائهم . ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله في قول طلحة : وقال في الاستشهاد لهذا الحديث : حيث ظهر امير المؤمنين ( ع ) في صورة قبيحة هي صورة مروان بن الحكم ورمى طلحة بسهم وقتله الاتفاق على ان طلحة قتل برمي مروان ، لكن طلحة لما بان الموت وكشف عنه غطاؤه رأى عليا ( ع ) في صورة مروان بن الحكم ، انتهى . وصرح به الخان في ارشاده . والعجب من هذه المقالة انه كيف عرف طلحة ورأى عليا في صورة مروان ، ولم يعرفه الحسن بن علي حيث قال في مجلس معاوية لمروان : أنت الذي وقفت بين الصفيين ورميت طلحة وقتلته؟؟

( وفي مرتبة الختمية ) قالوا ان للخاتم (ص) اسمين (يعني ظهورين) اسم سماوي وهو احمد ، واسم ارضي وهو محمد . وقد ظهر باسمه الارضي منذ بعث في رأس كل مائة لترويج ظاهر شريعته ، حتى مضت عليه وعلى شريعته ستة مائة ستة مائة فكانت اثني عشر مائة (١) وانتهت الدورة الاولى لترويج ظاهر الشريعة ، واتت الدورة الثانية لترويج باطن الشريعة . وانقضت دورة ظاهر الشريعة ، نظرت تلك الحقيقة الحمديية باسمها السماوي وهو احمد في الشيخ احمد لترويج باطن الشريعة . وهذه المقالة عين ما قاله السيد كاظم الرشتي في شرح قصيدة عبد الباقي ، المذكورة في عشرين ورقا (٢) من أواخر الكتاب . وللاخوان في هذا الميدان جولان ، حيث شبه الامان بالانسان . وقال انه كان نفاة في زمن آدم ( ع ) ثم صار علة في زمن نوح ( ع ) ومضغة في زمن ابراهيم ( ع ) وعظاما في زمن موسى ( ع ) ونفخ فيه الروح في زمن عيسى ( ع ) وتولد في زمن محمد (ص) فارتضع من ثدي ولاية الائمة ( ع ) ولما كان اوان فطامه غاب عنه المرتضعة (٣) فودعوه (٤) لدى المريات وهم الفقهاء ، وصار مراهما في زمن شيخنا ، فأخذناه من الاماء المريات لتعلمه الآداب والسنة . وجال في المقام ، واطال في الكلام ، وامب بذنبه والسبال ، حتى آل الحال الى مقالة

(١) المنار : الصواب في المنظومات مئة ست مئة فكانت اثني عشرة مئة (٢) الصواب ورقة

(٣) لم يبق غاب عنه المرتضعة اي بضية الامام الثاني عشر الوهمية (٤) يريد اودعوه من الودية

قرة العين القزوينية راقصة بالفتج والدلال، انكحت وزوجت قد فر من الميدان (?) وقال الخان ايضا في ارشاده : ان بعث الانبياء والرسل وانصب الحجج وانزال الكتب كلها لا يثبت الركن الرابع ، وهو بمنزلة اصل الكعبة في مسجد الامامة في حرم النبوة في عالم ارض التوحيد . فعلى الاسلام السلام بعد هذه المقالة وقالوا بكفر من انكر الركن الرابع ، وانهم ناصبين (?) وطهارتهم للتقية ، وايضا قال في اول المجلد الرابع من ارشاده ما هذا لفظه : من چگونه بدست قاصر و نفس ضعيف اين صعب و ابگردن اين خلق منكموس بگذارم كه هزار و ده سال است كه درجاتيت غيت گرفتارند . و تاريخ كتابه في ست وستين فيكون من اول ولادة الحججة داخل في الجاهلية الى ان بلغ قلعه موضعه من الكتاب . وقال كتابي هذا - يعني الارشاد - مطابق لما هو مسطور في اللوح المحفوظ حرفا بحرف ، والسواد مطابق للاصل . وقال قراءة كتابي هذا واجبة وقراءة القرآن مستحبة . وقال من قرأ خمسة اوراق من كتابي فكأنما قرأ التوراة والانجيل والزيور والفرقان ، وما انى به الانبياء من عند الله . ولا تقتصر عباداته عن عبادة السيد ميرزا على محمد ابن السيد رضا الشيرازي في بيانه النازل اليه من السماء بزعمهم : ان لو اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بحرف من حروف البيان اذا لا يأتون بحرف منه ابدا

( وفي مرتبة الوحي ) قالوا ان الوحي عبارة عن توجه خيال النبي (ص) الى نفسه ، ونفسه الى عقله ، وانزال عقله المعاني الى نفسه ، ونفسه الى خياله ، والعقل هو جبريل النازل عليه . صرح به الخان في ارشاده في المقصد الثالث في النبوة . وقال هناك ان النبي مهما كان متوجها الى مسألة علمية كان غائلا عن سائر المسائل ، فيتدرج له العلم شيئا بعد شيء في الدنيا والبرزخ . وقال كثيرا ما يسأل عن الائمة من الاحكام الشرعية (١) ولم يكن لهم جواب حتى يلقى اليهم من عقولهم ، فيقتصر زمان الايلقاء ويطول

فان قيل فكيف يرمون هؤلاء بالغو في حقهيم (ع) مع هذه المقالة ؟ يقال ان التناقض في كلماتهم غير معدود ولا محدود ، ويقولون بجواز اجتماع التقيضين لاسما في ذات الواجب ، ويستدلون بوجود ملك نصفه من النار ونصفه من الثلج . وهذا معروف منهم

{ وفي مرتبة المعصية } قالوا يجوز الكبائر والصفائر عليهم عمدا وسهوا قبل

(١) لعل الاصل او المراد: كثيرا ما يسأل الائمة عن الاحكام الشرعية .

البعثة وبعدها . صرح بالسهو شيخهم في ( جوامع الكلم ) وقال يقرب عنهم الملك المسدد . وقال الخان في الارشاد: پس اكر خداوند مصاحبت فاند در بقاء دين ان يغمبر كه از دنيا مي رود البته قائم مقامی از براي ان يغمبر قرار دهد كه اقلاد در حفظ شريعت معصوم بوده باشد اكر چه در جاهاي ديكر معصوم نباشد . وان كان في مبحث العصمة اثبتتها لهم وقد قسمها بعصمة عقلية ، وعصمة نفسية ووجودية ، وقسمها الشيخ في شرح الزيارة بعصمة ذاتية - وقال بها لنبينا والائمة - وعصمة عرفية - وقال بها في سائر الانبياء - ولا يفهم مراده . وقال الخان بعصمة الركن الرابع الذي يسميه امام الزمان حيث يقول في ارشاده غير مرة : پس امام غائب بكارمر در نيم خودر و مردم امام حي حاضر معصوم ميخواهند

(وفي مرتبة الازعان بالمعراج ) قالوا بما هو لفظ الشيخ في رسالته المسماة بالقطينية : قال انه تعالى لما اراد العروج القى في كل كرة ما منها فالقى ترابه في التراب ، وماءه في الماء ، وهواؤه في الهواء ، وناره في النار . وكل قبضة (؟) في تلك السماء ، ثم لما رجع اخذ من كل كرة ما القى فيها . وصرح عليه في جميع كتبه . ومن بيانه تشبيه المعراج باكل الغذاء وتحليله واخراج ثقله ، الى ان يحصل الروح البخاري في القلب ، ثم يصعد الى الدماغ ، وقد صمدها الخان في معراج الغذاء المأكول الى ان جعلها نفسا وعقلا وفؤادا

(وفي مرتبة الامامة ) قالوا ان امام الزمان غير الائمة الاثني عشر : ولا بد في كل زمان عن امام غيرهم ، وهذا صريح كلامهم . وقال الخان في ارشاده: پس جناحجه بخداي نادیده اکتفا نمیتوانید نمود با امام غائب هم اکتفا نمیتوانید نمود . وقال في موضع آخر: سار غائب چگونه تربيت شاگرد ميتواند نمود .

(وفي مرتبة الاماد) قالوا ان الجسد جسمان ، والجسد جسدان ، جسد عنصری دنيوي وهو مخلوق من عناصر هذه الدنيا التي تحت فلك القمر ، وهذه تفتي ويلحق كل شيء الى أصله ، ويمود اليه عود مما زجة واستهلاكه ، فيعود مأؤه الى الماء وهواؤه الى الهواء ، وناره الى النار ، وترابه الى التراب . ولا يرجع ولا يعود لانه كالثوب يلقي من الشخص . والثاني جسد أصلي من عناصر ( هورقايا ) وهو كامن في هذا المحسوس ، وهو مركب الروح ، فيقوم للحساب ، وهو الجسد الذي يتألم ويتنعم وهو الباقي ، وبه يدخل الجنة والنار . وقالوا : السؤال عن الروح والجسد الهورقاياي بسنون البرزخي . وقتلوا ان تسراط والميزان والوسيلة كلها مؤولة معنوية غير جسمانية

( وفي مرتبة تسكليف الناس في زمان الغيبة ) قالوا : لا بد في كل زمان من امام زمان غير الأئمة الاثني عشر ، ولهم في هذا المقام متناقضات شتى ، فتارة يهبرون بالشيعة ، وتارة بالنقباء والنجباء ، وتارة بالركن الرابع ، وتارة يفرقون بينهم . وجعلوا معرفة الركن الرابع اصلا من اصول الدين ، ونسبوا منكره الى الناصبية ، وتناقضوا في القول ، فقالوا : هذا الركن من الايمان كان مخفيا حتى أظهره الشيخ أحمد ثم السيد كاظم ثم كريم خان ، فمن لم يعرفهم ولم يفهم مات ميتة جاهلية ، وميتة كفر وتناق ، ثم تفرقت كلاماتهم من بعدهم على أشخاص كثيرين ففرقوا أيادي سبا ، كلما دخلت أمة لعنت أخرى ، الا ان اكثرهم اجتمعوا على محمد خان حسب ما وصى اليه ابوه ، وقالوا في صفات الركن الرابع ما لا يقصر عن صفات الرسل والائمة ، قال ورحيم خان اخو محمد خان في منظومته : قدرتشان قدرت يزدان بود . وقال لهم السلطنة على العالم والقدرة الالهية على التصرف فيما يشاؤون ، وأمثال ذلك .

ويقولون صريحا بوجود الباب للامام ، وان كانوا ينفونه على السيد ميرزا علي محمد الشيرازي ، فالنزاع في الموضوع دون الحكم ، ومحصل كلامهم ان التصديق في مراتب التوحيد لا يكمل الا بالتصديق بالنبوة ، والتصديق بالنبوة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها ، والتصديق بالامامة ومعرفة صاحبها لا يكمل الا بالتصديق بالركن الرابع ومعرفة ، فالعلة العائية من المعرفة في معرفة أصول الدين والعقائد معرفة الركن الأخير . على ان الدين والايمان مركب من اربعة اركان ، ولا يتم معرفة الاول الا بالثاني ، ولا يتم هو الا بالثالث ، ولا يتم هو الا بالرابع ، فمعرفة اصل ومعرفة المثلث الاول من باب المقدمة ، كما يفهم عن عبارات الخان في ارشاده . ولذا قالوا ان معرفة الركن الرابع ومحبه وموالاة من ضروريات الدين ، ومن انكرها انكر اصلا من اصوله ، وقد عبر الشيخ في كتبه عن هذا الاصل بالشيعة الخاص ، وبعض آخر منهم بالنائب الخاص في زمن الغيبة الكبرى ، في مقابلة الامامية من قولهم ان الاحكام الشرعية والحوادث الواقعة في زمن الغيبة الكبرى واجبة الى النائب العام ، وهو الفقيه الجامع للشرائط ، حتى آل الامر بالخان فمهر عنها بالركن الرابع ، وزاد في الظهور نعمات أخر لا فائدة في ذكرها والمعجب كل المعجب من الفتنة الحادثة بعده فان ابنه محمد رحيم خان قال بوحدة المناطق أي الركنية الشخصية ، وقال بان الركن الرابع للدين في كل عصر من الاعصار شخص واحد يجب لكل مكلف في ذلك العصر متابعتها في الاحكام الصادرة عنه ،



وارجاع أموره التكليفية إليه ، ومعرفة وموالاته ومحبه ، بناء على ان هذه المعرفة بهذه الصفة من ضروريات الدين . وخافه في هذه المقالة تلميذ الحان السيد ميرزا محمد باقر الهدائي . وقال بكثرة الناطق أي الركنية النوعية ، وقال ان الركن الرابع في كل عصر يمكن أن يكون متعددًا متمسكا بالتوقيع الصادر عن الامام القائم المنتظر {ع} وأما الحوادث الواقعة فارجعوا الى رواة احاديثنا ، وكون محل الرجوع رواية يدل على تعدد الركن لا التشخيص ، ولكل منهما كتب متعددة ممهدة لاثبات مدعاه . ولذا صارت الشيخية بمد الحان المهود طائفتين ، وبقي الامر كذلك الى زماننا هذا والاصهبانيون منهم من الطائفة الهدائية . وأما الطائفة الاولى أي تبعه الكرمانى (فهم) متفرقون في سائر البلاد والاعقاب منهم ساكنون في طهران وكرمان . وكلامهم متفقون في جواز التقليد من الميت ، والعمل بكل خبر ولو كان ضعيفا . ولذا يمدون من الاخباريين مع اعمالهم نبذة من قواعد أصول الفقه في مباني فتاويهم انتهى

### « المنار »

ما أفسد دين الشيخ أحمد الاحسائي وأصحابه وأثار في أدمغتهم هذه الخيالات الا التشبه بما أروه عن فرق الباطنية ، وما أروه من اقرار الناس لبعض زعماء الباطنية بالامامة وبعضهم بالألوهية ، وعلمهم بأن أهل زمانهم أجدر من المتقدمين بالتقليد ، للاعراض عن القرآن والسنة والجهل بهما وبلغتهما ولما كان قبل من التمهيد . والظاهر ان كلا من الاحسائي والرشدي والكرمانى كان بطمع أن يكون في شعبة العراق والفرص ، كامام بل إليه الاسماعيليه في الهند ، ولكن كان انتهى شوط أباطيلهم التمهيد للباب ثم للبهاء ، الذين كانوا دوتهم في الفلسفة والفصاحة والذكاء ، وما سبب رواج كفر الباطنية وشركهم المخترع - على اختلاف فرقهم من اسماعيلية ودروز ونصيرية وبكداشية وباية وبيهاية - الا الفلوق في تعظيم آل البيت ( وكذا غيرهم من العلماء والصلحين ) والتقليد في الدين فهذان السببان هما اللذان أعدا الأذهان ، لقبول هذا الكفر والظلمان ، وما كانت فرقة الشيعة الامامية أشد غلوا من سائر فرق المسلمين في تعظيم آل البيت جعلها واضعوا هذه الاضاليل مباحة لها ، وسداً لمقاصدهم منها .

## تقرير المطبوعات الجديدة\*)

### ﴿ نشوء فكرة الله ﴾

« كراسة تحتوي على خلاصة كتاب لجرانت ألين الكاتب الانكليزي المشهور عن نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان من الوثنية الى التوحيد الحاضر مع بيان اصول المسيحية ونشوتها »

لخص هذه الكراسة من ذلك الكتاب وطبعها وشرها (سلامه افندي موسى) وهو شاب قبطني الجنس مادي الاعتقاد، يعنى باقناع الناس بأن الأديان أوضاع مخترعة ينبغي لهم تركها والعمل بقواعد الانتخاب الطبيعي واصول الاشتراكية ومنها - على رأيه تبعا لبعض غلاة المادةية من الأفرنج - أن يجعل الأقوياء باعلاك الضعفاء، ومنعهم من الزواج ومن كل ما يطيل أيام حياتهم على الارض ، كما لجأ المرضى والصدقة على البائسين . وما نشر هذه الكراسة الا في سبيل مذهبه . وهذه الحملات التي يحملها الملاحدة على الدين تؤثر في النصرانية دون الاسلام ، لأن النصرانية الحاضرة وثنية متسلسلة من وثنية قدماء المصريين والهنود وغيرهم . وانا تنقل نصولا من هذه الرسالة بحروفها تثبت ما قلناه ، ثم نقب عليها بما نراه ، قال الكاتب :

### ﴿ ١ - المسيحية كقياس ديني ﴾

اذا اخذنا المسيحية كنموذج للاديان واعتبرنا نشوءها نجد ان كل ما فيها من العقائد والمراسم مأخوذ من الاديان السابقة لها التي كانت فاشية عند ظهورها . قاله المسيحية - المسيح - كان انسانا كما كانت كل الآلهة القديمة عند اول ظهورها . وقد اعتبره المسيحيون الاولون ابنا لآله (كذا) تربها له عن الانسانية كما فعل اليونانيون مع اسكندر المقدوني . ونجد في المسيحية ما يسمى ( بالثلوث الاقدس ) وهو عبارة عن ادماج ثلاثة آلهة وهم الآب والابن والروح القدس في إله واحد، على مثال ما كان يعتقد المصريون في اثلوث الالهة المسكون من اوزيريس وابسيس وهوريس . والمسيحيون يعتقدون ان أم المسيح عذراء . ولا بد ان هذا الاعتقاد قد تسلسل من

(\*) كتب تقرير هذا الجزء ما عدا الاول منها - شقية السيد صالح مخلص رضا

الاعتقاد المصري القديم الذي كان قائماً على اعتقاد البكارة في ايسيس ام هوريس . وكذلك ترى اذا بحثت عن الاصل في مراسم المسيحية كالصليب والقبر والكنيسة والهيكلي انها مأخوذة من الاديان المصرية القديمة . كما ان نظام القربان والسمنوت مأخوذة منها ايضاً .

### ( ١٥ - الضحية والدم )

قد رأينا فيما سبق ان للضحية باعثن الاول هو الاعتقاد بانها تقدم كطعام للروح او الاله . والثاني هو الاعتقاد بان الاله ذاته تجسد فيها وتدفن اجزاؤها في الحقول لكي تنمي الزروع .

الى هنا لم تتكلم عن اكل الناس الاحياء للضحية . فقد رأينا الضحية تجزأ وتدفن في الحقول باعتبار انها إله ورأينا القربان ايضاً يوضع للعت اعتباراً بأنه سيحجوع ويأكله . وسننكلم الآن عن اصل عادة اكل الناس للضحايا .

من الشائع بين عوام مصر ان من اكل قلب ذئب صار قوياً مثل الذئب ويتمتدون في الهند ان من يأكل نمراً يصير شجاعاً جريئاً كالنمر . لهذا نشأت عادة ذبح الالهة المتجسدة في الضحية ورد على خواطر المضحين ان يأكلوا هم ايضاً قطعة من جسم الاله حتى يصيروا مثله في صفاته ، على نحو ما يفعل آكل الذئب والنمر . فصاروا يضعون جزءاً من الضحية المؤهلة في الارض ويأكلون جزءاً آخر منها . وهذا صيد المصفورين بحجر واحد : مباركة الحقل وتقوية الجسم . كذا تفعل قبائل الغوند . وكذا ايضاً كان يفعل المكسيكيون . فانهم كانوا اذا ارادوا التضحية قبضوا على اسير من اسرى حروبهم وعاملوه معاملة الملوك مدة عام يقتلونه باحتفال عظيم في نهايته ويأكلونه . وبمضي الزمن ارتقى الانسان من التضحية البشرية الى التضحية الحيوانية الحاضرة في اعياده . وفي طريقة الذبح عند العرب والبرانيين الآن بقايا اترية من عوائد التضحية القديمة فانهم يذبحون الآن « باسم الله » ويتطلبون اراقه الدماء من المذبوح ، والدم هو في العادة الجزء الذي يشتهيه الاله لانه - بخلاف اللحم - يجف فيظن الرائي ان الاله قد شربه .

قلنا ان الانسان كان يشرب دم الذبيحة او يأكل لحمها اعتقاداً بأنه يأكل ويشرب من لحم الاله ودمه . وقد قلنا انه كان يعتقد بأن روح الضحية روح للاله نخل من الذبيحة عند الذبح وتنتشر في المحاصيل كالسكر و الفلّال .

من هنا نشأت عادة أخرى وهي أن يأكل المتدين خبزا أو يشرب نبيدا باعتقاد أنه يأكل من لحم الاله ودمه . لان روح الاله قد تجسدت في محاصيل الفلال والكروم . والخبز والخبز هو ما يأخذه المسيحي من قسيسه باعتقاد أنه يأكل ويشرب من لحم المسيح ودمه .

( ١٦ - ضحية الافتداء )

للضحية - كما قلنا - اعتباران عند المنوحشين (١) انها تقدم كطعام للروح أو للاله (٢) انها تقدم كأنها هي الاله ذاته

وهناك نوع ثالث من الضحايا يقدم باعتباره يفدي القبيلة أو الامة من خطاياها وقد صلب المسيح لكي يفدي الناس من خطاياهم أي لكي يكفر عن ذنوبهم والاصل في هذه الضحية هو الاعتقاد بإمكان نقل المرض من شخص الى شخص أو الى شيء آخر . مثال ذلك ان ملكا في ( بنشوانالاند ) أصيب مرة بمرض ما فأحضر ثورا وتليت عليه الرقيات وأغرق بمد ذلك في النهر . ومنطق هذا العمل عندهم ان المرض قد انتقل الى الثور وذهب معه بعيدا عن الملك ، ولا يزال عندنا نحن المصريين آثار باقية من هذا الاعتقاد في رقياتنا حيث نزيل الرقية المرض وتلقيه بعيدا عن المريض بالفائنا بعض اشياء كانت تحرقها في النار وقت الرقية

وقد نشأ من اعتقاد امكان نقل المرض اعتقاد امكان نقل الخطيئة . مثال ذلك ان بعض قبائل افريقيا يقتل كل سنة شخصين رجلا وامرأة - لكي يكفرا عن خطايا القبيلة . يعتقدون ان خطيئات القبيلة قد انتقلت الى هذين الشخصين وأنهم يقتلها يقبلون القبيلة من ادران خطاياها ، ويبررونها امام آلهتها ، كما كان يقتل الاثيون شخصا عند وفود وباء ما على بلدهم اعتقادا بأن الوباء يموت بموته ونجبي الامة منه ، وكما تذري الرقية قطعة الشب التي احرقتها في النار وقت الرقية اعتقادا بأنها حملت المرض معها وذهبت بعيدا عن المريض

( ١٧ - العالم قبل المسيح )

كان العالم الذي انتشرت فيه المسيحية تابعا للدولة الرومانية عند بدء انتشار هذه الديانة . وقد كانت هذه الدولة تشمل كل ممالك البحر المتوسط ، ودرجت الافة الرومانية على أسن التجار ففربت بين هذه الامم وصبغتهم بالصبغة الرومانية . وقد بعث التجارة على الم - اجرة والتزوج الى المواني فكانت الاسكندرية ورومية

وانطاكية (١) ملأى بالسوريين والرومانين والاسبانيين وغيرهم من الجاليات التي هجرت مواطنهم الاصلية واستعمرت هذه الموانئ الارترأقي . وقد أدى هذا الى انتشار الاديان في اصقاع الامبراطورية، وخروجها من مواطنها الاصلية، فكانت الآلهة المصرية تعبد في إنجلترا ورومية بسبب النزلاء المصريين كما كان يعبد الآلهة (يهود) في الاسكندرية وسريليا بواسطة اليهود . وقد كانت بعض هذه الآلهة تجرد في الصفات فيعبدها الناس وان كانت أجنبية عنهم الا انها تتفق في صفاتها مع احد آلهتهم . او كانت الظروف تقتضي عبادة الآلهة الغريبة كما حدث مع البطالسة ، فانهم حينما تولوا حكم مصر عبدوا الآلهة المصرية مع انهم كانوا يونانيين . وقيل ظهور المسيحية كانت الاديان الوثنية قد ضفت امام الفلاسفة وحصل بذلك اشتياق في النفوس للتوسيد اليهودي . ولو لم يكن (يهوه) إله اليهود وطنيا متعصبا في الوهيته يكاد لا يتعرف بامة حقيقة بالجنسة غير اليهود لامت عبادته . لهذا تحول الناس الى العبادة المسيحية لانها في الحقيقة عبادة الآلهة كلها . لان المسيحية اشتقت مناسكها وسننها وصراسمها من آلهة مصر وسوريا ورومية وفرنسا وإنجلترا وغيرها، فكانت كل الأمم تعرف شيئاً عنها وتعتمد بصحة بعض سننها وأساطيرها . وما زاد في الاقبال عليها سهولة طريقة الدين بها وحموته عند اليهود

### ( ١٨ - نمو المسيحية )

انا نملك في ان المسيح كان انساناً موجوداً . على اننا اذا صدقنا رواية وجوده كدخض ماء، فانما نعتقد ذلك باعتبار انه وجد وقتل كضحية مؤهلة . وهي الضحية التي قلنا انها كانت تقدم لآلهة الغلال والنبذ . فقد كان السوربون المجاورون لليهود يبذون (أتيس) إله الغلال، وكان من عادتهم أن يقدموا له ضحية سنوية . ولعل الاشاعة التي فشت بعد ظهور المسيحية عن ذبح اليهود الاطفال قد نشأت عن هذه التضحية، وعندنا سبمة اشياء ترجح ان المسيح كان ضحية مؤهلة . وهي :

(١) اذا فحمت عظمات بولس في رسائله الى الفورتين نجد يصف المسيح كأنه يصف احد آلهة الغلال تماماً .

(٢) اكل تلاميذ المسيح وكل المسيحيين الآن الخبز والنبذ باعتبار انهما من جسد المسيح ودمه . وهذا ما كان يفعله تماماً عبدة (أدونيس وأتيس) آلهي الغلال لان الآلهة تجرد في المحصولات .

(٣) قول المسيح «أنا خبز الحياة» . «خذوا. كلوا من دمي» (١) وقد وصفوه بأنه قمحي الوجه وأن شعره كونه النبيذ .

(٤) أنه دخل أورشليم بهيئة ملك مثل ضحايا أيتس وادوينس . لان الاعتقاد كان فاشيا بان هذين الالهين يجسدان في الضحية التي تقدم لهما فيجب اذن اكرامهما ما دامتا على قيد الحياة . وقد جاء في الانجيل انهم وهم يقتلون المسيح ركعوا، وهذا مماثل ما كان يفعله كهنة أيتس بالضحايا .

(٥) ولما دخل المسيح أورشليم كان متعلبا سهارا وقد نثرت أغصان الأشجار على الأرض، وهو عين ما كانوا يفعلونه مع ضحية ايتس وما زال في «أحد الزعنف» (٢) الذي يسبق العيد الكبير عند النصارى بقية من بقايا أعياد آلهة الفلال .

(٦) لما قبل المسيح بكت عليه النساء مئلا كان يحدث في ضحايا أيتس لانهم كانوا يعتقدون بأن الاله نجده فيها وبالتالي يكون عليه لانهم قتلوه .

(٧) بعثه بعد ثلاثة أيام . مثل أيتس وادوينس بالضبط فالمنار قتل لفرضين : أنه ضحية مؤلهة ولكي يفدي الشعب من خطاياهم (وقد عرفنا اصل و معنى الفداء )

أما الثالث فقد جاء للمسيحية من مصر ونشأ اولا عند الاقباط لان أديانهم الوثنية السابقة كانت تحم هذا الاعتقاد .

أما الصليب فقد أتى ايضا من مصر وتراه للآن على الجمالان . وقد اختلط الموضوع على بطريرك مصري مرة فقال في احد كتبه عن المسيح انه «جمل الله» أي انه ظن الصليب والمسيح شيئا واحدا لان الجمل كان يرسم عليه الصليب .

### ( ١٩ - بقايا اثرية في المسيحية )

ما زال المسيحيون الآن يعبدون الموتى . وقد كانت الكنائس عند اول تشييدها قبورا ليس الا . ومركز القديس الآن بين النصارى وقيمتهم كركز رئيس القبيلة المتوفى بين قبيلته بالضبط . لان النصراني يحترم القديس ويتبنيه ويتقرب منه كأنه يعبده عبادة ولو أنكرك ذلك . وقد كانت القرون الوسطى العصر الذهبي

(١) المنار : العبارة منقوبة لم تؤد معنى ما في الانجيل وهو انه سمي اخبز جسده وأمرهم بأكله . وسمى اخبز دمه وأمرهم بشربها

(٢) أي يوم الاحد الذي يصفرون فيه سفن الجمل باشكال مخصوصة

امباة الموتى والارواح . فانهم كانوا لا يبنون كنيسة الا اذا اُحضروا لها شهيدا أو قديسا دفنوه في هيكلها . وقد تفانوا في هذا العمل حتى ان البندقيين نقلوا جثة صرقس الرسول من الاسكندرية الى البندقية لكي يضموها في الكنيسة المسماة باسمه هناك .  
 ودين الاسلام التوحيدى العظيم لم يهلك عن تقديس الموتى واعتبارهم . فالمسلمون ما زالوا للآن يتمسحون بقبور الاولياء ويتبركون بها و يبنون لهم -  
 للاولياء - المساجد على قبورهم .

نريد بذلك ان الانسان الذي تشبع بالتوحيد ما زال يحن الى ميوله الوحشية وتبته غريزة التدين الاصلية الى العبادة الاولى : عبادة الجثث والارواح .  
 وترى الان عند المسلمين اثرا من آثار العبادات القديمة في مشهد قتل الحسين حيث يملون قتل الحسين ويسرون به في الشوارع باكين ومترجمين عليه كما كان يفعل السوربون في البكاء على ادونيس سنويا . اهـ

\*\*\*

( المنار ) : ما أضل ( جرات ألين ) الكاتب الانكليزي مؤلف الكتاب ، وأضل أمثاله من احرار الكتاب ، وحجبيهم عن الدين الحق ، وأوههم أنه من خرافات الخلق ، الا ما رأوه من مظاهر الوثنية بين الاقوام ، مع جهلهم بحقيقة الاسلام ، وظنهم ان النصرانية هي أرقى الاديان ، مع شهادة التاريخ بأن جميع أصولها مأخوذة من تقاليد عبدة الاوثان ، كتابيه البشر والتثليث والقداء ، وتقديس كثير من الاشياء . ولو فهموا القرآن حق فهمه ، وعرفوا سيرة نبيه لعرفوا الدين الحق . فان الاسلام وحده هو الدين الذي حفظ أصله كما هو ، فهو الذي يجب ان يتخذ مقياسا وميزانا لا النصرانية ، التي لا يزال الكثيرون من العلماء والمؤرخين يشكون - كماؤف - في وجود من تنسب اليه ( وهو عيسى بن مريم عليهما السلام ) اذا كانوا يحكمون على الاديان بمسائل استنبطونها من التقاليد التي اخترعت بعد دعاء تلك الاديان فكيف يكون حكمهم صحيحا ؟ ألم تر أنها القارى كيف عبدوا على الاسلام تقديس كثير من المسلمين الموتى وتمسحهم بقبور الصالحين وبناء المساجد عليها ، وتمثيل الشيعة منهم قتل الحسين بن علي (عليهما السلام) كما كان يفعل الوثنيون الاولون ، اذ كان تقديس الموتى ركناً من أركان الوثنية ؟

يهدون هذا على الاسلام ، وأصول الاسلام تنفيه وتحرمه وتمد بهضه ككفرا وشركا وبهضه عصبية ، وقد اجمعوا على انه بدعة ، وثبت عن النبي (ص) في الصحاحين

والسنان انه لمن الذين يتخذون القبور مساجد او يوقدون عليها السرج، ونهى ان يتخذ قبره وثناً او يتخذ عيداً. ومن الظلم أيضاً ذكر الاسلام في سياق الكلام عن الدم والاضاحي الوثنية. فان اضحية الاسلام لا شائبة فيها للوثنية والفداء، وانما هي نفقة وتوسعة على العيال والفقراء، والله تعالى يقول (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما انه ينفي عقيدة الفدية تقياً صريحاً. فاذا كان الاسلام وهو الدين الوحيد الذي حفظت أصوله ينتقدون عليه ويمدون منه ما جاء لهدمه وابطاله ونهى عنه اشد النهي، فكيف يمتد بما ينسبونه الى اليهودية والنصرانية ولم تحفظ اصولهما حتى يمكن الرجوع اليها؟

الحق ان اصل الدين فطري في البشر، انطوى عليه وجدانهم، وصدقته عقولهم، عند ما صاروا يبحثون ويستدلون، والماديون يتوهمون ان فطرتهم وعقولهم لا تؤمن بغير ما يدركونه بحواسهم، وهذا غفلة منهم عن أنفسهم، وعن فرضهم وجود الاثير فرضاً تلجئهم اليه الضرورة. وقد بينا من قبل كيفية طرؤه الوثنية على الناس، وحقيقة الشوهِ والارتقاء في الاديان وكيف قاومها الانبياء بالدين الحق ولا محل لاعادته هنا.

### ﴿ اعتناقي الاسلام ﴾

تأليف (المهدي) عبد الكريم يوسف (جوصو) الفرنسي طبع في المطبعة التونسية على ورق جيد بحرف كبير ص ١٠٧ « بقطاع الاسلام والنصرانية » يباع في المكتبة العلمية (٢٩ عدد بشارع الكنيسة بتونس)

ما زال الله يزيدنا بصيرة ويقينا بدين الاسلام خاتم الاديان بما يهدي اليه من ارباب الارادة القوية والفكر المستقل، فن اسلام عبد الكريم يوسف (جوصو) الفرنسي، الى اسلام اللورد هذلي الانكليزي، الى امثالهما من اخواننا الذين لحقوا بنا في الاسلام دين الحق والتوحيد والتنزيه، والايان بجميع الانبياء المصالحين.

ولا بد من تسميم الدين الحق { دين الاسلام } في جميع اقطار المعمورة. (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) واليك صورة اهداء كتاب اخينا عبد الكريم قال حفظه الله

الحمد لله الواحد الاحد، الفرد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذي جاء بالحق ليظهره على الدين كله. مرغماً انك من عابد وحقد وحسد، فدعا لسبيل ربه بالحكمة والموعظة



الحسنة ، وجادل الناس بالتي هي احسن ، فمنهم من تجبر ونفر ، ومنهم من انقاد  
واذعن واقرب ، وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا ،  
وعلى كافة الانبياء والمرسلين ، وجميع الآل والاصحاب ومن تبعهم وتلاههم الى يوم الدين .  
اما بمدفان المنازل تسمهوي الباب قاطنيتها بما يتاح لهم تحت اديمها من افانين السعادة .  
والسعادة - لازلت لها قريناتا نوعان : سعادة ارواح وسعادة اشباح ، بينهما من التفاوت  
كما بين النار والنور ، والظل والحرور .

وقد صادفت اثناء اقامتي بالفطر التونسي سعادة لنفسي ، وراحة لفسكري ، من  
انصب وكفاح مارسته عقدين من السنين ، اعني حين قر قراري ، وسكنت نفسي ، رانقاد  
ضميري ، لاتباع دين الهدى وشريعة الاسلام ، فصار هذا الفطر حينئذ وطننا لثقتنا  
تحن اليه ، وتزفر بأجنحتها عليه ، ومن كانت حرا الضمير يصدع بالحق لا يخشى  
لوما ولا تثريريا .

لذلك اردت أن ابدى للناس عند ما نهجز هذا التأليف مالفؤادي من الود والميل  
نحو قطر يجدر لي ان ادعوه « فطر السعادة » فوطدت العزم على اهداء الكتاب  
لأميرها الاعظم ، وملاذه الانخم ، صاحب السؤدد والفخار ، سيدنا محمد الناصر باشا باي ،  
صاحب المملكة التونسية ، لزال رفيع العماد ، طويل النجاد آمين

عبد الكريم جوصو

### وهذا مقل ممتي

« تقولت عني بعض الصحف الفرنسية عند ما اعتنقت دين الاسلام اني أريد  
تمهيد السبيل للتزوج بربع نساء ، وامتلاك ما اشاء من الجوارى ! سبحانك اللهم هذا  
رجم بالقيب ، وقذف بالمهتان ، بل اني اسلمت لله رب العالمين ، مخاضا له الدين ، وما  
أنا اول المهتدين

وجدت الاسلام ديننا سمحا سهلا المأخذ ، بين العقيدة ، واضح البرهان ، مجردا  
من الغموض ، لا يفتقر أتباعه في عبادة خالقهم الى واسطة ، فاراضيته لنفسي والحمد لله  
لقد كنت بادئ بدء اردت أن اقلد اسلافي السكاوليكيين ، ولكن الفكر اني ان  
يعتقد شيئا لا دليل عليه ، وكيف يقام البرهان على صحة العقائد السكاوليكية وقساوسها  
ورهبانها وكرديانها عاجزون عنها .

بعد ذلك مكثت نحو عشرين سنة أبحث عن الدين الحق لا أكون من شيعته ، إذ لا غنى لمخلوق عن عبادة خالقه .

فاتفق لي في أواخر هذه المدة ان حجت بعض الاقطار الاسلامية ، فأثر جمال حياة اهلها تأثيراً عظيماً على قريحتي الفنية ، واستهوطني بحاسنها الى ان اندفعت للبحث في شؤونهم اجمالاً وتفصيلاً ، واذ ذاك اخذ دين الاسلام يستميلني شيئاً فشيئاً ، الى ان تجلّى اليقين امام عيني ، وعلمت ان الدين عند الله الاسلام .

وها أنا ابين للواقفين على هذا الكتاب خلاصة البحوث من اولها الى آخرها تفصيلاً لزاعم الواهمين . اهـ

ثم كتب له ملاحقاً في المباحث الآتية وهي ( تسامح الاسلام ) و ( انتشار الاسلام ) و { في الخلق } نقلاً عن كتاب الاسلام الذي الفه الكونت هنري دي كاستري . ثم ( القرآن ) نقلاً من « البحث في اهل اللغات » تأليف جان جاك روسو ومن « حياة محمد » تأليف بولانفير . ومن « الاسلام » تأليف هنري دي كاستري . وبعد ذلك مبحث ( في المرأة ) من مختصر « في حقوق المسلمين » تأليف رحمن حلوه . ومن « مختصر الانكليزي في الاسلام » تأليف ريفي . يتلوه مبحث ( قضاء الكنيسة الكاثوليكية على المرأة ) ثم ( في تعدد الزوجات ) من كتاب « الاسلام على حفظ القرآن » تأليف قورسين دي تاسي .

( الاسلام ) مجلة دينية علمية اخلاقية سياسية فارسية تصدر في طهران في كل شهر عربي مرة صفحتها ٤٨ بالقطع الصغير . رئيس تحريرها حسين كمال السلطان . قيمة اشتراكها ١٢ قراناً في إيران وبضراف حرة البريد للخارج . وثمن العدد الواحد قران واحد عنوانها « طهران خيابان حرة مركز توزيع كل جرائد داخلية وخارجية » ( المرفان ) مجلة شهرية شهيرة تصدر في صيدا سنتها عشرة أشهر تبحث في العلم والادب والاجتماع وتبني عناية خاصة بشؤون الشيعة ، وكانت حجت عن قرائها زمناً ثم عادت الى خدمتها وهي ذات أربعين صفحة بقطع المنار ، وقيمة اشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي وفي الخارج ستة فرنكات

( المنهل ) مجلة ادبية تاويلجية اجتماعية مصورة عند الاقتضاء . تصدر مرة في الشهر في القدس الشريف لمنشئها محمد موسى المغربي . صفحتها ٤٠ قيمة اشتراكها ريال ونصف ريال مجيدي في البلاد العثمانية وفي الخارج عشرة فرنكات

## الإصلاح اللامركزي وعلاجه في البلاد العربية

تألف حزب اللامركزية بمصر لمطالبة الدولة بتغيير شكل ادارتها في المملكة كلها - وان كان جميع مؤسسيه من العرب السوريين - لأنهم يريدون الحياة للدولة كلها لا لبلادهم فقط ، ولو طالبوا الادارة اللامركزية لبلادهم وحدها لما كان ذلك أنفع لهم ولا أرجى لقبول طلبهم ، اذ رضاه الدولة بجمال ادارة بعض ولاياتها مركزية وبعضها غير مركزية بعيد عن العقل والتصور . وتألفت في أثناء ذلك الجمعية الإصلاحية ببيروت لطلب اصلاح معين لولاية بيروت خاصة . وتأنها جمعية في البصرة لطلب الإصلاح لولاية البصرة خاصة . وما حفز العرب في هذه المواضع واهاب بهم الى طلب الإصلاح والدولة تبتن من أتعاب الحرب البلقانية التي غابت فيها على امرها ، الا لحوفهم أن يكون بقاء الخلل السابق سببا لاحتلال الدولة وتقسيم الدول لها بالفتح السلمي الاقتصادي او الاحتلال العسكري .

ولما رفعت هذه الجماعات اصواتها بطلب الإصلاح رددت صداه جماعات المهاجرين السوريين في امريكا الشمالية والجنوبية وفي أوروبا ، واقترح بعض من في باريس منهم تأليف مؤتمر عربي بباريس لاعلان مقاومة كل احتلال اجنبي في البلاد وللبحث في حقوق العرب في الدولة العثمانية والمطالبة بها . وعهدوا الى حزب اللامركزية ادارة هذا المؤتمر ، فاختر الحزب لتقييم بذلك كلا من السيد عبد الحميد الزهرراوي واسكندر بك عمون ورشح الاول لرياسة المؤتمر على ان يكون با انتخاب اعضاء المؤتمر ، وكذلك كان . وكانت من امر انعقاد المؤتمر وعنايته واهتمام حكومة الاستانة به ما هو مشهور .

شعر اركان الحكومة الاتحادية بوجود العرب وعشوا بمبادلة الاحتفالات بينهم وبين من في الاستانة من العرب واكثرهم طلبة المدارس الاميرية . وسعوا لاستقدام الوفود من سورية ، واحتفلوا واحتفوا بمن ذهب منهم الى الاستانة ، وادبوا لهم المآدب ، واحبوا التأليف بين طلاب الإصلاح ومن عارضهم وشنع عليهم نزلماً للحكومة ، ولكن لم يتم لهم هذا . وكانت هذه المظاهرات التي اهمم بها اهل الاستانة تذكر بالسخرية في غيرها ، ويمدها العرب في مصر وسورية والعراق وفي البلاد الاجنبية خداعاً وتخديراً .

وأما الامر الذي كان محل النظر ، وموضع الامل عند بعض العرب ، فهو

الاتفاق الذي عقده جمعية الأصدقاء والترقي مع رئيس المؤتمر العربي ، واعطته العهد والميثاق لتنفيذه كله . وهو مؤلف من اثنتي عشرة مادة . ولهذا مكث رئيس المؤتمر بضعة اشهر في باريس ينتظر تنفيذه ، وكانت الاستانة تجذبه اليها وحزب اللامركزية يجذبه عنها ، حتى اختار الحزب أخيراً أن يعود الى مصر ، وان يمر بالاستانة مختبراً اذا شاء . فشاء وجاء الاستانة ، وراجع رجال الحكومة في أمر تنفيذ الإصلاح الموعود به ، فقالوا إنا على عهدنا ، وقد بدأنا من التنفيذ بانشاء مدرستين سلطانتين باللغة العربية احدهما في دمشق والاخرى في بيروت ، وبتقرير جهل عسكر كل ولاية في مطقتها العسكرية ، وبجعل اللغة العربية رسمية في المحاكم ودواوين الولايات العربية ، وباختيار الموظفين لهذه الولايات من الممارفين باللغة العربية . واما ما يتعلق بالنائمة والاقواف والمعارف فهو يتوقف على وضع القوانين له ونحن شارعون في ذلك بتفسيح قانون الولايات ووضع قوانين أخرى ، ثم ان تنفيذ بعض ذلك يتوقف على وجود المال ولا مال الآن . واما المناصب والوظائف في مجلس الاعيان ومصالح الحكومة العليا فهم ساعدنا على اختيار الاكفاء لها للمعينهم بالتدرج .

هذا ماخص ما تذكر من معنى أحوبة الحكومة لاسيد الزهراوي بعد مراجعات متعددة ، ووعود مبهمة ، كان فيها بين اليأس والرجاء مدة طويلة ، حتى عزم على مهذرة الاستانة . ثم شرعت الحكومة في تنفيذ ما لا يتوقف على القوانين ولا المال من المطالب بالمشاورة به ، ومنها تعيين ستة اعضاء من العرب في مجلس الاعيان احدهم السيد الزهراوي نفسه ، إذ اقضت الحال ان يكون في الاستانة مراقبا لتنفيذ سائر ما وعدت به الحكومة من الإصلاح ، ومنها تعيين الشيخ اسماعيل الحافظ من علماء طرابلس الشام عضواً في مجلس المعارف الاعلى ، وهو في الذروة العليا من نابني العرب علماً وعملاً ، اخلاقاً وعقلاً ورأياً واستقامة . ومنها تعيين عبد الوهاب افندي الانكليزي (لقباً لانبيا) وشكري افندي المسلي مفتشين في بعض الولايات ، وهما من اشهر نابيي العرب من سلك الحكومة الملكي المستحقين للمناصب العالية . ومنها تعيين اناس آخرين في (الدوائر) العالية في العاصمة .

وكان رجال الاستانة قبل هذا قد أرضوا بعض رجال جمعية بيروت الاصلاحية بالوعود الجارية فسكنت ركنها بالتدرج ، واسمهاوا السيد طالب بك النقيب زعيم البصرة ، اغان في الجرائد الرضاء عن الحكومة والاتفاق معها وتبرع للاسطول العثماني وجمع له مالا كثيراً

ثم ان حزب اللامركزية رأى من الصواب ان يحفظ صلته بالسيد الزهراوي كما حفظ هو صلته بالحزب بعد قيامه بمساعدته خيرا قيامه حتى انه لم يخل ولم يرحل ، ولم يخل ولم يقد ، الا باستشارة الحزب ، ولان زعماء الحزب يتقون كل ثقة بصدقه في القول وباخلاصه في العمل لمصلحة الامة ، فهو بهذا خيرا من بوقتهم على أعمال حكومة العاصمة فيكونون على صيرة منها ، الا يبذون عملهم وسعيهم على الغشون والاهام ، فقرر الحزب باتفاق الآراء إقرار السيد الزهراوي على قبول منصب الاعيان واثقة به ، اي في التوسط لدى الحكومة بمطالب الإصلاح . فقل الحزب هذا وهو غير موقن ولا مرجح لانجاز الحكومة ما وعدت به السيد الزهراوي ، كما انه غير موقن بأنها لا تنجزها ، فكانت الحكمة في عدم تسلم الصلة بالحكومة ، ومطالبتها بالبرهان والحجة ، على كون الحزب لا يألو جهدا في انسي الى الإصلاح من طريق الامة ، فهو يسلك الطريقين الى مقصده ، فذا لم يصل من احدهما وصل من الآخر .

اتفق ان الحزب لم ينشر شيئا جديدا بعد بيانه العام الذي نشره يوم المظاهرة البرقية السلمية ، بطاب البلاد كارسا للإدارة اللامركزية ، لانه لم يجود شيئا جديدا يدعو الى النشر ، فظن البدهاء عن مركز الحزب والذين ليس لهم صلة مكاتبة به ، ان الحزب قد سكن وسكت او انحل كجمعية بيروت وجمعية البصرة . وأنه رضي من الحكومة بما قالت وما فأت ، وطمعت الجرائد العربية في امره تظمن في الحزب وفي طلاب الإصلاح كاذبا ، وزعماء بيروت منهم خاصة .

\*\*\*

بدخل الكلام بهذا الموضوع في اربع مسائل : الجماعات الإصلاحية ، والتمسكون عليها الآن ، وما يعترضون به ، والحالة الحاضرة . ونسأ في كل مسألة منها قول وجيز .

اما الجماعات الإصلاحية فثلاث كما تقدم : جماعة حزب اللامركزية وهي تعمل لتسلكها وان كان المائلين فيها عربا وتأثير عملها الاول في البلاد العربية . وهي وجدت الإصلاح في البلاد العربية يوجد في غيرها حتما اما سابقا واما لاحقا . وجماعة بيروت وجماعة البصرة ، ومطالب كل منهما موضعية ، ولكن زعماءها متفقون مع حزب اللامركزية في مطالبه العامة كلها ، اذ النسبة بينه وبينهما كالنسبة بين الخاص والعام . فثابت الجماعتان اليوم عن مطالبهما العامة لأسباب اقتضت ذلك ،

فذلك لا ينبغي بقاء اتفاق أهل الرأي منهم، مع حزب اللامركزية في المطالب الاصلاحية العامة، وان لم يساعده على ذلك جميع افرادها في الشكل الاول، فقد يساعده كثير منهم في شكل آخر. والحق الواقع ان الحزب الآن اقوى ناصرا واكثر عددا مما كان عليه من قبل، خلافا لما يتوهمه البعيد عنه، فقد اشعبت شعبه وكثرت فروعه في الولايات، ورسخت مقاصده في النفوس، وقد قويت الآمال فيه، وانحصر رجاء الولايات في سعيه، وان صلة السيد الزهراوي به لم تزد رجاء الولايات فيه الا قوة وثباتا، وان كان أهل الرأي من شعبه ولجانه فيها متفقين مع اخوانهم الذين في سر على كون ما منفت به الحكومة على العرب لا يسد شيئا مذكورا في جانب مطالب الحزب، ولا ينبغي ان يزيد الا جدا واجتهادا في السعي.

وأما المعارضون فمنهم الخاص الذي لا علم له بدخائل الامور وحقائقها، ومنهم الخاص المطامع الذي يريد بالاعتراض حفز الهمم، واخذ على الاسراع في العمل، ومنهم من لا حظ له من المطالبة بالاصلاح الا التلذذ بمقاومة الدولة العثمانية والهوى على غيرها، وهو لا يرجو لها ولا منها صلاحا، ولا يجب لها بقاء. فهو نصير المتألمين عليها، وظهير المقامرين لها، وعدو الراضين منها، كيفما كانوا، وبأبه شكل ظهر وا، ومراده ان تستولى الدول الاوربية عليها ولا يرضيه ما دون هذا. ومنهم من لا يسول معرفة قصد. ولا حقيقة مراده. فلما فالتخلصون في طاب الاصلاح فلا يلبثون ان يرجعوا عن انكارهم، وغير الخاصون لا علاج لهم.

وأغرب ما رأى الحزب من المعارضة والمقاومة وأبعده عن العقول ما كان من احد كتاب نصارى السوريين الذين اتهموا للحزب. فقد حضر كثيرا من جلسات اللجنة العليا بطريق الاستثناء، كان باقي فيها دلوه بين الدلاء، فينفرد بالمعارضة، ويابح بطالب حمل المصالح والمنافع قسمة بين المسلمين والنصارى، وقد اتفق الفريقان على انكار هذا الرأي وضرر هذه القسمة، وكونها تكون مثار النزاع والتخاصم والعداوة والبغضاء، ويجزم أهل العلم والرأي من النصارى بأن ضرر هذه القسمة عليهم اشد، وان السكوت عن كل ما يتماق بالدين والمذاهب خير لهم وانفع. واما هذا الكتاب الذي كان يذكر ذكر الدين في امور السياسة وشؤون الدنيا فكذلك هذا ما نشره في بعض جرائده مصر وأمريكا، ونشر نصارى المهاجرين في أمريكا من الحزب، ومنها هم عن مساعدته باسم المسيحية وحقوق المسيحيين وفضل المسلمين لها، حتى انه كتب في جريدة الهدى الأمريكية التي تعنى بنشر ما يكتبه ان صاحب المدار أنكر على مسلمي بيروت اتفاقهم مع نصارها على جعل نصف أعضاء المجالس المحلية

من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم . وهي دعوى غير صحيحة ، فان النار أنكر من لأجته جمعية بيروت الإصلاحية أكثر ما اعطته للمفتشين والمراقبين من الاجانب ولم ينكر مسألة المناصفه في المجالس بل عدها دليلا على اخلاص المسلمين وصدقهم الاتفاق مع التصاري لأنهم تازلوا لهم عن بعض حقوقهم .

وأما الانتقاد والطمع الذي صوب اليهم فهو ان الترك ارضوهم ببعض المناصب والوظائف ، فظهر أن طلب الإصلاح كان شبكة لتبديد المنافع ، ويحتجون على هذا بأن المؤتمر المرابي قد قرر ان لا يقبل احد من المنتسبين الى لجان الإصلاح العربية اي منصب في الحكومة العثمانية اذا لم تفذ القرارات التي صادق عليها - الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتسبين اليها . وخص بشد الانتقاد السيد الزهراوي وعميدي المسلمين والتصاري في جمعية بيروت الإصلاحية - محمد أفندي بيهم ونخله بك سرق اذا قبلوا ان يكونوا أعضاء في مجلس الاعيان ، قبل تنفيذ الإصلاح في البلاد العربية ولؤلؤة الثلاثة ثلاثة اجوبة يردون بها تلك المضاعن ( احدها ) ان الحكومة قد شرعت في تنفيذ الإصلاح ولا يعقل أن لا يقبل العرب طلاب الإصلاح منصبا ولا اعتبار فيها الا بعد تنفيذ الإصلاح كله بأيدي الترك ومقاومي الإصلاح من العرب ، كأننا نقول : إنا بعد ان يصاح لنا دؤلؤة بلادنا تقبل المناصب والوظائف فيها ! ( الثاني ) ان عضوية الاعيان لا تعد وظيفة او منصبا في الحكومة ، لان عمل الاعيان كعمل المبعوثين ( النواب ) : وضع القوانين ومراقبة الحكومة في تنفيذها ، فهو سيطرة على الحكومة لا خدمة لها ( الثالث ) ان اللجان الإصلاحية التي نتمني اليها قد وافقت على ان تكون في مجلس الاعيان . وأما الذين قبلوا المناصب في غير مجلس الاعيان فيمكن لمن كان متمنيا الى بعض لجان الإصلاح ان يجيب بالاجواب الاول . وهو جواب ضعيف اذا لم يعززه الثالث .

سواء على حزب اللامركزية اقتنع المتقدمون والمطاعنون بهذه الاجوبة أم لم يقتنعوا ، فان لجنة الحزب العليا لم تدخل في باب المناصب والوظائف ، وقد دعي رئيسه ( رفيق بك العظم ) الى الاستانة مرارا قبل ذهاب الزهراوي اليها وبعده - وكان ولا يزال مرشحا لمنصب الوزارة - فلم يجب الدعوة ، والسيد الزهراوي - وان حضر تأسيس الحزب - لم يجب ان يدخل في لجته الادارية ولا في الانتخاب لها ، لانه جاء مصرزا لا منتسبا . ولكن مكاتته العالية من نفوس لجنة الحزب العليا ومن نفوس - من طلاب الإصلاح في سورية وغيرها هي التي حملت اللجنة

على اختياره للمؤتمر ، ثم ان حسن سلوكه في المؤتمر ، وثباته بعد اتمام عمله فيه على السعي الى الاصلاح مع الارتباط بالحزب وتقيده بقراراته ، وانقطاعه عن كل عمل لأجله ، على كونه ينفق من مال نفسه - وناعيك بسعة النفقات في أوربة - كل ذلك كان من الاسباب الجديدة لرضاء الحزب بقبوله لمنصب عضوية الاعيان والتوسط لدى الحكومة في الاصلاح ، ولما السبب الأول فهو كفاءته الشخصية في صدقه واخلاصه ونارحته الحميد النقي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل .

\* \* \*

بقيت المسألة الرابعة ، وهي بيان حثالة الحزب الحاضرة . والتقول الوجيز فيها ان الحزب - وان لم يسمع له صوت عال من عدة أشهر - قد أصبح أقوى مما كان ، منذ أسس الى الآن ، فقد كثرت فروعه في الولايات وانتظمت ، وقويت الثقة به وثبتت ، وانحصرت آمال طلاب الاصلاح فيه أو كربت ، ويصح ان يقال ان طوره الأول كان طور تمهيد للعمل باعداد الافكار ، ثم بتأليف اللجان ، وقد انتهى الآن بطور القيام بالاعمال ، وان قياده بالعمل ، واضطلاعه بالسعي ، ذو خبر خدمة للدولة قبل الامة ، لما أثبتته الماضي لرجاله من الروية وحسن النية ، فكانت المصلحة في أن يدير هو الحركة ، لئلا تنفضي الى الفوضى ، أو يتغلب عليها الغلاة المتطرفون ، الذين ظهرت في مدة سكوتهم اصواتهم بنعمة الثورة ، وتوزيع منشورات أقلقتم الحكومة وعتلاء الامة . ويقال انه يريد ان يبدأ عمله بجمع مؤتمره السنوي وتجديد انتخاب أعضاء اللجنة العليا ، وعرض المشروعات الجديدة للعمل عليها ، ومنها تحويله الى جمعية ، اذ لم تصدق عليه الحكومة . فقد اقترح هذا كثيرون . وعسى ان تكفيه الحكومة هذا الامر ، فتبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها والله الموفق .

الشيخ علي يوسف



﴿ أخلاقه وسجاياه ﴾ المنار لا يعني بترجمة أحد ترجمة تاريخية محضة وإنما يعني من تراجم الناس بيان الاختراق الحسن والاعمال النافعة ، التي تكون مثالا حسنا ، وقدرة صالحة ، لأن غاية المنار اصلاحية فهو يعني بكل ما يتوسل به



الى الاصلاح ، ويرغب الناس في الفضائل ومحاسن الاعمال ، وان ذكرنا ما يقابل ذلك فانما نذكره لان العبرة لانتم الابه ، ولا يجمل ذكر المساوي هو الاصل في الموعظة ، وقد كان ما ذكرناه من ترجمة هذا الرجل دأراً على هذا القطب ، وأحبينا أن نختار هذه الكلمات التي تذكر الناس وتنبه الغافل لما هو المصنوع بالذات . فنقول أن هذا الرجل نبه بعد خمول ، وارتفع بهمة وأخلاقه الى الطبقة العليا في أمته ، فصار من بطانة أمير البلاد وأهل ثقته . وصاحب التأثير الاول في أفكار المصريين ، والرأي المحترم في جميع الاقطار الاسلامية ، وكم من متعلم نال الدرجات العلى في العلوم والفنون العربية والافرنجية بمعنى أن يصل الى ما وصل اليه الشيخ علي يوسف بما دون درجات علمه وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلاً ، لأن من أبطأت به سعياؤه وأخلاقه لا تسرع به علومه وفنونه ، فأحب أن تتذكرنا أن الرجل قد ارتقى بالعزيمة . وقوة الارادة والصبر والثبات وعلا الهمة ، والاخلاص لله والامة . فن استطاع ان يتخاطق بهذه الاخلاق ، فليقصد بها ماشاء من مراتب الكمال ، ومقامات الرجال . وليحذر المتبر بسير رجال عصره من الوقوع في مثل الخطأ الذي ارتكبه هذا النابغة وأمثاله من النوايح ( كقاسم بك أمين ) وهو محاولة استمجال الثروة الواسعة التي تليق بمقامهم الاجتماعي بساوك الطرق التي ربما تؤدي الى ضد مرادهم ، والشيخ رحمه الله عصمته تربيته الدينية ان يفتن بما افتن به كثير من كهرائنا المتفرنجين من المقامرة ، وانما تورط في شراء الدور والقصور وعروضات الارض الممدة للبناء في تلك المدة التي خرج فيها التغالي بالاثمان عن الحد الطبيعي الذي وصلت اليه درجة العمران في البلاد . ولما عادت ( سنة رد الفعل ) بالاثمان المياني وعرضاتها الى ما دون الثمن المعتدل لها ، بعد ذلك الافراط فيها ، غرق الرجل مع من غرق في طوفانها ، ولولا ذلك لما قصرت ثروته بما يليق بمقامه الاجتماعي ، على ما كان من تفصيله في ادارة المؤيد المالية . وما ذكرنا هذا على كونه معروفاً مشهوراً الا ليكمل الاعتبار بسيرة فقيدنا النافعة طرذاً وعكساً ، ونسأل الله تعالى ان يتنمده برحمته ، بمنه وفضله وكرمه .

( تنبيه ) وقع في السطر ٢٢ من ص ١٦٨ من هذا الجزء كلمة سب خطأ وصوابها ( سبب )

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتى خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

« قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق »

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٢ هـ ق ٨ ربيع الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٧ مارث ١٩١٤

### ﴿ استفتاء في فسخ نكاح المهر ﴾

ماقولكم في امرأة فقيرة غاب عنها زوجها من مدة سنين وترك عندها ولدا ولم يترك لها شيئا لنفقةها ونفقة ولده ولم يرسل لهما سوى شيء يسير لا يقوم بنفقة الولد وكتبت له عدة كتب طابت منه النفقة الكاملة لها ولولدها او الطلاق فتمت ولم يجوب عليها (?) ثم التمت من شيخه شيخ الجاوي فكتب له ولم (يجب) فهل لها طلب فسخ النكاح عند الحاكم الشافعي ام لا؟ وهل لو رفعت أمرها اليه وتحقق وثبت عنده جميع ما ادعته المرأة بالبينة الكاملة وفسخ نكاحها يكون فسخه واقما وقومه ولها بعد تمام المدة من الفسخ المذكور الزوج أم لا؟ أفوتونا مأجورين

### ﴿ جواب مني الشافعية بمكة المكرمة ﴾

باسمه سبحانه وتعالى أبتدي الجواب ، واستمد منه تعالى العون والهداية لصواب في الحقيقة يقع كثير من بعض الرجال الظلم والتمدي والابذاء في حق النساء البائسات ، وذلك حرام وفاقله آثم مخاف لما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في حقهن ، ومن ذلك الزوج بين ثم السفر وتركهن بلا نفقة ولا منفق ، فجزى الله امامنا الشافعي رضي الله عنه خيرا حيث سوغ لمن فسخ النكاح عند ضررهن . ويسوغ للحاكم متى رهن أمرهن اليه ان يفسخ نكاحهن ، ثم بعد تمام المدة يتزوجن بمن شئن . وكذلك امام دار الهجرة الأمام مالك رضي الله عنه . فالمرأة المسئول عنها متى رفعت أمرها الى الحاكم وثبت لديه ضررها ودعواها فله حينئذ فسخ نكاحها من الزوج المذكور وفسخه سائق وواقع وقومه ، ولها بعد تمام عدة الفسخ المذكور الزوج بمن يقوم بشأنها . قال في الأسنى متنا وشرحا : واختار القاضي الطبري وابن الصباغ وغيرهما جواز الفسخ لها اذا تمذر تحصيلها للنفقة في غيبته لضرورة ، وقال الروياني وابن اخته صاحب العدة أن المصلحة الفتوى به . وقال في فتح المعين : واختار جمع كثيرون من محققي المتأخرين في غيب تمذر تحصيل النفقة منه الفسخ ، وقواه ابن الصلاح . وقال في فتاويه : اذا تمذرت النفقة لعدم مال حاضر مع عدم انكائها اخذها منه حيث هو بكتاب حكى وغيره لكونه لم يعرف موضعه او عرفه ولكن تمذرت مطالبته عرف حاله في اليسار والاعسار أم لم يعرف فلها الفسخ بالحاكم والافتاء بالفسخ هو الصحيح اهـ ونقل شيخنا كلامه في الشرح الكبير ، وقال في آخره وأفتى بما

قاله جمع من متأخري اليمن . وقال المحقق الطمبداوى في فتاويه : والذي نختاره  
بما للأئمة المحققين أنه ان لم يكن له مال كما سبق لها الفسخ وإنه كان ظاهر المذهب  
خلافه لفتواه تعالى ( وما جعل عليكم في الدين من حرج ) ولقوله ( ص ) « بمث  
بالخفيفة السمحة » . ولان مدار الفسخ على الاضرار ولاشك أن الضرر موجود فيها  
اذا لم يمكن الحصول الى النفقة منه وإر كان موسرا اذ سر الفسخ هو تضرر المرأوهو  
موجود لاسبابها مع اعسارها فيكون تمذر وصولها الى النفقة حكمه حكم الاعسار اهـ

وقال السيد عبد الله بن عمر الحضرمي أنه يجوز فسخ النكاح من زوجها حضر  
أو غاب بتسعة شروط الى ان قال : ولو غاب الزوج وجهل يساره وإعساره بانقطاع  
خبره ولم يكن له مال يمرحتين فلها الفسخ بشرطه كما جزم به في النهاية وزكريا والمزجد  
والسمباطي وابن زياد وابن قاسم والكروي وكثيرون . وقال ابن حجر في التحفة  
والفسخ وهو متجه مدركا لا تقلاها بل اختار كثيرون وانق به بن عجيل وابن  
الصباغ والرويانى أنه لو تمذر تحصيل النفقة من الزوج في ثلاثة ايام جاز لها الفسخ  
حضر الزوج أم غاب ، وقراه ابن الصلاح ورجحه ابن زياد والطمبداوى والمزجد  
وصاحب المذهب والكافي وغيرهم فيما اذا غاب وتمذرت النفقة منه ولو بنحو شكاية .  
قال ابن قاسم وهذا أولى من غيبة ماله وحده والجوز للفسخ . أما الفسخ بتضررها  
بطول الغيبة وشهوة الوقاع فلايجوز اتفاقا وأن خافت الزنا والله سبحانه وتعالى أعلم

اص برقه مفتي الشافعية بمكة المحمية الراجي غفران المساوي

عبد الله ابن السيد محمد صالح الزواوي

كان الله لهما آمين

الختم

صورة ما كتبه بعض كبار علماء الشافعية بالازهر على هذه الفتوى

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده

أفاد العلامة السيد مصطفي الذهبي في المسائل الفقهية أن أصل مذهب الامام  
الشافعي أنه لافسخ مادام الزوج موسرا ، أي لم يعلم اعساره وان انقطع خبره وتمذر  
استيفاء النفقة منه ، وأن الذي جرى عليه ابن الصلاح وشيخ الاسلام وكثير من  
المحققين انه اذا تمذر استيفاء النفقة منه من كل الوجوه لانقطاع خبره او تعززه أي  
نواربه بحيث لا يمكن الحاكم من جبره ، ولم يوجد اكل منهما مال فسيخت الزوجة  
بالحاكم ، قالوا لأن سر الفسخ بالاعسار هو التضرر ، والتضرر موجود هنا ولو مع



للمقدمة كالسكر الفين يحرسون البلاد أو الحجاج مثلا . بل تقول اتنا على سمة اختبارنا للعالم الاسلامي لا نعرف مكانا في الارض تبين فيه حقيقة الاسلام التي يمثلها القرآن وسنة الرسول المنبئة وسيرة السلف الصالح ، من العقائد والاخلاق والآداب ، والسياسة والادارة والنضاه ، تبيانا سائما من الشوائب والاهام ، بحيث تتلقى بصولة في ثمانية اشهر أو اعوام ( وارجو ان يوفق لهذا من تخرجون في مدرسة دار الدعوة والارشاد ) .

(٢) اعترف هذا الدكتور الهولندي بأنه ادعى الاسلام ثقافا او خداعا للمسلمين ليسر غورهم وغور دينهم من حيث تأثيره في حياتهم المدنية والسياسية . وقد فعل مثل هذا غيره من أفراد الشعوب الأوربية امحاب المستعمرات الاسلامية ، كالفرنسيين والروس والانكاز . ولو كان للمسلمين حكومات منظمة ، وجهيات اصلاحية عامة ، لما تيسر هؤلاء الجواسيس ما يتيسر لهم وأمر المسلمين نوضى . واتنا ترى هؤلاء المستعمرين يراقبون كل غريب يدخل مستعمراتهم ولا سببا اذا كان مسلما . فلا يفوتهم من حركته ولا اقواله شيء .

(٣) بين الدكتور ان الاسلام الديني ، كان قائما على اساس الاسلام السياسي ، وان المسلمين كانوا وانتم بدنيهم راضين به اذ كانوا احراراً يرون ان العلم كله ملك لهم بانتمل او بالفوة ، عليهم ان يتنحوا منه ما لم يتنحوه . وهذا الذي ذكره عن المسلمين هو الذي عليه الافرنج الآن ، فهم يرون ان العلم كله ملك لهم ، ولذلك يتنقون فيما بينهم على اقتسام الممالك المستقلة ثم ينفذون ذلك . ولا مجال هنا للبحث في تفصيل هذا وبيان ما أخذه . واسكتنا نبيه عقلاء القراء الى الاعتبار بحالهم السابقة وحال الاوربيين الحاضرة ، ثم المبرة كل العبرة فيما رتبته هذا السياسي الكبير على هذا وهو .

(٤) بين ان الاوربيين قد سلبوا المسلمين ذلك الاستقلال والحرية بالتدريج ، فاضطر المسلمون الى تعديل افكارهم في الاسلام الديني ، بمد زوال الاساس الذي بني عليه وهو الاستقلال السياسي . ثم نقل ان بعض الساسة الاوربيين يرون ان سقوط الاسلام الديني يتبع سقوطه السياسي ، فنزول الاسلام من الارض ، وانه يخالفهم في ذلك ، ويرى ان الاسلام الديني لا يزول كما أنه لا يبقى كما كان في عهد استقلاله والثقة به ، وسند كرم ملخص رأيه فيه . والعبر ان يعقل من المسلمين في هذا كثيرة ، ومن اهمها غرور المتوطين من المسلمين الذين يظنون انهم يحفظون

استقلالهم السياسي او يؤسسون لهم استقلالاً جديداً مع ترك الدين ، فان هذا اذا جاز في غير الاسلام لا يجوز فيه ، لان جميع انقومات الامة جعلها الاسلام اسلامية (٥) كما بين ازالة اورية لاستقلال الاسلام السياسي بالاستيلاء على ممالكه الواسعة ، بين تصرفها في ازالة استقلال افراد المسلمين في انفسهم ، بما بينه من تفاعل الآراء الاوربية في افكارهم ، وزلزلتها لكثير من مقوماتهم ومشخصاتهم المالية التي يمتازون بها عن غيرهم ، وبها كانوا امة واحدة ، وبين ان ازالة بعض المميزات المادية كاللباس ، له دخل في ازالة المميزات الدينية كالحصاة ، فقال ان اداء الصلوات الخمس صار متعذراً على المتفرجين ، الذين يلبسون الزي الافرنجي (قال) وسينبج الصيام . فجزم بأنهم يتركونه ، وبأن الشرائع التي كانت مقدسة تامة ستكون خاصة بحجاج مكة والمتصوفة !

وظالمنا نبينا المسلمين على ضرر هذا الانسلاخ من العادات والاخلاق بتقليد الافرنج . وقد فطنا لهذه المسألة في اثناء اشتغالنا بطرب العلم بطرا بلبس الشام ، فكتبنا في بحث الزي واللباس فصلاً طويلاً بينا فيه انه ليس للاسلام زي ديني خاص ، وان ضرر تغيير الزي سياسي اجتماعي ، وانما يمس الدين ويكون محرماً شرعاً لاسباب عارضة كما يكونه ضيقاً يمنع من اداء الصلاة . ولكن جماهير المسلمين لا يزالون بمنزل عن فهم امثال هذه التنبيهات والنصائح ، حتى انه يستعجز بها من يعدون انفسهم من الفلاسفة والسياسيين ، واتا هم من السفهاء المقتونين .

(٦) ذكر من اثر سلطان الاسلام في اهله ان الآراء الاوربية على شدة تعلقها في انفس المسلمين وتحويلها لعاداتهم وافكارهم ، وتغييرها لشؤون حياتهم ، لم تقو على محو الشهور الدينية من قلوبهم ، حتى انه كان يعرف تلاميذه المسلمين من غيرهم ، بمجرد قراءته لنشاطهم ، لان روح الاسلام لا بد ان تجلي في عبارتها

(٧) يعلى الدكتور بهذا وغيره ما رآه ورواه من خذلان دعاة النصرانية (المبشرين) فيها يحاولون من تنصير المسلمين ، ويجزم بأن التغيير الذي ادخلته اوروبا على الاسلام لا ينتهي بتنصير المسلمين ، لانهم يعرفون النصرانية ويمتقدون انها فسدت وان الاسلام ارقى منها . وهذا القول الذي قاله صحيح وان كان يجمله من لم يكن له مثل علمه واختباره . فنحن نفتقد ان اصل النصرانية صحيح ، وانه طرأ عليها التبدل والتغيير ، وان الله اكل دينه بالاسلام ، على سنته في النعوى وترقي الاجتماع في الاقوام .

(٨) رأي الدكتور في مستقبل المسلمين الذي اطل في بيانه هو انهم يكونون

مثل اليهود في زوال انك والرضا بحكم الاوربيين وسيادتهم ، مع المحافظة على شعور دينهم وبعض تقاليدهم ، ومجاعة الافرنج في سائر الشؤون وان كان فيها ترك احكام الاسلام وآدابه . واستدل على ذلك بحول افكار المسلمين عن الرضاء بالتربية الدينية القديمة الى لغات الاوربيين وعلومهم وتربيتهم .

(٩) يرى هذا الدكتور الهولندي ما يراه الفرنسيون وغيرهم ان ما يراد ادخاله على الاسلام من الآراء والافكار التي يريدونها دعاء النصرانية يجب ان يبت في المسلمين باسم المدنية لا باسم الدين ، حينئذ تقبل . وهذا ما تجري عليه فراسة في مستعمراتها الاسلامية . يعني ان المسلمين قد فتنوا باسم المدنية الاوربية ومظاهرها فوم يقبلون من بابها كل شيء ، - وان لم يوصل اليها - لا يميزون بين كفر وايمان ، ولا بين ضار ونافع . واما ثقتهم بدينهم ورؤيتهم دين النصرانية دونها فها بما يحول دون قبولهم لشيء ما من دعاء النصرانية باسم النصرانية .

(١٠) ملخص المحاضرة أن أوربة ازاله استقلال الاسلام السياسي وانزعت ملك المسلمين من ايديهم بالتدريج ، وانها شرعت في ازالة سائر مقوماتهم وشخصاتهم القومية التي كانوا بها أمة واحدة ، دينية وغير دينية ، حتى اللغات والمعادن وركان الدين - وان اهل الرأي فيها مختلفون في دين الاسلام نفسه هل يمكن ازالته من الارض بعد اسقاط الحكومات الاسلامية كلها ام لا . فبعضهم يرون امكان ذلك فيبدلون الملايين لدعاء النصرانية لتتصير المسلمين . وبعضهم يرى ان الاسلام لا يزول بالمره ، ولكن ينبغي ان تزال ثقة المسلمين به ، وأن يحولوا باسم المدنية عن جميع ما يربط بعضهم ببعض حتى اللباس ، فهذا يكونون فعلة وزراعا للسلادة المسالين بلادهم ، اذ لا يستغنون عنهم في استخراج خيرات الارض . وهذا ما يسعى اليه قوم آخرون .

ومن العجائب ان محاضرة كهذه تترجمها جريدة سورية بالعربية ، وتحمل عنوانها (مقاومة الاسلام لنفوذ النصرانية !!) كأنه كبر عايبها قول الخليل ان المبشرين لا يستطيعون تصير المسلمين ، فمدت هذا من مقاومة الاسلام للنصرانية ، وهكذا تقول بعض الجرائد القبطية هنا اذا قابل بعض المسلمين طعن المبشرين بجزء من الف جزء . فمضى يفهم المسلمون ومتى يقولون ؟

(١١) نحن نسلم قول الكاتب وفاقا لكثير من احرار الافرنج : ان أوربة قد ازاله استقلال الاسلام السياسي ، ولا يهدنا عن هذا التسليم ابقاه او بقاء خيال من الاستقلال ضعيف في بعض البلاد ، يدبر بعضه النفوذ الأوربي ظاهرا وباطنا او



باطنا فقط ، ولا وجود بعض الامارات الصغيرة غير المنظمة التي يدور حولها النفوذ الاوربي ولا يجد له الآن منفذا للدخول في احشائها كقالب جزيرة العرب . ولو كان عدد المفلاء الذين يفهمون هذه الحقيقة ولا يفترقون بجبال الاستغلال الرسمي او ظلاله مثلنا كثيرا ، لسكان نهوض الاسلام من سقوطه السياسي والدني قريبا ، ولكن جمهور المسلمين الاكبر كالأطنال الذين يظنون ان الصور المتحركة التي يرونها في الملاعب تمثل الملوك والجيوش والوثع هي من الاحياء التي تحرك وتعمل بارادتها . ولو عرف الدكتور الحاذق الابه حقيقة الاسلام كما عرف احوال المسلمين الاجتماعية ، ولو دقق نظره بمد ذلك في شؤون المسلمين فضل تدقيق ، وقاس حاضرهم الذي عرفه بماضيهم القريب المنظم ، وماضيهم البعيد المشرق ، - لعلم ان في الاسلام قوة كامنة لم يكن لليهود مثلها ولا ما يقرب منها عند ما زال ملكهم ، ولا قبل ذلك ولا بعده . ولعلم ان هذه القوة لو وجدت من يحسن استخدامها والانفاع بها لا يمكنه ان يملك بها الشرق كله ، او يكون سيده الاول ، ولكن من سوء حظ الشرق انه لم يوجد في هذه القرون الأخيرة عقل نير ادرك هذا بقوة اشتمه ولا همة عالية ارادت ان تصدى له ، الا عقل نابليون الكبير وهمته ولكن حالت الاقدار بينه وبينه . ولو عقل الدكتور السياسي هذا وخبره لاقنع دولته بأن تكون هي الدولة التي تسود الشرق بالمسلمين ، ولو اقمها لا يمكنها ذلك وان كان مسلمو بلادها اضعف من غيرهم في قوتي السلم والعمل ، وفي المجد والتألق والطارف . أما لو فطنت لمثل هذا العمل فرنسة أو انكاثرة لسكانت كل منهما أقدر عليه من غيرها .

فإذا ظلت هذه الدول التي تملك عشرات الملايين من المسلمين ، محجوبة عن هذه الحقيقة بما ضربه التاريخ دونها من حجب السياسة والدن ، فليس من البعيد ان تقطن له دولة اليابان ، ان صح ما يظنه الأوروبيون من أنهم قطعوا طرق الحياة كلها على هذه القبايا من دول الاسلام .

وأما الاسلام الدني فهو لا يزداد الا قوة وحدة مهما حل بالاسلام بالسياسي ، وقد حفظ الدكتور منه شيئا وغاب عنه اشياء . فان كان بعض المنفرحين قد تروا الصلاة والصيام ، ويظن حوكما يظنون ان الجمالير سيديهم في هذا الضلال ، افسانا بزخرف الشهوات المدنية ، وما تعبت بقولهم الأراء الاوربية ، فليعلم ان عدد المسلمين يزيد ولا ينقص ، وان هؤلاء المنفرحين المنتهين سيرجع بعضهم الى الهدى ، ويهدى للمسلمون البعض الآخر نية النوى ، وأن الاسلام دين المستقبل « سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أو لم يكذب بربك انه على كل شيء شهيد » ؟

## الباطنية وغلاة المتصوفات

( بدعهم ونأويلاهم من فصول كتاب الاعتصام للامام الشاطبي )

## فصل

( ومنها ) بناء طائفة منهم الظواهر الشرعية على تأويلات لا أمقل -  
يدعون فيها انها هي المقصود والمراد ، لا ما يفهم العربي - مسندة عندهم الى  
اصل لا يعقل . وذلك انهم - فيما ذكر العلماء - قوم ارادوا ابطال الشريعة  
جملة وتفصيلاً ، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في ايديهم ، فلم  
يمكنهم إلقاء ذلك صراحاً ، فإرد ذلك في وجوههم ، وتمتد اليهم ايدي  
الحكام - فصرفوا ايمانهم الى التحال على ما قصدوا بأنواع من الخيل ،  
من جهتها صرف الهم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة ،  
وان الظواهر غير مرادة . فقالوا : كل ما ورد في الشرع من الظواهر  
في التكاليف والحشر والنشر والامور الإلهية ، نهي امثلة ورموز الى بواطن .

\*  
\*

فما زعموا في الشرعيات ان الجأبة مبادرة الداعي للمستجيب بأفشاء  
سرّ اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق . ومعنى القتل تجديد العهد على  
من فعل ذلك . ومعنى مجامعة البهيمة مقابحة من لا عهد له ولم يؤد -  
شيئاً من صدقة النجدي - وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم - قالوا :  
فلذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمنعول به ، والا فالبهيمة متى  
يجب القتل عليها ؟

والاحتلام ان يسبق اسائه الى افشاء السر في غير محله، فعليه الفسل،  
أي تجديد المعاهدة. والطهر هو التبري من اعتقاد كل مذهب سوى  
متابعة الامام. والتيمم الاخذ من المأذون الى أن يسعد بمشاهدة الداعي  
والامام. والصيام هو الامساك عن كشف السر.

ولهم من هذا الافك كثير في الامور الالهية، وامور التكليف،  
وامور الآخرة، وكله حوم على ابطال الشريعة جملة وتفصيلاً، اذ هم ثنوية  
ودهرية وإباحية، منكرون للنبوّة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار  
والملائكة، بل هم منكرون للربوبية. وهم المسمون بالباطنية. (١)

وربما تمسكوا بالحروف والاعداد بان الثقب في رأس الآدمي سبع،  
والكواكب السيارة سبع، وايام الاسبوع سبع، فهذا يدل على أن دور  
الأئمة سبعة، وبه يتم. وان الطوائف اربع، وفصول السنة اربع، فدل على  
أن اصول الاربعة هي السابق والتالي الاكبران - عندهم - والناطق  
والاساس. - وهما الامامان. - والبروج اثنا عشر، يدل على أن الحجج  
اثنا عشر، وهم الدعاة، الى انواع من هذا القبل. وجميعها ليس فيه ما يقابل  
بالرد، لأن كل طائفة من المبتدعة سوى هؤلاء، ربما يتمسكون  
بشبهة تحتاج الى النظر فيها معهم. أما هؤلاء فقد دخلوا في الهديان الربقة،  
وصاروا عرضة للمز، وضحكة للعالمين. وانما ينسبون هذه الاباطيل الى  
الامام المعصوم الذي زعموه، وابطال الأئمة معلوم في كتب المتكلمين.

(١) اتسمت الباطنية الى عدة فرق يجمعهم القول بجعل ظواهر النصوص  
غير مرادة، والذهاب في تأويلها مذاهب من التحكم لا تتفق مع اللغة في مجاز ولا  
كناية. والقول بامام معصوم، وقد يسمونه باسم آخر، ويحملونه بعد ذلك إليها.  
وآخر فرقهم الباطنية البهائية

ولكن لا بد من نكته مختصرة في الرد عليهم .

فلا يخلو ان يكون ذلك عندهم ما من جهة دعوى بالضرورة وهو محال، لأن الضروري هو ما يشترك فيه العقلاء علما وادراكا، وهذا ليس كذلك. واما من جهة الامام المعصوم بسماعهم منه لتلك التأويلات. فنقول لمن زعم ذلك: ما الذي دعاك الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم سوى المعجزة؟ وليس لا مامك معجزة، فالقرآن يدل على ان المراد ظاهره، لا ما زعمت. فان قال: ظاهر القرآن رسول الى بواطن فيها الامام المعصوم ولم يفهمها الناس فتعلمناها منه. قيل لهم: من أي جهة تعلمتموها منه؟ أم شهادة قلبه بالعين؟ أو بسماع منه؟ ولا بد من الاستناد الى السماع بالاذن. فيقال: فامل لفظه ظاهر له باطن لم تفهمه، ولم يطلعك عليه، فلا يوثق بما فهمت من ظاهر لفظه. فان قال: صرح بالمعنى. وقال: ما ذكرته ظاهر لا رمز فيه، او: و المراد ظاهره. قيل له: وماذا عرفت قوله انه ظاهر لا رمز فيه، بل انه كما قال؟ اذ يمكن أن يكون له باطن لم تفهمه ايضاً، حتى لو حلف بالطلاق الظاهر انه لم يقصد الا الظاهر، لاحتمال أن يكون في طلاقه رمز هو باطنه وليس مقتضى الظاهر. فان قال: ذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم. قيل له: فانتم حسمتموه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم، فان القرآن دأب على تقرير الوحدانية، والجنة، والنار، والحشر، والنشر، والا نبياء، والوحي، والملائكة، مؤكداً ذلك كله بالقسم. واتم تقولون: ان ظاهره غير مراد وان تحته رمزا. فان جاز ذلك عندهم بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لمصلحة وسراً له في الرمز، جاز بالنسبة الى معصومين أن يظهر لهم خلاف ما يضمرة لمصلحة وسراً له فيه، وهذا لا يحيص لهم عنه.

\*  
\* \*

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: ينبغي أن يعرف الإنسان رتبة هذه الفرقة هي أخس من رتبة كل فرقة من فرق الضلال، إذ لا تجد فرقة تنقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه التي هي الباطنية، إذ مذهبها إبطال النظر، وتغيير الألفاظ عن موضوعها بدعوى الرمز، وكل ما يتصور أن تنطق به السانتم فاما نظر أو نقل. أما النظر فقد ابطوه. وأما النقل فقد جوزوا أن يراد باللفظ غير موضوعه. فلا يبقى لهم معتصم. والتوفيق بيد الله.

\*  
\* \*

وذكر ابن العربي في العواصم مأخذاً آخر في الرد عليهم أسهل من هذا. وقال أنهم لا قبل لهم به - وهو أن يسلط عليهم في كل ما يدعونه السؤال «بكم» خاصة، فكل من وجهت عليه منهم سقط في يده. وحكى في ذلك حكاية ظريفة يحسن مودة باهاهنا. وتصور المذهب كاف في ظهور بطلانه، إلا أنه مع ظهور فساد وبعده عن الشرع قد اعتمده طوائف وبنوا عليه بدعافحشة (منها) مذهب المهدي المغربي. فانه عد نفسه الامام المنتظر، وانه معصوم حتى ان من شك في عصمته أو في أنه المهدي المنتظر فهو كافر.

وقد زعم ذووه انه ألف في الامامة كتاباً ذكر فيه أن الله استخلف آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم السلام، وان مدة الخلافة ثلاثون سنة، وبعد ذلك فرق واهواه وشمع مطاع، وهوى متبع، وأعجاب كل ذي رأي برأيه، فلم يزل الامر على ذلك، والباطل ظاهر والحق

كامن ، واللم مرفوع - كما اخبر عليه الصلاة والسلام - والجمل ظاهر ، ولم يبق من الدين الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ، حتى جاء الله بالامام فاعاد الله به الدين - كما قال عليه الصلاة والسلام « بديء الدين غريبا وسيعود غريبا كما بديء فطوبى للغرباء » وقال : ان طائفتهم الغرباء ، زعمان غير برهان زائد على الدعوى . وقال في ذلك الكتاب : جاء الله بالمهدي ، وطاعته صافية نقية ، لم ير مثالا قبل ولا بعد ، وان به قامت السموات ، والارض به تقوم ، ولا ضده ، ولا مثل ، ولا ند . وكذب ، تعالى الله عن قوله . وهذا كما نزل احاديث الترمذي وابي داود في الفاطمي على نفسه وانه هو بلا شك .

واول اظهاره لذلك انه قام في اصحابه خطيبا فقال : الحمد لله الفاعل لما يريد ، القاضي لما يشاء ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على النبي البديء بالمهدي ، يملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، يبعثه الله اذا نسخ الحق بالباطل ، وازيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الاقصى ، وزمانه آخر الأزمان ، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر جور الامراء ، وامتلات الارض بالفساد ، وهذا آخر الزمان ، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل . يشير الى ما جاء في احاديث الفاطمي .

فلما فرغ بادر اليه من اصحابه عشرة . فقالوا : هذه الصفة لا توجد الا فيك ، فانت المهدي . فبايعوه على ذلك . واحديث في دين الله احداثا كثيرة زيادة الى الاقرار باه المهدي المداوم ، والتخصيص بالمعصية . ثم وضع ذلك في الخطب ، وضرب في السكك ، بل كانت تلك الكلمة عندهم

مائة الشهادة . فمن لم يؤمن بها أو شك فيها ، فهو كافر كسائر الكفار .  
 وشرع القتل في مواضع لم يضعه الشرع فيها . وهي نحو من ثمانية عشر  
 موضعا . كترك امتثال امر من يستمع امره ، وترك حضور مواعظه  
 ثلاث مرات ، والمداهنة اذا ظهرت في احد قتل ، واشياء كثيرة .  
 وكان مذهبه البدعة الظاهرية ، ومع ذلك فابتدع اشياء ، كوجوه  
 من الشوب ، اذ كانوا ينادون عند الصلاة «بما صاليت الاسلام» و « بقيام  
 تا صاليت » و « سر دين » و « باردي » و « واصبح والله الحمد » وغيره .  
 فجرى العمل بجميعها في زمان الموحدين . وبقي اكثرها بعد ما انقرضت  
 دولتهم . حتى اني ادركت بنفسي في جامع غرناطة الاعظم الرضا عن الامام  
 المعصوم . المهدي المعلوم ، الى ان ازيلت وبقيت اشياء كثيرة غفل  
 عنها أو انقضت .

وقد كان السلطان ابو العلاء ادريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد  
 المؤمن بن علي منهم . ظهر له قببح ما هم عليه من هذه الابتداعات . فامر -  
 حين استقر بمراكش - بخليته بازالة جميع ما ابتدع من قبله ، وكتب بذلك  
 رسالة الى الاقطار يأمر فيها بتغيير تلك السنة ، ويوصي بتقوى الله  
 والاستعانة به ، والتوكل عليه ، وانه قد نبذ الباطل واظهر الحق ، وان  
 لا مهدي الا عيسى ، وان ما ادعوه انه المهدي بدعة ازالها ، واسقط اسم من  
 لا تثبت عصمته .

وذكر ان ابا المنصور هم بان يصدع بما به صدع ، وان يرفع الحرف  
 الذي رفع ، فلم يساعده الاجل لذلك . ثم لما مات واستخلف ابنه ابو محمد  
 عبد الواحد الملقب بالرشيدي ، وفد اليه جماعة من اهل ذلك المذهب المنسبين

بالموحدين ، ققتلوا منه في الذرورة والفارب ، وضمنوا على انفسهم الدخول تحت طاعته، والوقوف على قدم الخدمة بين يديه، والمدافعة عنه بما استطاعوا، لكن على شرط ذكر المهدي وتخصيصه بالعصمة في الخطبة والمحاطبات، ونقش اسمه الخاص في السكك، واعادة الدعاء بعد الصلاة، والنداء عليها « بتواصلت الاسلام » عند كمال الاذان و « بتقام تواصلت » وهي اقامة الصلاة، وما اشبه ذلك من « سودرين » و « وقادري » و « اصبح والله الحمد » وغير ذلك .

وقد كان الرشيد استمر على العمل بما رسم ابوه من ترك ذلك كله ، فلما اتدب الموحدون الى الطاعة اشترطوا اعادته ما ترك ، فاسعفوا فيه . فلما احتلوا منازلهم اياما ولم يعد شيء من تلك العوائد ، ساءت ظنونهم، وتوقعوا انقطاع ما هو عمدهم في دينهم ، وبلغ ذلك الرشيد ، فجدد تأنيبهم باعادتها .

قال المؤرخ : فيا لله ! ماذا بلغ من سرورهم وما كانوا فيه من الارتياح لسماح تلك الامور ، وانطلقت السنن بالدعاء على خليفتهم بالنصر والتأييد، وشملت الافراح فيهم الكبير والصغير. وهذا شأن صاحب البدعة، فلن يسر باعظم من انتشار بدعته واظهارها (ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا) وهذا كله دائر على القول بالامامة والعصمة الذي هو رأى الشيعة .

## فصل

(ومنها) رأى قوم التنالي في تعظيم شيوخهم ، حتى الحقوهم بما لا يستحقونه . فالقتصد منهم يزعم أنه لا ولي لله اعظم من فلان ، وربما



اغلقوا باب الولاية دون سائر الأمة الا هذا المذكور . وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ، لأنه لا يمكن أن يبلغ المتأخرون ابدأً مبلغ المتقدمين . فخير القرون الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ، ثم الذين يلونهم ، وهكذا يكون الامر ابدأً الى قيام الساعة . فانوى ما كان اهل الاسلام في دينهم واعمالهم و يقينهم واحوالهم في اول الاسلام . ثم لا زال ينقص شيئاً فشيئاً الى آخر الدنيا . لكن لا يذهب الحق جملة ، بل لا بد من طائفة تقوم به وتمتده . وتمل بمقتضاه على حسبهم في ايمانهم . لا ما كان عليه الاولون من كل وجه ، لانه لو أتق احد من المتأخرين وزن احد ذهباً ما بلغ مدّاً احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصيفه . واذا كان ذلك في المال فكذلك في سائر شعب الايمان ، بشهادة التجربة المادية .

ولما تقدم اول الكتاب انه لا يزال الدين في نقص فهو اصلي لا شك فيه . وهو عند اهل السنة والجماعة . فكيف يتقد بعد ذلك في انه ولي اهل الارض ؟ وليس في الأمة ولي غيره ؟ لكن الجهل الغالب ، والغلو في التنظيم ، والتمصب للنحل ، يؤدي الى مثله أو أعظم منه . والمتوسط يزعم انه مساو للنبي صلى الله عليه وسلم ، الا انه لا يأتيه الوحي . بلغني هذا عن طائفة من الغالين في شيخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظير ما ادعاه بعض تلامذة الحلاج في شيخهم على الاقتصاد منهم فيه . والغالي<sup>(١)</sup> يزعم فيه أشنع من هذا ، كما ادعى اصحاب الحلاج في الحلاج .

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « والغالي »

وقد حدثني بعض الشيوخ أهل العدالة والصدق في النقل انه قال :  
 اقيت زمانا في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار اليها  
 كثير - قال - فخرجت يوما من منزلي لبعض شأني ، فرأيت رجلين منهم  
 قاعدين ، فاتهمتهما يتحدتان في بعض فروع طريقتهما ، فقربت منهما  
 على استخفاء لأسمع من كلامهم ، - إذ من شأنهم الاستخفاء بأسرارهم -  
 فتحدثا في شيخهم وعظم منزلته ، وانه لا أحد في الدنيا مثله ، وطربا لهذه  
 المقابلة طربا عظيما ، ثم قال أحدهما للآخر : أتجب الحق ؟ هو النبي . قال :  
 نعم هذا هو الحق . قال المخبر : فقلت من ذلك المكان فأرا أن يصيبني  
 معهم قارعة .

وهذا نمط الشيعة الامامية . ولولا الغلو في الدين والتكالب على نصر  
 المذهب ، والتهاك في محبة المبتدع ، - لما وسع ذلك عقل احد ، ولكن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر  
 وذراعا بذراع » الحديث . فمؤلا غلوا كما غات النصارى في عيسى عليه  
 السلام . حيث قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم . - فقال : الله تعالى  
 ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد  
 ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ) وفي الحديث « لا  
 تطروني كما طرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » .  
 ومن تأمل هذه الاصناف وجد لها من البدع في فروع الشريعة  
 كثيرا ، لأن البدعة اذا دخلت في الاصل سهلت مداخلتها الفروع .

## فصل

واضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الاعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلانا الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق مثل هذا كثيرا للمتوسمين <sup>(١)</sup> برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال لي كذا وامرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها معرضا عن الحدود الموضوعه في الشريعة ، وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الانبياء لا يحكم بها شرعا على حال الا ان تعرض على ما في ايدينا من الاحكام الشرعية ، فان سوغتها عمل بمقتضاها ، والا وجب تركها والاعراض عنها ، وانما فائدتها البشارة أو الندارة خاصة . وأما استفادة الاحكام فلا . كما يحكى عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله ان لا يميت قلبي . فقال « قل كل يوم اربعين مرة يا حي يا قيوم ، لا اله الا انت » فهذا كلام حسن لا اشكال في صحته ، وكون الذكر يحمي القلب صحيح شرعا . وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة . وانما يبقى الكلام في التحديد بالاربعين ، واذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله ، قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق اليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح ، لانه كالتنبيه لموضع الدليل ،

(١) تمس بالشيء احتك به ، وتمس بيديه تلعب به وعبت كما يعبت البعير ، والمراد بهم هنا المتقدمون للصوفية في رسومهم الظاهرة دون اخلاقهم واعمالهم

لان ترك النفس معناه ترك هواها باطلاق ، والوقوف على قدم العبودية . والآيات تدل على هذا المعنى ، كقوله تعالى ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى ) وما أشبه ذلك . فلو رأى في النوم قائلاً يقول : ان فلانا سرق فأقطمه ، أو عالم فأسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحدّه ، وما أشبه ذلك ، لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة ، والا كان عاملاً بغير شريعة ، اذ ليس بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي .

ولا يقال : إن الرؤيا من اجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل . وأيضاً إن المخبر في المنام قد يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قد قال « من رأى في النوم فقد رأى حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي » واذا كان : . فأخباره في النوم كإخباره في اليقظة .

لانا نقول : ان كانت الرؤيا من اجزاء النبوة فليست اليانا من كمال الوحي ، بل جزء من اجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل انما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت الى جهة البشارة والندارة ، وفيها كاف<sup>(١)</sup>

وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من اجزاء النبوة من شرطها ان تكون سالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضاً فهي منقسمة الى الحليم ، وهو من الشيطان ، والى حديث النفس ، وقد تكون سبب هيجان بعض اخلاط ، فتمت تعين الصالحة حتى

(١) كذا واصل في الكلام حذفاً

يحكم بها وتترك غير الصالحة ؟

ويلزم أيضاً على ذلك ان يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو منهي عنه بالاجماع .

يحكى ان شريك بن عبد الله القاضي دخل على المهدي ، فلما رآه قال :  
علي بالسيف والنطع . قال : ولم يا امير المؤمنين ؟ قال : رأيت في منامي  
كأنك تطأ بساطي وأنت ممرض عني ، فقصدت رؤياي على من غيرها ،  
فقال لي : يظهر لك طاعة ويضمر معصية . فقال له شريك : والله ما رؤياك  
برؤيا ابراهيم الخليل عليه السلام ، ولا معبرك يوسف الصديق عليه  
السلام ، فبالاحلام الكاذبة تضرب اعناق المؤمنين ؟ فاستعجب المهدي ،  
وقال : اخرج عني . ثم صرفه وابعده .

وحكى الغزالي عن بعض الأئمة انه افتى بوجوب قتل رجل يقول  
بخلق القرآن ، فروجع فيه ، فاستدل بان رجلاً رأى في منامه ابليس قد  
اجتاز باب المدينة ولم يدخلها ، فقيل : هل دخلها ؟ فقال : اغتاني عن  
دخولها رجل يقول بخلق القرآن ، فقام ذلك الرجل فقال : لو افتى ابليس  
بوجوب قتلي في اليقظة هل تقلدونه في فتواه ؟ فقالوا : لا ! فقال : قوله  
في المنام لا يزيد على قوله في اليقظة .

\*\*

وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الرائي بالحكم .  
فلا بد من النظر فيها ايضاً ، لأنه اذا اخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم  
بما استقر ، وان اخبر بمخالف ، فيحال ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا ينسخ  
بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لان الدين لا يتوقف استقراره

(الناج ٤ م ١٧) حديث « من رأى في النوم » وتفسير يقين رؤيته ٢٨٥

بعد موته على حصول المرأى النومية ، لأن ذلك باطل بالاجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : ان رؤياه غير صحيحة . اذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع .

لكن يبقى النظر في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى في النوم فقد رأى » وفيه تأويلان : احدهما ما ذكره ابن رشد اذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فانها باطلة . فاجاب بانه لا يحل له ان يترك العمل بتلك الشهادة ، لان ذلك يبطل لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد ، اذ لا يعلم الغيب من ناحيتها الا الانبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم انما رؤياهم جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة .

ثم قال : وليس معنى قوله « من رأى فقد رأى حقاً » ان كل من رأى في منامه انه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل ان الرأى قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه الرأى على صفة ، وغيره على صفة اخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي صلى الله عليه ولا صفاته . وانما معنى الحديث « من رأى على صورتي التي خلقت عليها . فقد رأى » اذ لا يتمثل الشيطان بي « اذ لم يقل : من رأى انه رأى ، فقد رأى . وإنما قال : من رأى فقد رأى . وانى لهذا الرأى الذي رأى انه رآه على صورته انه رآه عليها ؟ وان ظن انه رآه ، ما لم يعلم ان تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما لا طريق لأحد الى معرفته .

فهذا ما نقل عن ابن رشد . وحاصله يرجع الى ان المرئى قد يكون

غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وان اعتقد الرائي انه هو

\*\*\*

والتأويل الثاني يقوله علماء التعمير : ان الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم . فيشير له الى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من اشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به . فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عندهم . واذا كان كذلك امكن ان يكلمه المشار اليه بالامر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الرائي انه من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى .

وما اخرى <sup>(١)</sup> هذا الضرب أن يكون الامر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الاول ، حقيق بان يكون فيه موافقا ، وعند ذلك لا يبقى في المسئلة اشكال . نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم ، لا يمكن اختلاط احد القسمين بالآخر . وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الاحكام الاضعيف المنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة وندارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يبنون عليها اصلاً ، وهو الاعتدال في اخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله اعلم .

## فصل

وقد رأينا أن نختم الكلام في الباب بفصل جمع جملة من الاستدلالات المتقدمة ، وغيرها في معناها ، وفيه من نكت هذا الكتاب جملة اخرى ، فهو مما يحتاج اليه بحسب الوقت والحال ، وان كان فيه طول ولكنه

(١) نص النسخة التي نطبع عنها « اجري » بالجم وهو غلط

يخدم ما نحن فيه ان شاء الله تعالى .

وذلك انه وقع السؤال عن قوم يتسمون بالفقراء ، يزعمون انهم سلكوا طريق الصوفية ، فيجتمعون في بعض الليالي يأخذون في الذكر الجمهوري على صوت واحد ، ثم في الفناء والرقص ، الى آخر الليل ، ويحضر معهم بعض المتسمين بالفقهاء ، يترسمون برسم الشيوخ الهداة الى سلوك ذلك الطريق : هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟

فوقع الجواب بان ذلك كله من البدع المحدثات ، المخالفة لطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطريقة اصحابه والتابعين لهم باحسان ، فنعى الله بذلك من شاء من خلقه .

ثم ان الجواب وصل الى بعض البلدان ، فقامت القيامة على العاملين بتلك البدع ، وخافوا اندراس طريقتهم ، وانقطاع اكلامهم بها ، فارادوا الانتصار لأنفسهم ، بعد أن راموا ذلك بالانتساب الى شيوخ الصوفية الذين ثبتت فضيلتهم ، واشتهرت في الانتفاع الى الله ، والعمل بالسنة طريقتهم ، فلم يستقر لهم الاستدلال ، لكونهم على ضد ما كان عليه القوم ، فانهم كانوا بنواختهم على ثلاثة اصول : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال ، واك كل الحلال ، واخلاص النية في جميع الاعمال ، وهؤلاء قد خالفوهم في هذه الاصول ، فلا يمكنهم الدخول تحت ترجمتهم وكان من قدر الله ان بعض الناس سأل بعض شيوخ الوقت في مسألة تشبه هذه ، لكن حسن ظاهرها بحيث يكاد باطنها يخفي على غير التأمل . فاجاب عفا الله عنه على مقتضى ظاهرها من غير تعرض الى ما هم عليه من البدع والضلالات ، ولما سمع بعضهم بهذا الجواب ارسل



به الى بلدة اخرى ، فأتى به فرحل الى غير بلده ، وشهر في شيعته أن بيده حجة لطريقتهم تقرر كل حجة ، وأنه طالب للمناظرة فيها ، فدعي لذلك فلم يقم فيه ولا قعد ، غير أنه قال : ان هذه حجتي ، وألقي بالبطاقة التي بخط الحبيب ، وكان هو ومجيبه (١) وأشياءه يطايرون بها فرحاً ، فوصلت المسئلة الى غرناطة ، وطلب من الجميع النظر فيها . فلم يسمع احد له قوة على النظر فيها الا اول (٢) أن يظهر وجه الصواب فيها الذي يدان الله به لأنه من النصيحة التي هي الدين القويم ، والصراط المستقيم

ونص خلاصة السؤال : ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين يجتمعون في رباط على ضفة البحر في الليالي الفاضلة ، يقرؤون جزءا من القرآن ، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما امكن في الوقت ، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس ، ثم يقوم من بينهم قوال يذكر شيئاً في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى من السماع ما تروق النفس اليه وتشتاق سماعه من صفات الصالحين ، وذكر آلاء الله ونعمائه ، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازية ، والمعاهد النبوية ، فيتواجدون اشتياقاً لذلك ، ثم يأكلون ما حضر من الطعام ، ويحمدون الله تعالى ، ويرددون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتهلون بالدعية الى الله في صلاح أمورهم ، ويدعون للمسلمين ولائهم ويفترقون .

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذكر ؟ أم يمتنعون وينكر عليهم ؟ ومن دعاهم من المحبين الى منزله بتصد التبرك ، هل يجيبون دعوته ويجتمعون على

(١) كذا ولعلها « ومحبته » أو « ومحبوه » (٢) لفظ الاول لا يظهر له معنى هنا والظاهر ان المقام مقام الاستثناء وان العبارة ربما دخل فيها التحريف والسقط

الوجه المذكور أم لا؟

فاجاب بما محصوله : مجالس تلاوة القرآن وذكر الله هي رياض الجنة . ثم أتى بالشواهد على طلب ذكر الله . واما الانشادات الشعرية . فانما الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وفي القرآن في شعراء الاسلام ( الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ) وذلك ان حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعبا لما سمعوا قوله تعالى ( والشعراء يتبعهم الغاوون ) الآيات . بكوا عند سماعها فنزل الاستثناء ، وقد أشد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورقت نفسه الكريمة وذرفت عيناه لأبيات اخت النضر ، لما طبع عليه من الرأفة والرحمة . واما التواجد عند السماع ، فهو في الاصل رقة النفس ، واضطراب القلب ، فيتأثر الظاهر بتأثر الباطن . قال الله تعالى ( الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ) أي اضطربت رغباً أو رهباً . وعن اضطراب القلب يحصل اضطراب الجسم ، قال الله تعالى ( لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ) الآية . وقال ( ففروا الى الله ) فانما التواجد رقة نفسية ، وهزة تليسية ، ونهضة روحانية . وهذا هو التواجد عن وجد ، ولا يسمع فيه تكبير من الشرع . وذكر السلمي انه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع . وهي ( وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا ) الآية . وكان يقول : ان القلوب مربوطة باللكوت ، حركتها انوار الازكار ، وما يرد عليها من فنون السماع .

ووراء هذا تواجد لاعن وجد ، فهو مناط الدم ، لمخالفة ما ظهر

لما بطن . وقد يخرّب<sup>(١)</sup> فيه الأمر عند القصد لاستنهاض العزائم ، واعمال الحركة في يقظة القلب النائم « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فبناكوا »<sup>(٢)</sup> ولكن شتان ما بينها .

و اما من دعا طائفة الى منزله فتجابه دعوته ، وله في ذلك قصده ونيته . فهذا ما ظهر تقيده على مقتضى الظاهر ، والله يتولى السرائر ، وانما الاعمال بالنيات . انتهى ما قيده .

فكان مما ظهر لي في هذا الجواب : ان ما ذكره في مجالس الذكر صحيح اذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح ، فانهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم من بعض ، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثاها من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفت بهم الملائكة ، وذكروهم الله فيمن عنده » وهو الذي فيه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله .

وكذلك الاجتماع على الذكر فانه اجتماع على ذكر الله . ففي رواية اخرى انه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة » الحديث المذكور . لا الاجتماع للذكر على صوت واحد ، واذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله ، أو التذاكر في العلم ان كانوا علماء ، أو كان فيهم عالم فجلس

(١) لعله « يعزب » (٢) لعله أراد حديث « أتلاوا القرآن وابكوا ، فان لم تبكوا فبناكوا » فاقبسه بالمعنى ، وهو في سنن ابن ماجه من حديث سعد ابن ابي وقاص بسند جيد

اليه متعلمون ، أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعده عن معصيته . وما اشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه ، وعمل به الصحابة والتابعون . فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي جاء فيها من الاجر ما جاء .

كما يحكى عن ابن ابي ليلى انه سئل عن القصص . فقال : ادركت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجلسون ويحدث هذا بما سمع وهذا بما سمع . فاما ان يجلسوا خطيباً فلا . وكان كالذى زراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية . أو تجتمع اليه العامة فيعلمهم امر دينهم ، ويذكرهم بأسه ، ويبين لهم سنة نبيهم ليعملوا بها ، ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويتجنبوا مواطنها والعمل بها .

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرّمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق التصوف . وقل ما نجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة الا على اللحن ، فضلاً عن غيرها ، ولا يعرف كيف يتعبد ، ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرّموا مجالس الذكر التي تنشأها الرحمة ، وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟ فبانطاس هذا النور عنهم ضلوا ، فاقتدوا بجهال امثالهم ، واخذوا يقرؤن الاحاديث النبوية والآيات القرآنية فينزلونها على آرائهم ، لا على ما قال اهل العلم فيها . فخرجوا عن الصراط المستقيم ، الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قراءته الغناء المنسوم ، ثم يقولون

تعالوا نذكر الله . فيرفعون اصواتهم يشون ذلك الذكر مداولة ، طائفة في جهة ، وطائفة في جهة اخرى ، على صوت واحد يشبه الغناء ، ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا . فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح اولى بادراكه وفهمه والعمل به ، والا فآين في الكتاب أو في السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ؟ وقد قال تعالى ( ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ) والمعتدون في التفسير هم الرافعون اصواتهم بالدعاء

وعن ابي موسى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاجتمع الناس يجهرون بالكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائباً ، انكم تدعون سميماً قريباً ، وهو ممك » وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ، ولم يكونوا رضي الله عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهى عن رفع الصوت ليكونوا للآية ممثلين . وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر ، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون . وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك ، وهي الربط التي يسمونها بالصفة . ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله .

فالخاص من هؤلاء انهم حسنوا الظن بانهم فيما هم عليه مصيبون ، واساؤوا الظن بالسلف الصالح اهل العمل الراجح الصريح ، واهل الدين الصحيح . ثم لما طالبهم لسان الحال بالحجة اخذوا كلام المحجب بهم لا يعلمون ، وقولوه ما لا يرضى به العلماء ، وقد بين ذلك في كلام آخر اذ شئ عن ذكر فقراء زماننا ، فاجاب بان مجالس الذكر المذكورة في الاحاديث انها

هي التي تلى<sup>(١)</sup> فيها القرآن ، والتي يُتلم فيها العلم والدين ، والتي أتمر بالعلم والتذكير بالآخرة والجنة والنار . كما جالس سفيان الثوري والحسن وابن سيرين ، واضرابهم .

اما مجالس الذكر اللساني فقد صرح بها في حديث الملائكة السياحين ، لكن لم يذكر فيه جهراً بالكلمات ، ولا رفع اصوات ، وكذلك غيره . لكن الاصل المشروع اعلان الفرائض واخفاء النوافل ، واتى بالآية وبقوله تعالى ( اذ نادى ربه نداء خفياً ) وبحديث « اربعوا على انفسكم » - قال - : وفقراء الوقت قد تخيروا بآيات ، وتميزوا باصوات ، هي الى الاعتداء ، اقرب منها الى الاقتداء ، وطريقتهم الى اتخاذها مأكلة وصناعة ، اقرب منها الى اعتدادها قرينة وطاعة .

انتهى معناه على اختصار اكثر الشواهد . وهي دليل على ان فتواه المحتج بها ليس معناها ما رام هؤلاء المبتدعة . فانه سئل في هذه عن فقراء الوقت ، فاجاب بدمهم ، وان حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناول عمليهم . وفي الاولى انما سئل عن قوم يجتمعون لقراءة القرآن ، أو لذكر الله . وهذا السؤال يصدق عن قوم يجتمعون مثلاً في المسجد فيذكرون الله ، كل واحد منهم في نفسه أو يتلو القرآن نفسه ، كما يصدق على مجالس المعلمين والمتعلمين ، وما اشبه ذلك مما تقدم التنبيه عليه ، فلا يسمه وغيره من الملباء الا ان يذكر محاسن ذلك والثواب عليه ، فلما سئل عن اهل البدع في الذكر والتلاوة بين ما ينبغي أن يعتمد عليه الموفق ، ولا توفيق الا بالله العلي العظيم . اه المراد منه

(١) في الاصل « يختلا » هكذا ، فصحتها ناسخ الورق الذي نطبع عنه فجعلها « يختلى » وكلاهما غلط

فصل<sup>\*</sup>

ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين (منزلة التوكل)

قال الله تعالى (ونلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال عن اوليائه - ربنا عليك توكلنا وابليك انبنا وابليك المصير - وقال - قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا - وقال ارسوا - فتوكل على الله الملك على الحق المبين - وقال - وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا - وقال - وتوكل على الحي الذي لا يموت وبيع بحمده - وقال - فاذا عجزت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين - وقال عن اوليائه ورسوله - وما لنا الا نتوكل على الله ؟ (١) الآية - وقال عن اصحابه - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقرءوا حسانا الله ونعم الوكيل - وقال - انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، ما تذكرت عنهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ) والقرآن مملوء من ذلك وفي الصحيحين في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطهرون ، ولا يكتفون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين اتى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ( ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ) وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وابليك انبت ، وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك ، لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذي لا تموت ، والجن والانس يموتون » وفي الترمذي عن عمر رضي الله عنه مرفوعا « او انكم تتوكلون على الله حتى توكله ليرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصاصا وتروح بطانا » وفي السنن عن انس رضي الله عنه

\* تروى من الجزء الثاني من كتاب (مدارج السالكين . بين منازل «اياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم (١) زاد في البندادية من الآية قوله تعالى «وقد هدانا سبينا»

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال - يعني اذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ، ولا حول (١) ولا قوة الا بالله ، يقال له : هديت ووقيت (٢) وكفيت ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل هدي وكفي ووقى ؟ »  
التوكل نصف الدين ، ونصفه الثاني الاقامة ، فان الدين استمانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستمانة ، والاقامة هي العبادة ، ومنزلة أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معصومة بالتأويلين لسمة تماثل التوكل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والابرار والنجار ، والطيور والوحش والبهائم ، فأهل السموات والارض - المكافون وغيرهم - في مقام التوكل ، وان تباين متعلق وكلهم . فاولياؤه وخاصة يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم ، وفي اقامته في الخلق ، فيتوكلون عليه في الايمان ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد اعدائه ، وفي محابه وتنفيذ اوامره . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق او عافية او نصر على عدو او زوجة او ولد ، ونحو ذلك . ( ودون هؤلاء ) من يتوكل عليه في حصول الاثم والفواحش . فان اصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبا الا باستمانتهم بالله ، وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكلهم (٣) أقوى من توكل كثير من اصحاب الطاعات ، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله ان يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم ، فأفضل التوكل في الواجب (اعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس) ، واوسعها وانفعها التوكل في التأثير في الخارج في مصلحة دينية ، او في دفع مفسدة دينية ، وهو توكل الانبياء في اقامة دين الله ، ودفع فساد المفسدين في الارض ، وهذا توكل ورثتهم

ثم الناس بعد في التوكل على حسب همهم ومقاصدهم ، فمن متوكل على الله في حصول الملك ، ومتوكل في حصول رغبة . ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله ، فان كان محبوبا له مرضيا كانت له فيه العاقبة المحمودة ، وان كان

(١) في نسخة « ولا حول » وفي البندادبة سقط الواو (٢) وفيها « وكفيت ووقيت »

(٣) في الحجازية « توكلهم عليه »



مسخوطا ميفوضا كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه ، وان كان مباحا حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه ، ان لم يستعن به على طاعة (١) والله اعلم .

### فصل

فلنذكر معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه .

قال الامام احمد : التوكل عمل القلب . ومعنى ذلك انه عمل قلبي ليس بقول اللسان ، ولا عمل الجوارح ، ولا هو من باب العلوم والادراكات . ( ومن ) الناس من يجمله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو ندم القلب بكفاية الرب للعبد . ( ومنهم ) من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقبله كيف يشاء ، وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الاقدار . قال سهل : التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد . ( ومنهم ) من يفسره بالرضا . فيقول : هو الرضا بما تقدر . قال بشر الخافي : يقول احدهم : توكلت على الله ، يكذب على الله ، او توكل على الله رضي بما يبدل الله . ومثل يحيى بن معاذ : متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال اذا رضي بالله وكلا ( ومنهم ) من يفسره بالتمتع بالله ، والطمأنينة اليه والسكون اليه . قال ابن عطاء : التوكل ان لا يظهر فيك نزاع الى الاسباب مع شدة فائق اليها ، ولا تنزال (٢) على حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها . وقال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه . وقال بعضهم : التوكل التعلق بالله في كل حال . وقيل : التوكل ان ترد عليك موارد الفاقات ، فلا تسو الا الى من اليه الكفايات . وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض الى مالك الملوك . وقال ذو النون : خلع الارباب ، وقطع الاسباب - يريد قطعها من تعلق القلب بها ، لا من ملازمة الجوارح لها .

( ومنهم ) من جملة من كتب من امرين او امور . فقال ابو سعيد الخزاز :

(١) في البداية طاعته (٢) في البداية - ولا تزول

التوكل اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب ، — يريد حركة ذاته في الاسباب بالظاهر والباطن — وسكون الى المسبب وركون اليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تسكن حركته عن الاسباب الموصلة الى رضاه . وقال ابو تراب النخعي : هو طرح البدن في اليهودية ، وتملق القلب بالربوبية ، والطمأنينة الى الكفاية . فان اعطي شكر ، وان منم صبر . فجملة مركبا من خمسة امور : اقيام بهركات اليهودية ، وتملق القلب تدبير الرب ، وسكونه الى قضائه وقدره ، وطمأنينته بكفايته له ، وشكره اذا اعطي ، وصبره اذا منم . قال ابو يعقوب النهرجوري : التوكل على الله بكامل الحقيقة كما وتم لابراهيم الخليل عليه السلام في الوقت الذي قال لغيريل عليه السلام « اما اليك فلا ، لانه غائب عن نفسه بالله (١) » لم ير مع الله غير الله .

واجمع اقوم على ان التوكل لا ينافي القيام بالاسباب ، فلا يصح التوكل الا مع القيام بها . والا فهو بطالة وتوكل فاسد . قال سهل بن عبد الله : من طمن في الحركة فقد طمن في السنة ، ومن طمن في التوكل فقد طمن في الايمان ، فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سته . وهذا معنى قول ابي سعيد « هو اضطراب بلاسكون ، وسكون بلا اضطراب » وقول سهل ابن ابراهيم وارفع . وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله . وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة . (٢) وقيل : التوكل هجر العلائق ، ومواصلة الحقائق . وقيل : التوكل ان يستوي عندك الاكثار والاقلال . وهذا من وجباته وآثاره ، لانه (٣) حقيقته . وقيل : هو ترك كل سبب يوصلك الى مسبب ، حتى يكون الحق هو المتولي لذلك . وهذا صحيح من وجه ، باطل من وجه ، فترك الاسباب المأمور بها قاذح في التوكل ، وقد تولى الحق اتصال العبد بها . وأما ترك الاسباب المباحة ، فان تركها لما هو أرجح منها . صامخا فمدوح ، والا فهو

(١) في البغدادية — لانه علق نفسه بالله — (٢) هانان الفقير فان سقطنا من نسختنا فأبتاهما من البغدادية (٣) وفيها — لانه —

مذموم . وقيل : هو إلقاء النفس في العبودية ، وإخراجها من الربوبية . يريد استرسالها مع الامر ، وبرأتها من حولها وقوتها ، وشهود ذلك بها ، بل بالرب وحده .  
( ومنهم ) من قال : التوكل هو التسليم لامر الرب وقضائه ( ومنهم ) من قال : هو التفويض اليه في كل حال .

( ومنهم ) من جعل التوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية . قال ابو علي الدقاق : التوكل ثلاث درجات - التوكل ، ثم التسليم ، ثم التفويض . فالتوكل يسكن الى وعده ، وصاحب التسليم يكتبني بملحه ، وصاحب التفويض يرضى بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم وساطة ، والتفويض نهاية فالتوكل صفة المؤمن ، والتسليم صفة الاولياء ، والتفويض صفة الموحدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخوارج ، والتفويض صفة الخاصة . التوكل صفة الانبياء ، والتسليم صفة ابراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين . هذا كله كلام الدقاق . ومعنى هذا التوكل اعتماد على الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوع اقتراح عليه ، واردة وشائبة منازعة ، فاذا سلم اليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله . وحال المفوض فرق هذا ، فانه طالب يريد ممن فوض اليه ، ما تمس منه ان يتولى أموره ، فهو رضا واختيار ، وتسليم واعتماد ، فالتوكل يندرج في التسليم . وهو والتسليم يندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالى اعلم .

### فصل

وحقيقة الامر أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل الا بها . وكل اشار الى واحد من هذه الامور ، او اثنين او اكثر . فأول ذلك معرفة بالرب وصفاته ، من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الامور الى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته . وهذه المعرفة اول درجة يضم بها العبد قدمه في مقام التوكل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ، ولا من القدريّة النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء (١) ولا

(١) في البعدانية « ما لم يشأ »

يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل الا من اهل الاثبات . فأبي توكل لمن يعتقد أن الله لا يمل جزئيات العالم ؟ ولا هو فاعل باختياره ؟ ولا له ارادة ومشية ؟ ولا يقوم به صفة ؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم واعرف ، كان توكله اصح واقوى . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### فصل

( الدرجة الثانية اثبات في الاسباب والمسببات ) فان من نقاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي ان الاسباب يقدر في التوكل ، وأن نقيا كمال (١) التوكل

فان لم ان نفاة الاسباب لا يستقيم لم توكل البتة ، لان التوكل من اقوى الاسباب في حصول التوكل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببا في حصول المدعو به فاذا اعتقد العبد ان توكله لم ينصبه الله سببا ، ولا جعل دعاءه سببا لنيل شيء ، فان التوكل فيه المدعو بمحصله ان كان قدر (٢) حصل توكل او لم يتوكل ، دعا او لم يدع . وان لم يقدر لم يحصل ، توكل ايضا او ترك التوكل . وصرح هؤلاء ان التوكل والدعاء عبودية محضة لا فائدة لها الا ذلك ، ولو ترك العبد التوكل والدعاء ما فاته (٣) شيء مما قدر له . ومن غلاتهم من يجعل الدعاء بدم المواخذة على الخطأ والنسيان عديم الفائدة ، اذ هو مضمون الحصول .

ورأيت بعض متعقبي هؤلاء في كتاب له (٤) لا يجوز الدعاء بهذا ، وإنما يجزئه تلاوة لا دعاء . قال — لأن الدعاء به يتضمن الشك في وقوعه ، لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشك في وقوع ذلك — شك في خبر الله ، فانظر الى ما قاد انكار الاسباب من العظام ، وتحريم الدعاء بما أنى الله على عباده وأوليائه بالدعاء

(١) نص لسختنا — كلام التوكل — وكلام محرف عن كمال بالقلب ، كما هو نص الحجازية ، والبغدادية « تمام التوكل » (٢) في البغدادية « قد قدر » (٣) لسختنا والحجازية « ما فاته » والبغدادية « ما فاته » (٤) نص الحجازية « في كتاب لا » وسقط من البغدادية كلمة « له »

به و بطلبه ، ولم يزل المسلمون من عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم الى الآن يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من أفضل الدعوات .

وجواب هذا الوهم الباطل ان يقال : بقي قسم ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه ، وهو الواقع . وهو ان يكون قضى بمحصل الشيء عند حصول سببه من التوكل والدعاء ، فنصب الدعاء والتوكل سببين لحصول المطلوب ، وقضى الله بحصوله اذا فعل العبد سببه ، فاذا لم يأت بالسبب امتنع السبب . وهذا كما قضى بحصول الولد اذا جامع الرجل من يجلها ، فاذا لم يجامع لم يخلق منه الولد . وقضى بحصول الشبع اذا أكل ، والري اذا شرب ، فاذا لم يشبع لم يشبع ولم يرو . وقضى بحصول الملح والوصول الى مكة اذا سافر وركب الطريق ، فاذا جلس (١) في بيته لم يصل الى مكة (١) وقضى بدخول الجنة اذا أسلم وأتى بالاعمال الصالحة ، فاذا ترك الاسلام لم يدخلها أبدا (٢) وقضى بانصاج الطعام بإيقاد النار تحته . وقضى بطاوع الجبوب التي تزرع بشق الارض وإلقاء البذر فيها ، فالجأ (٣) بذلك لم يحصل الا انطية . فوزان ما قاله منكرو الاسباب ان يترك كل من هؤلاء السبب الموصل ، ويقول : ان كان قضى لي وسبق في الازل حصول الولد والشبع والري والمهج ونحوها ، فلا بد ان يصل ، ان تحركت أو سكنت ، تزوجت أو تركت ، سافرت أو قدمت ، وان لم يكن قضى لي لم يحصل لي ايضا ، فقلت أو تركت . فهل يعد أحد هذا من جملة العقلاء ؟ وهل البهائم الا الله منه ؟ فان البهيمة تسعى في السبب بالهداية العامة . فالتوكل من أنظم الاسباب التي يحصل بها المطاوع ، ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الاسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون الى الاسباب ، وقطاع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فالاسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبية وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الاسباب الا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل الا على قدم العبودية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

( ١ ) في البندادية « فاذا جلس في بيته لم يصل الى مكة أبدا » ( ٢ ) حذف من البندادية لفظ « أبدا » ( ٣ ) نص البندادية فان لم « يأت »

## فصل

الدرجة الثالثة (رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل) (١) فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصبح له توحيد ، بل حتمية التوكل توحيد القلب ، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول ، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل ، فإن العبد متى التفت الى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شغب قلبه ، فتمس من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ، ومن هاهنا ظن من ظن ان التوكل لا يصح الا برفض الاسباب ، وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لاغن الجوارح ، فتوكل لا يتم الا برفض الاسباب عن القلب ، وتلق الجوارح بها ، فيكون منقطعا منها متعملا بها . والله سبحانه أعلم .

## ﴿ فصل ﴾

الدرجة الرابعة (اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه ، وسكونه اليه) بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الاسباب ، ولا سكون اليها ، بل يخام السكون اليها من قلبه ، ويلبسه السكون الى مسببها ، وعلى هذا (٢) انه لا يلبى باقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها واقبال ما يكره ، لان اعتماده على الله وسكونه اليه واستناده اليه ، قد حصنه من خوفها ورجائها ، فحال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به ، فرأى حصنا مفتوحا فأدخله ربه اليه ، وأغلق عليه باب الحصن ، فهو بشاهد عدوه خارج الحصن ، فاضطراب قلبه وخوفه منهم في هذه الحال لا معنى له . وكذلك من أعطاه مالك درهما فسرق منه ، فقال له الملك : عندي ضمانه لانهم متى جئت لي أعطيتك من خزائني اضمافه . فإذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن اليه ، وعلم ان خزائنه مملية بذلك - لم يحزنه فوته . وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بشدي أمه لا يعرف

(١) نسختنا والحجازية « توحيد التوكل » وسقط من البغدادية كلمة « توحيد »

(٢) نسختنا والحجازية « الى مسببها وعلى هذا » وفي البغدادية « الى مسببها

غيره ، وليس في قلبه التفات الى غيره ، كما قال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي اليه الا ندي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي الا الى ربه سبحانه .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة الخامسة (حسن الظن بالله عز وجل) فملي قدر حسن ظلك بربك (١) ورجائك له يكون توكلك عليه . ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن فقال : التوكل حسن الظن بالله . والتحقيق ان حسن الظن به يدعو الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء (٢) ظلك به ، ولا التوكل على من لا نرجوه ، والله أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة السادسة (استسلام القلب له) وانجذاب دواعيه كلها اليه ، وقطم منازلته) وبهذا فسر من قال : ان يكون العبد بين يدي الله كالبيت بين يدي الغاسل يتقبه كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنى قول بعضهم : التوكل اسقاط التدبير . يعني الاستسلام لتدبير الرب لك . وهذا في غير باب الامر والنهي بل فيما يفعله بك لا فيما أمرك بفعله . فلا استسلام كتسليم العبد الذليل نفسه لسيده واتقياده له ، وترك منازعات نفسه وارادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ﴿ فصل ﴾

الدرجة السابعة (التفويض) وهو روح التوكل وابه وحقيقته ، وهو إلقاء امره كلها الى الله ، وانزالها به طلباً واختياراً ، لا كرها واضطراراً ، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب أمور (٣) الى ابيه العالم بشقيقته عليه ورحمته ، وتعام كفايته ، وحسن ولايته له ، وتدبيره له ، فهو يرى ان تدبيره له خير من تدبيره نفسه ، وقيامه بمصالحه وتوليها ، وخير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليها ، فلا يجد له أصلح ولا أوفق من تفويضه أمورهم كلها الى ابيه ، وراحمته من حمل كلهما (٤) رثقل حملها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علم من فوض اليه وقدرته وشقيقته .

(١) في البغدادية « به (٢) في البغدادية « على من تسيء » (٣) كذا في نسخةنا وفي البغدادية ، وفي الحجازية قبل كلمة « أمورهم خربوشة يوشك ان يكون اصلها « في » أو « على » فتكون العبارة « المطلوب على أمورهم » وهي الصواب (٤) في البغدادية « كلها »

## افضل الوسائل

### لانهاض السلطنة

﴿ فصل جليل ختم به كتاب تاريخ الحرب البلقانية للنسائي ﴾

خطر لنا عند الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، أن نستعلم آراء نخبة من أكابر العلماء وخفول الكتاب ، عن أفضل وسيلة تمهض بالسلطنة بعد كبتها ، وتزيد في يقظة الامة بعد غفوتها . فسألنا من أسعدنا الحظ بالوصول اليه قبيل صدور هذا المؤلف أن يصوغ لنا فكرته الاساسية في أسطر قليلة فتكرموا بتليية الطلب ، أدامهم الله زهرا نصيرا في بستان العلم والادب . واليك آراءهم مرتبة حسب تواريخ ورودها

( رأي سياسي شهير )

كتب الي عالم كبير لم ينشأ أن ينشر اسمه قال « ان الامر عويص جدا لان في السلطنة فواعل كثيرة متناقضة وبعضها خفي . ولقد سمعت مرة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية الاسبق يقول ان لورد دربي ألقى عليه سؤالاً مثل سؤالك وطلب منه أنت يرتأي وأيأ أو يضع مشروعاً نافعاً للسلطنة العثمانية ، قال نوبار : فأخذت القلم وكتبت « أن ينشأ في السلطنة محكمة مختلطة مستقلة ترفع اليها الشكاوي من المأمورين فبها كهم وتنفذ الحكومة ما يحكم به عليهم »  
فأدق هذا الانتقاد ، وما أرق هذا التهمك ...

( رأي القانوني الكبير ، والعالم الاجتماعي الشهير )

سعادة فتحي باشا زغالول

أقرتلك السلام وبعد فسؤلك هام ومطالبك أهم

الدولة العلية وعالك الله مجموع محتاج في سياسته وانهاضه الى حكمة عالية وبصر بالأدور كبير ، فاذا غلب الرأي الهوى ، وبطل التفاضل بين العناصر ، وأقيم وزن العدل وتساري الناس جميعاً في الحقوق وفي الواجبات . واذا خلعت نيات اهل الزعامة وصدقت عزائم ذوي الرئاسة ، ففضلوا مصالح الامة على المنافع الفردية ، وجد الكلل في طلب الاصلاح ، فنشروا التعليم وغنوا بالأموال الاقتصادية ، فاستبقوا لأنفسهم سرافق



البلاد وكنوزها ، وذلوا السبل وأمنوا السابغة وقربوا المسافات ، ثم ازدروا واحترفوا  
 وأنجروا فأحرفوا ، وإذا احكموا نظام الجند وهدبوه - لاشك أن الدولة ناهضة من  
 سقطتها ، وإن الأمة ناشطة من عقابها ، وأما نائلة من الحضارة والمنفعة مكانا عليا

( رأي العالم العامل الشهير ، والصحافي الخنك الخير )

الدكتور فارس افندي نمر

صاحب المقتطف والمفصّل

حضرة الفضل ان كان المقصود من « الساطنة » في مؤالكم « الحكومة  
 والامة » في حالتها الحاضرة أي الدستورية فوسائط اناضها متعددة منها مادي  
 ومنها أدبي ولكل واسطة منها قوة لا يستغنى عنها ، وخصوصاً وسائط العلم والمال ،  
 على أن في الحكومة وفي الأمة رجالاً من ذوي العلم وذوي المال لا يوزهم ادراك  
 ولا يسار ، والسن الذي يتقنا هو تربية الحكومة على الاخلاق القويمة ، والصفات  
 المنظمة والمرقية لشؤون الهيئة الاحتمائية ، حتى نستطيع الاتحاد والتعاون على تدير  
 أمورنا وإنباح أعمالنا ونحن جماعات ، كما يستطيع كثيرون منا اليوم تدير أمورهم  
 وأنجح أعمالهم وهم أفراد .

( رأي شيخ الادباء ، وكبير الشعراء )

( سعادة اسماعيل صبري باشا )

التوظيف - اذا أراد التركي أن يستقي ما بقي له من ملكه فلا يفرق بين التركي  
 وسائر الاجناس التي تتألف منها الدولة العثمانية ، بل يجب عليه أن ينفصل في التوظيف  
 في كل بلد أهل الكفاءة من بنينا ، فلا يوظف التركي في بلد غير بلده الاصللي الا  
 اذا كان ينمى وجود أكفاء مثله من أبناء ذلك البلد ، فتعود جميع العناصر التي تتألف  
 منها الدولة حب الراية التي تظلمهم ، والاراضي التي تظلمهم ، فيقوم عندئذ وطن عثماني حقيقي  
 يجبرونه ويذبون عنه في اليوم المصيب .

التعليم - التعليم من أوجب الواجبات لنهوض الشعب العثماني عما هو فيه ، ولا  
 يراد بالتعليم ان يصبح جميع الافراد من العلماء ، بل يكفي أن يكون هناك عدد وافر  
 من المعلمين يسبرون بالدولة الى مقام الشعوب الراقية ، وأن يتعلم باقي أفراد الامة  
 ما يمكنهم من فهم قادتهم وأرباب الرأي فيهم .

العدل - العدل بسيط في معناه صعب في تنفيذه بين الافراد . وأكبر آفاته

الفرض والرشوة . فاذا أرادت الدولة أن يسود فيها العدل فلتصرف كل جهدها في ملائمة هاتين الآيتين، وتعدو من أن تستعين بالأجانب في سن قوانينها وتوزيع العدل بين رعاياها ، ومن أن تطلب غير أبناء بلادها لاقامة العدل وسن القوانين . والا تعذر عليها أن تجد عدلاً وطنياً متفقاً مع أخلاق أمته وعاداتها . وما يقال في العدل يقال أيضاً في سائر فروع الإدارة . وإذا كانت الحكومة لا تجد مندوحة عن الامتنان بالأجانب الاكفاء فلا تطلبهم من حكوماتهم ، بل تكلفهم وضع التقارير بعد اختيارهم لحالة البلاد، ثم تأخذ النافع والموافق لعادات الأهالي من تلك التقارير دون أن تحمل أحبابها موظفين رسميين

( رأي العالم الاجتماعي الشهير )

الدكتور شبلي الشميل

الدولة لا تمض الا بثلاثة : رجال ومنال ووقت ، والرجال بالعلم والتربية ، والمال بالموارد . فهل ذلك متوفر ، ولاسيما الوقت ، وحالنا في الاحتياج كما هي من فحة الشكاوى ، مع ما هو عليه اليوم من شدة التنازع ؟ والحواب على ذلك يدور على المصير ( رأي الاستاذ الفاضل الشهير )

ابو شادي بك

رئيس تحرير جريدة الويد

رأي أن الدولة لا تقبض من سقطتها ولا تعود الى سابق مجدها الا اذا توفر

لها ما يأتي

أولاً : نعيم التعليم في أنحاء البلاد وجعل الاولي منه اجبارياً  
ثانياً : ازالة التناحر بين العناصر ولا يكون ذلك الا بمنح كل ولاية استقلالاً ادارياً داخلياً حتى يعلم كل فرد ان اجتهاده منصرف الى بلده  
والى نفسه .

أولاً

ثانياً

ثالثاً : ايجاد الاكفاء من الموظفين اذ غير شك ان قوانين الدولة عادلة  
ولكن تنفيذها ممدوم .

ثالثاً

رابعاً : اصلاح جباية الضرائب بحيث تكون الضرائب متساوية على الاعيان  
لا على الحاصلات وتقسيم اوقات تحصيلها .

خامساً نزع السياسة من افكار الخيش  
سادساً تميم اللغة العربية في جميع الولايات وبين المسلمين بنوع اخص  
وذلك لان مظاهر الدولة اسلامي والقرآن عربي

( رأي العالم الاسلامي الكبير )

السيد رشيد رضا

منتهى حجة المنار

الدولة كائن حي، يُحفظ وجودها بالسنة التي تحفظ بها حياة سائر الاحياء، وهي سلامة مزاجها في نفسها ووقايتها مما يهدو عليه من الخارج

فاما سلامة مزاج دولتنا العثمانية في نفسه فانما يكون باقامة الشرع العادل في القضية، والمساراة في الحقوق بين الرعية، وبناء ادارة المملكة على اساس اللامركزية، وجعل السلطة العليا شق الأمانة بين المنعمرين الكبارين فيها - العرب وانترك - بحيث يكونان منها كالمعمرين الذين يتكون منهما المساء أو الهواة . واما وقايتها مما يهدو عليها من الخارج فهو الآن منوط بدول أوربة الكبرى فهن اصحاب المطامع فيها ومطامعهم متعارضة . وما دامت كذلك كانت الدولة آمنة على نفسها من اقتسامها اياها بالقوة ، فيجب ان تبقى استيلاءهن على البلاد بقوة المال والسياسة ، أي بالفتح السلمي ، وان تقوي مزاج الامة بالعلم والعمل واعدادها للدفاع عن نفسها . فاذا هي فرطت في مراقبتها وأملا كها فباعتها للأوربيين ، وبقيت على تدميرها ، وتوهمها انها تستطيع ان تحمي نفسها منهن بقوتي الدولة البرية والبحرية الرسميتين ، ولم تجعل كل اعتمدها على الامة ، فالخطر عليها من الفتح السلمي ، أقرب وانفوى من خطر الفتح الحربي .

( رأي الكاتب التحرير الشير )

داود افندي بركات

رئيس تحرير الاهرام

وأني في اصلاح السلطنة العثمانية ان تقسم مناطق، وان تكون كل منطقة مؤلفة من العناصر المتفقة في التقاليد، العادات واللغة، فتعطى الاستقلال الاداري تحت من أموره كل ما لا يتناول منطقة أخرى أو أكثر من منطقة . وبين لسلك منطقة

مندوب سام يعاونه مجلس ادارة بؤااف من الفنين في الامور المالية والادارية  
والقضائية والسكرية ، ويؤخذ للمركز العام جزء معين من دخل كل منطقة ،  
وتلغى الضرائب المشرية ، وتقرر ضرائب ثابتة معينة على الاملاك ، وتوضع قوانين  
للشركات على اختلاف انواعها ، ويوحد القضاء فلا يكون من اختصاص رجال  
الدين الا الامور الشخصية . فتكون الدولة مؤلفة من ولايات متحدة او مناطق متحدة .  
ذلك رأي في انهاض السلطنة بسرعة

### ( رأي العالم المؤرخ )

جرجي بك زيدان

صاحب مجلة الهلال

الملة الحقيقية في حال الدولة العثمانية اليوم فقر المملكة واضطراب الحكومة .  
والحكومة الدستورية في ابدى الامة ، والامة العثمانية ضعيفة الاحلاق ، عريقة  
في الاتقسام ، بسبب ما توالى عليها من اعصر الفساد .  
أما المملكة ولعني الولايات الباقية منها في آسيا فليس فقرها اصليا فيها ، وكل ولاية  
منها كانت في بعض الازمان مملكة قائمة بنفسها ، فالعراق كانت وحدها مملكة البابين  
والاشوريين ، وبعث اعتر المباسيون في ابان دولتهم ، وكانت جبايتها تلك جباية مملكتهم  
الواسعة الممتدة من حدود الهند الى شواطئ الاتلانتيكي . وسوريا كانت مؤلفة  
من عدة دول ثم اعتر بها السلوقيون احيالا ، وكذلك آسيا الصغرى ، وظلت مدة هي  
اعظم اركان الدولة العثمانية .

فهذه الولايات اذا احسنت سياستها وادارتها صارت غنية . وهذا لا يتم والامة  
كما تقدم . فالوسيلة المثلى للهوض بالدولة العثمانية انما هي ترقية الشعب ، وهو لا يقدر  
ان يرقى نفسه رغم استمداده الطبيعي للرقى . وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل ،  
انما يشترط ان يكون مستبدا ، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية . فلا بد من  
الاستعانة بالاجانب ، واسلم الطرق ان تحالف الدولة العثمانية مع دولة تثق بصداقتها ،  
فتستعين برجالها على اصلاح حكومتها وترقية شعبها وصياتها من مطالع الدول  
الاخرى ، بشرط ان لا يكون لهذه الدولة مطالع في الاستعمار . فاذا وقعت الى ذلك  
في اثناء اربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها ؛

( رأي الشاعر الكاتب الطائر الصيت )

خليل افندي مطران

أخي - سأنتني عما أرتئيه لاصلاح الدولة العاية . فالذي أرتئيه انما هو أمر واحد بلخص في كلمة واحدة : التعليم

منذ عشرين سنة أرقب حوادث الدولة واستقري ما يجري فيها . فالذي بدأ لي من شأنها في كل حال : ان الحكام كانوا لا يهتمون باصلاحها اعتماداً منهم على جهل الامة وعلى تسليمها لهم بسبب ذلك الجهل . وان المحكومين كانوا فاقدي الحمية في الناس ما هو خير لهم وكانوا صابرين على مفض . وربما أومض لهم بآرق الاصلاح في احدى المصادفات فتألموا منه تألمهم من الرمد المفاجيء .

فهؤلاء المحكومون ما لم يتعلموا لا يقسمون لانفسهم وزناً ولا يفرقون بين حق لهم وحق عليهم . كما أن أوتك الحكام أيا كان جنسهم ودينهم يلبثون أبد الدهر متكرين لامتهم جانين عليها ، الا حيث تضطرهم الى الاصلاح اضطراراً ، وتأخذ منهم قسراً ما يأبونه عليها اختياراً . وكل ذلك لا يتم شيء منه الا بالتعليم .

( رأي الكاتب الشهير )

محمد افندي مسعود

حياة الدولة في مستقبلها . ومستقبلها في حكومة كفيفة باسترجاع مجدها المضيء ، وهذه الحكومة لا توجد ، الا متى عرف رجالها قدر انفسهم . فوضعها فوق عيب الاحزاب .

( رأي الصحافي الحبير والكاتب الالهي )

سامي افندي قصيري

المحرر في المنظم

لما كانت الدولة العثمانية فيما مضى دولة استبدادية قائمة على حكومة الفرد كانت تقوى بقوة ذلك الفرد وتضمف بضعة وتسعد بسنده وتشقى بشنائه . أما الآن وقد أعلن فيها الحكم الدستوري مراعاة لآحوال الزمان والسكان وتبدلت

حكومة الفرد بحكومة الأمة ، فصلاح الحكومة قائم بصلاح الأمة . ولا يكون ذلك في رأي الأبنشر التعليم الحر بين طبقاتها ، والفصل بين دنياها ودينها ، والتأليف بين عناصرها وطوائفها ، حتى تصبح جميعها كتلة واحدة يجرها من أعلاها إلى أسفلها عامل واحد ، هو عامل الوطنية ، وتجمعها من أقصاها إلى أدناها جامعة واحدة هي الجامعة العثمانية .

### ( رأي الكاتب الشهير )

فرح افندي انطون

صاحب مجلة الجامعة

ان سنة التطور ( evolution ) التي تحكم العالم المادي والعالم الاجتماعي أمر لا مفر منه . فما السبيل إلى جعل التطور في السلطنة لها لاعتبارها ؟ لا أظن أن صديقتي المؤلف يكتفني الجواب على هذا السؤال في بضعة أسطر . على أن كل ما يقوله الكاتب ويفسك فيه المفكر في هذا الشأن أمر معلوم ، فما تفحصنا الأقوال ولكن تفحصنا الأفعال . فقد يقال « العدل والسواء ونوسيع سلطة الولايات وقطع دابر الرشوة بحسن اختيار الموظفين وشدة مراقبتهم وإصلاح المحاكم وتنظيم البوليس وتقويته وإنشاء الطرق الحديدية واستثمار الأرض ظهرها وبطنها ( الزراعة والمعادن ) وأحياء الصناعة والتجارة والمستشارون الأجانب وتنظيف الدوائر العليا والدنيا الخ الخ » وكلها أشياء جميلة . ولكنني أرى أمراً آخر مقدماً عليها وان وجد المال وقوة الإرادة لانفاذها وهو ما أسميه « الإصلاح » أعني به إصلاح الرجل الشرقي القديم - وكلنا ذلك الرجل - من جلده القديم وروحه القديمة واتخاذ جلداً جديداً وروحاً جديدة . ومعنى هذا بكلام مجرد من الزخرف والخيال تفسير السياسة التي حكمت بها السلطنة وجعلها بوزيقية ( positiviste ) وهنا المشكلة العظمى . فانه يجب بناء أعمال الحكومة على هذه السياسة من غير أن يصدم هذا البناء معتقدات العناصر المختلفة وأوهامها ، أي سوق التطور في طريق هذه السياسة من غير أن يؤدي إلى كسر في أعضائها . ورأس سياسة الوزيقية أن يفصل الدين عن السياسة الدينية عند جميع العناصر العثمانية . وبعد هذا الفصل يمكن الاتجاه إلى موحدة الأمة وبانية أساس مستقبليها أعني بها المدرسة الابتدائية الإلزامية - واحدة لجميع أبناء الأمة ، ويمزج عن المذاهب الدينية لتوحيد أغراض الأمة وأهوائها ما أمكن التوحيد ، وجعلها أمة واحدة لا أمماً مختلفة كما هي الآن .

( رأي الاستاذ القانوني الشهير )

عزيز خانكي بك

يجب ان تبدأ الدولة باعطاء ولايتها الاستقلال الذاتي الداخلي ثم تجمل العلة فيها وبين ولايتها كالصلة بين ممالك ألمانيا والامبراطورية، أو كالصلة بين الولايات المتحدة الاميركية والجمهورية، ثم تعاون جميع الولايات على تكوين قوة الدولة البرية والبحرية بمعنى أن كل ولاية تشترك بنسبة ثروتها

هنا من جهة سياسة الدولة من حيث مجموعها . أما رقي الولايات فلا أمل فيه الا بإنشاء المحاكم، ووضع القوانين النظامية على الطريقة المصرية، واقامت المدارس، ومد السكك الحديدية، وتوطيد أركان الامن العام، واجراء الاصلاحات العامة اللازمة لكل بلد مثل انشاء السكك الزراعية، وبناء القاطر للري، وتسهيل المواصلات البرية والبحرية، وتصميم بعض المنظمات القرية، مثل انتعراقات والتلفونات وتنظيم البريد داخل الولايات، وتشجيع الاهالي على انشاء الشركات للاستثمار بخيرات هذه الاقضية التي يقال انها كلها كنوز لا تفقد .

( رأي الأستاذ الفاضل الشهير )

اسكندر بك عمون

اصح نظام للدولة على ما بين العناصر والولايات الممثلة من التباين في الحاجات والاختلاف، والعادات والتقاليد، وعلى ما بين اهليها من التفاوت في الحضارة، ان تجمل تلك أو ولايات مستقلة في جميع شؤونها الخاصة استقلالاً تاماً حتى في قوانينها وفي شكل حكومتها، مع ارتباطها جميعاً في الشؤون العمومية على نحو نظام الولايات المتحدة الاميركانية أو الممالك الجرمانية، فتسمى حينئذ الولايات أو الممالك الممثلة للتحدة ولهذا النظام مزية على كل نظام آخر وهي : انه النظام الوحيد الذي يمكنه أن يجمع بين الولايات والامارات العربية في جزيرة العرب وسائر الولايات المتنازة وغير المتنازة

( رأي الكاتب العام )

نجيب بك البستاني

أحد مؤلفي وأصحاب دائرة المعارف البستانية

اهم ما يجب لاحياء امر الدولة الممثلة واعلاء شأنها انما هو العدل الصحيح في

الرعية ، واصلاح المالية ، فهما اساس الملك وبهما قوام الدول . ذلك بان تشترك جميع عناصر المملكة على نسبة كل منها الى المجموع ، فيعتمد في الوظائف ابن ذى الكفاية ، وتؤدى الرواتب في مواعينها ، وتوضع المكوس على ما تطبق الرعية ، وتستثمر المعادن ، وتقام اعمال الري والطرق الحديدية وغيرها على السواء في جميع اقطار البلاد ، وتستعمل الدولة في الاصلاح وتعميم التعليم العلماء الراسخين من الشرقيين والغربيين ، ويكون الانتخاب على ما يضمن لكل ملة العمد الذي من الاعيان والثواب دون محاباة أو تفاضل . ففى حصل ذلك توقرت الاموال وانحدرت كلمة الجيش ، وساد الامن واستوثقت الرعية من الوازع ، واتظمت انشورى وحصلت الالفه بين الامم الخلفة ، وانصرف هم القائمين بالامر الى استصلاح الزراعة وازقية الصناعة والعناية باسباب العمران ، ونبذوا الشقاق وصدقوا في حب الوطن وتذروا على الامر مخلصين منزهين عن المطامع الشخصية بما يزيد هيبة الحكومة ويؤيد سلطانها يتم ذلك باذن الله اذا امتنعت الدول عن تكبير الامر على العثمانيين ، ويجرى هؤلاء نحو ما تقدم ربع قرن أو ما يزيد ، لتنال الناشئة - وعليها التمويل في الاحتفاظ بعمل الاصلاح - من العلم والمدنية واليران على الاعمال ما يضمن لدولة صليبيها وعظمتها ، ولعثمانيين اتحادهم واستقلالهم

### ( رأى الكاتب البليغ )

#### الاستاذ امين افندي البستاني

سألتني رأبي في الدولة ومصيرها : جاز بالدولة في هذا العام عبرة كبرى اذ لم تعتبرها نالها ما هو اشهر منها . وللدولة الآن بقية ملك هو ابد ممدى وانزع حتى واطيب بقمة من جل الممالك الأوروبية ، فهل لها أن تعدل في الباقي من هذا الملك وتمنع حادثات الدهر ؟ الله اعلم . على أن الدولة لا تجهل اشراط الملك على الملك وما هو سبق له وما هو ذاهب به ، حتى لقد اصبحت الدلالة على وجوه الاصلاح المنشود من مبتذلات الكلام ، وملوكات الافواه والاقلام ، فهل الدولة أن تعمل بما علمها الدهر على حين لم يبق لها من ناصر الا ما تسمى اليه من ترميم هذا الملك العزيز ، والا فقد قضى الله بما لا دافع له ولا مانع له ، وحسبكم الاشارة بالآباء هذه الدولة . فاعدلوا بين ضروب الرعية لان دولتكم مستمدة من جنتها لا من ابيائها وقدموا الكفو على غيره مهما كانت نبعته ومنبت اسنته ، واستعملوا الاجنبي



في تدبير ما أنتم ضعاف عن تدبيره واسلكوا القصد في عملكم من غير سرف ولا  
تفريط وخذوا بالحديد الصالح واخضعوا القديم المبتذل ثم اعدوا للملك عدته من  
رجال ومال ، والله الوافي في هذا الباقي

( رأي استاذنا الاجتماعي الكبير )

أحمد لطفي بك السيد

مدير الحريّة

( وصل في آخر ساعة لغياب حضرته عن القاهرة )

واجهت نفسي فوجدتني غير حاصل على المقدمات التفصيلية اللازمة لتكوين رأي  
صحيح في الوسائل العملية لاصلاح الدولة العلية . وان الذين يستطيعون معرفة هذه  
الوسائل هم رجال الدولة المشتغلون بسياستها والواقفون بانفسهم على ما اجهله من  
المقدمات الضرورية لتكون رأي صحيح غير أن لرقى الامم وهبوطها قوانين قد  
تبقى لتكون رأي اجمالي ونظري في الاصلاح

مهما كانت الاسباب التي سببت اوروبا على اضهاد الدولة العلية فلا شك في أن  
وقوعها في الضعف والهرم هو اهم تلك الاسباب ، وليس يوجد مانع طبيعي يمنع  
الدولة بعد أن مسها الهرم من استعادة شبابها بالاخذ بالتعليم الحديثة من حيث الحكم  
والترية والتعليم وتدير حالها الاقتصادية على وجه يكفل لها النظام والقوة . ولست  
اجد في هذا الحاضر ما يرحح كفة توقع الثمر في المستقبل على كفة انتظار الخير .  
فاذا قام العنصر الحاكم باحترام اطماع العناصر المحكومة والنهضة بالامة عن الجمود  
الى التسامح بجميع الاساحة الحديثة ان في الترية وان في الاقتصاد ، أمكن الحكم  
بهذه الدلائل نلى الاصلاح المنتظر . نعم ان ظروف الخارجية دخلا في اصلاح  
الدولة ولكن العثمانيين هم المسؤولون وحدهم عن اجراء هذا الاصلاح . عليهم عمل  
ما في قدرتهم والله يتولى امر ما لا يقدرون عليه

( المنار ) هذه آراء أشهر حملة الاقلام وعلماء السياسة والقوانين من المصريين  
والسوريين ، وأكثرهم متفقون في الرأي فيما صرحوا به وما لم يصرحوا ، ولانكاد  
تري خلافا صريحا بينهم الا في مسألة استخدام الاجانب أو استئانة الدولة بهم ، أجازها  
أو أشار بها بعضهم تصریحا أو تلويحا وحذر منها بعض أهلها الاكثرون . وصرح جماعة  
بمسألة الاصر كزية أو الاستقلال الاداري للولايات أو الاقاليم . ولم يحنل هذا الجمهور  
بمسألة القوة الحربية ولا البحرية التي تعدها الدولة بتقاليدها الموروثة كل شيء . وقد  
اتفردنا بابداء الرأي في مسألة الدفاع . فلتعتبر بهذه الآراء الامة وان لم تعتبرها الدولة .

## ﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري - أو عزيز بك كما تقول الترك - من ضباط أركان الحرب المشهورين في الجيش العثماني . وقائد برقه في قتال الجيش الإيطالي . وقد قبض عليه في الأستانة منذ شهرين وسجن بأسر ديوان الحرب العرفي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرهما من البلاد العربية فوق ما كان ينتظره ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغلة ، وسرى هذا التأثير إلى كثير من الجرائد الأوروبية . وتناقلت الجرائد عن الأستانة أن الذي وشى به هو الشيخ عبد العزيز شاويش الذي وظيفته التجميس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الأزهر أشهر علماء المهريين وفضلائهم إلى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب أخذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكان قد دعي إلى الخطابة فيما يتعلق بهذا الموضوع رفيق بك العظيم ومحمد أفندي لطفي جمعه ومحمد أبو شادي بك وإبراهيم بك الهلباوي - الثلاثة من المحامين - فخطب كل منهم فاجاد ، واتوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته للدولة واقابوا الدلائل والبيانات على استهجان القبض عليه وقدوا ما شاع وما تصور من اتهامه به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة أرنجالية وحيزة افترحت عليه عند ما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد المجنة حسن باشا وضوان أن يكون الخطيب الثاني ، فأجبتنا الطاب ، ثم افترح علينا أن نكتب ملخص ما قلناه وننشره وهو هذا :

افترح علي الآن أن أقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء - وهم كثير - فانا أقول كلمة وحيزة حتى لا اضع على الخطباء المستعدين وقتهم

سمعت ما شرحه الخطيب الاول ( رفيق بك ) من خدمة عبد العزيز بك المصري للدولة والامة في إقامة الدستور وتأييده ، وفي مقاومة حرب المصائب المسلحة في مكذونية ، وفي اليمن وورقة . وستمعون من سائر الخطباء شرحاً أوسع في أثناءه على الرجل . واني اظن كما تظنون أن الرجل بريء مما رمته به السعاة الواشون ، ولكاني اني كذتي على غير الاساس الذي بني عليه رفيق بك كلامه ،

( المنار - ج ٤ ) ( ٤٥ ) ( المجلد السابع عشر )

قائلاً افرض انه بريء ، وانه يخشى أن يؤثر في انهاء المحكمة التي تنظر في نضيته ما يدور حولها من السمايات والاهام فتصدق بفضها وتبني عليه الحكم ، ولا أقول بوجوب عقابه اذا كان مذنباً أو طلب العفو عنه بهد الحكم ، بل أقول قولاً آخر فيها كوه : يجوز أن يكون عبد العزيز المصري قد أتى بذنب ، لأننا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الانبياء الذين يلبثون رسالات وهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمته ، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم ابياء مرسلون . تجوز هذا عقلاً وان كان لدينا دلائل متعدة تؤيد البراهة الاصلية ، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عودته من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى المجرمين المستعذبين للسهجون ، ولم يؤخذ بالتهمة المبهمة الا بعد استئانته من الخدمة ، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء . وانما أخذ بسطابة واش ففسد . فنفرض انه مذنب ، وان ذلك الواشي الخبيث صادق

أنتم تعلمون ان الامم لا تمز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للامة العائنين بها ، وهؤلاء الرجال تذيبون ، لذلك يجب ان يعرض بهم وتقال عزائمهم . وعزيز المصري من هؤلاء الرجال بدين ما قام به من الخدمة العامة للدولة والامة ، فاذا صدق ذلك الواشي التام الخبيث -- وما كان الا آذوباً -- في زعمه انه قد أتى ذنباً يحاكم عليه ، اليس له من حسناته وخدمته العامة شفع يقضي أن تفر الدولة ذنبه وتقبل عثرته ؟ وهل كان الذين يريدون الانتقام منه براء من الذنوب والامرات ؟ أم تقول لهم كما قال المسيح عليه الصلاه والسلام حين حياها بالمرأة الزانية لاجل زوجها ؟ كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة ، ولنا في سيرة اصحابه وائمة العدل من خلفائه ما يهتدي به في مثل خائفة عزيز المصري .

كان ابو محجن انه في مدم من شهر في الجاهلية وقد ابلم ولقي النبي (ص) وروى عنه حديثاً . وكانت الحمرة قد احدثت له مرض الجوار فكان لا يستطيع تركها ، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيرى ألم الجلد دون ألم الجوار . وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن ابي وقاص (رض) خمسة ممد وقيد بهمة الشرب ، وقد اتجم المسلمون مع الجوس في كفة شديدة ، وكان سعد يجره ساءم يحضر المعركة بن تيد على سطح يته ينظر ما يفعل المقاتلون . فلما رأى ابو محجن ربحي الحرب عائرة وحاقف على المسلمين ان يفلبوا ، رغب الى امرأه العائد التام أن تخله من قيده ليحضر أسركا ، وعاصدها بان يمود الى قيده اذا هو سلم . ففعلت . فوثب على فرس سعد يقال لها

البلقاء ، وحمل برمحه على جيش الاعداء ، فكان لا يحمل حملة الا انهزم الاعداء امامه . وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتمجب ويقول : الكركر البلقاء والحل محل ابي محجن (١) وابو محجن في القيد . ولما انهزم المدو رجح ابو محجن الى قيده كما وعد امرأة سعد . واخبرت هي سداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا احدث اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه . فقال ابو محجن : لقد كنت اشربها اذ يقام علي الحد فيطوفني ، واذ قد حايتني (٢) فوافقه لا اشربها ابداً . وتاب من ذلك اليوم ولدنا شاهد آخر من وقائع القادسية : زهرة بن حوبة هو الذي قتل الجليزوس ، قائد جيش الجوس ، وقد اخذ سلبه بدون اذن القائد العام سعد بن ابي وقاص ، فانزته سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يسأله في ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : نعمد الى مثل زهرة وقد صلى بنا صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، وانهضى زهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي والحاجة الى عمله في المستقبل أرحح من هذه الخيانة وأن المصاحبة تقتضي ذلك .

ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خير حاطب بن ابي بلنعة : نقض مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ، وكان لحاطب أهل ومال بمكة يخاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى أهل مكة يخبرهم بعزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان ( وارسل من اخذ الكتاب من امرأة كانت محمله في عقاص شعرها ) وسأل حاطباً عن ذلك فاعترف واعتذر بالخوف على أهله وولده وأنه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره . واراد عمر بن الخطاب الذي تضرب الامم بدمه المثل أن يقتله ، لان افشاء سر الحرب من اكبر الذنوب العسكرية فجناه عمر دليل التفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم يأذن له ، وقال « انه شهيد بداراً »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من اقوى آيات الايمان، والصدق والاخلاص

(١) لفظ سعد (رض) ه الضير ضمير البلقاء ، والظنر ضمير ابي محجن ه الخ والخبر بالضاد المعجمة كركر الخيل ومدوها ه والظنر الوثوب (٢) كلمة الأثورة ه بهرجتني ه ونحن ذكرنا المعنى المراد من هذه الكلمات لانهما جيم الحاضرين . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد إقامة الحد وجعلوا سببه ، وهو ان الحدود لا تقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما تراهم في الفتوى الملحقة بالتفسير من هذا الجزء ، وسعد بهل هذا وهو عما وصى به نجر ، ولا يبعد ان لا يسهل مثل ابي محجن (٣) الفرق بالقلم ، ووضع الوتر من السهم ، ويطلق على السهم بمعنى الحظف ويعني أعلى النصال .

في الإسلام، لأن المسلمين كانوا وبنين في قبة عدد، وقلة مال، وقلة طعام، وقلة ركائب، كانوا في أشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها إلا بعبث لايمان وحافظ الاخلاص، وتلك حسنة تضاهل بازائها أي سيئة من السيئات

فنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عسكرياً كبيراً (كذنب حاطب أو ما لا كذنب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذنب أبي محجن رضي الله عنهم)، وان ذلك الواشي الخبيث صادق فيما رماه به - وما كان الواشي التام الخبيث إلا كذوباً قاسفاً - ليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكوينها ومن الدفاع عنها أيام كان الخطر محققاً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب ممتازاً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين أبلوا فيها وأنجوا؟ وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين أبلوا في فتح الاسنة وفي غيرها من الاعمال العسكرية التي ايدت الحكومة الحاضرة، فهو حدير بان يكفى منه بالانتذار، اذا فرضنا انه ارتكب بعض الاوزار، دع خدمته للدولة في عقد الصلح بينها وبين ام البنين، بعد حرب استمرت عدة اجيال، سفكت فيها دماء مئات الالوف من الرجال، وضاعت بها القناطير المقنطرة من الاموال، ولم تستفد الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصلح من افضل الاعمال وانفعها للدولة ولأهل البنين - ثم دع خدمته في قتال الجيش الايطالي في برقة

واذا كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لاجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انقاذه من الخطر، قد جعل تحت رياسة الاستاذ الاكبر شيخ جامع الازهر، وشهده طائفة من اكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد - فالذي اراه وأفترحه هو أن ترسل برقية بامضاء الاستاذ الرئيس الى مولانا السلطان العظيم يخاطبه فيها بعنوان الخلافة، وية تتحها بقوله تعالى (انقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ويطلب منه بان لا يؤخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه اليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لا خلاصه وسابق خدمته للدولة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وباعير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امضاء سلب الجالوس لزهرة بن حوية وبسمد بن ابي وقاص في مسألة أبي محجن (رضي الله عنهم اجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلها في ذلك، واكبر ظني أن هذا هو أرجح ما يرجح نفعه في الاسنة.

هذا وانني اختم كلني بالشكر لكم ايها الفضلاء الذين تصدتم هذا المكان للسمي في انقاذكم من الهلاك فان هذا خدمة للانسانية، ومحافظه على حقوق البشر في الحياة والحربة، وقد قال الله تعالى ﴿ومن احيائها فكأنما احيى الناس جميعاً﴾ قال بعض مفسري السلف احيائها السعي في انقاذها من الموت. والسلام.

هذا وان لجنة الاجماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة بريقة باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شفاعته الامة المصرية بالرجل، فاجابها جواب من انور باشا ناظر الحرية، ولخصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

### ﴿ التعصب على المنار ﴾

هاج بعض غلاة التعصب على المسلمين هيجة شؤسي على المنار في هذا العام، وجددوا السعي الى الوكالة البريطانية اولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالتبع، لتبطل اصحاب المنار فتليفه في غيابة السجن، أو تقيه من ارض مصر، واستعانوا على محلمهم وسمايتهم ببعض القسيسين وغير القسيسين، من الاجانب والوطنيين، وفتقوا سموم تعصبهم في جرائد القبط وبعض الجرائد الاخرى التي يحرر فيها بعض السوريين. وكان محضه نار هذه الفتنة، والمدبر الاول لهذه المكيدة، يوسف الحزن اللبناني الذي يعيش من التحرير في جريدة الوطن القبطية، وجريدة دوكير الفرنسية، وهو هو الراسخ في بعض المسلمين الذي نقل عنه انه قال: اذا صاحجه مسلم تضطرب اعصابه، ولهذا لا تكاد تراه يبدأ مسنداً من معارنفة بالمصافحة.

قد عرف القراء بما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المنار، ولعل اديباء القراء ظنوا ان ما كتبناه في الجزء الماضي قد اظننا بما يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم، واستخرج بحججه وسماحته اضغانهم، كذا انه لم يزد هم الا بقاء وعدواناً، وسماية ووشاية وزوراً وبهتاناً، ففحن ثبت من تاريخنا وعماس كتبناه في المنار من اول نشأته الى الآن، انا طلاب تسامح ووفاق، وهم يريدون ان يقبلوا الشيء بضده فيوهوا من يسمع كلامهم اتاداة عداوة وافتراق، نحقر النصارى وندعو المسلمين الى بفضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان ان يعلم من نفسه ومن نيته السعي للخير، والاخلاص في العمل، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله، ومظاهر حسن قصده، لاجل الاسوة الحسنة،

والتعاون على الخدمة العامة ، فحسبه أنت يعرف أهل الاخلاص وحسن النية منه ما يعرفه من نفسه .

ونحن - وثمة الحمد والمثمة - اصحاب تاريخ معروف، وآثر في السعي الى الاصلاح والاتفاق مدون مطبوع ، يعرفه قراء العربية ، ولا يحمله خواص الامم الافرنجية ، وحسبك ما نوه به في العام الماضي اصحاب المجلة الفرنسية انصيرية بنصر ، وجريدة فرنسا الاسلامية في باريس ، من حسن تأثير خدمة المنار في المسلمين بحلم على التسامح والمدنية ، وما سموه « المدرسة العبدية » هو ما بثه المنار من مشرب شيخنا الاستاذ الامام من إثبات التسامح الاسلامي والدعوة اليه ، والتأليف بين قواعد الاسلام الثابتة ، وبين المدنية الصحيحة . وما قالته هاتان الصحيفتان اخيرا هو صدى ما كتب في جريدة الطان من بضع سنين في سياق الكلام عن مسلمي تونس ، وما كتبه لورد كرومر عن حزب الشيخ محمد عبده في تقريره الذي ذكره فيه نقب وقاته . وهل لمشرب الشيخ محمد عبده وآرائه مظاهر عرفت به في الاقطار ، غير مجلة المنار ؟ بل نقول ان هذا المشرب مما اتفق فيه رأينا مع رأي الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يكن مما اختلفنا فيه ، وما لنا فيه من القول والسعي اكثر ، ما كان له ، ومن الشواهد على ذلك ما كتبناه في قاعة العدد الاول من المنار ، وفي اول نبذة فيه بعد الفأحة ، ولم تكن يومئذ تلقينا عن الاستاذ درسا ، ولا بسطنا معه في هذه المسألة وامثالها قولا . قلنا في بيان خطة الصحيفة وما أنشئت لاحله ما نصه « ونحاول افناع ارباب النحل المتباينة ، والمذاهب المختلفة ، ان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان ، وان المعارضة والمناغضة ، والمناصبة والمواثبة ، تقضي الى خراب الاوطان وتقضي على هدي الاديان »

ويست في النبذة التي بعد المقدمة ان لفظ الكفر لم يستعمل في الكتاب والسنة للاهانة ، بل لبيان حقيقة من الحقائق . وأنه يستعمل الآن في غير ما كان يستعمل من قبل ، ومنه ارادة السب والشتم ، فلا يجوز ان يوجه بهذا المعنى في الخطاب بتداء أو وصف الى من حرم الشرع ايذائهم وجعل لهم حقوقا محترمة من المؤمنين والمجاهدين (الاجانب الذين ينتمون وبين المسلمين عهود على ترك الحرب اي غير المحاربين) واستخرجت نصا من كتب الفقهاء على ذلك لا حاجة لاحادة ذكره هنا بعد هذا التمهيد اقول ليوسف الخازن واصحاب الجرائد القبطية من غلاة التعصب ومبغضي المسلمين كيفما كانوا ولجميع من هو مثلهم من وطني او اجنبي :

قولوا فينا ما شئتم ، وظنوا ما شئتم ، واعتقدوا ما شئتم ، وهيجوا من شئتم ،  
ولتدب تقارب سمائكم الى من شئتم ، فححن لا نبالي بكم ، ولا نأبه لرضاكم ولا  
لسخطكم ، فمن أخطأ الى مثلكم فهو الذي يحسن منه ان يصبر ولا يعنذر ، اذ لا  
صارف لكم عن شيء من الثمر ، الا مكائتكم من الضيف والمجز ، وها انتم اولاء  
قد اجهستم بكم ، وبذلتكم في سبيل ايذائنا جهدكم ، فما كنتم الا خائبين مخذولين  
« ان الله لا يصلح عمل المفسدين » نعم لو كان سامة الانكيز كسامة القبط في  
عقولهم واخلاقهم ، وكان لورد كاتشر كيوسف الخازن في تمصيه وحفنه على  
المساكين ، لا نقل المنار ، ونفي صاحبه من هذه الديار ، وتبه اقبال الازهر بعد  
دار الدعوة والارشاد ، ولو رأيت من جمهور المشاويك لكم باقب الدين مارأيت  
منكم ، فقلت للمسلمين انه قد ظهر لي في السنة السابعة عشرة من دعوتي اياكم الى  
الاتفاق والتعاون مع هؤلاء الناس على ترقية البلاد ، انهم لا يمكن ان ينفقوا منكم ،  
ولا يرضيهم منكم الا خروجكم من دينكم ، أو اقامتكم فيه على خضف ، لا تدفون  
عنه بحق ، ولا تقابلون محاولي إبطاله واخراجكم منه بالمثل ولا دون المثل ، ولكن من  
فضل الله على عباده ان مثل هؤلاء الغلاة قابل ، ولهذا لا بأس من خطتنا ، ولا نرجع  
عن قاعدتنا وهي (تعاون على ما اشرك فيه ، وبعدر بهمتنا ايضا فيما اختلف فيه)

### المسائلان الشرقية والصهيونية

ما تبسدت ثروة شريف باشا الكبير في مصر الا وكان بددها مكونا لثروات  
جديدة لم تكن ، ومددا لثروات أخرى ومزبدا فيها . ذهبت تلك الثروة الكبيرة  
ممن عجزوا عن حفظها بله تميمتها ، ان ايدي الفادرين على ذلك . وكذلك تتبدد  
الدول فتألف من الكبيرة منها دول متعددة ، وتسمى وتتسع دول أخرى - سنة  
اته في تنفيذ الاحياء بفرائسها ، من افراد اللجنة (البيكروبات) والهوام الى  
مجاعات البشر . أرقى انواع الحيوان .

ومن عجائب العبر ، في تفاوت هم البشر ، أن ترى كتابا صغيرا في خدمة غني  
كبير يطعم ان يرث ثروته او ينشئ لنفسه مثلها ، وذلك النبي يأس من حفظ ثروته  
واستبقائها وان تعجب من تكون ممالك البافار واليونان والبرنج والحبيل الاسود والالبان  
من املاك الدولة العثمانية في أوربة ، وتنفي الدول الكبرى بأعلا كها في افريقية  
وقح افواهي لا يتلوع املا كها في آسية . فأعجب من ذلك كله تصدي جمعية من



يهود أوربة لتكوين دولة جديدة في البلاد المقدسة من هذه المملكة تألف من مهاجرة فقراء اليهود المنزقين في جميع اطراف الارض بمساعدة هذه الجمعية ؟ فكيف تسوهمة جمعية أسسها رجل من اليهود الى تكوين دولة من اوزاع المهاجرين الفقراء في بلاد تتنازع على شبر الارض فيها اقوى الامم والدول ، وتسفل همة اصحاب هذه البلاد عن حفظها لانفسهم ، دغ سمو الهمة الى تأسيس ملك جديد ، في قطر قريب او بعيد . وهكذا نموت الناس ونحيا ، وهكذا تردى وترقى ، واسباب ذلك ظاهرة لا محل هنا لشرحها ، وكلها تدور حول العلم او الجهل ، وعلو الهمة او وطونها ، وكبر انقاصد وضعفها . « والعلم ما يبرئك من انت بمن ممك »

علم الصهيونيين ان الدول الكبرى لا يسجن لواحدة منهم بامتلاك مهيمن الوحي ومصدر الدين الموسوي والمبسوي وانه اذا زال ملك الترك من بلاد فلسطين فلا بد ان تكون مستقلة تحت حماية جميع الدول (بهذا رأي بعضهم في الحجاز ايضا) فطمعوا في ارضاء الدول بأن تحمل اشكال التنازع بين الدول والمذاهب المسيحية بأن يكون اليهود هم اصحاب انك في هذه المملكة ، بل طمعوا ايضا في ارضاء جمعية الاتحاد والترقي بذلك ، بل يدالونهم افسوسها به قبي تساعدهم على التمهيد له لتقطع العاروق على العرب وتكثر خصومهم في بلادهم ، ولا محل هنا للبحث في اثبات هذا القول او نقيه ، وانما جئنا بهذه المقدمة كلها لاجل تذكير الذين اكدوا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأهم ما فتتوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها .

يجب على زعماء العرب اهل البلاد احد امرين . اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان امكن - وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من باب ، وطلوه بأسبابه - ولما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف الجمعيات والشركات ، وأخرها تأليف المصائب المسلحة التي تقاومهم بالقوة - وهو ما يحدث به بعضهم على ان يكون اول ما يعمل ، وانما هو السكي - والسكي آخر العلاج كما يقال .

### ﴿ السيدة دُمى آل رضا ﴾

في النصف الثاني من ليلة الاحد سادسة ليالي شهر ربيع الأتور وهبنا الله تعالى بنأ سيناها دُمى ، والله نسأل ان يحقق معنى الاسم في المسمى ، وقد قاتسا ان نذكر ذلك في الجزء الماضي .

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبهون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك  
١٣١٥

بئني الحكمة من يشاء ومن يهت البت الحكمة فقد  
أول خير كثير وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « متارا » كمنار الطريق

٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٢ هـ ٨ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ ٢٥ أبريل ١٩١٤

## فَكَانَ الْمُبْتَلَى

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمناه تاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتنا غير مشترك لمثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافضاله

﴿ حديث صحيفة علي كرم الله وجهه ﴾

(ص ١٢) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي الاستاذ الفاضل والعلامة الكبير صاحب المنار الأغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فأرجوكم شرح حديث علي الذي نقلتموه في (ص ١٦٤٨٣) من المنار وقوله فيه (وما في هذه الصحيفة - العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر) فما الذي تعرفه عن هذه الصحيفة ؟ وأين هي ولماذا أهملها المسلمون ؟ وهل ما فيها متفق عليه في جميع المذاهب ؟ وإن لم يكن متفقاً عليه فلم ذلك ؟ ولماذا أمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها مع أنه نهى عن كتابة شيء عنه غير القرآن ؟ ومتى أمر بكتابتها ومن كتبها وأين ؟ وكيف لا يقتل المسلم بالكافر . فالرجاء الاجابة الشافية عن كل هذه الاسئلة كهادتكم حتى لا نحتاج لمزيد بيان بعد ذلك (الخلص محمد توفيق صدقي)

(ج) الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ متقاربة. أما البخاري فقد روى الحديث عن أبي جحيفة في كتاب العلم بلفظ قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا الا كتاب الله ، أو فهم اعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر . ورواية الكشيبي «وان لا يقتل» الخ

وفي باب فكاك الأسير من كتاب الجهاد بلفظ : قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي قلن الحجة ، وبرأ النسمة ، ما أعلمه ، الا فهما يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير وان لا يقتل مسلم بكافر .

وفي باب الديات بلفظ : سألت علياً رضي الله عنه : هل عندكم شيء مما ليس في

القرآن؟ - وقال ابن عينة مرة : مما ليس عند الناس - فقال : والذي فاق الحبة وبرأ النسمة ، ما عندنا الا ما في القرآن، الا فيها يعطى رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة . قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الاسير الخ

ورواه في باب حرم المدينة من كتاب الحج عن ابراهيم التيمي عن ابيه بلفظ : عن علي (رض) قال : ما عندنا شيء الا كتاب الله ، وهذه الصحيفة عن النبي (ص) « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا من احدث فيها حدثا ، أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل (وقال) ذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب ذمة المسلمين من كتاب الجزية بلفظ « خطبنا علي فقال : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة . قالوا وما في هذه الصحيفة ؟ فقال فيها الجراحات واسنان الابل ، والمدينة حرام ما بين عير الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل . ومتى تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك . وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه مثل ذلك .

وفي باب إثم من عاهد ثم غدر بلفظ : عن علي قال : ما كتبنا عن النبي (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال النبي (ص) « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا ، فمن احدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف . وذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن والى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل »

وفي باب إثم من تبرأ من مواليه بلفظ : ما عندنا كتاب نقرأه الا كتاب الله غير هذه الصحيفة (قال) فأخبرها فإذا فيها اشياء من الجراحات واسنان الابل (قال) وفيها المدينة حرام الخ (وذكر مسألة الولاة مسألة الذمة مثل ما تقدم)

وفي باب كراهة التعدي والتنازع والغلو في الدين من كتاب الاعتصام بلفظ : خطبنا عليّ علي من غير من أجر فقال « والله ما عندنا من كتاب يقرأ الا كتاب الله

وما في هذه الصحيفة ، فنشرها فاذا فيها اسنان الابل ، واذا فيها المدينة حرم من غير الى كذا ، فن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله - ... واذا فيه : ذمة المسلمين واحدة يسمى بها ادناهم فن اخفر مسلما فعليه .... واذا فيها : من والى قوما بغير اذن مواليه فعليه ..... ( الا انه قال ) : لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وروايات مسلم واصحاب السنن بمعنى روايات البخاري ، وصرح مسلم بحدي المدينة وهما غير وثور ( جيلان ) قال الحافظ في فتح الباري في الكلام على حديث علي من طريق ابراهيم التيمي عن ابيه :

« وسبب قول علي هذا يظهر بما اخرجه احمد من طريق قتادة عن ابي حسان الاعرج أن عليا كان يأمر بالامر فيقال له « فعلناه » فيقول : صدق الله ورسوله . فقال له الاشر : إن هذا الذي تقول اهو شيء عهده اليك رسول الله (ص) ؟ فقال ما عهد الي شيئا خاصة دون الناس الا شيئا سمعته منه فهو في صحيفة في قراب سيفي . فلم يزالوا به حتى اخرج الصحيفة فاذا فيها - فذكر الحديث - وزاد فيه « المؤمنون تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم . ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده ( وقال فيه ) ان ابراهيم حرم مكة واني احرم المدينة ما بين حرتيها وحماها كله ، لا ينجلي خلاها ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها ، ولا يقطع منها شجرة ، الا ان يلعف رجل ببعره ، ولا يحمل فيها السلاح لقتال » والباقي نحوه . وذكر في موضع آخر ان سبب سؤال علي زعم بعضهم ان النبي خصه بشيء دون الناس .

وقال في الكلام على حديثه في باب الامم من تبرا من غير مواليه : وكان فيها ايضا ما مضى في الحسن من حديث محمد بن الحنفية ان ابا علي بن ابي طالب ارسله الى عثمان بصحيفة فيها فرائض الصدقة ، فان رواية طارق بن شهاب عن علي في نحو حديث الباب عند احمد انه كان في صحيفته فرائض الصدقة .

وقال الحافظ : ان الصحيفة كانت مشتملة على كل ما ورد . أي فكان يذكر كل راو منها شيئا ، إما لاقتضاء الحال ذكره دون غيره ، وإما لان بعضهم لم يحفظ كل ما فيها او لم يسمعه . ولا شك انهم نقلوا ما نقلوه بلمنى دون التزام اللفظ كله ، ولذلك وقع الخلاف في الفاظهم . ولم يقل الرواة أنه قرأها عليهم برمتها فحفظوها او كتبوها عنه ، بل تدل الفاظهم على أنه كان يذكر ما فيها او بعضه من حفظه ، ومن قرأها لهم كلها أو ( النار - ج ٥ ) ( ٤٣ ) ( المجلد السابع عشر )

بعضها لم يكتبوها بل حدثوا بما حفظوا ومنه ما هو من لفظ الرسول (ص) ومنه ما هو اجمال للمعنى كقوله «العقل وفكك الاسير» فان المراد بالعقل دية القتل وسميت عقلا لأن الاصل فيها ان تكون إبلا تعقل اي تربط بالعقل في فناء دار المقتول أو عصيته المستحقين لها . وقوله «اسنان الابل» في بعض الروايات معناه ما يشترط في اسنان ابل الدية او الصدقة . وفكك الاسير ما يفك به من الاسر من فداء او مال . ففي الصحيفة بيان ذلك ، لا لفظ «العقل» وفكك الاسير ، واسنان الابل» . وجملة القول اتنا لا نعلم ان احدا كتب عن أمير المؤمنين ما كان في تلك الصحيفة بنصه ، ولا انه هو كتبها بأمر النبي (ص) لانه قال في رواية قتادة عن أبي حصان انه سمع شيئا فكتبه

واما كتابة الصحيفة مع ما ورد من النهي عن كتابة شيء عن النبي (ص) غير القرآن، فيقال فيه ان النهي عن الكتابة معارض بالامر بها كحديث «اكتبوا لابي شاه» وغيره ، والكتابة لاهل اليمن ، وكتاب الصدقات الذي كتبه ابو بكر (رض) الى انس لما وجهه الى البحرين أي عاملا على الصدقة . فانه قال فيه «ان هذه فريضة - وفي رواية فرائض - الصدقة التي فرض رسول الله (ص) على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله» الخ رواه الشافعي واحمد والبخاري وابو داود والنسائي وغيرهم . وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رض) قال : كتب رسول الله (ص) كتاب الصدقة فلم يخرجها الى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه . فعمل به ابو بكر حتى قبض ثم عمل به عمر حتى قبض» الخ هذا لفظ ابي داود ثم بينه بنحو حديث انس مختصرا ولم يذكر الزهري البقر . وفي رواية عن يونس بن يزيد عن الزهري قال هذه نسخة كتاب رسول الله (ص) الذي كتبه في الصدقة وهو عند آل عمر بن الخطاب . قال ابن شهاب أقرأنيها سالم بن عبد الله ابن عمر فوعيتها على وجهها» ثم ذكر ان عمر بن عبد العزيز أتمسخها . وقد تفرد بوصل هذا الحديث سفيان بن حسين وهو من رجال مسلم الا انه ضعيف فيما يرويه عن الزهري خاصة ، وتابعه سليمان بن كثير من رجال الصحيحين . وفي رواية ابي داود لحديث انس ان الكتاب كان عليه ختم رسول الله (ص) وغير ذلك مما ورد في الكتابة .

فمن الناس من يحمل الاذن تاسخا ومنهم من يحمل احد النصين مطلقا والآخر مقيدا كتقيد كون الكتابة عنه لتبليغ نصها والتعبد بلفظها عنه كالقرآن ، لئلا يشبهه

بعض الناس ، فيمتنع التنافي بينهما حينئذ . وقد سبق للمنار البحث في ذلك كما يعلم السائل  
واما الاخذ بالاحكام المروية عن تلك الصحيفة : هل هو متفق عليه أم لا ؟  
فجوابه أن العلماء لم يتفقوا على العمل بها ، فمنهم من لم يحرم المدينة كسكة ، ومنهم  
من يقول : يقتل المؤمن بالكافر . كالحنفية . ومن خالف من العلماء شيئا مما في الصحيفة  
فنه من الدليل المعارض له ما يراه مرجحا عليه ، كاحتجاجهم باقرار النبي (ص)  
لمن صاد الغر ( طائر احمر المنقار كالصقور ) على جواز صيد المدينة ، على ان  
تلك واقعة حال مجهول تاريخها ، واحتجاجهم على قتل المؤمن بالكافر بان النبي  
(ص) قتل مسلما بماهد وقال « انا اكرم من وفي بذمة » رواه البيهقي من  
حديث عبد الرحمن السلمي مرسلا وهو ضعيف . وبقوله في بعض روايات حديث  
الصحيفة وفي احاديث أخرى « لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده » قالوا  
معناه المناسب لمطغه على منع قتل المؤمن بالكافر - : ولا يقتل معاهد حال كونه في  
عهده لم ينقضه بكافر . وحينئذ يكون المراد بالكافر الحربي ، اي من كان محاربا  
للمسلمين بالفعل او بالقوة بان لم يكن بينه وبينهم عهد ولا ذمة . لان المعاهد والذي لا  
يقتل بالحربي اجاعا ، وبمهوم ادلة القصاص ، وليس هذا محل تحرير هذا البحث ، وانك  
تجد تحرير الادلة فيه من غير تعصب في ( فتح الباري ) و ( نيل الاوطار )

فمن صح عنده قتل المسلم بالكافر فله ان يمهده من عجائب مبالغة الاسلام في العدل  
والمساواة ، ومن صح عنده خلافه فلا يراه بدعا في اعمال الامم الفاتحة ، والزمن  
زمن الاحكام العرفية او العسكرية ، بل ترى الافرنج لا يقبلون ان يكونوا مساوين  
لامم الشرق والجنوب في الدماء لا في البلاد التي يفتحونها فتحا حريا ولا سلمييا  
ولا في البلاد التي يكونون فيها نزلاء معاهدين كاضيوف . اما احكامهم العرفية  
فحسبك نموذجها ما جرى في ( دنشواي ) من هذه البلاد من مزيق جلود بعض  
المصريين بالضرب المبرح بالسياط ذات المقد ، ثم شتمهم وصلبهم على أعين الناس من  
رجال ونساء وأطفال من أهلهم وغير أهلهم ، لانهم تجروا على بعض عسكر الانكليز  
الذين صادوا حمامهم عن يادهم بالمقاومة والضرب المعتاد الذي لا يقصد به القتل ،  
ولا يقتل مثله . هذا وقد اشتهر الانكليز بانهم أعدل الاوربيين وأقربهم الى الرحمة .  
وحجة الافرنج في تمييز انفسهم على الشرقيين انهم ارقى منهم عدلا وفضيلة ، وهكذا  
كان المسلمون فوق جميع الامم عدلا وفضيلة بشهادة جميع مؤرخي الامم . وانما  
ذكرت السائل بمسألة الاحكام العرفية وبهذا الشاهد منها ، وبما ياملنا به الافرنج

في بلادنا ، ايجاج به من يجادل في أمثال هذه المسائل من المخالفين أو متفرنجة المسلمين ، محجوبين بنظريات الحقوق عن سيرة العالم العملي . ومن لم يسدل على نظره هذا الحجاب يقول كما قال غوستاف لوبون الحكيم الفرنسي « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا سائر المسلمين كانوا في فتوحاتهم أعدل وأرحم من غيرهم وان كانوا دون العرب .

### دليل منع الحائض من الصلاة وحكمته

(س ١٣) من صاحب الامضاء في ( هيبا - شرقية )

سيدي الاستاذ الرشيد المرشد

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد قرأت مباحثكم الرائقة الحكيمة في موضوع الوضوء والطهارة في المنار فاعجبتني جدا ، واستفدت منها الشيء الكثير ، فجزاكم الله عني وعن الاسلام والمسلمين خير الجزاء . واني لمناسبة هذا المقام لسؤال عندي قديم ، أنتهز هذه الفرصة لابديه ، عمى ان تتكرموا بالجواب على طريقتكم العصرية فأقول :

هل سقوط فريضة الصلاة عن المرأة وهي حائض أو في تقاس من الاشياء المجمع عليها بين جميع فرق المسلمين ، واذا كانت كذلك أو كانت محيطة فلم لم تذكر في القرآن مع أنه تعالى نهى عن الجماع في الحيض فكان من باب أولى أن ينهى عن الصلاة في مثل هذه الحالة لو كان اراد سبحانه وتعالى ان يكون النهي لكل زمان ومكان ، كما ذكر مسوغات عدم الحيض بقوله ( والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ) ومسوغات عدم الصيام او بالاحرى ما يمنع الصيام بقوله تعالى ( ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من ايام أخر )

لم تذكر موانع للصلاة مطلقا وانما ذكرت أعمال يؤتى بها قبل الشروع فيها ، فلا الخوف من الاعداء أو غيرهم في الحرب أو غيرها مسوغاتك أو تأجيل الصلاة ، فكيف يكون دم الحيض وهو ذلك الدم الذي يتغذى منه الجنين في بطن امه مانعا من الصلاة ؟ فان صحح ان يقال انه نجس ، يصحح ان يقال ان جسم الطفل بل جسم كل انسان نجس ، لأن اصله من ذلك الدم

العلم الحديث لم يثبت ان في دم الحيض عناصر خبيثة في ذاتها بل اثبت ان الاتيان اثناء وجوده ضار جدا بالمرأة ، لأن أعضائها التناسلية تكون في حالة احتقان ، والاعوية الدموية فيها تكون متمددة ، فيسهل حصول نزيف بسبب



حركة عنيفة، كما يسهل جدا دخول مكروبات الامراض، فتحدث التهابات موضعية وغيرها قد تذهب بحياة المرأة أو تورثها العقم الدائم مع الالتام الشديدة، ولا سيما عند مجيء الحيض في كل شهر. والرجل لا يخلو أيضا من الضرر، فقد يدخل بعض السائل من الحيض في مجرى البول من القضيبي فيحدث التهابا يشبه السيلان وهذا كله ينطبق على قوله عز وجل ( ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأنوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين )

فإن هذا من نهي الحائض عن الصلاة وهي عماد الدين ؟ ومثلها في طهارة الارواح كمثل الماء في طهارة الاجسام ، على ان حركاتها من قيام وركوع وسجود لا تضر الحائض غالبا ، وان خيف منها الضرر فيمكن أن تؤتى بشكل خال من كل مضرة . وليكن أخذ ذلك من قوله تعالى ( حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فان خفتم فرجالا أو ركباناً . فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون )

الحيض لا يمكن اعتباره الا مرضا شهريا من اخف الامراض فلم تؤمر المرأة بالصلاة في أشد الامراض وأكثرها اذى لها ولغيرها وتنتهي عنها في الحيض الذي لا ينهي عن القيام بأكثر أعمالها اليومية ؟ فأرايكم دام فضلكم

المستفيد من علمكم والمستضيء ببناركم

الدكتور عبده ابراهيم

(ج) نقل الحفاظ إجماع المسلمين على ان الحائض لا يشرع لها الصلاة ولا الصيام، وانها تقضي الصيام دون الصلاة . الا انهم نقلوا ان سمرة بن جندب من الصحابة (رض) كان يقول بمطالبة المرأة بقضاء الصلاة أيضا فأنكرت ذلك عليه ام المؤمنين ام سلمة (رض) ونقلوا أيضا مثل ذلك عن بعض الخوارج ولم يعتدوا به ولا رأوه مخلا بالاجماع . وأما مخالفة سمرة فهي تحرق الاجماع ، وظاهر كلامهم انه رجع الى قول ام سلمة لأن امهات المؤمنين هن القدوة فيما يروينه من هذه الاحكام المتعلقة بالنساء ، اذ لا يجوز ان يوجب الله على النساء قضاء الصلاة ولا يأمرهن به النبي (ص) بل لا يجوز منه السكوت عن ذلك أو إقرارهن عليه . وقد جعل العلماء حجة الاجماع على ذلك ما ورد فيه من الحديث

ويمكن ان يستنبط الدليل من القرآن على منع الحائض من الصلاة ، فانه تعالى قد اشترط الطهارة للصلاة ، والطهارة متعذرة على الحائض مع استمرار سببها وهو نزول الدم . أما الطهارة المشتركة للصلاة إجماعا فهي الوضوء من الحدث الأصغر والغسل من الحدث الأكبر، واما المشتركة عند الأكثرين فمقط فطهارة البدن

والثوب والمكان . وقد صرح القرآن في آيتي الوضوء والتيمم بأن طهارة الجنب الغسل، والحائض ملحقة بالجنب لأن حدثها كحدثه في تأثيره في الروح والجسد، كلاهما يحدث في الجسد ضرباً من الضعف والفتور يزيله تعميم البدن بالماء كما يناله في حكمة الوضوء والغسل، وكلاهما يضعف الروحانية . وقد ثبت في السنة والاجماع القولي والعمل المتواترين أن المراد بقوله تعالى في بيان طهارة الحيض (فاذا تطهرن) فاذا اغتسلن، فطهارتهن الغسل بالكتاب والسنة والاجماع، وهي متعذرة مع وجود سببها وإنما تجب بزواله، فاذا تعذرت الطهارة تعذرت الصلاة شرعاً لأنها مشروطة بها . وتتعدر عليها الطهارة من الخبث كما تتعدر عليها الطهارة من الحدث، فإن الدم نجس شرعاً وعرفاً لأنه مستقدر جداً باتفاق الطباع السليمة من كل الأمم . ولا يلزم من نجاسته نجاسة الجنين الذي يتغذى به، كما لا يلزم أن يكون النبات الذي يتغذى بالعدرة والروث وغيرهما من الاقذار نجساً، فالنجاسة في الشرع والعرف لا تبني على قواعد الطب، فإن جميع ادباء البشر بل جميع طبقاتهم تستقدر المطلق بالدم وتعاف بجالسته وهو آكلته ومصاحبته، وإن لم يضرهم ذلك الدم بافساد عينتهم عليهم، وخروج المني يوجب الغسل وهو ظاهر عند بعض الأئمة . وصرح الفقهاء بأن الدم وغيره لا يحكم بنجاسته في معدنه من البدن بل بعد خروجه . ومتى خرج دم الحيض صار قذراً ولم يعد غذاءً للاجنة .

وقد علم مما تقدم أن ما ثبت في السنة العملية والاجماع من سقوط الصلاة عن الحائض له مأخذ ما من القرآن، والقرآن لم يبين أحكام الصلاة التفصيلية بل تركه لبيان النبي (ص) الذي خاطبه بقوله (وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) إذ يشمل هذا بيان الذكر المنزل وتبليغه، وبيان الجمل منه، وما يستنبط من دقائق تعبيره وأساليبه - كاستنباط النبي (ص) تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة من قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) بجعل الاسراف في لزوم الشيء ومعلقاته كالاسراف فيه نفسه، واستنباطه تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها من تحريم الله الجمع بين الاختين، لاتحاد العلة، واطراد الحكمة .

ولم تذكر في سياق هذا الاستدلال ما عليه السواد الاعظم من المسلمين من تحريم قراءة القرآن على الجنب والحائض، والقرآن ركن من أركان الصلاة لا تقام بدونها، لأنه وقع فيه خلاف ما . ولهذا مأخذ من القرآن وإن لم يكن نصاً فيه، وهو قوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون)

وجملة القول أن الصلاة أكمل العبادات إذا لم تصح مع الجنابة فلا تصح مع الحيض بالأولى، وكلا السائلين فيهما من أسباب النسل . والحيض مرض قد تضر

معه الصلاة كما قلتم ، والفرق بينه وبين سائر الامراض التي تسقط معها الصلاة انه طبيعي دائم وسائر الامراض ليست كذلك ، وهي خلاف الاصل ومقتضى الطبيعة المعتدلة ، واذا اسقطها الشرع عن المرأه تخفيفا عليها ، فان لها من العبادة المزكية للروح ما لا يشترط فيه ما يشترط فيها وهو ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان والتفكير في خلق السموات والأرض ( ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر )

### \*) حقيقة الاعجاز

اما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث ، واتمهينا اليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وانضاج الرؤية ، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد اسلوبه . ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقارنة واكتناه الروح التاريخية في اوضاع الإنسان وآثاره ، وما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد اليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة الى اسرار الوضع اللغوي التي مرجعها الى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملاءمة ، حتى يكون اصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه - تقول : ان الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن هذا القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على اطلاقه ، فهو امر لا تبلغ منه الفطرة الانسانية مبلغاً ، وليس الى ذلك مأني ولا جهة ، وانما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع . وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراناً من ذوب تلك المواد كلها . وما نظنه الا الصورة الروحية للإنسان . اذا كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله ،

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الانساني ، ومعجز في حقائقه . وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الانسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت .

(\* فصل من الجزء الثاني من كتاب آداب لغة العرب لمصطفى صادق افندي الرافي

وقد اشرنا اليها في بعض الفصول المتقدمة، على انها ليست من غرضنا في هذا الباب. وانما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي، لانا انما نكتب في تاريخ الآداب، ونحن في كل ما نضعه من هذا الكتاب انما نسلك الجانب الضيق من الطريق، وتقتص الأثر الطامس، ونلتزم الخطة التي تحمل عليها النفس حملاً، وقد كان فيما قدمناه بل فيما دونه مقنع لو آثرنا ما تستوسطه النفس، وعطفنا على ما تنازع اليه من السكون، كلما انتهت الى حجة واضحة او استبانة لأئحة مسفرة، ولكننا نمضي ما اعترزنا فاللهم عونك واللهم عونك .

هذا ولا بد لنا قبل الترسل في بيان ذلك الإعجاز ان نوطئ بنبذ من الكلام في الحالة اللغوية التي كان عليها العرب عند ما نزل القرآن فسنقلب من كتاب المهر ثلاث عشرة صفحة تحتوي ثلاثة عشر قرناً لتتصل بذلك العهد، حتى نخبر عنه كأننا من اهله وكأنه رأي العين، وانما سبيل الصحة فيما نحن فيه أن يشهد عليه الشاهد ان العين والأذن إذ كان من شأنهما ان لا تثبت دعوى في حادثة دون ان يشهد عليها احدهما او كلاهما .

بلغ العرب في عهد القرآن مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل، فان كل ما وراءه انما كان ادواراً من نشوء اللغة وتهذيبها وتقيحها واطرادها على سنن الاجتماع، فكانوا قد اطلوا الشعر وافتنوا فيه وتوافى عليه من شعرائهم افراد معدودون، كان كل واحد منهم كأنه عصر من تاريخه، بما زاد في محاسنه وابتدع من اغراضه ومعانيه، وما نفص عليه من الصبغ والرونق، ثم كان لهم من تهذيب اللغة واجتماعهم على نمط من القرشية يرونه مثالا لكمال الفطرة الممكن ان يكون، واخذهم في هذا سمت ما جعل (الكلمة) نافذة في اكثرهم، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللفظة، فقامت فيهم دولة الكلام، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن .

وكل من يبحث في تاريخ العرب وآدابهم وينفذ الى ذلك من حيث تنفذ به الفطنة وتتأني حكمة الاشياء، فانه يرى كل ما سبق على القرآن من امر الكلام العربي وتاريخه انما كان توطيداً له، وتهيئة لظهوره، وتناهيها اليه، ودربة لاصلاحهم به،

وليس في الارض امة كانت تربيتها لغوية غير اهل هذه الجزيرة ، فما كان فيهم كالبيان آتق منظراً وأبدع مظهراً ، وأمد سبباً الى النفس ، وارتد عليها بالعاقبة ، ولا كان لهم كذلك البيان ازكى في ارضهم فرعا ، واقوم في سماهم شرعا ، واوفر في انفسهم ريبا ، واكثر في سوقهم شراءاً وبيعا . وهذا موضع عجيب للتأمل ما ينفد عجبنا على طرح النظر وإبعاده ، وإطالة الفكر وترداده ، واي شيء في تاريخ الأمم اعجب من نشأة لغوية ، تنتهي بمعجزة لغوية ، ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الأمة مما تنطوي عليه هذه المعجزة ، وتأتي به على اكمل وجوهه واحسنها ، وتخرج به للدهر خيرة امة كان عملها في الأمم صورة اخرى من تلك المعجزة ؟ هذا على انه - كما علمت - انشأهم على الكبر ، ولم يجر معهم على المؤلف من مذاهب تربية الأمم ، ولا هو كان طباقاً لروح الأخلاق التاريخية فيهم التي تظهرها العادات على كل دين وشريعة وسياسة ، إذ كانت ميراث الدهر ، وكانت مستقرة في كل عرق سار ، وفي كل شبه نازع . وكانت روح المجموع لا تكون الا منها ، ولا تعرف الا بها ، ولا تظهر الا فيها . فما عدا ان سفه احلامهم ، ونكس اصنامهم ، وازرى عليهم وعلى آباتهم الأولين وقام على رؤسهم بالتفريع والتأنيب ، وهم اهل الحمية والحفاظ ، واهل النفوس التي تصب كالمعاني في الالفاظ ، ثم ذهب بطريقة كانت لهم معروفة ، وعادات كانت لهم مألوقة ، وارسلهم في طريق العمر الى الفناء ، فكأنما طلع بهم من اولها ، وكأنهم بعد ذلك على آدابه نشأوا وهم اغفال واحداث ، بل كأنهم سلالة اجيال كان القرآن في اوليتهم المتقادة فكانوا هم الوارثين لا الموروثين ، والناشئين لا المنشئين ، مصداقاً للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذي يليه » . ولعمرك ان هذا المعجيب . وليس اعجب منه إلا ان اول جيل انسل من هؤلاء القوم كان هو الذي تناول مفتاح العالم فأداره . وقد خرج للغاية التي جاء بها القرآن ، وكأنه دارمها في الاصلاب دهرا طويلا . حتى احكمته الوراثة الزمنية ، وردت عليه من الطباع ما لا يتبها الا في سلالة بعد سلالة وجيل بعد جيل ، من قوم قد مروا منذ اولهم في ادوار الارتقاء . على سنن واضح وطريق نهج ، لم ينتقض لهم في

اثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع ، ولا رذات شيمة ، ولا التوت طريقة ، ولا سقطت مروءة ، ولا ضل عقل ، ولا غوت نفس . ولا عرض لهم بغي ولا افسدتهم عادة . وابن هذا كاه او بعضه من قوم كانوا بالامس عاكهين على الاوثان يأكل بعضهم بعضاً ، ولم العادات المردولة ، والعقائد السخيفة . والطباع الممزوجة الى غيرها مما يحمل عليه الإفراط فيما زعموه فضيلة . كحمية الأنف واستقلال النفس . ومما كان من عكس ذلك كالتسليم للعادة والالتقياد لطبيعة التاريخ . والمضي على ما وجدوا ثم الموت على ما ولدوا ؟ لا جرم ان في ذلك سرا من اسرار الفطرة . فلولا ان اكبر الأمر بينهم كان للنصاحة واساليبها بما استقام لهم من شأن الفطرة اللغوية وما بلغوا منها كما فصلناه في بابه ، حتى صارت هذه الأساليب كأنها اعصاب نفسية في اذهانهم . تنبعث فيها الإرادة بأخلاق من معاني الكلام الذي يجري فيها . وتعتزم على اخلاقهم وطباعهم فتصرفهم في كل وجه ، كأنها إرادة جبار معتزم لا يلوي ولا يستأني ولا يتشد . ولولا ان القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة وجاءهم منها بما لا قبل لهم برده ، ولا حيلة لهم معه . مما يشبه على التمام اساليب الاستهواء في علم النفس . فاستبد بإرادتهم ، وغلب على طباعهم . وحال بينهم وبين ما نزعوا اليه من خلافه . حتى انقضت قلوبهم عليه وهم يجهدون في تقضها . واستقادوا لدعوته وهم يباليون في رفضها ، فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا ينتهون الا اليه . لأنه اخذ عليهم بفصاحته وإحكام اساليبه جهات النفس العربية . والمكابرة في الأمور النفسية لا تتجاوز اطراف الألسنة ، فان اللسان وحده هو الذي يستطيع ان يتبرأ من الشعور ، إذ هو أداة مغلبة تتعاورها الألفاظ ، والألفاظ كما يرمى بها في حق او باطل ، لا تمتنع على من ارادها لأحدها او لهما جميعاً ،

قلنا لولا ان ذلك على وجه الذي عرفت لما صار امر القرآن الى اكثر مما ينتهي اليه امر كل كتاب في الأرض ، بل لما كان له في اولئك العرب امر البتة ، لأنهم قوم أميون قد تأثلت فيهم طباع هذه الأمة ، وكان لهم الشيء الكثير من العادات والأخبار والتواريخ ، وبينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ثم هم لم يعدوا الحكماء من خطبائهم وشعرائهم ، ومن جنح الى التأله منهم . كامية بن ابي

الصلت وقس ابن ساعدة وغيرهما .

وما جاءهم القرآن بشيء لا يفهمونه ولا يثبتون معناه على مقدار ما يفهمون ، ولا كان هذا القرآن كتاب سياسة ولا نظام دولة ، ولو كان اصراً من ذلك ما حصلوا به ولا استدعى هو منهم الاجابة ، لأن لم منزعاً في الحرية لم تغلبهم عليه دولة من دول الأرض . ولا أفلح في ذلك من حاوله من ملوك هذه الدول في الأكاسرة والقيصرية والتبابعة . بل خلقوا عرباً يشرقون وينزبون مع الشمس حيث أرادوا وحيث أرادوا . وهم على ذلك لم يجتمعهم ولم يخرجهم الى الدنيا ولم يقلبهم على تصارييف الأهور غير القرآن .

فلو ان هذا القرآن غير فصيح ، او كانت فصاحته غير معجزة في اساليبها التي ألتقت اليهم ، لما نال منهم على الدهر منالاً ، ونملا منه موضعه الذي هو فيه ، ثم لكان سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ، وهو لم يخرج عن كونه في الجملة كأنه موجود فيها بأكثر معازيه . قبل ان يوجد بألفاظه واساليبه ، ثم لنقضوه كلمة كلمة وآية آية . دون ان تتخاذل ارواحهم ، او تتراجع طباعهم . ولكن لم وله شأن غير ما عرف . ولكن الله بالغ امره .

وقد اوهأنا في بعض ما سلف الى ان هذا القرآن يكبر ان يكون حيا بروح عصره الذي أنزل فيه . فلا يستطيع من يقول باعجازه ان يقصره على زمن الجاهلية ، او يتعلل في ذلك . وهو بعد من الأحكام والسو وشرف الغاية وحسن المطابقة ، بحيث تتعرف منه روح كل أمة قد فرغت الأمم واستولت على الأمد التاريخي ، ونالت ما لا ينال الا مع بسطة في العلم ، وزيادة في المعرفة بوجوه العمل ، وفضل من القوة ، ومع كمال المنزلة في كل ذلك واشباهه من مقومات الأمة . فذلك ما علمت .

وان ههنا وجهاً آخر هو اعجب مما اوهأنا اليه ، على انه ضربه في الحكمة وقسيمه في الاعتبار . إذ هو متعلق بطبيعة الارض كما ان ذلك متعلق بطبيعة اهلها . فان من الثابت البين ان لميئة الطبيعة جهة من التأثير في تهئية الاخلاق . فترى في الجهات المقفرة والخوافة . او التي يلقي منظرها في نفسك اهبة دون المحبة والفرع دون الاطمان . اقواماً كأنما نشوا في المعابد وولدوا في الصوامع ، فليس في اخلاقهم

الا الاستسلام للوهم والتخيل، والا الخوف من كل شيء تكون فيه روح الطبيعة، كما زعم العرب من البيات مع الغيلان وتزوج السعالى ومجاوبة الهواتف، والروغان عن الجن الى الجن. واصطياد الشق ومحاربة النسناس وصحبة الرئي، وما كان لهم من خدع الكاهن وتدسيس العراف. ومن العياقة والتنجيم والزجر والطرق بالحصى<sup>(١)</sup> وغيرها من خرافاتهم، ثم الخوف من كل شيء تعرف فيه روح الطبيعة كالأوثان وسائر ما قدسته العادات والشعائر، وان كانوا في غير ذلك اهل جلد ونجدة ومضاء وبديهة وعارضة، لان هذه الصفات وامثالها تكتسب من طبيعة الخيال حدة وشدة، وانت واجد عكس ذلك فيمن تكون طبيعة ارضهم ساكنة مطمئنة لأمتحاح اهلها ولا تريمهم بالفرع، فانهم لا يقرون على خوف وتوثر، ولا يكون في اخلاقهم الجنوح الى عبادة ما يخيفهم، او تقديس ما اتصلت به روح الطبيعة، ثم لا يكونون الا اهل هبل بالحواس دون التخيل. قد غير احدهم دهره عاملا فليس يبالي الا بالحاضر الذي تتعلق به روح العمل، دون الماضي الذي يجتمع عليه حرص أولئك لانه غيب الطبيعة التي يقدسونها. فكان من اخلاق العرب هو ما مشهور عنهم من التفاخر بالآباء والأجداد، والذهاب مع الوهم في كل مذهب وعدم المبالاة الا بما يلحقهم بأبائهم ويجعلهم في عداد الماضين، ليكون لهم فيمن يخلفهم من الشأن والتقديس والتعظيم بهم ما كان فيهم لمن تقدمهم، فيتقون سوء القالة وخبث الأحدثوة، وصائر ما يفسد عليهم هذا الشأن بكل ما وسعهم، لا يألون في ذلك جهداً ولا يفضنون فيه،

(١) للعرب مذاهب كثيرة من مثل ما وصفنا ولا محل لبسط القول فيها، ولكننا تقتصر على تعريف ما أتينا به تعريفاً لفظياً، فالغيلان إناث الجن والسعالى جمع سعالاة وهي سحرة الجن. ويقال ان الغيلان من السعالى. والهواتف جمع هاتف وهي الجن تهتف بهم وتندرهم. والجن نوع من الجن والشق جنس من أجناسهم والنسناس جنس من الخلق يعد فيهم والرئي جنى يكون لبعض الناس فيخبره بالغيب، والكاهن من يتنبأ بما سيقع. والعراف من يستدل بالاسباب والحوادث ويتنبأ من ذلك. والعياقة التكهن بالطير أو غيرها. والزجر أن يزجر الطير ليتسعد أو يتشأم اذا أراد ان يهم بأمر. والطرق بالحصى وسيلة من وسائل التكهن. وفي كل ذلك شرح طويل واختلاف كثير.



ولا يتقدمون في سد غيره قبل احكامه واستفراغ قوتهم له . الى غير هذا مما هو معروف متظاهر عنهم .

ثم كان هواهم كله في الشعر لانه عبادة ارواحهم لطبيعة ارضهم . وهو الصلة المحفوظة بينهم وبين ماضيهم فحاء القرآن يسفه تلك الطباع منهم . ويحول بينهم وبين ذلك الماض ، ويصرفهم الى العمل . ويذهب عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، ويأتيهم بالبصائر من ربهم . ويهديهم بالعقل الى اسرار الطبيعة . ليماموا انها مسخرة لهم فلا يسخروا انفسهم لها ، وحرّم عليهم التقديس وما في حكمه . وبصرهم بما مسهم من طائف الشيطان وما نزعهم من امره خيالاً او وهمّاً او شعراً او عبادة ، وجعل افضل الفضائل في الذي قام يدعوهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم انه ابن يومه وابن عمله وابن عقابه فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر ، وتلك اخص فضائلهم الاصطلاحية . وخاطبه بهذه الآية الكريمة التي هي روح الثبات في امم العلم والعمل وهي قوله « وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، اتم بريثون مما اعمل واذا بريء مما تعملون » . فكيف يمكن ان يكون هذا القرآن مع ذلك كله مما يطابق ارض العرب في طبيعتها وهي ما علمت ، وكيف يتفق ان يكون كل ذلك من صنعة رجل قد نشأ فيهم واتصل بهم ، وذهبت عروقه بينهم واشجته ، وهو من صميمهم نسباً ووراثته ، يعرفونه ويحققون جملة امره ، ولم يخرج عنهم قط للعالم او الطالب ، ولا طرا عليهم من غير ارضهم ، ولا انسكروا عليه امراً من لدن نشأته الى حد الكمولة والى ان دب الشيب في عذاريه ، وهم مستيقنون انه ما كان يتلو من قبله من كذب ولا يخظه ؟

وما عهدنا رجلا من عطاء التاريخ قد اهاب بأمة طبيعية كالعرب ذات بأس وصرامة وحمية وحفاظ ، وذات خيال وتصور . يدعوها ان تخلع نفسها مما هي فيه ؛ وان تضع اعناقها للحق الذي لم تألفه حقاً ، وان تعطيه مع ذلك محض ضمائرهما وتسوغه تاريخها وعاداتها ، وما هو اكبر من تاريخها وعاداتها . وهم لا يرونه في ذلك الامسحوظ الرأى ، ذاهب الوهم ، بعيداً منهم ومن نفسه ومن الحقيقة جميعاً . ولا يرون من امره ذلك الا قلة وضرعاً وهواناً واستخفافاً ، وان كانوا يعرفونه من قبل بحسن الخلق

وبصفا الذمة وتخشع السميت، ويعرفون انه لا يريد ملكا ولا يبغى دولة، ولا يتصنع لحدث من الاحداث السياسية، ولا يهتبل غرة ذاهلة، ولا يستمد لنهزة سائحة «وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وون بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون» .

ثم هو على هذا كله من امره وامره لا يتأني اليهم بالتوبيه، ولا يداخلهم بالنفاق، ولا يتألفهم على باطلهم، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم، ولا يداين في خطابهم، ولا يرفق بهم فيما يتخيرون وما يعبدون، ولا يحكم ذلك الامر من ناحية الدهاء والمخاتلة، فيقرهم على طباعهم وعاداتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويمد لهم في الغي مداء من امر ما اعجبهم، ومن شأن ما استخفهم كما يصنع دهاء السياسة وقادة الامم، وكما صنع داهية اوربا نابليون الذي انتحل الكثرة في حرب الفنديين، واسلم في مصر، وجهر بعصمة البابا في حرب ايطاليا، وقل مع ذلك: ولو كنت احكم شعبا يهوديا لأعدت هيكل سليمان... ثم يكون مع مذاك من فعله وفعلهم ان يثوب اليه الأمر، ويستوثق على ما اراد، وان تعطيه تلك الأمة عن يده وهي صاغرة للحق، وتبذل نصرها له بعد التخذيل عنه، وتسكن اليه بعواطفها المستنفرة، وتعطف عليه بقلوبها الجائعة، وهو الراغب عن سننهم، والمسهة لأحلامهم، والطاعن عليهم وعلى آبائهم، والمفارق لشرائعهم وعاداتهم. وهو الذي خرج من الأمة اولاً، ثم اخرج الأمة كلها من نفسه آخرأ، كما اتفق للنبي صلى الله عليه وسلم.

ما عهدنا ذلك، ولا عهدنا ان الأمم تخرج عن طبائعها النفسية وتستقيم لمن يتبوي لها مثل هذا الاتواء، وتدخل في امره وتثبت على طاعته ومحبته، وهو اضعف ذمراً واقل عدداً، الا ان يغلبها على نفسها ويمتلك خيالها ويستبد بتصورها. وكيف له ان يغلب على النفس، بتفكيرها ويمتلك الخيال بالعنف عليه، ويستبد بالتصور وهو يستردله؟ ومن اين له ذلك الا ان يأتي الفطرة التي هي اساس هذه كلها فيملكها، ثم يصوغها ثم يصرفها؟ فان الذي لا يدفع الطبع لا يدفع الرغبة، ومن لم يقدر الأمة من رغائبها لم يقدر في زمانه غير نفسه، وان كان بعد ذلك من كان؟ وهذا الذي وصفناه امر لو ذهبت تلتزمه في تاريخ الأرض كلها ما رأيت

ادبائه الفطرية في غير أولئك العرب، ولا رأيت تحقيقه في العرب، إلا من ناحية القرآن وإعجازه بنظمه وأساليبه؛ واقتنانه على هذه الوجوه المعجزة، التي اقل ما توصف به أنها السحر بل السحر بعضها (١)

(١) وذلك فيما نرى أنما هو وجه الحكمة في نشأة هذا الدين عربياً واختصاص العرب بالقرآن دون غيرهم من الأمم، وإفراد قريش بذلك دون غيرها من العرب. ومن يقرأ صدر التاريخ في الإسلام ويعتبر حوادثه ويتدبر آثار القرآن في قبائل العرب، ير أن شدة الإيمان كانت عند شدة الفصاحة، وأن خلوص الضمائر كان يتبع خلوص اللغة، وأن القائلين بهذا الدين والذين افاضوه وصرفوا إليه جمهور العرب وقتلوهم عليه وجمعوا ألفتهم وقوموا أودهم إنما كانوا أهل الفصاحة الخالصة، من قريش إلى سرة البادية، وإن الفتن إنما استطارت في الجزيرة استطارة الحريق فيمن وراء هؤلاء إلى أطراف اليمن، فكانوا قوماً مدخولين منقوصين، وما كان ضعف اعتقادهم إلا في وزن الضعف من لغتهم. وقد اسلفنا في غير هذا الموضوع أن غرابة الدين ما تزال تتبع غرابة العربية. ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عمرو بن العاص بعمان فأقبل منها إلى المدينة يخترق بلاد العرب فأطافت به قريش وسألوه فقال لهم إن العساكر معسكرة من دبا «سوق بعمان» إلى حيث انتهيت إليكم. فتفرقوا حلقاً، ومر عمر بن الخطاب بجماعة فسألهم فيم أنتم؟ فلم يجيبوه. فقال: اظن قلتم ما أخوفنا على قريش من العرب. قالوا صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المبرلة أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم، والله لو تدخلون معاشر قريش حجراً لدخلته العرب في آثاركم. اهـ

وحسبك من اثر القرآن في العرب الفصاحة وصوغ فطرتهم وتصريفها إن احدهم كان إذا أتهم في بعض اخلاقه لم يشكر ذلك بأشد من قوله: بئس حامل القرآن أنا اذن! ولما أعطي سالم مولى أبي حذيفة راية المسلمين يوم قتال مسيلمة الكذاب وكان من اشد الايام واعظمتها نكايته قال لأصحابه: ما اعلمني لأي شيء أعطيتم ونبيها! قلت صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات؟ قالوا اجل فالنظر كيف تكون. قال بئس والله حامل القرآن أنا إن لم اثبت. فتأمل. وكان صاحب الراية قبله عبد الله بن حنظل. وفي هذه الموقمة صاح أبو حذيفة وقد اضطرب المسلمون: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، ثم حمل على القوم فجازهم حتى اتفدهم ولو أن هذا المعنى من غرض كتابنا لبسطناه بسطاً، ولكن القول فيه يتسع بما نخرجنا إلى تاريخ الإسلام وفلسفة آدابه ومعانيه الاجتماعية، وهي اغراض أنما نلم بها إلاماً في هذا الكتاب كما عرفت.

وليت شعري ماهو امر المعجز في العقل ان لم يكن هذا من امره ؟ « ذلك بأن الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير » .

### ( المنار )

ان مسألة إعجاز القرآن قد صارت من المسائل المعلومسة بالضرورة بعجز العرب والمستعربين عن الاتيان بمثله ، ووقوفهم حيارى منبهري الانفاس خاشعي الأَبصار ناكسي الرؤس في نور شمسه . ولاعجازه وجوه كثيرة يعقل كل ذي علم وبصيرة منها مقدار مايتوجه اليه ذهنه ، مما استعد لادراكه عقله ، ومن الناس من لا يدرك من ذلك شيئاً ، كالاطفال والعوام الذين لا يدركون علل عجز ضعفاء البنائين الاميين بغير نظام ولا هندسة عن بناء هرم مثل هرم الجزيرة في عظمته ، وما روعي فيه من دقائق الهندسة ، والاشارات العمرانية ، والتقاليد الدينية ، والمقاصد الخفية . وانما يفهم وجوه هذا المعجز الرياضي والفلكي والعالم بتاريخ مصر وآثارها ، كل بقدر مجته في فنه .

وقد كتب كثير من العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن ، وما أطالوا الا في شرح فصاحته و بلاغته ، وقد تعب مصنف هذا الكتاب ( تاريخ آداب العرب ) في تصفح ما كتبوا ، وتبع ما صنفوا ، ولم يعجزه مع ذلك ان يكون مصداق المثل السائر « كم ترك الأول للآخر » ، فجعل ٢٨٨ صفحة من الجزء الثاني من كتابه في إعجاز القرآن ، وبقية الى ص ٣٦٤ في البلاغة النبوية . واذا كان قد انفرذ ببيان نكت ودقائق لم تعرف لغيره ، فقد جلي بعض ما سبقه اليه من النكت والوجوه من قبله ، بعبارة مؤثرة بما ألبسها من حلال الخيال ، حتى تحلت في أربع مثال .  
وتم مباحث مفيدة في هذا الباب ، تراها في الفصول الكثيرة من الكتاب ، وسترى الاشارة اليها في تقر يظه من جزء آخر من المنار

بعد هذا كله نقول انه قد بقي من وجوه الاعجاز ما لم يغص المؤلف بحره ، حتى يستخرج دره ، وقد أجمالنا في ( عقيدة الاسلام ) التي كتبناها لطلاب المدارس الوسطى من هذه الوجوه ما يمكن شرحه في سفر أو أسفار . والتحقق ان اعجاز القرآن بمعانيه من الهداية را العلم اعظم من إعجازه بفصاحة عبارته و بلاغة أسلوبه ، وهي التي كانت سبب بقاء الدين في العرب والعجم ، بعد ان قل من يذوق طعم تلك البلاغة .

## ﴿ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره ﴾

قد اضطربت في هذه المسألة الافهام ، وزات فيها أقلام وأقدام ، وأوردوا فيه آياتا ليهودي حقيينة أو حكومية يقول فيها اذا بقضى الله ان يكون يهوديا وأمره ان يرضى بقضائه فما حيلته في ذلك . وأوردوا له أجوبة لم يرها الكهبرون مقنعة . ولذلك طالب الشمراني في بعض كتبه ممن ظنم بجواب أحسن مما أوردده ان يلحقه بما ذكره منها . ولم نر لأحد من العلماء تحريراً لهذه المسألة كتحريبات ابن القيم لها في ( كتاب مدارج السالكين ) وابن نجد كابن اقيم في المحققين المحررين ؟ قل قدس الله روحه في شرح كلام الهروي من الجزء الثاني :

قوله « وهو الرضا عنه في كل ما قضى » هاهنا ثلاثة أمور : الرضا بالله رباً ، (١) والرضا عن الله ، والرضا بقضاء الله . فالرضا به فرض ، والرضا عنه - وان كان من أجل الامور واشرف أنواع العبودية - فلم يطالب به العموم لمجزم ومشتته عليهم - وواجبه طائفة كما اوجبوا الرضا به ، واحتجوا بمجج (منها) انه اذا لم يكن راضياً عن ربه فهو ساخط عليه - اذ لا واسطة بين الرضا والسخط - وسخط العبد على ربه مناف لرضائه به ربا . قالوا - وايضا فمدم رضائه عنه يستلزم سوء ظنه ومنازعته له في اختياره لعيده ، وان الرب تبارك وتعالى يختار شيئاً ويرضاه ولا يختاره العبد ولا يرضاه ، وهذا مناف للعبودية . قالوا - وفي بعض الآراء الإلهية « من لم يرض بقضاي ، ولم يصبر على بلاي ، فليخذله (٢) ربا سواي » ولا حجة في شيء من ذلك . اما قوله (٣) « لم يتخلص من السخط على ربه الا بالرضا عنه اذ لا واسطة بين الرضا والسخط » فكلام مدخول ، لان السخط بالمقضي لا يستلزم السخط على من قضاه ، كما أن كراهة المقضي وبفضه والنفرة عنه لا يستلزم تعاق ذلك بالذي قضاه وقدره ، فالمقضي قد يسخطه العبد وهو راض عن قضاه وقدره ، بل يجتمع تسخطه والرضا بنفس القضا - كما سيأتي ان شاء الله - واما

{ ١ } سقط من البندادية كلمة « ربا » ( ٢ ) سقط من البندادية كلمة « له »

{ ٣ } وفيها « انه لم »

قولكم (١) انه يستأزم سوء ظن العبد بربه ومنازعة له في اختياره « فليس كذلك ، بل هو حسن الظن بربه في الحالتين ، وانه انما يسخط المقدر وينازعه بمقدور آخر ، كما ينازع القدر الذي يكرهه ربه بالمقدر الذي يحبه ويرضاه ، فينازع قدر الله بالله (٢) كما يستعبد برضاه من سخطه ، وبمخالفته من عقوبته ، ويستعبد به منه .

فاما « كونه يختار لنفسه خلاف ما يختاره الرب » فهذا موضع تفصيل لا يسحب عليه ذيل النفي والاثبات ، فاختيار الرب تعالى لعبد نوعان ( احدهما ) اختيار ديني شرعي ، فالواجب على العبد ان لا يختار في هذا النوع غير ما اختاره له سيده ، قال تعالى ( وما كان يؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ) فاختيار العبد ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا ( النوع الثاني ) اختيار كوني قدرى لا يسخطه الرب ، كالمصائب التي يبذل الله بها عبده ، فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفها عنه ويدفعها ويكشفها ، وليس في ذلك منازعة للرب بوجوبه - وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر - فهذا يكون تارة واجبا ، وتارة مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين ، وتارة يكون مكروها ، وتارة يكون حراما . واما القدر الذي لا يحبه ولا يرضاه ، مثل قدر المعاييب والذنوب ، فالعبد مأمور بسخطها ومنهي عن الرضا بها . وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء . وقد اضرب الناس في ذلك اضطرابا عظيما ونجا منه اصحاب الفرق والتفصيل ، فان لفظ الرضا بالقضاء لفظ محمود مأمور به ، وهو من مقامات الصديقين ، فصارت له حرمة اوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل ، وظنوا ان كل ما كان مخلوقا للرب تعالى فهو مرضى له يذفي الرضا به ، ثم انقسموا فرقتين ، فقالت فرقة : اذا كان القضاء والرضا متلازمين فمعلوم اننا مأمورون بقبول المصائب والكفر والظلم ، فلا تكون مقضية مقدرة ، وفرقة قالت :

(١) في البغدادية هنا « قولهم » وانص نسختنا « قولكم » وفيها القولة السابقة « قوله » فيها وكان الاولى ان تكون « قولهم » فيها (٢) نص البغدادية « فينازع قدر الله بقدر بالله والله » .

قد دل العقل والشرع على أنها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها .  
والطائفتان منحدتان جاثرتان عن قصد السبيل ، أو أنك أخرجوها عن قضاء الرب  
وقدره ، وهؤلاء رضوا بها ولم يسيخطوها . هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضائه  
وسخطه ، وخرجوا عن شرعه ودينه ، وأوائك انكروا تعلق قضائه وقدره بها .

واختلفت طرق أهل الأثبات للمقدر والشرع في جواب الطائفتين ، فقالت  
طائفة : لم يتم دليل من الكتاب ولا السنة ولا الإجماع على جواز الرضا بكل  
قضا ، فضلا عن وجوبه واستحبابه ، فأين أمر الله عباده أو رسوله أن يرضوا بكل ،  
ما قضاه الله وقدره ؟ وهذه طريقة كثير من أصحابنا وغيرهم ، وبه أجاب القاضي  
أبو يعلى وابن الباقلاني قال — فإن قيل : أفترضون بقضاء الله وقدره ؟ قيل له :  
نرضى بقضاء الله الذي هو خلقه الذي أمرنا أن نرضى به ، ولا نرضى من ذلك  
ما نهانا عنه أن نرضى به ، ولا نتقدم بين يدي الله ، ولا نعرض على حكمه .

وقالت طائفة أخرى : يطلق الرضا بالقضا في الجملة دون تفاصيل المقضي  
المقدر . فنقول : نرضى بقضاء الله جملة ولا نسيخطه ، ولا نعلق الرضا على كل  
واحد من تفاصيل المقضي — كما يقول المسلمون : كل شيء يبيد ويهلك ، ولا  
يقولون : حجج الله تبيد وتهلك ، ويقولون : الله رب كل شيء ، ولا يضيفون  
ربوبيته إلى الأعيان المستخبئة المستقدرة بخصوصها .

وقالت طائفة أخرى : نرضى بها من جهة إضافتها إلى الرب خلقا ومشيئته ،  
ونسخطها من جهة إضافتها إلى العبد كسبا له وقيامه بها .

وقالت طائفة أخرى : بل نرضى بالقضاء ونسيخط المقضي ، فالرضا والسخط  
لم يتعلق بشيء واحد . وهذه الأجوبة لا يتشبه شيء منها على أصول من يجعل  
محبة الرب تعالى ورضاه ومشيئته واحدة — كما هو أحد قولي الأشعري وأكثر أتباعه .  
فإن هؤلاء يقولون : إن كل ما شاءه وقضاه فقد أحبه ورضيه ، وإذا كان الكون  
محبوبا له مرضيا فنحن نحب ما أحبه ونرضى ما رضيه . وقولكم : إن الرضا بالقضا  
يطلق جملة ولا يطلق تفصيلا . فذلك لا يمنع دخوله في جملة المرضي به ، فيعمود  
الاشكال . وقولكم : نرضى بها من جهة كونها خلقا لله ، ونسيخطها من جهة كونها

كيا للعبد ، فكسب العبد ان كذا امر ، وجوديا فهو خلق لله فرضى به ، وان كان  
امرا عدميا فلا حتمية له رضي ولا تسخط . واما قواكم : رضي بالقضاء دون  
انقضي . فهذا انما يصح على قول من جعل القضاء غير المقضي ، والفعل غير المفعول ،  
واما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا على اصله ؟

وقد اورد القاضي ابو بكر على نفسه هذا السؤال فقال - فان قيل : القضاء  
عندكم هو المقضي او غيره ؟ قيل : هو على ضربين ، فالقضاء بمعنى الخلق هو المقضي ،  
لان الخلق هو المحرق ، والقضاء الذي هو الالزام والاعلام والكتابة غير المقضي ،  
لان الامر غير المأور والمحر غير المحبر عنه . وهو الجواب لا يخلصه ايضا ، لان  
الكلام ليس في الالزام والاعلام والكتابة ، وانما الكلام في نفس الفعل المقدر الملم  
به المكتوب : هل قدره وكتبه سبحانه راض به أم لا ؟ وهل العبد مأور بالرضاء  
به نفسه ام لا ؟ هذا حرف المستتة .

وقد انكر الله سبحانه تعالى على من جعل مشيئته وقضاه مستلزما لمحبه  
ورضاه ، فكيف بمن جعل ذلك شيئا واحدا ؟ قال الله تعالى ( سيقول الذين  
اشركوا : لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب  
الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فنخرجهم لنا ؟ ان  
تذبحون الا الظن وان انتم الا تخرصون - وقال تعالى - وقال الذين اشركوا لو شاء  
الله ما عبدنا من دونه من شيء ، نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . كذلك  
فعل الذين من قبلهم - وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم . ما لهم بذلك من علم )  
فهم استدلوا على محبه ورضاه لشركهم بمشيئته لذلك ، وعارضوا بهذا الدليل امره  
ونهبه . وفيه ابن الرد لقول من جعل مشيئته غير محبه ورضاه ، فلا شك انما  
نشأ من جملة المشيئة نفس المحبة ، ثم زادوه بجملة الفعل نفس المفعول ، والقضاء  
عين المقضي ، فنشأ من ذلك إلزامهم بكونه تعالى راضيا محبا لذلك ، والتزام  
وضئهم به .

والذي يكشف هذه القصة ، ويصر من هذه العمارة ، وينجي من هذه الورطة  
التفريق بين ما فرق الله بينه ، وهو المشيئة والمحبة ، فانها ليسا واحدا ولاهما



متلازمين، بل قد يشاء ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه ، ( فلأول ) كشيئته اوجود ايليس وجنوده ، ومشيئته العامة لجمع ما في الكون هم بفضله لبعضه . ( والثاني ) كحبه ايمان الآفار ، وطامات الفجار ، وعدل الظالمين ، وتوبة الفاسقين ، ولو شاء ذلك لوجد كله وكان جسيمه ، فانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن .  
فذا تقرر هذا الاصل وان الفعل غير المقول ، والقضاء غير انقضي ، وان الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضا بكل ما خلقه وشاءه - زالت الشبهات ، وانحلت الاشكالات ، والله الحمد ، ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض بحيث يظن ابطال احدهما الآخر ، بل التسدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر ، وكل منهما يحق الآخر .

اذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو اساس الاسلام ، وقاعدة الايمان ، فيجب على العبد ان يكون راضيا به بلا هرج ولا مازعة ولا معارضة ولا اعتراض ، قال الله تعالى ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) فاقسم انهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ، ويسلموا لحكمه تسليما . وهذا حقيقة الرضا بحكمه . فاتحكم في مقام الاسلام ، واتفاء الحرج في مقام الايمان (١) واتسليم في مقام الاحسان . ومتى خالط القلب بشبهة الايمان ، واكتنحت بصيرته بحقيقة اليقين ، وحي روح الوحي ، وتمهدت طبيعته ، وانقلبت النفس الامارة مطيئة راضية وادعة ، وتلقى احكام الرب تعالى بصدر واسع مشرح مسلم ، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله .

والرضا بالقضاء الكوني القدرى الموافق لمحبة العبد وارادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية والالذة امر لازم بمتنفي الطبيعة ، لانه ملامم للعبد ، محبوب له ، فليس في الرضا به عبودية ، بل العبودية في مقابته بالشكر والاعتراف بالمنة ، ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله ان توضع فيها ، وان لا يبصى المنعم بها ، ويرى التفسير في جميع ذلك .

والرضاء بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبه مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب ، وهو من مقامات أهل الإيمان ، وفي وجوبه قولان ، وهذا كالمرض والفقر واذى الخلق له ، والحرق والبرد والآلام ونحو ذلك .

والرضاء بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه ، كأنواع الظلم والفسوق والمصيان حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لربه تعالى ، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبه ، فكيف تمتنع الهبة ورضاء ما يسخطه الحبيب وبنفضه ؟ فمليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء .

فان قلت : كيف يريد الله سبحانه أمرا لا يرضاه ولا يحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف تجتمع ارادة الله له وبنفضه وكراهيته ؟ . قيل : هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقا ، وتباينت عنه طرقهم وأقوالهم . فاعلم ان المراد نوعان : مراد لنفسه ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد ارادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون في نفسه مقصودا للمريد ، ولا فيه مصلحة له بالنظر الى ذاته ، وان كان وسيلة الى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث افضائه وإيصاله الى مراده ، فيجتمع فيه الامران بنفضه وارادته ، ولا يتناقضان لاختلاف متعلقهما ، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة اذا علم متناوله أن فيه شفاءه ، وكقطع المضو انثا كل اذا علم ان في قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافة الشاقة جدا اذا علم انها توصله الى مراده ومحجوبه . بل العاقل يكتفي في اثار هذا المكروه وارادته بالظن الغالب وان خفيت عنه عاقبته وطويت عنه منبته ، فكيف بمن لا يخفى عليه المواقب ؟ فهو سبحانه وتعالى يكره الشيء وبنفضه في ذاته ، ولا ينافي ذلك ارادته لغيره (١) وكونه سببا الى ما هو احب اليه من فوته .

مثال ذلك انه سبحانه خلق ابليس الذي هو مادة لفساد الاديان والاعمال والاعتقادات والارادات ، وهو سبب شقاوة العبيد وعلمهم بما يفضب الرب تبارك

(١) أي لاجل أمر غيره وهو ما بينه بقوله : وكونه سببا الخ

وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يهبه الله ويرضاه بكل طريق وكل حيلة . فهو مبغوض لرب سبحانه وتعالى مستخوط له ، لعنه الله ومقته وغضبه عليه ، ومع هذا فهو وسيلة الى محاب كثيرة لرب تعالى ترتبت على خلقه ، وجودها احب اليه من عدمها .

(منها) ان تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات التي هي من اخبث الذوات وشرها ، وهي سبب كل شر ، في مقابلة ذات جبرائيل صلى الله عليه وسلم التي هي اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي مادة كل خير ، فتبارك الله خالق هذا وهذا . كما ظهرت لهم قدرته التامة في خلق الليل والنهار ، والضياء والظلام ، والداء والدواء ، والحياة والموت ، والحر والبرد ، والحسن والقيح ، والارض والسماء ، والماء والنار ، والخير والشر . وذلك من ادل الدلائل على كمال قدرته وعزته وسلطانه ومملكه ، فانه خلق هذه المتضادات وقابل بعضها ببعض وسلط بعضها على بعض ، وجمالها محال تصرفه وتديبه وحكمته ، فخلق الوجود عن بعضها بالكلية تمطيل لحكمته وكال تصرفه وتديبه بمملكته

(ومنها) ظهور آثار اسمائه القهرية ، مثل القهار والمنتقم والعدل والصار ، وشديد العقاب ، وسر بع الحساب ، وذوي البطش الشديد ، والخافض والمنذل ، فان هذه الأسماء والافعال كمال فلا بد من وجود متعلقها ، ولو كان الخلق كلهم على طيبة الملك لم يظهر اثر هذه الأسماء والافعال

(ومنها) ظهور آثار اسمائه المتضمنة للحمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعفته ان شاء من عبده ، فلولا خلق ما يكرهه من الاسباب المنفضية الى ظهور آثار هذه الأسماء لمطلت هذه الحكيم والفوائد ، وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجا بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم »

(ومنها) ظهور آثار اسماء الحكمة والخبرة ، فانه سبحانه الحكيم الخبير الذي يضم الاشياء مواضعها ، وينزلها منازلها الثلاثة بها ، فلا يضم الشيء في غير موضعه ، ولا ينزله غير منزلته ، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته ، فلا يضم الحرمان

والمتم موضع العطاء والفعل ، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع ، ولا الثواب  
موضع العقاب ولا العقاب موضع الثواب ، ولا انقضى موضع الرفع ولا الرفع موضع  
الخفض ، ولا العز مكان الذل ولا الذل مكان العز ، ولا يأمر بما ينهي النهي عنه ،  
ولا ينهى عن ما ينهي الأمر به . فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، وأعلم بمن يصلح  
تقبولها ويشكره على انتهائها اليه ووصولها ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك ولا يستأهله ،  
وأحكم من ان يمنها أهلها ويضها عند غير أهلها ، فلو قدر عدم الاسباب المكونة  
التي هي له لتمت هذه الآثار ولم تظهر حقيقة ، ولقدت الحكمة والمصالح المرتبة  
عليها ، وفواتها شر من حصول تلك الاسباب ، فلو عطمت تلك الاسباب لما فيها  
من الشر لتمطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الاسباب . وهذا  
كالشمس والمطر والرياح التي فيها من المصالح ما هو أضاف أضاف ما يحصل بها  
من الشر والضرر ، فلو قدر تعطيلها لثلا يحصل منها ذلك الشر الجزئي لتمطل من  
الخير ما هو أعظم من ذلك الشر بما لا نسبة بينه وبينه .

### فصل

(ومنها) حصول العبودية المتنوعة التي اولا خاق ابليس لما حصلت ، ولكن  
الحاصل بعضها لا كلها ، فن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية اليه سبحانه ،  
ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتمت هذه العبودية وتوابها من الموالاة فيه سبحانه  
والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه . وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخافة الهوى ، وإيثار محاب  
الرب على محاب النفس .

(ومنها) عبودية التوبة والرجوع اليه واستغفاره ، فإنه سبحانه يحب التوابين  
ويحب توبتهم ، فلو عطمت الاسباب التي يثاب منها لتمت عبودية التوبة  
والاستغفار منها .

(ومنها) عبودية مخافة عدوه ومرامته في الله وانماظنه فيه ، وهي من أحب  
أحب أنواع العبودية اليه ، فإنه سبحانه يحب من وليه ان يفيظ عدوه وبراغمه  
ويسوءه ، وهذه عبودية لا يتفطن لها الا الأكياس .

( ومنها ) أن يتعبد له بالاستمادة من عدوه وسوائه أن يجبره منه ويمصمه من كيدته وأذاه .

( ومنها ) ان عبيده يشتد خوفهم وحذرهم اذا رأوا ما حل بعدوه بمخالفته وسقوطه من المرتبة الملكية الى المرتبة الشيطانية ، فلا يتخذون الى غرور الامل بعد ذلك .

( ومنها ) أنهم يناولون ثواب مخالفته ومعاداته الذي حصوله ، مشروط بالمادة والمخافة ، فأكثر عبادات القلوب والجوارح مرتبة على مخالفته .

( ومنها ) ان نفس اتخذه عدوا من اكبر انواع العبودية واجابها ، قل الله تعالى ( انت الشيطان لكم عدوا فاتخذوه عدوا ) فاتخذه عدوا أنفع شيء للعبد وهو محبوب للرب .

( ومنها ) ان الطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر ، والطيب والخبيث ، وذلك كامن فيها كمن النار في الزناد ، فخلق الشيطان مستخرجا ما في طبايع أهل الشر من القوة الى الفعل ، وأرسل الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة الى الفعل ، فاستخرج احكم الحاكمين ما في قوى هؤلاء من الخير الكامن فيها ليترتب عليه آثاره ، وما في قوى أولئك من الشر ليترتب عليه آثاره ، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما ، ويظهر ما كان معلوما له مطابقا لعله السابق . وهذا هو السؤال الذي سأله ملائكته حين قالوا ( انجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قل : اني اعلم ما لا تعلمون ) فظنت الملائكة ان وجود من يسبح بحمده ويطيبه ويمجده أولى من وجود من يمصبه ويخالفه ، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والاصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة .

( ومنها ) ان ظهور كثير من آياته وعجائب صنمه حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة والظالمة ، كآية العاقون ، وآية الريح ، وآية اهلاك عمود وقوم لوط ، وآية انقلاب النار على ابراهيم بردا وسلاما ، والآيات التي اجراها

الله تعالى على يد موسى ، وغير ذلك من آياته التي يقول سبحانه عقيب ذكر كل آية منها ( ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ) وان ربك هو العزيز الرحيم ( فلولا كفر الكافرين ، وعناد الجاحدين ، لما ظهرت هذه الآيات الباهرة التي يتحدث بها الناس جيلا بعد جيل الى الابد .

( ومنها ) ان خلق الاسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضا ، ويكسر بعضها بعضا ، هو من شأن كل الربوبية ، والقدرة النافذة ، والحكمة النامة ، والملك الكامل ، وان كان شأن الربوبية كاملا في نفسه واولم يخلق هذه الاسباب ، لكن خلقها من لوازم كماله وملاكه ، وقدرته وحكمته ، فظهور تأثيرها واحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال ، ووجوب من موجباته ، فتسير مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطابق لجميع وجوهه وأقسامه وغاياته .

وبالجملة فالبودية والآيات والمعجائب التي ترتبت على خلق ما لا يحبه ولا يرضاه وتقديره ومشيئته . أحب الى الله سبحانه وتعالى من فواتها وتسطيلها بمعطيل أسبابها .

فان قلت : فهل كان يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الاسباب ؟ : فهذا سؤال باطل اذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه . كفرض وجود الابن بدون الاب ، والحركة بدون المتحرك ، والتربة بدون التنب .

فان قلت : فاذا كانت هذه الاسباب مرادة لا تنفي اليه من الحكم ، فهل تكون مرضية محبوبه من هذا الوجه ؟ أم هي مستخرجة من جميع الوجوه ؟ قلت هذا السؤال يورد على وجهين ( أحدهما ) من جهة الرب سبحانه وتعالى . وهل يكون محبا لها من جهة انفسائها الى محبوبه وان كذب بعضها لذاتها ؟ ( والثاني ) من جهة العبد . وهو انه هل يسوغ له الرضاء بها من تلك الجهة أيضا ؟ فهذا سؤال له شأن .

فإن ان الشر كله يرجع الى العدم ، اعني عدم الخير واسبابه المنفضة اليه ، وهو من هذه الجهة شر ، واما من جهة وجوده المنفض فلا شرفية . مثاله ان النفس . الشريرة وجودها خير من حيث هي ، ووجوده ، وإنما حصل لها الشر بقطع

مادة الخير عنها ، فمنها (١) خلقت في الاصل متحركة لانسكن ، فان اعينت باللم وإلغام الخير تحركت (٢) وان تحركت تحركت بطبها الى خلافة ، وحركتها من حيث هي حركة خير ، وإنما تكون شرا بالاضافة ، لا من حيث هي حركة ، والشر كله ظم ، وهو وضع الشيء في غير موضعه ، فلو وضع في موضعه لم يكن شرا ، فعلم ان جهة الشر فيه بنسبته بمشيتته (٣) اضافة ، ولهذا كانت المقوبات الموضوعات في محلها خيرا في نفسها وان كانت شرا بالنسبة الى المحل الذي حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لعنده من الذة ، مستمدة له ، فصار ذلك الألم شرا بالنسبة اليها ، وهو خير بالنسبة الى الفاعل ، حيث وضعه موضعه ، فانه سبحانه لا يتخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات (٤) فان حكمته نأبي ذلك ، بل قد يكون ذلك الخلق شرا وفاسدة ببعض الاعتبارات ، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات آخر أروح من اعتبارات فاسده ، بل الواقع منحصر في ذلك ، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله ان يريد شيئا يكون فسادا من كل وجه بكل اعتبار لا مصلحة في خلقه بوجه ما . هذا من أبين المحال ، فانه سبحانه بيده الخير ، والشر ليس اليه ، بل كل ما اليه خير ، والشر إنما حصل لعدم هذه الاضافة والنسبة اليه ، فلو كان اليه لم يكن شرا ، فإقطع نسبه اليه هو الذي صيره شرا .

فان قلت : لم تقطع نسبه اليه خلقتا وشيئة . قلت : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فان وجوده هو المنسوب اليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذي فيه من عدم امداده بالخير واسبابه ، والمدم ليس بشي (٥) حتى ينسب الى من بيده الخير .

فان اردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم ان اسباب الخير ثلاثة : الإيجاد ،

(١) حذف من البعدادية كلمة « به » ولله الصواب (٢) في الحجازية « تحركت في الخير » (٣) حذف من البعدادية كلمة « بمشيتته » (٤) في الحجازية « من جميع وجوه الاعتبارات » وفي البعدادية « من جميع الوجوه والاعتبارات » وافردت نسختنا باللفظ ونصها « من جميع الوجوه الاعتبارات » (٥) في البعدادية « بشر »

والاعداد، والامداد. فهذه هي الخبرات واسبابها، فإيجاد هذا السبب خير وهو الى الله، واعداده خير وهو اليه أيضا، وامداده خير وهو اليه، فإذا لم يحدث فيه اعدادا ولا امدادا حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس الى الفاعل، وإنما اليه ضده.

فإن قلت: فهلا أمدته إذ أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة ايجاده وامداده فإنه سبحانه يوجده ويمده، وما اقتضت الحكمة ايجاده وترك امداده اوجده بحكمته ولم يمده بحكمته، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم امداده.

فإن قلت: فهلا امد الموجودات كلها؟ فهذا وآل فاسد، يظن مورده ان التدوير بين الموجودات البغ في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت المظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بامور علمية لم يتعلق بها الخلق، والا فليس في الخلق من تفاوت. فإن انتاص ذلك عليك ولم تفهمه حق الفهم فراجع قول الفائل:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

كما ذكر ان الاصمعي اجتمع بالخبيل بن احمد وحرص على فهم العروض فاعياه ذلك، فقال له الخليل يوما: قطع لي هذا البيت. وانشده (إذا لم تستطع) البيت، ففهم ما اراد فامسك عنه ولم يشتغل به

وسر المثلثة ان الرضاء بالله يستلزم الرضاء بصفاته وأفعاله واسماؤه واحكامه، ولا يستلزم الرضاء بمفعولاته كلها، بل حقيقة العبودية ان يوافقته عبده في رضاء وسخطه، فيرضى منها بما يرضى به ويسخط منها (١) ما سخطه. فان قيل: فهو سبحانه يرضى عقوبة من يستحق العقوبة. فكيف يمكن العبد ان يرضى بعقوبته له؟ قيل او وافقه في رضاء بعقوبته لا قلبت لذة وسرورا، ولكن لا يقع ذلك (٢) فإنه لم يوافقته في محبته وطاعته التي هي سرور النفس وقرة العين وحياة القلب، فكيف يوافقته في محبته للعقوبة التي هي اكره شيء اليه، واشق شيء عليه؟ بل

(١) حذف من البغدادية كلمة «منها» (٢) وفيها «منه ذلك»



كان كارها لما يحبه من طاعته وتوحيده ، فلا يكون راضيا بما يخاره من عقوبته ، ولو فعل ذلك لارتفعت عنه العقوبة .

فان قلت : فكيف يجتمع الرضا بالانضاء الذي يكرهه العبد من المرض والفقير والألم مع كراهته ؟ قلت : لا تنافي في ذلك فانه يرضى به من جهة افضائه الى ما يحب ، ويكرهه من جهة تألمه به ، كالدواء الكريه الذي يعلم ان فيه شفاؤه ، فانه يجتمع فيه رضاؤه به وكراهته له .

فان قلت : كيف يرضى لعبد شيئا ولا يدينه عليه ؟ قلت : لأن اعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضىها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي اكراه اليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة ، بحيث يكون وقوعها منه مستلزما لمفسدة راجحة ، ومفوتا لمصلحة راجحة ، وقد اشار تعالى الى ذلك في قوله ( ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وقبل : اقموا مع القاعدين \* او خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضموه خلالكم بفونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين ) فاخبر سبحانه انه كره انبعاثهم مع رسول الله للفرز وهو طاعة وقرية ، وقد امرهم به ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه ، ثم ذكر سبحانه بعض المفسد التي كانت تترتب على خروجهم لو خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا » أي فسادا « ولا وضموه خلالكم » أي سموا فيما بينكم بالفساد والشر « بفونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم » أي قابلون منهم مستجيبون لهم ، فيتوادم من بين سعي هؤلاء بالفساد وقبول اولئك منهم من الشر ما هو أعظم من مصلحة خروجهم ، فاقنضت الحكمة والرحمة ان منعهم من الخروج وأقدمهم عنه . فاجعل هذا المثال اصلا لهذا الباب وقس عليه .

فان قلت قد تصور لي هذا في رضاء الرب تعالى لبعض ما يخلق من وجه وكراهته من وجه ، فكيف لي بان يجتمع الامران في حقي بالنسبة الى المعاصي والفسوق ؟ قلت : هو متصور ممكن ، بل واقم ، فان العبد يسخط ذلك ويبغضه ويكرهه من حيث هو فعل له واقم بسببه ارادته واختياره ، ويرضى بعلم الله

وكتابتة ومشيئته واذنه الكوني فيه ، فيرضى بما من الله ، ويسخط ما هو منه .  
فإن مسلك طائفة من أهل العرفان ، وطائفة أخرى رأوا كراهة ذلك مطلقا ،  
وعدم الرضاء من كل وجه ، وهؤلاء في الحقيقة لا يخالفون أوائلك ، فإن العبد  
إذا كرهها مطلقا فإن الكراهة إنما تنعم على الاستيثار المكروه منها ، وهؤلاء لم يكرهوا  
علم الرب وكتابتة ومشيئته وإلزامه حكمه (١) الكوني ، وأوائلك لم يرضوا بها من  
الوجه الذي سخطها الرب وابتغىها لأجله .

وسر المسئلة ان الذي الى الرب منها غير مكروه ، والذي الى العبد منها هو  
المكروه والمسخرطه ، فإن قلت : ليس الى العبد شيء منها - قلت : هذا هو الجبر  
الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المكان الضيق ، والتدري اقرب الى  
التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم احمد  
بالتخلص منه من الفريقين .

فإن قلت : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ، ومع شهود  
القيومية والمشيئة النافذة ؟ قلت : هذا الذي أوقع من عميت بصبرته في شهود الامر  
على خلاف ما هو عليه ، فرأى تلك الافعال طاعات لموافقته فيها المشيئة والقدر ،  
وقال : ان عصيت أمره فقد اطمت ارادته في ذلك . قيل

أصبحت منفلا لما تخاره مني فقبلي كله طاعات

وهؤلاء اعنى الخلق بصائر ، واجهامهم بالله واحكامه الدينية والكونية ، فإن  
الطاعة هي موافقة الامر لا موافقة القدر والمشيئة ، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله  
لكان ابليس من اعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم  
فرعون كلهم مطيعين له ، فيكون قد عذبهم اشد العذاب على طاعته ، وانتقم منهم  
لأجلها ، وهذا غيية الجهل بالله واسماؤه وصفاته وافعاله .

فإن قلت : ومع ذلك فاجمع لي بين الندم والتوبة وبين مشهد القيومية  
والحكمة . قلت : العبد اذا شهد عجز نفسه ونفوذ الاقدار فيه ، وكمال فقره الى  
ربه ، وعدم استغناؤه عن عصمته وحفظه طرفه عين - كان (٢) بالله في هذه الحال

لا بنفسه ، فتوقع الذنب منه لا يتأني في هذه الحال البتة ، فإن عليه حمينا حمينا من « في يسمع وبي يبصر وبي يبطن وبي يشي » فلا يتصور منه الذنب في هذه الحال ، فإذا حجب عن هذا المشهد وسقط إلى وجوده الطبيعي وبقي بنفسه استولى عليه حكم النفس والطبع والهوى ، وهذا الوجود الطبيعي قد نصبت فيه الشباك والأشراك ، وأرسلت عليه الصيادون ، فلا بد أن يقع في شبكة من تلك الشباك ، ومترك من تلك الأشراك ، وهذا الوجود وهو حجاب بينه وبين ربه ، فعند ذلك يقع الحجاب ويقوى المنتضي ، ويضعف المانع ، وتشد الظلمة ، وتضعف القوى . فأنى له بالخلاص من تلك الأشراك والشباك ؟ فإذا انتزع حجاب ذلك الوجود الطبيعي وأحجاب ظلامه ، وزال قنانه ، وصرت ربك ، ذاهبا عن تفك وطبعك

بدالك سر طال عنك اكتامه  
فان غبت عنه حل فيه وطئبت  
فأنت حجاب القاب عن مرغبيه  
وجاء حديث لا يدل سماعه  
اذا ذكرته النفس زال عناؤها  
ولاح صباح كنت انت ظلامه  
على منك المكشف المصون خيامه  
وأولاك لم يطبع عليه ختامه  
شبهي الينا نثره ونظامه  
وزال عن القاب المعنى قنانه

فذلك يحضره الندم والتوبة والانابة ، فانه كان في المعصية (١) بنفسه ، محجوبا فيها عن ربه وعن طاعته ، فلما فارق ذلك الوجود وصار في وجود آخر بقي بربه لا بنفسه ، وإذا عرف هذا فالتوبة واندم يكونان في هذا الوجود الذي هو فيه بربه ، وذلك لا ينافي مشهد الحكمة والقيومية ، بل يجامسه ويستمد منه . وبالله التوفيق .

(١) سقط من الحجازية « في المعصية »

## القول السديد

﴿ في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

اللهم ارنا الحق حقا واهدنا لا تباعه ، وارنا الباطل باطلا ووقفنا لاجتنابه

الحمد لذاته وجميل صفاته ، والشكر له على آلائه ونعمائه وعطائه

وهباته ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث بالدين ائتمين ، والكتب

المبين ، سيدنا ومولانا ونبينا محمد الرسول الامين ، وعلى آله واصحابه

الهداة المهتدين .

أما بعد فهذه تملیقة موسومة ( بالقول السديد . في بعض مسائل

الاجتهاد والتقليد ) اذكر فيها ما حضرني من بعض مسائل الاجتهاد ،

واقترناء المقلد بامام يرى خلاف قول مقلده — بفتح الام — إما اجتهادا

او تقليدا ، وما يتعلق بذلك ويتبدل عليه ، متصد لا تتبع في ذلك ، بل

قيدت ما سنع للخاطر الفائر ، في الوقت الحاضر ، من غير تهيد بمراجعة

في ذلك ، وهي نبذة يسيرة من شيء كثير . فانول وباتته الاعانة

الكلام في هذه المسائل على فصول .

{ \* هذه الرسالة هي تأليف الفقيه الاصولي الشيخ محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي ابن المقدسي البروزي الاقروخ بن عبد المحسن الرومي الموروي ، اتم تأليفه سنة ١٠٥٢ للهجرة طفر بنسخة خطية منها صديقنا الشيخ مصطفى بن محمد سليم الفلايني فأرسلها الينا فاستحينا نشرها في المنار لقوائدها ولا استشهادهما على وجود العلماء المتصنفين المبشرين الجامعين للكلمة في كل شعب اسلامي وكل عصر من عصور ضعف العلم

## الفصل الأول

اعلم أنه لم يكلف الله احدا من عباده بان يكون حنфия او مالكيا او شافعيا او حنبليا، بل اوجب عليهم الايمان بما بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم، والعمل بشريعته. غير ان العمل بها متوقف على الوقوف عليهم، والوقوف له طرق، فما كان منها مما يشترك به العوام واهل النظر كالعلم بربضة الصلاة والزكاة والصوم والحج والوضوء اجمالا، وكالدلم بجرمة الزنا والحمر والواطاة وقتل النفس، وغير ذلك مما علم من الدين بالضرورة، فذلك لا يتوقف فيه على اتباع مجتهد ومذهب معين، بل كل مسلم عليه اعتقاد ذلك. فمن كان في العصر الاول فلا يخفى وضوح ذلك في حقه، ومن كان في الأعمار الأخيرة، فلوصول ذلك الى علمه ضرورة من الاجماع والنوادر وسماع الآيات والسنن، اي الأحاديث الشريفة المستفيضة المصروفة بذلك في حق من وصلت اليه.

وأما ما لا يتوصل اليه الا بتسرب من النظر والاستدلال فمن كان قادرا عليه بتوفر آلياته ووجب عليه فعله، كالأئمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين، ومن لم يكن له قدرة عليه ووجب عليه الاتباع الى من يرشده<sup>(١)</sup> الى ما كلف به من هو اهل النظر والاجتهاد والعدالة، وسقط عن العاجز تكليفه بالبحث والنظر لمجزه بقوله تبارك وتعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقوله عز من قائل (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم

(١) المنار: حق العبارة ان تكون «اتباع من يرشده»

لا تعلمون) وهي الاصل في اعتماد التقليد، كما اشار اليه المحقق الكمال ابن الهمام في التحرير<sup>(١)</sup>.

### فصل

إذا علمت ذلك، فاعلم ان ابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد بن محمد ابن حنبل رحمة الله عليهم اجمعين، كلٌّ كان من اهل الذكر الذين وجب سؤالهم لمن لم يصل الى درجة النظر والاستدلال، فاذا عمل احد من المقلدين في طهارته وصلاته او شيء مما جرى به التكليف بقول واحد منهم مقلدا له فيه - لو صادف قوله، ولو لم يعلم به حين العمل فقلده فيه بعد انقضائه على ما ظهر لي في المسئلة، كما يدل عليه ما استشهد به في المسئلة بعد هذا - فقد ادى ما عليه، وليس لاحد ممن هو في درجته التقليد له. قلت: بل ولا للمجتهد الانكار عليه، كما صرح به في غير كتب عندنا من تصانيف الصدر الشهيد حسام الدين وغيره من كتب المذهب المتبررة، كالتجنيس والمؤيد لشيخ الاسلام برهان الدين صاحب الهداية كما نقلته بخطي عنها في مظانه.

اذا ثبت ذلك فليس لحنفي او مالكي او شافعي من المقلدين ان يتمتع من الاقتداء بالامام المخالف لمذهبه، وليس له ان يحتج بانى لما قلدت الشافعي واما حنيفة - مثلا - فقد وجب علي الحكم ببطالان ما خالف

(١) المنار: التقليد الاخذ بالرأي من غير دليل. وإما تدل الآية على السؤال عن الدليل، وهو ما تواتر عند أهل الكتاب من كون جميع الرسل كانوا رجلا. ومثله طلب النص دون الرأي. هذا وان الاجتهاد يجزأ فمن لم يقدر على معرفة جميع الاحكام أو أكثرها بالنظر والاستدلال يجوز ان يقدر على ما يحتاج اليه منها كله أو بعضه، وحينئذ يتمتع عليه ان يأخذ فيه برأي غيره واجتهاده، كما ثبت في علم الاصول

اجتهاده ، لاننا نقول : انما ابيح التقليد بقدر الضرورة . وذلك يندفع بتقليدك له في عمالك وكيفيته فقط ، وان شئت قل : في كيفية ايقاع ما كانت به فقط . واما الحكم ببطان مخالفته فليس ذلك اليك ، بل للكلام مجال في تسوية ذلك للمجتهد الذي قلده .

وَأَمَّا أَنْتَ ، ومن هو في مرتبتك من المقلدين ، فقول « كل مجتهد » عنده على حد سواء ، اذ ليس الترجيح بالدليل من وظائفك ، والا كنت في درجتهم ووجب عليك الاجتهاد وارتفع التقليد ، ولكن لا بد للعمل في تصحيحه من مستند ، فانت استندت الى امامك - ونعم الامام - وهذا الآخر استند الى امام في فعله مثل امامك أو أعلى منه ، فلا يمكنك الحكم على عمله بالبطان البتة ، فليست حينئذ في تخلفك عن الاقتداء به الا عاملا بمحض التعصب ، وقد نص علماءنا وغيرهم من اصحاب المذاهب على حرمة التعصب وتصويب الصلاة في المذهب ، ومعنى الصلاة أي<sup>(١)</sup> الثبات على ما ظهر للمجتهد من الدليل ، وليس ذلك الا للمجتهد نفسه او لمن هو من اهل النظر من اخذ بقوله

والتعصب هو الميل مع الهوى لاجل نصره المذهب ومعاملة الامام الآخر ومتلديه بما يحطط عنهم . وقد نص في جواهر الفتاوى وغيرها من كتب اصحابنا ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى لم يكن له تعصب على امتنا رحمهم الله تعالى .

(١) لفظ « أي » لاحاجة اليه . فاعلمه سبق قلم من الناسخ أو المؤلف

## فصل

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدي بعضهم ببعض ، وكذا التابعون لهم ، - وفيهم المجتهدون - ولم ينزل عن أحد من السلف رحمهم الله تعالى انه كان لا يرى الاقتداء بمن يخالف قوله في بعض المسائل ولو في خصوص الطهارة والصلاة ، بل نانا يقتدي بعضهم ببعض ، وربما اعتمد بعضهم ولاية بعض ، حتى ان الشافعي رضي الله عنه ابعث يطلب قبيص الامام أحمد بن حنبل من بغداد يستشفي به في مدة مرضه بنفسه وشرب مائه - كما رأته مثبتا في مناب أحمد رضي الله عنه - وقد روي ذلك بالعكس<sup>(١)</sup> وكذلك كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يعامل بعضهم بعضاً ، كما يعلم ذلك من سيرهم واحوالهم

ولا يانفت الى ما قد تمسك به من لا معرفة عنده بان الاختلاف بينهم لم يكن بينهم بهذه الصفة التي عاينها المذاهب الآن ، لانا قد قررنا ان ذلك لا يمنع ، لأن الكل كانوا في طلب الحق على حد متساو ، واجتهاد كل واحد منهم يحتمل الخلقاً كثيراً بعد تسليم بلوغهم درجة الاجتهاد ، وان تفاوتوا فيه .

(١) في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي أن الشافعي أرسل الى أحمد كتاباً من مصر هو بغداد مع الربيع يذكر له فيه ان النبي (ص) أمره ان يكتب اليه « إنك ستمتحن وتدعى الى الفول بخلفي القرآن فلا تجبهم فيرفع الله لك علماً الى يوم القيامة » وان أحمد أعطى الربيع قبيصه بشارته ، وأن الشافعي قال للربيع لما عاد : ليس نفعك من به ولكن به وارفع الي الماء لأتبرك به . فهذا أصل الحكاية وبعض الناس يتصرفون فيها . والسند الذي ذكره السبكي لا يصح ، ولكنهم يقبلون مثله في المناب



فَإِنْ قُلْتَ : قد نقل الامام حافظ الدين النسفي صاحب الكنز والكافي في مصنفه عن المشايخ المتقدمين : انا اذا سئنا عما ذهبنا اليه في الفروع نجيب بأن مذهبنا اليه صواب محتمل الخطأ ، وما ذهب اليه الغير خطأ محتمل الصواب . انتهى بمعناه ، وان لم يكن بلنظرة . وهذا يوجب امتناع المقلد من اتباع امام يرى مخالفة قول امامه لكونه خطأ ، وما قلده فيه صواب عنده .

قلنا : المراد من هذا تخصيص (أن) ماذهب اليه ائمتنا هو صواب عندهم مع احتمال الخطأ ، اذ كل مجتهد قد يصيب وقد يخطئ في نفس الامر . واما بالنظر الينا فهو مصيب في اجتهاده ، وهو معنى ما روي ان كل مجتهد مصيب ، فليس معناه ان الحق يتعدد .

ويُنَبِّئُني ان يكون قد اراد الكلام<sup>(١)</sup> ان المجتهد الحكم ظنا لا قطعيا بأن اجتهاد غيره خطأ . واما نفس المجتهد المخالف فهو مصيب في العمل باجتهاد نفسه لا يخطئ في ذلك ، وان كان محكوما بخطأ اجتهاده عند غيره ، لانه مأمور باجتهاد نفسه كما لا يخفى .

قال الامام نضر الاسلام علي بن محمد البزدوي في شرح الجامع الصغير في مسألة التجري بانقلابة في الليلة المظلمة : وهذا نص من اصحابنا على انهم لم يقولوا : كل مجتهد مصيب . خلافا للمعتزلة ، فان من نسب ذلك اليهم فقد اتول عليهم . هذا لفظ نضر الاسلام رحمة الله عليه .

قلْتُ وقد ذهب بعضهم الى ان الحق يتعدد في المسئلة ، وهو ما أدى

(١) المنار : كانت هذه الجملة الى الاربعة الاستطر موضوعية في الفصل السابق

قبل قوله « وأما أنت » الخ ولا معنى لها هناك ولا مرجع لضميري يكون وأراد .

اليه اجتهاد كل مجتهد فيها ، فقد جعل الله تبارك وتعالى حكم المسئلة ما أدى اليه اجتهاد كل مجتهد . ولكن لا نقول به ، بل معناه انه مصيب في اجتهاده ثم العمل به ، والحق عند الله واحد ، ولكن لما ظهر اهم بالدليل حكم من الاحكام وجب عليهم اتباع الدليل ، ومن ضرورة وجوب الاتباع التصويب ، والا فالشرع لا يأمر باتباع الخطأ . ثم من ضرورة تصويب قواهم منخضة قول مخالفهم مع احتمال الاصابة من مخالفهم ، لان المجتهد لم يحصل له الا الظن لا القطع بذلك ، ولهذا لو حكم بشيء من القطعيات في العقائد يجزم بالاصابة ومنخضة المخالف ، كما ذكره النسفي في تلك المسئلة في المصنف ايضا .

فالحاصل ان المراد من اثمتنا ومن اخذ بقولهم من اهل النظر - كمشايخ المذهب الكبار المتقدمين ، كاشيخ ابي الحسن الكرخي والامام ابي جعفر الطحاوي ، والمتأخرين مثل شمس الأئمة الحلواني وتلميذه السرخسي ونظر الاسلام البزدوي وامثالهم من النظار في القرن الخامس ، والامام قاضي خان وخسرويه صاحب الهداية ، واضرابها من اهل الانظار ذوي القدر الخطير في القرن السادس - لو سئلوا لكان جوابهم ما ذكره . ويرشد الى ذلك تعبيره بقوله « لو سئنا » وقوله « عما ذهبنا » الى آخره . ولم يقل : لو سئل المقلد . فهذا الجواب مقدر من جانب الأئمة انفسهم فيما ذهبوا اليه ، وليس المراد ان يكلف كل مقلد ان يعتقد ذلك فيما قلده فيه ، اذ ذلك تقليد فيما لا يحتاج اليه ، وهو ممنوع ، كما افدتك من قبل ان التقليد انما يسوغ بقدر الضرورة ، وهو محتاج الى العمل ، فلا بد من التقليد في كيفية حصوله ، واما اعتقاد صحة ما قلده

فيه ولا يدري<sup>(١)</sup> بطلان كل ما عداه فليس مكلفا .  
فأين قلت : بل هو مكلف ، والألزم إذا التكليف مع اعتقاد  
عدم صحتها .

قلت : لا يلزم ذلك الا لو اعتقد عدم صحة ما قلده فيه ، ونحن لا نقول  
به ، بل هو على الصواب ظاهرا حيث فعل ما عليه ، وهو الاخذ بقول  
مجتهد ، واما تخطئة من اخذ بخلاف قول مقلده فما هو مكلف بها .  
وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَلَا يَسُوغُ لِحَنَفِيٍّ أَوْ شَافِعِيٍّ وَجَدَ فِي الْمَسْجِدِ أَمَامًا  
عَلَى خِلَافِ مَذْهَبِهِ بِمَدَانٍ كَانُوا مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ تَرَكُوا الْاِقْتِدَاءَ بِهِ ،  
نظراً إلى عدم صحة صلواته على مقتضى مذهب إمامه<sup>(٢)</sup> .

## فصل

يؤيد ما ذكرته ما نقله التقي الشهني في شرح المختصر والشيخ  
عثمان الزيلعي وصاحب البحر الرائق وغيرهم عن الامام الجليل أبي بكر  
الرازي رحمه الله من صحة الاقتداء بإمام عرف ولم يتوضأ ، وهذا يشمر  
بالاكتفاء باعتقاد الامام نفسه في صحة صلواته ، ولا عبرة حينئذ بفسادها  
في اعتقاد المقتدي ، كما اشار اليه النسفي ايضا ، وهذا القول هو المقصود  
روايته وان اعتمد خلافه رواية عندنا . وهو الذي اميل اليه ، وعليه

(١) المنار : كذا في الاصل ولعل في الكلام حذفاً والمراد ظاهر . أي : وأما

اعتقاد صحة ما قلده فيه ولا يدري مادليه ، وبطلان كل ما عداه فليس مما يكفنه .

(٢) تقيده بأهل السنة فيه بحث فقد أجازوا الاقتداء بالفاسق . ولو في الاعتقاد

كالبتدع ولكن مع الكراهة وهذا مما يحتاج به كونهم أهل الجماعة أي يجمعون كلمة  
المسلمين ولا يفرقونها

يمشى ما ذهبنا اليه في هذه الوريقات .  
 بل أزيد واقول : والذي يقتضيه النظر — فيما ذهبنا اليه —  
 لا ينبغي تخصيص عقيدة الامام بالاعتبار في الصحة ، بل يقول : يكفي  
 حصول الصحة على قول مجتهد - واء في ذلك مطابقة عقيدة الامام والمأموم  
 او غير مطابقة ، كمثل شافعي من فرجه وصلى ناسيا اماما واقتدى الحنفي  
 باشافعي ثم نسي ودخل في الصلاة ، والحنفي كان عالما به وهو ذاكر  
 له ، فنقول : له ان يقتدي به لانه في حاله ببد المس ، وهو مترضى في  
 اعتقاد الحنفي المتتدي فيكفي ذلك .

وقد قال المحقق في فتح القدير في مثل هذه الصورة : ان الاكثر  
 على الصحة خلافاً للمندواني وغيره ، ففي هذه الصورة قد اتبرنا اعتقاد  
 الحنفي المتتدي ، واكتفينا بصحتها في عقيدته ، وصححنا الاقتداء ، كما انه  
 في مسألة اقتداء الحنفي بالامام الذي رجع ولم يتوضأ اكتفينا بصحتها في  
 عقيدة الامام الرازي ، وصححنا الاقتداء به ، وهو الذي نقلوه عن  
 الامام الرازي .

وقد ذكر الشيخ الامام المحقق كمال الدين بن الهمام في شرحه على  
 الهداية عن شيخه الامام سراج الدين الشهير بقاري الهداية انه كان يعتقد  
 قول ابي بكر الرازي ، وانه انكر مرة ان يكون فساد الصلاة بذلك  
 مرويا عن المتقدمين انتهى .

ورأيت في رسالة لبعض الفضلاء ، ان بعض الفضلاء كانوا  
 يرجحون قول ابي بكر الرازي بناء على قوة دليله ووضوح بيانه ، وهو  
 ان شرط صحة صلاة المأموم صحة صلاة الامام في نفسها ، وصلاة كل

مكاف انما تصح في نفسها إماما ومأموما باعتبار رأيه ومذهبه، لا على مذهب الغير، إذ كل مجتهد مطاع في حكمه، وعجزي عن عمله الذي رآه ومثاب عليه، وان لم يصب الحق، فالمنفي لا يجزم بفساد صلاة مجتهد خرج منه الدم وهو يرى انه غير ناقض، وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به - على رأيه - .  
قوله: لا يجزم . وقوله: وان قطع . لا يخفى انه لا جزم ولا قطع في الظنيات، فالصواب ان يقال: لا يحكم . او لا يقول بفسادها . وكذا ان يقول: وان حكم - أو - وان قال بفسادها، بدل قوله: وان قطع . قال جامعها .  
وان قطع بفسادها من حنفي ابتلي به بناء على رأيه ومذهبه - الى آخر ما ذكره مما تركت ذكره قصد الاختصار على ما هو المقصود منه .

وكذلك ايضا اجاب عنه الشهني في شرح المختصر وغيره من المصنفين في مسألة صحة اقتداء مقلد ابي حنيفة في الوتر عن يرى عدم وجوبه، بانه لا يجب عليه اعتقاد الوجوب . يدل أيضا على ما ارشدتك اليه من ان التقليد انما هو بقدر الحاجة، واعتقاد الوجوب في عمل لم يجمعوا على وجوبه لا يجب، بل ربما لا يسوغ كما سيأتي قريبا . فلذلك نقول: المقلد محتاج الى ايقاع ما كلف به بطريقة لا غير . فتنبه! فقد نقل صاحب البحر الرائق - وهو خاتمة المتأخرين مولانا العلامة ابن نجيم رحمه الله تعالى في (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) عن (شرح منية المصلي) انه صرح بمض مشايخنا بانه لا ينوي في الوتر انه واجب للاختلاف في وجوبه، ونقل هو ايضا عن المحيط والبدائع انه ينوي صلاة الوتر والعيد فقط، انتهى . وهذا نص فيما اشرت اليه .

## فصل

قد استفاض عند فضلاء العصر منع التلقيح في التقيد ، وذلك بأن يعمل - مثلا - في بعض أعمال الطهارة والصلاة ، او احدهما بمذهب امام ، وفي بعض العبادات بمذهب امام آخر . ولم اجد على امتناع ذلك برهاناً ، بل قد اشار الى عدم منعه المحقق في التحرير ، وانه لم يرد ما يمنع ، ونقل منع التلقيح عن بعض المتأخرين . قال شارح تحريره العلامة ابن امير حاج : القائل بالمنع العلامة القرافي رحمه الله تعالى .

قلت : والقرافي رجل من فضلاء الأصوليين من المالكية ، ولا عاينا ان نأخذ بقوله ، خصوصا وقد وجدت عن بعض أئمتنا ما يدل على جوازه ، بل على وقوعه ، وهو ما نقل في البزازية ان من علماء خوارزم من اصحابنا من اختار عدم فساد الصلاة بانطاط في القراءة فيها اخذا بمذهب الامام الشافعي رحمه الله . فتيل له : مذهبه في غير الفأحة<sup>(١)</sup> . فقال : اخترت من مذهبه الاطلاق ، وتركت القيد<sup>(٢)</sup> . لما تقرر في كلام محمد<sup>(٣)</sup> رحمه الله تعالى : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . حتى صح القضاء بصحة النكاح بعبارة النساء على الغائب ، انتهى . نقله عنها العلامة خاتمة المتأخرين ابن نجيم في بعض رسائله في الوقت ، فانظر كيف لفق اخذا بمذهبه بأن الفأحة ليست بركن فلا يضر نقصان بعضها

(١) أي ذلك مذهبه في غير الفأحة (٢) سينقل المصنف قريبا قول الخوارزمي في هذا السياق « وتركه القيد في غير محله » - أي الشافعي - فهل هو عين هذه العبارة ووقعت هنا محرفة ؟ أم سقطت من الكلام هنا ؟ (٣) سيعيد العبارة بلفظ « من كلام محمد »

فما اخطأ فيه ، اعني خطأ فاعشا كمن قال : اياك نميا واياك نستعين . نسبه  
اللسان خطأ . فان الفاتحة نقصت كلمة نميد فلم تجز صلاته على مذهب  
الامام الشافعي رحمه الله ما لم يعد قراءة نميد ، فاذا اعادها صحت صلاته  
ولم تفسد عنده بهذا الخطأ ، لأن عنده الكلام الخطأ لا يفسد اذا كان قبلا ،  
وعندنا هو مفسد ، فاذا اعادها على الصحة لا يفيد لأن الصلاة قد فسدت .  
هذا وقد قال بعدم الفساد عندنا بعض المشايخ ان اعادها على الصحة  
كما نقله الزاهدي ، ولكن ظاهر ما في البرازية من بعض علماء خوارج  
انه لا تفسد ولو لم يعد على الصحة ، وان اخذه بمذهب الشافعي في عدم  
الفساد بالخطأ ، وهو عين التاميق .

فان قلت : ان ذلك البعض من علماء خوارج لعلمه انما قال بذلك  
اجتهادا بدليل قوله : ان المجتهد يتبع الدليل لا القائل . قلت : يمنع من  
ذلك قوله : اخذنا بمذهب الشافعي ، فان المتبادر من ذلك انه قلده في  
ذلك . ومعنى قوله حينئذ : لما تقرر من كلام محمد - الى آخره - يعني  
ان المجتهد كما يتبع ما دل عليه الدليل باجتهاد لا باتباع من قال بمثل ما اداه  
اليه اجتهاده ، فكذلك المقلد انما يلزمه خصوص ما قلده فيه ، لا اتباع ذلك  
المجتهد الذي قلده في جميع ما قال به ، وخصوص ما قلت فيه انما هو عدم  
الفساد بالخطأ في التراءة مطلقا ، سواء كان ذلك في الفاتحة او غيرها ،  
وذلك هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن سائر الائمة  
المجتهدين . وفساد الصلاة بوقوع الخطأ في الفاتحة عنده ليس لخصوص  
كونه في الفاتحة ، بل لنوات بعض الفاتحة عنده في الصلاة ، ولهذا لو  
أبى اخطأ فيه منها على الصحة فانه لا يقول بفساد صلاته حينئذ .

والخوارزمي لم يقلده في ركنية الفاتحة ، بل قلده في عدم الفساد بالخطأ في القراءة - اعني الشافعي رحمه الله تعالى يقول باطلاقه ، وقول القائل «له مذهبه في غير الفاتحة» غير صحيح ، - كما تقدم بيانه - وكذلك قول الخوارزمي له ، وركه القيد واقع في غير محله ، لانه لم يقيده الشافعي بغير الفاتحة ، بل خرج ذلك من الخوارزمي لامشاكله في الجواب لمن نسب اليه القيد ، اي الى الشافعي ، وذلك إما جهل من ذلك القائل بمذهب الشافعي ، او توسع في العبارة وتسامح ، لانه لما كان الشافعي يقول بالفساد بوقوع الخطأ في الفاتحة اذا لم يعد على الصحة ، فكأن غير الفاتحة صار كالقيد لا لاطلاق الجواز ، وليس قيدا حقيقة - كما بينته في اول الكلام فافهم -

والحاصل انه لم يثبت من كل وجه كون الخوارزمي قال بذلك الاجتهاد ، ولو فرضنا ثبوت ذلك فما ضرنا ذلك فيما قصدنا اليه من جواز التلقيح ، فكما انه لو حصل التلقيح بالاجتهاد حكمنا بالصحة ، فكذلك اذا حصل التلقيح بالتقليد حكمنا بالصحة ، لان الاجتهاد اصل في العمل والتقليد فرع . التكليف في الاصل انما هو بالاجتهاد عند عدم النص ، فان عجز عن ذلك الاجتهاد نزل إلى التقليد ، فني كل موضع قلنا بالصحة مع الاجتهاد نقول بها مع التقليد عند العجز عنه من غير زيادة امر آخر ، وما زاد على ذلك فهو قول مخترع لا يقوم به دليل مرضي ، ولا تنهض به حجة .

وما يزعمه من منم التلقيح من ان كلام من المجتهدين اللذين قلدهما - مثلا - يقول ببطان صلواته الملققة - مثلا - او سئل عنها بانتراده ، فعاطلة مدفوعة بما لا يسع هذا المحل بيانه .



واجمال ذلك انه انما يقول له : انها باطلة ان كنت اخذت في ذلك الامر الذي حكمت اذا بطلانه من اجله بمذهبي . واما ان كنت قلدت فيه غيري فلا احكم ببطلانها حينئذ في حقك ان كنت متمسكا بقول مجتهد . وكذلك يقول له الآخر والآخر والآخر ، فبطل اطلاق قوولهم : يمنع التلفيق بان كلام من المجتهدين حاكم ببطلان صلاته مثلا ، بل يفيد الحكم منه ببطلانها بما اذا كان متمسكا فيها بمذهبه فيما يرى ذلك المجتهد بطلانها بسبب فعله او تركه ، لا ان قلده غيره فيه ، فافهم ما فيه ، فتدفع تلك المغالطة التي حكم من حكم بمنع التلفيق بسببها . فان ايدت وقات : لا بل المجتهد يطلق القول ببطلانها على رأيه . فنقول : لا يليق هذا الابطال بما اذا قلده مجتهدا غيره في ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ، كما لا يليق ابطاله بنقض قول ذلك المجتهد المصحح لها مع وجود ذلك الامر الذي ابطالها بسببه ذلك المجتهد الآخر ، فسلمت له صلاته - اي المقلد - بتقليده لها كل امر من امورها مجتهدا يرى صحة ذلك ، فصار حكم المجتهد المبطل في مصروفها عنه بتقليده من يرى الصحة بذلك الامر ، وبذلك ينصرف عنه حكم كل المجتهدين ، ويبطلانها بيان قول المانع فيما اذا قلده المكلف ابا حنيفة رضي الله عنه في ان المس غير ناقض مثلا ، وقلده الشافعي رحمه الله تعالى في الاكتفاء بمسح بعض شعرات من الرأس لا تبلغ الربع ، او مقدار ثلاثة اصابع باعتبار الرواية الاخرى في مذهب ابي حنيفة رحمه الله عليه في المقدار المفروض في مسح الرأس ، فان المانع يقول : ان ابا حنيفة والشافعي حاكمان ببطلان صلاته ، فابو حنيفة لتقدم مسح المقدار المفروض عنده ، والشافعي لوجود المس ، فهي غير جائزة عندهما .

اقول : وجوابه ما بيناه أن هذه مخالفة ، وإطلاق في محل تقييد ، بل الحكم بطلانها عند كل منها مقيد بما إذا كان آخذاً في ذلك الأمر الذي حكم من حكم بطلانها بسببه بمذهب المبتطل - كما تقدم بيانه قريباً - فافهم والله اعلم بالصواب .

اللهم لو ذهب مجتهد الى ان المقروض من الرأس في المسح مقدار ما قال به الشافعي ، والى ان المس غير ناقص ، والى ان ذلك والموا الالة في الوضوء لا يلزم ان ، لم يسوغ الامناع له حينئذ اجتهاده ؟ (١) فكذلك عليه ان يسوغ للمقلد تقييده في كل واحد من المذكورات لمجتهد قال بذلك . كما لا يخفى ، فان تأبى متأبٍ عن تلقي هذا البيان بالتبويل بمد صحته ووضوحه فأقرعه بما تقدم قريباً من عدم لحوق الإبطال من المجتهد بالمقلد لغيره فيما أبطله بسببه ، وان صادف حكمه عنه بذلك .

ثم رجع ونقول : وكذلك مسألة النكاح . فانه لا يصح بعبارة النساء على الغائب ، وعندنا الحكم بالعكس في المسئلتين ، فاذا حكم بصحته بعد وقوعه بعبارة النساء على الغائب فقد لفق ، ومع هذا فقد حكموا بصحة هذا الحكم الملقق من المذهبيين . وكذلك مسألة الامام أبي يوسف رحمه الله تعالى ، صلى بالناس الجمعة فاخبر بوجود فأرة في ماء الحمام الذي كان اغتسل منه للجمعة . فقال : نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » قال في المحيط البرهاني والفتاوي الظهيرية

(١) قوله لم يسوغ الخ جواب لو . وهو في النفي باطل لأن مانع التليفق لا يمنع المجتهد من القول بهذه المسائل ، ولا يصح النفي الا اذا جمعت الجملة للاستفهام ولا تبعد على المصنف لضعفه في العربية ، والا فالعبارة محرفة

وغيرها من كتاب النكاح مستشهدا بها في مسألة من مسائل النكاح سيأتي ذكرها : للحنفي ان يعمل فيها بنير مذهبه .

اقول : فهذا ابو يوسف رحمه الله امام المذهب وكبيره المجتهد الكامل قد قلده عند الضرورة ولم يكن ذلك مذهبا له ، بل مذهبه تنجس الماء القليل وان لم يتغير بوقوع ما ينجسه فيه ، ولا شك ان الظاهر انه فعل الطهارة وصلى الصلاة على مقتضى مذهبه وانما قلده في خصوص الماء فقد حصل التاميق منه ، وهو اوفى حجة لنا ، ويستفاد منه ايضا انه يقلد اذا احتاج ، اذ هو الظاهر من فعله هنا ، وان كان نقل في جواهر الفتاوى عن الحاوي من كتبنا : ان ابا يوسف رحمه الله بقي على هذا المذهب سنته اشهر ، ثم رجع الى مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى في المسئلة . فانه يحتمل انه ظهر له بالدليل بعد التقليد صحة ما ذهب اليه غيره ممن قلده في المسئلة خصوصا ، ولتفظ نقل المحيط والظهيرية « ولم يكن ذلك مذهبا له بل يدل على وقوعه تقليداً »

وهذه المسئلة وهي : هل للمجتهد ان يقلد مجتهدا في مسألة فيها خلاف ؟ المشهور انه ليس له ذلك ، وزوي عن الامام محمد رحمه الله جواز تقليد العالم للأعلم ، والفقير للأفقر ، وفرع ابي يوسف هذا يوافقه . ثم رأيت في أصول الامام شمس الأئمة ابي بكر بن محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي رحمه الله تعالى - وهو صاحب - المبسوط ما نصه :  
 على اصل ابي حنيفة رحمه الله تعالى - اذا كان عند مجتهد ان من يخالفه في الرأي اعلم بطريق الاجتهاد فانه مقدم عليه في العلم فانه يدع رأيه لرأي من عرف زيادة قوة في اجتهاده - الى ان قال - : وعلى قول ابي

يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى « لا يدع المجتهد في زماننا رأيه لرأي من هو مقدم عليه في الاجتهاد من اهل عصره » الى آخر ما ذكره . فافاد عن محمد خلاف ما رأته عنه ، فعمل ان له في المسئلة روايتين ، ونقل صاحب الفتاوى الصيرفية عن فوائد تجنيس المتقط : اشترى الامام الشافعي رحمه الله تعالى الباقلاء من منادى السمك ، فاكل واكلوا وصلوا بعد ما حاق وعلى ثوبه شعر كثير ، فقبل له في ذلك ، فقال : حين ابتلينا انحططنا الى مذهب اهل العراق . وهو يفهم بظاهره انه قد في ذلك .

فقد تلخص من المنقول عن الأئمة ان التلفيق<sup>(١)</sup> من مسأتي ابي يوسف وبعض تلامذ خوارزم ، ومسئلة صحة الحكم على الغائب بصحة النكاح بعد وقوعه - كما سبق في المسئلة التي ذكروها - واستثنائي بمقالة المحقق في التحرير ، وما على الانسان ان يختار الاسهل في العمل . ثم وجدت شيخ الاسلام خاتمة الأئمة المتأخرين مولانا العلامة زين الدين ابن نجيم صرح في رسالة انها في بيع الوقف على وجه الاستبدال - بان ما وقع في آخر التحرير من منع التلفيق فانما عزاه الى بعض المتأخرين وليس هذا المذهب . انتهى . فحمدت الله تبارك وتعالى على موافقة ما ادعيته لما نص عليه مولانا العلامة ابن نجيم .

( للرسالة بقية )

{١} كذا والمعنى مأخوذ من مسأتي ابي يوسف الخ

## الصهيونية

( تنقل هذا الفصل من جزء نوفمبر سنة ١٩١٣ لمجلة الهلال المفيدة لاطلاع من لم يطلع عليه من قرائنا في هذه الايام التي كثر فيها الخوض في هذه المسألة )

### تاريخها وأعمالها

الصهيونية دعوة اجتماعية سياسية انتشرت في الامة الاسرائيلية باواخر القرن الماضي وكثر تحدث الناس فيها بالاعوام الاخيرة . وقد همنا امرها على الخصوص في اثناء رحلتنا بفلسطين . ولا بد لنا في بحثنا عن احوال تلك البلاد الاجتماعية والاقتصادية من الاشارة الى هذه الدعوة وتأثيرها الشديد في تلك الاحوال . فرأينا ان تأتي على خلاصة تاريخها وحقيقة غرضها لزيادة الايضاح فنقول .

### موضوعها

قد تقدم في كلامنا عن تاريخ فلسطين في الهلال الماضي كيف نشأت اليهود في انحاء العالم بعد ان جاهدوا في الدفاع عن اورشليم دفاع الاسود . وقد مضى عليهم في هذه الهجرة نحو ١٩ قرنا وهم يندبون وطنهم ودولتهم وهياكلهم . ولا سيما هيك سليمان الباقية آثاره في القدس الى الآن كما سنبينه مصورا في رحلتنا . وقد حاولوا استرداد ذلك الوطن عبثا ونظموا الاشعار في رثائه . ولا يزالون الى اليوم يكون ذلك المجد الذاهب كل اسبوع عند احجار يقتدون انها من بقايا هيكل سليمان

وقد حاول اليهود المهاجرون السعي في استرجاع ذلك الوطن غير مرة باساليب مختلفة آخرها الحركة الصهيونية التي نحن في صدها

ولا بد لكل دعوة اجتماعية او سياسية من غرض ترمي اليه وغرض الصهيونية « جمع الشعب الاسرائيلي في فلسطين وجعلها وطنا خاصا به » وهي مبنية من الوجهة الدينية على آيات جاءت في سفر ارميا الفصل ٣٠ عدد ١٠ حيث يقول « لا تخف يا عبدي يعقوب يقول الرب ولا تفزع يا اسرائيل فاني اخلصك من الغربة وذريتك من ارض جلالهم فيرحم يعقوب ويستقر في الراحة والحصب ولا يرعبه احد » وفي حزقيال ( ص ٣٩ عدد ٢٨ ) « فيعلمون اني انا الرب الههم باجلاتي اياهم الى الامم ثم جهمي

اباهم الى ارضهم بحيث لا أبقي هناك منهم احداً من بعد » وفي تاموس قول صريح (ص: ١٤٩) « واردة شعبي اسرائيل فينون المدن المحرقة ويسكنونها ويفرسون كروما يشربون من خمرها وينشئون جنات يأكلون من ثمرها واغرسهم على ارضهم فلا يقتلون فيما بعد من ارضهم التي اعطيتها لهم »

وهناك نبات أخرى بهذا المعنى او نحوه في زكريا واسعيا وميخا وغيرها . ماخذهم من الاعتقاد بالمسيح الذي سيأتي ويجمع بني اسرائيل حوله . ويزحف على القدس ويميد العبادة للباكل وغير ذلك مما جاء في التلمود

على ان هذه الاقوال وامثالها لا تكفي لاجماع الامة على العمل بها ان لم يتوقع اصحابها قعما اقتصاديا او سياسيا من ورائها او ان يدفعهم للعمل جوع او اضطهاد او ظلم . وكم من اعتقاد يعتقد الناس ولا يجتمعون للعمل به لمجزهم عن ذلك او لعدم الاضطراب اليه ؟ وانما يجتمعون للعمل في ما يرون لهم فيه مصلحة حقيقية . ويتذرعون الى الاجتماع غالباً باسباب دينية يتوكلون عليها ويؤولونها الى ما يساعدهم على ذلك القيام ولا بد في مثل هذه الحال من محرك يبعث على النهوض . وقد بعث اليهود على

هذه الحركة اران : الاول تمكن الروح المالية من نفوسهم على اثر الارتقاء الاجتماعي والعلمي في العالم المتسدين . فان شيوع الحرية الشخصية ولد في نفوس الامم عصبية عنصرية غلبت على الحامعات الاخرى . وبهذه العصبية يطلب المجر التخلص من النمسا ويحاول البلقانيون الخروج من سلطة تركيا . والبلقانيون انفسهم يتحاربون الآن باسم العنصرية مع انهم من مذهب واحد واقليم واحد . والامر الثاني مبالغة الامم النصرانية في امتنان اليهود باسم الانتسمينزم (Antisemitism) ومعنى اللفظة « مقاومة الساميين » لكنهم يريدون بهم اليهود خاصة . قال ذلك طبعا الى اجتماع كلمة اليهود باوروبا وفيهم طائفة حسنة من اصحاب الاموال ورجال السياسة والعلم واهل الهممة والنشاط فاخذوا يحتمون في الدفاع عن امهم . وانسوا في انفسهم المقدرة على العمل بتلك الآيات فوجهوا عنائتهم اليها ، فأخذ كتابهم يحرصون قومهم على الاستعمار في فلسطين لتخلص من اضطهاد الامم لهم . وقال بعضهم « اذا لم يكن ابتياع فلسطين ممكنا فنطلب وطننا في مكان آخر على وجه هذه البسيطة »

ونشط آخرون لاستنصار الجمعيات الخيرية الاسرائيلية كجمعية الاتحاد الاسرائيلي على القيام بهذا العمل سنة ١٨٦٣ ولكن هذه الجمعية عرضها الرئيسي تهذيب الشبيبة اليهودية . وحاول غيرهم استنهاض جمعية اليهود الانكليزية في لندن وجميعةهم في برلين فترتب

على ذلك تأسيس الجمعية العمومية الفلسطينية وجمعية الاستعمار الفلسطيني . لكن الدعوة لم تكن نضجت بمدفلم تأت هذه المساعي ثمرة . فوجهوا انتقاهم الى وادي الفرات لعله يصح ان يكون مهجرا لهم . وبذل السياسي اولفانت الانكليزي جهده في نيل امتياز خط حديدي في ذلك الوادي ليسكن فيه مهاجري اليهود من روسيا . واقترح انشاء مهجر يهودي في فلسطين بنواحي الساط على ان تتألف جمعية رأس مالها عشرة ملايين فرنك يتتاع مليون فدان يستثمرها يهود بولندا ورومانيا والاناطول . فلم يأذن لهم السلطان - وقس على ذلك سائر مساعيهم في هذا السبيل

لكن روح الصهيونية اخذت تتمكن من قلوب اليهود . وهم يزدادون تمسكا بالفضعية كلما زاد مقاوموهم شدة . فكثرت الجمعيات التي تألفت لهذه الغاية . واول جمعية افلحت في استثمار ارض فلسطينية نشأت سنة ١٨٧٩ ولما التأم المؤتمر الاسرائيلي سنة ١٨٨٤ لتتظر في احوال المستعمرين والاخذ بناصرهم حضره مندوبون عن خمسين جمعية فازداد القوم نشاطا وبلغت الحركة اشدها سنة ١٨٩٤ واوشكوا ان يبنفوا غايتهم لكن العثمانيين انتبهوا لاغراضهم فخلوا بينهم وبين ما يريدون . ولم يستقر عملهم على قواعد متينة الا بعد ظهور الدكتور تيودور هرتسل صاحب الدعوة الصهيونية

وهو رجل نمساوي شديد الفيرة على العنصر الاسرائيلي عالي الهمة قوي الحجة كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥ كتابا في استعمار اليهود سباه «الوطن الاسرائيلي» لم يزعم انه يستهنض به الهمم او يستثير العزائم بل قال انه كتبه لنفسه ولا يقف بعض اصدقائه على آرائه . ولكن الكتاب مالبث ان طبع في فينا بالنمساوية حتى نقل الى الفرنسية والانكليزية والبرانية واعيد طبعه مرارا وراج رواجا عظيما . وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه . وقد عارضه كثيرون لكن المجاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمره لان فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت واستعدت لها الازهان وناقت اليها النفوس

وخلصة آراء هرتسل في ذلك الكتاب «ان اعداء الساميين آخذون في الازدياد ولا يستطيع اليهود مقاومتهم لتشتت شملهم في الارض فوسم في حاجة الى الاجتماع في وطن خاص بهم» فاقترح انشاء شركة يهودية اقتصادية رأس مالها ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه مركزها لندن . وان تتألف جمعية سياسية يهودية تدبر اعمال هذه الشركة وتشير عليها بما ينبغي عمله . واقترح للقيام بذلك ابياع فلسطين او الارجتين على ان

بؤني الحكمة من بناء ومن بؤن الحكمة فقد  
أوتي خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

الله

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فينبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و ٥ منارا ٥ كمنار الطريق



(ج) ما ذكره البرماوي ليس بسنة ، ولم يرد فيه حديث يثبت السنية ولا الاستحباب ، بل لم يرد في التلقين حديث صحيح ولا حسن ، وإنما ورد فيه حديث واحد ضعيف لم يخرج أصحاب الصحاح ولا السنن ، بل رواه الضعاف والمناكير والموضوعات وغيرها لاجل تدوينها ، على أن الاعتماد في مسألة الاحتجاج على أسانيدنا ومتونها ، وقد اختلفت أفاضهم فيه بمحض الاختلاف ، وهو حديث أبي أمامة رضي الله عنه . رواه ابن عساکر وابن النجار والطبراني والديلمي ، وهما روايتهم مرموزا فيها اليهم ، من سنن الأقوال ، من كنز العمال ، وهي ثلاث :

١- « إذا مات الرجل فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل : يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيبعث ، فليقل يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيستوي قاعدا ، فليقل يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيقول له ارشدني رحمك الله ، فليقل : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور . وان منكرا ونكيرا عند ذلك كل واحد يأخذ بيد صاحبه ويقول : قم ما تصنع عند رجل لقن حجته ؟ فيكون الله حجيجهما دونه ( كر عن أبي أمامة )

٢- « إذا مات أحد من اخوانكم فنثرتم عليه التراب فليقم رجل منكم عند رأسه ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولكن لا يجيب . ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ، فإنه يستوي جالسا ، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يقول ارشدنا رحمك الله ، ولكن لا نشعرون . ثم ليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا - شهادة ان لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وانك رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام ديننا وبالقرآن إمامنا . فإنه اذا فعل ذلك أخذ منكرا ونكيرا أحدهما بيد صاحبه ثم يقول له : اخرج بنا من عند هذا ، ما تصنع به فقد لقن حجته ؟ ولكن الله عز وجل حجته دونهم . قال رجل يارسول الله فان لم أعرف أمه ؟ قال انسبه الى حواء (طب . كر الديلمي . عن أبي أمامة )

٣- « يا أبا أمامة : ألا ادلكم على كلمات هي خير للميت من الدنيا وما فيها وما غابت عليه الشمس وطامت ؟ اذا مات اخوك المؤمن وفرغتم من دفنه فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ! والذي نفس محمد بيده انه ليستوي قاعدا ، ثم ليقول يا فلان ابن فلانة : فيقول ارشدني الى ما عندك يرحمك الله (١) فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا . شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ، وقد كنت رضيت بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا ، فيقوم منكرا فيأخذ بيد نكير فيقول قم بنا ما يقعدنا عند

(١) لمن يذكر النداء في هذه الرواية الامرتين ، ولعله الافة من النسخ

هذا وقد لقن حجته ؟ ويكون الله حجيجيهما دونه . قيل : ان كنت لا احفظ اسم أمه ؟ قال فانسبه الى حواه ( ابن النجار عن أبي امامة )

واورده في سنن الافعال معزوا الى ابن عساكر بهذا اللفظ : عن سعيد الأموي قال شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال لي : يا سعيد اذا أتات قافلوا بي كما أمرنا رسول الله (ص) قال لنا رسول الله (ص) « اذا مات احد من إخوانكم فسويتم عليه التراب » الخ ما تقدم

فانت ترى أنه ليس في شيء من ألفاظ هذا الحديث شيء من تلك الآيات ، ولا تلك الالطافات ، ولهذا سكت بعض الفقهاء عن مسألة التلقين وقال بعضهم باستحبابه بناء على تساهلهم في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ، وقد أدخل هذا التساهل بدعا كثيرة في الاسلام ، كما حققه الامام الشاطبي في الاعتصام ، وحسبك منه ما نقله عنه في هذه الايام ، من اثبات بدعية الدعاء بعد الصلاة من الجماعة مع الامام . حتى الادعية والاذكار المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، فان ما ثبت عمله على الافراد ، لا يجوز فيه التزام الاجتماع ، والمدققون من الفقهاء لم يزيدوا على ما ورد في حديث أبي امامة

قال النووي : هذا التلقين استحبه جماعات من اصحابنا منهم القاضي حسين وصاحب التتمة والشيخ نصر المقدسي في كتابه التهذيب وغيرهم . ونقله القاضي حسين عن الانتخاب مطلقا . والحديث الوارد فيه ضعيف ولكن احاديث الفضائل بتسامح فيها عند أهل العلم من الحديث وغيرهم . وقد اعترض هذا الحديث بشواهد من الاحاديث الصحيحة كحديث « اسألوا الله له الثبوت » ووصية عمرو بن العاصي اهل المراد منه أقول أن حديث الدعاء للثبوت بالثبوت لا يعضد شرعية التلقين التي يراد بها منح السؤال الذي ثبت الدعاء بالثبوت لاجله ورجاء السداد فيه ، ولو كان التلقين بحول دون السؤال لكان تلقينه خيرا من الدعاء له . وكذلك وصية عمرو لا تمضده ، فانه أوصى بان يقيموا عند قبره قدر ما ينحدر جزور ويفرق لهمها ، لاجل أن يستأنس بهم ، يعني ان روحه تشرع بوجودهم فتستأنس بهم في ذلك الوقت الذي هو أول العهد بذلك العالم وحيث يمنحن الداخل فيه . فمسائل التشريع لا تبقى على مثل هذا . وانت ترى فيما نقله الشاطبي عن الامام مالك اصلا واسجنا من أصول الشريعة وهو ان ما تركه النبي (ص) والصحابة (رض) مع وجود سببه وداعيته فتركهم إياه لاجماع علي انه غير مشروع ولا جائز في الدين - أي في العبادات دون العادات -

وقد ذهب بعضهم الى تقوية الحديث بعمل أهل الشام به من العصر الاول في زمن من يقتدى به . قال في شرح الاقناع من كتب الحنابلة بعد ذكر المتن استحباب الاكبر للتلقين وذكر الحديث وضعفه ما نصه : وقال الأثرم قلت لابي عبد الله (أي الامام أحمد) هذا الذي يصنعون اذا دفن الميت يقف الرجل ويقول : يا فلان ابن فلانة اذكر ما فارقت عليه - شهادة أن لا إله الا الله - فقال ما رأيت احدا نقل هذا الا أهل الشام حين مات أبو المنيرة ، جاء إنسان فقال ذلك . وكان أبو المنيرة

يروى فيه عن أبي بكر بن مريم عن اشياخهم أنهم كانوا يقولونه اه  
أقول أبو بكر بن أبي مريم ضعيف وقد احتاط عقله . وأما أبو المنيرة فهو عبد القدوس بن الحجاج الحمصي روى عنه أحمد والبخاري في غير الصحيح وأصحاب السنن وهو ثقة وقال النسائي لا بأس به وقد ذكر التلقين أبو عبد الله ابن القيم في سياق الاستدلال على سماع الموتى بعد الدفن . قال وقد سئل عنه الامام أحمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل . وروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة . - فذكر الحديث وقواه باتصال العمل به في سائر

الامصار والاعصار من غير انكار . ثم ذكر حكايات مناسبة لمعنى التلقين  
أقول لو أن ابن القيم رحمه الله تعالى اراد تحقيق هذه المسألة في حد ذاتها لكتب غير هذا ، ولكنه أوردتها في سياق يريد تقويته بسرد الدلائل السكينة كمادته فجاء كلامه فيه موصفا للنظر والنقد . فاما جواب الامام أحمد عنه للأثرم فلا يدل على استحسانه ولا على تقويته بالعمل به ، اذ لم ينقل العمل به الا عن أهل الشام من رواية أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ، فيدل لفظ الامام أحمد على ان التلقين في عصره من القرن الثالث لم يكن معروفا الا عن أهل الشام ، فسقط بهذا قول ابن القيم باتصال العمل به في سائر الامصار والاعصار . والحق أن العمل لا يمد حجة الا اذا كان مستفيضا عن أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين فما حدث بعد ذلك فلا قيمة لشيوعه وكثرة العمل به ، فكلم من بدعة عمت الاقطار والامصار ، يقيم الحجج على بطلانها وقبحها . مثل ابن القيم واستاذه ابن تيمية من انصار السنة . وجملة القول ان التلقين لم يثبت بكتاب الله ولا بسنة رسوله ولا قال احد من المحققين انه سنة ، بل قال بعض الفقهاء باستحبابه لاتساعه في العمل بالحديث الضعيف والاستئناس له بما يناسبه . والبرماوي ليس قدوة ، ولم يكتب أمثاله وكتب من هم اعلم منه من البدع ، فلا ينبغي لاحد ان يثق الا بما يصرح المحققون بثبوت نقله عن النبي وجمهور السلف ، هون ما يذكر غفلا

فصل<sup>\*)</sup>

وكذلك مسألة التحرير ايضاً - وهي التي عبر عنها بعضهم بقوله :  
 « لا تقليد بعد العمل » - فيها نظر . وهو ان هذه العبارة لها معنيان (احدهما)  
 انه اذا عمل وصادف الصحة على مذهب امام ولم يكن عالماً بذلك ، والحال  
 انه على مقتضى مذهبه بطل ذلك العمل ، فهل له ان يقول : اخذت بمذهب  
 من يرى صحة ذلك ، ام لا ؟ فعلى ما ذكر ليس له ذلك على تقدير تفسير  
 العبارة بهذا المعنى . اقول : وفرع ابو يوسف المنقول في مسألة الفأرة  
 برده ، اذ هو عين التقليد بعد انتهاء العمل ، وهو الذي اذهب اليه واقول  
 به ، بل قد اختار عالم قطر اليمن في زمانه الامام العلامة الفقيه عبد الرحمن  
 ابن زياد الشافعي في فتاويه - ان العامي اذا وافق فعله مذهب امام من  
 الائمة الذين يجوز تقليدهم صح وان لم يقلده ، توسعة على العباد ، واختلاف  
 الائمة رحمة . وقال المحقق ابن حجر : لا يكون صحيحاً الا ان قلد ذلك  
 القائل بالصحة ، لأن تقليده لامام من الأئمة المذكورين التزم متابعتة في  
 الاحكام كلها ، فلا يجزئ في خلاف ذلك الا بتقليد صحيح .

وقد ذكر بعض أولياء الله تعالى الصالحين انه كشف له ان الله  
 لا يعذب من عمل في المسئلة بقول امام مجتهد من الذين يجوز تقليدهم ،  
 وهم الآن الأئمة الاربعة المدونة مذاهبهم ، والمحرة اصول وفروع  
 مسائلهم ، أما المجتهدون السابقون فلا ، للجهل بضوابط الاحكام عندهم ،

(\*) تابع لما نشر في ص ٣٦٨ ج ٥

لفقد التدوين، لتناول السنين. كذا رأيت ما حكته في بعض المجاميع.

قلت: وفي تخصيص الائمة الاربعة كلام لا يسع في هذا المحل بيانه  
ثم رأيت في البحر الرائق شرح الكنز للعلامة ابن نجيم في باب  
قضاء الفوائت عند قوله: ويستقط بضيق الوقت والنسيان، ما نضه:  
وان كان عاميا ليس له مذهب معين فذهبه فتوى مفتية - كما صرحوا  
به - فان افتاه حنفي اعاد العصر والمغرب، وان افتاه شافعي فلا يعدها  
ولا عبرة برأيه؛ وان لم يستفت أحدا وصادف الصحة على مذهب مجتهد  
أجزاء، ولا إعادة عليه إنتهى. وهذا موافق لما اختاره عالم قطر اليمن  
في زمانه وفقهه العلامة عبد الرحمن بن زياد الشافعي رحمه الله تعالى.

والمعنى الثاني انه ليس للانسان اذا عمل في مسألة بمذهب ان يعمل  
بخلافه فيها ثانيا، وهذا أيضا مدفوع من وجوه (الاول) انه لم يتم عليه  
دليل الالزوم صورة التلاعب، وذلك لا يلزم الا لو قصد به ذلك، أو  
دلت عليه قرائن احوال، أو مكلف ضاق به الحال فالتجأ الى الاخذ في  
واقعة كان عمل فيها مرة بقول امام فووقت له مرة ثانية، فاراد الأخذ  
فيها في المرة الثانية بقول امام آخر، لدفع ضرورة ألتائه الى ذلك  
- والغرض صحيح - فلا ينسب الى التلاعب، وقد صح وثبت عن عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه انه رجع عن قوله في مسألة كان حكم فيها بحكم،  
ثم تكررت فتبدل نظره فيها فحكم بخلافه، وقال: تلك على ما قضينا  
وهذه على ما تقضي.

فان قلت: انه مجتهد وهذا حال المجتهد انه يجب عليه الرجوع الى  
ما سنح له من الدليل بخلاف المقلد. قلت: مهلا يا اخي، فان المقلد لم

يظهر له بالدليل صحة ما قلده فيه اولا كما ظهر للمجتهد ، وهنا مجتهد آخر قائل بخلافه فهو احرى بتجوز الانتقال له .

ثم ظهر لي بعد مدة من تسطيري هذه الاسطر ظهوراً بينا منكشفنا لاريب فيه - ان مرادهم من قولهم : لا تقليد بعد العمل . انه اذا عمل مرة في مسألة بمذهب في طلاق أو عتاق أو غيرهما واعتقده وأمضاه ، ففارق الزوجة مثلاً واجتنبها وعاملها معاملة من حرمت عليه ، واعتقد البيئونة بينه وبينها بما جرى منه من اللفظ مثلاً ، فليس له ان يرجع عن ذلك ويبطل ما أمضاه ويعود اليها بتقليده ثانياً اماماً غير الامام الاول الذي قلده فيها ، حيث كان الثاني يرى خلاف ما رآه الامام الاول ، فهذا معنى قولهم « ليس له التقليد بعد العمل ولا يرجع عما قلده فيه وعمل به » ونحو ذلك من العبارات ، فاما اذا وقعت تلك الواقعة مرة ثانية مع امرأة اخرى أو مع زوجها بنكاح جديد ، فله الاخذ بقول امام آخر ، ولا مانع منه - كما سيأتي قريباً -

على انه قد نقل العلامة ابن امير الحاج الحلبي الحنفي تلميذ المحقق ابن الهمام عن الزركشي من أئمة الشافعية في شرح التحرير - ان في كلام بعض الأئمة ما يقتضي جريان الخلاف في جواز التقليد بعد العمل أيضاً وان منعه ليس باتفاق فاعلمه . وقد نقل صاحب الفتاوى الصرفية عن الظهيرية والنسفية والنصاب - واللفظ من الظهيرية - انه سئل شيخ الاسلام عطاء بن حمزة السندي ، عن الصغيرة اذا زوجها ابوها من صغير وقبل ابوه وكبر الصغير وبينهما غيبة منقطعة وقد كان التزويج بشهادة الفسقة : فهل يجوز للقاضي ان يبعث الى شافعي المذهب ليبطل

هذا النكاح بينهما بهذا السبب ؛ قال : نعم . وللحنفي أن يفعل ذلك بنفسه أيضاً اخذاً بمذهب الخصم ، وإن لم يكن ذلك مذهبه . انتهى .  
ثم اورد في المحيط والظهيرية مسألة ابي يوسف في الفأرة عقبها مستشهداً فاعلم ذلك . وكذا مولانا خاتمة المتأخرين العلامة ابن نجيم رحمه الله في البحر الرائق في مسألة اليمين المضافة عن البرازية عن أصحابنا أنه لو استفتى فقيها عدلاً فاقى ببطلان اليمين : هل له العمل بفتواه وامسأكها؟ وروى أوسع من هذا وهو انه لو افتاه مفت بالحل ، ثم افتاه آخر بالحرمة بعد ما عمل بفتوى الاول ، فانه يعمل بفتوى الثاني في حق امرأة أخرى لا في حق الاولى ، أي في هذه المرأة التي مضت - كما نهيتك عليه قريباً - وانظره فقد صرح بجواز العمل بخلاف ما عمل للعامي ، وانما منع من ان يفتي به المفتي لئلا ينسب الى الغرض والتشبهى والتلاعب ، ولئلا ينسب العلماء الى التناقض من جهة العوام ، فافهم<sup>(١)</sup> . هذا ما قام عندي في وجه ذلك ، ورأيت في عبارة بعضهم تعليقه « بكيلاً يتطرق به الى هدم مذهب اصحابنا » أو نحو ذلك من العبارة والله أعلم .

واعلم أن من المسائل ما يقع التصريح بها من بعض المتأخرين رحمة الله عليهم أجمعين - وخصوصاً في الاصول التي ألفها المتأخرون - وليست

(١) هذا التعليل ضعيف وأضعف منه ما يذكره بعده عن بعضهم . وله تعليل آخر أقوى منهما وهو ان تقليده الثاني يجب ان لا يبطل عمله بالتقليد الأول بعد التزامه لأنه تناقض في حقه . ولا يباح لأحد ان يلتزم التناقض ويحمل به وهو لا يتحقق الا في الموضوع الواحد والمسألة الواحدة كالطلاق والعق الذي أمضاه بالفعل . ومثله المجتهد اذا تغير رأيه في المسألة بعد إمضاها لا ينقض اجتهاده الثاني ما أمضاه بالأول

بمرضية ، بل ربما يقع التصريح بخلافها من المتقدمين ، ويوجد من هذا النوع في كتاب التحرير الذي ألفه المحقق وجمع فيه من مقالات المتأخرين من فضلاء عصره فن قبلهم بقليل حتى من كلام أرباب المذاهب غير مذهبنا ، فلا علينا ان نأخذ بما ظهر لنا صواب خلافه <sup>(١)</sup> ان أنعم الله علينا بحصول ضرب من النظر يمكن الوقف به على الصواب . هذا ونحن مع ذلك بحمد الله تعالى لا نخرج عن درجة التقليد لآماننا الاعظم ابي حنيفة رحمة الله عليه ، ونحن مقلدون له ولكبار أصحابه ومن بعدهم من كبار أئمتنا كشمس الأئمة واضرابه <sup>(٢)</sup> . وأما ما يبحثه ويقرره المتأخرون من أهل التاسع والعاشر <sup>(٣)</sup> من فضلاء المذهب فلنا النظر فيه ان أمكن ، وعلينا التمسك بما هو منقول عن المتقدمين وخصوصاً اذا انتهض متمسكاً لنا فيما نرتضيه . والله الموفق الى الصواب وبه الاعتصام .

## فصل

ومما ينشأ من الجهل والتعصب تفويت فرض من فروض الله تعالى مع امكان اقامته على رأي مجتهد جليل ، بل على رأي جمع من المجتهدين ، وذلك ( ان ) جهلة المعصبين يمتنعون ويمنعون من جمع الصلاتين في السفر التي ذهب الى جوازها الامام الشافعي وغيره من صدر الاسلام رحمة الله عليهم ، ويؤدي ذلك الى تفويت الغرض رأساً ، وذلك انهم

(١) يوشك ان يكون قد سقط بعض الكلم من هذا السياق (٢) يريد بتقليدهم العمل بأصولهم والسير على طريقتهم في الفهم والعمل (٣) أي أهل القرنين التاسع والعاشر والمصنف من أهل القرن الحادي عشر . فهو بعد أهل ذين القرنين كأهل قرنه لغلبة التقليد المحض عليهم وبعدهم عن الاستقلال والاجتهاد حتى في المذهب



لما يعزمون على السير عند الزوال مثلاً فيصلون الظهر<sup>(١)</sup> لاول وقتها ويمتنعون من جمع العصر اليها ، فيركبون ويسيرون بناء على انهم ينزلون قبل المغرب آخر وقت العصر فيدركونها ، والحال انهم قد لا يتبأ لهم النزول الا مع المغرب أو الغروب بحيث لا يتسع الوقت الى الطهارة والصلاة<sup>(٢)</sup> وخصوصاً في حق من تتسر الطهارة عليه فتفوتهم الفرصة ، وقد كانوا يمكنهم اداؤها في المنزل<sup>(٣)</sup> بمجموعة جمع تقديم الى الظهر على مذهب الامام الشافعي رحمة الله عليه ، وعلى مذهب غيره ممن جوز الجمع لاجل السفر ، فيمتنعون عن ذلك ويرضون بتفويتها ، ولا يفعلها<sup>(٤)</sup> على مذهب مجتهد يجوز لهم أو عليهم يجب اتباعه ، والحال ما قرر ، لأن تحصيل الفرض من وجه مقدم على تفويته من كل وجه ، وما هذا الا محض التعصب والجهل . وقد (ذكر) الامام الاجل ظهير الدين الكبير المرغيناني عن استاذه السيد الامام أبي شجاع رحمه الله تعالى : انه سئل شمس الائمة الحلواني عن كسالى بخارى انهم يصلون الفجر والشمس طالعة : فهل تمنعهم من ذلك ؟ فقال : لا يمتنعون ، لانهم لو منعوا يتركونها اصلاً ظاهراً . (أي مما يظهر من حالهم) ولو صلوها تجوز عند اصحاب الحديث ، ولا شك ان الاداء الجائز عند البعض اولى<sup>(٥)</sup> من الترك اصلاً . هذا جواب الحلواني ، وناهيك به اذ هو شيخ المذهب في عصره تخرج به الفحول النظار من ائمتنا كشمس الائمة السرخسي ونحو الاسلام

(١) كان الظاهر ان يقول : وذلك انهم عند ما يعزمون على السفر بعد الزوال يصلون الظهر الخ (٢) الصواب للطهارة والصلاة . يقال اتسع لكذا لا الى كذا (٣) لعل أصله « في المنزل الاول » اي من منازل السفر (٤) لعل أصله « ولا يرضون بفعلها » الخ (٥) لعل الاصل « وهو اولى من الترك »

اليزدي صاحب المبسوطين واضرابهم من رؤساء المذهب الذين هم  
قدماء الدهر، وعظماء ما وراء النهر .

هذا مع أن الجاهل المتعصب الغبي يكفيه ايقاعها مجموعة مع الظهر  
تقليد الامام<sup>(١)</sup> الشافعي وغيره، ثم ان اراد الاحتياط وادرك في الوقت  
فسحة اعادها على مذهبه أو قضاها بعد المغرب احتياطاً ان لم تطمه  
نفسه في ادائها مجموعة مع الظهر، والله أعلم والموفق لأرب غيره وهو  
حسي ونعم الوكيل .

قال جامعها محمد عبد العظيم المكي الحنفي غفران الله تبارك وتعالى  
له ولوالديه ولسائر المسلمين : ثم بعد تسطير هذه الاسطر ظفرت في  
اثناء المطالعة بعدة من النقول تؤيد ما ذكرته بهذه الرسالة وتشهد له لم  
انشط لأحفاها . ثم رأيت كلاماً للإمام الكبير المجتهد في العلوم رأس  
الفقهاء والمحدثين الشهير بابن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى فاحببت تعالقه  
في ذيل هذه الرسالة وهو مؤيد لما اشرنا اليه مطابق الى جميع<sup>(٢)</sup> ما اورده  
فيها، فالحاصل وان كان في كلامي زيادة أيضاح وبيان فهو لا يخالفه بل  
يعضده ويؤيده . ولفظ ما رايته :

« مثل الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين ابو العباس أحمد بن  
عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي رحمه الله تعالى عن أهل  
المذاهب الأربعة : هل يصح اقتداء بعضهم ببعض في الصلوات المفروضة  
وغيرها أم لا ؟ وهل قال احد من السلف انه لا يصلي بعض المسلمين

(١) لا بد ان يكون الاصل : بتقليد الامام - أو - تقليداً للامام الخ

(٢) الصواب « لجميع »

خلف بعض اذا اختلفت مذاهبهم أم لا ؟ وهل قائل ذلك مبتدع أم لا ؟  
 واذا فعل الامام ما يعتقد ان صلاته صحيحة والمأموم يعتقد خلاف ذلك  
 مثل ان يكون الامام تقاياً او رعف أو احتجم او لمس النساء بشهوة أو  
 مس ذكره أو قهقهه في صلاته أو أكل مامسته النار أو أكل لحم الابل  
 وصلى ولم يتوضأ ، وهو لا يعتقد وجوب الوضوء من ذلك ، أو كان  
 الامام لا يقرأ البسملة أو لم يتشهد التشهد الاخير أو لم يسلم من الصلاة  
 والمأموم يعتقد وجوب ذلك - : فهل تصح صلاة المأموم والحالة هذه ؟  
 افتونا مأجورين ولكم الثواب .

«أجاب رحمه الله تعالى : الحمد لله رب العالمين . نعم تجوز صلاة المسلمين  
 بعضهم خلف بعض كما كان الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن بعدهم  
 من الائمة الاربعة رضوان الله عليهم أجمعين يصلي بعضهم خلف بعض  
 مع تنازعهم في هذه المسائل المذكورة وغيرها ، ولم يقل أحد من السلف  
 الصالح رحمهم الله تعالى : انه لا يصلي بعضهم خلف بعض . ومن انكر  
 ذلك فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الامة  
 وائمها ؛ وكان الصحابة والتابعون ومن بعدهم منهم من يقرأ البسملة  
 ومنهم من لا يقرأها ومنهم من يجهر بها ومنهم من لا يجهر بها ، وكان منهم  
 من يقنت في الفجر ومنهم من لا يقنت ، ومنهم من يتوضأ من الحجامة  
 والرعاف والقيء ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ من  
 لمس النساء بشهوة ومس الذكر ومنهم من لا يتوضأ من جميع ذلك ، ومنهم  
 من يتوضأ مما مسته النار ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومنهم من يتوضأ  
 من أكل لحوم الابل ومنهم من لا يتوضأ من ذلك ، ومع هذا كان بعضهم

يصلي خلف بعض مثل ما كان ابو حنيفة واصحابه والشافعي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين يصلون خلف الائمة المرتبة من المالكية وغيرهم وان كانوا لا يقرؤون البسمة لاسراً ولا جهراً . وصلى الرشيد إماما وكان قد احتجهم فصلى الامام ابو يوسف خلفه ولم يعد صلاته ، وكان أفتاه الامام مالك بانه لا وضوء عليه ، وكان الامام أحمد ابن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة ، فقبل له في ذلك اذا كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ يصلي خلفه ؛ فقال كيف لا أصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب <sup>(١)</sup>

وفي الجملة فهذه المسائل لها صورتان (احدهما) ان لا يعرف المؤمن ان امامه فعل ما يبطل الصلاة ، فهذا يصلي خلفه باتفاق السلف والائمة الاربعة وغيرهم ، وليس في هذا خلاف متقدم ، وانما خالف بعض المتصيين من المتأخرين فزعموا ان الصلاة خلف الحنفي لا تصح وان أتى بالواجبات — قل — لانه اداها وهو لا يعتقد وجوبها . وقائل هذا القول الى ان يستتاب كما يستتاب أهل البدع احوج منه الى ان يعتقد بخلافه <sup>(٢)</sup> ، فانه ما زال المسلمون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه رضي الله عنهم يصلي بعضهم ببعض ، وأكثر الائمة لا يميزون بين المسنون والمفروض بل يصلون الصلوات الشرعية ، ولو كان العلم بهذا واجبا لبطلت صلاة أكثر المسلمين ولم يمكن الاحتياط ، فان كثيرا

(١) كأن سقط من هذه العبارة كلمات أوقهرات من نسختنا فأتمناها من أصل فتاوى ابن تيمية ، وفي الاصل تقديم سعيد بن المسيب على مالك لأنه اعلم التابعين  
(٢) هذا نص الفتوى وعبارة نسختنا « الى ان يعتقد بطلانها »

من هذا فيه نزاع وادلة ذلك خفية ، وأكثر ما يمكن المتقدمين ان يُحتاطاً من الخلاف ، وهو لا يجزم باحد القولين وان كان الجزم باحدهما واجبا ، فإكثر الخلق لا يمكنهم الجزم بذلك ، وهذا القائل ليس معه الا تقليد بعض الفقهاء ، ولو طولب بأدلة شرعية تدل على صحة قول امامه دون غيره لعجز عن ذلك ، ولهذا لا يعتد بنقل مثل هذا فإنه ليس من أهل الاجتهاد .

(والصورة الثانية) ان يتيقن المأموم ان الامام فعل ما لا يسوغ عنده ، مثل ان يمس ذكره أو يلمس النساء بشهوة ، أو يحتجم ، أو يتقأياً ثم يصلي بلا وضوء . فهذه الصورة فيها نزاع مشهور ، فأحد القولين : لا تصح صلاة المأموم لأنه يعتقد بطلان صلاة امامه — كما قال ذلك جماعة من اصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى — والقول الثاني : تصح صلاة المأموم ؛ وهو قول جمهور السلف وهو مذهب مالك رحمه الله ، واحد قولي الشافعي وأحمد ، بل وأبي حنيفة ، وأكثر نصوص الامام أحمد على هذا ، وهذا هو الصواب ، لما ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « يصلون بكم فان أصابوا فلكم ولهم وان اخطؤا فلكم وعليهم » فقد بين صلى الله عليه وسلم ان خطأ الامام لا يتعدى الى المأموم ، ولأن المأموم يعتقد ان ما فعله سائغ له ، وأنه لا اثم عليه فيما فعل فإنه مجتهد ، أو مقلد مجتهد ، وهو يعلم ان هذا قد غفر الله له خطأه ، فهو يعتقد صحة صلاته ، وأنه لا يأتئم اذا لم يعدها ، بل لو حكم حاكم بمثل هذا لم يجز له نقض حكمه ، بل كان يتفذه ؛ واذا كان الامام قد فعل باجتهاده — ولا يكلف الله نفساً الا وسعها — والمأموم قد فعل ما يجب

عليه كانت صلاة كل منهما صحيحة، وكان كل منهما قد أدى ما يجب عليه؛ وقد حصلت موافقة الامام في الافعال الظاهرة .

وقول القائل: «ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام» خطأ منه لأن المأموم يعتقد ان الامام قد فعل ما وجب عليه، وان الله قد غفر له ما اخطأ فيه، وانه لا يبطل صلاته لاجل ذلك؛ ولو اخطأ الامام والمأموم فسلم الامام خطأ واعتقد المأموم جواز متابعتة فسلم كما سلم المسلمون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين سهوا مع علمهم بانه انما صلى ركعتين، وكما لو صلى خمسا سهوا فصلاوا خلفه سهوا مع علمهم بانه صلى خمسا لا اعتقادهم جواز ذلك فانه تصح صلاة المأموم في هذه الحالة، فكيف اذا كان المخطئ هو الامام وحده؟ وقد اتفقوا كلهم على ان الامام لو سلم خطأ لا يبطل صلاة المأموم اذا لم يتابعه، فدل ذلك على أن ما فعله الامام خطأ لا يلزم فيه بطلان صلاة المأموم والله أعلم .

انتهى بلفظه فانظره فانه مطابق ومؤيد لما ذكرته في هذه الرسالة والله الحمد على موافقة من مضى من كبار الأئمة .

وكثيرا ما أختار شيئا الا فأجد من قد سبقني الى اختياره الفحول من الرجال من الأئمة <sup>(١)</sup> أو أستشكل شيئا فأجد استشكله منقولا عن كبار المتقدمين، وكذلك اذا ابدت قولا لم يكن وقف من رأى كلامي على

(١) كلمة « الا » وكلمة « من » قبل الأئمة زائدتان . أي كثيرا ما اختار شيئا فأجد الذين قد سبقوني الى اختياره هم الفحول من الرجال والأئمة . وسبب موافقة المصنف في كثير من المسائل لهؤلاء عدم التمسك للمذهب وحب الانصاف . ولو عني بالتفسير والحديث كما عني بالفقه الحنفي مع زيادة اتقان للعربية لكان مجتهد مستقلا تمام الاستقلال

نقله فيقع منهم موقع الانكار ويحملهم الجهل والتعصب على رده ثم اجده منقولاً بعد ذلك بعينه أو بما يوافقه عن السلف فمن بعدهم من كبار الأئمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، بل ربما فعل أموراً من الأمور العادية فيستغربه الناس ويتعجبون من صدوره مني، وربما عيب علي، بل ربما أنسب به عند بعض الجهال إلى سخافة العقل ثم اجده أو مثله محكياً عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أو عن التابعين أو عن بعض الخلفاء أو السلاطين الكبار المجمع على اصابة فعلهم وجلالتهم، والحمد لله رب العالمين ثم لخص لي تلخيصاً شافياً شافعي زمانه السيد الجليل عمر بن عبد الرحيم البصري المكي رحمه الله تعالى، ومن خطه الكريم نقلت مانصه: « قال الامام الرافي في <sup>(١)</sup> وان كانت صلواته صححية في اعتقاد الامام دون المأموم أو بالعكس، فان كان الاختلاف في الفروع كما اذا مس الحنفي فرجه وصلى، أو ترك الاعتدال أو قرأ غير الفاتحة: ففي صحة اقتداء الشافعي به وجهان (أحدهما) يصح، وبه قال القفال لان خطأه غير مقطوع به (والثاني) - وبه قال الشيخ ابو حامد: لا يصح لفسادها عند المأموم - فأشبهه ما لو اختلف اجتهاد رجلين في القبلة لا يقتدي احدهما بالآخر، وهو اظهر عند الاكثرين انتهى.

قال الامام الزركشي في الخادم ما حاصله: و خلاصة ما رجحه ونقله عن الاكثرين غير مسلم فانما تعرض له طائفة كالبرزنجي والرويانى في الحلية والبنغوي وصاحب الكافي والغزالي في فتاويه، ولم يذكر المسئلة طائفة

(١) يياض في الاصل والذي سقط اسم الكتاب وامله « الشرح الكبير »

لوجيز ولا يبعد ان يكون مما سقط اسم الباب او البحث

كالماوري والدارمي والشيخ في المهذب والتنبيه ، وكلام الشيخ أبي حامد فيها محتمل فانه قال : لو اقتدى به وهو يحتمل الكراهة وعليها جرى الروياني في البحر ، ولم يصح عن القاضي أبي الطيب شيء ، بل حكى عن الدارمي الجواز ، وعن أبي اسحاق المنع ، والقائلون به لم يقفوا للشافعي على نص ، بل قالوا : إنه قياس مذهبه في المختلفين في القبلة والاواني . وهذا ممنوع نقلًا وتوجيهًا . (أما) النقل ، فان المنصوص للشافعي - ما نقله القفال - الصحة ، ومما يشهد للصحة ما حكاه المحاملي في المجموع قال : قال الشافعي رحمه الله تعالى في الامالي : واذا دخل الرجل بلدًا فنوى ان يقيم أربعين يومًا ، وكان يرى جواز القصر حينئذ ، ومعه رجل يعتقد عدم جوازه ، فيكره له ان يقدمه ويصلي خلفه لانه يعتقد ان صلاته المقصورة لا تجوز ، فان قدمه وصلي خلفه جاز لانه محكوم بصحة صلاته في حقه . هكذا حكاه القاضي أبو الطيب عن الامالي .

ولو كانت العبرة باعتقاد المأموم لكان اقتداؤه به باطلا لان عند المأموم ان نية القصر لا تنعقد معها الصلاة . ومع ذلك صحح الشافعي الاقتداء به اعتبارا باعتقاد الامام ، وهذا النص ذكره الامام النووي أيضا في باب صلاة المسافر في شرح المهذب ، ووقع في بعض نسخ شرح المهذب هكذا « والمختار والظاهر قول القفال » فلم تزل الأئمة المختلفون في الفروع يصلي بعضهم خلف بعض ويشهد له تصحيحهم ان الماء الذي توضع منه الحنفي وغيره - ممن لا يرى وجوب النية - مستعمل وان لم ينو على الاصح ، وهذا هو الصواب الذي ينبغي ان تكون الفتوى عليه ، وقد كان الامام الشافعي رحمه الله تعالى يصلي خلف أئمة المدينة ومصر ،



وكانوا لا يسهون ؛ ولم ينقل عنه الامتناع عن الاقتداء بهم ، وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه أتم بمنى مع عثمان رضي الله عنه مع انكاره عليه ذلك ؛ فقليل له في ذلك ، فقال : الخلاف شرفته .

وأما توجيه المانين بقولهم : « ان المأموم يعتقد بطلان صلاة الامام » فردود ؛ فانها مسألة اجتهاد واعتقاد ، والخطأ فيها لا يسوغ كما في غيرها من المسائل الاجتهادية ، كالحكم بصحة حكمه وامتناع تقضه بشرطه وأما قياسهم على المجتهدين في القبلة أو في الاواني فيصرف بان الامام والمأموم فيها يعتقدان فساد صلاة من صلى بطهارة من اداء نجس ، أو صلى الى غير القبلة ، بخلاف المأموم في اقتدائه بتارك الفاتحة فانه لا يعتقد بطلان صلاته مع تركها ، لانه مستند لاجتهاد من جملة عقيدة المأموم التي يدين بها ربه اعتقاد صحته ؛ وبان المجتهد لو بان له في مسئتي الاواني والقبلة ان الامر على خلاف ظنه يقينا لزمته الاعادة ، بخلاف المجتهد في الفروع لو عثر على نص جلي مخالف لاجتهاده السابق ، لالتزمه اعادة ما صلاه بالاجتهاد السابق ؛ وسر ذلك ان الاجتهاد الاول مستند الى امر عادي وقرائن تشير<sup>(١)</sup> الظن اكتفى بها الشارع تخفيفا على الامة ، فان تحقق الخطأ فيها رجع الى الاصل وتبين عدم صلاحيتها لمن ظن بها ، بخلاف الاجتهاد الثاني فانه مستند الى امر شرعي أوجب الشارع عليه اتباعه ، فلم يقع عمله السابق على خلاف حكم الله تبارك وتعالى ؛ وان فرض وصرح النص الثاني المعثور عليه بحيث افاد اليقين أو ما قاربه من

(١) سقط من هنا كلام والمعنى ان الاجتهاد الأول مبني على قرائن ظنية لا هي علم ولا شرع وانما اجازها الشرع للضرورة

(المنار - ج ٦ م ١٧) العوام لامذهب لهم وانتسابهم للمذاهب عصبية ٤٣١

الظن القوي ؛ وأيضاً الاجتهاد الاول يمكن التوصل<sup>(١)</sup> الى القطع بالخطأ  
فيه بخلاف الثاني

ومن اختار ذلك من المتأخرين صاحب الذخائر وأفرد المسئلة  
بتصنيف سماه « بيان المشروع في الاقتداء بالخالفين في الفروع »  
وقال ابن أبي الدم في باب الجنائز من شرح الوسيط : لعل الاصح  
الصحة مطلقا ، واقام الدليل على الجواز من وجوه ، ثم نبه على أمر حسن  
فقال : وهذا الخلاف كله في المجتهدين ، وأما عوام الناس فليسوا  
مقصودين في الخلاف فانهم لامذهب لهم يعولون عليه ، وانما فرضهم  
التقليد عند نزول المنازعة فمن أفتاهم من أهل الفتوى وجب عليهم قبول  
قوله ؛ وانتسابهم الى المذاهب عصبية ، ومعناه ارتضى ان يعمل في عبادته  
وكل احواله بقول امام انتسب اليه ، فهو لاء يصح قدوة كل منهم باي  
امام كان من غير تفصيل .

وتقل عن الامام أحمد بن حنبل : حجه الله تعالى أنه كان يرى  
الوضوء من الدم الكثير فليل له : اذا كان الامام لا يتوضأ من ذلك  
أتصلي خلفه ؟ فقال : سبحان الله تعالى ، أقول إنه لا يصلي خلف سعيد  
ابن المسيب ومالك رضي الله عنهما ؟

وكان القاضي أبو عصام العامري الحنفي مارا في باب مسجد  
القفال والمؤذن يؤذن المغرب فنزل عن دابته ودخل المسجد ، فلما راه  
القفال أمر المؤذن أن يثني في الاقامة ، وقدم القاضي أبا عصام فتقدم وصلى

(١) لعل الاصل « يمكن التوصل به »

وجهر بالبسملة ، وأم بشعار الشافعية في صلاته ، وكان ذلك منهما تهوينا  
لأمر الخلاف في الفروع . وقال القاضي الحسين في تعليقه : والمختار  
أن كل مجتهد مصيب ، إلا أن أحدهم أصاب الحق عند الله والباقيون  
أصابوا الحق عند أنفسهم . وقال ابن السمعاني : قال علماءنا : من أخطأ  
كان مخطئاً للحق عند الله مصيباً في حق عمل نفسه ، حتى إن عمل نفسه  
يقع صحيحاً عند الله شرعاً فإنه أصاب الحق عند الله . وقد حكى الامام  
الشافعي رحمة الله عليه الاجماع على أن كل مجتهد اداه اجتهاده الى امر  
فهو حكم الله تعالى في حقه ولا يشرع له العمل بغيره حينئذ ، فمن صلى  
بحكم اجتهاده فصلاته صحيحة عنده وعند من يخالفه في المسئلة لا اعتقاده  
ان ذلك حكم الله تعالى عنده ، وصلاته صحيحة لا تيانه بها على الوجه  
المأمور به حينئذ ، فكيف يمنع الاقتداء به مع الحكم بصحة صلاته  
في نفسه ؛ انتهى مع تلخيص وتحرير . واقتضى نسخه الى هنا انتهى  
مارأته بخط المذكور دامت افادته ؛ وقد أرسل به الي في ذيل نسخة  
من هذه الرسالة بعد اصرار نظره السعيد عليها ؛ وهذا بحمد الله تعالى  
أيضاً مؤيد لما أشرت اليه ، واعتمدت فيها عليه ، والله الموفق الى الصواب .  
قال جامعها ومؤلفها محمد بن عبد العظيم المكي الحنفي بن المقدسي  
الميروز الملا فروخ بن عبد المحسن الرومي الموروي حفظه الله تعالى في  
نفسه واولاده وجميع نعم الله تعالى عليه ، واحياه حياة طيبة سالمة من  
الاسواء فيما وصل ويصل من منة الله اليه ، بعد ان علم بانته مر عليه  
مطالعة وتصحيحاً وتمة في يوم الجمعة الثانية من شوال سنة ائتتت وخمسين  
والف من الهجرة النبوية ، والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على نبيه كذلك .

## فصل

﴿ الابتداع بالتشدد في الدين . والالتزام ما لم يرد وتبع آثار الصالحين ﴾  
من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي

ثبت بمضمون هذه الفصول المتقدمة آنفا ان الحرج منفي عن الدين  
جملة وتفصيلا ، - وان كانت قد ثبت ايضا في الاصول الفقهية على  
وجه من البرهان ابلغ - فلنبن عليه فنقول :

قد فهم قوم من اصول "السلف الصالح واهل الاتقطاع الى الله من  
ثبتت ولايتهم انهم كانوا يشددون على انفسهم ، ويزامون غيرهم الشدة  
ايضا والالتزام الحرج ، ودينا في سلوك طريق الآخرة . وعدوا من لم  
يدخل تحت هذا الالتزام مقصرا مطرودا ومحروما . وربما فهموا ذلك  
من بعض الاطلاقات الشرعية ، فرشحوا بذلك ما التزموه ، فافضى الأمر  
بهم الى الخروج عن السنة الى البدعة الحقيقية او الاضافية .

فمن ذلك ان يكون للمكاف طريقان في سلوكه للآخرة ، احدهما  
سهل والآخر صعب ، وكلاهما في التوصل الى المطلوب على حد واحد ؛  
فياخذ بعض المتشددين بالطريق الاصعب الذي يشق على المكاف مثله ،  
ويترك الطريق الاسهل بناء على التشديد على النفس ، كالذي يجهد للطهارة  
ماءين سخن وبارد فيتجرى البارد الشاق استعماله ، ويترك الآخر .  
فهذا لم يعط النفس حقها الذي طلبه الشارع منه . وخالف دليل رفع  
الحرج من غير معنى زائد ؛ فالشارع لم يرض بشرعية مثله ، وقد قال تعالى

(١) كلمة « اصول » لا يظهر لها معنى هنا ولعلها محوالة

(ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما) فصار متبعالمهواه ؛ ولا حجة له في قوله عليه السلام « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؛ اسباغ الوضوء عند الكريهات » - الحديث . من حيث كان الاسباغ مع كراهية النفس سببا لمحو الخطايا ورفع الدرجات ، ففيه دليل على ان للانسان ان يسعى في تحصيل هذا الاجر باكراه النفس ، ولا يكون الا بتحري إدخال الكراهية عليها . لانا نقول : لا دليل في الحديث على ما قاتم ، وانما فيه ان الاسباغ مع وجود الكراهية ، ففيه امر زائد ، كالرجل يجرد ماء باردا في زمان الشتاء ولا يجده سخنا فلا يمنع شدة برده عن كمال الاسباغ .

واما القصد الى الكراهية فليس في الحديث ما يقتضيه ، بل في الأدلة المتقدمة ما يدل على انه صرّح عن العباد ، ولو سلم ان الحديث يقتضيه لكانت ادلة رفع الحرج تعارضه ، وهي قطعية وخبر الواحد ظني ، فلا تعارض بينهما للاتفاق على تقديم النطمي . ومثل الحديث قول الله تعالى ( ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة ) - الآية . ومن ذلك الاقتصار من المأكل على اخشنه وافظمه لمجرد التشديد لا لفرض سواء ، فهو من النمط المذكور فوقه ، لان الشرع لم يقصد الى تعذيب النفس في التكليف ؛ وهو ايضا مخالف لقوله عليه السلام « ان لنفسك عليك حقا » وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطيب اذا وجدته ، وكان يحب الحلواء والعسل ، ويمجبه لحم الذراع ، ويستعذب له الماء . فابن التشديد من هذا ؟

ولا يدخل الاستعمال المباح في قوله تعالى ( اذهبتم طياتكم في

حياتكم الدنيا) لان المراد به الاسراف الخارج عن حد المباح ، بدليل ما تقدم . فإذا الاقتصار على البشيع في الأكل من غير عند تنطع ؛ وقد صر ما فيه في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) الآية .

ومن ذلك الاقتصار في اللبس على الخشن من غير ضرورة ، فانه من قبيل التشديد والتنطع المذموم . وفيه ايضا من قصد الشهرة ما فيه . وقد روي عن الربيع بن زياد الحارثي انه قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : أتعد بي علي اخي عاصم . زل : ما باله ؛ ذل : لبس العباء يريد النسك . فقال علي رضي الله عنه : علي به . فأثى به مؤثرا بماء مرتديا بالآخرى ، شعث الرأس والمحية ؛ فعبس في وجهه وقال : ويحك ؛ أما استحييت من أهلك ؛ أما رحمت ولدك ؛ ترى الله أباح لك الطيبات وهو يكره ان تنال منها شيئا ؛ بل انت اهون علي الله من ذلك ؛ اما سمعت الله يقول في كتابه (والارض وضعا للانام - الى قوله - يخرج منهما الأولؤ والمرجان) ؛ أفترى الله أباح هذا لعباده الا ليتذلوه<sup>(١)</sup> ويحمدوا الله عليه فيثيبهم عليه ؛ وان ابتدالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول . قال عاصم : فما بالك في خشونة ما كلك ونخشونة ملابسك ؛ قال : ويحك ؛ ان الله فرض علي أئمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس . فتأملوا كيف لم يطالب الله العباد بترك المذوذات ؛ وانما طالبهم

(١) الابتذال ضد الصون ، وما يستعمل يتنذل ، فالمراد استعمال النعم والطيبات والانففاع بها . ويستعمل الابتذال في لازمه وهو الامتهان والاحتقار ، وليس بمراد هنا .

بالشكر عليها اذا تناولوها ، فالمتحري للامتناع من تناول ما اباحه الله من غير موجب شرعي مفتات على الشارع<sup>(١)</sup> وكل ما جاء عن المتقدمين من الامتناع عن بعض المتناولات من هذه الجهة وانما<sup>(٢)</sup> امتنعوا منه لعارض شرعي يشهد الدليل باعتباره ، كالامتناع من التوسع لضيق الحال في يده ، أو لأن المتناول ذريعة الى ما يكره أو يمنع ، أو لأن في المتناول وجه شبهة تفتن اليه التارك ولم يفتن اليه غيره ممن علم بامتناعه . وقضايا الاحوال لا تمارض الادلة بمجرد ما ، لاحتمالها في نفسها . وهذه المسئلة مذكورة على وجهها في كتاب الموافقات .

ومن ذلك الاقتصار في الافعال والاحوال على ما يخالف محبة النفوس ، وحملها على ذلك في كل شيء من غير استثناء ، فهو مع قبيل التشديد . الا ترى أن الشارع اباح اشياء مما فيه قضاء مهمة النفس وتمتعها واستلذاذها ؟ فلو كانت مخالفتها براءً للشرع ، ولندب الناس الى تركه فلم يكن مباحاً ، بل مندوب التارك او مكروه الفعل .

وايضاً فان الله تعالى وضع في الامور المتناولة ايجاباً او ندباً اشياء من المستلذات الحاماة على تناول تلك الامور ، لتكون تلك الذات كالحادي الى القيام بتلك الامور ، كما جعل في الأوامر اذا امتثلت وفي النواهي اذا اجتنبت اجوراً منتظرة ، ولو شاء لم يفعل ، وجعل في الاوامر اذا تركت والنواهي اذا ارتكبت جزاء على خلاف الاول ، ليكون جميع ذلك منهضاً لعزائم المكافين في الامتثال ، حتى انه وضع لاهل الامتثال

(١) يقال افتأت على فلان افتتاتاً وافتاتاً افتياتاً . اذا تصرف بشيء من شؤونه بدون إذنه ولا رضاه (٢) لعل الاصل « فاما » والجملة خبر قوله « وكل ما جاء عن المتقدمين » ويعد ان يكون خبر المبتدأ قوله « من الجهة »

الثأرين على المباينة<sup>(١)</sup> في انفس التكاليف انواعا من اللذات العاجلة ،  
والانوار الشارحة للصدور ، ما لا يبدله من لذات الدنيا شيء ، حتى يكون  
سببا لاستلذاذ الطاعة والفرار اليها وتفضيلها على غيرها ، فيخف على  
العامل العمل ، حتى يتحمل منه ، ما لم يكن قادرا قبل على تحمله الا بالمشقة  
المنهي عنها ؛ فاذا سقطت سقط النبي .

بل تأملوا كيف وضع للأطعمة على اختلافها لذات مختلفات  
الالوان ، وللأشربة كذلك ، ولأقاع الموضوع سببا لاكتساب الميال .  
وهو أشد تعباً عن النفس - لذة أعلى من لذة المظلم والمشرب ؛ الى غير  
ذلك من الامور الخارجة عن نفس المتناول ، كوضع القبول في الارض  
وترفيع المنازل ، والتقدم على سائر الناس في الامور العظام ؛ وهي ايضا  
تقتضي لذات تستصغر في جنبها لذات الدنيا

واذا كان كذلك ، فإين هذا الموضع الكريم ، من الرب اللطيف  
الخبير ؟ فمن يأتي متعبدا بزعمه بخلاف ماوضع الشارع له من الرفق  
والتيشير والاسباب الموصلة الى محبته ؛ فيأخذ بالاشق والاصعب ،  
ويجعله هو السلم الموصل والطريق الاخص ؛ : هل هذا كله الاغاية  
في الجهالة ، وتلف في تيه الضلالة ؛ عافانا الله من ذلك بفضله .

فاذا سمعتم بحكاية تقتضي تشديدا على هذا السبيل ، أو يظهر منها  
تنطمع أو تكلف ؛ فإما ان يكون صاحبها ممن يعتبر كالسلف الصالح ،  
او من غيرهم ممن لا يعرف ولا ثبت اعتباره عند اهل الحل والعقد من  
العلماء ، فان كان الاول فلا بد أن يكون على خلاف ماظهر لبادي

(١) لعل اصله . السائرين أو المتأخرين على المتأخرة



الرأي - كما تقدم - وان كان الثاني فلا حجة فيه ، وانما الحجة في المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه خمسة في التشديد في سلوك طريق الآخرة يقاس عليها ما سواها .

## فصل

قد يكون اصل العمل مشروعاً ولكنه يصير جارياً مجرى البدعة من باب الذرائع ، ولكن على غير الوجه الذي فرغنا من ذكره . وبيانه ان العمل يكون مندوباً اليه - مثلاً - فيعمل به العامل في خاصة نفسه على وضعه الاول من الندية ؛ فلو اقتصر العامل على هذا المقدار لم يكن به بأس ، ويجري مجراه اذا دام عليه في خاصيته غير مظهر له دائماً ، بل اذا اظهره لم يظهره على حكم الملتزمات من السنن الرواتب والفرائض اللوازم ، فهذا صحيح لا اشكال فيه . واصله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إخفاء النوافل والعمل بها في البيوت ، وقوله « افضل الصلاة صلاتكم في بيوتكم الا المكتوبة » فاقصر في الاظهار على المكتوبات - كما ترى - وان كان ذلك في مسجده عليه السلام او في المسجد الحرام او في مسجد بيت المقدس ؛ حتى قالوا : ان النافلة في البيت افضل منها في احد هذه المساجد الثلاثة بما اقتضاه ظاهر الحديث . وجرى مجرى الفرائض في الاظهار السنن كالمعدين والحسوف والاستسقاء وشبه ذلك ؛ فبقى ما سوى ذلك حكمه الاخفاء ؛ ومن هنا نأبر السلف الصالح رضي الله عنهم على اخفاء الاعمال فيما استطاعوا او خف عليهم اقتداء بالحديث وبفعله عليه السلام ؛ لأنه القدوة والاسوة .

ومع ذلك فلم يثبت فيها اذا عمل بها في البيوت دائماً ان يقام جماعة في المساجد البتة ، ما عدا رمضان - حسبما تقدم - ولا في البيوت دائماً ، وان وقع ذلك في الزمان الاول في الفرط<sup>(١)</sup> كقيام ابن عباس رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما بات عند خالته ميمونة ، وما ثبت من قوله عليه السلام « قوموا فلأصلي لكم » وما في الموطأ من صلاة يرفأ<sup>(٢)</sup> مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الضحى ، فن فعله في بيته وقتاً ما فلا حرج ، ونص العلماء على جواز ذلك بهذا التقييد المذكور ، وان كان الجواز قد وقع في المدونة مطلقاً - فما ذكره تقييده ، واظن ابن حبيب نقل<sup>(٣)</sup> عن مالك مقيداً ، فاذا اجتمع في النافلة أن تلتزم التزام السنن الرواتب إما دائماً وإما في اوقات معدودة وعلى وجه محدود ، واقامت في الجماعة في المساجد التي تقام فيها الفرائض ، او المواضع التي تقام فيها السنن الرواتب ، فذلك اتباع<sup>(٤)</sup> . والدليل عليه انه لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه ولا عن التابعين لهم باحسان فعل هذا المجموع هكذا مجموعاً ، وان أتى مطلقاً من غير تلك التقييدات . فالتقييد في المطلقات التي لم يثبت بدليل الشرع تقييدها رأي في التشريع ، فكيف اذا عارضه الدليل ، وهو الاصر باختفاء النوافل مثلاً ؟

(١) كذا ولا يظهر لهذه الكلمة هنا معنى . والمثل الذي ذكره ثابت في الصحيح هو ان ابن عباس أراد ان يعرف صلاة النبي (ص) في الليل فبات عند خالته ميمونة في ليبتها ، فلما قام النبي (ص) من الليل قام معه واقتدى به فصلى إحدى عشرة ركعة فهي قيامه ووتره (٢) كذا في الاصل (٣) لعله « نقله » أو نقل ذلك (٤) كذا . وصوابه « ابتداء » اذ لا تنبج تسميته اتباعاً الا بمحل بعيد

ووجه دخول الابتداع هنا ان كل ما واظب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوافل واظهره في الجماعات فهو سنة ، فالعمل بالنافلة التي ليست بسنة على طريق العمل بالسنة ، إخراج للنافلة عن مكانها المخصوص بها شرعاً . ثم يلزم من ذلك اعتقاد العوام فيها ومن لا علم عنده انها سنة . وهذا فساد عظيم ، لأن اعتقاد ما ليس بسنة والعمل بها على حد العمل بالسنة نحو من تبديل الشريعة ، كما لو اعتقد في الفرض انه ليس بفرض ، او بما ليس بفرض انه فرض ، ثم عمل على وفق اعتقاده فانه فاسد ، فهب العمل في الاصل صحيحاً فخرجه عن بابه اعتقاداً وعملاً من باب إفساد الاحكام الشرعية . ومن هنا ظهر عذر السلف الصالح في تركهم سننا قصداً لئلا يعتقد الجاهل أنها من الفرائض كالاضحية وغيرها . - كما تقدم ذلك -

ولأجله ايضاً نهى اكثرهم على اتباع الآثار ، كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرها عن معروز بن سيدي الاسدي قال : وافيت الموسم مع امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه ، فلما صلى لنا صلاة الغداة قرأ فيها ( ألم تر كيف فعل ربك ) و ( لا يلاف قريش ) ثم رأى ناساً يذهبون مذهباً ، فقال : اين يذهب هؤلاء ؟ قالوا يأتون مسجداً هاهنا على فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : انما هلك من كان قبلكم بهذا ، يتبعون آثار انبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً ، من ادركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصل فيها والا فلا يتعمدها .  
وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس

يقول : أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة .

قال ابن وضاح : وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك الآثار للنبي صلى الله عليه وسلم ما عدا قباه وحده . وقال - وسمعتهم يذكرون ان سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها ، وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدى به ، وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان - قال ابن وضاح - فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى : كم من امر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى ؟

وقد كان مالك يكره كل بدعة وان كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لئلا يتخذ سنة ما ليس بسنة ، أو يعد مشروعا ما ليس معروفا . وقد كان مالك يكره المجيء الى بيت المقدس خيفة ان يتخذ ذلك سنة ، وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباه خوفا من ذلك ، مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه . ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه .

وقال ابن كنانة واشهب : سمعنا مالكا يقول : لما اتاه سعد ابن ابي وقاص قال : وددت ان رجلي تكسرت وأني لم أفعل .

وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : اثبت ما في ذلك

عندنا قباء ، إلا ان مالكا كان يكره مجيئها خوفا ان يتخذ سنة .  
وقال سعيد بن حساف : كنت اقرأ على ابن نافع ، فلما مررت  
بحديث التوسعة ليلة عاشوراء قال لي : حرق عليه <sup>(١)</sup> قلت : ولم ذلك  
يا ابا محمد ؟ قال خوفا من ان يتخذ سنة .

فهذه امور جائزة او مندوب اليها ، ولكنهم كرهوا فعلها خوفا من  
البدعة ؛ لان اتخاذها سنة انما هو بأن يواظب الناس عليها مظهرين لها ؛  
وهذا شأن السنة ، واذا جرت مجرى السنن صارت من البدع بلا شك .  
فان قيل : كيف صارت هذه الاشياء من البدع الاضافية ؛ والظاهر  
منها انها بدع حقيقية ، لأن تلك الاشياء اذا عمل بها على اعتقاد انها سنة  
فهي حقيقية ، اذ لم يضعها صاحب السنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
على هذا لم توجه <sup>(٢)</sup> فصارت مثل ما اذا صلى الظهر على انها غير واجبة  
واعتمدها عبادة فانها بدعة من غير اشكال ؛ هذا اذا نظرنا اليها بما لها ،  
واذا نظرنا اليها أولا فهي مشروعة من غير نسبة الى بدعة اصلا .

فالجواب ان السؤال صحيح ، الا ان لوضعها اولا نظرين (احدهما)  
من حيث هي مشروعة فلا كلام فيها . و ( الثاني ) من حيث صارت  
كالسبب الموضوع لاعتقاد البدعة ، أو للعمل بها على غير السنة ، فهي من

(١) لعلها حوق بالواو . يقال حوق عليه الكلام اذا خلطه وأفسده عليه بحيث  
لا يفهم ، او لا يقرأ اذا كان مكتوبا . وهو من الخواقة اي الكناسة التي يختلط  
بها ما يكتسب بعضه ببعض . يقال حاق الدار بالخواقة : كفسها . ومما حفظته من  
صبيان المكتب اذ كنا نتعلم الخط « حوق » عليه أي السطر ( مثلا ) أي رجه  
او جعل حوله خطا ليعلم انه غير مقصود . وهو استعمال عربي . وأما حرق عليه بالراء  
فلا يظهر له معنى هنا الا اذا كانوا استعملوا التحريق بمعنى برد المعدن بالمبرد في حك  
الحروف المكتوبة بجزاة القلم ولم أره (٢) لعله « على هذا الوجه »

هذا<sup>(١)</sup> غير مشروعة ؛ لأن وضع الاسباب للشارع لا للمكلف ، والشارع لم يضع الصلاة في مسجد قباء أو بيت المقدس — مثلا — سببا لان تتخذ سنة ؛ فوضع المكلف لها كذلك رأي غير مستند الى الشرع ، فكان ابتداعا .

وهذا معنى كونها بدعة اضافية . أما اذا استقر السبب وظهر عنه مسببه الذي هو اعتقاد العمل سنة والعمل على وفقه ، فذلك بدعة حقيقية لا اضافية ؛ ولهذا الاصل أمثلة كثيرة وقعت الاشارة اليها في أثناء الكلام ، فلا معنى للتكرار .

وإذا ثبت في الامور المشروعة أنها قد تعد بدعا بالاضافة ، فما ظنك بالبدع الحقيقية ؛ فانها قد تجتمع فيها ان تكون حقيقية واطرافها ، ما ، لكن من جهتين ؛ فاذا بدعة « اصبح والله الحمد » في نداء الصبح ظاهرة . ثم لما عمل بها في المساجد والجماعات مواظبا عليها لا ترك كما لا ترك الواجبات وما اشبهها ، كان تشريعا او لا يلزمه ان يعتقد فيها الوجوب او السنة ، وهذا ابتداع ثان اضافي ؛ ثم اذا اعتقد فيها ثانيا السنة او الفرضية صارت بدعة من ثلاثة اوجه . ومثله يلزم في كل بدعة اظهرت والترمت ، واما اذا خفيت واختص بها صاحبها فالامر عليه اخف ؛ فيا لله ويا للمسلمين ؛ ما ذا يجني المبتدع على نفسه مما لا يكون في حسابه ؛ وقانا الله شرور انفسنا بفضله .

(١) لعل الاصل « من هذا القبيل » أو « من هذا الوجه » وكتب في الاصل « فهي من هذه البدعة غير شرعية » ووضع فوق كلمة « البدعة » علامة الترميح

## فصل

من تمام ما قبله

وذلك انه وقعت نازلة : أمام مسجد ترك ما عليه الناس بالاندلس من الدعاء للناس بأثار الصلوات بالهيئة الاجتماعية على الدوام - وهو ايضا معهود في اكثر البلاد ، فان الامام اذا سلم من الصلاة يدعو للناس ويؤمن الحاضرون - وزعم التارك ان تركه بناء منه على انه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا فعل الأئمة بعده ، حسبما نقله العلماء في دواوينهم عن السلف والفقهاء . أما انه لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهر ، لان حاله عليه السلام في ادبار الصلوات مكتوبات او نوافل - كانت بين امرين : إما ان يذكر الله تعالى ذكرا هو في العرف غير دعاء ، فليس للجماعة منه حظ ، الا ان يقولوا مثل قوله او نحو من قوله كما في غير ادبار الصلوات ، كما جاء انه كان يقول في دبر كل صلاة « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وقوله « اللهم انت السلام ومنك السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » وقوله « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » الآية ، ونحو ذلك . فانما كان يقوله في خاصة نفسه كسائر الاذكار ، فمن قال مثل قوله فحسن ؛ ولا يمكن في هذا كله هيئة اجتماع .

وان كان دعاء فعامة ما جاء من دعائه عليه السلام بعد الصلاة مما سمع منه انما كان يخص به نفسه دون الحاضرين ، كما في الترمذي عن

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة المكتوبة رفع يديه - الحديث الى قوله : ويقول عند انصرافه من الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ، انت إلهي لا إله الا انت » حسن صحيح . وفي رواية ابي داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني ، انت المقدم وانت المؤخر لا إله الا انت » .

وخرج ابو داود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك ، اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة ، اللهم ربنا ورب كل شيء اجعاني مخلصالك واهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة ، يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب ، الله اكبر الله اكبر ، الله نور السموات والارض ، الله اكبر الله اكبر ، حسبي الله ونعم الوكيل » .  
ولأبي داود في رواية<sup>(١)</sup> « رب اعني ولا تعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وأمكن لي ولا تمنكن علي ، واهدني ويسر هداي الي ، وانصرني علي من بنى علي » - الى آخر الحديث .

وفي النسائي انه عليه السلام كان يقول في دبر الفجر اذا صلى « اللهم اني اسألك علماً نافعا ، وعملاً مقبلاً ، ورزقاً طيباً » . وعن بعض الانصار قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر الصلاة « اللهم اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور » حتى يبلغ مائة مرة .

(١) حذف لفظ رواية من نسختنا



وفي رواية ان هذه الصلاة كانت صلاة الضحى .  
 فتأملوا سياق هذه الأدعية كلها مساق تخصيص نفسه بها دون الناس !  
 فيكون مثل هذا حجة لفعل الناس اليوم ؟ الا ان يقال : قد جاء الدعاء  
 للناس في مواطن ، كما في الخطبة التي استسقى فيها ، ونحو ذلك . فيقال :  
 نعم ، فإين التزم ذلك جهراً للحاضرين في دبر كل صلاة ؟  
 ثم نقول : ان العلماء يقولون في مثل الدعاء والذكر الوارد على اثر  
 الصلاة : انه مستحب لا سنة ولا واجب . وهو دليل على امرين (احدهما)  
 ان هذه الادعية لم تكن منه عليه السلام على الدوام . (والثاني) انه لم  
 يكن يجهر بها دائماً ولا يظهرها للناس في غير مواطن التعليم ؛ اذ لو كانت  
 على الدوام وعلى الاظهار لكانت سنة ، ولم يسمع العلماء ان يقولوا فيها بغير  
 السنة ؛ اذ خاصيته - حسباً ذكره - الدوام والاظهار في مجامع  
 الناس . ولا يقال : لو كان دعاؤه عليه السلام سرا لم يؤخذ عنه . لانا نقول :  
 من كانت عادته الاسرار فلا بد أن يظهر منه ، او يظهر منه ولو مرة ، اما <sup>(١)</sup>  
 بحكم العادة بقصد التنبيه على التشريع .

فان قيل : ظواهر الاحاديث تدل على الدوام بقول الرواة « كان  
 يفعل » فانه يدل على الدوام كقولهم « كان حاتم يكرم الضيفان » .  
 قلنا : ليس كذلك ، بل يطلق على الدوام وعلى الكثير والتكرار على  
 الجملة ، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان اذا  
 أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة . وروت أيضاً انه كان

(١) يظهر ان في العبارة تحريفاً وحذفاً . ولعل الاصل « فلا بد ان يظهر منه  
 إما بحكم العادة وإما بقصد التنبيه على التشريع »

عليه السلام ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء ، بل قد يأتي في بعض الاحاديث « كان يفعل فيما لم يفعله الاصره واحده » نص عليه اهل الحديث .  
ولو كان يداوم <sup>(١)</sup> المداومة التامة للحق بالسنن كالوتر وغيره ؛  
ولو سلم : فإين هيئة الاجتماع ؟

فقد حصل ان الدعاء بهيئة الاجتماع وانما لم يكن من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما لم يكن من قوله ولا إقراره .

وروي البخاري من حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يمكث اذا سلم يسيرا . قال ابن شهاب : حتى ينصرف الناس فيما نرى .  
وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها : كان اذا سلم لم يقعد الا مقدار ما يقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام . تباركت يا ذا الجلال والاكرام » .  
واما فعل الأئمة بعده فقد نقل الفقهاء من حديث أنس في غير

كتب الصحيح : صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اذا سلم يقوم . وصليت خلف ابي بكر رضي الله عنه فكان اذا سلم وثب كأنه على رشفة ( يعني الحجر المحمي ) وتقل ابن يونس الصقلي عن ابن وهب عن خارجة انه كان يميب على الأئمة فعودهم بعد السلام ، وقال : انما كانت الأئمة ساعة تسلم تقوم . وقال ابن عمر : جلوسه بدعة . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لأن يجلس على الرشف خير له من ذلك . وقال مالك في المدونة : اذا سلم فليتم ولا يقعد الا ان يكون في سفر او في فناءه .

(١) اي على ما ذكر من الادعية والاذكار . ويوشك ان يكون قد سقط من النسخ ما يدل على ذلك . والمداومة والاجتماع لا تكون الا لشعائر الدين وانما ثبت الشعائر بمثل الرسول

وعدّ الفقهاء اسراع القيام ساعة يسلم من فضائل الصلاة، ووجهوا ذلك بأن جلوسه هناك يدخل عليه فيه كبر وترفع على الجماعة، وانفراده بموضع عنهم يرى به الداخلة انه امامهم؛ واما انفراده به حال الصلاة فضروري. قل بعض شيوخنا الذين استفدنا منهم: واذا كان هذا في انفراده في الموضع، فكيف بما انضاف اليه من تقدمه امامهم في التوسل به بالدعاء والرغبة وتأمينهم على دعائه جهراً؟ - قل - ولو كان هذا حسناً لفعله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم، ولم ينقل أحد من العلماء مع تواترهم على نقل جميع أموره، حتى: هل كان ينصرف من الصلاة عن اليمين أو عن الشمال؟ .

وقد نقل ابن بطال عن علماء السلف انكار ذلك والتشديد فيه على من فعله بما فيه كفاية .

هذا ما نقله الشيخ بعد أن جعل الدعاء باثر الصلاة بهيئة الاجتماع دائماً بدعة قبيحة، واستدل على عدم ذلك في الزمان الاول، بسرعة القيام والانصراف لأنه مناف للدعاء لهم وتأمينهم على دعائه، بخلاف الذكر ودعاء الانسان لنفسه، فان الانصراف وذهاب الانسان لحاجته غير مناف لهما. فبلغت الكاثبة بعض شيوخ العصر فردى على ذلك الامام رداً اصرع فيه على خلاف ما عليه الراسخون، وبلغ من الرد على زعمه - الى أقصى غاية ما قدر عليه، واستدل بامور اذا تأملها الفطن عرف ما فيها، كالامر بالدعاء إثر الصلاة قرآناً وسنة، وهو - كما تقدم - لا دليل فيه، ثم ضم الى ذلك جواز الدعاء بهيئة الاجتماع في الجملة الا في ادبار الصلوات، ولا دليل فيه أيضاً - كما تقدم - لاختلاف المتأصلين .

وأما في التفصيل فزعم انه مازال معمولاً به في جميع اقطار الارض أو في جلها من الأئمة في مساجد الجماعات من غير نكير الا نكير ابي عبد الله ، ثم اخذ في ذمه . وهذا النقل تهور بلا شك ؛ لانه نقل إجماع يجب على الناظر فيه والمحتج به قبل التزام عهدته ان يبحث عنه بحث اصل عن الاجماع ، لأنه لا بد من النقل عن جميع المجتهدين من هذه الأمة من اول زمان الصحابة رضي الله عنهم الى الآن . هذا أمر مقطوع به . ولا خلاف انه لا اعتبار باجماع العوام وان ادعوا الامامة .

وقوله «من غير نكير» تجوز ، بل مازال الانكار عليهم من الأئمة ؛ فقد نقل الطرطوشي عن مالك في ذلك اشياء تخدم المسئلة ، فحصل انكار مالك لها في زمانه ، وانكار الامام الطرطوشي في زمانه ، واتبع هذا اصحابه وهذا اصحابه ؛

ثم القرافي قد عدّ ذلك من البدع المكروهة على مذهب مالك ، وسلمه ولم ينكره عليه أهل زمانه - فيما نعلمه - مع زعمه ان من البدع ما هو حسن ؛

ثم الشيوخ الذين كانوا بالاندلس حين دخلتها هذه البدعة - حسبما يذكر بحول الله - قد انكروها ، وكان من معتقدهم في ذلك أنه مذهب مالك . وكان الزاهد ابو عبد الله بن مجاهد وتلميذه ابو عمران الميرتلي رحمهما الله ملتزمين لتركها ، حتى اتفق للشيخ ابي عبد الله في ذلك ما سنده ان شاء الله .

قال بعض شيوخنا راداً على بعض من نصر هذا العمل : فاننا قد

شاهدنا العمل الأئمة<sup>(١)</sup> الفقهاء الصلحاء المتبعين للسنة المتحفظين بامور دينهم يفعلون ذلك ائمة ومأمومين ، ولم ير من ترك ذلك الا من شذ في احواله . - فقال - وأما احتجاج منكر ذلك بان هذا لم يزل الناس يفعلونه فلم يأت بشيء ؛ لأن الناس الذين يقتدى بهم ثبت انهم لم يكونوا يفعلونه . قال - ولما كانت البدع والمخالفات وتواطأ الناس عليها صار الجاهل يقول : لو كان هذا منكر لما فعله الناس . ثم حكى اثر الموطأ « ما اعرف شيئاً مما ادركت عليه الناس الا النداء بالصلاة » - قال - فاذا كان هذا في عهد التابعين يقول : كثرت الاحداث فكيف بزماننا ؛ ثم هذا الاجماع لو ثبت لزم منه محذور ، لأنه مخالف لما نقل عن الأولين من تركه ؛ فصار نسخ اجماع باجماع ، وهذا محال في الاصول .

وأيضاً فلا تكون مخالفة المتأخرين لاجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة ابدأ ؛ فما شبه هذه المسئلة بما حكى عن ابي علي بشاذان<sup>(٢)</sup> بسند يرفعه الى ابي عبد الله ابن اسحاق الجعفري ، قال : كان عبد الله بن الحسن - يعني ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم - يكثر الجلوس الى ربيعة ، فتذاكروا يوماً ، فقال رجل كان في المجلس : ليس العمل هذا<sup>(٣)</sup> فقال عبد الله : رأيت ان كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكم ، أفهم الحججة على السنة ؛ فقال ربيعة : اشهد ان هذا كلام ابناء الانبياء . انتهى .

(١) لعله « من الأئمة » (٢) شاذان لقب رجلين من رواة الحديث احدهما الاسود بن عامر أبو عبد الرحمن الشامي نزيل بغداد مات سنة ٢٠٨ وثنانيهما عبد العزيز بن عثمان بن جبلة مات سنة ٢٢١ وظاهر ان في عبارة نسختنا تحريفها (٣) لعل الاصل « ليس العمل على هذا » أي الذي تقولونه

الا اني اقول : ارأيت ان كثير المقلدون ثم أحدثوا بأرائهم فحكموا بها ، افهم الحجة على السنة ولا كرامة ؟

ثم عضد ما ادعاء باشياء من جملتها « قوله » : ومن امثال الناس « أخطى مع الناس ولا تصب وحدثك » أي ان خطأهم هو الصواب ، وصوابك هو الخطأ . - قال - ومعنى ما جاء في حديث « عليك بالجماعة فانما يأكل القاصية » <sup>(١)</sup> فجعل تارك الدعاء على الكيفية المذكورة مخالفا للاجماع - كما ترى - وحض على اتباع الناس وترك المخالفة لقوله عليه السلام « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » وكل ذلك مبني على الاجماع الذي ذكروا <sup>(٢)</sup> ان الجماعة هم جماعة الناس كيف كانوا . وسيأتي معنى الجماعة المذكورة في حديث الفرق ، وانها المتبعة للسنة وان كانت رجلا واحدا في العالم . قال بعض الحنابلة : لا تبعأ بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهويل ، أو بدعوى ان لا خلاف في ذلك . وقائل ذلك لا يعلم احدا قال فيها بالصحة فضلا عن نفي الخلاف فيها ، وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يقدر المخالف <sup>(٣)</sup> - قال - وفي مثل هذه المسائل قال الامام أحمد بن حنبل : من ادعى الاجماع فهو كاذب وانما هذه دعوى كثير وابن عليه يريدون ان يبطلوا السنن بذلك . يعني أحمد ان المتكلمين في الفقه على أهل البدع اذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا : هذا خلاف الاجماع . وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه الا عن

(١) لفظ الحديث « ... فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (٣) كذا في نسختنا ، والظاهر ان النسخ قد استعمل كلاما من هذا الموضوع واقل ما يفهم به الكلام ان يقال « وان الجماعة » الخ (٣) كذا في نسختنا ، ولعله : لا يعذر المخالف بجهله

بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة - مثلاً - فيدعون الاجماع من قلة معرفتهم باقاويل العلماء، واجترأهم على رد السنن والآراء، حتى كان بعضهم تسرد عليه الاحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الاحكام فلا يجد لها معتصماً الا ان يقول: هذا لم يقل به احد من العلماء، وهو لا يعرف الاً بأحيفة أو مالكا، لم يقولوا بذلك، ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قل بذلك خلقاً كثيراً.

ففي هذا الكلام ارشاد لمعنى ما نحن فيه، وانه لا ينبغي ان ينقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم الاً بعد تحققه والتثبت، لانه مخبر عن حكم الله، فياكم والتساهل فانه مظنة الخروج عن الطريق الواضح الى البنيات. ثم عدّ من المفاسد في مخالفة الجمهور انه يرميهم بالتجهيل والتضليل، وهذا دعوى من خالفه فيما قال، وعلى تسليمها، فليست بمفسدة على فرض اتباع السنة، وقد جاء عن السلف الحض على العمل بالحق، وعدم الاستيحاش من قلة أهله.

وأيضاً فمن شنع على المبتدع بلفظ الابتداع فاطلق العبادة بالنسبة الى المجتمعين يوم عرفة بعد العصر للدعاء في غير عرفة - الى نظائرها - فتشنيعه حق كما يقوله بالنسبة الى بشر المريسي ومعبد الجهني وفلان وفلان، ولا يدخل بذلك - ان شاء الله - في حديث « من قال: هلك الناس - فهو أهلكهم » لان المراد ان يقول ذلك ترفعا على الناس واستحقاراً، واما ان قاله تحزنا وتحسراً فلا بأس. قال بعضهم: ونحن نرجو ان نخرج على ذلك - ان شاء الله - فالاستدلال به ليس على وجهه.

وعدّ من المفاسد الخوف من فساد نيته بما يدخل عليه من العجب

(المنار-ج ١٧م ١٦) ترك السنة المهجورة خوف الرمي بالبدعة وإدارة العامة ٥٢٣

والشهرة المنهي عنها ، فكانه يقول : أترك اتباع السنة في زمان الغربية خوف الشهرة ودخول المعجب . وهذا شديد من القول وهو معارض بمثله ؛ فإن انتصابه لا يكون داعيا للناس بأثر صلواتهم وإنما مظنة لفساد نيته بما يدخل عليه من المعجب والشهرة ؛ وهو تعليل القرافي ، وهو أولى في طريق الاتباع ، فصار تركه للدعاء لهم مقرونا بالافتداء ، بخلاف الداعي فإنه في غير طريق من تقدم ؛ فهو أقرب إلى فساد النية .

وعد منها ما يظن به من القول برأي أهل البدع القائلين بأن الدعاء غير نافع ؛ وهذا كالذي قبله لأنه يقول للناس : أتركوا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في ترك الدعاء بهيئة الاجتماع بعد الصلوات لئلا يظن بك <sup>(١)</sup> الابتداع . وهذا كما ترى .

قال ابن العربي : ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند رفع الرأس منه ، وهو مذهب مالك والشافعي ، وتفعله الشيعة - قال - فحضر عندي يوما في محرس أبي الشعراء بالثغر موضع تدريسي عند صلاة الظهر ، ودخل المسجد من المحرس المذكور ، فتقدم إلى الصف الأول وأنا في مؤخره على طاقت البحر ، أتسم الريح من شدة الحر ، ومعني في صف واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده في نفر من أصحابه ينتظر الصلاة ، ويتطامع على صراكب المنار ؛ فلما رفع الشيخ الفهري يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه ، قل أبو ثمنة وأصحابه : الأترى إلى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا ؛ قوموا إليه فاقتلوه وارموا به في البحر فلا

(١) المناسب لقوله « أتركوا » أن يقول هنا « بكم » ويعبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى فيقال : ابتدعوا بالفعل لئلا يظن باطلا أنكم ابتدعتم . أو أتركوا السنة بالفعل ، لئلا تتهموا بتركها بسوء الظن



يراكم احد . فطار قاي من بين جوانحي ، وقلت : سبحان الله ! - هذا الطرطوشي فقيهه وقت . فقالوا لي : ولم يرفع يديه ؛ فقلت كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه ، وجعلت أسكنهم واسكنهم حتى فرغ من صلواته ، وقتت معه الى المسكن من المحرس ؛ ورأى تغير وجهي فانكره ، وسألني فأعلمته فضحك ، وقال : من اين لي ان اقتل على سنة ؛ فقلت له : ويحل لك هذا ؛ فانك بين قوم ان قتت بها قاموا عليك ، وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ في غيره . فتأملوا في هذه القصة ففيها الشفاء ، اذا لا مفسدة في الدنيا توازي مفسدة امانة النفس ، وقد حصلت النسبة الى البدعة ، ولكن الطرطوشي رحمه الله يرى ذلك شيئاً <sup>(١)</sup> فكلامه للتابع <sup>(٢)</sup> اولى من كلام هذا الراد ، اذ ينها في العلم ما ينها .

وأيضاً فلو اعتبر ما قال لزم اعتباره بمثله في كل من انكر الدعاء بهيئة الاجتماع يوم عرفة في غير عرفة ، ومنهم نافع مولى ابن عمر ومالك والليث وعطلة وغيرهم من السلف ؛ ولما كان ذلك غير لازم فسألنا كذلك ثم ختم هذا الاستدلال الاجماعي بقوله وقد اجتمع أئمة الاسلام في مساجد الجماعات في هذه الاعصار في جميع الاقطار على الدعاء اذ بار الصلاة ، فيشبه ان يدخل ذلك مدخل حجة اجماعية عصرية فان اراد الدعاء على هيئة الاجتماع دائماً لا يترك كما يفعل بالسنن - وهي مسألنا المفروضة - فقد تقدم ما فيه . ( انتهى الفصل والبحث طويل )

(١) كذا في نسختنا ، والسياق يقتضي النفي أي كان لا يرى ذلك شيئاً - والظاهر ان تكون العبارة : لم يرد ذلك شيئاً . (٢) لعله بالتابع

## ﴿ حظر الشحاذة والسؤال والذل لغير الله ﴾

فصل من فصول كتاب ( مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ) للإمام المحقق ابن القيم . ذكره في بحث منزلة الرضاء بالله ومن الله ، فخر المسألة به تحريرا كعادته ، قال أجزل الله ثوابه :

(فصل) والمسئلة في الأصل حرام ، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة ، لأنها ظلم في حق الربوبية وظلم في حق المسئول ، وظلم في حق السائل

( أما الاول ) فإنه بذل سؤاله وفقره وذلّه واستعطاءه لغير الله ، وذلك نوع عبودية ، فوضع المسئلة في غير موضعها وانزلها بغير أهلها ، وظلم توحيدده وخلاصه وفقره الى الله وتوكله عليه ورضاه بقسمه ، واستغنى بسؤال الناس عن مسئلة رب الناس ، وذلك كله يهضم من التوحيد ويطفى نوره ويضعف قوته

( وأما ظلمه ) المسئول فإنه سأله ما ليس له عنده ، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه ، وعرضه لشقة البذل أولوم المنع ، فإن اعطاه اعطاه على كراهة ، وإن منعه منعه على استحياء وانغاض . هذا اذا سأله ما ليس عليه ، وأما اذا سأله حقا هو له عنده ، لم يدخل في ذلك ، ولم يظلمه بسؤاله .

( وأما ظلمه لنفسه ) فإنه أراق ماء وجهه ، وذل لغير خالقه ، وأنزل نفسه ادنى المنزلاتين ، ورضي لها بأبخس الخالين ، ورضي باسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وراحة قناعته ، وباع صبره ورضاه وتوكله وقنعه بما قسم له واستغناءه عن الناس بسؤالهم ، وهذا عين ظلمه لنفسه ، إذ وضعها في غير موضعها ، وأخل شرفها ، ووضع قدرها ، وأذهب عزها ، وصغرها وحقرها ، ورضي أن تكون نفسه تحت نفس المسئول ، ويده تحت يده ، وأولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع . وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في

وجهه مزعة لحم « وفي صحيح مسلم عن ( ١ ) أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل الناس أموالهم تكثرا ، فإنما يسأل جمرا ، فليستقل أو ليستكثر » وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحطب على ظهره خيرا له من ان يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه » وفي صحيح مسلم عنه أيضا قول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ، ويستغني به عن الناس ، خيرا له من ان يسأل رجلا ، أعطاه أو منعه ذلك فمن (٢) اليد العليا خير (٣) من اليد السفلى وابدأ بمن تعول - زاد الامام أحمد - ولأن يأخذ ترابا فيجعله في فيه خيرا له من ان يجمل في فيه ما حرم الله عليه » وفي صحيح البخاري عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها (٤) وجهه ، خيرا له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعه » وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا من الانصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم ، ثم سألوه فاعطاهم . حتى نفد ما عنده ، فقال لهم حين انفق كل شيء بيده « ما يكون عندي من خير فان ادخره عنكم ، ومن يستغنى (٥) بعنه الله ، ومن يستغن بعنه الله ، ومن يتصبر بصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وعن عبد الله بن عمر (٦) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتمنغ عن المسئلة (٧) « اليد العليا خير من اليد السفلى ، فاليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة » رواه البخاري ومسلم .

(١) في الحجازية « عنه أيضا » وهو الحديث الآتي « لان يغدو أحدكم » الخ  
 حذفت منها حديثان ( ٢ ) في نسختنا والبندادية « بان » وفي الحجازية « فان »  
 (٣) في البندادية « افضل » ( ٤ ) حذفت من الحجازية اسم الجلالة ( ٥ ) في غير الحجازية « يستغنى » ( ٦ ) وفي غيرها « ابن عامر » وهو غلط ( ٧ ) وفي غيرها « والمسألة »

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سأله فأعطاني ثم قال « يا حكيم ! ان هذا المال خضيرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف (١) نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم فقلت : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا . وكان ابو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا الى العطاء فيأبى ان يقبله منه ، ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى ان يقبل منه شيئا ، فقال عمر : ابي اشهدكم يا مئسر المسلمين على حكيم أني اعرض عليه حقه من هذا الفداء ، فيأبى ان يأخذه . فلم يرزأ حكيم احدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي . متفق على صحته .

وعن الشعبي قال حدثني كاتب المغيرة بن شعبة ، قال كتب معاوية الى المغيرة ابن شعبة ان اكتب الي شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله كره لكم ثلاثا . قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » رواه البخاري ومسلم . وعن معاوية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تاحفوا في المسئلة ، فوالله لا يسألني احد منكم شيئا فتخرج له مسأله مني شيئا وانا له كاره فيبارك له فيما اعطيته » - وفي لفظ - انما انا خازن ، فمن اعطيته عن طيب نفس يبارك له فيه ، ومن اعطيته عن مسئلة وشراء كان كالذي يأكل ولا يشبع » رواه مسلم .

وعن ابي مسلم الخولاني قال حدثني الحبيب الامين - اما هو فحبيب الي واما هو عندي فأمين - عوف ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تسعة او ثمانية او سبعة فقال « ألا تباعون رسول الله ؟ » صلى الله عليه وسلم - وكنا حديث عهد ببيعة - قلنا قد بايعناك يا رسول الله . قال « ألا تباعون رسول الله ؟ » قلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال . - الا

( ١ ) في البغدادية « بإشراف » والرواية بالجمع . ومعنى الأشراف التطلع

الى الشيء بحرص

تبايعون رسول الله؟ - قال فبس. طنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلى م نبايعك؟ - قال . أنت تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات (١) الخمس وتطيّبوا الله - واسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً « فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه . رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان المسئلة كد يكذب بها الرجل وجهه الا أن يسأل الرجل سلطانا او في امر لا بد منه » رواه الترمذي وقال . حديث حسن صحيح .

وفي مسند الامام احمد عن زيد بن عقبة الفزاري ، قال دخلت على الحجاج ابن يوسف الثقفي فقلت : أصلح الله الأمير ، ألا أحدثك حديثا سمعته من سمرة ابن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى ، قال سمعته يقول « المسائل كد يكذب بها الرجل وجهه ، فمن شاء ابقى على وجهه ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل رجل ذا سلطان ، او يسأل في امر لا بد منه »

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يتقبل لي بواحدة اتقبل ( ٢ ) له بالجنة - قلت انا . قال - لا تسأل الناس شيئاً « فكان ثوبان يقيم سوطه وهو راكب فلا يقول لاحد ناولنيه ، حتى ينزل هو فيتناوله . رواه الامام احمد واهل السنن . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن انزلها بالله اوشك الله له بالنعى ، اما بموت عاجل او غنى عاجل » رواه ابوداود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح (٣)

وعن سهل بن الحنظلية قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عينته بن حصن والاقرع بن حابس فسألاه فامر لها بما سألا ، وأمر معاوية فكتب لهم بما سألا ، فأما الاقرع فأخذ كتابه فلفه في عمامته وانطلق ، واما عينته فأخذ كتابه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه ، فقال : يا محمد أراني حاملها الى قومي كتابا .

(١) في البغدادية « وتطيّبوا الصلوات » (٢) كان نص نسختنا « واتقبل »

(٣) حذف من البغدادية - لفظ حسن -

لا أدري ما فيه كصحيفة المناسم ، فأخبر معاوية بقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سأل وعنده (١) ما يقنيه فإنما يستكثر من النار - وفي لفظ آخر - من جرحهم » قالوا : يا رسول الله ! وما يقنيه ؟ - وفي لفظ - وما القى الذي لا تنبغي معه المسألة ؟ قال - قلدر ما يقديه ويعشيه - وفي لفظ - ان يكون له شبع يوم ليلة » رواه ابو داود والامام احمد .

وعن ابي الفراس (٢) قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسأل يا رسول الله ؟ قال « لا ، وأن كنت سائلا لا بد فسل (٣) الصالحين » رواه النسائي .  
وعن قبيصة بن مخارق الهلالي ، قال : تحملت حمالة فأنتيت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فقال « أقم حتى تأتينا الصدقة فأمر لك بها - قال ثم قال - يا قبيصة إن المسئلة لا تحمل إلا لاحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحملت له المسئلة حتى يصبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحملت له المسئلة حتى يصب قواما من عيش ، - او قال - سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحملت له المسئلة حتى يصب قواما من عيش - او قال - سدادا من عيش ، فما سواهن من المسئلة يا قبيصة سخنا يأكلها صاحبها سخنا » رواه مسلم .

وعن عائذ بن عمرو ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله فأعطاه ، فلما وضع رجله على اسكفة الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو يعلمون ما في المسئلة ما مشى احد إلى احد يسأله شيئا » رواه النسائي .  
وعن مالك بن نضلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الايدي ثلاثة - بيد الله العليا ، وبيد المعطي التي تليها ، وبيد السائل السفلى ، فأعط الفضل ولا

(١) في البغدادية « وله » بدل « وعنده » (٢) في البغدادية « وعند ابن الفراس ان الفراس » والصواب « وعن ابن الفراسي أن الفراسي » . وفي الاصابة ان البخاري سماه فراسا . وأطلق عليه غيره لفظ الفراسي . فقيل هو اسم وقيل نسب والاسم مجهول ، وعزى الحديث الى ابن ماجه وابن حبان ، أقول : وهو في أبي داود أيضا (٣) وفيها « فاسأل »

تخرج من نفسك » رواه الامام احمد وأبو داود .

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شينا في وجهه يوم القيامة » رواه الامام احمد . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاث والذي نفس محمد بيده ان كنت لخالفنا عليهن : لا ينقص مال من صدقة ، فتصدقوا ، ولا ينفو عبد عن مظلمة يتبغي بها وجه الله الا رفعه الله بها ، ولا يفتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر » رواه الامام احمد .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سرحني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله . فأثبته ففعدت - قال - فاستقباني فقال « من استغنى اغناه الله ، ومن استعف اعفه الله ، ومن استكفى كفاه الله ، ومن سأل وله فية اوقية فاقد الحف » فقلت ناقتي هي خير من اوقيه ، ولم أسأله . رواه الامام احمد وابو داود (١) . وعن خالد بن عدي الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه من اخيه معروف من غير اشراف ولا مسألة فليقبله ولا يرده . فأما هو رزق ساقه الله اليه » رواه الامام احمد .

(١) هذا الحديث لم يخرج أبو داود وإنما أخرج حديثه المتفق عليه في سؤال الانصار وتقدم في ص ١٣٠ وأما هذا الحديث فمزاه الحافظ في الفتح الى النسائي . وامل هذا من سهو النساخ لا الاصنف ، اذ رأيت في هذه الاحاديث اغلاطا كثيرة صححتها على الاصول

## تشریف امیر البلای

مدرسة دار الدعوة والارشاد

ان عناية مولانا عزيز مصر العباس (أيداه الله تعالى) برفع منار العلم والعرفان ، مما سارت به الركبان ، وعرف فضله فيه الثقلان ، وقد أدرك حفظه الله بنور بصيرته الثاقب ، أن التعليم الذي شيد لمعاهده أركانها ، وأقام من مدارسه بنيانها ، لا تصلح به حال الأمة الا اذا قرن بالثريية العملية ، وتهذيب الاخلاق في المدارس الداخلية ، ولما وقف على مشروع مدرسة دار الدعوة والارشاد ، ورأى قواعد نظامها قائمة على هذا الاساس ، أظهر ميله الشريف اليها ، واستحسناته لطريقتها ، وقد أراد في هذه الايام أن يظهر للامة ميله اليها ، وعنايته السامية بها ، تشجيعاً للقائمين بأمر المدرسة على عملهم ، وارشاداً للحبي الخير الى شد أزرهم ، فأظهر لناظر المدرسة عزمه الشريف على زيارتها في ضحوة يوم الاثنين (٢ جمادى الآخرة) وأنه يجب أن يراها كما هي من غير زينة ولا كلفة ، ولم يأذن لي بدعوة أحد الى استقباله فيها ، الا من حضر من أعضاء جماعتها .

وكان ذلك اليوم قد ضرب موعداً لاجتماع مجلس النظار في الساعة العاشرة صباحاً ، وموعد خروج الامير من قصر القبة رأس الساعة التاسعة . فكان اجتهاد رجال التشريفات انه يشرف قصر عابدين أولاً ثم يؤم المدرسة منه ، وان مدة مكثه في المدرسة تكون من عشر دقائق الى ١٥ دقيقة

ولما تشرفت يوم السبت الماضي بتهنئته بعيد مولده السعيد في



المقابلة العامة تفضل باجلاسي بجانبه وقال لي عند الانصراف انه سيخرج من قصر القبة على رأس الساعة التاسعة ويقصد المدرسة تَوَّاء، فاستبشرت حينئذ بأن مدة تشریفه ستكون طويلة

وفي ضحوة ذلك اليوم الميمون جاء المدرسة صاحب العزة محمد بك فهمي التشریفاتي الاول فتعهد المدرسة والطريق الموصل اليها، وكان قد تعهد الطريق غيره من رجال المعية السنية وكذا مهندس السيارات، ثم جاءت فصيلة من العسكر المصري ووقفت عند طريق المدرسة الخاص لاداء السلام العسكري لسموه

ولما كان تمام الساعة التاسعة جاء نيا المسرة بلسان المسرة (التلفون) من قصر القبة بأن الركاب العالي قد تحرك، وكان قد جاء المدرسة لاستقبال سموه صاحب الفضيلة السيد عبد الحميد البكري رئيس جماعة الدعوة والارشاد، وكل من الاستاذ الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي والاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار المدرس بمدرسة البوليس وأصحاب العزة محمود بك سالم ومحمود بك صادق ومحمد بك لبيب البتانوني وعبد الله بك فائق والطبيب محمد توفيق افندي صدقي من أعضاء جماعة الدعوة والارشاد، وشقيقي السيد صالح رضا، نخف الجميع مع محمد بك فهمي الى باب حديقة المدرسة، ووقفنا خارجه، وبعد ربع ساعة من نيا المسرة وصل سموه الى المدرسة في سيارة كهربائية تسابق البرق، فصافح المستقبلين كما هو دأبه الشريف، وكان مع سموه رئيس حجاب معيته السنية، وجاء أيضا صاحب السعادة علي باشا ذوالفقار محافظ العاصمة وحده ليكون في خدمته مدة زيارته للمدرسة

ثم دخل سموه المدرسة فكان أول شيء رآه وتعااهده فيها مسجدها في الطبقة الاولى منها . ثم صعد الى الطبقة الثانية فشرف حجرة الناظر أولاً ، ثم حجرة المعلمين . فقدمت له المعلمين واحداً بعد واحد ، فكان يسأل كل واحد عن العلم الذي يدرسه وعن عدد دروسه . ثم دخل حجرة السنة التمهيديّة ، فبينت لسموه أجناس الطلبة بالإشارة اليهم فكان يسأل : أين كانوا قبل الانتساب الى المدرسة ، وعن درجة فهم الاعاجم منهم للعربية ونطقهم بها . فاستأذنته بسماع إلقاء طالب هندي لبعض محفوظه من الشعر العربي فأذن . فقام الطالب عبد الله خدايار وأنشد بلسان فصيح أبيات أبي تمام التي أولها

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما تريا وجوه الروض كيف تصوّر  
ترياً نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

فأعجبه إنشاده وإلقاؤه وفصاحة لسانه . ثم عرضت على مسمع سموه ان بعض الطلبة قد نظموا على ضيق الوقت شيئاً من الشعر ترحيباً بتشريفه: فهل يأذن بإنشاد شيء منها؟ فأذن فأنشدوا ما سيذكر بعد ، وهو واقف يسمع ، وقد جبر قلوب المنشدين بإشارة الرضا والاستحسان . ثم مرّ سموه من وسطهم متفرساً فيهم ، ودخل حجرة السنة الاولى ، فاستأذن الطالب الاول فيها وهو محمد أبو زيد وأنشد هذين البيتين :

شرفت دار المرشدين ياملي كما نورت أضواؤه لمن سلك

عباسنا في رفع شأن شعبه لم يأل جهداً فهو خير من ملك

وكان بعض الطلبة من هذه الفرقة قد نظموا شيئاً من الشعر أيضا فلم

أر من الذوق استئذان سموه بانشاده .

ثم انه حفظه الله تعالى سألتني عن جميع الدروس التي يتلقونها ؛ وأصر أن يسألهم معلم اللغة الانكليزية أمامه بعض الاسئلة ، وأن يطلعه على خطوطهم وترجمتهم ففعل ، ونطق حفظه الله تعالى بكلمات من الحكمة في منافع لغات العلم الاوربية وحاجة طلاب هذه المدرسة اليها في هذا العصر . ثم عاد الى حجرة ناظر المدرسة فاستأذنته بالقاء بعض ماينحاج القلب من واجب الشكر والدعاء ، فأذن فألقيت ما سيدكر بعد ، وهو حفظه الله واقف والجميع وقوف في خدمته ، فتكرم بكلمة القبول المؤذنة بتواضعه المهود ، وأظهر استحسانه لكل مارأى . ووعد بأن يزور المدرسة في كل سنة . ودعا الله تعالى بأن يراها تزداد تقدما وارتقاء في كل عام . فشكرت له هذا بما يليق بالمقام ، وأطلعت على دفاتر ذات جداول وضعناها في هذا العام لتكون سجلات لتاريخ الطلبة في تربيتهم وتعليمهم ، تحصى فيها درجات الامتحانات المختلفة ، وأنواع المخالفات والعقاب عليها ، وغير ذلك ، فأظهر استحسانه لها .

ثم انه نزل الى الطبقة الاولى فتنفقد حجرات النوم والطعام ، والمتوصناً والحمام ، فأعجبه كل ذلك . وعلم برؤية ذلك انا جددنا عمارة في المدرسة لم تكن ، فسأل عن ذلك فذكرت لسموه ما جددناه فيها . وسأل عن اجارتها وأجرتها وكم بقي لنا من مدتها ، فأجبتة عن ذلك ، وقد كرر عبارات استحسان المكان في بنائه وموقعه ، فذكر ذلك في بدء الدخول

وعند ارادة الخروج

وبعد أن أتم بحثه وتفتيشه بدقة يعجز عن مثلها أمر المفتشين خرج

مشيعا بالقلوب والاجسام . حتى اذا ما بلغ باب حديقة المدرسة ودع المشيعين وودعوه بتقبيل يده الكريمة . وأراد أن يمشي في الشمس الى الشارع العام ، فلما رآنا نريد المشي في خدمته ركب سيارته . وأمر سعادة محافظ العاصمة بالركوب معه . وانصرف والالسنه تلهج بحمده والدعاء له . وكانت الساعة بلغت ١٠ وه دقائق .

وعلى أثر ذلك تألف وفد من رئيس الجماعة والشيخ محمد المهدي والشيخ عبدالوهاب النجار وكاتب هذه السطور ( ناظر المدرسة ) لاداء واجب الشكر الى سموه ، فجتنا قصر عابدين ، فأبلغنا رجال التشريفات أن موعد انعقاد مجلس النظار قد حان ، فلا وقت لمقابلة سموه الآن . فاكثفينا بكتابة أسمائنا في دفتر كما هي العادة المتبعة

ثم ان كاتب هذه السطور أم قصر عابدين مرة أخرى في أصيل ذلك اليوم فتكرم الجناب العالي بمقابلته مقابلة خاصة ، فأديت ما يجب من الشكر بلساني ولسان اخواني ، وتفضل أيده الله تعالى بإبداء سروره من زيارة المدرسه ورضاه عنها ، وبعض الاوامر الارشادية المتعلقة بها وبما تبرع به لها ، فخرجت حامداً شاكراً داعياً . أما ما تبرع به لها فهو خمسمائة جنيه مصري . وما يرجى من عنايته وبره فوق ذلك ، أدام الله توفيقه وتأيدته ، آمين .

## كلمة الدعاء والشكر

التي وجهها الى سمو أمير البلاد، ناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد<sup>(١)</sup>  
وهو واقف بين يديه في حجرته من المدرسة  
مولانا العزيز العظيم !

ليس في طاقتنا ولا في طاقة الامة أن تقوم بما يجب لك من  
الاجلال والتكريم، بتشريفك هذا العهد الاسلامي من معاهد التربية  
والتعليم، ولكن لسان كل منا يردد قول ابوصيري :

ماله حيلة سوى حيلة العا جز إما توسل أو دعاء

فنقول : أعز الله بك أيها العزيز الاسلام، ورفع بهمتك منار العلم  
والعرفان، واحيا بهديك السنة، وجدد بعنايتك مجد الامة .

نحمد الله تعالت سماؤه ثم نحمدك، ونشكره جل ثناؤه ثم نشكرك،  
ولو كبر عن الثناء محسن لكبرت يا مولاي عن الحمد، ولو جل عن  
شكر الصنيعة منم جللت صنائعك عن الشكر .

فانت أنت الذي انشرت دون أصراء المسلمين، بالجمع بين المدنية  
الصحيحة واقامة شعائر الدين . ففي أوروبا تراحم بمنكبك مناكب أعظم  
الملوك، وفي حرم الله ورسوله يراحمك بمنكبه البدوي والصعلوك .

وأنت أنت الذي أفضت المال والنظام على معاهد العلم الدينية، ولم  
تنس من فيضك مدارس الفنون الدنيوية، ولم ترض بما رفعت من شأن  
الازهر حتى أنشأت أزهرًا ثانيًا في مدينة الاسكندرية، كما نفخت

(١) نشرت هذا وما قبله في الجرائد اليومية المشهورة عقب تشريف الامير  
نشرته هنا بالنص الذي نشر في الجرائد فلماذا قلت وجهها ناظر المدرسة ولم أقل وجهتها

روح الثقة في جسم الجامعة المصرية ، بأعانتك المالية وعنايتك المعنوية .  
وأنت أنت الذي رقيت بعلمك وعملك الزراعة ، ووجدت في  
قطرك السيد أعمال الصناعة ، ووسعت بهديك دائرة التجارة .  
تفعل كل هذا بحق ، بما آتاك الله من الهمة العلية ، وتجري فيه على  
عرق ، بالوراثة المحمدية العلوية .

فأنت أنت الذي لله مافلا وأنت أنت الذي لله ماصنعا  
وأنت أنت الذي لله ماوصلا وأنت أنت الذي لله ماقطعا  
ولكن : هل رضيت نفسك الكبيرة بكل هذا ووقفت همتك  
العلية عنده ؛ كلا ؛ انك أيديك الله بروح منه قد توجهت الى ما وراءه من  
الاصلاح الاجتماعي والسياسي ، والاصلاح الديني الروحي  
أما الاول : فقد أشهدت الشرق والغرب وكني بالخافقين شاهدي  
عدل - على انك تريد أن تشاركك أمتك في سلطتك الذاتية ، وتجعل  
حكومتك حكومة نيابية ؛ ولا تزال تمهد لذلك السبيل ، وتمتزع مع الامة  
من كل قبيل ؛ وهذه رحلتك الميمونة المباركة التي أزمعتها . آية بينة على  
احيائك سنة الراشدين في احترام الامة ومعاشرتها ، ومحبتها والتعجب  
اليها (١)

وأما الثاني : فهو عنايتك بأمر هذه المدرسة ورغبتك في نجاحها ، على

(١) كنت بدأت في صبيحة يوم تشریف الامير بكتابة كلمة الدعاء والشكر  
لاجل ان ترسل الى الصحف بنصها ولكنني كتبت قليلا منها وشغلتني استقبال  
من حضر وتعاهد نظام المدرسة عن اتمامها كتابة فأتممتها ارتجالا ، ولما نشرتها في  
الجرائد قال لي غير واحد ممن كان حاضرا ان ما قلته في هذه الرحلة كان اوسع  
عما كتب وابلغ عبارة وأحسن تأثيرا

علم منك بأنها تقوم في الاسلام بخدمة لا يفتني غيرها غناءها ، من حيث انها رباط لتربية الاخلاق والاداب الاسلامية ، على ما كان عليه السلف الصالح وقدماء الصوفية ؛ ومعهد لتعليم العلوم الدينية ، وما يحتاج اليه المرشدون والدعاة من العلوم الكونية والعقلية ؛ وان الفرض منها احياء دعوة الاسلام والدفاع عنه بحسب ما تقتضيه حال العصر ، وارشاد عامة المسلمين الى ما يصلح به أمر دينهم ودنياهم ، ويحارون به غيرهم ويميشون عيشة الوفاق مع من عداهم .

وان ارتباط جماعة الدعوة والارشاد بمشيخة الطرق الصوفية . مما يمهد السبيل للمرشدين الذين يتخرجون في هذه المدرسة لاصلاح شؤون العامة ، لان أكثر العامة تنتمي الى طرق الصوفية ، فاذا انبث المرشدون المستعدون بالتأثير بالوعظ والخطابة في هؤلاء الناس ، وعهدت اليهم المشيخة الصوفية بارشادهم وتعليمهم . فالمرجو بحسب سنة الله تعالى في تأثير الدين في النفوس أن يصلح حالهم في أقرب وقت ، وبذلك تقل الجرائم والجنائيات ، والتعدييات على الزرع والبهائم والناس ، بعد ان أعيا الحكومة أمرها ، وحاترت في الوسائل التي تقلها . فمنايتك يا مولانا بهذه المدرسة ستكون عهد اصلاح جديد للامة والبلاد . ان شاء الله تعالى

هذا . ولولا أن أشق على مولاي باطالة الوقوف لاطلت القول بحمده وشكره ، وشرح ما أعتقد من الخير والنفع للامة بعنايته وبره . ولكنني أكتفي بما في القلب ، وما في القلب كثير .

## القصائد والمقاطيع التي انشدها الطلاب

على مسامع مولانا الامير

القصيدة الاولى لمحمد افندي الشريفي اللاذقي من الطلاب المستمعين في القسم  
الخارجي الذين يختلفون الى المدرسة في هذا العام ، وهو حسن الالقاء والانشاد ،  
وكنت اشرت اليه بعد انشاد ابيات من الغزل أن يختصر منه ، تفاديا من طول  
وقوف مولانا العزيز على قدميه ، فأشار أعزه الله وأشارته أمر مطاع ، وحكم لا  
يقرن الا بالتنفيذ والاتباع ، بأن يتم الطالب إنشاده فأتمه ، وهذا نص قصيدته :

بلا بل الروض بالتنريد تطربنا	وبالنواح حمام الروض يشجينا
وما أحيل نسيات الصبا سحرا	رسائل الحب نهديها وتهدينا
والطل يخنوع على الأزهار يلثمها	حسبته والها بالحب مفتونا
وقفت أرنو إلى الأزهار مبتسما	لله يازهر ما أحلى تدانينا
وقفت والقلب لا يدري محجته	أيعشق الورد أم يهوى الرياحينا
حتى إذا ما بدت والغصن قامتها	مليكة الروض عن بعد تحيينا
شعرت ان الهوى قد دب في كبدي	يا وجد رفقا بأكباد الحيينا
رنت اليّ بطرف زانه حور	فالوجه يجذبنا والطرف يرمينا
راقت ورقك فلما جتتها وهما	قطفت من خدها ورداً ونسرينا

\* \* \*

دع الخيال خيال الشعر ما خطرت	بنت الحقيقة تجلي في مفانينا
ما ذلك الروض عندي غير مدرسة	وما أزهارها الا المريدنا
وما مليكة ذلك الروض باسمه	الا مثال حياة العلم تحيينا
حياة مدرسة نقضي مراحلها	والدرس رائدنا والمجد حاديننا
تير أذهاننا تملي مداركنا	فلا يلد لنا الا تأخيننا



كم قربت بيننا سقيا لعاملها  
حياة مدرسة قلبي بها وله  
حياة مدرسة تذكى قرائحنا  
نبغي الحقائق معها عز مطلبها

أرى بأفق العلا نورا يجلانا  
نور الأمير الذي قدم نائنا  
فاسجع حمام الحى واطرب بلا ملل  
إني أرى مصر في أيام دولته  
والنيل يجري فراتا في كنانته  
مولاي اني عشقت العلم من صفر  
وأنت خير أمير شاد معهده  
لذا كنت فؤادي دون ما عجب  
هذا فؤادي باخلاص أقدمه

لله نور أضاء اليوم نادينا  
وغيث نعمائه أروى مغايننا  
واهتف لعباسنا وأحمد خديونا  
بغدادنا وأرى العباس هارونا  
وما وردناه الا راح يروينا  
ولا أزال بحب العلم مفتونا  
وقام للعلم والتحصيل يدعوننا  
وكنت أفضل من أحياء مانينا  
على وفائي الى مولاي عربونا

\*\*\*

ثم أنشد الطالب الشيخ أحمد كمال الغزي الطالب الداخلي في القسم التمهيدي هذه القصيدة وجعل عنوانها ﴿الترحيب﴾

أهلا بمن طلعت شمس سعوده  
أهلا بمن نال المعالي والذي  
أهلا بمن ملك النفوس وساسها  
أهلا بعباس الذي لولاه ما  
فلأنت للإسلام أقوى ساعد  
وفعله تاج لكل زمان  
سهر الدجى لمصالح الأوطان  
بالحزم فاتقادت مع الأبدان  
نشرت علينا راية العرفان  
يسعى الى الإصلاح والعمران

وأقمت صرح العلم والأدب الذي  
وأربتنا كيف الصعود الى العلى  
لو تعرف الأبطال فعلك بالوغي  
أو يشهدونك في المكارم والندى  
واقدرى ملك البلاد كأنه  
مولاي ان المسلمين كما ترى  
والدين أنت نصيره وحفاظه  
وانهض فدار الرشيد تعلى شأنه  
فناورها للشرق أعظم مصلح  
فأقم دعائها وشيد ذكرها  
لازلت عز المسامين وكهفهم

أخنت عليه نواب الحدان  
وعظمت حتى لا يرى لك ثان  
علموا بأنك فارس الميدان  
شهدوا بأنك نخبة الأزمان  
ملك بدا في صورة الانسان  
ما بين مظلوم وبين مهان  
فارفع دعائه على الأدبان  
تهدي القلوب بساطع البرهان  
يحي النفوس بمحكم القرآن  
فهي السبيل الى هدى الانسان  
ماغرد القمري في الافنان

\*\*\*

ثم أنشد الطالب الداخلي في ذلك القسم الشيخ عبد السميع البطل هذه الآيات

أهدا كوكب أم ضوء صبح  
وذا ملك كريم أم ملك  
هو العباس مولي كل خير  
ملك القطر انا قد بسطنا  
فنحن غراسكم نجيا اذا ما  
اترضى ان يكون لكل دين  
ولا يدعو الى الاسلام داع  
اعباس هداة الناس أموا  
فأنت المرتجى لسداد أسر

أم القمر المنير أم الأمير  
أم العباس يعلوه السرور  
وطل عطائه بحر غزير  
اليك يدا الى الجدوى تشير  
سقاء ماء جودكم النير  
دعاة في ممالكنا تسير  
ولا يبدي حقايقه بشير  
علاك وملء قلبهم سرور  
وأنت لدينا نعم النصير

## مصائب مصر والشام

### رجال العلم وحملة الاقلام

اكبر مصائب البلاد موت العلماء والادباء والكتاب الذين يغذون العقول ويزكون النفوس بالتعليم والتصنيف ونشر العلوم والآداب . وقد رزئت الديار المصرية والسورية في هذه الأيام بوقاة اربعة كهول من اشهر رجالهما في علوم الدين والدنيا واللغة ، يعدون من عوامل التحول والاقبال الاجتماعي في الامة العربية . وهم احمد فتحي باشا زغلول المصري والشيخ حسن المدور والشيخ محي الدين الخياط البيروتيان - والشيخ جمال الدين القاسمي دمشقي

#### ١ - احمد فتحي باشا زغلول

في آخر يوم من الشهر الماضي شيعت مصر جنازة نابغة العرب فيها صديقنا احمد فتحي باشا زغلول ، وشعر كل ذي بصيرة فيها بأنها فقدت رجلا لا خلف له في مواهبه ومزاياه

ولد الفقيد لليلتين او ثلاث خلت من شهر رمضان ١٢٧٩ ( الموافق اول شهر الشتاء الثاني سنة ١٢٤١ هجرية شمسية - ٢٢ فبراير ١٨٦٣ م ) والده من بيت كريم ينتمي الى بعض قبائل العرب التي استوطنت القطر المصري ، ووالدته من بيت كريم يسمى بيت بركات وهما من قرية من قرى مديرية الغربية اسمها ( إيبان ) وكان والده سماه ( فتح الله صبري ) ثم غير اسمه ناظر المعارف فسماه باسمه ( احمد ) لما ظهر له من نجابته ، ولقبه بفتححي للإشارة الى اسمه الأول . وتلقى التعليم الابتدائي والوسط في مدارس الحكومة بمصر والاسكندرية ، واختار له ناظر المعارف ان يتلقى التعليم العالي في فرنسا ، فكان في مدارس التعليم كلها آية الذكاء والاجتهاد . ولما عاد من اوربة دخل في خدمة الحكومة في النيابة والقضاء حتى صار رئيسا لمحكمة مصر الاهلية ثم وكيلاً لنظارة الخفائية ، وتال مانال من رتب الحكومة واوسمتها العالية ، وكان العارفون يجزمون بأن ترقيه دون استحقاقه واستعداده . فهل هذا هو احمد فتحي باشا زغلول ؟

تعلم في مدارس مصر واوربة ألوف ، عاش اكثرهم ومات كما يعيش ويموت الملايين من الجهلة والمعمولين ، وتقلب كثيرون منهم في مناصب الحكومة واعمالها . وما كل واحد منهم يستحق ان يترجم في الصحف ويخلد اسمه في دواوين التاريخ ، اللهم الا تواريخ المنافقين الذين يعظمون كل صاحب منصب او ثروة وان لم يكن

له أثر يذكر، او منقبة تؤثر، الا جمع المال واقتناء العقار، والتعالي على الناس ولو بالظلم والافساد.

احمد فتحي زغلول ذلك الرجل الذي شهد له كل ذي علم وفهم في مصر بانه بذو الافران، وكان المجلي من حلبة المدينة في كل ميدان، لم يجمع مالا، ولم يتأثر عقارا، ولم يترك درهما ولا دينارا، وانما كان هو ذلك الرجل لما آناه الله من الذكاء واللوزعية، والعقل والروية، والهمة العلية، وما تربى عليه من ملكة الاستقلال، وما اكتسبه من العلوم وما احسنه من الاعمال.

خلق احمد فتحي زغلول كبير الاستعداد، آناه الله فؤاداً ذكياً، وزهدنا لوزعياً، والأذكياء في أمتنا العربية كثيرون، فان كان حظ هذا الرجل من الذكاء عظيماً فكم من عظيم الذكاء اطفأت التربية السوءى والبيئة الفاسدة نور ذكائه، وهدمت ما بنته الفطرة من قوة استعداده؛ وكم من ذكي وجهت القدوة السوءى ذكائه الى ما يضره او يضر أمته كلها، وقد اتفق لهذا الذكي اللوزعي ان نبت في بيئة خاصة، مثل فيها امام عينيه من اول العهد بالتمييز إمام الاصلاح في هذا الزمان، ومن حوله من المردين والاخوان، الذين لم يكن لهم سمر ولا حوار، الا في شؤون التربية والاصلاح، فكان يرى منذ عهد التعليم الابتدائي الاستاذ الامام متجلياً في فضائله وحكمته، والشيخ عبد الكريم سلمان متجلياً بأدابه وفضته، واخاه (سعداً) معتصماً باستقلاله وحقته، مع أتراب لهم من مردي السيد جمال الدين حكيم الاسلام، وخليفته الاستاذ الامام، وكل في فاك العلم والحكمة يسبحون، وحول قطب الاصلاح وتجديد حياة الامة يدورون، ففتح استعداد احمد فتحي بفكرة العمل والسعي لتجديد حياة الامة، وحب الاستاذ الامام بعد عودته من أوربة ودخوله في اعمال الحكومة كاخيه الاكبر (سعد باشا) حجة المرید الصادق، والمرشد الكامل، فاستفاد من تلك الافكار السامية والمقاصد العالية، والفصاحة الخلابية، والبلاغة الجذابة، ما شاء الله ان يستفيد. وكان زيتة صافياً يكاد يضئ ولو لم تمشه نار، فتنصل بذلك القبس المتألق فشتعل نورا على نور.

أروي عن فقيدها النبغة كلمتين في أستاذنا الامام رحمهما الله تعالى. الاولى سمعتها منه في أول مجلس لقيته فيه؛ زار الفقيه طرابلس الشام بصحبة الاستاذ ايام كنت اطلب العلم فيها، فكانت مدة مكثهما في طرابلس ملازماً لهما من الصباح الى وقت النوم، لاني كنت اطعمت على ما صدر من جريدة (العروة الوثقى)

فعمشقت السيد جمال الدين مدير سياستها، والشيخ محمد عبده رئيس تحريرها، وصرت مريدا لهما بالغيب. وقد جئت الدار التي ناما فيها ليلة قدما فقيل لي انهما ذهبا الى حمام عز الدين، جئت الحمام فألقيت بمض العلماء والوجهاء قعودا في خارج الحمام ينتظرون مع الفقيه، والاستاذ في الداخل، فترجمني الشيخ خير الدين الميقاتي من علماء طرابلس للفقيه، وكان مما قاله: انه اكتب الكتاب عندما وهو لا يرى لنفسه استاذا في الكتابة الا الاستاذ الشيخ محمد عبده على انه لم يره. فقال الفقيه كلنا ليس لنا استاذ في الكتابة غير الاستاذ. واحسب انه فسر ذلك بان التمايز في الكتابة انما هو بالافكار واساليب التصرف في الكلام، وأن كل من يقرأ ما كتبه الشيخ او يسمع كلامه يجد فيه القدوة المثلى والمادة الغزيرة في ذلك. ولم احفظ من كلامه بنصه وقتئذ الا تلك الكلمة

واما الكلمة الثانية فقد قالها منذ ثلاث سنين اذ كنا نتذاكر في داره ببعض المسائل الاجتماعية، فذكرنا كلمة من حكم الاستاذ في ذلك فسرتها الحوادث فقال: ان كثيرا من كلام الشيخ لم يظهر لنا معناه المراد الا بعد مونه. وقد كان يقول الكلمة فنظن اننا فهمناها ثم يظهر لنا بعد عدة سنين اننا لم نكن فهمنا بعد غوره فيها، حتى كشفه طول البحث وسعة الاختبار. اه بالمعنى

تلك البيئة الاصلاحية هي التي جعلت من استعداد احمد فتحي زغلول خطيبا مفوها، كما جعلته كاتباً قديراً، فكان في مصر ثاني الاستاذ الامام في فصاحة لسانه، والتمام الفصيح في اكثر كلامه، اما الاستاذ فقد كتب الشيخ ابراهيم اليازجي في ترجمته، - وناهيك بنقده ودقته - ان كلامه الذي كان يلقيه في مجالسه العادية كابلغ ما يكتبه المترسلون المتأقنون. أقول: وناهيك به قدوة صالحة، ومربيا للملكة.

تلك البيئة الطيبة والقدوة الصالحة هي التي لفتحت ذلك الذهن الوقاد بلقاح الاستقلال، الذي به تظهر ثمرات العلوم عند القيام بالاعمال، فكانت مضطاما بالعمل بما تعلم، وكان علمه ملكة ثابتة، وصفة راسخة، وشجرة مثمرة، واكثر المتعلمين منا متقدمون، يودعون العلم بوداع المدرسة، وما عرفنا رجلا مثله كانت الحكومة تشعر بجاحتها الى علمه، وترجع اليه حتى في القوانين والاعمال التي لا تتعلق بعمله، فهو واضع اللائحة الاصلاحية للمحاكم الشرعية، وهو واضع قانون إصلاح الازهر، وناهيك بهما، وبما يتوقف عليه وضعهما، وقد اشتهر أنه كان في نظارة الحفانية الركن الركين، لوضع جميع الانظمة واللوائح والقوانين. لم تشغل الفقيه خدمة الحكومة التي كان يتقنها من كل وجه، عن خدمة الامة بالعلم والعمل، فقد كان عضوا عاملا في الجمعية الخيرية الاسلامية، وألف

وترجم عدة كتب يتبني بها الإصلاح والنهوض بالامة ، دون الكسب والثروة ، وكان اول ما اخرجته للغة العربية من نقائس مصنفات الافرنج ( كتاب أصول الشرائع ) لبنتام ، وهو كتاب جليل في فلسفة القوانين وعلاها ومداركها ، يعجز عن ترجمته من لم يكن راسخا في علوم القوانين والفلسفة ، وسعة الاطلاع في علم اللغة ، ولو كان العلم في الامة حيا لاعيد طبع هذا الكتاب مرارا .

وكان آخر كتاب ألفه في القضاء ( شرح القانون المدني المصري ) شرحه شرح العالم المجتهد المستقل ، وتصرف في تنسيقه وترتيبه تصرف المصالح المنقح ، وغير في هذه الترجمة كثيرا من الاصطلاحات القضائية المترجمة عن اللغة الفرنسية ترجمة غير صحيحة ، فأعجبت الحكومة وجمهور رجال القضاء بهذا الشرح ، واعترفوا بشدة الحاجة اليه ، وكان هو الباعث على احفادهم بالشرح ذلك الاحتفال الذي نوهنا به في وقته وله في هذه المباحث القضائية كتاب حافل سماه ( المحاماة ) وقد بين في هذا الكتاب تاريخ المحاماة عند الامم القديمة بالاجمال وعند الامم الغربية بالتفصيل ومنه الكلام في نظامها عند هذه الامم ، والمؤتمر الذي عقد لها ، ثم افاض القول في المحاماة في مصر ، وبيان حال المحاكم المصرية وتاريخها وتأسيس الحكومة المصرية ودخولها في سلك النظام الاوربي ، واطال الكلام على القضاء فيها ، وبمد استيفاء كل ما اراده من الكلام على المحاماة وأهلها من التاريخ والنظام والقوانين والآداب وما يناسب ذلك ختم الكتاب بملحقات في قوانين مصرية سابقة ولوائح وأوامر رسمية مصرية متممة للموضوع . فكانت صفحات الكتاب ٤٣٤ و صفحات التذييل ٢١٠ وله رسالة قضائية في التزوير مفيدة في بابها

وله ترجمة كتاب ( الاسلام - خواطر وسوانح ) للكونت هنري دي كاستري الفرنسي ، في رد مفتريات الصليبيين وأشباههم على الاسلام ، فقد كان هذا الكونت واسع الاطلاع في كتب المسلمين ، وتقل في هذا الكتاب من مطاعن الافرنج في الاسلام ما لم يخطر على بال مسلم في الدنيا ، وردها واثني على الاسلام خير الثناء . وقد ترجم هذا الكتاب وطبعه في اواخر سنة ١٣٠٥ وهي التي صدر فيها المنار ، وقرظناه في العدد الحادي عشر من السنة الاولى ، ونشرنا مقدمته للترجمة العربية التي نقل الفقيد فيها نبذة من المنار . وكان غرضه من ترجمة هذا الكتاب الدفاع عن الاسلام وبيان محاسنه وتنبيه المسلمين الى ذلك

وأما السكتب التي ترجمها لغرض التجدد العلمي والمدني في مصر وسائر الامة

المرية فهي كتاب (سر تقدم الانكليز السكسونيين) في الطريقة المثلى للتربية والتعليم، لعالم فرنسي اسمه (أدمون ديمولان) وكتاب (روح الاجتماع) وكتاب (تطور الامم) كلاهما للفيلسوف الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون) فكان غرضه من هذه الكتب بث فكرة التربية الاستقلالية والتعليم العملي في الامة، واعتماد الافراد على انفسهم لاعلى حكوماتهم (١) وتبنيها الى اسباب التحول والاقبال في الامم والشعوب، وكونه لا يحصل الا بالتدريج البطيء، وتذكيرها بالآفات والعلل الكامنة في التطورات الاجتماعية الحديثة في الافرج، كالاشتراكية والحزب والجميات السياسية والاقتصادية وغيرها. ولغوستاف لوبون مذهب خاص في هذه المباحث يخالفه في كثير من آرائه بعض علمائهم. والتاظر المستقل لا يقلد أحدا من المختلفين، وإنما يعحص المسائل ويتبع قوة الحجة والدليل

ويقال انه كان بدأ بترجمة كتاب مدينة العرب أو حضارة العرب لغوستاف لوبون أيضا، وكان الاستاذ الامام حظه على ترجمته. وآخر ما أخرجه قلمه للناس ترجمة رسالة سياسية في سوء حال الدولة العثمانية وشدة حاجتها الى تغيير وضعها ونظامها، وهي الامير مصطفى قاضل باشا زعيم الاحرار الاول في الآستانة خاطب بها السلطان عبد العزيز، ورسالة أخرى في قواعد وقضايا اجتماعية لغوستاف لوبون جعلها كالمذكرات والناشرين لما فصله في كتبه الاجتماعية. فترجمها الفقيه بالمرية وسماها (جوامع الكلم)

وقصارى القول في صفة الرجل الاجتماعية والسياسية انه حجة على كفاءة المرابي وقدرته على العلم والعمل بالنظام الاوربي كأرقى الاوربيين، لانه ركن في العمل بذلك. وأما صفاته الشخصية فقد كان حسن المعاشرة، حلوا المفاكهة، نزه النفس واللسان، يقدر على إرضاء كل جليس بغير دهان، لا يعل جليسه جده، ولا يهت بوقاره هزله، وقلما تربى في اوربة شاب مثله في عفنه وصيائه، والاعتصام من استخفاف حرية النسق لشرة الصبا وخفته. وكان دقيق النظام في كل شيء، متأنقا جد التأنق في زبه ومعيشته بلا تكلف، ولا اضاءة وقت في العبث. وأما رأيه في الاصلاح والتجديد فهو أن يبني ولا يهدم، لان الامة اذا وجدت البناء الجديد اصلح لها، تركت المباني السقيمة تسقط

(١) كتبت في منار اول الحرم سنة ١٣١٧ مقالة عنوانها (الاعتماد على النفس) فقال لي وتثبت: انني استعملت هذه الكلمة في ترجمة كتاب (سر تقدم الانكليز) الذي يطبع الآن واراك سبقتني الى استعمالها، ثم كثر استعمال هذه الكلمة بانتشار ذلك الكتاب لا بمقتني

من تلقاه نفسها ، فلم يكن يدعو الى ترك العادات الضارة ويشنع على أنصارها ، لذلك لم يظن الناس في رأيه ومذهبه كما ظنوا في صديقه قاسم بك أمين ، بل لم يكن الجمهور يعرفون ان له رأيا يرمي اليه في الانقلاب الاجتماعي . فان فهم بعض اذكياء الحزب الوطني ان ما شرحه كتاب روح الاجتماع من امر اندفاع الجماعات بغير عقل ولا شعور ينطبق على حزبهم ، فهل كان يسهل عليهم ان يظنوا بوطية مترجم الكتاب ويمدونهم خصما لهم ؟

هذا وان الفقيه قد كان ميلا الى الاصلاح الديني ، معتقدا انه شطر أو شرط للاصلاح المدني والسياسي ، وقد كان أخبرني في أوائل العهد بإنشاء المنار ان ابراهيم باشا فؤاد ناظر الحقانية معتبط بالمنار ويرى وجوب تعميم نشره بين المسلمين . وأنه هو قد سبر بذلك وتواعد مع الناظر بأخذ وسيلة لذلك يوزع بها ألوف من النسخ على طلاب العلم وقراء القراء ثمن قليل . ثم لم أراجعه ولا كتبت ابراهيم باشا في ذلك عندما كنت ألقاه وأسرع منه الثناء على المنار . ولا هما وفقا لشيء مما تحدثنا به .

ولما توفي شيخنا الاستاذ الامام تذكروا أصدقاؤه ومر بدوء في عمل شيء يذكر به ، فاقترحت ان تنشأ باسمه مدرسة كلية يجمع بها بين التربية الدينية الصحيحة وتعليم العلوم الدينية والدينية على طريقته التي كان يسمى لها سعيها باصلاح الازهر ، فقبلوا الاقتراح بكل ارتياح ، وانتخبوا في دار سعد باشا زغلول لجنة لوضع نظام المدرسة مؤلفة من حسن باشا طاهر والفقيه وصاحب هذه المجلة ، فكان الفقيه مهتما بهذا ، وذاكر به لورد كرومر - كما تقتضي المصلحة - فظهر اللورد له الاستحسان . ووعده بأن يحضر له نظام وبرنامج مدرسة عليكرة الاسلامية الهنزية للاقتباس منه واستحسن ان يبدأ بالعمل صغيرا ليكبر بالتدريج . ويعلم الذين يقرؤن المنار منذ سنين ان الذي كان دون إنشاء هذه المدرسة هو ظهور مشروع مدرسة الجامعة المصرية ونوط أمرها بسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين . وكان سعد باشا هو الركن الركين لمشروعنا فتركه للجامعة وما كان يمكن ان يشتغل به وبمشروع الجامعة معا

ولما عزمنا على السفر الى الاسكندرية منذ أربع سنين لاجل مشروع الدعوة والارشاد اهتم بذلك الفقيه اهتماما عظيما ، وجاءني ليلة من ليالي رمضان الذي سافرت فيه واقترح ان تتكلم في المشروع منفردين ، فاقفلنا باب الدار ، وظلنا نتحدث في المشروع الى ما بعد نصف الليل ، فلما شرحت له وسائله ومقاصده سر به وبالغ في استحسانه ، وواعد بأن يساعد الجمعية التي تؤسس له هناك بقدر الطاقة . وعهد اليّ



بأن أتأهده بالكتابة من الآستانة ، فكانت الكتابة بيننا متصلة في ذلك ، ولم أر  
أحداً من أصدقائي بمصر أهتم بذلك بعض اهتمامه رحمه الله تعالى  
كان سبب موته مرض ألمّ بدماعه ، سببه كثير تشكره واشتغاله ، ولا غرو فقد  
كانت قوة ذلك الدماغ اعظم من مادته ، وعمله فوق استطاعته ، وذلك منتهى أكثر  
الرجال الذين همتهم أكبر من قوتهم ، تنسى تقوّلهم حقوق ابدانهم : فيجنون على  
امتهم بجنايتهم على انفسهم ، اذ ينزعهم القدر منها ، أقدر ما كانوا على خدمتها ، فمنهم من  
ينتصر في سن الشباب ، ومنهم من ياتي مصرعه عند الاكتهال ، وبلوغ قواه كلها  
مستوى الكمال ، كن فقدنا اليوم ، ومن فقدنا بالأمس ، ورحمهم الله تعالى .

## محادثة متعصبي القبط وغيرهم للمنار

في يوم السبت في ٢١ جمادى الآخرة دعانا بالمسرة (التلفون) رئيس النظار حسين  
رشدي باشا الى داره فوافيناه فيها فاذا هو في سرير النوم لانحراف محمته ، واذا بجانبه  
جريدة مصر القبطية ، فأطلعنا عليها ، وسألنا عما تنسبه الى المنار من الطعن المعلم عليه  
بالخبر الأحمر فيها ، وملخصه أنه يجعل النصراني كلهم وثنيين وان طعنه يكاد يضرم  
نار الثورة في البلاد ؟؟ فلما قرأت : فيها قلت للرئيس : يعطوفة الرئيس ! انت قاض  
قبل كل شيء ، وقد اشتهرت في حياتك الفضائية بالاستقلال ، ومن مقتضى ذلك ان تقرأ  
الطعن الذي تشير اليه جريدة مصر ، قبل ان تحكم في المسألة بشيء . هذه العبارة التي تشير  
اليها جريدة مصر اوردها المنار كعنوان لموضوع كتاب في سياق تهر يظله . هذا الكتاب  
اسمه « نشوء فكرة الله » مؤلفه انكليزي ، وخلصه بالعربية سلامة افندي موسى القبطي ،  
وطبعه بمطبعة يوسف افندي الخازن الماروني السوري ، محرر جريدة الوطن القبطية ،  
وقرظتها الجرائد والمجلات السورية والقبطية والاسلامية ، ولم يعب المترجم والناشر احد  
منها بأنه عاب النصرانية وكاد يضرم نار الثورة في البلاد ! ولكن لما قرظتة مجلة  
المنار الاسلامية وذكرت ان ملخصه اثبات كون الديانة النصرانية وثنية الاصل  
— وقيدتها بالحاضرة تبرئة للمسيحية الصحيحة التي كان عليها المسيح عليه السلام  
وحواريه رضي الله عنهم — صار ذلك اكبر الجرائم المحركة للثورات والفتن ، واستحق  
صاحب المنار النفي من مصر ، واستحقت الحكومة هذا الانذار من جريدة مصر  
— اذ فيها : ان من انذر فقد اعذر — بعد الاقتراح على الحكومة ان بان تعاقب  
صاحب المنار بمثل ما عاقبت به عبد العزيز شاويش عدو القبط من سجن ونفي .  
ثم اعطيت للرئيس نسخة المنار فلما قرأ التقرير في ضحك مستغربا كتابة

جريدة مصر . ثم ذكرت له ان المنار لما كان هو المجلة الاسلامية الوحيدة التي اخذت على نفسها الدفاع عن الاسلام في هذه البلاد الحرة التي ينشر المبشرون فيها الصحف والرسائل الكثيرة في الطعن في الاسلام والقرآن والنبي (ص) وجب علينا شرعا ان نرد عليها اعتدائها ولو بما هو دونه ، اذ لا يسمح لنا ديننا ان نطعن في سيدنا عيسى ولا في اصل دينه وكتابه . فانا لا أترك مدافعة المبشرين الا اذا كانت الحكومة تريد منع حرية المسلمين في دينهم وتجعل الحرية للتصاري وحدهم . فقال الرئيس كلا ان الحكومة لا تسلبك حرية الدفاع عن الاسلام ولكن توصيك بالاعتدال والنزاهة خطة الدفاع . قلت انني أعني بالدفاع انهم البادئون وانا نجزيهم بما دون عملهم ، وانهم اذا تركوا الكلام في ديننا تركنا الكلام في دينهم ، وانني مستعد لتقديم جدول للحكومة بالشواهد من كتب المبشرين ورسائلهم على ما فيها من الطعن الفاحش في الاسلام الخ . . . .

كان ما أظفني عليه الرئيس اول ما اطلعت عليه من المطاعن الكثيرة التي وجهتها الي والى المنار جريدة مصر ، وكنت اسمع بها ، ولا احاول الاطلاع على شيء منها . ثم جاءني احد الاصدقاء بمدد من منها فاذا في احدهما ما نصه تحت عنوان (صاحب المنار) « اتصل بنا ان ولاية الامر قد اهتموا بما كتبناه عن الشيخ صاحب المنار وطعنه الطعن الجارح في الدين المسيحي واهله فاستدعاه عطوفة رئيس النظار الى منزله وحذره من الكتابة في مثل هذه المواضيع المهيجة وانذره بتعطيل مجلته ان عاد الى تلك الكتابات . فعمى ان يكون هذا الانذار مانعا من الوقوع في المصائب التي يريد صاحب المنار جلبها على البلاد واهلها . » ؟؟

دع كذب جريدة مصر على رئيس الحكومة في هذا العدد وانتظر ما كتبت في الآخر : كنت كتبت مقالة في الرد على جريدة (دوكير) التي تصدر بمصر باللغة الفرنسية اذ نشرت مقالة تنكر فيها على المنار ما كتبه في النصرانية يظهر انها لاحد السوريين ، ينبت فيها طريقة المنار في الجمع بين الاسلام والمدنية الصحيحة والتأليف بين المسلمين وغيرهم ، والصحف الفرنسية التي شهدت له بذلك ، وكون رده على دعاة النصرانية لا ينافي ذلك . وارسلت المقالة الى المؤيد فلم ينشرها الا بعد زهاء شهر من ارسالها اليه . وقد هاج نشرها جريدة مصر فكتبت مقالة في اليوم التالي انشر المقالة في المؤيد (وهو ٢٧ جمادى الآخرة) استفرغت فيها ما في قلب صاحبها ومحررها من السباب والشتائم والحققد والضمينة على صاحب المنار ، فظهر من فحوى ذلك سر من الاسرار ، وهو سبب حملة جريدة مصر علينا في هذا الشهر ، مع ان المنار يرد على المبشرين من بضع عشرة سنة . وهالك ما فضح السر منها : « ولكن هذا الرجل المسكين لم يعد يمطف أحد عليه . فالوطنيون يكرهونه

لانه يماكس مبادئهم . والانكليز يعضونه لانه عدو مدنيتهم . وعلماء المسلمين يكرهونه لانه غير واقف على اسرار الدين . وقد ادركت الحكومة سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب .

« اتنا اذا اغتفرنا لهذا الرجل كل سيئاته وتعاضينا عن مدرسته التي لا تدري الغرض منها ، فانه لا يرضينا منه تداخله في ما لا يعنيه وشرحه للدين المسيحي نرحا يخالف ما يعتقد به اهله . وطمنه ذلك الطمن الالم في المدينة الاوربية ، ووضعه لقناصل والمبشرين والمومسات والقوادين في مستو واحد .

لذلك كله نرى من واجباتنا الوطنية ان نلاحق هذا الرجل ونعمل جهد استطاعتنا لمحاربهه كما تحارب الحكومات الامراض المعدية ولو تسلح برضا بعض

ولاية الأمر عنه وشد جريدة مثل المؤيد لأزره بقولها عنه : « ان صاحب المنار مهضوم الجانب وفي حاجة الى الدفاع عن نفسه ودينه » اه بحروفه

( المنار ) ظهر لنا من هذا التصريح الذي لا يحتمل التأويل ان سبب انفجار

بركان التعصب على صاحب المنار في جريدة مصر هو تشریف مولانا الامير عزيز مصر مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وما تضمنته هذه الزيارة من اعلان ثقته

بالمدرسة وعطفه السامي على ناظرها صاحب المنار ، ولذلك عرضت جريدة مصر بذكر المدرسة وقالت انها تعاضت عنها ، على كونها لا تدري الغرض منها !! كأنه

يجب على كل مسلم يعمل للاسلام عملا ان يوقف جريدة مصر على غرضه من عمله ! ? تقول جريدة مصر في صاحب المنار ان المصريين والانكليز يعضونه وإن

الحكومة قد ادركت سوء طويته وستوقفه عند حده عن قريب : أثبتت جريدة مصر كل هذا ، فكان ينتظر من مديرها ومحريها انصار الديانة المسيحية بزعمهم

ان يجد صاحب المنار من قلوبهم عطفة او نفحة من الرحمة المسيحية المبني اساسها على محبة الاعداء ومباركة الالاعنين !! ولكنهم لم يزدادوا الا قسوة وحقدا عليه ،

فبعد الجزم بجميع ما ذكر قالوا ان الواجب عليهم أن يعملوا جهد استطاعتهم لمحاربهه ولو تسلح برضا بعض اولياء الامور عنه ؟ فاذا كان الانكليز ورجال

الحكومة غاضبين عليه . فمن تعني ببعض اولياء الامور المتسلح برضاهم عنه ؟ ?

ثم ماذا تريد جريدة مصر بالمخاربة الجديدة التي توعدتنا بها ، بعد ما كان من تهييجها المبشرين وغيرهم من رجال النصرانية علينا ، وبعد هذه السباب والشتائم وبعد اذار

الحكومة بخاطر الثورة اذا لم تتكل بصاحب المنار ؟ وهل بعد هذا من حرب تقدر عليه جريدة ؟ نعم بلغني ممن يعاشر بعض محرري جريدة مصر أنهم يعنون بهذه المخاربة

الاستعانة بنفوذ المبشرين في انكثرة على اقتناع حكومة لندرة نفسها بوجوب إلغاء المنار والتكيل بصاحبه وإقفال مدرسة دار الدعوة والارشاد . — الى هذا الحد

وصلت ثقة متمصبي القبط بكيدهم للمسلمين ، فاعتبروا يا اولي الابصار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يشاء فلا اله الا هو  
أولئك الذين هم أولو الألباب

الْحَمْدُ لِلَّهِ  
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ رجب ١٣٣٢ هـ ٦ الصيف الاول ١٢٩٢ هـ ٢٣ يونيو ١٩١٤

## فَتَاوَى الْمَشَائِكِ

اللتعن هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسم عامة الناس، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وهمله (وظيفته) وله بمد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورمما قدمنا ما تخر السبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه ورء الجينا فير مشترك مثل هذا ، ولأن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاقفاله

(السكروته والحرير)

(س ١٥) من صاحب الامضاء الرمزي بدمياط

صاحب الفضيلة حضرة الاستاذ المرشد والامام المصلح السيد محمد رشيد رضا

سدده الله ووقفه

ما قولكم يا فضيلة الاستاذ في هذه الثياب المعروفة بمصر التي تسمى بالسكروته وما حكم لبسها مع اختلاف الناس فيها اهي حرير أم من نبات ؟ فبعضهم يقول انها من حرير الدودة المحرم . وبعضهم يقول انها ألياف نباتية تنبت بارض الهند كالتيل والكتان . واختلف الناس في شأنها كثيرا ، وقد اصبح الناس يلبسونها كثيرا وخصوصا علماء الدين فلا تجد واحدا منهم الا وهو يقتني منها ثوبا او اثوابا، بل ربما يديم لبسها طول الصيف ويقتني الناس بجلها، بناءً على انها نباتية، ويقول ذلك ويقرره بجماعة غريبة ، وقد وقع الناس الآن في شأنها كثيرا في بلدة دمياط، واهتموا بهذا الموضوع اهتماما ذابا، فترجو فضيلتكم اجابتنا بما ترونه في ذلك منطبقا على دين الله ، وما تعلمونه عن حقيقة مادة السكروته هذه، مع ذكر مسألة الحرير وتحريمه في الدين وحكمة التحريم، ورأيكم الخاص في ذلك . فان الخلاف فيه قديم بين الجمهور وقليل من السلف واختلفوا وقبلوا مزيد الاحترام (م . ل)

(ج) من اعتقد من الرجال ان النسيج المسمى بالسكروته حرير حرم عليه لبسه، ومن لم يعتقد ذلك لم يحرم عليه . ولتبادر من التسمية ان السكروته غير الحرير . وقد سألت تاجرا مسلما سوريا يتجر بهذا الصنف في (شنغاي) من واني الصين فقال ان الذي يعلمه هو ان السكروته من نسيج دود غير دود الحرير ، اي فهذا وضع لها

اسم غير اسم الحرير . وتفارق الحرير في اخص صفاته وهي النعومة . ولا يمكن ان يقال ان جميع ما تنسجه الحشرات حرير ، فقد كان نسج العنكبوت معروفا عند العرب ولم يسمه احد حريرا . وبلغنا أن الإفرنج يتخذون منه قفايز وغيرها .  
والحكمة في تحريم السنة لبس الحرير الخالص على الرجال هي كونه مبالغة في الترف والنعم المضعفين للرجولية ، والمفسدين لبأس الأمة . وكان ولا يزال عند أكثر الأمم من خصائص النساء . ومثل هذه العلة ورد النهي في السنة عن لبس المعصفر والمرغفر اذ كانت من زينة النساء خاصة . فما نعلم من حكمة تحريم الحرير لا يوجد في السكروته . نعم ان الرقيق من السكروته اذا كوي باللكواة يكون له لعان كالحرير ، ولكثير من نسيج القطن والسكتان مثل ذلك . فالظاهر لنا ان لبس السكروته غير محرم . والله اعلم واحكم

### تكرار الفدية بتأخير قضاء الصيام

(س ١٦) من نوح ابن الحاج عبد القادر القاهري السندي  
ما قولكم ايها العلماء الاعلام وائمة الاسلام في قول المنهاج في كتاب الصيام:  
« والأصح تكرره بتكرر السنين » ما المراد بتكرر السنين؟ هل هو تأخير قضاء رمضان  
او أكثر الى رمضان آخر؟ أم تأخير قضاء رمضان الواحد الى رمضان فصاعدا؟ فان  
قلتم بالثاني فما المراد بقول الشرقاوي في حاشيته على شرح التحرير: قوله « الى رمضان  
آخر » بالتون مصر وفا لانه نكرة اذ المراد به غير معين، بدليل وصفه بالنكرة وهي  
« آخر » وزالت منه احدي العلتين وهي العلمية . وبقاء الألف والنون الزائدتين  
لا يقتضي منعه من الصرف اه وما المراد بقول السيد الفاضل المصطفى الذهبي في  
تقريبهما على على هامش تلك الحاشية : قوله رمضان آخر هو مصروف لانه غير  
معين ، انظر ما الفرق بينه والاول؟ وغاية ما يقال الاول مقصود منه الشهر الذي يستقبله  
المدرک بعينه بخلاف الثاني فانه يتناول ما بعده لا الى نهاية ، فتكرر الكفارة بكل  
رمضان يأتي بعد الاول فهل يكفي هذا في منع الصرف حرره اه وما المراد بقول  
السيد علوي ابن السيد احمد ستاف في حاشيته على فتح المعين : قوله « لكل سنة »

اي لصوم كل يوم من رمضان كالسنة ، وبه قال مالك واحمد اه وقد قال العلامة  
الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح المختصر ما نصه : فاذا كان عليه يومان من  
رمضان ومضى عليه ثلاث رمضانات او اكثر فانه انما يلزمه مدان . افيدونا بالسطور  
جزاكم الخير رب غفور .

(ج) مراد المنهاج : « والأصح تكرره بتكرر السنين » أن من أخر قضاء ما فاته  
من رمضان واحد الى رمضانين فأكثر يطعم عن الرمضانين مسكينين لكل مسكين  
مد - وعن ثلاث رمضانات ثلاث مساكين وهلم جرا ، ولا يمكن ان يكون معناه  
من أخر قضاء يومين فأكثر من رمضانين فأكثر الى رمضان آخر لزمه عن كل  
يوم مد . لأن هذا لغو من القول للاستغناء عنه بما قبله وهو قوله « ومن أخر قضاء  
رمضان مع امكانه حتى دخل رمضان آخر لزمه مع القضاء لكل يوم مد » ولأنه  
لا خلاف فيه حينئذ فلا يكون لوصفه بالأصح معنى ، اذ مقابل الأصح - وهو  
الصحيح - انه لا يتكرر . فهل يمكن ان يكون المراد بعدم التكرار على الصحيح  
ان من أخر قضاء يومين من رمضانين الى رمضان آخر لا يجب عليه فديتان ؟  
لا لا . واذا تبين الحق فمن إضاعة الوقت البحث في كلام من لم يعرفه والاهتمام  
بفهم المراد منه . على ان بحث الشرقاوي والذهبي في العلة التحوية لصرف رمضان  
لا ينافي هذا ، ولا حاجة الى العناية والبحث فيما جاء به السقاف ، ولا الرجوع الى  
عبارة الدسوقي المالكي فانه ليس تفسيرا لعبارة المنهاج ولا يتفق مع مذهب الشافعي .  
فلنعني واضح والمذهب معروف .

(التقليد والمذاهب وجمع المسلمين على الكتاب والسنة)

(س ١٧) من صاحب الامضاء المصري في (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ منار الدين الحق السيد محمد رشيد رضا ادامه الله حيا لدينه .  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سيدي ارفع سؤالي هذا ولي عظيم الأمل في اني سأحصل على الجواب الشافي  
الذي يرجح ضميري واغلب المسلمين . نرى اختلافا كثيرا بين الأئمة المجتهدين

رضوان الله عليهم في مسائل عديدة ، الا انا نعتقد فيهم مشابون ومصيدون في ذلك ، لما نعلم من اعذارهم في مثل هذا ، كبوغ احدهم الدليل وعدم بلوغه للآخر ، او بلوغه وعدم صحته . فهم مشابون ومصيدون من حيث تحريمهم الحق ، لا من حيث اصابتهم لحقيقة الحكم ، اذ يستحيل ان يكونوا كلهم مصيبين مع هذا الاختلاف ، والا فيكون هذا حكما صريحا على ان في الشرع تناقضا وحاشاه من ذلك . اذا علمنا ان هذا هو سبب اختلافهم واقوالهم بين ايدينا فلماذا نختلف نحن ايضا ويتبع كل فريق منا مذهباً ؟ وهل يتعين على المسلمين في هذه الحالة ان يستخلصوا الأدلة الصحيحة الثابتة ويتركوا ما عداها وقد علموا عذر الأئمة في ذلك ؟ والا فان المقلد لا يسلم من ان يكون متبعاً امامه فيما أخطأ فيه او على الأقل فيما كان مذموا او مرجوحاً . وهل يصح ان يلتبس له عذرا من قلده مع خاوه عنه ؟ وهل الخطاب بالكتاب والسنة عام لكل اناس او مختص بالأئمة الاربعة فقط ؟ واذا كان الخطاب عاما فما عذر من عدل عنهما الى سواهما ؟ وان قيل ان الاستدلال بالكتاب والسنة لا يتأتى الا للعلماء وهم الأقلون ، فهل يتحتم على هؤلاء العلماء ارشاد العامة الى السبيل القيم مينة لهم الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله تاركين هذه الاختلافات القديمة التي لا تخلو من ضرر وقد اصبحت ذلك يسورا ؟ . رجائي الاجابة على هذه على صفحات مناركم الأغر ، ميين السبيل الحق في ذلك ، أتأبكم الله وادامكم نوارا يستضاء به ، تفضلوا بقبول احتراماتي

محسوبكم سليمان حلبي

(ج) قد سبق للمنار بيان هذه المسائل كلها مرارا ، وأول ما كتبناه فيها (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع . ثم جمعت في كتاب على حديثها . ثم وقفنا على مناظرة في بحث الاجتهاد والتقليد للمحقق ابن القيم نشرناها في المجلدين السادس والسابع . وتكرر ذلك في التفسير والفتاوى ، وما ورد في باب الفتوى اجوبة المسائل الباريسية التي سئل عنها أحمد باشا زكي في باريس فارسلها الينا . وقد طبعت في ذيل كتاب محاورات المصلح والمقلد . فاذا لم يتيسر للسائل مراجعة هذه المسائل في مواضعها المتفرقة من مجلدات المنار فليكتف بقراءة كتاب محاورات المصلح والمقلد وذيله ، ثم اذا بقي عنده او تجدد لديه بعض



الاسئلة في ذلك فليسأل عنها . وزريده هنا فائدة ينبغي ان يفكر فيها بعد ان يقرأ في اواخر ذلك الكتاب ما قرره المصلح في مسألة وحدة الأمة . وهي ان هذه الوحدة الدينية قد توجهت اليها نفوس عقلاء المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار . وانه لا يرجى حصولها في وقت قريب الا اذا ايد الاصلاح الديني دولة او ايمارة اسلامية . على ان الأمة لا بد ان تنبذ كل خلاف ، وتصير الى الوحدة ولو بعد جيل او اجيال .

### ﴿ اخلاعة في التمثيل ﴾

(س ١٨) من صاحب الامضاء في بيروت

سلام على امامنا السيد الرشيد ايده الله

وبعد فلا يخفي ان مولانا السيد كان اقبى في المنار من استفناه من دمشق في امر التمثيل الروائي بانه جائز اذا لم يكن فيه خلاعة . ونظر الاستاذ ذلك الجواز بكتب الأدب واللغة التي هي روايات خيالية ، وعلمية لا عملية كالمتمامات . ولما كان الداعي مختلفا هو وبعض العلماء في تلك الاخلاعة اتفقنا على ان استفتي سيادة الاستاذ في بيان وجهها . فسر الداعي تلك الاخلاعة بما يتخاها الفساق ويحصل في المراقص لاني الروايات التي يمثل فيها النساء مع الرجال ، وهي روايات ادب وعلم وصدق وعدل . وفسر ذلك البعض الاخلاعة بحال تلك النساء الممثلات . فانهن يمكن كاشفات الرأس والوجه واليدين حتى مافوق المرفقين واعلى الصدر . مع المعانقة الجزئية بين العاشق والمعشوقة وتقبيل جبهتها حسب ما يقتضي التمثيل . ويمكن ايضا لابسات الفخر الثياب مع زينة الخلي . فذكرت لهذا المفسران هذه الحال لا تكون الا للمجرد التمثيل كي تظهر نتائجها من حيث التوفيق بين العاشقين او الحكم عليهما حسب مقتضى امرهما كما هو من فوائد التمثيل التي تحدث عظة او خلقا في نفس الراي .

ثم اتني ذكرت لذلك العالم انه يسوغ ان يقاس ما فسرت انا على الحديث الصحيح الذي فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تنظر مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الرجال وهم يلعبون . فلما اورد هذا الحديث على الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وهو يحرم نظر الاجنبية الى الاجنبي ، اجاب ان نظرها انما هو اللعب نفسه ولم يكن مقصودا به النظر المجرد الى الرجال . فقال لي ذلك العالم ان ذلك كان في

زمن غير زمتنا المعروفة احواله . فاجبته بان تخيل الفسق يكون أمه على من يتخيله .  
فهذا خلافتنا رفعتنا الى مولاي الاجل كي يحكم بيننا بالحق . فالمرجو الجواب في الجزء  
الآتي من المناج اعز الله به الاسلام وناصره والحمد لله اولاً وآخراً .

بيروت : الأربعاء ٢٤ رجب سنة ١٣٣٢ الداعي : راغب القباني

(ج) ان الخلاعة التي ينبغي ان تكون مانعة من رؤية تمثيل القصص هي  
ما كان ذريعة للفسق وفساد الأخلاق . فانه ليس لأحد ان يحرم شيئاً غير ما حرم  
الله ورسوله بالنص او اقتضاء النص وهو سد الذرائع . فمن يخاف ان يغريه هذا  
التمثيل في بعض القصص بفعل محرم وجب عليه اجتنابه . ومن لا يخاف على نفسه  
ذلك تباح له رؤيته . واذا غلب فيه كونه ذريعة لمحرم يصح اطلاق القول بتحريمه .  
ولم يثبت هذا . بل المعروف ان من يحضرون هذا العمل يكون جل همهم مراقبة  
الاعمال كروية عائشة للعب الحبش ، وان يعرفوا الوقائع وعاقبتها وما لها . وقلم سمعنا  
أن احداً منهم يحفل بغير ذلك . فان وجد من افتتن في بعض البلاد باصراة ممثلة فلا  
يصح ان يجعل نفس التمثيل ذريعة لذلك على الاطلاق ، اذ ثبت في كل زمن ان  
بعض الناس يفتنون ببعض الحسان في الطرق او المعابد . اما النساء التي يمثلن في بعض  
القصص مكشوفات الرؤوس والسواعد فلسن - كما يعهد في هذه الاقطار - بمسلمات  
ولا يكلفن من فروع الشريعة ما تكلفه المسلمات . وقد جرى عرف أهل ملتهن  
على اسقاط حرمة الستر فلا يعدونه فضيلة بل نقصاً . وهن يمشين في الأسواق والشوارع  
حاسرات كما يكن في معاهد التمثيل . ولا فرق بين رؤيتهن في الأسواق ورؤيتهن  
في تلك المعاهد ولا بين الاختلاف الى الأسواق وهن فيها والاختلاف الى تلك المعاهد  
وهن فيها . والعبرة في ضرر ما يمثل من حيث الخلاعة والتهتك وغيره بموضوع القصة .  
فاذا كان موضوعها اعمالاً منكورة بحيث يكون تأثيرها شيئاً ضاراً ، فلا وجه للتردد  
في حظر ما كان كذلك ومنعه ان امكن والا فالاعتناع من رؤيته . واما ما كان  
موضوعه حسناً مرغوباً في الفضيلة ، منفراً عن الرذيلة ، او مبيناً لعواقب ظلم الحكام ،  
واستبدادهم في الاحكام . ومرشداً للأمة الى ازالة الظلم ، وأطر الظالمين على الحق ،  
ومجرباً لها على مقاومة العدوان والبنغي - فهو الذي يعده الحكماء من صريبات  
الأم ، ومهذبات الاخلاق ، وينظموه في سلك اساليب التربية العملية

## نموفج آخر من مدارج السالكين

من بحث تغير الأخلاق وعدمه في ضرب مثل اللانفعاؑ بكل خلق وكل غريزة وعدم محاولة تغييرها

### فصل

نافع جدا عظيم النفع للسالك يوصله عن قريب ، ويسير بأخلاقه التي لا يمكنه ازالتها ، فان اصعب ما على الطبيعة الانسانية تغير الأخلاق التي طبعت عليها ، وأصحاب الرياضات الصعبة والمجاهدات الشاقة انما عملوا عليها ولم يظفر اكثرهم بتبديلها ، لكن النفس اشتغلت بتلك الرياضات عن ظهور سلطانها ، فاذا جاء سلطان تلك الأخلاق وبرز كسر جيوش الرياضة وشتها واستولى على مملكة الطبع . وهذا فصل يصل به السالك مع تلك الأخلاق ولا يحتاج الى علاجها وازالتها ، ويكون سيره أقوى وأجل وأسرع من سير العامل على ازالتها .

ونقدم قبل هذا مثلا نضربه مطابقا لما تريده وهو : نهر جار في صنبه ومنحدره ، ومنتد الى تغريق ارض وعمران ودور ، وأصحابها يعلمون انه لا ينتهي حتى يحرب دورهم ويتلف أراضيتهم واموالهم ، فانقسموا ثلاث فرق : فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها الى سكره وحبسه وايقافه فلم تصنع هذه الفرقة كبير أمر ، فانه يوشك ان يجتمع ثم يحمل على السكر فيكون إفساده وتخريبه أعظم . وفرقة رأّت هذه الحالة وعلمت انه لا يعني عنها شيئا فقالت : لا خلاص من محذوره الا بقطعه من أصل ينبوع ، فرامت قطعه من أصله فتمذر عليها ذلك غاية التعذر ، وأبت الطبيعة النهرية ذلك اشد الالباء ، فهم دائميا في قطع ينبوع ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع ، فاشتغل هؤلاء بشأن هذا النهر عن الزراعات والعمارات وغرس الأشجار . فجاءت فرقة ثالثة خالفت رأي الفرقتين وعلموا أنهم قد ضاعت عليهم كثير من مصالحهم فاخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المنتهي الى خراب العمران ، وصرفوه الى موضع ينتفعون بوصوله اليه ولا يتضررون به ، فصرفوه الى ارض قابلة النبات وسقوها به ، فانبتت انواع العشب والكلأ والثمار المختلفة الاصناف ، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر :

فاذا تبين هذا المثل فالله سبحانه اقتضت حكمته ان ركب الانسان بل سائر الحيوان على طبيعة محمولة على قوتين غضبية وشهوانية وهي الارادية ، وهاتان القوتان هما الحاملتان لاخلق النفس وصفاتها ، وهما مركوزتان في جملة كل حيوان ، فبقوة الشهوة والارادة يجذب المنافع الى نفسه ، وبقوة الغضب يدفع المضار عنها ، فاذا استعمل الشهوة في طلب ما يحتاج اليه تولد منها الحرص ، واذا استعمل الغضب في دفع المضرة عن نفسه تولد منه القوة والعزة ، فاذا عجز عن ذلك المضار أورثه قوة الحقد ، وان اعجزه وصول ما يحتاج اليه ورأى غيره مستبدا به أورثه الحسد . فان ظفر به أورثته شدة شهوته وارادته خالق البخل والشح ، وان اشتد حرصه وشهوته على الشيء ولم يمكنه تحصيله الا بالقوة الغضبية فاستعملها فيه اورثه ذلك العدوان والبغي والظلم ، ومنه يتولد الكبر والفخر والخيلاء ، فانها اخلاق متولدة من بين قوتي الشهوة والغضب ، وتزوج احدهما بصاحبه .

فاذا تبين هذا فالنهر مثال هاتين القوتين ، وهو منصب في جدول الطبيعة وجراها الى دورالقلب وعمرانه وحواصله بذهبها ويتلفها ولا بد ، فالنفوس الجاهلة الظالمة تركته ومجراه فخرّب ديار الايمان وقلع آثاره وهدم عمرانه ، وانبت موضعها كل شجرة خبيثة من حنظل وضريع وشوك وزقوم ، وهو الذي يأكله أهل النار يوم القيامة يوم المعاد ، واما النفوس الزكية الفاضلة فانها رأت ما يؤول اليه امر هذا النهر فافترقوا ثلاث فرق ، فاحباب الرياضات والمجاهدات والخلوات والتمرنات راموا قطعه من ينبوعه فابت ذلك حكمة الله تعالى وما طبع عليه الجبلة البشرية، ولم تنقد لهم الطبيعة ، فاشتد القتال ودام الحرب وحمل الوطيس وصارت الحرب دولا وسجلا ، وهؤلاء صرفوا قواهم الى مجاهدة النفس على ازالة تلك الصفات .

وفرقة عرضوا عنها وشغلوا نفوسهم بالاعمال ولم يحيموا دواعي تلك الصفات مع تخليتهم اياها على مجراها ، لكن لم يكتفوا نهرها من إفساد عمرانهم بل اشتغلوا بتحصين العمران واحكام بنائه واساسه ، ورأوا ان ذلك النهر لا بد ان يصل اليه فاذا وصل الى بناء محكم لم يهدمه بل يأخذ عنه يمينا وشمالا ، فهؤلاء صرفوا قوة عزيمتهم وارادتهم في العمارة واحكام البناء ، وأولئك صرفوها في قطع المادة الفاسدة من اصلها خوفا من هدم البناء . وسألت يوما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة وقطع الآفات والاشتغال بتنقية الطريق وتنظيفها ، فقال لي جملة كلامه : النفس مثل الباطوس ( وهو جب القذر ) كما نبشته ظهر وخرج

ولكن ان أمكنك ان تسقف عليه وتعبره وتجوزه فافعل ، ولا تشتغل بنبشه فانك ان تصل الى قراره ، وكلما نبشت شيئاً ظهر غيره ، فقلت : سألت عن هذه المسألة بعض الشيوخ فقال لي : مثال آفات النفس مثال الحيات والعقارب التي في طريق المسافر فان اقبل على تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ولم يمكنه السفر قط . ولكن لتكن همتك المسير والاعراض عنها وعدم الالتفات اليها . فاذا عرض لك فيها ما يعوقك عن المسير فاقتله ثم امض على سيرك . فاستحسن شيخ الاسلام ذلك جدا ، واثني على قائله .

اذا تبين هذا فهذه الفرقة الثالثة رأيت ان هذه الصفات ما خلقت سدى ولا عبثا ، وانها بمنزلة ماء يسقى به الورد والشوك والثمار والخطب ، وانها صوان واصداف لجواهر منظوية عليها دواما فاخاف منه أولئك هو نفس سبب الفلاح والظفر ، فرأوا أن الكبر نهر يسقى به العلو والفخر والبطر والظلم والعدوان ، ويسقى به علو الهمة والانفة والحمية والمرامة لاعداء الله وقهرهم والعلو عليهم ، وهذه درة في صدفته ، فصرفوا مجراه الى هذا الفراس واستخرجوا هذه الدرة من صدفته وبقوه على حاله في نفوسهم ، لكن استعملوه حيث يكون استعماله انفع ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابا دجاجة يتبختر بين الصنفين فقال « انها لمشية يبخسها الله الا في مثل هذا الموضع » فانظر كيف خلى مجرى هذه الصفة وهذا الخلق مجري في احسن مواضعه ، وفي الحديث الآخر واضنه في المسند « ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله ، فالخيلاء التي يحبها الله احتمال الرجل في الحرب وعند الصدقة » فانظر كيف صارت الصفة المذمومة عبودية ، وكيف استحال القاطع موصلا . فصاحب الرياضات والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات ، هيات هيات ، انما يوقع ذلك في الآفات والشبهات والضلالات ، فان تزكية النفوس مسلم الى الرسل ، وانما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم اياها ، وجعلها على ايديهم دعوة وتعلما وبيانا وارشادا ، لا خلقا ولا إلهاما ، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الامم ، قال الله تعالى ( هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم - الى قوله - لفي ضلال مبين ) وقال تعالى ( كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليهم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم تكونوا تعلمون \* فاذا كروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ) وتزكية النفوس أصعب من علاج الابدان واشد ، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجيء بها الرسل ، فهو كالمرضى الذي يعالج نفسه برأيه ، وأين رأيه من معرفة الطبيب ؟ فالرسل اطباء القلوب فلا سبيل الى تزكيته وصلحها الا من طريقهم وعلى ايديهم ، وبمحض الاتقياد والتسليم لهم ، والله المستعان .

## الدين والتدين . والإلحاد والتعطيل

التدين غير بزة فطرية ، والدين حاجة من حاجات البشر الطبيعية ، والإلحاد والتعطيل إما نتص في الفطرة . كما يولد بعض الناس مخدوجا بنقص حاسة من حواسه ، أو تشوه عضو من أعضائه ، وأما تصرف سيئ في الفطرة ، وجناية على الطبيعة . وقد خلق الله الانسان في هذه الأرض واعطاه فيها سلطان التصرف فيها وفي نفسه . واسجد له من فيها من ملائكته ، الذين هم كالملاكات والقوى في تدير الأمر ، واقامة النظام في الخلق ، فهو بهذا التصرف فيها يفسد فيها ويسفك الدماء ، كما يصلح ويعمر وينفع الناس : يجني على نفسه فيحملها فوق طاقتها ، ويعرضها للأمراض التي لا قبل له بها ، ويجني على غيره بالعدوان والبغي ، واهلاك الحرث والنسل . فلا غرو اذا جنى على الدين ، بشبهة دليل او بغير دليل .

كان السواد الأعظم من الناس متدينا ، ولا يزال السواد الأعظم من الناس متدينا ، وسيبقى السواد الأعظم من الناس متدينا . ولكنهم يتصرفون في اديانهم ، كما يتصرفون في انفسهم وابدانهم ، وسيظلون زمنا طويلا في اضطراب ومخض ، بين رفع وخفض ، وابرار وتقض ، حتى تزول العصبية الدينية ، وتسقط الرياسات المذهبية ، ويكون الدين لله ، لا للخلفاء والاشياخ ، ولا للرهبان والأجبار ، ويكون للانسان الحرية فيه والاستقلال ، فيتفق أكثر المختلفين ، ويجتمع أكثر المتفرقين ، فتنشع السحب عن دين الفطرة ، ويدخلون في السلم كافة

كان الناس متدينين ، وكان يكون في كل جيل منهم في كل عصر اناس من المعطلين ، وافراد من الملحدون ، كما يوجد فيهم العمي الذين لا يبصرون . والصم الذين لا يسمعون ، والبكم الذين لا ينطقون . ( ٤٥ : ٣٣ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ) هذه حكاية القرآن عن بعض جاهلية العرب . وحكى مثله عن قوم نوح أقدم من أثر تاريخهم من الامم . ولكن بعض ملاحدة عصرنا يظنون لجهلهم بالتاريخ ان هذا الشذوذ خاص بالفلاسفة ، واصحاب الافكار الراقية ، ولهذا الامتياز الوهي

صار بعض الفوضاء يكفر بالتقليد ، لينتظم في سلك الفلاسفة الجديد . ويتفقت من قيد التكليف

نم يوجد من اهل النظر من حجته نظريات الفلسفة ، ومسائلها وتعليقاتها المسألة ، عن الدين وجوهه ، وما كان من حسن أوره ؛ فطفقوا يتدفون بتلك النظريات والمسلمات ، ظواهر الدين وتقاليد المحدثات ، وخيل اليهم انهم فازوا بقصب الرهان ، وأبرهوا جيوش الأوهام بسيف البرهان . وما ذلك الا وهم يناطح وهما ، هذا يسميه هدى وذلك يدعوه علما ، ولو كانت تلك النظريات علما يقينيا لما تنازعت فيها الافكار ، واختلفت باختلاف الأجيال والأعصار ، فان فلسفة هذا الزمان ، قد تقضت معظم فلسفة اليونان ، وينقض بعضها بعضا في كل عام . واما علم اليقين ، فلا شيء منه بمناقض لهداية الدين ، وان تقض بعض تواريخ الكتب المقدسة في بعض الأديان ، وبعض عقائدها المحترمة التي ما انزل الله بها من سلطان . وحاشا دين القرآن ، الذي كفل حفظه الرحمن ، فلم تؤثر فيه تأويلات المتكلمين ، ولا تعليقات المتفهمين ، دع اباطيل أهل الزيغ او الزندقة ، كالباطنية والمفلسفة . ان في الفلاسفة متدينين ، كما ان فيهم ماديين ، وكذلك اصحاب العقول الكبيرة من العلماء والقواد والسياسيين . فنولستوي الفيلسوف الروسي كان متدينا . والبرنس بسمارك كان متدينا ، وإمام الاطباء باستور كان متدينا ، وان اكبر قائد حربي في فرنسة اليوم متدين . كما كان ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد من فلاسفة المسلمين متدينين . وأمثالهم كثيرون في كل أمة

نم ان دين امثال هؤلاء قد يخالف في أصوله وفروعه دين العوام المقلدين ، لان لاعومهم وفلسفتهم طريقا خاصا في فهمهم الدين ، والعامي المقلد تابع لمن يلقيه ، والبيئة التي يعيش فيها كل منهم تأثير في فهم ما يتلقونه . فاذا كان العالم المستقل يخطئ فهم حقيقة الدين في قليل من المسائل ، فالجاهل المقلد اجبر بالخطا في فهم الاكثر منها . يفتخر كثير من مقلدة الاحاد في أمتنا بمن اشتهر من ملاحدة علماء الأفرنج ، غافلين عن الاعتبار بحال المتدينين منهم ، وما كل من طعن في الكنيسة واهلها من علماء الأفرنج كافر بالله ورسوله . بل لهؤلاء دين غير دين الكنيسة ، وتكفر الكنيسة

لهم كتكفير بعض المتكلمين والصوفية لابن سينا وامثاله. فمن متدنيي الافرنج المقلدون، ومنهم العقليون والموحدون. ولعل دين السواد الاعظم من المتعلمين المهذبين منهم كدين (مدام كلاير) : عجوز فرنسية ذات علم وادب ، من بيت في ليون محترم ، جاورتنا مرة في الدار ، قرأتها لا تذهب الى الكنيسة في ايام الاحاد ، فسألتها : ما بالك لا تذهين الى الكنيسة ؟ الست متدينة ؟ قالت : انا مؤمنة بالله وأصلي له في بيتي ، وما فضل الكنيسة على البيت ؟ انها لا فضل لها الا ان فيها رجالا يأكلون اموالنا ... قلت : اتدينين بعقيدة التثليث ؟ قالت لا اعرف التثليث ، اعرف ان الرب واحد . قلت وما تقوين في السيد المسيح عليه السلام ؟ قالت « مثل نبي » فبذره حل اهل التعليم العالي في التوم . دع السواد الاعظم من العامة ، وكثيرا ممن يعدون من الخاصة ، الذين يتمسكون بمذاهبهم التقليدية ، لا يثنيهم عنها انكار العقليين ولا غيره

أفلا ينظرون من وراء ذلك كله - جهاوه ام عرفوه - الى ما يبذله الإفرنج من ملايين الجنيهات لجمعياتهم الدينية لأجل نشر دينهم في الخائفين ، وتعميمه في المشرقين والمغربين ؟ يقول بعضهم بغير علم : ان الغرض من ذلك سياسي لا ديني . كذبوا ، وحكموا بما لم يعلموا ، ان تلك الملايين يبذلها الشعب الذي لا يعرف السياسة . ولا ننكر ان اهل السياسة يستفيدون من سعي المبشرين ، فاذا كانت حكومة روسيا تستفيد بسياستها من تنصير دعاة الارثوذكسية لسلمي بلادها ، وانكلترا تستفيد من تنصير دعاة البروتستانتية لمن ينصرون من اهل الهند والسودان ، فاي فائدة سياسية لأمريكا في بث دعاة النصرانية في بلاد العرب والترك والفرس والهند وسائر الأقطار ؟

تأملت في حال ملاحدة هذا العصر ، فما رأيت اشد عمية ، وابدع فواية ، واضل سبيلا ، وافسد قبلا ، من ملاحدة المسلمين الجغرافيين . ما رأيت احدا منهم صاحب دعوة سياسية في أمته قد ثبت عنده ان الاسلام يعارضها ، ويحول دون التحول السياسي والاجتماعي الذي يراد بها ، فهو ينفر من الاسلام وينفر عنه لأجلها ، كيف وهم يعترفون تبعا لحكام الافرنج بان الدين اقوى



عوامل السياسة ولا سيما دين الاسلام ، كما صرح بذلك علماء الاجتماع  
ما رأيت احدا منهم صاحب مذهب فلسفي أدبي ثبت عنده أن حكمة الاسلام  
تناقضه ، وان صلاح الأمة لا يكون الا به ، فهو يلجج بالاعتراض على الاسلام ، لانه  
عقبة في طريق ما يحاول من الاصلاح . كيف وان التربية عند أمتهم - أكثر الافرنج  
لاتزال قائمة على اساس آداب الدين ؟

ما رأيت احدا منهم عني بفقہ القرآن وصحيح السنة ، وما كان عليه سلف  
الأمة ، ثم عرضت له شبه قوية على صحة تلك الهداية فهو يريد التفصي منها ، وقد  
خاتته اليينات والدلائل المزيلة لها . كيف ونحن نعلم ان أكثرهم لم يقرأ تفسير سورة  
من السور ، ولا يميز بين الصحيح والموضوع من الأثر ؟ وان من له الملم بشيء من  
علم الدين ، قلما يعرف الا بعض القشور من هذه التقاليد ، فهو يهزأ بالدين لأجل  
خوافة او بدعة ، يحسب انها عقيدة ثابتة اوسنة .

ألا انهم على ما هم عليه من جهل بحقيقة الاسلام ، وقصور عن النهوض بدعوة  
الى الاصلاح ، يطلقون للسانهم العنان ، فيجمع بهم في كل ميدان . فمنهم من  
يتشدد بالسياسة ، ومنهم من يتفهب بللقابلة بين التانون والشرعية ، ومنهم من يهتد  
بالأخلاق والآداب ، ومنهم من يهذي بالاعتراض على العبادات ، يتخفون الكلام  
في ذلك هزواً ولها ، وافا كيه يئلدزون بها تلفذا ، في زمن قل فيه العليم بأسرار الدين ،  
والبصير بحكم التشريع ، الذي يفرق بين الأصول الثابتة بالدليل ، والنصوص التي لا  
تحتل التأويل . وبين الفروع المستنبطة بالاجتهاد ، والظواهر التي لم يعين منها المراد .  
على ان الأرض لا تخاو من قائم لله بحجته ، ومن مفصح للشرع عن حكته ،  
ولكن هؤلاء بعزل عن الحجة واهلها ، هي مجهولة لهم فهم لا يطلبونها ، ثقيلة عليهم  
فاذا تليت عليهم آياتها لا يسمونها . الا من كان سليم الفطرة ، قريب العهد بهذه  
الهجرة . وطالما تأذنتهم المنار ، بما يذهب بالتعلات والاعذار ، من الاستعداد  
لازالة كل شبهة ، والتصدي لكشف كل غمة .

يا سبحان الله ! أتبيح السياسة لبسرك أعظم رجال أوربة في القرن الماضي -  
وهو كما قال جمهوري بالطبع - ان يكون على دين يناقض طبعه فيجعل عبداً مملوكاً

بروسية ، لأنه يقول له ان سلطة الملوك من الله ؛ - ولا تبيح لهؤلاء المتشدين منا ان يكونوا على دين سبق كتابه الى وضع اعظم اساس للحكم الدائى بقوله ( وامرهم شورى بينهم ) ؟ واقام على هذا الاساس اركان المصالح المرسله ، وجعل رفع المنسدة مقدما على جلب المصلحة ؛ - الى غير ذلك من الاركان الثابتة ، ثم قس على هؤلاء المتشدين ، أمثالهم من المنفيقين والهاذين والهاذرين .

وان تعجب فمجب خوضهم في مسائل الاخلاق والآداب ، فقد اقلبت عقولهم فيها شر الانقلاب ، حتى صار فيهم من يعد العفة والغيرة والرحمة من الرذائل ، وأضدادها من الفضائل ، بناء على قاعدة الانتخاب الطبيعي التي تفري القوي بالضعيف ، وتبيح له ان يعجل بسلب حياته ويستأردونه بزوجه وماله ، ولعل واحدهم لا يرجع عن هذه الغواية الا اذا مسه الضر ، وعضه ناب الفقر ، وتصدى اخوانه في الكفر لا زهاق روحه ، وتعدى أخذانه في الاحاد على عرض زوجه ، ومنعوها من خدمته ومواساته . بناء على قاعدتهم في كون الحق في ذلك للقوي القادر على الإنتاج ، والقيام بشؤون الاجتماع !

ألا إن من بلغ هذه الغاية من ارتكاس الفطرة ، وانتكاس الفكرة ، فصار يرى الحقائق بغير صورها ، ويزن الاشياء بغير ميزانها ، فلا طمع في هدايته ، ولا رجاء في مناظرته ، أولئك الذين نحّم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين ، ويمارونك في البديهي وقد تبين .

واما أكثر المخدوعين ، بأوهام هؤلاء المبطلين ، فهم مستعدون لقبول الدليل ، والاهتداء الى سواء السبيل ، اذا تداركهم العلماء والراسخون ، وتماهدهم الحكماء الربانيون ، ولكن قل العلماء القادرون على كشف الابهات ، وكثر المشتبّهون ، فالاصلاح موقوف على تكثير سواد المصلحين الجامعين بين علوم الدنيا والدين ، مع استقلال الفكر ، وتزكية النفس ، ولا يكون هذا الا تربية وتعليم ، على صراط الحق المستقيم . فقل للذين هم على الدين يقارون ، : لئلهذا فليعمل العاملون . فسارعوا اليه ان كنتم صادقين ، . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين .

## فصل<sup>(\*)</sup>

(الابتداع بالتشدد في الدين . والتزام ما لم يرد وتبع آثار الصالحين )  
من كتاب الاعتصام للشاطبي

ثم اتى بماخذ آخر من الاستدلال على صحة ما زعم ، وهو أن الدعاء على ذلك الوجه لم يرد في الشرع نهي عنه مع وجود الترغيب فيه على الجملة ، ووجود العمل به . فان صح أن السلف لم يعملوا به ، فالترك ليس بموجب لحكم في المتروك الا جواز الترك وانتفاء المارج خاصة ، لا تحريم ولا كراهية .

وجميع ما قاله مشكل على قواعد العلم وخصوصا في العبادات - التي هي مسألتنا - اذ ليس لأحد من خلق الله ان يحترع في الشريعة من رأيه امر الا يوجد عليه منها دليل ، لانه عين البدعة ، وهذا كذلك ، اذ لا دليل فيها على اتخاذ الدعاء جهرا للحاضرين في آثار الصلوات دائما ، على حد ما نقام ، بحيث يمد الخارج عنه خارجا عن جماعة أهل الاسلام متجزا ومتميزا<sup>(١)</sup> - الى سائر ما ذكر ، وكل ما لا يدل عليه دليل<sup>(٢)</sup> فهو البدعة والى هذا<sup>(٣)</sup> فان ذلك الكلام يوم ان اتباع المتأخرين المتقلدين خير من اتباع الصالحين من السلف ، ولو كان في احد جانزين ، فكيف اذا كان في امرين احدهما متيقن انه صحيح والآخر مشكوك فيه ؟ فيتبع

(\* تابع لما نشر في ص ٤٣٣ ج ٦

(١) كذا في الاصل (٢) سقط لفظ دليل من الاصل (٣) لعله : وعلى هذا

المشكوك في صحته ، ويترك ما لا مزية في صحته ولو امان يتبعه <sup>(١)</sup>  
ثم اطلاقه القول بان الترك لا يوجب حكما في المتروك الا جواز  
الترك ، غير جار على أصول الشرع الثابتة . فنقول ان هنا اصلا لهذه  
المسئلة لعل الله ينفع به من أنصف من نفسه : وذلك ان سكوت الشارع  
عن الحكم في مسئلة ما او تركه لا أمر ما على ضربين .  
(احدهما) ان يسكت عنه أو يتركه لأنه لا داعية له تقتضيه ، ولا  
موجب يقرر لاجله ، ولا وقع سبب تقريره ، فالنوازل الحادثة بعد وفاة  
النبي صلى الله عليه وسلم ، فانها لم تكن موجودة ثم سكت عنها مع وجودها ،  
وانما حدثت بعد ذلك ، فاحتاج أهل الشريعة الى النظر فيها واجرائها على  
ما تبين في الكليات التي كمل بها الدين ، والى هذا الضرب يرجع جميع  
ما نظر فيه السلف الصالح مما لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
الخصوص مما هو معقول المعنى ، كتممين الصانع ، ومسئلة الحرام ،  
والجد مع الاخوة ، وعول الفرائض . ومنه جمع المصحف ، ثم تدوين  
الشرائع ، وما أشبه ذلك مما لم يحتاج في زمانه عليه السلام الى تقريره  
للتقديم <sup>(٢)</sup> كلياته التي تستنبط منها ، اذا لم تقع اسباب الحكم فيها ولا الفتوى  
منه عليه السلام ، فلم يذكر لها حكم مخصوص .

فهذا الضرب اذا حدثت اسبابه فلا بد من النظر فيه واجرائه على  
أصوله ان كان من العاديات ، أو من العبادات التي لا يمكن الاقتصار فيها  
على ما سمع ، كمسائل السهو والنسيان في اجراء العبادات . ولا اشكال

(١) كذا في الاصل (٢) كذا في الاصل وهو محرف . ولعل في الكلام  
حذف أيضا والمعنى المراد ظاهر ، وهو ان ما لم يحتاج الى تقريره في عصر النبوة  
من جزئيات الاحكام قد وجد في الشريعة من القواعد الكلية ما يدخل به ويسمى مستنبط هو

في هذا الضرب ، لان أصول الشرع عقيدة ، واسباب تلك الاحكام لم تكن في زمان الوحي ، فالسكوت عنها على الخصوص ليس بحكم يقتضي جواز الترك أو غير ذلك ، بل اذا عرضت النوازل روجع بها اصولها فوجدت فيها ، ولا يجدها من ليس بجتهد ، وانما يجدها المجتهدون الموصوفون في علم أصول الفقه .

(والضرب الثاني) أن يسكت الشارع عن الحكم الخاص أو يترك امرأ ما من الأمور ، وموجبه المقتضي له قائم ، وسببه في زمان الوحي وفيما بعده موجود ثابت ، الا انه لم يحدد فيه امر زائد على ما كان من الحكم العام في امثاله ولا ينقص منه ، لانه لما كان المعنى الموجب لشروية الحكم العقلي الخاص موجوداً لم يشرع ولا يبه على السبب<sup>(١)</sup> كان صريحاً في ان الزائد على ما ثبت هنالك بدعة زائدة ومخالفة لقصد الشارع ، اذ فهم من قصده الوقوف عند ما مد هنالك لا الزيادة عليه ولا التقصان منه ولذلك مثال فيما نقل عن مالك بن أنس في سماع اشهب وابن نافع هو غاية فيما نحن فيه ، وذلك ان مذهبه في سجود الشكر الكراهية وانه ليس بمشروع وعليه بني كلامه . قال في العتبية : وسئل مالك عن الرجل يأتيه الامر يحبه فيسجد لله عز وجل شكراً ؟ فقال : لا يفعل هذا مما مضى من امر الناس . قيل له : ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه - فيما يذكر - سجد يوم اليمامة شكراً لله . اُفسمعت ذلك ؟ قال : ما سمعت ذلك ، وانا اري ان قد كذبوا على أبي بكر . وهذا من الضلال ان يسمع المرء الشيء فيقول : هذا لم تسمه مني . قد فتح الله على رسول الله صلى

(١) كذا والمعنى ولم يبه على قاعدة لاستنباطه منها

الله عليه وسلم وعلى المسلمين بعده . أفسمعت ان احدا منهم فعل مثل هذا ؟ اذ ما قد كان في الناس وجري على أيديهم سمع عنهم فيه شيء ، فمليك بذلك فانه لو كان لذكر ، لانه من أمر الناس الذي قد كان فيهم ، فهل سمعت ان احدا منهم سجد ؟ فهذا اجماع . واذا جاءك امر لا تعرفه فدعه . تمام الرواية . وقد احتوت على فرض سؤال والجواب بما تقدم .

وتقرير السؤال ان يقال في البدعة - مثلا - : انها فعل سكت الشارع عن حكمه في الفعل والترك ، فلم يحكم عليه بحكم على الخصوص ، فالأصل جواز فعله ، كما أن الأصل جواز تركه ، اذ هو معنى الجائز ، فان كان له أصل جلي فاحرى ان يجوز فعله ، حتى يقوم الدليل على منعه أو كراهته ، واذا كان كذلك ، فليس هنا مخالفة لقصد الشارع ، ولا ثم دليل خالفه هذا النظر ، بل حقيقة ما نحن فيه انه أمر مسكوت عنه عند الشارع ، والمسكوت عند الشارع لا يقتضي مخالفة ولا موافقة ، ولا يمين الشارع تصدا مادون ضده وخلافه ، واذا ثبت هذا فالعمل به ليس بمخالف اذ لم يثبت في الشريعة نهي عنه .

وتقرير الجواب : معنى ما ذكره مالك رحمه الله ، وهو أن التشديد عن حكم الفعل أو الترك هنا اذا وجد المعنى المقتضي له اجماع من كل ساكت على أن لازمه على ما كان . اذ لو كان ذلك لا ثقا شرعا أو سائعا لعلوه ، فهم كانوا احق بادراكه والسبق الي العمل به ، وذلك اذا نظرنا الى المصلحة ، فانه لا يخلو إما أن يكون في هذه الأحداث مصلحة أو لا . والثاني لا يقول به أحد ، والاول إما ان تكون تلك المصلحة الحادثة أكد

من المصلحة الموجودة في زمان التكليف أولاً ، ولا يمكن ان يكون<sup>(١)</sup> مع كون المحدثه زيادة تكليف ، ونقضه<sup>(٢)</sup> عن المسكف اخرى بالأزمنة المتأخرة ، لما يعلم من قصور المهم واستيلاء الكسل ، ولأنه خلاف بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ورفع المخرج عن الأمة ، وذلك في تكليف العبادات ، لان العادات أمر آخر - كما سيأتي - وقد مر منه<sup>(٣)</sup> فلم يبق الا ان تكون المصلحة الظاهرة الآن مساوية للمصلحة الموجودة في زمان التشريع أو أضعف منها ، وعند ذلك تصير هذه الاحداث عبثاً أو استدراكاً على الشارع ، لان تلك المصلحة الموجودة في زمان التشريع ان حصلت للأولين من غير هذا الاحداث اذا عبث<sup>(٤)</sup> إذ لا يصح أن يحصل للأولين دون الآخرين ، فقد صارت هذه الزيادة تشريعاً بعد الشارع بسبب الآخرين ما فات للأولين<sup>(٥)</sup> فلم يكمل الدين إذا دونها ، ومعاذ الله من هذا المأخذ .

وقد ظهر من العادات الجارية فيما نحن فيه ان ترك الأولين لأمر ما من غير أن يمينوا فيه وجها مع احتمالها في الأدلة الجمالية ووجود المظنة ، دليل على ان ذلك الأمر لا يعمل به ، وأنه إجماع منهم على تركه .

(١) انظر اسم أن يكون وخبره ؟ الظاهر انه قد سقط من الناسخ . والمعنى الذي يقتضيه السياق ويتعين مما يأتي هو نهي كون المصلحة الحادثة أكد ، لانه يقول انها مساوية أو أضعف . فلعل أصل الكلام : « ولا يمكن ان يكون أكد » وقوله مع كون المحدثه الخ تعليل للنفي ( ٢ ) كذا ولعل الأصل قصه بالصاد المهملة ، أي نقص التكليف وتخفيفه

( ٣ ) كذا ولعل الأصل « وقد مر شيء منه » أو ما هو بمعنى هذا

( ٤ ) لعل الأصل « فبني اذا عبث » ( ٥ ) لعل الأصل « بسبب للآخرين

ما فات الأولين »

قال ابن رشد في شرح مسألة العتبية : الوجه في ذلك انه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - فرضاً ولا نفلاً ، اذ لم يأمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فعله ، ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله ؛ والشرائع لا تثبت الا من احد هذه الامور - قل - واستدلاله على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده ، « بان ذلك لو كان لنقل » صحيح ، اذ لا يصح ان تتوفر الدواعي على ترك نقل شريعة من شرائع الدين ، وقد أمروا بالتبليغ - قال - وهذا أصل من الاصول ، وعليه يأتي اسقاط الزكاة من الخضر والبقول مع وجود سبب الزكاة فيها ، لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم « فيما سقت السماء والعيون والبعل الشر ، وفيما سقي بالنضح نصف العشر » لانا نزلنا ترك نقل اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الزكاة منها كالسنة القائمة في ان لا زكاة فيها ؛ فكذلك نزل ترك نقل السجود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشكر كالسنة القائمة في ان لا سجود فيه . ثم حكى خلاف الشافعي والكلام عليه ؛ والمقصود من المسئلة توجيه مالك لها من حيث انها بدعة ، لا توجيه انها بدعة على الاطلاق .

وعلى هذا النحو جرى بعضهم في تحريم نكاح المحلل ، وانه بدعة منكورة ، من حيث وجد في زمانه عليه السلام المعنى المقتضي للتخفيف والترخيص للزوجين باجازة التعطيل ليتراجعا كما كانا اول مرة ، وانه لما لم يشرع ذلك مع حرص امرأة رفاة على رجوعها اليه دل على ان التحليل ليس بمشروع لها ولا لغيرها . وهو أصل صحيح اذا اعتبر وضع به ما نحن بصدده ، لأن التزام الدعاء بآثار الصلوات جهرا للحاضرين



في مساجد الجماعات لو كان صحيحاً شرعاً أو جائزاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك ان يفعله .

وقد عطل المنكر هذا الموضوع بعطل تقتضي المشروعية ، وبني على فرض انه لم يأت ما يخالفه وان الاصل الجواز في كل مسكوت عنه .

أما ان الاصل الجواز فيمتنع ، لأن طائفة من العلماء يذهبون الى ان الاشياء قبل وجود الشرع على المنع دون الاباحة ، فما الدليل

على ما قال من الجواز ؛ وان سلمنا له ما قال : فهل هو على الاطلاق ام لا ؛ أما في العاديات فسلم ، ولا نسلم ان ما نحن فيه من العاديات ، بل من

العباديات ، ولا يصح ان يقال فيما فيه تعبد : انه مختلف فيه على قولين - : هل هو على المنع ؛ ام هو على الاباحة ؛ بل هو اصراً زائداً على المنع ، لأن

التعبديات انما وضعت للشارع<sup>(١)</sup> فلا يقال في صلاة سادسة - مثلاً - : انها على الاباحة ، فلمكلف وضعها - على احد القولين - ليعتدبها الله .

لانه باطل باطلاق ، وهو اصل كل مبتدع يريد ان يستدرك على الشارع . ولو سلم انه من قبيل العاديات او من قبيل ما يعقل معناه ، فلا يصح العمل

به أيضاً ، لأن ترك العمل به من النبي صلى الله عليه وسلم في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي ازمتهم ، قد تقدم انه نص في الترك

واجماع من كل من ترك ، لأن عمل الاجماع كنهه - كما اشار اليه مالك في كلامه - .

وأيضاً فما يعلل له لا يصح التعليل به ؛ وقد أتى الراي باوجه منه (أحدها) ان الدعاء بتلك الهيئة ليظهر وجه التشريع في الدعاء ، وانه

(١) لعله « انما وضعها للشارع »

بآثار الصلوات مطلوب . ومآقاله يقتضي ان يكون سنة بسبب الدوام والاظهار في الجماعات والمساجد ؛ وليس بسنة اتفاقا منا ومنه ؛ فانقلب اذا وجه التشريع .

وأيضاً فان اظهار التشريع كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم والى ، فكانت الكيفية المتكلم فيها أولى للاظهار ، ولما لم يفعله عليه السلام دل على الترك مع وجود المعنى المقتضي ، فلا يمكن بعد زمانه في تلك الكيفية الا الترك .

( والثاني ) ان الامام يجمعهم على الدعاء ليكون باجتماعهم أقرب الى الاجابة . وهذه العلة كانت في زمانه عليه السلام ، لأنه لا يكون احد اسرع اجابة لدعائه منه ؛ اذ كان محاب الدعوة بلا اشكال ، بخلاف غيره وان عظم قدره في الدين فلا يبلغ رتبته ، فهو كان احق بان يزيدهم الدعاء لهم خمس مرات في اليوم والليلة زيادة الى دعائهم لأنفسهم .

وأيضاً فان قصد الاجتماع على الدعاء لا يكون بعد زمانه أبلغ في البركة من اجتماع يكون فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واصحابه ، فكانوا بالتنبيه لهذه المنقبة أولى .

( والثالث ) قصد التعليم للدعاء ليأخذوا من دعائه ما يدعون به لانفسهم امثلا يدعوا بما لا يجوز عقلا أو شرعا . وهذا التعليل لا ينهض ، فأن النبي صلى الله عليه وسلم كان المعلم الاول ، ومنه تلقينا الفاظ الأدعية ومعانيها ، وقد كان من العرب من يجهل قدر الربوبية فيقول :

رب العباد ما لنا ومالك انزل علينا الغيث لا ابالك

وقال الآخر :

لا همُّ ان كنت الذي بعدي ولم تغيرك الامور بعدي  
وقال الآخر:

أبي لبني لا اجبكم وجد الآله بكم كما اجد  
وهي الفاظ يفتقر اصحابها الى التعليم ، وكانوا أقرب عهد بجاهلية  
تعامل الاصنام معاملة الرب الواحد سبحانه ، ولا تزهه كما يليق بجلاله ؛  
فلم يشرع لهم دعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات دائما ليعلمهم أو يعينهم  
على التعلم اذا صلوا معه ، بل علم في مجالس التعليم ، ودعا لنفسه إثر الصلاة  
حين بداله ذلك ، ولم يلتفت اذ ذلك الى النظر للجماعة ، وهو كان أولى  
الخلق بذلك .

(والرابع) ان في الاجتماع على الدعاء تعاونا على البر والتقوى ، وهو  
مأمور به . وهذا الاحتجاج ضعيف . فان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي  
انزل عليه (وتعاونوا على البر والتقوى) وكذلك فعل . ولو كان الاجتماع  
للدعاء أثر الصلاة جهرا للحاضرين من باب البر والتقوى لكان أول  
سابق اليه ، لكنه لم يفعله أصلا ولا احد بعده حتى حدث ما حدث .  
فدل على انه ليس على ذلك الوجه بر ولا تقوى .

(والخامس) ان عامة الناس لا علم لهم باللسان العربي ، فربما لحن  
فيكون اللحن سبب عدم الاجابة . وحكى عن الاصمعي في ذلك  
حكاية شعرية لا فقهية . وهذا الاحتجاج الى اللعب أقرب منه الى الجدل ،  
وأقرب ، وفيه ان احدا من العلماء لا يشترط في الدعاء ان لا يلحن كما يشترط

الاخلاص وصدق التوجيه<sup>(١)</sup> وعزم المسئلة، وغير ذلك من الشروط .  
وتعلم اللسان العربي لاصلاح الالفاظ في الدعاء - وان كان الامام اعرف  
به - هو كسائر ما يحتاج اليه الانسان من أمر دينه ؛ فان كان الدعاء  
مستجبا فالقراءة واجبة، والفقهاء في الصلاة كذلك ؛ فان كان تعاليم الدعاء اثر  
الصلاة مطلوباً ، فتعليم فقه الصلاة أكد ؛ فكان من حقه ان يجعل ذلك  
من وظائف آئار الصلاة .

فان قيل بموجبه في المحرف المتعارف . فهذه القاعدة تبحث أصله ؛ لأن  
السلف الصالح كانوا أحق بالسبق الى فضله لجميع ما ذكر فيه من الفوائد ،  
ولذلك قال مالك فيها : أترى الناس اليوم كانوا ارغب في الخير ممن مضى ؛  
وهو اشارة الى الاصل المذكور ، وهو أن المعنى المقتضي للاحداث -  
وهو الرغبة في الخير - كان أتم في السلف الصالح وهم لم يفعلوه ، فدل  
على انه لا يفعل .

وأما ما ذكر من آداب الدعاء فكله مما لا يتعين له إثر الصلاة ؛  
بدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم .نها جملة كافية ولم يعلم منها  
شيئا إثر الصلاة ، ولا تركهم دون تعليم ليأخذوا ذلك منه في آخر الصلاة ،  
أولستغفوا بدعائه عن تعليم ذلك ؛ ومع ان الحاضرين للدعاء لا يحصل  
لهم من الامام في ذلك كبير شيء ، وان حصل فلن كان قريبا منه دون  
من بعد .

(١) أي توجيه القلب الى الله تعالى المأخوذ من قوله (وجهت وجهي للذي فطر  
السموات والارض) ويحتمل ان تكون (التوجه) الذي هو مطاوع التوجيه

## فصل

ثم استدلل المستنصر بالقياس فقال : وان صح ان السلف لم يعملوا به ، فقد عمل السلف بما لم يعمل به من قبلهم مما هو خير - ثم قال بعد : قد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » فكذلك تحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما أحدثوا من الفتور .

وهذا الاستدلال غير جار على الاصول : (أما أولاً) فإنه في مقابلة النص ، وهو ما أشار اليه مالك في مسألة العتبية ، فذلك من باب فساد الاعتبار . (وأما ثانياً) فإنه قياس على نص لم يثبت بعد من طريق مرضي ؛ وهذا ليس كذلك . (وأما ثالثاً) فإن كلام عمر بن عبد العزيز فرع اجتهادي جاء عن رجل مجتهد يمكن أن يخطئ فيه كما يمكن أن يصيب ، وانما حقيقة الاصل أن يأتي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهل الاجماع ؛ وهذا ليس عن واحد منهما . (وأما رابعاً) فإنه قياس بغير معنى جامع أو بمعنى جامع طردي<sup>(١)</sup> ؛ ولكن الكلام فيه سيأتي - إن شاء الله - في الفرق بين المصالح المرساة والبدع .

وقوله « ان السلف عملوا بما لم يعمل به من قبلهم » حاش لله ان يكونوا ممن يدخل تحت هذه الترجمة . وقوله « مما هو خير » أما بالنسبة الى السلف فما عملوا خيراً ؛ وأما فرعه المقيس فكونه خيراً دعوى ، لأن كون الشيء خيراً أو شراً لا يثبت الا بالشرع ، أو لأن الدعاء على تلك الهيئة غير خير شرعاً .

(١) لعل الاصل « غير طردي »

وأما قياسه على قوله «تحدث للناس أقضية» فما تقدم<sup>(١)</sup> وفيه أمر آخر، وهو التصريح بأن إحداث العبادات جائز قياساً على قول عمر، وإنما كلام عمر بعد تسليم القياس عليه في معنى عادي يختلف فيه مناط الحكم الثابت فيما تقدم، كتضمنين الصناعات، أو الظنة في توجيه الإيمان، دون مجرد الدعاوى، فيقول: إن الأولين توجهت عليهم بعض الأحكام لصحة الأمانة والديانة والفضيلة؛ فلما حدثت اضدادها اختلف المنطوق فوجب اختلاف الحكم، وهو حكم رادع أهل الباطل عن باطلهم؛ فأثر هذا المعنى ظاهر مناسب بخلاف ما نحن فيه، فإنه على الضد من ذلك؛ ألا ترى أن الناس إذا وقع فيهم الفتور عن الفرائض فضلا عن النوافل - وهي ماهي من القلة والسهولة - فما ظنك بهم إذا زيد عليهم أشياء أخرى يرغبون فيها، ويرخصون<sup>(٢)</sup> على استعمالها؛ فلا شك أن الوظائف تتكاثر حتى يؤدي إلى أعظم من الكسل الأول، وإلى ترك الجميع. فإن حدث للعامل بالبدعة هو في بدعته، أو لمن شايعه فيها، فلا بد من كسله مما هو أولى<sup>(٣)</sup>

فنحن نعلم أن ساهر ليلة النصف من شعبان لتلك الصلاة المحدثثة لا يأتيه الصبح إلا وهو نائم أو في غاية الكسل فيخل بصلاة الصبح،

(١) كذا والظاهر أنه سقط منه شيء. ولعل أصله «فما تقدم تعلم بطلانه»

(٢) كذا والترخيص هنا غير مناسب ولا يتعدى إلى فعل الأصل «ويحضون»

(٣) ظاهر أن في هذه العبارة غلطا. والمعنى المفهوم من السياق أن صاحب البدعة إذا كان يعرض له الكسل في بدعته ولمن شايعه عليها، فلا بد من عرض الكسل له في غيرها من الأعمال بالأولى. لأن نظرية البدعة أنها مجديتها تحدث نشاطا بعد الفتور كما تقدم

وكذلك سائر المحدثات ، فصارت هذه الزيادة عائدة على ما هو أولى منها بالإبطال أو الإخلال ؛ وقد مر أن ما من بدعة تحدث إلا ويموت من السنة ما هو خير منها .

وأيضاً فإن هذا القياس مخالف لأصل شرعي ، وهو طلب النبي صلى الله عليه وسلم بالسهولة والرفق والتيسير وعدم التشديد . وزيادة وظيفة لم تشع فتظهر ويعمل بها دائماً في مواطن السنن ، فهو تشديد بلا شك . وإن سألنا ما قال ، فقد وجد كل مبتدع من العامة السبيل إلى أحداث البدع ، وأخذ هذا الكلام بيده حجة وبرهانا على صحة ما يحدثه كائناً ما كان ؛ وهو صريح بعيد .

\*  
\* \*

ثم استدلل على جواز الدعاء إثر الصلاة في الجملة ، ونقل في ذلك عن مالك وغيره أنواعاً من الكلام ، وليس محل النزاع<sup>(١)</sup> بل جعل الأدلة شاملة لتلك الكيفية المذكورة . وعقب ذلك بقوله : وقد تظاهرت الأحاديث والآثار وعمل الناس وكلام العلماء على هذا المعنى ، كما قد ظهر — قال — ومن المعلوم أنه عليه السلام كان الإمام في الصلوات ، وأنه لم يكن ليخص نفسه بتلك الدعوات ، إذ قد جاء في سنته « لا يحل لرجل أن يؤم قوماً إلا بأذنهم ، ولا يخصص نفسه بدعوة دونهم ، فإن فعل فقد خانهم » . فتأملوا يا أولي الألباب ؛ فإن عامة النصوص فيما سمع من ادعيتهم في إدار الصلوات إنما كان دعاء لنفسه ، وهذا الكلام يقول فيه : إنه لم يكن ليخصص نفسه بالدعاء دون الجماعة ؛ وهذا تناقض . ومن الله نسأل التوفيق .

(١) لفظ محل منصوب خبر ليس ، أي وليس هذا محل النزاع

وانما حمل الناس الحديث على دعاء الامام في نفس الصلاة من السجود وغيره ، لا فيما حمله عليه هذا المتأول . ولما لم يصح العمل بذلك الحديث عند مالك اجاز للامام ان يخص نفسه بالدعاء دون المؤمنين . ذكره في النوادر . ولما اعترضه ثقل العلماء وكلام السلف مما تقدم ذكره ، أخذ يتأول ويوجه كلامهم على طريقته المرتكبة<sup>(١)</sup> ووقع له في كلام على غير تأمل لا يسلم ظاهره من التناقض والتدافع لوضوح أمره ، وكذلك في تأويل الاحاديث التي نقلها ، لكن تركت هنا استيفاء الكلام عليها لطوله ، وقد ذكرته في غير هذا الموضوع والحمد لله على ذلك

## فصل

\*( بحث جليل في كون المشتبهات تدخل في البدع الاضافية ) \*

من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي ، قال رحمه الله تعالى :

ويمكن ان يدخل في البدعة الاضافية كل عمل اشبهه أمره فلم يتبين  
أهو بدعة فينهى عنه ؛ أم غير بدعة فيعمل به ؛ فانا اذا اعتبرناه بالاحكام  
الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد ندبنا الى تركها حذرا من الوقوع  
في المحذور ؛ والمحذور هنا هو العمل بالبدعة ؛ فاذا العامل به لا يقطع انه  
عمل ببدعة ، كما انه لا يقطع انه عمل بسنة ؛ فصار من جهة هذا التردد  
غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضاً : انه خارج عن العمل بها جملة .  
وبيان ذلك ان النهي الوارد في المشتبهات انما هو حماية ان يقع في  
ذلك المنوع الواقع فيه الاشتباه ؛ فاذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه  
عن الاقدام ، فان أقدم امكن عندنا ان يكون آكلا للميتة في الاشتباه ؛



قالهني الاخف اذا منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما انصرف اليها النهي الأشد في التحقق .

وكذلك اختلاط الرضيعة بالاجنبية : النهي في الاشتباه منصرف الى الرضيعة كما انصرف اليها في التحقق ، وكذلك سائر المشتبهات انما ينصرف نهي الاقدام على المشتبه الى خصوص الممنوع المشتبه ، فاذا الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة اذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ، فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل ان يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها . — وقد مر أن البدعة الاضافية هي الواقعة ذات وجهين — فلذلك قيل : ان هذا القسم من قبيل البدع الاضافية . ولهذا النوع أمثلة .

(أحدها) اذا تعارضت الادلة على المجتهد في ان العمل الفلاني مشروع يتعبد به ، أو غير مشروع فلا يتعبد به ، ولم يتبين له جمع بين الدليلين ، أو إسقاط احدهما بنسخ أو ترجيح أو غيرهما — فقد ثبت في الاصول ان فرضه التوقف ، فلو عمل بمقتضى دليل التشريع من غير مرجح لكان عاملا بمتشابهه ، لا يمكن صحة الدليل بعدم المشروعية ، فالصواب الوقوف عن الحكم رأساً ، وهو الفرض في حقه .

(والثاني) اذا تعارضت الأقوال على التقليد في المسئلة بعينها ، فقال بعض العلماء بكون العمل بدعة . وقال بعضهم : ليس بدعة . ولم يتبين له الأرجح من العالمين بأعمية أو غيرها ، فحقه الوقوف والسؤال عنها حتى يتبين له الأرجح فيميل الى تقليده دون الاخر ، فان أقدم على تقليد احدهما من غير مرجح كان حكمه حكم المجتهد اذا أقدم على العمل باحد

الدليلين من غير ترجيح ، فالمثالان في المعنى واحد .

(والثالث) انه ثبت في الصحاح عن الصحابة رضي الله عنهم انهم يتبركون<sup>(١)</sup> بأشياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فأثي بوضوء فتوضأ ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به ، الحديث . وفيه : كان اذا توضأ يقتلون على وضوئه . وعن المسور رضي الله عنه في حديث الحديبية « وما اتختم النبي صلى الله عليه وسلم بخامة الا وضعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده » وخرج غيره من ذلك كثيرا في التبرك بشمره وثوبه وغيرها ؛ حتى انه مس بأصبعه احدهم بيده فلم يخلق ذلك الشعر الذي مسه عليه السلام حتى مات وبالغ بعضهم في ذلك حتى شرب دم حجامته ؛ - الى اشياء لهذا<sup>(٢)</sup> كثيرة . فالظاهر في مثل هذا النوع ان يكون مشروعا في حق من ثبتت ولايته واتباعه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان يتبرك بفضل وضوئه ، ويتدلك بنخامته ، ويستشفى بأثاره كلها ، ويرجي نحو مما كان في آثار التبوع الاصل<sup>(٣)</sup> صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> .

إلا أنه عارضنا في ذلك أصل مقطوع به في متنه ، مشكل في تنزيهه ؛ وهو أن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته عليه السلام لم يقع من احد منهم شيء من ذلك بالنسبة الى من خلفه ، اذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فهو كان

(١) لعل الاصل : كانوا يتبركون (٢) لعله : كهذا (٣) يظهر ان هذه الجملة محرفة

(٤) قد استفاض انه (ص) كان ينهى عن الطلوع في تعظيمه

خليفته ، ولم يفعل به شيء من ذلك ، ولا عمر رضي الله عنهما ، وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كذلك عثمان ثم علي ، ثم سائر الصحابة الذين لا احد أفضل منهم في الامة ، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ان متبركا تبرك به على احد تلك الوجوه أو نحوها ، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالافعال والاقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو اذاً إجماع منهم على ترك تلك الاشياء .  
وبقي النظر في وجه ترك ما تركوا منه ، ويحتمل وجهين :

(احدهما) ان يعتقدوا فيه الاختصاص وان مرتبة النبوة يسع فيها ذلك كله ، للقطع بوجود ما التمسوا من البركة والخير ، لانه عليه السلام كان نورا كله في ظاهره وباطنه ، فمن التمس منه نورا وجدته على أي جهة التمس ، بخلاف غيره من الامة وان حصل له من نور الاقتداء به والاهتداء بهديه ماشاء الله - لا يبلغ مبلغه على حال توازيه في مرتبته ، ولا تقاربه ، فصار هذا النوع مختصا به كاختصاصه بنكاح ما زاد على الاربع ، واحلال بضعة الواهبة نفسها له ، وعدم وجوب القسم على الزوجات<sup>(١)</sup> وشبه ذلك ؛ فعلى هذا المأخذ : لا يصح لمن بعده الاقتداء به في التبرك على احد تلك الوجوه ونحوها ، ومن اقتدى به كان اقتداؤه بدعة ، كما كان الاقتداء به في الزيادة على اربع نسوة بدعة .

(الثاني) ان لا يعتقدوا الاختصاص ولكنهم تركوا ذلك من باب الذرائع خوفا من ان يحمل ذلك سنة - كما تقدم ذكره في اتباع الآثار -

لعل اصله : وعدم وجوب القسم عليه للزوجات

والنهي عن ذلك ، أو لأن العامة لا تقتصر في ذلك على حد ، بل تتجاوز فيه الحدود ، وتبالغ بجهلها في التماس البركة ، حتى يداخلها للتبرك به تعظيم يخرج عن الحد ، فربما اعتقد في المتبرك به ما ليس فيه ، وهذا التبرك هو أصل العبادة ، ولاجله قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل هو كان أصل عبادة الاوثان في الامم الخالية — حسبما ذكره أهل السير — تخاف عمر رضي الله عنه ان يتأدى الحال في الصلاة الى تلك الشجرة حتى تبعد من دون الله ، فكذلك يتفق عند التوغل في التعظيم .

ولقد حكى الفرغاني مذييل تاريخ الطبري عن الحلاج ان اصحابه بالنوا في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بمذرته ، حتى ادعوا فيه الآلهية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .  
ولأن الولاية وان ظهر لها في الظاهر آثار فقد يخفى أصرها ، لانها في الحقيقة راجعة الى أمر باطن لا يعلمه الا الله ، فربما ادعيت الولاية لمن ليس بولي ، او ادعاها هو لنفسه ، أو أظهر خارقة من خوارق العادات هي من باب الشموذة لا من باب الكرامة ، أو من باب (١) أو الخواص أو غير ذلك ، والجمهور لا يعرف الفرق بين الكرامة والسحر ، فيعظمون من ليس بمعظم ، ويقتدون بمن لا قدوة فيه . وهو الضلال البعيد . الى غير ذلك من المفاسد . فتركوا العمل بما تقدم — وان كان له أصل — لما يلزم عليه من الفساد في الدين

(١) يياض في الاصل ، ولعل الساقط لفظ « السحر » فانه يذكره قريبا

وقد يظهر بأول وهلة ان هذا الوجه الثاني ارجح، لما ثبت في الاصول العلمية ان كل قرينة أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم فإن لأئمة ائمة ائمة منها، ما لم يدل دليل على الاختصاص .

الا ان الوجه الاول أيضاً ارجح من جهة أخرى ، وهو إطباقهم على عدم التبرك ، اذ لو كان اعتقادهم التشريع لمعمل به بعضهم بعده ، أو عملوا به ولو في بعض الاحوال ، إما وقفاً مع اصل المشروعية ، وإما بناء على اعتقاد انتفاء العلة الموجبة للامتناع .

وقد خرج ابن وهب في جماعة من حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب ، قال : حدثني رجل من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ أو تنخم ابتدر من حوله من المسلمين وضوءه ونخامته فشر به ومسحوا به جلودهم ، فلما رأهم يصنعون ذلك سأهم « لم تفعلون هذا ؟ قالوا : نلتمس الطهور والبركة بذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان منكم يجب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث ، وليؤد الأمانة ولا يؤذ جاره » فان صح هذا النقل فهو مشعر بان الاولى تركه<sup>(١)</sup> وان يتحرى ما هو الآكد والاحرى من وظائف التكليف ؛

(١) قد يقال : ان هذا يدل على الانكار وكراهة النبي ( ص ) لهذا الفعل ، ويؤيده ما ثبت من مجموع سيرته من كراهة الغلو فيه واطرائه ، وحبه للتواضع ومساواة الناس بنفسه في المعاملات كلها : الا ما خصه الله به ، حتى انه طلب ان يقتصر منه من اعلمه آذاه - وهو القائد والمرابي الذي جعله الله اولى بالمؤمنين من انفسهم - ولم يعرف من الاحوال التي تبركوا فيها بفضله وضوئه وبيصاقه الا يوم الحديبية . وظهر له يومئذ حكمة ، فان مندوب المشركين في صلح الحديبية لما حدثهم بما رأوا من ذلك هابوا النبي ( ص ) وخافوا قتال المسلمين فاعل المسلمين قصدوا هذا لهذا

ولا يلزم الانسان في خاصة نفسه ؛ ولم يثبت من ذلك كله الا ما كان من قبيل الرقية وما يتبعها، أو دعاء الرجل لغيره على وجه سيأتي بحول الله .  
فقد صارت المسئلة من اصلها دائرة بين أمرين : ان تكون مشروعة ،  
فدخلت تحت حكم التشابه والله أعلم .<sup>(١)</sup>

## فصل

ومن البدع الاضافية التي تقرب من الحقيقية ان يكون أصل العبادة مشروعا إلا انها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل ، توهمًا انها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل ؛ وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي ، أو يطلق تقييدها ، وبالجملة فتخرج عن حدها الذي حد لها .

ومثال ذلك ان يقال : ان الصوم في الجملة مندوب اليه لم يخصه الشارع بوقت دون وقت ، ولا حد فيه زمانًا دون زمان ، ما عدا ما نهى عن صيامه على الخصوص كالعيدين ، ونذب اليه على الخصوص كعرفة وعاشوراء بقول ؛ فاذا خص منه يوماً من الجمعة بعينه ، أو أياماً من الشهر بأعيانها - لا من جهة ما عينه الشارع - فأت ذلك ظاهر بأنه من جهة اختيار المكلف ، كيوم الاربعاء مثلاً في الجمعة ، والسابع والثامن في الشهر ، وما أشبه ذلك ؛ بحيث لا يقصد بذلك وجهاً بعينه مما لا يثني عنه . فاذا قيل له : لم خصصت تلك الايام دون غيرها ؛ لم يكن له بذلك حجة غير التصميم ، أو يقول : ان الشيخ الفلاني مات فيه أو ما أشبه ذلك ؛ فلا شك انه رأي محض بغير دليل ، ضاهى به تخصيص الشارع أياماً بأعيانها

(١) ينظر أين الامر الثاني ؟ ولعل الساقط « او تكون غير مشروعة »

دون غيرها . فصار التخصيص من المكلف بدعة ، إذ هي تشريع بغير مستند

ومن ذلك تخصيص الايام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم الفلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا وكذا ، أو الليلة الفلانية بقيام كذا وكذا ركعة ، أو بحتم القرآن فيها أو ما أشبه ذلك <sup>(١)</sup> فان ذلك التخصيص والعمل به اذا لم يكن بحكم الوفاق أو بقصد يقصد ومثله أهل العقل والفراغ والنشاط ، كان تشريعاً زائداً

لا حجة له في أن يقول : ان هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه ايقاع العبادات . لانا نقول : هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا ؛ فان ثبت فمسألتنا <sup>(٢)</sup> كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فان لم يثبت فما مستندك فيه . والعقل لا يحسن ولا يقبح ، ولا شرع يستند اليه ؛ فلم يبق الا انه ابتداع في التخصيص ، كاحداث الخطب وتحريم ختم القرآن في بعض ايامي رمضان . اهـ

(١) ومنه صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، ومنه تخصيص أيام معينة لزيارة القبور والصدقة عندها كاول جمعة من رجب . كل ذلك من البدع والتشريع الذي لم يأذن به الله . وقد يتصل بالبدعة الواحدة بدع ومعاص أخرى توجب تركها - ولو لم تكن بدعة - لسد ذريعة هذه المفاسد (٢) أي فهو مسألتنا

## الجنسيات في المملكة العثمانية

الجنس في عرف اهل السياسة كالصنف في عرف علماء المنطق ، فيطلق على الأجيال التي تفصل بينها الفصول العامة ( كالنسب واللغة ) وهما اقدم روابط الجنسية ؛ ولييها الدين والوطن الأرضي والسياسي . ولم يوجد دين من الاديان ألف بين شعوب وقبائل مختلفة في جميع روابط الجنسية وجعلها أمة واحدة وجنسا واحدا الا الدين الاسلامي وقد بينا هذا مرارا فلا نعيده الآن . ولما كان اتحاد الأمة لا يتم الا بوحدة لغتها كان من مقاصد الاسلام جعل لغة القرآن لغة لجميع المسلمين ، وعلى هذا جرى المسلمون في خير القرون بالعمل ، فصارت العربية لغة المسلمين في المشرق والمغرب من القرن الأول . وقد زال من نفوس المسلمين الشعور بالفيرية الجنسية زمنا طويلا ، حتى أحياء الفرس والترك كما بينا من قبل .

ان العصبية الجنسية في هذا العصر قد دخلت في طور سياسي جديد ، وكان العرب آخر الأجناس شعورا بها ، لأن سوادهم الأعظم مسلمون لا يكادون يشعرون بغير الجنسية الدينية . ولكن الاستانة بسياسة حكومتها وادارتها بعد الدستور وسياسة جرائدها قد كونت هذا الشعور وجعلته حيا ناميا ، فصدقت كلمتي المحفوظة : « ان العرب يعجزون بأنفسهم ، عن تكوين جنسية عربية سياسية لهم ، ولا يقدر على ذلك الا الآستانة وحدها » ولما رأينا بوادر هذا الأمر وكنا نعلم ان التحولات الاجتماعية السريعة تكون دائما محفوفة بالاحطار - سعينا لتدارك الخطر في الآستانة نفسها ، ومقالاتنا الست التي نشرناها هنالك تحت عنوان ( العرب والترك ) لا تزال محفوظة تشهد لنا بأننا سعينا الى الوحدة بين العنصرين جد السعي ، وبيننا من الحجاج على ذلك ما لم يبينه أحد ، ولكن ذلك كله لم يهد ، ولماذا ؟

ان من المقاصد الأساسية لجمعية الأتحاد والترقي احياء الجنسية التركية وتقويتها لتوجد منها أمة تركية كأم أوروبا في مدينتها ، ودولة تركية كدول أوروبا في عزبتها وحضارتها ، وكانوا يظنون انهم يستطيعون بقوة الدولة أن يتركوا جميع الأجناس العثمانية في البلاد المحضرية القابلة للعمران ، ويجعلوا سائر البلاد مستعمرات ليس لها



من الحقوق ما لسائر العثمانيين . ولهذا كانوا يجدون في تقوية الجنسية التركية ونشر اللغة التركية ، ويعاقبون من يقتدي بهم في ذلك من غير الترك اشد العقاب دار الفلك دورته ، فثبت للاتحمادين ضرر هذه التجربة - محاولة تبريك شعوب المملكة - ، وكان من نتائجها المشؤومة الفتنة الالبانية ، فالحرب البلقانية العثمانية ، فرجعوا عن فكرة تعميم تبريك الشعوب كلها الى الاكتفاء بتبريك الضعيف منها ، اما بقلة العدد كاللاز والشركس ، واما بقلة العلم وعدم تدوين اللغة كالأكراد ، واما بالخضرة في اللغة كالعرب المتصلين بالترك بالقرب من الاناضول ، ثم بتقوية اللغة التركية في جميع البلاد العثمانية ، وجعل الارتقاء في الحكومة والعلوم والمدنية موقوفا عليها . وترتب على هذا ترك الضفط السابق على المستيقظين من الشعوب الكبيرة ، اذ كانت الجرائد تحاكم وتثقل اذا ذكرت اسم جنسها ، والاعتصام بجبل لقتها ، والتذكير بمجد سلفها ، حتى ان المجلس العسكري العرفي في بيروت حاكم مدير جريدة المفيد وعده مجرما وحكم بمنع صدور الجريدة بذب غريب جدا في هذا الباب ، وهو كلمة (ياقوم) وردت في قصيدة ، نشرت في تلك الجريدة !! قرر رئيس المجلس واعضاؤه من الترك ان كلمة (ياقوم) معناها عنصر العرب ، فذكرها تفريق بين العناصر العثمانية ، وهو من اعظم الجنايات !! . [ كما مر ] ذلك بأن الترك يستعملون كلمة « قوم » بمعنى الجنس والجيل من الناس الذي يعبرون عنه بالعنصر . ولم يلتفت المجلس لاحتجاج المتهم بأن القصيدة المنشورة في جريدته عربية ولفظ القوم في اللغة العربية معناه الجماعة من الناس ، كما هو منصوص في المعاجم ، قيل يشمل الرجال والنساء ، وقيل هو خاص بالرجال ... وان الشراء يستعملونه الآن بمعنى (ياناس) كانت جمعية الأتحاد والترقي قد صرحت تصريحا نشرت جريدها (طين) بالرجوع عن فكرة « تبريك العناصر » وكان ذلك مداراة لم يصدقه العسل . ولكنها في العهد الأخير عقدت اتفاقا مع (جمعية الشبيبة العربية) التي يمثلها (المتدى الادبي) في الاستانة ، واشهروا هذا الاتفاق بالاحتفالات والمآدب ، وجعلوه وسيلة وذريعة للاتفاق بين جمعية الأتحاد والترقي والمؤتمر العربي الذي انعقد في

باريس . وصار زعماء الجمعية من وزراء الحكومة يزورون المنتدى الأدبي ويحضرون بعض احتفالاته ، وتمثيل القصة العربية التي يمثلها أعضاؤه كل سنة ، وقد احتفل أعضاء المنتدى في هذا العام بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه طلعت بك ناظر الداخية وجمال باشا ناظر البحرية ( الآن ) وخطب طلعت بك بالتركية باستمساك الترك بالعرب ، وانهم اذا فروا منهم يتبعونهم ويلتزمونهم ، فاهتزت لهذه الخطبة اسلاك البرق في العالم ، ووعد الزعيم الكبير في خطبته هذه بأن يخاطب في احتفال مولد العام القابل بالعربية . هذا بعد ان كان أعضاء المنتدى الأدبي لا يسمون انفسهم جمعية خوفا من افعال الحكومة الاتحادية لتأديبهم ، ومحاكمتهم على ذلك في المجلس العسكري العرفي . فآين هذا من تسقط هذا المجلس لبعض أعضاء المنتدى بتسميتهم جمعية ليعترف بعضهم بذلك فيحكم المجلس فيهم حكما ؛ وقع هذا التسقط في تحقيق المجلس مع المتهمين في حادثة الاعتداء على صاحب جريدة ( اقدم ) التركية الشهيرة ، عقب نشر مقالة أهين بها العرب ، وكان المنتدى الأدبي لم يتجاوز السنة الأولى من عمره .

علم من هذا ان السياسة الجديدة التي ظهر بها الاتحاديون في العاصمة هي ان المصيبة الجنسية نافعة او ضرورية لترقي كل جنس ، وانه يمكن الجمع بينها وبين الوحدة العثمانية ، ولا سيما الوحدة بين العرب والترك من العثمانيين . وانه يجب على كل جنس ان يرقى نفسه من غير ان يضر غيره او يحول دون الوحدة العثمانية . وقد سر جمهور المعلمين من العرب بهذه السياسة الجديدة ، وهم لا يشترطون لاعتقاد اخلاص الاتحاديين للعرب فيها الا اطلاق الحرية لجرائدهم وجماعاتهم وافرادهم كما اطلقوها للترك ، ومساواة الحكومة بينهما في التربية والتعليم والمساعدة على الاعمال . ولكن الترك في هذا الطور الجديد قد ألفوا عدة جمعيات تركية محضة ، وقاموا بعدة مشروعات تركية خالصة ، وألفوا عدة كتب ورسائل في النهضة التركية والرابطة الجنسية البحتة ، وصار شغل جرائدهم الشاغل وجوب انشاء أمة تركية محضة ودولة تركية محضة وكان كلام بعضهم في هذا ان الدولة تركية لا عثمانية ، وان العثمانية وهم من الاوهام . ولم يفعل العرب شيئا يذكر من ذلك . نعم ان بعضهم

يتكلم او يكتب في الجرائد كتابة تعد ضئيلة نحيلة اذا قيست بما يكتبه الترك . ولم أر لأحد منهم مصفا خاصا في هذا الموضوع الا رسالة لأحد أدباء بيروت من آل الفاخوري . ونشر بعض الغلاة منشورات تهيبج وثورة وقالوا فيها ان لهم جمعية ، وانا لا اصدق ذلك

#### الجنسية والاسلام وحزب اللامركزية

بعد هذا كله قلم من كتاب العرب كاتب من طائفة لها دين لا يتفق مع دين الاسلام في اصوله ولا فروعها (١) فكتب كتابا جعل نفسه فيه اشد اسلاما من جميع علماء الاسلام ، واشد عصبية تركية من غلاة الترك انفسهم ، واشد اتحادية من زعماء جمعية الاتحاد والترقي ووزرائها ، إذ قام يجاهد فيه الجنسية العربية وحدها ، ويجعلها هادمة للاسلام الذي يعارض عليه بزعمه ما لا يعارض عليه الذين افتنوا اعمارهم في القيام به علما وعملا ودعوة ودفاعا . ويصدق تهمة هذه الجناية على الاسلام بحزب اللامركزية وحده . على ان حزب اللامركزية عثماني محض ليس في برنامجه ولا في بياناته كلمة واحدة تدعو الى الجنسية العربية ، او تنفر من الجنسية التركية ، وانما هو يدعو جميع العثمانيين الى مطالبة الحكومة بالادارة اللامركزية ، بالطرق المشروعة القانونية ، نعم ان فكرته قد انتشرت في العرب لأن المؤسسين له من العرب ، ولم يقدروا على نشر دعوتهم في غير الشعب العربي . وذلك الكاتب المنحني عليهم يقول : ان دعوتهم لم يحفل بها احد يذكر ، ولم يستجب لها الا عدد لا يقدم ولا يؤخر . فلماذا عني اذا تأليف كتاب خاص في التشجيع عليهم ؟

ما رأيت مثالا لإطالة هذا الكاتب القذح في حزب اللامركزية - بدعوى الجناية على الاسلام بتقوية الجنسية العربية وجعلها هي واللامركزية التي تراد لاجلها اسرع ما يمحوا الاسلام ويوقع المملكة في ايدي الاجانب . ١١ - الا

(١) دين هذه الطائفة سري ومن المعروف عنهم جواز مشايعة غير اهل دينهم على سبيل التقية ، ولهذا صرح بعض انقهاء بعدم الاعتداد باظهار احد منهم للاسلام . واما انا فأرى صحة اسلام من تدار الفرائض على صدقه ، كن يصرح على مسمع من اهل ملته بالخروج منهم وبتخطئتهم في دينهم مع التزام الاسلام بالعمل .

ما اطال به كاتب امريكائي في التشجيع على جمعية ابطال المسكرات في امريكا . ذلك بان هذه الجمعية سلكت اخيرا السبيل القانوني الموصل الى غرضها الشريف ، وهو السعي لانتخاب اعضائها ومشايخها لمجلس النواب . وقد فازوا في بعض الولايات فوزا عظيما ، فانبرى لمحاربتهم تجار المسكرات ، الذين يربحون منها الملايين من الريالات ، وكان اغرب حربهم القلبية ، مقالات لأحد الكتاب عنواتها ( الحرية الشخصية ) ما ترك هذا الكاتب شيئا اهتدى اليه باطلاعه وذكائه في مدح الحرية الشخصية الا وقاله ، وجعل ابطال المسكرات مزيلا له ، كأنه الذي يهدم الحكومات الدستورية ، ويوقع العالم في الفوضى والهمجية !! فكثير من كلامه حق أريد به باطل ، ومنه ما هو باطل أريد به باطل ، وهكذا فعل كاتبنا العربي . ونقول في كل منهما : انه يمكن تنفيد مقالاته ، ودحض شبهاته ، بمقالات اصح منها دليلا ، واقوم قبيلا ، واوسع تفصيلا . ولكن الرد على ما يكتب اتباعا للهوى ، وارتياحا للمناصب اِضاعة للوقت ، وسبب للتبادي في الباطل والنمو .

قد يظن هذا الكاتب ويظن من تقرب اليهم بما كتب ، ممن لا يجبون ان تقوم للعرب قائمة ، ولا تستيقظ لهم عين نائمة ، ان مثل هذه الكتابة تقع السواد الاعظم من مسلمي العرب بأن لا يجيئوا دعوة لمن يدعوهم الى احياء لغتهم ، والى قيامهم بمران بلادهم ، والاستئثار بخيراتهم دون الصهيونيين والاجانب ، الذين تقذفهم بهم الحكومة المركزية من كل جانب ، بما تعطيه من امتياز ، وما تمكن لهم من امتلاك البلاد ، وان يبنوا هؤلاء الدعاة الى الاصلاح نبذ النوى ، اعتقادا بصدق ذلك الكاتب في زعمه ان هذا يمت الاسلام ويزيل هداية السنة والقرآن ! وان هذا هو الذي يرمي اليه زعماء اللامركزية ، بدعوتهم الى احياء الجنسية العربية . وسيعلم الظانون كذب ظنهم ، وان هذه الكتابة لا تخدع عامة العرب فضلا عن خاصتهم ، بل تكون سببا لقوة نهضة العرب ، واساءة الظن بمصادر هذه الخدع .

كنا عزمنا على ترك الكتابة في هذه المسائل ، ثم بدا لنا بعد هذه الخلاصة والخديعة ، ان نبين للامة والتاريخ لباب الحقيقة ، وان ننشر نموذجا من كلام دعاة الجنسية التركية والعربية . لأجل المقارنة بينهما ، وليعرف اعتدال حزب اللامركزية

بين غلاتها ، ومنه يظهر ان تخصيصه باللوم والتعنيف ، ليس نصرا للدين الحنيف ، اذ الدين لا يحيا الا بحياة لفته ، وارتقاء أمته ، واننا نبدأ بنموذج من كتاب ( قوم جديد ) لأنه جاء الدعوة الى الجنسية التركية من طريق الدين ، بما فيه اكرعبرة للمعتبرين ، من التحريف والتبديل ، والتحرير والتحليل والتكفير بمحض الرأي والهوى ، وجعل الدين كله كالمحصور في بذل المال والنفس لحكومة الاستانة الاتحادية

### نموذج من كتاب ( قوم جديد )

( مترجم عن النسخة التركية المطبوعة في الاستانة )

جاء في الصفحة ١٤ من هذا الكتاب :

يجب تعطيل المساجد والتكايا الموجودة في الاستانة ماعدا الجوامع التي بناها السلاطين . وتخصيص نفقاتها الى الشؤون الحربية والعسكرية كما ورد في الآيات الكريمة والأعمال النبوية .

وفي الصفحة ١٥ :

ورد منذ مدة في احدى الجرائد السياسية انه من الضروري الاهتمام بتعميم تعلم اللغة العربية لتفهم الامة على الاقل الخطب التي تلقى ايام الجمع في المساجد . وهذا الكلام يدل على البلاهة اذ بدلا من تعلم جميع الانراك اللغة العربية تلقى الخطبة باللغة التركية ، وهل هناك امر اسهل من هذا ؟ لاسيا وان ترجمة الحديث والخطب والقرآن جائز في مذهب الامام الاعظم (١) . ان النبي لم يبعث الى العرب فقط لذلك أصبحت ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى فرضا من الفروض (٢) ( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين )

نعم ان القرآن الذي نزل على سيدنا محمد المأمور بدعوة العالم جميعا الى الاسلام نزل باللغة العربية ولكن لا يستدل من هذا ان كل قوم دعوا الى الاسلام يكونون مضطرين الى تعلم اللغة العربية

وفي الصفحة ٢٥

وهنا اكرر ما قلته آنفا من أن أكثر الناس يستثنى منهم الفقير للمعدم والأعرج والأعمور ومنهم المشايخ الذين يدعون أنهم ورثة الانبياء والمدرسون والمفتون والقضاة (١) كذب الكتاب في هذه الدعوى (٢) جعل الكتاب الجاهل نفسه شارحا . وقد اتفق شيخ الاسلام في الاستانة بدم جواز ترجمة القرآن

مشايخ الطورق والدرابيش والتجار والصناع، والحاصل جميع الناس أصبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتالهم، لانهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات الينيات (وأورد هنا اثنتين منها) الاولى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين... الخ) والثانية (فرح المخلفون... الخ) قال: ويتوقف تجديد ايمان هؤلاء اولاً على الاشتراك بدنا بالحرب وثانياً على اعطاء نصف ما يمتلكونه الى دار الخلافة الاسلامية اذا كانوا من اصحاب الغنى والاموال ليتسنى لرجال الاسلام الانتقام من الكفار الفجار، ونزع البلاد التي انتزعوها من ايديهم، واعادة ذكر كلمة «الله» في مساجدنا وجوامعنا، واذا لم يفعلوا هكذا (أي اذا لم يدفعوا نصف ما يمتلكونه للدولة) فلا يقبل منهم تجديد الايمان فيحسرون وهم مرتدون وكفرة، ويلحقون بأهل جهنم. وهذا لا بد منه ولو قرؤا في اليوم مئة الف مرة «آمنت بالله ٥٠٠٠» ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي، ولو حجوا الى بيت الله الحرام مئة الف مرة، ولو كانوا بدرجة الامام الاعظم من العلم او بدرجة الفوت عبد القادر الكيلاني من القطبية.

وفي (ص ٢٧)

ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يتبعونهم وكلامهم من الذين يجرؤون على ارتكاب انواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالحير التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد، والبعض منهم فسروا الآيات والاحاديث حسب ما تقتضيه منافسهم، وللحصول على غرض دنيوي. فلعنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤون القرآن بالدرهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشراك مع اعداء الدين على فرقة الأتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لأتحاد الاسلام، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام، وبالنتيجة لعنة الله على الذين كانوا سبباً لدوس الملايين من المسلمين تحت اقدام اعداء الاسلام، وعلى اولئك الذين سلكوا طرقى الدسائس والتفيل والتزوير لمنع الذين كانوا يريدون ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله، لعنة الله عليهم وعلى آلام واقوالهم وعلى تأليفاتهم ومصنفاتهم واعتماداتهم أجمعين

وفي (ص ٣١) يفسر آية (فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) بما يأتي:

ان الذين ثبتوا في الصوم والصلاة والحج اعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالا

وبدنا واصبحوا خلاف رسول الله فمؤلاة من المنافقين

ان البروغرام القديم البالي الفاسد يعرف به بقاء الدين بالصوم والصلاة والحج .  
والحقيقة ليست كذلك بل هو حسب البروغرام الجديد بالجهاد مالا وبدناً . وهذا  
ثابت ايضاً بهذه الآية : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ... ) فيفهم من هذه  
الآية صراحة ان المسلمين الموجودين تحت حماية ملوك النصارى ليسوا مسلمين بحق  
لان ملوكهم النصارى راضون عنهم ويضمونهم في صف اممهم ، على ان الملل النصرانية  
لا ترضى عنهم الا بعد ان يرددوا الى دينهم الباطل .

وفي ( ص ٣٢ )

اذا رضي الكافر بغضب الرحمن ، وكذلك اذا غضب الرحمن ورضي الكافر .  
يعني اذا رضي كافر تمام الرضا عن مسلم فهذا المسلم يكون على كل حال موضوع قهر  
الرحمن وغضبه مثل المسلمين الساكنين في البلاد المسيحية . وبالعكس كل كافر يفاضب  
ويماذي مسلماً يكون موضوع رضاء الرحمن ووجه مثل خلفاء المسلمين من الأتراك .

وفي ( ص ٣٣ )

يقسر هذه الآية ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ) بما يأتي :  
فيفهم من هذه الآية الجلية ان دين المسلمين الموجودين تحت التابعية أو الحماية  
الروسية والانكليزية والفرنسوية لا يتم ولا يعدون من المسلمين ماداموا لا يشتركون  
في الجهاد المفروض وما داموا محرومين من اعانة الاستانة مالا وبدناً .

وفي ( ص ٣٦ )

ان من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطم (١)  
من العرب أو التتار أو الألبان أو أبناء مكة واليمن ، والحاصل جميع الأتوام المختلفة  
اذا لم يشتركوا مالا وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو أعظم العبادات في صفوف حضرات  
عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكر وجاويد ورؤف وانور وعزت وطلمت وأمثالهم  
من أبناء الترك الذين هم أولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم وأحبابهم وقدس  
الله أسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمعتقين طوعاً لدين الصليب  
الباطل . ومن هذا القبيل الأرتاؤد ، فانهم ارتدوا عن الاسلام - إما لاستعمالهم السلاح  
ضد الجنود الاسلامية مشتركين مع الكفار الفجار في ذلك ، أو لإضافة قوة الجيش  
الاسلامي بفرارهم من ساحات القتال ، فسيبوا بذلك آتمزام الاسلام وأصبحوا من  
الكفرة الفجرة ، ومن هذا القبيل أيضاً المصريون والهنود والبخاريون والتتار

(١) مذهب اهل السنة ان خلافة الراشدين لم تثبت بانص بل باجتهد الصحابة

الروسيون وسكان قاص وتونس والجزائر وأهل الحجاز واليمن فانهم لم يعدوا الخلافة الاسلامية بالتقد ، ولم يكتف قسم من الميانيين الأتراك بذلك بل أنهم اتفقوا مع فوزميدي ويوشو والبطر كغانه الرومية واعانوا دين الصليب، واعلنوا النسيان سمياً وطوعاً على الاسلام ، واقاموا الدنيا على أهل الايمان .

وفي ( ص ٣٩ )

ان القوم الصديق (أي القدماء الذين لا يتبعون كتابه هذا) يتركون الاوامر الالهية الاصلية التي تمد بالألوف وتمسكون بالصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة فقط ، ويتخذون كتب البركوي والحلي والشافعي والكنز ومنية المصلي والمالكي والحنبلي دستور العمل في أعمالهم وحركاتهم ، مع ان هذه الكتب مملوءة بالثفاق والشفاق والتنافرة (كذا) والاختلافات الكثيرة ، فالعمل بما فيها غير جائز

وفي ( ص ٥٢ )

أما القوم الجديد ( ويريد بهم من مدحهم في كتابه من الترك الاتحاديين ومن يسير على طريقهم وطريقه ) فانهم لا يبالون بمثل هذه الحرافات القديمة بل انهم استخرجوا من الاحكام القرآنية والحديثية الاركاز الدينية الآتية : (١)

- ١ - العقل
- ٢ - كلمة الشهادة
- ٣ - الاخلاق الحسنة
- ٤ - الجهاد مالا وبدناً والحرب .
- ٥ - السعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد والاتفاق تحت راية الخلافة العظيمة الميانية .

وفي ( ص ٥٦ - ٥٧ )

يجب ان تقرأ الخطب أيام الجمع والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة يتلقين من الحكومة تتضمن الاحوال السياسية . ويجب أيضاً ان تفضل الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية حتى ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل موقفاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعه على عهدة الصلح في رقعة الحديدية مجرداً من القاب ونهوت النبوة حسب طلب

(١) اي ليس في دين ( القوم الجديد ) صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج فمهم لا يمتثلون الى المسلمين لاكل اموالهم ومشاركتهم في حقوقهم الا يعلم انكار الشهداءين . وعلى هذا كثير من ملاحدة مصر ومناقضه كما قال المؤلف



كفار قريش ، وكما تقتضيه الاحوال وبوجه الزمان . وكذلك الآيات الناصفة والمنسوخة هي من مقتضيات السياسة .

وفي ( ص ٦٠ )

وعليه فان الهنود الذين هم تحت حماية النصارى من الانكليز لو كانوا من اصحاب الاخلاق الحسنة فانهم لاريب محرومون من العقل ولو كانوا عقلاء بنا رضوا بالذلة تحت حكم دولة ظالمة شريرة تسلك دين الصليب

(وفي ص ٦٣)

وبهذه الصورة سيخرج المسلمون المحكومون بالنصارى من دينهم بالتدرج ويندعجون بدين حكامهم . وسبب ذلك عدم ارتباط هؤلاء المسلمين مالا وبدنا بالخلافة الاسلامية

(وفي ص ٧٠ - ٧١)

كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم اثبتوا في الحرب البلقانية الحاضرة انهم ارتدوا عن دينهم لانهم اختلفوا { عبر بلفظ الائتلاف في الاصل } مع البطريركخانه لاجل الدراهم والمنافع ، ومن هذا القبيل أيضاً الضباط والجنود والمصممون الذين فروا من ساحات القتال ، فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتدون عن دينهم . أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين طربوا في حرب طرابلس الغرب وحرب البلقان تحت اسرة انور ورضا واسعد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم ، وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة ، الذين لم يولوا ظهورهم الى العدو بل داوموا في جهادهم في سبيل الله ، فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون . وقد كان عدد الذين ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف . اما الباقون فانهم كانوا من المرتدين المنتسبين الى الائتلاف ( أي حزب الائتلاف ) والبطريركخانه .

وفي ص ٧٦

يفسر آية ( انا انا بشر مثلكم ) - الحرب بيننا وبينهم سجال يبالون منا وتال منهم - أفن مات ٠٠٠٠ ألع فيقول : انا بشر مثلكم فلا تستبدوا موتي ، ان الانتصار في الحرب يتوقف على التجهيزات العسكرية ٠٠٠٠

وفي ص ٨٩

ما هذا الجهل ؟ وما هذه الغفلة التي استولت عليكم ايها الناس ؟ تعلقون اسما

٤٤٤ دعوة الترك الى رفع ساستهم على أئمة الدين من العرب (المنار- ج ٧ ص ١٧)

خلفاء العرب على جدران جوامعكم (١) وتتركون اسماء خلفاء الترك الذين قدسهم الاحاديث النبوية ولا تكتفون بذلك بل ينزل الخطيب قدمه واحدة عند ما يذكر اسماء الخلفاء الترك تزيلا لقامهم وتذليلا ثم تزيدون ركعتين يوم الجمعة باسم « آخر ظهر » فكل هذا مبتدع ومحدث للحط بشأنكم سياسة .

انكم ايها الاتراك قوم مقدسون ومبجلون ومع ذلك قدسون عبد القادر الكيلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حتى الموكلين منهم بهذاب القبر منكر ونكير يتكلمون باللغة العربية وتقولون دائما « اوله شام و آخره شام » وتسمون دائما لتفجيل ابناء الترك بأنه سيخرج من العرب مهدي . والحاصل تشتعلون منذ سبعمائة سنة بمثل هذه الحرافات ، قفشون العالم ومحتقرون بذلك ابناء الممانية الرجباء الذين ما قفثوا يجاهدون في سبيل الله للدفاع عن الاسلام ويدفعون عنه تعرض الكفار الفجار له ، فكل ما ذكرته موضوع بصورة خصوصية ومقصود بالذات لتحقيركم والحط من منزلتكم

أما سمعتم الآية (والعاديات ضيحا) فان الله قدس هذه الآية الحيوش التركية نجيل هذه الجوش هي اشرف واقدس اضافة مضاعفة من شرافة وقداسة رؤساء و اشراف الشعوب الاخرى الذين قدسواهم ومحرمونهم . (٢)

\*\*\*

(المنار) هذا نموذج من كتاب (قوم جديد) الذي صنف لاقناع الترك بما يجب ان يكونوا عليه في هذا العصر . ولا شك في كون جميع علماء الدين من الترك كغيرهم يشكرون هذه الضلالات المودعة في هذا الكتاب ويعلمون ان هذه الجراءة على تحريف القرآن واتخاذ الاسلام هزوا ولعبا ، وهدم اركانه ، وتكفير اهله ، والكذب على الله برسوله ، المراد به تقوية الجنسية التركية - كاهن كفر وضلال . ولكن الملاحدة الذين ليس لهم من الاسلام الا اللقب الرسمي او الجغرافي برضون بهذا ويفشون به جهالة العامة من الترك فما للمنكر على حزب الامة كزية تقوية الجنسية العربية باسم الاسلام ، لا يؤلف كتابا في الرد على هؤلاء الثلاثة المحرفين للقرآن . الهادمين للاسلام؟؟

(١) جرت عادة اخواننا الترك بأن يلقوا في قبا بمساجدهم الواح فيها اسماء الخلفاء الاربعة (رض) وسبطى الرسول (ص) (٢) اي كالخلفاء الراشدين وائمة آل البيت الطاهرين عند العرب

\* نموذج من إنشاء طلبة دار الدعوة والارشاد \*

اقترحنا الموضوع الآتي على طلبة السنة الأولى لاختبار انشائهم وآرائهم في هذه المسألة ، فاخترنا أن نشر ما كتبه بعضهم كما كتبوه مع تصحيح بعض الغلط في الهامش ، وهو :

### آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

#### انشاء الطالب يس ابراهيم

لم ير التاريخ من لدن آدم الى ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالا سلام في معاملته وعدله ، ولم ينقل الينا أثر يدل على أن الاسلام عامل مخالفه بالقسوة ؛ بل توأرت الآثار والشواهد الدالة على عدله ، وانه ماجاء الاهداية البشرى فيه صلاحهم في الحال وصلاحهم في المال ، وأنه رحمة للناس كافة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وإن اهم ما يستشرف منه على عدل الاسلام في معاشره مخالفه النظر في نصوص الدين ، فانه الميزان الذي يبين العدل من الجور ويفصل بين الضغط والحرية ؛ تأمل تر أن الاسلام قد بلغ حدا من القوة لا يقاومه صاد ، ولا يحرکه مزحزح ، ومع ذلك ينادي الاسلام ( لا اكره في الدين )

فلوان الاسلام فيه شائبة من ظلم لجل الناس على الدخول فيه كرها أيام استكمال القوة في عزه وشبابه ، كما يفعل اهل الأديان الأخرى في العصر الحاضر والقرون الخالية ، على ان السابقين معذورون ، فانهم ماوصلوا الى درجة من العلم والحضارة يحملهم على الاتجاء الى العدل ، بخلاف اهل هذا الجيل فلا عذر لهم مع صياحهم بصوت العدل ، ولا يخفى على احد ما يفعلونه بالناس من حملهم على دينهم وسلب اموالهم وجعلهم خدما وعبيدا ، إما بالظلم البين ، او الجور المستتر ؛ وهو ما يسميه الاستاذ بالسياسة اللينة . فوريك أما نشر الآن بأن الاسلام دين الرحمة والعدالة في القرون المظلمة خير من جميع الأديان وقوانين السياسة في عصر العلم والحضارة ؟

ان الاسلام لم يضغط على معاشره ، ولم يحملهم على المعاملة بأحكامه ، بل جعل

لهم الحرية التامة في وضع احكامهم، وجعل عقوبة لمن يتعرض لهم بالاذى من المسلمين ، هكذا كان الاسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء بعده. وما يروى أن يهوديا جاء الى سيدنا عمر بن الخطاب شاكيا سيدنا عليا رضي الله عنهما من اجل دين ادعاه عليه ولما كان الخليفة يحكم بينها رأى ان امير<sup>(١)</sup> جالسا قال « قم فساو خصمك » فيا لله ما هذا العدل والانصاف بين يهودي ومسلم لدى امير المسلمين؟ ما نشأ هذا العدل الامن نور الاسلام وسماحته. ولا يتوهمن أحد ان القتال الذي وقع بين المسلمين ومعاشرهم ومن ساعدهم ينافي العدل ما دام يعلم ان الذنب على المعتدي ، وان البادئ اظلم ، فعلوم ان المسلمين ما آذوا أحدا ولم يكن غرضهم الا اوصول هذا النور الى القلوب، وكل ما وقع منهم انما هو دفاع عن انفسهم بأمر من الله تعالى بعد التعدي عليهم ( فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين، فان انتهوا فان الله غفور رحيم )

وان الاسلام لم يته معتقيه عن موالاته من خالفهم ، ولم يمنهم من مواساتهم الا اذا كانوا يقاتلونهم ويعادونهم ، والقرآن اعظم دليل على ذلك ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الفاسقون ) اترك بعد سماع هذه الآيات تشعر بان الاسلام ليس دين العدل والرحمة اذا ازلت عن بصرك عشاء العصبية ؟

فلو نظرت نظرة الانصاف ما وسعتك الا التسليم بان آداب الاسلام في معاشره المخالفين احسن الآداب ، وكما عفا صلى الله عليه وسلم عن مذنب واحسن الى مسيء ؟ وان التاريخ يدلنا على انه كان يتحمل اذى الاعداء ، ودائما يتبع أثر السلم ولو بالحكم الشاق ، ألا تراه مع كثرة تطلعه الى مكة، وشدة شوقه الى الكعبة ، وحنينه الى حجر أبيه ابراهيم، كيف قبل ان يرجع ، مع وفرة القوة وامكان الوصول، وقساوة الشروط، التي منها أنه اذا ارتد احد من شيعته يقبلونه، واذا اسلم أحد منهم

(١) هذا غلط والمراد انه رأى عليا كرم الله وجهه

لا يقبله - على ما يقول التاريخ - وقد ترك زيارة البيت في هذا العام (١). هكذا كان الاسلام ولم يزل في تسامحه وعدله بين أهليه ومعاشره .

ومن أدب الاسلام انه لم يسمح للمؤمنين أن يساعدوا الذين آمنوا ولم يهاجروا على من كان بينهم وبينهم ميثاق (٢) (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، والله بما تعملون بصير)

ولعمري ما انتشر الاسلام على ما ترى الا بحسن آدابه وعدله في المعاملة. فان العدل يجمع القلوب. وبالأداب الحسنة تملك الازمة، ولا رأي للقائلين بالضغط والغلظة. والتقول الفصل في هذا قول الله تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك) فان الله تعالى اعلم بقلوب عباده، خير بما يوحدهم ويجمع كلمتهم، وقد انزل القرآن وضمنه ما يكفل ذلك ان قام به اهله. ولو تصفحت القرآن آية آية لا تجده يأمر بالغلظة على من التزم حده. وإنما قل (ادفع بالتي هي احسن) وقل (فبما رحمة من الله لنت لهم) الخ

وقد اجمع عقلاء الاجتماع (٣) على ان اللين خير من الشدة. كما كانت القوة، وانه ما أثر هذا التأثير رجل واحد الا باعطاء الحرية وانتشار العدل ومخاطبته العقول، ويخيل لي بل ربما كان اقرب الى الحقيقة ان الذي يحتاج الى استعمال الشدة والقوة والغلظة هو من يدعو الى شيء باطل، فان العقول بطبعها تنفر عنه. فان اخذ اصحاب الباطل وسائل القسوة والضغط ربما امكن ان يخضعوا بعض الناس في الظاهر زمانا ماء، ولا يلبث ان يحصل رد الفعل ويرجع الناس الى فطرتهم، وان الاسلام ما جاء بشيء يناقض الفطرة فكان مقبولا بمجرد وصوله الى الآذان الصاغية. ولذلك قال الله تعالى (ان عليك الا البلاغ) فلو ان المسلمين قاهاوا بما اوجب الله عليهم وبلغوا هذا الدين الى الناس كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وتدبره الناس لدخلوا في دين الله افواجا ما

(١) المنار: بشير الكاتب الى صلح الحديبية ولكنه قصر في البيان واختار الاختصار الخلل (٢) أي من المشركين (٣) الظاهر انه كان يريد ان يقول « علماء الاجتماع » فسبق القلم

آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطاب محي الدين رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك ربي ما احكمك ، واحكم شرعك ونبيك ، لقد صبيت الآداب والفضائل كلها في كتابك الحكيم ، واجريتها على لسان خاتم المرسلين ، فبأي لسان نحمدك ونمجدهك ؟ وبأي عمل نشكرك على آلائك واحساناتك ؟ فشكرا لك من عبد ضعيف ، وصلاة وسلاما على نبيك الأمين .

الاسلام وما ادراك ما الاسلام ؟ الاسلام هو ذلك الدين الذي سوى بين الامير والحقير (بل لا حقير عنده) أما بلغك خبر الأمير العادل «عمر بن الخطاب» مع ذلك الأمير الفسائي جيلة بن الايهم الذي وطى الاعرابي وصفه<sup>(١)</sup> على قفاه؟ هل قبل منه عمر أن يجعل بينهما درجات متفاوتات؟ كلا! ثم كلا! ولذلك فر الفسائي هاربا الى القسطنطينية ولا تسأل عما حل به من الندم بعد ذلك ، فشعره يشهد على ندمه العظيم هذا ما كان من عمر في قضية الأمير الفسائي والصلوك العربي ، وانظر الى ما كان منه مع ابن عمرو بن العاص حينما ساط القبطي الذي سبقه (ولا تنس فضل ابيه الفاتح وانه كان صغير السن قد يهفو) فقد كتب الى ابيه : يا عمرو منذمكم استعبدتكم<sup>(٢)</sup> الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا؟

ما هذا بعدل انسان ، انما هو من هدى القرآن ، نعم هذا هو سبيل الاسلام وأمراته ، وليس بعجيب ان قلنا ان التاريخ لم ير أعدل منه . واعلمك تذكر أن عليا (وهو صهر الرسول وابن عمه) تحاكم مع يهودي امام قاض مسلم<sup>(٣)</sup> فكناه القاضي ونادى الآخر يا يهودي! فغضب علي من القاضي وقال له : ما كان لك ان

(١) الصواب : وطى الاعرابي ذيله فصفه الخ (٢) الرواية المشهورة « منذمكم تعبدتم الناس » الخ وان عمر استقدم عمرا مع ولده الى المدينة وأمر القبطي ان يضرب ابنه كما ضربه وقال له « اضرب ابن الاكرمين » اذ كان ابن عمرو لا يضرب القبطي يقول : انا ابن الاكرمين . (٣) انما تحاكم الى عمر بن الخطاب فخاطب عمر اليهودي باسمه ، لا بنسبته الى قومه

تفضل هذا في موقف القضاء بل كان يجب أن تسميني وتسميه .  
خير الأمور التسامح في محله وقد جرت الشريعة الاسلامية على هذه الفضيلة  
وحثت عليها في مواضع شتى . وكم من موقف لأمرء الاسلام وعلماؤه اسرع التاريخ  
اليه فاقتضيه وحلني به جوده الماثل ، فالشريعة تنادي اهلها أن : خالقوا الناس  
بخلق حسن . (واذا حيتهم بتحيتهم فنجبوا بأحسن منها أو ردوها ) « من غشنا فليس منا »  
( يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام  
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغنم كثيرة، كذلك كنتم من قبل »  
الآية . ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء  
والمنكر والبغى ) . (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) .

ولو أردنا تتبع ما ورد في الشريعة من الآي والحكم الواردة بخصوص المخالفين  
لنا فقط لما أمكننا في هذا الموقع ، غير اننا نعلم بالجملة من تاريخ السلف الصالح وما  
اقتبسناه وأرشدنا الى تدبره من قرآن وحديث ، أن الدين الاسلامي خير دين  
قد أخرج للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحترم المصالح العامة والمصلحة،  
ولا يأمر الا بكل خير وصالح مستقيم والمستظلمين برأيه البيضاء، حتى يجعل الجميع  
في هناء ، يرفلون في حلل السعادة وطيب العيشة الراضية :

لا تظن ان الاسلام احتقر اهل الذمة واهتضم حقوقهم . كلا ! بل هو مع ذلك  
لم يرغبهم على التدين به وهو خير دين ( لا اكره في الدين ) فالدين قد جعل لهم  
أحكاما ترضيهم، فعند ذلك الفقهاء الابواب والفصول ؛ وكلها مستمدة من الدين  
القويم، فقد جعلهم احرارا ، واي حرية اكبر من حرية ذلك اليهودي الذي اخذ  
بتلايب النبي صلى الله عليه وسلم يجذب به اليه ويصيح به . فهم عمر باستلال السيف  
فناداه النبي : دعاه فانه له حقا (١)

(١) الرواية ان اليهودي اراد اختبار خلق النبي (ص) فاشترى منه تمرا الى  
اجل واعطاه الثمن وجاء يطالبه بالتمر قبل الاجل بيومين ، فاخذ بمجامع قبيصه  
وردائه ونظر اليه بوجه غليظ وقال : الا تفضيني يا محمد حتي ؟ فوالله انكم يا بني عبد  
المطلب مطل . فوبخه وهدده عمر فقال له النبي (ص) بهدوء « اما وهو كما =

هذه الواقعة التي وقعت من أبي المسلمين محمد (ص) تعطينا درساً اجتماعياً كبيراً الأهمية عظيم المنفعة ، وتعظم منزلة الدين في نفوسنا ، واملنا تقوم فنحيا كي سلفنا الصالح ونسير على نهجه اتقوم فنمود أمة حية ، وليس بعجيب على التاريخ أن يعيد نفسه ؛ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لهذا بدون إثارة الغبار على من خلفنا ، كما نسأله أن يهدي مخالفينا ويجمعنا أمة صالحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

### آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

#### إنشاء الطالب عبد الرحمن عاصم

اقتضت حكمة الله تعالى بأن يرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، يدين الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، ليكون الناس أمة واحدة مجتمعهم جامعة الدين على كلمة الاخلاص لله وحده ، والشهادة لنبية محمد (ص) بالرسالة ، فجاء صلى الله عليه وسلم مبشراً ونذيراً ، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، جاء كما قال (ص) ليتم مكارم الاخلاق ، جاء بالآداب السامية والاخلاق الشريفة ، من بعد ما اعد الله تعالى لقبولها نفوساً زكية وأرواحاً طاهرة ، فتقبلتها بقبول حسن ، وأثبتت بانباتاً حسناً فكان الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، لا يرون من السعادة في لباسها . وقد سمعت عن كاتب فرنسي ترجم رواية عربية وكتب لها مقدمة قال فيها ما معناه - إن من سوء حظ فرنسا أن صادمت العرب [ ويريد المسلمين ] . ومنعتهم من استعمار بلادها ، لأنها لو تركتهم يعمرون البلاد لسبقت فرنسا الأمم الى المدنية والحضارة بسنين عديدة (١) هذي شهادة رجل بعيد عن الآداب الاسلامية - والفضل ما شهدت به الأعداء (٢) يقول الله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون

= احوج الى غير هذا منك يا عمر : تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به فاقضه وزده ششرين صاباً مكان ما رعته » فأسلم اليهودي لذلك . رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي . (١) الصواب لسبقت الامم الاوربية بعدة قرون . والرواية التي اشار اليها هي رواية العباسة أخت الرشيد لجرجي بك زيدان (٢) إيراد هذا المثل منا حجة على الكاتب



عن المنكر) وبين طريقة الدعوة واسلوبها بقوله سبحانه ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ) فيبدي الآية أمرنا الله تعالى بأن ندعو ونخاطب مخالفينا وممانديننا باللين والالطف، ونحاجهم بالتي هي احسن، حتى نستميلهم الى الاسلام ليكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والآثار التاريخية التي تدل على تسامح المسلمين مع مخالفهم كثيرة منها أن يهوديا لقي النبي (ص) وطالبه بدين له ثم امسك بثوبه وهزه، وصفح عنه الرسول (ص) الصفح الجميل . ومن آداب الاسلام في معاملة المخالفين أن الرسول (ص) كان غائما في غزوة من غزواته نهما كثيرة وجاءه احد كبار المشركين وراها ترعى فأعجب بها فوهبه اياها الرسول (ص) فأسلم المشرك لما رأى من ساحة النبي (ص) وكرم اخلاقه . ومن آداب الاسلام في معاشره المخالفين أن ابن فاتح مصر كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبلي فأخذته العزة فلطمه، ووصل الخبر لصاحب العدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، فكتب الى ابن العاص يعاتبه على هذا ويرجزه قال ( يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد وضعتهم أمهاتهم احراراً )<sup>(١)</sup>

ومن ذلك ما يحكى عن جبلة بن الايهم أنه كان يطوف في البيت مسبلا إزاره ومر به فزاري فوطئ الأزار فسقط عن منكبى جبلة فلطمه جبلة لطمه فشكا الفزاري جبلة لسيدنا عمر (رض) فأمر عمر بأخذ حق الفزاري من جبلة - وكان من كبار العرب - فقال جبلة يا عمر أتساويني بهذا الرجل وانا ابن الايهم؟ فقال عمر (رض) الاسلام قد ساوى بينكما . الخ

ومن آداب الاسلام التسوية في الحقوق بين الناس . ومن ذلك ما روي في رسالة سيدنا عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس في القضاء<sup>(٢)</sup> ( سو بين الناس في عدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ) هذا وان من ينظر في جميع الاديان التي عليها الناس فلا يجد دينا كالدين الاسلامي في آدابه في معاشره المخالفين ومعاملتهم . فقد روي عن نبي الرحمة محمد (ص) انه

(١) بينا الصواب من الرواية في هامش النبذة التي قبل هذه (٢) كتاب عمر في القضاء هذا كتبه الى ابي موسى الأشعري (رض)

قال في النميمين ما معناه ( لهم ما لنا وعليهم ما علينا ) (١) وقد عرفنا التاريخ ذلك فاتهم بقوا في اوطانهم يقيمون شعائر دينهم آمنين على انفسهم متمتعين بالرفاهية والنعيم . كل ما اتيت به من حسن معاشره المسلمين للمخالفين ومن المساهلة في معاملتهم انما هو اثر من آثار الدين الاسلامي الذي جاء به محمد (ص) نورا وهدى ومزكيا ، جاء الناس بسلام من عنده ربه ليكونوا به آمنين ، جاء مسهلا لا معسرا ، مبشرا لا منفرا ، ليجمع الناس على صفاء واخلاص يحب الرجل لأخيه ما يجب لنفسه ، بل ( ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة )

اذا تبين لنا ما جاء به الاسلام من حسن المعاشرة ، واللين في المعاملة ، فلا يضربنا قول جاحد ، ولا يهنا صوت مفسد ، اذ ليس من كل الاصوات تجب الهية ، بل تقول لأولئك المنكرين لذه الفضائل ( لكم دينكم ولي دين ) كيف لؤلاء الناس يقولون على دين الله ما لا يعلمون ، ويزعمون أن الاسلام شديد في معاملاته ، والله يقول ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء المنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون )

### آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملتهم

انشاء الطالب عبد العزيز العتيقي

الدين الاسلامي دين الرحمة والعدل ، دين الحكمة والعقل ، دين الاحسان والفضل ، دين يأمر بالاحسان لجميع البشر ، دين يأمر بالرأفة بالحيوان فضلا عن الانسان ، يظهر ذلك في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله ، وما جرى عليه الخلفاء الراشدون وجميع السلف الصالح من بعده

أجل نظرة في سيرته الطاهرة تجدها حافلة بالمواعظ مشحونة بالوصايا بالحث على الاحسان لجميع الخلق كقوله (ص) « اخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعِياله » وقوله « في كل ذي كبد حري صدقه » (٢) « ما هذه الرحمة والحنان ! ما هذه الثقة

(١) الحديث ورد في المهاجرين ، واستعمل العلماء العبارة في حقوق النميمين

(٢) الحديث « في كل ذات كبد حرمي اجر »

والاحسان اما هذه الرأفة التي لم تقصر على بني البشر بل عمت كل من اتصف بالحياة .  
الله اكبر ان دين محمد وكتابه أقوى واقوم قبالا  
لاتذكر الكتب السابوية<sup>(١)</sup> عنده طلع الصباح فأطفئ القنديلا  
أدر بصرك في أفعاله (ص) نجد انه كان يقابل السيئة بالحسنة . اضرب لك  
مثالا صغيرا تقيس عليه ما لم تعلم . كان احد اليهود يؤذيه (ص) ويضع الاقدار  
في طريقه اذا خرج الى المصلى ، فلما مرض ذلك اليهودي فقده (ص) بفقد ما كان  
يضع فسأل عنه (ص) فقيل انه مريض فذهب (ص) لزيارته . فلما رأى ذلك اليهودي  
فعله وحفاوته به مع علمه انه يعلم ما كان يصنع في اذيه ، قال اشهد ان لا آله الا الله ،  
وان محمدا عبده ورسوله . فيا حبذا لو جرى المسلمون على هذه القاعدة في معاملة  
مخالفينهم في الدين ، اخوانهم في الوطن والبشرية . فوالله لو جروا على هذه القاعدة  
للخل الناس في دينهم افواجا .

من راجع القرآن الشريف وجد نصوصه الكريمة في كيفية الدعوة تدور على  
محور الحكمة والعقل والاحسان والفضل . قال تعالى ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ) وامن تعالى على نبيه (ص) بقوله ( فيما  
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ) وقال تعالى  
( لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي ) وقال ( ولا تجادلوا اهل الكتاب  
الا بالتي هي احسن )

نرجع الى النظر فيما جرى عليه السلف الصالح في ذلك اي في معاملة مخالفينهم  
في الدين ، نجد أنهم جعلوا لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، لا فرق بين المسلم وغيره في  
الحقوق . انظر الى ما قاله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لعمر بن العاص فاتح مصر  
حينما تسابق ابنه مع ابن القبطي فسبقه فاطمه ابن عمرو واقتخر عليه بآبائه ، فلما بلغ  
ذلك عمر رضي الله عنه ارسل اليه يهدده ويقول له : «متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد  
ولدتهم أمهاتهم احرارا» وحكم عليه بان يرضي القبطي او يقتص منه<sup>(٢)</sup> . وقصة اليهودية

(١) الصواب : السوائف (٢) تقدم الصواب في الرواية

صاحبة البيت الذي كان في المسجد مشهورة، بل نرى من تسامحهم انهم قد أرقوهم (٩) الى اعلى المراتب فأنخذوا منهم الكتاب وغيرهم، وقد اتخذ الحرس في المدينة المنورة في يوم من الايام من النصارى . ومن راجع تاريخ الدولة العباسية في عنفوان تمدن الاسلامي رأى أن للذميين من ذلك حظا وافرا. فقد أرقوهم (٩) الى اعلى المناصب فصار منهم الاطباء والندماء للبلوك وغيرهم. هذه المعاملة تمثل لنا عدالة الدين الاسلامي وتسامحه وآدابه الراقية

فعلى رجال الدعوة والارشاد الذين قد اخذوا على عواتقهم هذه الامانة وعاهدوا الله عليها - وهي ارشاد المسلمين الى اواصر دينهم ودعوة غيرهم اليه - أن يظهروه في ثوبه الحقيقي ، وان يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي « ص » والسلف الصالح امام اعينهم ليسيروا عليها ، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء اليها ، وهي اصلاح نفوس البشر وتحليتها بالفضائل ، وتطهيرها من الرذائل ؛ لتكون اهلا لجوار الله تعالى في الآخرة ، واصلاح حال المجتمع الانساني في هذه الدار التي قدر له ان يعيش فيها برهة من الزمن . وليعلموا الناس أن الله قد جعلهم شعوبا وقبائل للتعارف والتعاون (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) وقوله ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) وان الله غني عن العالمين .

### آداب الاسلام في معاشره المخالفين ومعاملاتهم

انشاء الطالب محمد أبو زيد

قال الله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ) من فقه حكمة الاسلام ووقف على مقاصده وما يرحي اليه، عرف أن المراد منه اتمام الفطرة البشرية بما يصلح به شأن الانسان في حياته الاولى ، ويتال به الرضوان الاكبر في حياته الأخرى ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم )

ولما كان حسن المعاشرة والمعاملة من اعظم ما يكون في النفس الملكات الفاضلة ، ويقوي الصلة بين الافراد والامم، كان مما امتاز به ذلك الدين العناية بشأنها ، والحث عليها ، غير ناظر الى ما يكون عليه المعاشر او المعامل من المخالفة - وليست المخالفة قاصرة على الدينية فقط بل يدخل فيها الجنسية واللغوية وغيرها

ولقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فلم يتجاوز امر ربه في دعوة مخالفتي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ) حتى كان من تمام رفته في مخاطبته ما حكاه عنه ربه ( وانا اراياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين ) ولم يترك التلطف في معاملاتهم حتى جعل لمن دخل في حوزته واطمان من جهته الامان من كل ما يشينه، وحافظ على حقوقه كما يحافظ على جميع المسلمين . وسار من بعده من اهل العدل على قوله ( لهم ما لنا وعليهم ما علينا ) حتى لقد شغل كثير منهم مراكر في الحكومات الاسلامية المتقدمة وغير ذلك مما يشهد به التاريخ

هذا وان الاسلام بريء مما يرميه به اعداؤه من التعصبات الدينية - على زعمهم - نظرا لما قرره في اصوله المبنية على الدليل والبرهان « قد تبين الرشد من الغي » كما وانه (؟) قد قضى على الجنسيات والامتيازات بغير ما فيه التقى ( إن أكرمكم عند الله اتقاكم ) فما اعظمه من دين سوى بين الطبقات بعباده ، فاقصد الناس من العبودية القدعة ، وما اعرفه بحقوق الانسان ! قرر التفضيلة برتبتها - العدل والاحسان - فقضى له بالاولى ليكون مرفوع الرأس آمنا من الذل ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) وخيره في الثانية ليذوق حلاوة فضله ويشمر بلذة احسانه ( فمن عفا واصلح فاجره على الله )

فوالله ما وجد للبشر دين أرحم على الانسان منه ، ولا عرف ضمير المخالفين معاملة أوفى من معاملته ، دين يقول كتابه ( ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) جدير بان يسود بمتبعيه

دين يقول نبيه « سلم على من عرفت ومن لم تعرف » « خالق الناس بخناق حسن » حقيق بان يسعد من دخل في حظيره . دين يقول كتابه ( ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) ويقول نبيه « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » لا يسع كل مجرد عن الاعراض بعيد عن الهوى الا ان يقر بفضله ، ويخر ساجدا لآياته

دين قد شهد لنفسه بما أحدثه في العصور الخالية من الانقلاب المدهش، وافر له اعداؤه - والفضل ما شهدت به الاعداء - بان التاريخ لم يرا اكثر عدلا ولا احسن معاملة من اهله ، لاشك في تسامحه ، ولا ريب في كونه دين الاصلاح العام لجميع البشر

## مصائب مصر والشام . رجال العلم وحملة الاقلام

### ٢ - الشيخ حسن المدور

هو من بيت معروف في بيروت . اشتغل من اول نشأته بطلب العلوم العربية والشرعية ، وصحب الاستاذ الامام ايام هجرته في بيروت وتلقى عنه ، فاستنار عقله ، واشرب حب الاصلاح في قلبه ، ولكنه كان يداري الجامدين ، ويخاف شر المستبدين ، فلماذا لم ينهض بالدعوة الى الاصلاح ، ولم يتم بمظاهرة الظاهرين بها في زمن الاستبداد . على انه كان يدرس ويفيد الطلاب باعتداله ورويته ، وقد رغب الي منذ سنتين ان ارسل اليه ما طبع من ( تفسير القرآن الحكيم ) ليقرأه درسا في الجامع الكبير ، فلم ادر في ارساله اليه ، فكنت في ذلك مخطئا ، وما كنت اتحسب نفسي من العذر في التأخير كان ضعيفا .

وكان الفقيه كريم الاخلاق ، حسن المعاشرة ، واسع الحلم ، شديد الاحتياط في أموره ، فوجود فقيه مثله في بيروت كان ضروريا ، اذ كان رحمه الله تعالى وسطا بين تشديد الجامدين ، وشذوذ المتساهلين المفرطين ، فهو من الافراد الذين لا تستغني أمتنا الاسلامية في قطر ولا مصر عن واحد أو آحاد منهم في هذا العصر - عصر التحول والاطلاق . وقد كان مسلمو بيروت مستفيدين من هذه المزية من مزايه وان لم يعرفها له الجمهور منهم .

وقد صار في العهد الاخير أمينا للفتوى في بيروت فكان خير عون وظهير لفتيها لهذا العهد صديقنا الشيخ مصطفي نجا . ويسوعنا اننا لا نعرف من ترجمة هذا الصديق شيئا كثيرا نثبتته في ترجمته ، ليكون ذكرا باقيا له ، فنحن نعلم انه كان يفيد طلاب العلم والمستفتين بعلمه وعقله وأدبه . ولا ندري أكتب شيئا من الكتب والرسائل المفيدة ام لا . وقد خسرت بيروت بفقدته خسارة لا عوض لها الآن عنها ، لضعف الاشتغال بالعلوم الدينية فيها . وهو قد دخل في العقد السادس من عشرات سني عمره ، وكان جيد الصحة فعرض له المرض أياما معدودات انتهت باجله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة

### ٣ - الشيخ محيي الدين الخياط

ولد بمدينة صيدا في رجب سنة ١٢٩٢ فكانت وفاته في أواخر السنة القمرية لثممة للاربعين : وراينا في بعض جرائد بيروت التي أبنته ان والده من السلالة العلوية ، وانه لرغبته عن النفاخر بالانساب لم يكن يعرف عنه كلمة تدل على ذلك ، وان أمه ألبانية الاصل ، وكانت كريمة الخلق ذكية الفؤاد ، فهي التي تولت تربيته

وعينت بتعليمه . وقد تعلم التعليم الابتدائي في مدرسة لجمعية المقاصد الخيرية في بيروت ، وتلقى بعض علوم الأدب والدين عن الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي والشيخ يوسف الاسير البيروتي اللذين اتهمتهما رئاسة العلوم العربية والشرعية في بيروت . ثم كان جل تحصيله بجمده واجتهاده في المطالعة والمراجعة والتعليم ، وعنى بالكتابة المصرية ونظم الشعر فكان في الرعيل الأول من فرسانها في وطنه . وعلم في بعض المدارس ، وحرر في عدة جرائد ، وألف عدة كتب قرظها المنار في أزمنة نشرها ، حتى صار أشهر شبان النهضة الاسلامية في بيروت

لقيته في بيروت قبل هجرتي الى مصر ، فاذا هو شاب يتدفق غيرة على الامة وشعورا بسوء حالها ، وشدة حاجتها الى الاصلاح وتجارة الامم الحية . ولما أنشأت المنار جعلته وكيلا له في بيروت وما يتصل بها ، فقبل ذلك بالارتياح ، وكان مغتبطا بالمنار اشد الاغتياب ، على ما كان في ذلك من الخطر والتعرض لاذي الحكومة الحميدية . ولكنه عهد بعد ذلك بتوزيعه وجمع مال اشتراكه لصاحب له من ذوي المطامع الدينية وفاسدي الاخلاق ، فغشنا به غير متعمد عدة سنين سأل الله وعفا عنه . كان التقيد صاحب همة عالية ، وحب للاستقلال الفكري والحرية ، وميل شديد للسياسة ، ولو أتيح له ان يعيش في بلاد حرة يعمل مستقل به لظهر من استعداده ما كان كامنا ، ولصار من أشهر كتاب العصر المصلحين . ولكنه كان ضعيف الثقة باستقلال نفسه في العمل ، فلم يجزأ على الهجرة ولا على النهوض بعمل مستقل غير مضمون الربح ، ولهذا باع قلمه لاصحاب الجرائد بالاجرة مراعيًا مشاربهم ومذاهب سياستهم فيها ، فكان لا يؤلف كتابا الا بعد ان يتعاقد مع رجل يطبعه على نفقته ، ويكون ملكا لطابعه من دونه ، وكان الباعث له على ذلك الحاجة الى المال ، وحب التعجل بربح قطعي بلا ثقة ولا انتظار ، وكان من لوازم هذه الطريقة من الكسب بالقلم اختيار ما يروج عند الطابعين وسرعة التأليف ، فالوقوف به عند حد . في استطاعة المؤلف ما هو أعلى منه . ولولاها لم يحصر جل ما كتبه في كتب التعليم الابتدائي ، فانه لم يؤلف الا كتب دروس التاريخ الاسلامي والعربية والفقه والمطالعة للمدارس الابتدائية . وعاق على ديواني ابي تمام وابن المعتز تفسيراً لعربيهما سلك فيه مسلك الاختصار الخلل ، واوقعه الاستمجال في كثير من الغلط ، على أنه كان من أحرص كتاب العصر على ضبط اللفظة وسحة العبارة ، والثقة مما يضبطه بدقة المراجعة . فكان يضاهي الشيخ ابراهيم اليازجي في هذا . وكان يعرف اللغة التركية ، وترجم عنها قصة (الوطن) لناق كال بك الشهير . وكان يرجى من خدمته للغة العربية ما هو اعظم من ذلك ، ولكن كان من سوء حظ الامة العربية ان فقدته عند ما بلغ اشده واستوى ، وقوي في اتقان خدمة الامل والرجاء . عرضت له حمي وهو في عنفوان

قوة ، ققضت في اسبوع واحد على حياته ، نخرت بفقده الامة العربية قلما سيلا ، وذهنا جوالا ، وهمة لا تعرف ملالا ولا كلالا .

#### ٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

هو علامة الشام ، وناصرة الايام ، واجدد لعلوم الاسلام ، يحي السنة بالعمل والتعلم ، والتهديب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن ، الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقى الابواب ، الحليم الاواه ، العفيف النزيب ، صاحب التصانيف الممتعة ، والاجتات المقتنة ، صديقنا الصفي ، وخلصنا الوفي ، واخونا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، واحسن عزاءنا عنه .

نشأ الفقيه في بيت من بيوت العلم والدين في دمشق الشام ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين والف . وتلقى مبادئ العلوم العربية والشرعية عن والده الشيخ سميد بن الشيخ قاسم الملقب بالخلقي . والقاسمي نسبة الى الشيخ قاسم هذا . والديه علوية يتصل نسبها بنسب الشيخ ابراهيم الدسوقي الشهير . وقد عني الفقيه في آخر عمره بأبيات هذا النسب ، وكتب له شجرة ، وجاء مصر في العام الماضي لشؤون تتعلق بذلك . فسررنا بلقائه ، وجددنا ما لا تخلقه الايام من عهود إخوانه . وكتبنا له كما أحب كلمات على نسبه . وقد صار بعض تلاميذه واصحابه يطلقون عليه لقب « السيد » بعد تحرير هذا النسب ، بناء على القول بعموم شرف الاسباط . ولكن العرف الذي عليه أكثر المسلمين على خلاف هذا القول . والكثيرون من أهل سورية يطلقون لقب « السيد » على من ليس له لقب علمي ولا رسمي ، ولعل ذلك من نزغات الامويين ، في هضم حقوق العلويين . والشيخ غني عن هذا اللقب ، الذي لا يفهم المراد منه أحد .

وقد تلقى العلوم المتداولة في الشام عن الشيخ بكري العطار اشهر علمائها وفقهاء الشافعية فيها ، وكان يحضر مجالس الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرزاق البيطار مجدد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد من علمه وعقيدته الأثرية وهديه واخلاقه المرضية ، ما لم يستفده من غيره . وصحب الاستاذ المعن المنقذ الشيخ طاهراً الجزائري ، فاستفاد من صحبته علما بحال العصر ، ومعرفة بنوادير الكتب وغرائب المسائل ، وصحب العالم المستقل الشيخ سليم البخاري ، وأترايا من خيرة شبان العصر المدينين كرفيق بك العظم ومحمد افندي كردعلي وغيرها وجماعتهم . فكان لهجة هؤلاء الشيوخ والشبان ، وهم خير من ابنت الشام في هذا الزمان ، تأثير عظيم في حياته العلمية ، من حيث فتمت لاستمداده النظري ، واستقلاله الوهبي ، ابواب البحث والتحقيق ،



وعدم الوقوف عند المسلمات من التقاليد ، ونبهته الى حاجة الامة الى الاصلاح المدني كحاجتها الى الاصلاح الديني . وجاء مصر مع الاستاذ البيطار ، على عهد الاستاذ الامام ، فاعتبطا بلقائهم واعتبط بلقائهم ، وصارت المكاتبة بمذالك متصلة بينه وبينهما وإنما كان جمال الدين ذلك الرجل بجوهر نفسه ، وقوة استعداده ، وكم من طالب علم سمع مثل ما سمع ، ولقي من الشيوخ والشبان مثل من لقي ، فأفكر كل ما خالف - وعلى كل من خالف - ما عرف وأف . ولم يهده ذلك الى طلب علم جديد ، ولا الى مراجعة النظر واستشارة الدليل . فالحق ان الافراد الذين امتازوا في هذا العصر من أمتنا بالعلم الصحيح والتصدي للاصلاح ، انما امتازوا اولاً بقوة الاستعداد ، والدليل الفطري الى الاستقلال ، ثم سلوك النظر والاستدلال ، فمن كان هكذا فعمه لقاء اهل الاختصاص ، والاطلاع على احسن الكتب والاسفار ، فيكون في ذلك كالنحلة في الروض ، تجني من ناضر الازهار ويانع الثمار اطيب ما فيها .

رغبت بعض المدرسين ، في قراءة كتاب احياء علوم الدين ، فقلب اوراقه كلها او بعضها ، فلم يقع اختياره على شيء يقرأه منها ، الا بعض حكايات الصالحين ، وبعض الآثار في فضائل الاعمال . فهو لم يستفد من علم الغزالي مسألة ما ، ولم يتقل من خصائص الكتاب شيئاً . ذلك بان هم ذلك المدرس كان محصوراً فيما رأى عليه أمثاله ، وهو انتقاء ما يرضي الناس ويثبثهم ، ولا يذكرهم بشيء من جهلهم ، ولا يكشف لهم الستار عن شيء من عيوبهم ، ولا ينذرهم سوء : اقبه افراطهم وتفریطهم . نعم ان كل فرد من أولئك الافراد القلائل الذين نعدم في هذا العصر من المصلحين - وصديقنا المترجم منهم - لم يكن امتيازهم الا بصفاء جوهرهم وقوة استعدادهم الفطري للاستقلال والكمال . مع التوفيق للطلب والاشتغال ، واتفاق لقاء بعض أصحاب المزاي من الرجال ، ذلك بأنه ليس في أمتنا مربيون ، ولا معلمون مصلحون ، لا في البيوت ولا في المدارس ، ولو وجد فينا كثير من القادرين على التربية الصحيحة والتعليم الاستقلالي ، لوجد في كل بلد - لاني كل قطر فقط - كثير من أمثال القاسمي .

ظهر الشيخ جمال الدين في الشام على حين فترة من العلماء ، فقد كانت من ادرك من كبار شيوخها آخر الذين عنوا بدراسة الكتب اليهودية التي يطلق على مدارسها لقب (علماء) على ان العلم الصحيح - وهو العلم الاستقلالي المبني على الدليل - كان قد حجز عليه وحكم بنحره من عدة قرون ، فلم يكن أحد يشم ريحه ولا يشم وميضه الا قليلاً ، وصار الناس كالتفافيش لا يفتحون في هذا النور عينا ، ولا يجيلون في شعاعه فكراً . ظهر الفقيه وفي دمشق الشام أفراد ورتوا عن آباءهم واجدادهم عمائم العلماء والقابهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من اوقاف المسلمين

ولم يروا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئا ، فاتهم العلم ولم يفتهم صرف الاوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بجاهه ومجده ، فيما لثمتع بالثابه وأزيائه ونقده ، فكان من اكبر الخطوب عليهم ان يروا في الشام عالما يتصدى للتدريس والتصنيف ، وبين حاجة البلاد الى الاصلاح والتجديد . فاذا تصدى لذلك أحد يكيدون له المكائد ، وينصبون له الحبالى ، ويفخونه الفتنة ، ويجعلونه في موقف الغلظة ، فيسعون به الى الحكام ، انصار كل متناق ، ويهيجون عليه العوام ، اتباع كل ناعق . فاذا يعمل العالم المصلح بينهم ؟

اذا كان عمل القاسمي للاصلاح وتجديد علوم الدين صغيرا في نفسه ، فهو كبير جدا في بلاده وبين قومه ، فا القول فيه اذا كان عمله كبيرا في الواقع ، وقد عظم المطلوب وقل المساعد ؟

كان رحمه الله تعالى يقرأ الدروس العربية والشرعية للطلبة وللعامه ، ويخطب في المسجد خطبة الجمعة ، ويصنف الرسائل والأسفار الممتعة ، ويصحح ما يرى نشره نافعا من كتب المتقدمين ، ويشرح المختصر ويختصر المطول منها ، ويسمى في طبعها ونشرها ، ويبت روح الاستقلال والاستدلال في ذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة التي هي احسن . وكم سعى فيه وكاد له أولئك المعصومون الجامدون فأنجاه الله منهم ، وان اكبر الكبائر التي يتهمون بها كل من يدعو مثله الى العلم والعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، هي محاولة هدم الدين بفتح باب الاجتهاد والاستدلال ، وما يستلزمه ذلك بزعمهم من تحقير الأئمة ، ومن اتبعهم من علماء الأمة !! وقد آتهم مرة بذلك مع بعض اصدقائه وعقد لهم مجلس في المحكمة الشرعية وسألهم القاضي عن تلك التهمة ، واخذ الفقيه من دونهم الى دار الشرطة ، وحبس فيها بضع ساعات .

كان له رحمه الله تعالى دروع سابعات من اخلاقه وسيرته ، تقيه بغي أعداء العلم والاصلاح من حساده ، اذ كان نزه اللسان ، بعيدا عن المراء والجدال ، مستجنا للآراء بغيره ، والتعريض بغيره خصمه او مدح نفسه ، غير مزاحم لوارثي العمائم على الخطام ، ولا مسابق لهم الى ابواب الحكام ، - الى ما كان عليه من العبادة ، والعفة والاستقامة .  
( للترجمة بقية )

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبهون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأتوا أولوا الألباب

الملك  
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متارا » كمنار الطريق ﴾

مصر سلخ شعبان ١٣٣٢ هـ ق ٢ الصيف الثاني ١٢٩٢ هـ ش ٢٤ يوليو ١٩١٤

## فَتَكَلَّمُوا الْمَنَابِتَ

انتبهنا هذا الباب لاجابة سئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم طامة الناس ، وان شرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بانترجم غالباً وروعا قدمنا ما عثر السبب كعاجبة الناس الى بيان موضوعه وروعا اجبتا غير مشترك مثل هذا ، ولمن مقرر : قال : قد ذكر في ...

( وجوب تعلم العربية على كل مسلم )

( ١٩ ص ) من صاحب الامضاء بمصر

السيد الامام صاحب المنار

قرأنا في أعداد سابقة من مجلتكم المنار أدلة وجوب تعلم اللغة العربية على كل مسلم وأشرم في بعض الاجزاء الى ان الامام الشافعي (رح) قال بذلك . ثم قرأنا في الجزء السابع من المجلد ١٧ قول عبيد الله صاحب «قوم جديد» باستثناء المسلمين عن تعلم العربية . فترجو أن تنشروا قول الامام الشافعي بذلك الجأماً لذلك النجال واطسناً لقوم يؤمنون ما

مستفيد

يقراً المنار

( ج ) جاء في رسالة الامام الشافعي التي هي أول رسالة كتبت في أصول الفقه

برواية الربيع بن سليمان المرادي ما نصه :

( قال الشافعي ) رضي الله عنه والقرآن يدل على أن ليس في كتاب الله شيء الا بلسان العرب ، ووجد قائل هذا القول من قبل ذلك منه تقليدا له وتركا للسئلة له عن حجته ومسئلة غيره ممن خالفه ، وبالتقليد أفضل من أفضل منهم والله يغفر لنا ولهم . ولعل من قال : ان في القرآن غير لسان العرب ، وقبل ذلك منه ذهب الى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب ، ولسان العرب أوسع الالسننة منذهبها وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب

منه شيء على عامتها ، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه ، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه ، لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء ، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها أتى على السنن ، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ، ثم كان ما ذهب عليه منها موجودا عند غيره ، وهم في العلم طبقات ، منهم الجامع لا أكثره وإن ذهب عليه بعضه ، ومنهم الجامع لأقل مما جمع غيره ، وليس قليل ما ذهب من السنن على من جمع أكثرها دليلا على أن لا يطلب علمه عند غير أهل طبقته من أهل العلم ، بل يطلب عند نظرائه ما ذهب عليه حتى يوثق على جميع سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ، فينفرد بجملة العلماء مجتمعا ، وهم درجات فيما وعوا منها . وهكذا لسان العرب عند خاصتها وعامتها لا يذهب منه شيء عليها ، ولا يطلب عند غيرها ولا يعلمه إلا من قبله عنها ، ولا يشركها فيه إلا من اتبعها في تعلمه منها ، ومن قبله منها فهو من أهل لسانها ، وإنما صار غيرهم من غير أهل بتركه ، فإذا صار إليه صار من أهله ، وعلم أكثر اللسان في أكثر العرب أهم من علم أكثر السنن في أكثر العلماء

فإن قال قائل : فقد نجد من العجم من ينطق بالشيء من لسان العرب ؛ فذلك يحتمل ما وصفت من تعلمه منهم ، فإن لم يكن ممن تعلمه منهم فلا يوجد ينطق إلا بالقليل منه ، ومن نطق بقليل منه فهو تبع للعرب فيه ، ولا ينكر إذا كان اللفظ قبل تعلمه أو نطق به موضوعاً أن يوافق لسان العجم أو بعضها قليلاً من لسان العرب ، كما يفتق (١) القليل من السنة العجم المتباينة في أكثر كلامها ، مع ثنائي ديارها واختلاف لسانها ، وبعد الأواصر (٢) بينها وبين من وافقت بعض لسانه منها

فإن قال قائل : ما الحاجة في أن كتاب الله محض لسان العرب لا يخطئه فيه غيره ؟ فالحجة فيه كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى ( وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ) فإن قال قائل : فإن الرسل قبل محمد صلى الله تعالى عليه

(١) قوله يفتق هو مضارع بمعنى يفتق لكن لم تدغم فيه فاء الانفصال بل قلبت حرفاً لينا من -نس الحركة قبلها وهي لغة أهل الحجاز يقولون : يفتق يفتق فهو موثق ولغة غيرهم الإدغام (٢) الأواصر جمع أصرة وهي الرحم والقراة

وسلم كانوا يرسلون الى قومهم خاصة وأن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى الناس كافة ، قيل : فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه أو ما أطاقوه منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فإن قل قائل : فهل من دليل على أنه بعث بلسان قومه خاصة دون ألسنة العجم ؟ ( قال الشافعي ) رحمه الله تعالى : فالدلالة على ذلك بيّنة في كتاب الله عز وجل في غير موضع ؛ فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهم بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون بعضهم تبعاً لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع . وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولا يجوز - والله تعالى أعلم - أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ؛ بل كل لسان تبع لسانه ، وكل أهل دين قبله فطليهم اتباع دينه . وقد بين الله تعالى ذلك في غير آية من كتابه . قال الله عز ذكره ( وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ) وقال ( وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ) وقال ( وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها ) وقال تعالى ( حم ، والكتاب المبين ، انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون )

( قال الشافعي ) رحمه الله تعالى فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها . ثم أكد ذلك بأن نفي عنه جل وعز كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى ( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) وقال ( ولو جعلناه قرآنا أعجمياً يقالوا : لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟ )

( قال الشافعي ) رحمه الله تعالى : وعرفنا قدر نعمه بما خصنا به من مكانه فقال تعالى ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ) الآية - وقال ( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ) الآية ، وكان مما عرف الله تعالى نبيه عليه السلام من انعامه عليه ان قال ( وانه لذكر لك ولقومك ) فخص قومه بالذكور معه بكتابه

وقال (وأندر عشيرتك الاقربين) وقال (لتنذر أم القرى ومن حولها) وأم القرى مكة وهي بلده وبلد قومه ، فجعلهم في كتابه خاصة وأدخلهم مع المنذرين عامة ، وقضى أن يندروا بلسانهم العربي لسان قومه منهم خاصة . فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذکر فيما اقترض عليه من التكبير وامر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك . وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له ، كما عليه ان يتعلم الصلاة والذکر فيها ، ويأتي البيت وما أمر باتيائه . ويتوجه لما وجه له ويكون تبعاً فيما اقترض عليه وندب اليه لا متبوعاً

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى وانما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم لأنه لا يعلم من ايضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوه وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمها انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها ، فكان تنبيه العامة على ان القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين ، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه ، أو ادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه وترك موضع حفظه ، فكان يجمع بين النصيحة لهم قياما بايضاح حق ، وكان القيام بالحق ونصيحة المسلمين طاعة لله . وطاعة الله جامعة للخير

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى : أخبرنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال سمعت جرير بن عبد الله يقول : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . وأخبرنا سفيان بن عيينة عن سهيل ابن أبي صالح عن عطاء بن يزيد اللثمي عن تميم الداري ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة — قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال — لله وكتابه ولنبيه ولأئمة المسلمين وعامتهم » اه المراد منه

## فصل\*

اذا ثبت هذا اتقلنا منه الى معنى آخر :

وهو أن المحرم ينقسم في الشرع الى ما هو صغير والى ما هو كبير - حسبما تبين في علم الاصول الدينية - فكذلك يقال في البدع المحرمة إنها تنقسم الى الصغيرة والكبيرة اعتبارا بتفاوت درجاتها - كما تقدم - وهذا على القول بان المعاصي تنقسم الى الصغيرة والكبيرة . ولقد اختلفوا في الفرق بينهما على أوجه ، وجميع ماقلوه لعله لا يوفى بذلك المقصود على الكمال . فلنترك التفرير عليه .

وأقرب وجه ينس لهذا المطلب ماقرر في كتاب الموافقات ان الكباثر منحصرة في الاخلال بالضروريات المقبرة في كل ملة ، وهي الدين والنفس والنسل والعقل والمال . وكل ما نص عليه راجع اليها ، وما لم ينص عليه جرى في الاعتبار والنظر مجراها ، وهو الذي يجمع اثبات ما ذكره العلماء وما لم يذكره مما هو في معناه ؛

فكذلك تمول في كباثر البدع : ما أدخل منها باصل من هذه الضروريات فهو كبيرة ، وما لا فهي صغيرة . وقد تقدمت لذلك أمثلة أول الباب . فكما انحصرت كباثر المعاصي أحسن انحصار --- حسبما أشير اليه في ذلك الكتاب - كذلك تنحصر كباثر البدع أيضاً ، وعند ذلك يمرض في المسئلة إشكال عظيم على أهل البدع يسر التخصص عنه في اثبات الصفائثر فيها . وذلك ان جميع البدع راجعة الى الاخلال بالدين

(\* تابع لما قل من كتاب الاعتصام للامام الشاطبي



إما أصلاً وإما فرطاً، لأنها إنما أحدثت لتلحق بالشروع زيادة فيه أو نقصاناً منه أو تغييراً لقوافيه، أو ما يرجع إلى ذلك؛ وليس ذلك بمختص بالمعادات دون العادات، إن قلنا بدخولها في العادات، بل نعم الجميع وإذا كانت بكتبتها اخلاقاً بالدين فهي إذا اخلاقاً بأول الضروريات وهو الدين، وقد أثبت الحديث الصحيح أن كل بدعة ضلالة، وقال في الفرق «كلها في النار إلا واحدة» وهذا وعيد أيضاً للجميع على التفصيل. هذا وإن تفاوت مراتبها في الاخلاق بالدين فليس ذلك يخرج لها عن أن تكون كباثر، كما أن القواعد الخمس أركان الدين وهي متفاوتة في الترتيب، فليس الاخلاق بالشهادتين كالاخلاق بالصلاة، ولا الاخلاق بالصلاة كالاخلاق بالزكاة، ولا الاخلاق بالزكاة كالاخلاق بمرمضان، وكذلك سائرهما مع الاخلاق؛ فكل منها كبيرة. فقد آل النظر إلى أن كل بدعة كبيرة ويجاب عنه بأن هذا النظر يدل على ما ذكر، فحي النظر ما يدل من جهة أخرى على اثبات الصغيرة من أوجه:

(أحدهما) أنا نقول: الاخلاق بضرورة النفس كبيرة بلا إشكال، ولكنها على مراتب أدناها لا يسمى كبيرة؛ فالتقل كبيرة وقطع الاعضاء من غير اجهاز كبيرة دونها، وقطع عضو واحد كبيرة دونها، وهلم جرا إلى أن تنتهي إلى اللطمة؛ ثم إلى أقل خدش يتصور، فلا يصح أن يقال في مثله كبيرة، كما قال العلماء في السرقة: إنها كبيرة، لأنها اخلاق بضرورة المال. فإن كانت السرقة في لقمة أو تطيف بحبة فقد عدّوه من الصغائر. وهذا في ضرورة الدين أيضاً.

فقد جاء في بعض الأحاديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول

ما تفقدون من دينكم الامانة ، وآخر ما تفقدون الصلاة ، ولتتقضى عرى الايمان عروة عروة ، وليصلين نساء وهن حيض - ثم قال - حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة تقول احدهما : ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل من كان قبلنا ، انما قال الله « أتم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل » لا تصان الا ثلاثاً . وتقول أخرى : انا لنؤمن بالله ايمان الملائكة ، ما فينا كافر . حق على الله ان يحشرهما مع الدجال « وهذا الأثر - وان لم يلتزم عهدة صحته - مثال من أمثلة المسئلة .

فقد نبه على ان في آخر الزمان من يرى أن الصلوات المفروضة ثلاث لا خمس ، وبين ان من النساء من يصلين وهن حيض ، كانه يعني بسبب التعمق وطلب الاحتياط بالوساوس الخارج عن السنة . فهذه مرتبة دون الاولى

وحكى ابن حزم ان بعض الناس زعم ان الظهر خمس ركعات لا اربع ركعات ، ثم وقع في العتبية ، قال ابن القاسم : وسمعت مالكا يقول : أول من أحدث الاعتماد في الصلاة حتى لا يحرك رجله رجل قد عرف وسمي الاثني لا أحب ان اذكره ، وقد كان مساءً (أي يساء الثناء عليه) قال - قد عيب ذلك عليه ، وهذا مكروه من الفعل . قالوا «ومساء» أي يساء الثناء عليه . قال ابن رشد : جائز عند مالك ان يروح الرجل قدميه في الصلاة ، قاله في المدونة . وانما كره ان يقرنها حتى لا يعتمد على احدها دون الاخرى ، لان ذلك ليس من حدود الصلاة ، اذ لم يأت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من السلف والصحابة المرضيين ، وهو من محدثات الامور . انتهى .

فمثل هذا - ان كان يمدده فاعله من محاسن الصلاة وان لم يأت به أثر - فيقال في مثله : إنه من كبائر البدع . كما يقال ذلك في الركعة الخامسة في الظهر ونحوها ، بل انما يمد مثله من صفات البدع ان سلمنا ان لفظ الكراهية فيه ما يراد به التنزيه ، واذا ثبت ذلك في بعض الامثلة في قاعدة الدين ، فمثله يتصور في سائر البدع المختلفة المراتب ، فالصفات في البدع ثابتة كما أنها في المعاصي ثابتة .

(والثاني) ان البدع تنقسم الى ماهي كلية في الشريعة والى جزئية ، ومعنى ذلك ان يكون الخلل الواقع بسبب البدعة كلياً في الشريعة ، كبدعة التحسين والتقيح العقليين ، وبدعة انكار الاخبار السنية اقتصاراً على القرآن ، وبدعة الخوارج في قولهم : لا حكم الا الله . وما أشبه ذلك من البدع التي لا تختص فرعاً من فروع الشريعة دون فرع ، بل تجدها تنتظم . الا ينحصر من الفروع الجزئية ، أو يكون الخلل الواقع جزئياً انما يأتي في بعض الفروع دون بعض ، كبدعة الثبوت بالصلاة - الذي قال فيه مالك : الثوب ضلال . - وبدعة الاذان والاقامة في العيدين ، وبدعة الاعتقاد في الصلاة على احدي الرجلين ، وما أشبه ذلك . فهذا القسم لا تتعدى فيه البدعة محابا ، ولا تنتظم تحتها غيرها حتى تكون اصلاً لها .

فانقسم الاول اذا عدت من الكبائر اتضح . فزاه وأمكن ان يكون منعصراً داخل تحت عموم الثنتين والسبعين فرقة ، ويكون الوعيد الآتي في الكتاب والسنة مخصوصاً به لا عاماً فيه وفي غيره ، ويكون ما عدا ذلك من قبيل اللهم المرجو في العفو ، الذي لا ينحصر الى ذلك اعداد ، فلا قطع على أن جميعها من قبيل واحد ، وقد ظهر وجه انقسامها .

(والثالث) ان المعاصي قد ثبت انقسامها الى الصغائر والكبائر، ولا شك ان البدع من جملة المعاصي - على مقتضى الأدلة المتقدمة - ونوع من أنواعها ، فاقضى اطلاق التقسيم أن البدع تنقسم أيضاً ، ولا يخصص وجوها (؟) بتعميم الدخول في الكبائر ، لأن ذلك تخصيص من غير تخصيص ، ولو كان ذلك معتبراً لاستثنى من تقدم من العلماء القائلين بالتقسيم قسم البدع ، فكانوا ينصون على ان المعاصي ما عدا البدع تنقسم الى الصغائر والكبائر ، الا أنهم لم يفتوا الى الاستثناء وأطلقوا القول بالاتقسام ، فظهر أنه شامل لجميع أنواعها .

فان قيل : إن ذلك التفاوت لا دليل فيه على اثبات الصغيرة مطلقاً ، وإنما يدل ذلك على أنها تفاضل ، فمنها ثقيل وأثقل ، ومنها خفيف وأخف ؛ واخفة هل تنتهي الى حد تعد البدعة فيه من قبيل اللهم ؛ هذا فيه نظر ، وقد ظهر معنى الكبيرة والصغيرة في المعاصي غير البدع ؛ وأما في البدع فثبت لها أمران : أحدهما أنها مضادة للشارع ومراغمة له ، حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة ، لانه نصب المكتفي بما جده له .

والثاني أن كل بدعة - وان قلت - تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للأصل الصحيح ؛ وكل ذلك قد يكون على الانفراد ، وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع ، فيكون قادحاً في المشروع . ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر ، إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير قل أو كثر كفر ، فلا فرق بين ما قل منه وما كثر . فمن فعل مثل ذلك بتأويل فاسد أو برأي غلط رآه ، أو ألحقه بالمشروع ، اذا لم نكفره لم يكن في

حكاه فرق بين ما قل منه وما كثر ، لان الجميع جنابة لا تحملها الشريعة بقليل ولا بكثير .

ويعضد هذا النظر عموم الادلة في ذم البدع من غير استثناء ، فالفرق بين بدعة جزئية وبدعة كلية ، وقد حصل الجواب عن السؤال الاول والثاني .

وأما الثالث فلا حجة فيه لان قوله عليه السلام « كل بدعة ضلالة » وما تقدم من كلام السلف يدل على عموم الذم فيها . وظهر أنها مع المعاصي لا تنقسم ذلك الانقسام ، بل إنما ينقسم ما سواها من المعاصي . واعتبر بما تقدم ذكره في الباب الثاني يتبين لك عدم الفرق فيها . وأقرب منها عبارة تناسب هذا التقرير أن يقال : كل بدعة كبيرة عظيمة بالاضافة الى مجاوزة حدود الله بالتشريع ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها فيكون منها صغار وكبار ، أما باعتبار ان بعضها أشد عقابا من بعض ، فالأشد عقابا أكبر مما دونه ، واما باعتبار قوت المطلوب في المفسدة ، فكما انقسمت الطاعة باتباع السنة الى الفاضل والأفضل ، لا تنقسم مصالحها الى الكامل والاكمل ، انقسمت البدع لا تنقسم مفسدها الى الرذل والارذل ، والصغر والكبر ، من باب النسب والاضافات ، فقد يكون الشيء كبيرا في نفسه لكنه صغير بالنسبة الى ما هو أكبر منه .

وهذه المبراة قد سبق اليها امام الحرمين لكن في انقسام المعاصي الى الكبار والصغار فقال : المرضي عندنا أن كل ذنب كبيرة وعظيم بالاضافة الى مخالفة الله ، ولذلك يقال : ممصية الله أكبر من معصية العباد .

قولا مطلقاً ، الا أنها وان عظمت لما ذكرناه ، فاذا نسب بعضها الى بعض تفاوتت رتبها . ثم ذكر معنى ما تقدم ؛ ولم يوافق غيري على ما قال ، وان كان له وجه في النظر وقت الاشارة اليه في كتاب الموافقات . ولكن الظاهر بأبي ذلك - حسبما ذكره غيره من العلماء - . والظواهر في البدع لا تأتي كلام الامام اذا نزل عليها - حسبما تقدم - فصار اعتقاد الصغائر فيها يكاد يكون من التشابهات ، كما صار اعتقاد نفي الكراهية التنزيه عنها من الواضحات .

فليتأمل هذا الموضوع أشد التأمل ويعط من الانصاف حقه ، ولا ينظر الى خفة الأمر في البدعة بالنسبة الى صورتها وان دقت ، بل ينظر الى مصادمتها للشريعة ورميها لها بالنقص والاستدراك ، وأنها لم تكمل بعد حتى يوضع فيها ، بخلاف سائر المعاصي فانها لا تمود على الشريعة بتقيص ولا غرض من جانبها ، بل صاحب المعصية متصل منها مقر لله بمخالفة حكمها .

وحاصل المعصية أنها مخالفة في فعل المكلف لما يعتقد صحته من الشريعة ، والبدعة حاصلها مخالفة في اعتقاد كمال الشريعة ، ولذلك قال مالك بن أنس : من احدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لان الله يقول « اليوم اكملت لكم دينكم » الى آخر الحكاية . وقد تقدمت .

ومثلها جوابه لمن اراد أن يحرم من المدينة وقال : أي فتنة فيها ؟ إنما هي أميال أزيدها . فقال : وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك فعلت فعلاً قصر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى آخر الحكاية ، وقد تقدمت

أيضاً . فاذاً يصح أن يكون في البدع ما هو صغيرة .  
فالجواب أن ذلك يصح بطريقة يظهر ان شاء الله أنها تحقيق في  
تشقيق هذه المسئلة ؛

وذلك أن صاحب البدعة يتصور أن يكون عالماً بكونها بدعة وأن  
يكون غير عالم بذلك . وغير العالم بكونها بدعة على ضربين ، وهما المجتهد  
في استنباطها وتشريعها والمقلد له فيها . وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه  
فيها ولا يفارقه اذا حكمنا له بحكم أهل الاسلام ، لانه مصادم للشارع  
صراخ للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له ؛ فلا بد له من  
تأويل كقوله «هي بدعة ولكنها مستحسنة» أو يقول «إنها بدعة ولكنها  
رأيت فلانا الفاضل يعمل بها » أو يقربها ولكنه يفعلها لحظ عاجل ،  
كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفاً على حظه ، أو فراراً من خوف  
على حظه ، أو فراراً من الاعتراض عليه في اتباع السنة ، كما هو الشأن اليوم  
في كثير ممن يشار اليه ، وما أشبه ذلك .

وأما غير العالم وهو الواضع لها ، فإنه لا يمكن ان يعتقد بها بدعة ،

بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات ، كقول من جعل يوم الاثنين يصام

لأنه يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني عشر من ربيع الاول

ملحقاً بايام الاعياد لانه عليه السلام ولد فيه ، وكن عدت السماع والغناء مما

يتقرب به الى الله بناء على أنه يجب الاحوال السنية ، أو رغب في الدعاء

بهية الاجتماع في ادبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة ،

أو زاد في الشريعة احاديث مكذوبة لينصر في زعمه سنة محمد صلى الله عليه

وسلم . فلما قيل له : إنك تكذب عليه . وقد قال « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال : لم أ كذب عليه وإنما كذبت له . أو نقص منها تأويلاً عليها لقوله تعالى في ذم الكفار (إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ؛ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَفْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً) فاسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالأحاديث لذلك ولما أشبهه ، لأن خبر الواحد ظني ؛ فهذا كله من قبيل التأويل . وأما المقلد فكذلك أيضاً لأنه يقول : فلان المقتدى به يعمل بهذا

العمل ويتني (؟) كاتخاذ الفناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ، ومنهم من مات بسببه ، وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه لأنهم قد فعلوه ، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتهين إلى التصوف ،

وربما احتجوا على بدعهم بالجنيـد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم أو لم يصح ، ويتركون أن يحتجوا بسنة الله ورسوله وهي التي لا شائبة فيها إذا نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها . ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحتاً ، بل يدخلون تحت أذيال التأويل ، إذ لا يرضي منتم إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلاً . وإذا كان كذلك فقول مالك : من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم خان الرسالة . وقوله لمن أراد أن يحرم من المدينة : أي فتنة أعظم من أن تظن أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلى آخر الحكاية . إنها الزام للخصم على عادة أهل النظر ، كأنه يقول : يلزمك في هذا القول كذا .



لأنه يقول قصدت اليه قصدا ، لأنه لا يقصد الى ذلك مسلم ، ولازم المذهب : هل هو مذهب أم لا ؛ هي مسألة مختلف فيها بين أهل الأصول ، والذي كان يقول به شيوخنا البجائيون والمغربيون ويرون أنه رأي المحققين أيضاً : ان لازم المذهب ليس بمذهب ، فلذلك اذا قرر على الخصم أنكره غاية الانكار<sup>(١)</sup> فاذا اعتبار ذلك المعنى على التحقيق لا ينهض ، وعند ذلك تستوي البدعة مع المعصية صفائر وكبائر ، فكذلك البدع . ثم أن البدع على ضربين : كلية وجزئية ، فأما الكلية فهي السارية فيما لا ينحصر من فروع الشريعة ، ومثالها بدع الفرق الثلاث والسبعين فانها مختصة بالكليات منها دون الجزئيات ، حسبما يتبين<sup>(٢)</sup> بعد ان شاء الله .

وأما الجزئية فهي الواقعة في الفروع الجزئية ؛ ولا يتحقق دخول هذا الضرب من البدع تحت الوعيد بالنار ، وإن دخلت تحت الوصف بالضلال ، كما لا يحدث ذلك في سرقة لقمة أو التطفيف بحجة ، وان كان داخل تحت وصف السرقة ، بل المتحقق دخول عظامها وكلياتها كالنصاب في السرقة ؛ فلا تكون تلك الأدلة واضحة الشمول لها ، ألا ترى أن خواص البدع غير ظاهرة في أهل البدع الجزئية غالباً ؛ كالفرة والخروج عن الجماعة ، وإنما تقع الجزئيات في الغالب كالزلة والفتنة ، ولذلك لا يكون اتباع الهوى فيها مع حصول التأويل في فرد من افراد الفروع ، ولا المفسدة الحاصلة بالجزئية كالمفسدة الحاصلة بالكلية ؛ فعلى هذا اذا اجتمع في البدعة

(١) ما كل لازم للمذهب ينكره صاحبه لو عرض عليه ولذلك جعل بعضهم الانكار شرطاً لكون لازم المذهب ليس بمذهب وهذا التفصيل هو التحقيق

(٢) لعله يتبين

وصفان - كونها جزئية وكونها بالتأويل - صح أن تكون صغيرة، والله أعلم.  
ومثاله مسألة من نذر أن يصوم قائماً لا يجلس، وضاحياً لا يستظل،  
ومن حرم على نفسه شيئاً مما أحل الله من النوم أو لذيذ الطعام، أو النساء  
أو الأكل بالنهار، وما أشبه ذلك مما تقدم ذكره أو يأتي؛ غير أن  
الكلية والجزئية قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية، كما أن التأويل قد  
يقرب مأخذه وقديمه؛ فيقع الأشكال في كثير من أمثلة هذا الفصل،  
فيعد كبيرة ما هو من الصغائر وبالعكس، فيوكل النظر فيه إلى الاجتهاد اه

## فصل

وإذا قلنا: إن من البدع ما يكون صغيرة. فذلك بشروط (أحدها)  
أن لا يداوم عليها؛ فإن الصغيرة من المعاصي لمن داوم عليها تكبر بالنسبة  
إليه، لأن ذلك ناشئ عن الاصرار عليها، والاصرار على الصغيرة يصيرها  
كبيرة، ولذلك قالوا: لا صغيرة مع اصرار، ولا كبيرة مع استغفار.  
فكذلك البدعة من غير فرق؛ إلا أن المعاصي من شأنها في الواقع أنها  
تدوم عليها، وقد لا يصر عليها، وعلى ذلك ينبغي طرح الشهادة وسخطة  
الشاهد بها أو عدمه، بخلاف البدعة فإن شأنها في الواقع المداومة والحرص  
على أن لا تزال من موضعها، وأن تقوم على تاركها القيامة، وتنطلق  
عليه السنة الملامة، ويرمى بالتسفيه والتجهيل، وينبذ بالتبديع والتضليل،  
ضد ما كان عليه سلف هذه الأمة، والمقتدى بهم من الأئمة؛ والدليل  
على ذلك الاعتبار والنقل، فإن أهل البدع كان من شأنهم القيام بالنكير  
على أهل السنة إن كان لهم عصبه، أو لصقوا بسلطان تجري أحكامه في

الناس وتنفذ أوامره في الاقطار . ومن طالع سير المتقدمين وجد من ذلك ما لا يخفى .

وأما النقل فما ذكره السلف من أن البدعة اذا أحدثت لا تزيد الا مضيا ، وليست كذلك المعاصي ، فقد يتوب صاحبها وينيب الى الله ؛ بل قد جاء ما يشد ذلك في حديث الفرق ، حيث جاء في بعض الروايات « تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه » ومن هنا جزم السلف بان المبتدع لا توبة له منها — حسبما تقدم — .

(والشرط الثاني) أن لا يدعو اليها ، فان البدعة قد تكون صغيرة بالاضافة ، ثم يدعو مبتدعها الى القول بها والعمل على مقتضاها فيكون إثم ذلك كله عليه ، فانه الذي أثارها ، وسبب كثرة وقوعها والعمل بها ، فان الحديث الصحيح قد أثبت ان كل من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا ، والصغيرة مع الكبيرة انما تفاوتها بحسب كثرة الاثم وقاتمه ، فربما تساوي الصغيرة من هذا الوجه الكبيرة أو تربى عليها ؛

فمن حق المبتدع اذا ابتلي بالبدعة ان يقتصر على نفسه ، ولا يحمل مع وزره وزر غيره ، وفي هذا الوجه قد يتعذر الخروج ، فان المعصية فيما بين العبد وربيه يرجو فيها من التوبة والغفران ما يتعذر عليه مع الدعاء اليها ، وقد مر في باب ذم البدع . وباقي الكلام في المسئلة سيأتي ان شاء الله .

(والشرط الثالث) ان لا تفعل في المواضع التي هي مجتمعات الناس ، أو المواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها اعلام الشريعة . فاما اظهارها في

المجتمعات ممن يقتدى به أو ممن به <sup>(١)</sup> الظن فذلك من أضر الأشياء على سنة الاسلام ، فانها لا تعدو أمرين : اما ان يقتدى بصاحبها فيها ، فان العوام اتباع كل ناعق ، لاسيما البدع التي وكل الشيطان بتحسينها للناس ، والتي للنفوس في تحسينها هوى ، واذا اقتدى بصاحب البدعة الصغيرة كبرت بالنسبة اليه ، لان كل من دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، فعلى حسب كثرة الأتباع يعظم عليه الوزر ؛

وهذا بعينه موجود في صفائر المعاصي ، فان العالم مثلا اذا أظهر المعصية - وان صغرت - سهل على الناس ارتكابها ، فان الجاهل يقول : لو كان هذا الفعل كما قال من أنه ذنب لم يرتكبه ، وانما ارتكبه لأمر عمله دوننا . فكذلك البدعة اذا أظهرها العالم المقتدى فيها لاحالة ، فانها في مظنة التقرب في ظن الجاهل ، لان العالم يفعلها على ذلك الوجه ، بل البدعة أشد في هذا المعنى ، اذ الذنب قد لا يتبع عليه ، بخلاف البدعة فلا يتعاشى أحد عن أتباعه الا من كان عالما بانها بدعة مذمومة ، فحينئذ يصير في درجة الذنب ، فاذا كانت كذلك صارت كبيرة بلا شك ، فان كان داعيا اليها فهو أشد ، وان كان الاظهار باعثا على اتباع ، فبالدعاء يصير ادعى اليه . وقد روي عن الحسن أن رجلا من بني اسرائيل ابتدع بدعة فدعا الناس اليها فاتبع ، وأنه لما عرف ذنبه عمد الى ترقوته فثقها فادخل فيها حلقة ثم جعل فيها سلسلة ثم أوثقها في شجرة فجعل يبكي ويعج الى ربه ، فأوحى الله الى نبي تلك الامة ان لا توبة له قد غفر له الذي أصاب . فكيف بمن ضل فصار من أهل النار ؟ .

(١) لعل الاصل « بمن يحسن به الظن »

وأما اتخاذها في المواضع التي تقام فيها السنن فهو كالدعاء اليها بالتصريح، لأن عمل اظهار الشرائع الإسلامية<sup>(١)</sup> توهم ان كل ما أظهر فيها فهو من الشعائر، فكان المظهر لها يقول: هذه سنة فأتبعوها.

قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الإمام رمقه الناس بإبصارهم ورمقوا مالكا — وكان قد صلى خلف الإمام — فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؟ فجاءه نفسان. فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه. فحس، فقيل له: انه ابن مهدي، فوجه اليه وقال له: ما خفت الله واتقيته ان وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر اليه، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نرفه؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ان لا يفعل ذلك ابدا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في غيره. وفي رواية عن ابن مهدي قال: فقلت للحرسين: تذهبان بي الى أبي عبد الله؟ قالا ان شئت، فذهبا اليه. فقال: يا عبد الرحمن! تصلي مستلبا؟ فقلت يا أبا عبد الله إنه كان يوما حارا — كما رأيت — فقتل ردائي علي. فقال: الله ما أردت بذلك الطعن علي من مضي والخلاف عليه، قلت: الله<sup>(٢)</sup>. قال خليه.

وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك، فارسل اليه مالك فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟ فقال: أردت أن

(١) هذا قسم حذف أداته. لعنه القسم فخاف علي ما لعنه فكانه قال له: قل والله ما أردت بهذا الطعن الخ فقال: والله. أي ما أردت ذلك (٢) كذا ولعل فيها تحريفا وسقطا والمراد ظاهر من القرينة

يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا ، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه ؛ فكف المؤذن عن ذلك واقام زمانا ، ثم انه تنحج في المنارة عند طلوع الفجر ، فارسل اليه مالك فقال له : ما الذي تفعل ؛ قال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له : ألم اتك ان لا تحدث عندنا ما لم يكن ؛ فقال : انما نهيتني عن الثوب . فقال له لا تفعل . فكف زمانا . ثم جعل يضرب الابواب ، فارسل اليه مالك فقال : ما هذا الذي تفعل ؛ فقال : أردت ان يعرف الناس طلوع الفجر . فقال له مالك : لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه .

قال ابن وضاح : وكان مالك يكره الثوب - قال - وإنما احدث هذا بالعراق . قيل لابن وضاح : فهل كان يعمل به بمكة أو المدينة أو مصر أو غيرها من الامصار ؛ فقال : ما سمعت الا عند بعض الكوفيين والاباضيين .

فتأمل كيف منع مالك من احدث أصريخف شأنه عند الناظر فيه ببادي الرأي وجعله أصرا محدثا ، وقد قال في الثوب : إنه ضلال . وهو بين ، لأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ولم يسمع للمؤذن في التنحج ولا في ضرب الابواب ، لأن ذلك جدير بان يتخذ سنة ، كما منع من وضع رداء عبد الرحمن ابن مهدي خوف أن يكون حدثا احده .

وقد أحدث بالمغرب المتسمى بالمهدي ثوبا عند طلوع الفجر وهو قولهم « أصبح والله الحمد » اشعارا بان الفجر قد طلع ، لإلزام الطاعة ،

ولحضور الجماعة ، وللقعدو لكل ما يؤصرون به . فيخصه هؤلاء المتأخرون  
تثويبا بالصلاة كالأذان . ونقل أيضا الى أهل المغرب الحزب المحدث  
بالاسكندرية ، وهو المعتاد في جوامع الاندلس وغيرها ، فصار ذلك  
كله سنة في المساجد الى الآن ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وقد فسّر الثوب الذي اشار اليه مالك بان المؤذن كان اذا اذن  
فابطأ الناس قال بين الأذان والاقامة : قد قامت الصلاة ، حي على  
الصلاة ، حي على الفلاح . وهذا نظير قولهم عندنا : الصلاة - رحمكم الله .  
وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل مسجدا اراد ان يصلي  
فيه ، فتوب المؤذن ، فخرج عبد الله بن عمر من المسجد ، وقال : اخرج بنا <sup>(١)</sup>  
من عند هذا المبتدع . ولم يصل فيه . قال ابن رشد : وهذا نحو مما كان يفعل  
عندنا بجامع قرطبة من ان يفرّد المؤذن بعد اذانه قبل الفجر النداء عند  
الفجر بقوله : حي على الصلاة . ثم ترك - قال - وقيل : انما عنى بذلك  
قول المؤذن في اذانه : حي على خير العمل . لانها كلمة زادها في الاذان  
من خالف السنة من الشيعة . ووقع في المجموعة ان من سمع الثوب وهو  
في المسجد خرج عنه كفعل ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي المسئلة كلام المقصود منه الثوب المكروه الذي قال فيه مالك  
انه ضلال . والكلام يدل على التشديد في الامور المحدثه ان تكون في  
مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن ، والمحافظة على المشروعات  
أشد المحافظة ، لانها اذا اقيمت هنالك اخذها الناس وعملوا بها ، فكان

(١) يظهر انه كان معه صاحب قال له ذلك . وهل كان في كلام المصنف  
تصریح بذلك سقط من النسخين أم لا ؟ الله اعلم

وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً ، فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته .  
(والشرط الرابع) ان لا يستصغرها ولا يستحقرها - وان فرضناها صغيرة - فان ذلك استهانة بها ، والاستهانة بالذنب أعظم من الذنب ؛ فكان ذلك سبباً لعظم ما هو صغير . وذلك ان الذنب له نظران : -  
(نظر ) من جهة رتبته في الشرط ، ونظر من جهة مخالفة الرب العظيم به ؛ فاما النظر الاول فمن ذلك الوجه يعد صغيراً اذا فهمنا من الشرع انه صغير ، لاننا نضعه حيث وضعه الشرع ؛ وأما الاخر فهو راجع الى اعتقادنا في العمل به حيث نستحرم جهة الرب سبحانه بالمخالفة ، والذي كان يجب في حقنا ان نستعظم ذلك جداً ، اذ لا فرق في التحقيق بين المواجهتين -  
المواجهة بالكبيرة والمواجهة بالصغيرة .

والمعصية من حيث هي معصية لا يفارقها النظران في الواقع أصلاً ، لأن تصورهما موقوف عليهما ، فالاستعظام لوقوعها مع كونها يعتقد فيها انها صغيرة لا يتنافيان ، لانها اعتباران من جهتين : فالعاصي وان تعد المعصية لم يقصد بتعمده الاستهانة بالجانب العليّ الرباني ، وانما قصد اتباع شهوته مثلاً فيما جعله الشارع صغيراً أو كبيراً ، فيقع الاثم على حسبه ، كما ان البدعة لم يقصد بها صاحبها منازعة الشارع ولا التهاون بالشرع ، وانما قصد الجري على مقتضاه ، لكن بتأويل زاده ورجحه على غيره ، بخلاف ما اذا تهاون بصغرها في الشرع ، فانه انما تهاون بمخالفة الملك الحق ، لان النهي حاصل ومخالفته حاصلة ، والتهاون بها عظيم ؛ ولذلك يقال : لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى عظمة من واجهته بها .



وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع «أي يوم هذا؟» - قالوا: يوم الحج الاكبر. قال - فان دماءكم واموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، لا يجني جان الا على نفسه، الا لا يجني جان على ولده ولا مولود على والده، الا وان الشيطان قد يئس الا يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولا تكون له طاعة فيما يحتقرون من أعمالكم فسيرضى به»<sup>(١)</sup> فقوله عليه السلام «فيرضى به» دليل على عظم الخطب فيما يستحقر.

وهذا الشرط مما اعتبره الفزالي في هذا المقام، فانه ذكر في الاحياء ان مما تعظم به الصغيرة ان يستصغرها - قال - فان الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره كبر عند الله. ثم بين ذلك وبسطه.

فاذا تحصلت هذه الشروط، فاذا ذاك يرجى ان تكون صغيرتها صغيرة، فان تخلف بشرط منها أو أكثر صارت كبيرة، أو خيف ان تصير كبيرة، كما ان المعاصي كذلك، والله أعلم.

\*

(١) كذا في نسخة الكتاب. ولا أذكر لاحد روايته بهذا اللفظ. وفي حديث عمرو بن الاحوص عند أصحاب السنن ما عدا ابا داود «ألا ان الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها»

## ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج<sup>(١)</sup>

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي، الامام العلامة، المحقق القدوة، الحافظ الجليل المجتهد، كان أصولياً مفسراً، فقيها محدثاً، لغوياً بيانياً، نظاراً ثبتاً، ورعاً صالحاً، زاهداً سنياً، اماماً مطلقاً، بجاناً مدققاً، جدلياً بارعاً في العلوم، من افراد العلماء المحققين الاثبات، واكابر الأئمة المتفنين الثقات، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولاً، وتفسيراً وحديثاً، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق، له استنباطات جليلة، ودقائق منيفة، وفوائد لطيفة، وابحاث شريفة، وقواعد محررة محققة، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع، حريصاً على اتباع السنة، بجانب البدع والشبهة، ساعياً في ذلك مع تثبت تام، منحرفاً عن كل ما ينحو للبدع واهلها، وقع له في ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل.

وله تأليف جليلة، مشتملة على ابحاث نفيسة، وانتقادات وتحقيقات شريفة. قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه: انه الشيخ الاستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح، ابو اسحاق. انتهى، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام، وانما يعرف الفضل لأهله اهله.

اخذ العربية وغيرها عن أئمة، منهم الامام المفتوح عليه في فنها ما لا يطعم فيه لسواه، بمحذاً، وحفظاً، وتوجيهاً، ابن الفخار الألبيري. لازمه الى ان مات، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية، ابو القاسم السبتي، شارح مقصورة حازم، والامام المحقق اعلم اهل وقته، الشريف ابو عبد الله التلمساني، والامام علامة وقته باجماع، ابو عبد الله المقرئ، وقطب الدائرة، شيخ الجللة، الامير الشهير، ابو سعيد ابن لب، والامام الجليل، الرحلة الخطيب، ابن مرزوق الجد، والعلامة المحقق

(١) تأليف أحمد بن أحمد بن عمر اقيت المعروف بابا التكروري ثم التنبكي

المولود سنة ٩٦٣ والتوفي سنة ١٠٣٢

المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البلسني ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو العباس القَبَّاب ، والمقتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كقَبَّاب ، وقاضي الجماعة الفِشْتَالِي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير ابي عبد الله بن عباد . وجرى له معهم اجاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب <sup>(١)</sup> فيها له بحث عظيم ، مع الامامين القباب وابن عرفة . وله اجاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقد دره في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليلته في التحقيق فوق ما يشهر .

الف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو ، في اسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما اعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه « عنوان التعريف باصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب المواقفات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه ( الاعتصام ) وكتاب ( المجالس ) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، ما لا يعلمه الا الله . وكتاب ( الافادات والانشادات ) في ( كراسين فيه طرف وتحف ، وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب ( عنوان الاتفاق ، في علم الاشتقاق ) وكتاب ( اصول النحو ) ، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها ، وفتاوي كثيرة ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

(١) اشار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب المواقفات

بليت يا قوم والبلوى منوعة      بمن اداريه حتى كاد يردني  
دفع المصرة لا جلبا لمصلحة      فحسبي الله في عقلي وفي ديني

انشدها تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ، ابي يحيى بن عاصم الشير ،  
واخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم ، والشيخ ابي عبد الله البياني ، وغيرهم .  
وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعائة ولم اقف على مولده رحمه الله .  
( فائدة ) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ،  
عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع  
للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسله ،  
ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا الآن .  
لكثرة الحاجة لما يأخذه العدو من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف  
بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وانما النظر في القدر  
الاحتاج اليه من ذلك ، وذلك موكل الى الامام ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول  
كما قال القائل لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبخه وصار رُبًّا : احللتها  
والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستجرار الى نقص الطبخ ، حتى تحل  
الخمر بمقالك ، فاني اقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا احل شيئا حرمه الله ،  
ولا احرم شيئا احله ، وان الحق احق ان يتبع ، (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)  
وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفا على  
اهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد  
ابن لب ، فأقضى انه لا يجوز ولا ينسوخ ، واقضى صاحب الترجمة بسوغه ،  
مستندا فيه الى المصلحة المرسله ، معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم  
يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الفزالي  
في كتابه ، فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفتحائه كلام  
مشهور ، لا نطيل به .

وكتب جوابا لبعض اصحابه في دفع الوسواس العارض في الطهارة وغيرها

« وصلني جوابكم فيما تدفعون به الوسواس » فهذا امر عظيم في نفسه ، وانفع شيء فيه المشافهة ، واقرب ما اجد الآن ، ان تنظروا من اخوانكم من تدلون عليه وترضون دينه ، ويعمل بصلب الفتنه ، ولا يكون فيه وسوسة ، فتجاولونه امامكم على شرط أن لا تخالفوه ، وان اعتقدتم ان الفقه عندهم بخلافه ، فاذا فعلتموه رجوت لكم النفع ، وان تواظبوا على قول « اللهم اجعل لي نفسا مطمئنة توقن ببقائك ، وتقتنع بعبائتك ، وترضى بقضائك ، وتخشاك حق خشيتك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فانه نافع للوسواس ، كما رأيت في بعض المنقولات .

وكان يقول : لا يحصل الوثوق والتحقيق بشأن الرواية في الأكيال المنقولة بالأسانيد ، واختبرت ذلك فوجدت الأكيال مختلفة ، متباينة الاختلاف ، وهي ذوات روايات ، فالكيل الشرعي تقريبا منقول عن شيوخ المذهب ، يدركه كل احد ، حفنة من البهر أو غيره بكلتا اليدين مجتمعين ، من ذوي يدين متوسطتين ، بين الصفري والكبرى ، فالصاع منها اربع حفنات ، جربته فوجدته صحيحا . فهذا الذي ينبغي ان يعول عليه ، لانه مبني على اصل التقريب الشرعي ، والتدقيقات في الامور غير مطلوبة شرعا ، لانها تنطع وتكلف ، فهذا ما عندي .

ومن كلامه : اما من تعسف وطلب المحتملات ، والغلبة بالمشكلات ، واعرض عن الواضحات ، فيخاف عليه التشبه بمن ذمه الله في قوله ( فاما الذين في قلوبهم زيغ ) الآية .

وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين ، ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك ، من بعض اصحابه ، فيوقع له : واما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة ، فليس ذلك مني محض رأي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه ، اوصاني بالتعالي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة ، والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله . ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف ، ونقل عن بعض

الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما اعلم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القباب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقايد المتأخرة . اما للجهل بموثفها او لتأخر ازمتهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيته ، وعمدي كتب الأقدمين المشاهير . ولتقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

## الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بيننا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم ، وان العرب لم يفعلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والفعل ، وهجر اسم «العثمانية» ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلامية والعثمانية على التركية الالهي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بمصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقچورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم وكان مما كتبه (اقچورا) في (تورك بوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته باختصار والاجمال :

«يجب ان نعود الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ ولماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن الحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبلا بعضها ببعض وراء ستار وهمي ، وتحت اسم خلق بال !

« يجب علينا مادام في استطاعتنا الحياة ان نعلم الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرايح والقوانين وكل شيء فنصبغه بالصبغة التركية المحضة ( ليت شعري هل تدخل الشريعة الاسلامية في هذه الشرايح التي عناها ام هم في غنى عنها لان الله تعالى يقول « إنا انزلناه حكما عربيا » ؟ )

« يجب ان نعلم اننا من أمة ظهر فيها قواد اعظم من نابليون . وعظماء اشهر من يوليوس قيصر ، وشعراء اكبر من هينو . وان في استطاعتنا ان نفعل ما يفعله الجرمان والسكسونيون لحياة قومهم ، فلا ينبغي ان نظل مقيدين بالارواح والحرافات الماضية »

وقد انهزم علي كمال بك امام حملات الغلاة واضطر الى مجاراتهم . واننا نرى اشد كتاب العرب هجاء بالعربية لا يعدون غلاة بالنسبة الى الكتاب المعتدلين من الترك بل يعدون مقصرين ، وان جماعة حزب اللامركزية لم يجعلوا مسألة الجنسية العربية من موضوع حزبهم ، الا اذا كانت المحافظة على اللغة العربية بين اهلبا بعد دعوة الى الجنسية العربية . ولهذا انكرنا على ذلك الكاتب العربي رميهم بالعصبية الجنسية التي ذمها ذما إسلاميا ، وجعلها هادمة للإسلام كأن الإسلام الذي دخل فيه يموت بحياة لغته العربية ، ويجيا باللغة التركية !

استدلنا بتخصيص الحزب بهذا الذم و بسكوته عن غلاة العصبية التركية ، على انه لم يكتب ما كتب الا تزلها وتثاقفا ، وجعل اسم الدين الاسلامي شبكة لصيد المال والجاه . ولو أنكر على أولئك الغلاة والمعتدلين في العصبية الجنسية ، واتبع هواه باضافة اللامركزيين اليهم ، واشرا كه معهم ، لما اعتقدنا فيه كل هذا الاعتقاد سلكت الجماعات العربية كلها مسلك الاعتدال فيما تطلبه لامتها من الدولة وفيما تنصح به للامة ، الا ما عرض لجماعة البصرة ، فقد كان في بعض كلامها شيء من الشدة ، ثم كان زعيمها السيد طالب بك النقيب ساعد الحكومة وعضدها في عقد الوفاق بينها وبين الامير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، وفي غير ذلك مما عهدته اليه من خدمتها في تلك البلاد ، وقد تبرع هو ووجهاء البصرة للاسطول وغير الاسطول بما بلغ قلما رأت مثلها الدولة من بلد آخر . على انها لم تجيبهم الى شيء مما طلبوه من الاصلاح . فكان ذلك دليلا على ان أشد العرب في ولايات الدولة شكيمة ، وأقوام عصبية ، لا يني ولا يقصر في خدمتها ، اذا هي أظهرت الثقة به ، وعهدت اليه بعمل يفعله .

## الجنسية اللبنانية

نعم ان بعض الجرائد والجمعيات اللبنانية ، قد غلت في الدعوة الى الانسلاخ من كل صفة عثمانية ، والاستقلال بجنسية لبنانية لاعربية . فلبنان يتمتع باستقلال داخلي لا يشاركه في مثله جبل من الجبال ، ولا سهل من السهول ، ولا ولاية ولا مملكة في الارض ، حتى قال الدكتور يعقوب صروف - وهو من يفتخر لبنان بمكانه من العلم والفلسفة ومعرفة شؤون العالم - : ان كل تعبير يطرأ على نظام لبنان يكون شراً ، اذ لاخير مما هو عليه . ولكن كثيراً من اللبنانيين لا ينظرون الى هذه النعمة بالعين التي ينظر بها هذا العالم الخبير ، فترى صراخ شكواهم قد ملا فضاء امريكا الشمالية والجنوبية ومصر ، وقلت الجرائد صدها الى كل قطر يوجد فيه لبنانيون أو سوريون . فمنهم من يدعو الى الاستقلال التام ، ومنهم من يدعو الى احتلال فرنسا للبلاد . ولهم عدة جمعيات سياسية يشترك فيها ألوف منهم في الوطن وفي ديار الهجرة من مصر الى أوروبا وامريكا وغيرها من الممالك .

وقد قرأنا كثيراً من مقالاتهم وقصائدهم وانشيدهم الاستقلالية فرأيناهم يفخرون فيها بمراقبة هذا الجبل في الاستقلال ، وامتناعه على الفاتحين من جميع الامم والاجيال ، أي فهم لا يطلبون الآن ، الا الاستقلال الذي كانوا متمتعين به في كل زمان . وقد جددوا لانفسهم علماً وطوابع بريد ، ومنهم من يختار الاستقلال تحت حماية فرنسا والاستقلال بعلمها . وقد عرف أهل الخاقين ما كان من مبالغة أهل الجبل في الحفاوة بضباط الاسطول الفرنسي والمظاهرات الولائية لهم عند ما زاروا بطرك الموارنة وبعض البلاد منذ اشهر ، اذ كان الاسطول في مياه بيروت . وبلي ذلك ما كانت لسيو جورج يكو قنصل فرنسا عند ما زار لبنان مصاحباً لسيومورسي بارس احداً أعضاء مجلس النواب الفرنسي . وهذا النوع من الاحتفالات والمظاهرات قد تكرر ، وتكررت الوعود من فرنسا بانهالة الجبل ما يريد .

لسنا نريد الاستقصاء التاريخي في هذه المسائل فنفضل القول فيه ، ولا الانتقاد على الغلو والشذوذ الذي كان يخلل ذلك مما لا يعهد له نظير للاجانب في مملكة من الممالك ، فنتبع من ذلك ما قيل وما كتب ، وما انتقده بعض المسلمين في جرائد بيروت على ذلك وما رد به اللبنانيون على هؤلاء . وانما نريد أن نبين بالاجمال ان اللبنانيين منهم المعتدلون فيما ينتمون من الدولة وما يطلبون لبلادهم ، ومنهم الغلاة . وأن ذلك الكاتب العربي المدافع عن الجامعة العثمانية أو الجامعة الاسلامية ، المتادي للجنسية العربية والموضعية ( كالبنيانية ) لم يكتب كلمة في انتقاد هؤلاء الغلاة من



أبناء وطنه ، وأن منهم مؤسسو حزب اللامركزية ، الذين لم يدخلوا حزبهم في باب مباحث المسألة الجنسية .

وأما ثبت ما قلناه عن اللبنانيين أولاً بنشر ماجاء في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك من مطالب جمعية النهضة اللبنانية التي برأسها مدير تلك الجريدة وهذا نصه :

### من مبادئ النهضة اللبنانية ومنازعتها

« لسلك امرئ من دهره ما تعودا ، وما تعودناه ان نصون الوعد فلا نخلفه ، والعهد فلا نخفره ، وان نكث الناكثون ، وعيث العابثون ، مستأثرين بايام ، نرجو ان تنقضي على سلام ، فلا يلوم فيها احد ، بما يجيئه من الفيش والفتد .

أرسلنا في « الاغراض من سياحتنا » كلمة ، وترحل الآن في بعض مبادئ النهضة اللبنانية أخرى نحن دون احد من الناس المسئولون عنها .

كنا في رحلتنا بنشر بهذه المبادئ بلساننا ، ونحن الآن نبشر بها بقلمنا ، الى ان تعود الخطابة ، فتنب عن الكتابة .

اللبنانيون مظلومون وظالمون - مظلومون لان السلطة ضعيفة ضاعطة وجائرة ، وظالمون لانهم وهم تحت الضغط والجور يتناذرون ويتطاحنون مؤثرين الخصوصيات على العموميات . فيجب على خدمتهم - ونحن منهم - التجرد في التصح لهم ، والدعوة الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، ووضع مبادئ يقوم عليها حزبهم السياسي الاكبر المدهو « النهضة اللبنانية » .

قد يقوم من اللبنانيين انفسهم من يناكرو ويصادر ، ويشاكس ويعاكس ، ولكن لبنانية المناوئين هؤلاء غير صحيحة ، لقيامها على التعصب والحزب والكتابة والغواية . والحقى ظافر ، والاخلاص ظاهر .

### فن مبادئ النهضة اللبنانية

١ جمع اللبنانيين بدين الوطنية الشامل الكامل الفاضل « وتزريق الانجيل الطائفة بسلم انجيل المسيح » وما يقال عن الانجيل يقال عن القرآن والتلمود وكل كتاب مقدس عند اهل . إلا ان ذلك لا يعني الكفر ولا التعطيل ، فليعبد الناس إلههم في كنيستهم وكنيسهم وجامعهم وخلوتهم وتحت افياء الشجر وظلال الصبخور اذا شاؤوا وانما فليجتمعوا (?) بدين الوطنية الواحد وهم الفلحون .

٢ استقلال المهاجرين « بنهضتهم اللبنانية » ما زال الاصلاح لا يتم الا عن طريق المهاجرة وعلى هم المهاجرين . الا ان هذا الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل

توحيد قوة المهاجرين ما بين القطبين وجعلهم قوة واحدة تسمى للإصلاح سعيًا مجردًا صادقًا، إلى أن ينفلت المتخلفون من قيود الوظائف، ويكشفوا عنهم غيوم السفاسف، التي لا يزال حتى في المهجر أثر مجلوب (?)

٣ - طلب أمير اجنبي من دول أوروبا الست الضامنة استقلال لبنان تكون غايته غايتنا ومصالحته ومصالحتنا، ولتتنا لفته ولغة اولاده، فلا يكون دخيلا لا يشعر بشعورنا، ولا يهيمه وهو المرجع الاكبر في الجبل ان يتعلم لغة الناس فيه ليكون حكمه مقبولا وقضاؤه مقبولا - أمير اجنبي يكون لنا ما كان مثله لرومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا ولا تعود تهمة « المدة » تقضي، وينتضي الاهتمام بمد الابتداء بها أيام - الشعب الخامل العاقل يرضى بحاكمه وقاضيه دخيلا اعجميا لا يشعر معه ولا يفهم لغته ليقضي بالعدل، ولا يهيمه الا تناول المرتب وربما الرشوة (?) مباشرة وبواسطة، وتفريق الناس لاتخاذ الاحزاب منهم. وقد يكون وضيعا قبل ان يصير حاكما بلقب كبير ومرتب كبير ونفطرس كبير وعمل صغير.

٤ ارجاع لواء لبنان اليه فان لكل شعب على شيء من الاستقلال راية او علما او لواء الا لبنان الذي كان منذ بدء التاريخ على كثير من الاستقلال حتى وقوع حوادثه الاخيرة التي زعم انه نال بعدها حكما ذاتيا لا يرى له اثرا

٥ « تعديد لبنان بعد تخلصه » اي اعادة حدوده الاولى والطبيعية اليه ما بين نهري القاسمية والعاصي. ومعنى ذلك ان تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية الى جبل الشيخ الى لبنان الشرقي الى حصن فالنهر الكبير وهي حدود تناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة به - اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل اعادة الحدود التي انتزعها المتزعمون اليهم

٦ اعادة الجمارك والبريد والبرق الى لبنان لان الدولة « ضمتها من لبنان ضمانا » ولكنها لم تتقيد بشروط الضمان ولم تدفع الى لبنان ما هو من حقوقه ولكل صاحب ملك حق باستعادة ملكه الذي لا يدفع الضامن ضمانه او المستأجر اجرتة، فضلا عن ان اللبنانيين لم يطلبوا المرافىء لتكون بغير جمارك، ولا البريد ليظل عمال الاتراك عابثين ومتلاعبين به و باقدس اسراره وغير حافلين بغير سرقة الحوالات المالية حتى من الكتب المضمونة وبمصادرة الصحافة الحرة لئلا يستفيق الشعب من غفلته

٧ جعل كل قدم تكسر عليها امواج البحر المتوسط من شواطئ لبنان مرفأ له اذا شاء اللبنانيون عدم الاكتفاء بجونة والنبي يونس .

٨ اطلاق حرية الفكر والخطابة والكتابة وانشاء الجمعيات اذ لا يوجد في نظام لبنان ما يحول دون ذلك « لولا انتصاب التماثيل الشمعية المحركة بزنا برك (?) الما رب

والمفاسد في مجلس ادارة لبنان » - ان مجلس ادارة لبنان هو المجلس المشترع في الاصل ويجب ان يكون الاكفاء دون سواهم فيه لا ان يجاز القمار، الذي هو على كل شعب متمدن عار، لمجرد ان اعضاء مجلس الادارة مقصرون ... - ان حرية الصحافة ضرورية للبنان الا اذا رضي مجلس الادارة بان يكون خائنا متلاعبا خوفا من الانتقاد وعملا بالاستبداد ولكن كم يطول هذا الوقت ... - يجب ان يكون لبنان في الشرق مثل سويسرا في أوروبا فهل تحرك « التماثيل » لاقاء آثار وطنية لا آثار عار واقدار !!!

٩ اقامة مندوب في أوروبا يمثل اللبنانيين ويطلب بحقوقهم ولا يكون له اهتمام بغير مفاوضة الدول الضامنة استقلال لبنان ومفاوضة وزاراتها الخارجية بكل ما يحتاج اليه الجبل

١٠ اقامة « رقيب » على الحكومة اللبنانية في نفس لبنان يناصر الاكفاء المخلصين للوطن ويصادر الادبيات الخونة فيه وينشئ الفروع للنهضة في كل قضاء ومديرية وبلدة ويكون الحزب من ورائه يشد أزره وأزر كل مندوب أمين .

١١ ما زالت اكثرية المهاجرين من اللبنانيين فيجب (?) ان يكون القناصل في كل مهجر من المهاجرين اللبنانيين او يستغنى عنهم وتفاوض قناصل الدول الضامنة في امر حماية اللبنانيين ومصالحهم .

١٢ انشاء مدارس عمومية في لبنان تعلم فيها لغة البلاد قبل سائر اللغات وتنصرف فيها الهمم الى تعليم الصناعة والتجارة والزراعة والتعدين وغير ذلك مما يحتاج اليه اللبنانيون ويجب ان يوضع للبنان تاريخ صادق وخريطة صحيحة لمدارسه العمومية. والهدى الذي يقترح هذا الاقتراح يقوم بنفقات الطبع فلا نطل نتعلم تواريخ الامم الغربية وحدودها ونجهل تاريخنا وحدود بلادنا

١٣ وضع قانون عام للنهضة اللبنانية لا يجوز لاي فرع منها الزيادة عليه او الحذف منه الا في الترتيبات المحلية التي لا علاقة لها بالمبادئ ويجب ان يكون المركز الرئيسي للولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض الجمهوريات اللاتينية واحدا في نيويورك اما في سائر المهاجرين فيجب ان يكون النظام واحدا باستقلال كل بلاد بنهضتها وفروعها بشرط التقيد « النظام الواحد » والاشترائك في العمل الواحد على حد ما هي الولايات من « مركز الاتحاد » او مقاطعات من العاصمة (??)

١٤ اصدار كتاب كل عام من اقلام اديباء النهضة اللبنانية في كل بقعة من العالم تكون مواضعه الاصلاح والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم بفروعه وغير ذلك

مما تدعو اليه الحاجة ويجب ان تكون اسماء الاعضاء وبيان الدخل والخرج في آخر هذا الكتاب مع قانون النهضة المعدل .

١٥ تعديل قانون النهضة البنانية عند التمام كل مؤتمر تعقده يكون مؤلفا من نواب كل فرع مستقل او مرتبط في مدينة متوسطة ومواقفة للجميع وقبل انتهاء مدة المتصرف بسنة (??)

١٦ من حق كل مشترك في النهضة البنانية التصويت لمرشحي المركز الرئيسي مباشرة لمن كان غير منضم الى فرع او بواسطة الفرع الذي يكون منه ويعلن التشريع مقدما

١٧ للمرأة الحقوق الوطنية بالانضمام الى النهضة البنانية وبانشاء الفروع لها او بالانتخابات عموما (?)

١٨ السعي مع المتمولين لانشاء الشركات على اختلافها لا تكون النهضة فيها الا منشطة (?) وتكون كل شركة مستقلة ادارتها ونظامها - الشعب الذي لا يتحد في الشركات لا يستطيع الاتحاد في غيرها وبكل اسف نقول انه لا يكون ارتقى كثيرا .

١٩ العدول عن التبرعات للمشاركة المدعوة في الوطن عمومية وهي خصوصية لم يتم منها حتى الآن مشروع واحد على ما نعلم بعد جمع عشرات ألوف الدولارات ولا سيما ان (?) فضل المهاجرين غير معترف به واذا كان من اعتراف فبتفوق عليهم (?)

وبذكر واجب لا ندري مصدره قبل الاعتراف المخلص بالمساواة (?) - المهاجرون ساعدوا كل مشروع وهمي في الوطن منذ ثلاثة عقود من السنين ولم يساعدهم المتخلفون بشيء حتى في اصلاح البلاد فمن العدل ان يعدلوا عن الاستئثار الى الخدمة

الوطنية المتساوية و امام المهاجرين واجبات كثيرة من الضروري القيام بها - يجب العدول عن التبرعات الى ان يتم المشروع الوطني على الاقل

٢٠ تكافل المهاجرين والمتخلفين في كل ما يعود على الوطن بالاصلاح والرفعي

٢١ الاهتمام بالجندية البنانية اهتماما تنظر فيه النهضة

٢٢ بذل العناية التامة لانجاح قلم المهاجرة وصون اموال واعراض المهاجرين  
الجدد

٢٣ اذا كان المهاجرون مطالبين بالاموال الاميرية وسائر الضرائب فمن الواجب ان يكون لهم رأي في حكومتهم واعمالها وانتخاباتها .

٢٤ عضو مجلس الادارة « شيخ مشرع » او « ستاتور » من الطار على البلاد ان يكون غير متعلم ولا متهدب ان لم يكن منسرحا

٢٥ ترمي النهضة البنانية الى انشاء مدرسة داخلية في امريكا الشمالية لاحيا اللغة العربية و بهاء الوطنية ولتنشئة الصغار على المبادئ القومية واهم ما ترمي اليه حل مدارس الوطن على تعديل انظمتها فلا ينفق التلميذ ربع عمره قاتلا و يخرج بعد هذه الحسارة قاتلا

٢٦ جعل لبنان مصيفا جميلا وقيا بالآداب والاخلاق مثله بالمناظر والماء والهواء (١)

٢٧ تحويل افكار المهاجرين عن اقامة الدور والقصور - الا ما كان ضروريا -

الي انشاء المعامل والعناية بالزراعة والصناعة واستتارة دفائن كنوز لبنان

٢٨ تعليم الاقتصاد على انواعه وترويج المصنوعات والمستغلات الوطنية

٢٩ حثول اعضاء النهضة البنانية دون العلاقات الطائفية والقومية والبدية

والفصل بين المختلفين منهم في محاكم النهضة الخصوصية الا اذا عجز التوفيق

٣٠ انشاء جريدة رسمية مساهمة في كل بلاد فيها مركز رئيسي للنهضة وانشاء

مجلة نسائية عند الحاجة والمقدرة

٣١ الاهتمام بالعرف التجارية الضرورية للمهاجرين

٣٢ السعي لاقامة رؤساء اساقفة في المهاجر للطوائف النائية امتيازات في الوطن

لصون الشرف ومنع الاستئثار اسوة بالطوائف الممتازة في أوروبا

٣٣ مساعدة نوابغ اعضاء النهضة او نوابغ ابنائهم

٣٤ عدم مساعدة الكنائس الا اذا كان لها مدارس في الوطن والمهجر

٣٥ النظام مع رؤساء الاديان لخدمة الشعب واقادته بتنفيذ غاية الواقفين من

الارواقف دون تعرض لاي حقى رامن لهم

٣٦ يجب اقامة وكلاء للنهضة حيث لا يوجد فروع او حيث يكون انشاء

الفروع مبددا لا موحدا

٣٧ مرتب الدخول دولار واحد في السنة يجب ابعاله الى المركز الرئيسي من

كل عضو في النهضة الا اذا شاء العضو التبرع. اما الفروع فلها ان تتفاهم مع الاعضاء

على طرائق القيام بالفتحات المحلية (١)

٣٨ يتمخبط نائب الرئيس وامناء الصندوق والمديرون من التجار اما الرئيس

فيجب ان يكون غير تاجر صوتا لحقوق مصالح سائر التجار

٣٩ لا يقبل الاممي - الذي لا يحسن القراءة - عضوا الا في السنين الخمس بعد

اعداد القانون الاساسي ولا يقبل غير المستقيم على الاطلاق

٤٠ يجب ترغيب الشبان في تعلم الصناعات والفنون استعدادا لخدمة الوطن بما يكونون تعلموه

٤١ يعتبر منفي اسرار الجمعية « خائنا » ويطرد بعد المحاكمة

٤٢ لا يقبل عضو في النهضة كل (?) من يكون منتظما في سلك جمعية في مبادئها ما يخالف مبادئ النهضة اللبنانية

٤٣ للجمعية شارة وكلمة تعارف وقوانين تعرف من النظام العمومي بعد طبعه

٤٤ تسمى النهضة اللبنانية لاجياء ذكر النوايح في العلم والوطنية من رجال ونساء بطبع نتائج قرايحهم واقامة تمانيل للعظماء منهم

٤٥ من مساعي النهضة اللبنانية انشاء المتاحف الوطنية وصون كنوز الحفريات والماديات وحفظ كل ما يهتم القوم الراقي (?) بحفظه

٤٦ يجب ان يكون لنا « جمعية علماء » تبذل منتهى العناية باحياء اللغة والفنون الجميلة ومنها تفرع فروع العلوم والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك

هذا ام ما مر في خاطرنا من المبادئ والمنازع التي قبل المسؤولية عليها دون احد من الناس ولنا في اكثر هذه البنود كلام تبسط فيه ونرجو ان يكون عند صادقي الوطنية مقبولا

الا اتنا لاندعي بان ما جئنا به يجب ان يعتبر فصل الخطاب وانما اردنا ان نوقف الشعب على الالم من مرامي هذا الحزب الا كبر المدعو نهضة لبنانية وهو حزب لم يظهر مثله حتى يومنا هذا في العالم العربي ولا النضوي تحت لواء اي جمعية عربية المدد المنضوي تحت لوائه

في كل مصر وقطر انصار لهذا الحزب لا نعلن اسماء جميعهم لحوائل سياسية ونؤكّد للبنانيين اتنا بعد سنة واحدة نصبح ٢٥ الفا في المهاجر وحدها فن كان مؤمنا بكتاب اللبنانية الشريف فليحمل لواءه بالاخلاص خفاقا، وينشر تعاليمه بالوطنية نفاقا، والفوز للمجاهدين اه

(المنار) نشرنا هذه المقالة بجر وفيها ووضعنا بجانب بعض المفردات والجل علامة (?) للاشارة الى ما فيها من خطأ أو ضعف لفظي او معنوي (ولولا ان استحسننا انشاء الكاتب لما أشرنا الى ذلك). ويظهر منها ان هذه الجمعية سياسية علمية اقتصادية اديية خيرية سرية جهرية. وفي هذه المواد المنشورة تعارض وتهافت، يعني بعضها بملكة مستقلة، كما بني بعضها على تابية مبهمه. ولعل رئيس النهضة البارع يصححها ويرتبها بعد اعادة النظر فيها. ولا نسأل عن القوة التي يؤسس المهاجرون بها هذا الملك العظيم

ولقد ما تقدم بيانا بنقل النبذة التالية من جريدة ابي الهول التي تصدر في البرازيل

وهي :

## أنا لبناني

ليقرأها اللبنانيون بتمعن !!

لا تصبح الامة امة حقيقية ولا يستتب لها كيان الا متى نمت في صدور اغليتها عاطفة حب الوطن ، وكان هذا الحب مؤسسا على معرفة تاريخها ، وما التاريخ الا قطعة من قلب الامة ، وما أبناء هذا الجيل الا أحفاد أجيال اذا تناسيناها مسخنا نفوسنا وانكرنا الاصول التي انما نحن لها فروع ولقد اثبت المدققون ان قوة الشعوب الحقيقية قائمة في ايمانها الوطني ، وعرف العالم باجمعه ان العثماني قد غلب في الحرب البلقانية لانه فاقد هذا الايمان ، وان الامم البلقانية لم تنتصر ذلك الانتصار الباهر الا لامتلاكها القوة الادبية علاوة على قواها الحرية

ومن الثابت ان السرب مثلا قد انتصروا لانهم باجمعهم - من القائد الكبير الى الجندي الصغير - كانوا قد رسموا في قلوبهم وأدمختهم تذكارا تاريخهم القديم الذي طمست به سنوات الحكم العثماني عليهم وفي سنة ١٩٠٧ تشكلت لجنة نيايية سرية لفحص حالة استعداد الجيش العامة ، وارادت اللجنة ان تعلم مقدار معرفة الجنود تاريخ بلادهم فوقعت القرعة على فرقة من الفرق المقيمة في اقصى ارجاء سربيا فالتفت على كل من الجنود الاسئلة العشرة التالية :

ما ذا تعرف عن كرايفتش ما ركوا ؟ وعن ميلوش او بليتس ؟

عن الامير لازار ؟ وعن الامبراطور دوشان ؟

عن موقعة قوصوه ؟ وعن كاراجورجس ؟

عن الامير ميلوش وما هو اسم الملك الحالي ؟

واسم ولي العهد وهل يوجد سربيون خارج سربيا ؟

فأيدت الاجوبة ان مائة في المائة من الجنود يعرفون ان « كرايفتش ما ركوا »

ملك سربيا وبطل التاريخ الوطني كان آخر حماة استقلال سربيا ضد الاتراك

ومائة في المائة يعرفون ان السربي « ميلوش او بليتس » قتل السلطان مراد

في موقعة قوصوه سنة ١٣٨٩

(المنار - ج ٨ م ١٧) تسمي اللبنانيين بالسريين في السعي للاستقلال ٦٢٥

ومائة في المائة يعرفون ان الأمير « لازار » قاد الجيش السربي في معركة قوصوة وقتل فيها

وثمانون في المائة يعرفون ان الامبراطور « دوشان » المتوفى سنة ١٣٥٥ كان اعظم ملوك سرية القديمة

ومائة في المائة يعرفون ان الامبراطورية السرية قد سقطت في موقعة قوصوه واثمان وستون في المائة يعرفون ان « كراجورجس » كان زعيم الثورة الاولى السرية ضد الاتراك سنة ١٨٠٤ - ١٨١٣

وتسعة وخمسون في المائة يعرفون ان الأمير « ميلوش » قاد الثورة الثانية التي ولدت منها سرية الحالية سنة ١٨١٥

واثنان واربعون في المائة يعرفون اسم الملك الحالي

وثلاثة وعشرون في المائة يعرفون اسم ولي العهد

وثمانية وتسعون في المائة اجابوا انه يوجد سريون كثيرون خارج سرية

فهذه النتائج ثبت بوضوح ان الشعب السربي باجمعه كان - ساعة شهر الحرب على تركيا - متشربا تذكارات تاريخه الوطني البعيدة والقرية ومعتقدا بان امنية سرية الحالية قائمة بتوسيع حدودها لامتلاك الاراضي المنقصة وجعل سرية كافية لضم جميع السريين

في هذه التذكارات كمنت قوة سرية الحقيقية . وبهذه التذكارات انضمت للتاريخ وانتصرت على تركيا

\*\*\*

لم اروكل هذه المقدمات لاحداث القراء عن سرية والسريين . ولكنها امثلة للامم التي تريد ان تكون ونحيا

نحن معاشر اللبنانيين لانهلم بمعاربة تركيا او الثورة عليها . ولكن الاوان قد ان نسعى في تعزيز جامعتنا القومية وتاليف امة يعرفها العالم المتمدن وبالامة اللبنانية . ومن اجل ذلك يجب ان نبدأ باعترافنا الايمان الوطني وان تؤسس هذا الايمان على تذكارات تاريخنا البعيدة والقرية

لقد انهكت مذاهب السنين قوانا الوطنية ولكن نصف جيل خلا كاف لتجديد الدم اللبناني



لوائت اليوم لجنة لبنانية واخارت بضعة قري من قري لبنان واخذت تطرح على ابناءها الاسئلة التالية :

من هم اجداد اللبنانيين ؟ هل فقد لبنان يوما استقلاله ؟

من هو أعظم أمير لبناني ؟ من اخرج محمد علي من سوريا ؟

ماهي حدود لبنان الاصلية ؟ ماهي المسئلة اللبنانية ؟

ما رأيك بمذاهب الستين ؟ ما الفرق بين المسيحي والدرزي ؟

من هو احسن متصرف واسوا متصرف حكم لبنان ؟

بماذا يجب ان يحلم اللبناني اليوم ؟

لوائت هذه اللجنة وسالت هذه الاسئلة واجاب مائة في المائة ان اجداد

اللبنانيين هم الفينيقيون غزاة البحر وتجاره واساتذة اليونان ومدنوقسم من افريقيا

الشالية وايطاليا وفرنسا واسبانيا

ومائة في المائة : ان لبنان لم يخضع يوما لدولة من الدول التي احتاحت سوريا

خضوعا تاما وانه لا يستطيع الحياة إلا مستقلا

وعمانون في المائة بان أعظم أمير لبناني هو الامير نجر الدين المعني الثاني الذي

أوصل حدود لبنان في الجيل السابع عشر من اطراف حلب الى اوئل فلسطين

ولقبه سلطان تركيا « سلطان البر » - يليه الامير الشهابي الكبير الذي يريد نقل

رفاته من الاسنانة الى لبنان احياء للروح الوطنية

ومائة في المائة بان سيوف اللبنانيين كانت العامل الاول في اخراج محمد علي باشا

المصري واعادة سوريا الى تركيا في اوائل الجيل الاخير

ومائة في المائة أيضا بان حدود لبنان الاصلية التي اغتصبها الدولة تمتد من

اعالي طرابلس الى صيدا ومن ساحل البحر المتوسط وفيه بيروت الى اطراف

الشام وفيها سهل البقاع وجبل انطيلبان المعروف بجيل حرمون او جبل الشيخ

ومائة في المائة بان المسألة اللبنانية مشكلة بين الدولة ولبنان لا تحل الا باستعادة

لبنان حدوده المعتصبة وحقوقه في الكمرك والبريد - وان هذه المسألة يجب ان

يطرحها المجلس الاداري امام محكمة أوروبا التي تحمينا ولنا بها علاقة منذ بضعة

اجيال بتقدم دعوى الديون التي لنا في ذمة الدولة

وعمانون في المائة بان مذاهب الستين التي كان للمأموري الدولة اليد الاولى في

انارتها وصمة على جبين لبنان يجب ان يحورها بزغ التعصب الديني وابداله

بالتعصب الوطني

ومائة في المائة بان الدرزي أخ المسيحي في الوطنية، للاول ماللثاني وعليه ما عليه

وان احسن متصرف جاء قبل المتصرف الحالي هو داود باشا الارمني الذي سمي

في تحسين شؤون الجبل وتوسيع اراضيهِ ، واسوأ متصرف هم كل المتصرفين الذين سبقوا متصرفنا الحالي

وان على اللبناني ان يحلم اليوم باستعادة الامارة اللبنانية ، ويساعد جمعيات المجاهدين المخلصه ليعود المهاجرون الى بلادهم ، وتعود الى لبنان حياته ومعها العز والفخار . . . في ذلك اليوم . . . في ذلك اليوم يصبح اللبنانيون أمة حقيقية ويستطيع اللبناني ان يسمي جبله وطناً ، وان ينادي على رؤوس الملا بكل مباهاة واقتضار :  
« انا لبناني ا » « انا اللبناني !!! »

( المنار ) : لولا هذه النقط التي أهم بها الكاتب النتيجة ، لقال القارئ ان النتيجة جاءت أصغر من المقدمات ، لامتعة أحسن المقدمات كما يقول علماء المنطق .  
والجمال واسع امام من يريد انتقاد ما كتب الكاتب ، واهم ما يهم دعاة النهضة العربية من ذلك جعل البلاد السورية أو طانا متعددة ، ومن فروع ذلك جعل هذا الكاتب اللبنانيين كلهم فينيقيين - على مذهب عبيدالله التركي الذي زعم ان نصارى سورية ليسوا عربا - وهذا خطأ مبين ، فان كثيرا من سكان الجبل يعرفون انهم من سلالة العرب ، ومنهم امرأوه كبنى معن وبنى شهاب الذين يفخر الكتاب بكبيريهما الامير فخر الدين والامير بشير ، وبنى رسلان وغيرهم من الدرور . والباقيون من سلائل العرب والفينيقيين وغيرهم . ولكنهم صاروا كلهم عربا بتوحيد لغتهم ، وانما الجنسية باللغة فكثير من الاسبانين من سلالة العرب ولكنهم لا يعدون الآن عربا

يظهر مما اشرنا وما لم ننشر مما يكتبه غلاة الدعوة اللبنانية انهم يمنون أنفسهم بما ليس في طاقتهم ، يمنون أنفسهم بأن يكونوا دولة قوية مستقلة تمام الاستقلال ، منفصلة عن جدتهم الامة العربية وأمهم سورية نفسها ، لاعن الدولة العثمانية فقط . ولا يكون مثل هذا الشعب حربي قوي ، ولذلك يكثر أصحاب دعوة هذا الاستقلال من ذكر قوة الجبل وامتناعه عن الفاتحين ، وانتصاره على المصريين ، واخراجهم جيش محمد علي الكبير من سورية وردها الى الدولة ، والاسترسال في المباحث التي ليس من موضوعنا تبحث فيها . ولنسلمهم حديثهم عن ماضيهم ، فانه لا يمنعنا من الجزم بأنهم لا يستطيعون ان يأخذوا قوتهم شبرا من أرض الدولة ولا درهما من خزينتها ، وانما مسألتهم أوربية مفتاحها بيد الدول الكبرى ، فاذا هن اتفقن على إعطاء الجبل شيئا فهو الذي يرجى ان يأخذه ، واذا لم يتفقن ففرنسة وحدها لا تستطيع ان تصل للجبل شيئا . واذا استطاعت الدولة ان ترضي الدول بالتفاء امتياز لبنان فانها تلغيه ، وخلاف فرنسة وحدها لا يحول دون ذلك . فن يعرف هذه الحقائق يجزم بأن مؤسسي جمعية (الاتحاد اللبناني) في مصر ارسخ قدما في السياسة من سائر اللبنانيين . وان وراء ذلك كله سياسة مثلي لو قدروها قدرها ، ولم نحجهم آمالهم بفرنسة وغيرها عنها !!

## مصائب مصر والشام برجال المسلم وحملة الاقلام

٤ - الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (تمة ترجمته)

مصانيفه ورسائله

كان أتابه الله سيال القلم سيال القريحة ، سريع الذكرة سريع المراجعة ، وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات ، أحصاها لنا بعض تلاميذه فزادت على السبعين ، وهو العقد الذي تعب به العرب من الكثرة . وهذه أسماؤها مرتبة على حروف المعجم :

- (١) الاستثناس ، في تصحيح أنكحة الناس . طبع في دمشق سنة ١٣٣٢
- (٢) الانوار القدسية ، على متن الشمسية في المنطق ، كتب عليها الى آخر قسم التصورات (٣) ايضاح الفطرة ، في أهل الفترة (٤) الارتفاق ، بمسائل الطلاق (٥) ازالة الاوهام ، بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام (٦) اقادة من محام ، في تفسير سورة والضحي (٧) اعلام الجاحد ، عن قتل الجماعة المتباعدة بالواحد (٨) الاقوال المروية ، في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية (٩) الاوراد المأثورة - مطبوع في دمشق (١٠) الاجوبة المرضية - مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ (١١) اصلاح المساجد ، من البدع والعوائد (١٢) بذل الهمم ، لموعظة أهل وادي المعجم (١٣) بديع المكنون ، في أم مسائل الفنون (١٤) بيت القصيد ، في ديوان الامام الوالد السعيد (١٥) بحث في جمع القراءات المتعارف

- (١٦) تعبير المشام ، في ما أثر دمشق الشام (١٧) تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان (١٨) تنوير اللب ، في معرفة القلب (١٩) تاريخ الجهمية والمعزلة . نشر في مجلة المنار وطبع في مطبعتها سنة ١٣٣١ (٢٠) تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب - طبع في مصر سنة ١٣٢٦

- (٢١) ثمرة التسارع ، الى الحب في الله وعدم التقاطع
- (٢٢) الجواب السني ، عن سؤال السيد أحمد الحسني (٢٣) الجوهر الصاف ، في قنابة الاشراف (٢٤) جواب المسألة الحورانية (٢٥) جوامع الآداب ، في أخلاق الانجباب (٢٦) جدول في مخارج الحروف وصفاتها (٢٧) جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل - نشر في مجلة المنار
- (٢٨) حسن السبك ، في الرحلة لوعظ قضاء البنك (٢٩) حياة البخاري .

طبع في صيدا سنة ١٣٣٠ (٣٠) حاشية على الروضة الندية  
 (٣١) درة الموهوم ، من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (٣٢) دلائل  
 التوحيد . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ « ٣٣ » ديوان خطب مطبوع في دمشق  
 سنة ١٣٢٥ .

« ٣٤ » رفع المناقضات ، بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات « ٣٥ » رسالة  
 في الشاي والقهوة والدخان . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٣ « ٣٦ » رسالة في أواخر  
 من مشايخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي . مطبوعة بعد نشرها في مجلة المنار  
 سنة ١٣٣١ « ٣٧ » رسالة في المسح على الجور بين مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٢  
 « ٣٨ » رسالة في المسح على الرجلين .

« ٣٩ » زوال العشاء ، عن وقت العشاء « ٤٠ » زبدة الاخبار ، عن أولاد  
 الكفار « ٤١ » السطوات ، في الرد على منع العشاء قبل الصلوات

« ٤٢ » شمس الجمال ، على منتخب كنز العمال « ٤٣ » الشذرة البهية في حل  
 ألفاظ نحوية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ « ٤٤ » شذرة من السيرة الحمديدية .  
 مطبوعة مطبعة المنار في مصر سنة ١٣٣١ « ٤٥ » شرح لفظة العجلان . مطبوعة في مصر  
 سنة ١٣٢٦ « ٤٦ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول . مطبوعة في بيروت سنة  
 ١٣٢٤ « ٤٧ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول أيضا . مطبوعة في دمشق  
 سنة ١٣٢٣ « ٤٨ » شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه .  
 مطبوعة في دمشق سنة ١٣٣١ « ٤٩ » شرح مختصر المستصفي لابن رشيقي .

« ٥٠ » الطائر الميمون ، في حل لغز الكنز المدفون . مطبوع مرتين سنة  
 ١٣١٦ وسنة ٢٢ « ٥١ » طراز الخلعة ، فيما نقل من قول الرمي : وأقسام الاسم تسعة  
 « ٥٢ » الطالع المسعود ، على تفسير أبي السعود ( لم يتم ) « ٥٣ » الطالع السعيد ، في  
 مهمات الاسانيد

« ٥٤ » العقود النظمة في ذكرى مولد النبي (ص) وأخلاقه العظيمة ، ومحاسن  
 شريعته القوية « ٥٥ » غنيمة الهمة ، على كشف الغمة « ٥٦ » فصل الكلام ،  
 في حقيقة عود الروح الى الميت حين الكلام « ٥٧ » الفضل المبين ، على عقد  
 الجوهر الثمين ، ويعرف بشرح الاربعين العجلونية « ٥٨ » فتاوى الاشراف ،  
 في العمل بالتلغراف . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ « ٥٩ » قواعد التحديث ،  
 من فن مصطلح الحديث

٦٠ الكواكب السيارة ، في مدح الفوارة ٦١ كتاب الفتوى في الاسلام .  
 مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ . (٦٢) كتاب ارشاد الخلق ، الى العمل بخير البرق .

طبع بدمشق سنة ١٣٢٩ ، ٦٣ كتاب الاسراء والمعراج . طبع بدمشق سنة ١٣٢١  
 ٦٤ كتاب شرف الاسباط . طبع بدمشق ٦٥ كتاب ( شرح العقائد ) وهو كتاب  
 كبير كتب الفقيه منه نحواً من مائتي صفحة ولم يتم ٦٦ الف والنشر ، في طبقات  
 المدرسين تحت قبة النسر ٦٧ لزوم المراتب ، في الادب مع الامام الراتب  
 ٦٨ المسند الاحمد ، على مسند الامام احمد ٦٩ منتخب التوسلات . مطبوع  
 في دمشق سنة ١٣٠١ ، ٧٠ مذاهب الاعراب وفلسفة الاسلام في الجن . طبع  
 بدمشق سنة ٣٢٨ ، ٧١ ميزان الجرح والتعديل طبع في مصر سنة ١٣٢٠  
 ٧٢ موعظة المؤمنين ، من احياء علوم الدين . طبع بمصر سنة ١٣٢١ ، ٧٣ محاسن  
 التأويل ( وهو التفسير العظيم الذي يقع في اثني عشر مجلداً مع مقدمته التي كتبت  
 في مجلد حافل

٧٤ النسخة الرحمانية ، على متن الميدانية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢  
 ٧٥ قد النصائح الكافية . طبع بدمشق سنة ١٣٢٨  
 ٧٦ هداية الالباب ، لتفسير آية « وطعام الذين أتوا الكتاب » ٧٧ الوعظ  
 المطلوب من « قوت القلوب » ٨٧ وفاة الحبيب وحده ، في ايضاح جهة الوحدة  
 ( السوقة في الفنارى ) ٧٩ يتابع العرفان ، في مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان  
 اقول: ان بعض ما ذكرنا رسائل صغيرة مؤلفة من كراسة او كراستين او  
 كراسات قليلة ، له اول غيره ، وبعض ما ذكرنا من الشروح عبارة عن تطبيقات  
 لا يصح ان نسمي شرحاً ، وقد كتب الي في العام الماضي ان له كتاباً في العبادات  
 مقبلاً من كتب المذاهب مع بيان حكمة التشريع . كان اخذه منه الشيخ احمد طياره  
 ليطبعه في مطبعته بيروت ولم يعده اليه ، وعلمت مما كتب الي انه من اهم كتبه ،  
 وكنت وعدت بتأليف كتاب في ذلك فسبقتني رحمة الله اليه ، فتمنيت لو يطبع لأستغني  
 به . ولعل هذا الكتاب وتفسيره الحافل هما اكبر مظاهر علمه واصلاحه ، على ان  
 له رسائل مختصرات ، لاتفي عنها المطولات

سيقول كثير من الناس: انك عددت القاسي من رجال الاصلاح ، وان أسماؤه  
 كثير من هذه الكتب التي صنفها أو شرحها تدل على انها ليست من الاصلاح  
 في ورد ولا صدر ، ولا تشمل على عين منه ولا أثر ، فكيف يضع العالم المصلح  
 وقته في شرح لغز ، أو ما يعد أبعد عن الاصلاح من اللغز ؟

ويمكنني أن أقول : ان الرجل كان من خيار مصليحي المسلمين في هذا العصر وان لم يدخل كل ما كتبه في باب الاصلاح الذي يفهمه قراء المنار ، فسمى الاصلاح ومفهومه واسع ، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والسنة والعشراء والاقران ، والتلاميذ والمريدين ، وغيرهم من المخاطبين ، والمصلح لا يخلق مصلحا بالفعل ، بل يخلق كفيده لا يعلم شيئا ، ويكون الاستعداد للاصلاح فيه كامنا ، ثم تظهره التربية والتعليم ، وما يتجدد المرة بعد المرة له من العبرة والتأثير . فهل يطلب من عاش خمسين ، ترك فيها من هذه الكتب والرسائل نحو من سبعين ، ان يكون جميع ما كتبه او شرحه اصلاحاً في الدنيا والدين ، مرضيا عند الكهول المجرىين ، والشيوخ المحنكين ؟

طريقته في الاصلاح

حسب من نشأ وتعلم وتربى في أرض التعصب للتقليد ، والجمود على العادات والخرافات ، تحت سماء الاستبداد ، والحجر على الاسنة والاقلام ، — ولم تكن هذه المفاصد في الاستانة أشد منها في الشام — ان يكون بسلامة فطرته ، وعناية الله به ، مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في استقلاله ، ونزاهته واعتداله ، ونظافة عقله وقلمه ولسانه ، وجراته على مجاهدة الجمود والتقليد ، والجمع في احياء علوم اللغة والدين بين الطريف والتليد .

أما طريقته في الاصلاح وغايته منه فلم يكن فيها على خطة مقررة من اول النشأة ، وانما كونتهما الحاجة بقدر استعداد البيئته : فتح الرجل عينه فرأى أطلال العلم في بلده دارسة ، وأعلامه طامسة ، وقد كانت مهاجرا يرحل الطلاب اليها ، فأصبحت مهجورة يرحل عنها . فكان الاصلاح الضروري فيها ايجاد نشء جديد من طلبة العلم يطمون تطلبا صالحا يرحى أن يحيا به وبهم العلم ، وقد كان سبب اختيار الشيخ لقراءة بعض الكتب ولكتابة بعض الشروح والتعليق على بعضها ، هو الضرورة أو الحاجة الى تدريسها ، لا كونها صالحة في نفسها ، او محاولته اصلاح التعليم بها . مثال ذلك ما كتبه على شرح الفناري ومتن الشمسية في المنطق ، كان مما لا بد منه ، لان طلبة العلم كانوا يمتحنون بهما لاجل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وقيس ما لم نعرف عنده فيه — كقراءة كتاب جمع الجوامع وشرح بعض المتون — على ما عرفنا عنده فيه

كتمن الشمسية وشرح الفناري، وكلاهما لا يصلحان للتدريس، في رأي العارفين بطرق اصلاح التعليم. ولو كان الشيخ في مصر لقلنا ان عنده في قراءة جمع الجوامع اعتبار الجامع الازهر عليه في الامتحان ونيل شهادة العالمية

لعلنا لو اطلعنا على جميع ما كتبه لظهر لنا من عنده ما لا يظهر لنا الآن. أو ننتقد منها ما لا نظن الآن انه متقد، وحسب الرجل ان يكون مصلحا في سيرته ومجموع أعماله

قد اطلعنا على كتاب دلائل التوحيد وبعض الرسائل من مؤلفاته المطبوعة، وقرظنا بعضها في المنار وينا مزيته فيها. ويمكننا أن نستنبط منها ومن مذاكراتنا القصيرة له مانعه للقارئ من مزاياه ومزاياها

(١) ان القاسمي درس فنون اللغة العربية والعلوم الشرعية على الطريقة المألوفة في مدارس المسلمين منذ قرون، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون للتدريس، ورأى حاجة أهل البلاد الى بعض تلك الكتب لاجل امتحان الاعفاء من العسكرية، وان المشتغلين بالعلم منهم يظنون أن العالم لا يكون عالما حقيقة الا بتحصيل كذا وكذا منها (كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني) فكانت هذه الامور الثلاثة أسبابا لمحافظة على بعض ذلك التقليد

(٢) انه كان يرى ان ما يثبت بالدليل الثقل في الثقليات والعقلي في العقليات وبالتجربة في المخرجات لا تتلقاه بالقبول هذه الامة التي جمدت على التقليد، وبعد عهد جمهورها بالحجة والدليل، الا اذا أيد بنقل عن بعض العلماء السابقين، ولا سيما اذا كان من المشهورين، فكان يرى هذا ركنا من أركان الاصلاح في التدريس والتأليف لاجل اقناع المستدين والمقلدين معاه، ونحن نجري على هذا في المنار والتفسير احيانا

(٣) انه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته وما مذهب السلف الا العمل بالكتاب والسنة، بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه الذي كانوا يفهمونه في الصدر الاول. وقد اتهم — كما اتهم غيره من المستقلين — بأنه احدث مذهباً جديداً في الاسلام، ولما كانت حادثة السعاية التي أشرنا إليها، وذكرنا انه حبس فيها، لفظ حساده بهذه المسألة فقال يرد عليهم:

زعم الناس بأني مذهبي يدعى الجمالي  
 واليه حينما أف تي الوري أعزومقالي  
 لا وعمر الحق اني سلفي الانحال  
 مذهبي ما في كتنا ب الله ربي التماي  
 ثم ماصح من الأذ بار لا قيل وقال  
 أقضي الحق ولا أر ضي بآراء الرجال  
 وأرى التقليد جهلا وعمي في كل حال

وقل ايضا في هذا المعنى :

أقول كما قال الأئمة قبلنا صحيح حديث المصطفى هو مذهبي  
 ألبس ثوب القيل واقال باليا ولا أتحملي بلرداء المذهب

(٤) كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع ما يقوم عليه الدليل من غير تشييع على المخالف ولا تحامل . وكان لحرصه على الوفاق وجمع كلمة المسلمين يجتهد في استنباط حجة كل فريق من اصحاب المذاهب ، وتقريب احدهما من الآخر ، باظهار حجته أو شبهته ، وحكاية ما يمارض الخصم به . ومن كانت هذه طريقته فكثيرا ما يفضى الخصمين معاً . فبينهم كل منهما بالتشيع للآخر . ثم اذا كان احدهما مصيباً والآخر مخطئاً يتعذر على محب الاعتدال في الحكم بينهما ان يرضى باستحداث مذهب ثالث يجعله وسطا بينهما ، اذ ليس بين الحق والباطل وسط ، وانما يكون الحق وسطا بين باطلين ، او باطلين ترجع كثرتها الى نوعين — الزيادة على الحق او النقص منه . وقد اتهم الفقيه بعض السلفين بأنه مخالف مذهب السلف في رسالته (تاريخ الجهمية والمعتزلة) التي نشرناها في المنار ، على شدة حرصه عليه وتجريره اياه ، وانتقدها بعض الشيعة كما يأتي . واتهمه بعض المستقلين بعترة اخرى في رسالته (تقد النصائح الكافية) وهي ان حب الاعتدال وتقريب احد الخصمين من الآخر اخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل ، ولكن بقصد الاصلاح وههنا مسألتان (أحدهما) أن المستقل في علمه وحكمه حق الاستقلال يتحرى



ما يظهر له أنه الحق فيقوله ويحكم به وإن أغضب جميع الناس عليه . وقصارى ما يستبيحه من ارضاء الناس أو استئثارهم التلطف في القول ، وتزيين الحق الذي ثبت عنده بجمل البيان وحمله ، دون ابرازه لم عارى الجسد عاقل الجيد

( الثانية ) ان الاصلاح بين الرجلين أو القبيلين من الناس فضيلة حث عليها الشرع وعرف حسننا العقل ، وقد أبيض فيها الكذب عند الضرورة عملاً بقاعدة « ارتكاب أخف الضررين » فبالاولى يباح فيها التماس المنذر لكل خصم فيما خالف فيه الآخر ، وتوجيه ما قام عنده من الحججة أو شبه الحججة . وهذه الطريقة في الاصلاح أقرب الطرق لارضاء المعتدلين من أهل المذاهب المختلفة، وأما الغلاة في التعصب لمذاهبهم فلا يرضيهم الا موافقتهم واتباعهم .

أما العمل بهاتين المسألتين واعطاء كل واحدة منهما حقها فهو عسر جداً، فإن المستقل جد الاستقلال اذا تصدى للتوفيق بين الخصمين التعصبين يفضيها جميعاً وانما يمكن أن يرضى المستقل من كل فريق أو المستعد للاستقلال، اذا أوتى الحكمة وفصل الخطاب ومن الآيات على ذلك أن رسالة ( تاريخ الجهمية والمعتزلة ) لم يكتب أحد في هذا العصر كتابة أعدل منها في التأليف بين فرق المسلمين الكبرى — وهم أهل السنة الأثرية والاشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج — وقد كتب بعض علماء الشيعة رداً عليها قبل اتمام نشرها ، وهل يرضى شيعي بتعديل بعض الخوارج والرواية في الصحيحين عنهما ؟ وانكر بعض أهل السنة الأريين بعض المسائل فيها كما تقدم . فأين هذه من تلك الرسالة التي كتبها احد علماء الشيعة للتوفيق بين الامة بزعمه او دعواه الظاهرة فكانت عبارة عن دعوة أهل السنة الى التشيع بتخطئهم وتصويب الشيعة في جميع مسائل الخلاف ! !

#### أخلاقه وشيئله

كان من اكمل ما رأيت في أخلاقه وآدابه وشيئله: كان أبيض اللون نحيف الجسم ربة القد ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، غضبيض الطرف ، كثير الاطراق ، خافض الصوت ، ثقيل السمع ، خفيف الروح ، دائم التبسم وكان ثانياً ناسكاً واسع الحلم ، سلم القلب ، نزيه النفس واللسان والقلم ، برا بالأهل ، وفيها للاخوان ، يأخذ ما صبغاً ويدع ما كدر ، عاتلاً عفيفاً قائماً

لا يطيبه طمع مدنس اذا استمال طمع او اطي  
وقد بنا ما كان لا اخلاقه الكريمة من حسن الأثر، والوقاية من كيد الجامدين  
والحاسدين، والاعانة على الاصلاح  
ومن حسن وقائه انه لم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الاستاذ الامام في ابان ثقل  
وطأة الاستبداد الحميدي، اذ كانت مراسلتنا تعد من الجنائيات السياسية التي تعاقب  
الحكومة صاحبها أشد العقاب، ولكنه ترك التصريح بنقل شيء عنا كما يعلم من  
كتابه (دلائل التوحيد) وصرح لنا بذلك

وقد عبرنا عن بعض ما وجدناه من الحزن لفقده بكتاب وجهناه الى أهله، وكان  
من يعرف ما بيننا من الاخاء يعزينا عنه كما يعزى الاخوة في النسب. وما بيننا من  
أخوة النسب الروحي، أعلى من النسب الجسدي، على أن نسبامه يتصل بنسبتنا أيضا  
وحسبي أن أدون من تلك التعازي ما كتبه الي صديقي وصديقه علامة العراق  
ورحلة أهل الافاق، السيد محمود شكري الالوسي الشهير. وقد كتبت اليه مثل الذي  
كتبه الي يباغت القلب، ولكنه سبق كدأبه في سبق الي كل فضل. وهذا  
ما كتبه بعد الانقلاب، وقائحة الخطاب:

« أما بعد فقد نعت الينا صحف البلاد الشامية وفاة العلامة السيد جمال الدين  
القاسمي قدس الله روحه الزكية، فأمض ذلك الخبر قلبي وأفض لي، وجرح فؤادي  
وطرد رقادي. وأحدث لي حزناً ملازماً، وألماً دائماً، وأورثني قلقاً واخزاً.  
وانزعاجاً حافزاً. وحيث كان المشار اليه من أعزة أحبابكم، وخلص أصفياثكم،  
مع ما كان عليه من الفضل الوافر، والادب الباهر، والورع الظاهر، والنسب  
الظاهر، والذب عن الشرع المبين، وقوه الايمان واليقين، ومناضلة الحائدين  
والملاحدين، وانه حسبما اعترف له الموافق والمخالف

أحيا به الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الاسلام  
حكم على أهل العقول بيثها ممنوعة الاوضاع والاحكام  
ويريك في أفاظه وكلامه سحر العقول وحبيرة الافهام

فاني اعزيتك على فقده، وتوسده للحدود، ومفارقته لهذه الدنيا القدارة الخائنة  
المكارة، فان نعيمها زائل، وكوكب سعدتها آفل، فلا اوجع الله لك قلباً، ولا كدر  
لك خاطراً ولا لبا، والاسلام من طلعتكم الغراء، سلوان عمن مضى من الفضلاء،  
وانما يجبل الرزء اذا قل العوض، ويكبر المصائب اذا عدم الخلف. فاما اذا كنت  
الباقى، وغيرك الماضي، وصرت الموحود، وسوالك المفقود، فالقادحة خفيفة الوقع، مرثوبة  
الصدع ويد الدهر فيما نال قصيرة، ومنته فيما ترك كبيرة. هذا مع أسفى عليه كل الاسف،  
وتصاعد أنفاسي بيزيد اللهب، وقد جرت عليه من العيون عيون، فانا لله وإنا اليه

راجعون . نسأله تعالى ان يديمكم ركنا للاسلام ، ومرجعا للاخص والعام ، وبصونكم من طوارق الليالي والايام ، تذكرة للسلف الاعلام » اه  
وأقول ان مما يهزني ويهزي هذا الاخ الكريم . والمصلح العظيم ، الذي لا استحق بمض ثنائه ، ولا ينسبني قصي كمال اطرائه ان أخانا الفقيه قدربني وعلم افرادا من اخوته وغيرهم يرجى ان يقفوا اثره ، ويتلو تلو ، وان كان نسيج وحده فتبقي بهم ديار الشام . أهلة ان شاء الله بالعلماء الاعلام . على مدى السنين والايام .

### ( ٥ - جرحي بك زيدان )

قضى الله - ولا راد لقضائه - ان لا تفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فجعت بهم الأمة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزى القطران بفضيلة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرحي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، وأحد أركان النهضة العربية الحديثة ، فاجأته كهلا قد بلغ أشده واستوى ، حسن الصحة تام القوى - وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من أجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ العرب ، وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بأنه أتى عن عاتقه في أولها تعب عشرة أشهر ، ثم أتى نفسه على سريره ليبدأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، ففاضت نفسه فاذا هو قد أتى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملا من معامل الكهرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء ، والقوض لدعائم تلك الحياة الجميدة ، حياة الجد والعمل والفقة والاستقامة . فاذا كان الجهاد العقلي قد صرع احمد فتحي باشا زغلول والاستاذ القاسمي بعد مرض طويل أو قصير ، فقد صرع جرحي بك زيدان من غير مرض ولا شكوى فقدت الأمة العربية بهذا الرجل ركنا من أركان نهضتها الحديثة في العلم والأدب ، بعد أن نضج علمه ، واتسعت معارفه ، وكملت تجاربه ، وصار اقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها .

نشأ الرجل عصاميا ، فقد ولد في أواخر سنة ١٨٦١ م من أبوين فقيرين اميين ، ولكن يظهر انه كان له في الأرومة العربية عرق راسخ ، فقد بحث عن أصل بيتهم - وكان يسمى بيت مطر - فأنتهى به البحث الى ترجيح كونه من عرب حوران ، وكان يظن انه كالأكثر الروم الارثوذكس في سورية من بني غسان .

تلقي مبادي القراءة والكتابة في بعض مكاتب بيروت الابتدائية . وكان يشتمل مع والده في مهنته لأجل المعاش ، ولكن استعداده للعلم وعشقه للمدارس كانت قويا جدا ، فكان يختلف الى بعض المدارس الليلية ، يتعلم فيها اللغة الانكليزية . وبحث عن رجال العلم والأدب ويتقرب اليهم ، وانظم مع طائفة من خيارهم في سلك جمعية شمس البر الادبية ، فازداد حبا للعلم ورغبة في طلبه ،

وكان بعض من آلس فيه الاستعداد من أهل العلم يقرأ له دروسا خاصة يستعد بها لدخول القسم الطبي من المدرسة الكلية الأمريكية الشهيرة ببيروت ، وبعد تحصيل قليل أدى الامتحان ودخل المدرسة فكان يتعلم فنون الصيدلة ويؤدي بعض الخدمة لأجل المعاش ، ولكنه ترك المدرسة في أثناء السنة الثانية لما كان عرض فيها من الاخلال الداخلي المعروف . وقصد بعد ذلك الديار المصرية ليتم دروسه في مدرسة القصر العيني فلم يتبح له ذلك ، بل دخل في طور العمل والكسب

ان كثيرا من النابضين لم يقيموا في المدارس زمنا طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الإقامة في المدارس تصنف ملكة الاستقلال ، فيخرج الطالب بعده مقادا جامدا على ما أطلال درسه ومزاويلته . فان كانت سعة العلم لا تحصل الا في الوقت الواسع ، فالواجب ان يكون أطول زمن التحصيل خارج المدرسة لا داخلها ، وفي أثناء العمل بالعلم ، لا في أثناء تلقي نظرياته ومصطلحاته . ورب ذكي أو مجتهد يحصل من مسائل العلم في سنة ما لا يحصله غيره في سنين كثيرة . وما تحصيل المدرسة الا دلالة على طريق العمل بالعلم ، فن يطلب العلم فيها لأجل الاستعانة به على العمل بعد الخروج منها ، فرعا يكفيه القليل من العلم ، فيجعله أهلا للعمل الذي لا يكمل العلم الا به . واما من يطلب العلم لأجل نيل شهادة مدرسية فيحصل بها الى رزق لا يتوقف على دوام الاشتغال به والارتقاء فيه ، فهجرته الى ماهاجر اليه ، فهو يحصل ورقة الشهادة ، ولكنه قلما يكون مائلا عاملا بطله مرتقا فيه . وناهيك اذا كان طلبه للعلم بارادة ولي أمره ، لا بارادته الذاتية ورغبته .

أما قهيدنا اليوم فقد كانت نفسه العصبامية هي الحافزة لهمة والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا وجاها يكون به في مقدمة امته لا في ساقها . ولذلك حصل بجدته وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما يمكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا ، وأوسع في العلوم والفنون عرفانا . وأما اذا اتفق لمثل صاحب هذه الهمة والارادة تحصيل المقدمات تامة من أول النشأة ، فان عمله يكون أقوم ، وسيره فيه يكون اسرع وأتم .

اشتغل القهيد عقب هجرته الى مصر بالتحريير في جريدة يومية اسمها الزمان نحو من سنة ، ثم سافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان مترجما في قلم الخبائرات ، وشهد بعض وقائع الحرب في السودان ، ومكث هناك عشرة أشهر ، ثم عاد وسافر الى سورية فاشتغل فيها مدة بدراسة اللغتين المبرانية والسريانية . ثم الى بلاد الانكلز . ثم عاد الى مصر فندبه أصحاب المقطف الى مساعدتهم في ادارته فحولاها سنة واشهرا ، ثم استقال منها وانصرف بكل همته الى التأليف فألف تاريخ الماسونية ومختصر التاريخ العام وتاريخ مصر الحديث . ثم تولى ادارة

التعلم بالمدرسة العبيدية سنتين

وفي أواخر سنة ١٨٩٢ ميلادية أنشأ مجلة الهلال ، وجعل جل عنايته فيها بالتاريخ والأخبار العلمية ، وجعل لها ذيلا من القصص (الروايات) الغرامية المزوجة بتاريخ الإسلام ، فظهر من خطته فيما ينشئ وينقل أنه من أقدر من اشتمل بالصحف العربية والتأليف في هذا العصر ، أو أقدرهم على جذب جمهور القراء الى ما يكتب ، بمحاولة جعل ما يكتبه لذيذا سهل الفهم ، كالطعام اللذيذ سهل الهضم ، وكان يختار في كل وقت ما يناسبه ، وفي كل حال ما يلائمه ، فإذا أملت ملمة ، أو حدثت حادثة مهمة - كالحروب ومشاكل الدول وموت الملوك والكبراء - بادر الى كتابة ما يتعلق بذلك من مباحث التاريخ القديم والحديث ، مزينا له بما يتعلق به من الصور والرسوم .

وكان سلما نزيه القلم ، يتقى كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والأحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، فقد اتهمه بعض الاولين بتعمد الظن في الإسلام بغيره بفتورها ، أو دسيسة يدسها ، وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو تصوير بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في التأييد . وطالما رددت على بعضهم ميراثا له من سوء التصيد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشارت الى ذلك في المنار غير مرة .

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : اتهموه بمصانعة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الإسلام والمسلمين تهربا اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من السنة الناس أحد ، كيف وقد كفروا بالواحد الآخر ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

نعم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة ، تقدمتها نزعة عدت احياء لمذهب الشموية : ذلك بأنه زار الأستانة ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم عاد متشعبا بالنهضة التركية ، مستنكرا مجازاة العرب لآخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية ، مستصوبا خطة الاتحاديين الاولى من ترك العنصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة ، فهاج ما كتبه جماعات قتيان العرب في الأستانة وسورية ، وكادوا يحملون عليه في الصحف ردا واحتجاجا ، ولكن حالت دون ذلك معارضة مسموعة مقبولة

وأما النزعة التي سبقت هذه النزعة ، فهي مطاعن للتقييد في الغرب أو دعها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها . وزادهم التفانا اليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره فيها بالتابع . فتشاور كثير من

الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . ثم اتفق أن انبرى للرد عليه في هذه المسألة الأستاذ الشهير الشيخ شبلي النعماني من أشهر علماء الهند وأوسعهم اطلاعا في التاريخ . وكتب إلينا هذا الأستاذ الكبير وهو صديقنا وصديق فقيدنا المردود عليه نجبرنا بما شرع فيه من الرد ، ويقترح علينا أن ننشر رده في المنار ، ولما كنا نهتم من الفقيد تلتق الانتقاد عليه بسمة الصبر ، بل عهدنا منه مطالبة الكتاب بهذا الانتقاد . ونعلم ان الأستاذ الشيخ شبلي النعماني صديقه - ونرى ان تمحيص هذه المسألة اصبح ضروريا - بادرننا الى نشر الرد من غير أن نقرأه ، بل نشر في أثناء رحلتنا الهندية ، ثم قرأناه بعد عودتنا من الهند وعمان والعراق وسورية فأيناه فوق ما كنا نظن من شدة الرد ، ورمي الفقيد بسوء القصد . وكنا علمنا من المتقدم عند لقائه في الهند أنه كان يرى بعض الغلط في تاريخ القديس الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطأ أو سوء الفهم ، ولكنه لما قرأ مجموع طعنه في العرب جزم بأنه صادر عن سوء قصد . فهذا سبب شدة حملته عليه ، على ما كان من موادته له . وقد كتبنا مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي اذ طبع على حدته بينا فيها ذلك ، واننا لو اطلعنا على ما فيه من الشدة قبل نشره ، لراجعنا الكاتب فيه واستأذناه بحذف الطعن الشخصي منه ، وقد نشرنا تلك المقدمة في المنار تعريفا لدفاعنا السابق بالقلم واللسان ، عن رجل عددناه صديقا لنا ، وعضوا نافعا في أمتنا ، على اننا لم نسلم مع ذلك من سوء ظنه فينا :

ثقلت وطأة رد الشيخ شبلي النعماني على الفقيد لشدة ، ولأنه كان يمدد من أصدقائه ، واثني عليه غير مرة في هلاله ، فلم يصدق أولانا انه هو المتقدم ، واتهمنا بذلك ، وكتب الى الشيخ شبلي كتابا ذكر فيه ذلك ، راجيا ان يكتب اليه متصلا منه ليبين ذلك في الهلال ، ويظهر ان النقد لصاحب المنار ! وقد اطلعتني الأستاذ الشيخ شبلي على كتابه ذلك في ( لسكرتير ) أيام كنت فيها ، ورأيت متعجبا منه ، فكان عجب أشد من عجبه . وقد ذكرت للفقيد ذلك معاتباً ، فكان حتى عليه في سوء ظنه بي ، أكبر من حقه علي في نشر النقد - وقد نشر في غيبي . وقد اتفق لي مثل هذا مع كاتب سوري آخر ، كانت حقوق الصحبة بيني وبينه أقوى منها بيني وبين جرجي بك زيدان ، وكنت أثني عليه للاستاذ الامام واستميله لمساعدته ، فكتب الى الاستاذ كتابا يطعن بي فيه ، ويتهمني بتفجير الاستاذ عنه ، والظن فيه عنده ، فتعجب الاستاذ من أمري وأمره !!

أما مؤلفاته فهي مطبوعة مشهورة وهاك أسماؤها :

١ التاريخ العام

٢ تاريخ مصر الحديث - جزآن

- ٣ « التمدن الاسلامي . خمسة أجزاء  
 ٤ « الغرب قبل الاسلام . جزء واحد  
 ٥ « الماسونية العام  
 ٦ « اليونان والرومان » صغير  
 ٧ « انكلترا » لم نره  
 ٨ « اللغة العربية  
 ٩ « آداب اللغة العربية - ٤ أجزاء  
 ١٠ الفلسفة اللغوية . جزء صغير  
 ١١ انساب العرب القدماء  
 ١٢ علم الفراسة الحديث  
 ١٣ طبقات الامم  
 ١٤ عجائب الخلق »

( ١٥ - ٣٦ قصص ( روايات ) منها ١٨ قصة تتعلق بتاريخ الاسلام وثلاث

تتعلق بتاريخ مصر ، وواحدة غرامية محضه .

وأما أخلاقه وشمائله فقد كان أديب النفس ، نزيه اللسان والقلم ، بشوش الوجه  
 ممتصيا بحبوة الجد ، متزها عن اللغو والمبث ، محبا للنظام ، حفيا بالأهل ، وصولا  
 للرحم ، محبا للقريب

ورأى فيه أن عقله كان اكبر من علمه ، ومن فضل عقله على علمه حسن  
 اختيار ما كان يكتب ، وحسن ترتيبه وتبويبه ، فقد كان في هذا وهو من ممرات العقل  
 أبرع منه في تحرير المباحث وتنقيحها ، وتخصيص الحقائق بالقول الفصل فيها ، وسبب  
 ما انتقد وما ينتقد من الغلط على كتبه بحق ، هو أنه كان يقدم على الكتابة في مباحث  
 لم تسبق له دراستها ، معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان  
 يكتب المقالة في يوم أو ايام أو ساعة أو ساعات ، لاجل أن تنشر في مجلة شهرية ،  
 ويؤلف الكتاب في عدة أشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ،  
 قلما يستطيع أن يجمع بين المواد وتنسيقها وترتيبها ، وبين تخصيص الحقائق فيها  
 وتحريرها . ولعمر الانصاف انه ليقول من يستطيع كتابة تلك الكتب في مثل  
 الزمن الذي كتبها فيها مصنفها ، وهل يوجد في أمتنا كثير من أمثال من فقدته اليوم ؟  
 وقد ترك للامة ما يميزها عنه - تلك المصنفات الجامعة بين الفائدة واللذة ،  
 ونجله النجيب أميل زيدان الذي أحسن تعليمه وتربيته . وقد رأى قراء الهلال  
 من آثار قلمه فيه ، ما يبشر باستمرار بزوغه عليهم ما داموا مقبلين عليه هوازين له ،  
 وو لا غرو ان يحذو القتي حذو والده ،

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولي الألباب

الملك  
١٣١٥

يؤمر عبادي الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولي الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر سلخ رمضان ١٣٣٢ هـ ق ١ الصيف الثالث ١٢٩٢ هـ ش ٢٣ أغسطس ١٩١٤



# فَتَكُنَّ الْمَبْنُوتَاتِ

استعملنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع طامة الناس ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وجملة ( وظيفته ) وله بهد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج فالباور بما قدمنا من سبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وورعنا اجينا غير مشترك لمثل هذا ، ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافخاله

تفسير له ( معقبات من بين يديه ومن خلفه ) ﴿

( س ٢٠ ) من صاحب الامضاء في بركة السبع ( مصر )

فضيلة الاستاذ ! السلام عليكم ورحمة الله

لي الشرف الرفيع والقدح المغلى بمثل مسطورى بين يديكم ، وانى وان لم احظ من الاستاذ بالمعرفة الشخصية فقد عرفني به آدابه الجملة ، وهداني اليه منار علمه العزيز ، ومشكاة فضيله العميم ، ولا غرو بعد اذا رفعت هذا اليكم مستفتيا عن الآتي :  
جا ، في كتاب « الاسلام دين الفطرة » الاستاذ المفضل « الشيخ عبد العزيز شاويش » تنديد على بعض مفسري الزمن الغابر

نرى فضيلته قد ذهب مذهبا غير الذي ذهب اليه المفسرون كالجلايين والنسفي وغيرهما . وقد جاء في كلامه المنشور على « ص ٣٣ و ٣٤ » من الكتاب المشار اليه في تفسير الآية التالية ما لا يتفق مع السابقين :

« عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال \* سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار \* له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » الآية . فسر الأوائل المعقبات بالملائكة تعقب على العبد ليل نهار ، ورووا في ذلك حديثا عن كنانة العدوي قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله فقال اخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ قال « ملك على يمينك على حسناتك وهو امين على الذي على الشمال . . . . وملك من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ) وملك قابض على ناصيتك

فاذا تواضعت لله رفعتك ، واذا تجبرت على الله قصصك ، وملكك على شفقتك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام ، وملكك على فيك لا يدع الحية تدخل اليه . وملكك على يمينك . فهو لاء عشرة املاك على كل آدمي ينزلون وملائكة النهار فهو لاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل « اه وفسر الشيخ شاوئش المستخفي بالليل والسارب بالنهار فقال انهما المتخذان لها وحرسا وجلالوزة الخ وهنا يتضح من سياق كلامه أنه جحد وجود ملائكة تحفظ الصمد وصفوة القول اني حيال هذه التفاسير المتضاربة وتلك الآراء المتباينة كرىشة

في مهب الرياح

بيد أن تثقي بكم واعتمادي على علو كعبكم في العلوم الدينية سيدنيان مني الغرض ويقصيان عني الريب

وها أنا ( ذا ) على أحر من الجمر ، حتى يرد على القول الفصل ، وما هو شفاء للصدور . ورجائي أن تشمل الاجابة الاسئلة الآتية :

- (١) أي الطرفين أصاب وما وجه أصابته وأيهما الجدير بالاتباع ؟
- (٢) لم لا يعود الضمير في قوله تعالى « له معقبات » على من ذكر اسم الله كقول المفسرين ولم لا أثر لذلك في الآية أصلا كراي فضيلة الشيخ شاوئش ؟
- (٣) ماهو تفكيك نظام الآية الذي جاء به المفسرون وكيف قطعوا الحال من صاحبها وفرقوا بين الاجزاء التي تتألف منها ؟

(٤) كذب الشيخ شاوئش الحديث ، وبأي وجه يحتمل تكذيبه له مع أن راويه البخاري وهو كما تعلم من رؤوس الرواة وأصحابها سندا ؟ المخلص

محمد السيد الجارحي

(ج) اختلف مفسرو السلف في المعقبات هنا فأخذ الشيخ عبد العزيز شاوئش بما أعجبه وشنع على من قالوا بغيره ، وما كان ينبغي له ذلك - وقد ذكر الحديث المرفوع فيه - واننا لم نطلع على ما كتبه ويظهر مما كتبه السائل انه رد الحديث من غير أن يبني رده على علته فيه وطعن في سنده ، وأن عبارته توهم أن ما اعتمده في تفسير المعقبات ، مما استنبطته قريحته الوقادة وكان دليلا على تفضيل الأواخر على

الأوائل ! وقد عهدنا منه في مجلته ردّ الأحاديث الصحيحة المتفق عليها إذا لم يعجبه معناها . وحديث كنانة المدوي في تفسير المعقبات ليس في الصحيحين ، وقد عزاه في الدر المنثور الى ابن جرير ، وخرجه ابن جرير في تفسيره بسند ضعيف قال « حدثني المثنى قال حدثنا عبد السلام بن صالح القشيري قال ثعالي بن حرب عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة المدوي » وذكره . وعبد السلام بن صالح اختلفوا فيه فقالوا انه يروى المناكير واتهمه بعضهم بالوضع ، ولكن انكر الحافظ قول العقيلي فيه انه كذاب . وفي غيره من رجال السند مقال لا محل لبسطه . ولو صح هذا السند عند ابن جرير لما رجح عليه غيره . وقد روى عن ابن عباس انه قال في تفسير المعقبات : يعني ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه الخ كذا في الدر المنثور . وفي تفسيره بسنده عنه قال : ذكر ملكا من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس . وفي رواية أخرى له عنه قال : يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس . وروى أيضا عن عكرمة انه قال في اصحاب المعقبات : هو هؤلاء الامراء . وقال في رواية أخرى انه قال في المعقبات : المواقب من بين يديه ومن خلفه . قال ابن جرير بعد ما روى القولين في المعقبات عن ابن عباس وعن غيره :

« وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال : الهاء في قوله (له معقبات) [ راجع الى ] من التي في قوله (ومن هو مستخف بالليل) وان المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلاوزته — كما قال ذلك من ذكرنا قوله . وانما قلنا ان ذلك أولى التأويلين بالصواب لأن قوله (له معقبات) أقرب إلى قوله (ومن هو مستخف بالليل) منه الى قوله (عالم الغيب) فهي اقربها منه أولى بأن تكون من ذكره « فيها » وان يكون المعنى بذلك ، هذا مع دلالة قول الله (واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له) على انهم هم المعنيون بذلك : وذلك انه جل ثناؤه ذكر قوما أهل ممصية له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون من عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته ان يحولوا

(المنار - ج ٩) (٨٣) (المجلد السابع عشر)

بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءا لم ينفعهم حرسهم ولا يدفعهم عنهم حفظهم « اه ماقاله وهو الذي نختاره  
 أما حديث أبي هريرة في الصحيحين والنسائي فهذا نصه « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . ثم يرحل  
 الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؛ فيقولون : تركناهم  
 وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » ورواه البزار بلفظ « ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم -  
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » الخ . فانت ترى انه لم يرد تفسيراً للآية

ولا أدري أ كذب عبد العزيز شاو يش هذا الحديث وأنكر أن يكون في  
 الملائكة حفظة يتعاقبون في المكلفين ؛ أم أنكر أن يكون ذلك هو المراد من  
 الآية ؛ ظاهر عبارة السؤال الأول ، ولا يعد ذلك على هذا الرجل فقد عهد منه  
 مثله ، ولا عبرة بقوله ، فلا هو من أهل العلم بالحديث رواية ولا دراية ، ولا يغير  
 الحديث من علوم الدين ، ولكن له مشاركة في الفنون العربية وبعض العلوم  
 المصرية ، فنصدي بذلك التشبه بالمصلحين ، الذين يجمعون بين الدين والعقل ،  
 فتجراً على رد الاحاديث الصحيحة بنير علم . وقوله هو المردود ، وحديث الرسول  
 (ص) هو المقبول . ولعل ما ذكرناه يعني عن بقية مباحث السؤال اللفظية غير الواضحة

### ( السبي والرق في التوراة والانجيل )

(س ٢١) من صاحب الامضاء في البكويت

حضرة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر

نرجو من فضلكم تبين حكم السبي في الشرائع القديمة هل هو مشروع فيها  
 أم لا ؛ وهل له ذكر في هذه الاناجيل وهذه التوراة الموجودة في أيدي الناس اليوم  
 إثباتاً أو نفياً أم لا ؛ وما هو أحسن جواب للمعترضين به على الدين الاسلامي  
 يدعوى انه من المحمية أو انه ينافي الانسانية أو ما أشبه ذلك من العبارات

وكيل المنار

سليمان المدساني

(ج) يؤخذ من أسفار العهد القديم التي يسمونها التوراة ان السبي والرق كان مشروعا على عهد الانبياء السابقين ابراهيم (ص) فمن بعده (راجع سفر التكوين ١٤: ١٤) وان شريعة موسى تقضي بأن يتأصل الاسرائيلون الامم التي يطلبونها في الارض المقدسة التي أعطوها فلا يبقوا من أهلها صغيرا ولا كبيرا ، وان يسبوا من غلبهم في غير تلك الارض . وللسبايا والعبيد والاماء من العبرانيين وغيرهم أحكام متفرقة في سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر التثنية . ومنها انه شرع لهم تحرير العبراني دون الغريب ، وكذلك يجب الرقي بالبراني منهم دون غيره ومن نصوص سفر اللاويين في ذلك ما جاء في الفصل الخامس عشر منه وهو مما ذكره من كلام الرب لموسى بعد توصية الاسرائيلي بأخيه اذا بيع له لفقره قال « ٤٤ وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم - منهم تقتنون عبيدا وإماء ٥٥ وأيضاً من المستوطنين النازلين عنكم ، منهم تقتنون ومن عشائركم الذين عندهم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكاً لكم ٦٦ وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم الى الدهر . وأما اخوتكم بنو اسرائيل فلا يتسلط عليهم أحد بعنف »

والظاهر من هذه العبارة انه لا يجوز عتق العبد الغريب عندهم ، واما العبراني فيعتق سنة اليوبيل عندهم الا اذا احب هو ان يبقى رقيقا ، فعند ذلك تنقب اذنه ويبقى عبدا الى الأبد ، وكان لاستعباد العبراني عندهم ثلاثة أسباب : الفتر ، والسرقه اذا لم يجد السارق قيمة المسروق ، وبيع الوالد بنته لتكون سرية ، فاذا تم للصهيونيين ما يريدون من امتلاك فلسطين واقاموا شريعتهم فيها فاتهم يستأصلون أهلها ويستعبدون جميع من يقدر على استعباده من جيرانهم الى الأبد . ولا يرضون ان يكون لأحد معهم حق ولا ملك ، دع الملك الذي صرح سفر التثنية فيه بأنه لا يحل للاسرائيلي ان يجعل عليه ، لكا اجنابيا ليس هو اخاه (راجع ١٧ : ١٤ و ١٥)

وفي الفصل العشرين من سفر التثنية ما نصه « ١٥ حين تترب من مدينة لكي يحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان اجابتك الى الصلح وفتح لك فكل الشعب

الموجود فيها يكون لك للتسخير والسبي ويستبدلك ١٢ وان لم تسالك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب اهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيتها فغنمها لنفسك وكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب اهلك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هولاء الامم هنا ، واما مدن هولاء الشعوب التي يطيقك الرب اهلك فلا تستبق منها نسمة ما »

تأملوا تأملوا أيها المنصفون ما أشد ظلم الذين ينتقدون الاسلام وهم يدعون الايمان بالتوراة ! فالقرآن يأمر المسلمين اذا آمنوا في مقاتلتهم ، وظهرت لهم العلة عليهم ، ان يكفوا عن القتل ، ويكتفوا بالاسر ، ثم شرع لهم في الاسرى ان يمنوا عليهم بالعتق فضلا وإحسانا ، أو يفادوهم ان احتاجوا الى ذلك ، كما قال (٤٧ : ٤) - حتى اذا أئتمنتمهم فشدوا الوثاق فإما منا بمدة وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) واذا تزوج الاسرائيلي امرأة من السبايا يشرع له ان يكرمها لاذلاله لها . كما في الفصل الحادي والعشرون من سفر التثنية ، وهذا التكريم هو ان يتركها لنفسها اذا لم يسر بها ولا يبيعها ولا يسرقها .

أما الانجيل فقد أقر الاسرائيليين على الرق كما أقر الرومانيين ولم يأمر السادة بالعتق ولا بالرفق ، بل أوصى العبيد بالخضوع والطاعة بغير شرط ولا قيد . ومن وصايا بطرس في رسالته الاولى « أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هية للسادة ليس للصالحين المرعفين فقط بل للضفاء أيضا » الخ ومن وصايا بولس في رسالته الى أهل أفسس « ٦ : ٥ أيها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف وورعة في بساطة قلوبكم للمسيح » وفي رسالته الى أهل كولوسي « ٣ : ٢٢ أيها العبيد اطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد »

وقد شرحنا في عدة مجلدات من المنار عدل الاسلام ورحمته وحكمته في تخفيف وطأة الرق التي كانت عند جميع الامم وللعلل وتمهيد السبيل الى تحريره ، فهو لم يوجب الاسترقاق كما كان يوجب بعض الملل ، ولكنه أباحه لأن المصلحة قد تقتضيه حتى لمصلحة السبايا ، إذ كانت طبيعة العبران ولا تزال في بعض البلاد على غير

ماهي عليه الآن في ممالك الحضارة . فاذا قتل رجال قبيلة وبقي نساؤهم وأطفالهم ما كانوا يجدون من يكفلهم وينفق عليهم ، ففي مثل هذه الحال قد يكون الاسترقاق خيرا لهم ، اذا كان كاسترقاق الاسلام يهدي الى اطعام الارقاء ، مما يأكل منه السادة ويلباسهم كما يلبسون ، وعدم تكليفهم مالا يطيقون ، وعدم اهانتهم حتى بالتعبير عنهم بلقب العبد والامة . وناهيك بما شرعه من الاسباب الموجبة لإعتاقهم . وقد فصلنا ذلك في مواضع من مجلدات المنار كما قلنا آنفا فراجع الفهارس تجد ذلك مفصلا ، وتجد حجة الاسلام قائمة على جميع الخلق ولا سيما اليهود والنصارى منهم

## أقوال علماء القرن الثالث الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

لما ظهرت بدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل وتأويل ماورد منها في الكتاب والسنة هب حفظة الدين وحملته من التابعين ومن بعدهم للرد عليهم ، وتفنيد تأويلاتهم ، والاستمسك بعروة النقل ، حذرا من تحريفها بنظريات العقل ، التي نخدع بها بعض القاصرين ، توها انها من قطعيات البراهين ، واننا ننقل من كتاب العلولانذهبي (الذي يطبع في مطبعة المنار) بعض أقوال الأئمة المتبوعين ، الذين يجبل أقوالهم من مجلهم من المعاصرين . ولكن الذهبي ينقل في هذا الكتاب ما صح وما لم يصح ، ويشير الى ضعف الرواية الضعيفة أو نكارتها غالبا ، على ان من غلاة الأريين من يقبل كل ماروي في ذلك . قال :

﴿طبقة الشافعي واحمد رضي الله عنهما﴾

روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي باسنادهم الى أبي ثور وأبي شبيب ، كلاهما عن الامام محمد بن ادريس الشافعي ناصر الحديث رحمه الله قل: القول في السنة التي انا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما - اقزار بشهادة ان لا إله

الا لله، وأن محمدا رسول الله، وإن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء. وذكر سائر الاعتقاد. وبإسناد لا يعرفه عن الحسين بن هشام البلدي قال: هذه وصية الشافعي - أنه يشهد أن لا إله إلا الله - فذكر الوصية بطولها وفيها: القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة عيانا، ويسمونه كلامه، وأنه تعالى فوق العرش. إسنادهما واه.

قال الحاكم سمعت الأصم يقول، سمعت الربيع، سمعت الشافعي وقد روى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: إذا رويت حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب

«(ابن خزيمة وعدة)»

سمعت يونس يقول قال الشافعي: لا يقال للأصل لم ولا كيف. أبو ثور وغيره: قالوا سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فافلح. وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: المرء في الدين يقسي القلب، ويورث الضغائن. وعن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول: لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردها. قال ابن أبي حاتم سمعت الربيع بن سليمان، يقول سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنت فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفاء والمروة فليس عليه كفارة لأنها مخلوقة

(قلت) تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله، وكان شديد الاتباع للأثر في الأصول والفروع - مات في رجب سنة أربع ومائتين بمصر



كفلا ، عاش أربعاً وخمسين سنة

\*( القمبي ذلك الامام ) \*

قال بنان بن أحمد : كنا عند القمبي رحمه الله فسمع رجلاً من الجهمية يقول ( الرحمن على العرش استوى ) فقال القمبي : من لا يوقن ان الرحمن على العرش استوى كما يقرب في قلوب العامة فهو جهلي . اخرجها عبد العزيز القحيطي في تصانيفه . والمراد بالامة عامة أهل العلم ، كما بيناه في ترجمة يزيد بن هارون امام أهل واسط . ولقد كان القمبي من أئمة الهدى ، حتى لقد تعالى فيه بعض الحفاظ وفضله على مالك الامام . توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة ، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً

\*( عفان احد اعلام السنة ) \*

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكرياء بن عيسى حدثني يحيى بن أبي بكر السمسار ، سمعت عفان بن مسلم بعد ما جاء من دار اسحاق بن ابراهيم لما امتحنه في القرآن فقال : له كتب الي ان ادرك أرزاقك ان اجبت الي خلق القرآن . فقلت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ( يريدون ان يدلوا بكلام الله - لا إله الا هو الحي القيوم - قل هو الله احد ) أخلق هذا ؟ ادركت شعبة وحماد بن سامة وأصحاب الحسن يقولون : القرآن كلام الله ليس مخلوقاً . قال : اذا يقطع أرزاقك . قلت : ( وفي السماء رزقكم وما توعدون ) قيل كان رزقه في الشهر ألف درهم فترك ذلك لله عز وجل . توفي سنة تسع عشرة ومائتين

«(عاصم بن علي شيخ البخاري)»

روينا عن عاصم بن علي بن عاصم الواسطي قال : ناظرت جها فتين من كلامه أنه لا يؤمن ان في السماء ربا . قلت : كان عاصم حافظاً من أوعية العلم صادقاً ، حمل عن شعبة وابن أبي ذئب وخلق . ذكر الخطيب في ترجمته ان المتصم وجه من يحرر مجلس عاصم هنذا في رحبة جامع الرصافة ، وكان يجلس على سطح الرحبة ويجلس اذيق في الرحبة وما يليها ، فمظم الجمع مرة حتى قال أربع عشر مرة « ثنا ايث بن سعد » والناس لا يسمون اكثرتهم . وكان المستلي هارون يركب نخلة يستلي عليها ، فحزروا الجهم فكان ثشرين ومائة الف . وقال يحيى ابن معين : عاصم بن علي سيد المسلمين . مات مع القمي في سنة (أي سنة ٢٢١)

﴿الحيدري﴾

أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن المدل أنبا عبد الله بن أحمد الفقيه سنة سبع عشرة وستمائة أنبا سعد الله بن نصر أنبا أبو منصور الخياط أنبا عبد الغفار بن محمد أنبا أبو علي الصواف أنبا بشر بن موسى الحيدري قال : أصول السنة عندنا ... فذكر أشياء ، ثم قال : وما نصق به القرآن والحديث . مثل (وقالت اليهود يد الله مفلولة غنت أيديهم) ومثل قوله (والسماوات مطويات بيمينه) وما أشبه هذا من قرآن والحديث : لأنريد فيه ولا نفسره ، ونقف على ما وقف عليه القرآن والنسنة ، ونقول (الرحمن على العرش استوى) ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي .

كان العلامة أبو بكر عبد الله بن الزبير القرشي الاسدي الحيدري

(المنار - ج ٩ م ١٧) كلام يحيى النيسابوري وهشام الرازي في الاستواء ٦٦٥

مفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة، حدث عنه البخاري والكبار . مات سنة تسع عشرة ومائتين

﴿ عالم المشرق يحيى بن يحيى النيسابوري ﴾

قال ابن منده : أنبأ محمد بن يعقوب الشيباني ثنا محمد بن عمرو بن النصر ثنا يحيى بن يحيى قال : كنت عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ! (الرحمن على المرش استوى) فأطرق ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . قال ابن أبي حاتم سمعت مسلم بن الحجاج : سمعت يحيى بن يحيى يقول : من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية منه مخلوقة فهو كافر . كان يحيى بن يحيى إليه المنتهى في الاتقان والورع والجلالة بنيسابور ، قلَّ أن ترى العيون مثله . حلَّ عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار ، ومات سنة ست وعشرين ومائتين

﴿ عالم الري هشام بن عبيد الله الرازي ﴾

قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي يقول : سمعت هشام بن عبيد الله الرازي - وجلس رجلا في التجهم فجيء به إليه ليمتنعه - فقال له : أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه ؟ فقال : لا أدري ما بائن من خلقه - فقال ردوه فإنه لم يتب بعد .

كان هشام بن عبد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة ، تفقه على محمد بن الحسن ، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده ، توفي سنة

أحدى وعشرين ومائتين

ابن أبي حاتم : حدثنا أبو هرون محمد بن خلف الجزار : سمعت هشام ابن عبيد الله يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . قال له رجل : أليس الله تعالى يقول ( ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ) ؟ فقال محدث الينا وليس عند الله بمحدث . قلت لانه من علمه وعلمه قديم فلم يعباده منه . قال تعالى ( الرحمن علم القرآن ) فالمقري يلحق الختمه مائة نفس ومائتين فيحفظونه وهو لا ينفصل عنه منه شيء ، كسراج أوقدت منه سرجاً ولم يتغير

﴿ فيه المدينة عبد الملك بن الماجشون ﴾

قال ابن أبي حاتم : ثنا يحيى بن زكريا بن عيسى ثنا هرون بن موسى القروي قال : ما سمعت الكلام في القرآن الا سنة تسع ومائتين - جاء نقر الى عبد الملك بن الماجشون وكلموه فانكر ذلك عندهم ، فكان في بعض ما كلمهم به أن قال ( قل هو الله أحد ) أهذا مخلوق ؟ ثم قال : لو أخذت بشرا المرسي لضربت عنقه .

كان عبد الملك من أجل " تلامذة مالك ، وكان اوه عبد العزيز بن الماجشون يفتي مع مالك في دولة المهدي ، توفي عبد الملك في سنة أربع عشرة ومائتين

(المنار) سنن طائفة أخرى من نقول هذا الكتاب ، ونين ان مذهب السلف هو الموافق للعتل السليم دون مذهب الجهمية .

## الطامة الصغرى أو الحرب الكبرى

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ سِيعًا وَيُذِيقَ بَمَضِّكُمْ بِأْسَ بَئْسِ بَعْضٍ .  
أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرْتُ لَكُمْ الْأَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَنْقَهُونَ (سورة الانعام ٦ : ٦٦)

« ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ، وانه ليعنى أن رآه اعترز واستغنى ،  
وان مدّ الطغيان لآلى جزر ، وان غناه لآلى فقر ، وان البغي مصرعه وخيم ، وان  
علو الجبارين لآلى هبوط ذميم

كانت المسألة الشرقية فزاعة أوربة اذا فزعت من سوء العواقب ، ومشامتها  
اذا تطيرت من امارات النوائب ، وكانت ترى ان مشكلتها أعقد من ذنب الضب ،  
وأن حلها أعسر من تريع الدائرة ، وقد أنذرها داهية ساستها ، (البرنس بيسارك)  
بأن شرارة واحدة من نار حرب بلقانية تكفي لإحراق ممالك أوربة كلها ، ولكنهم  
تأروا بالندر ، وغرهم ما كانوا يسمونه التوازن الأوربي بين وفاق مثلث وحلاف  
مثلث . وألفت دولة الروسية بين المختلفين من الدول البلقانية ، فجعلت البلقان واليونان  
والصرب والجبل الأسود إلبا واحدا على الدولة العثمانية . بعد أن أغارت ايطالية على  
مملكة كبيرة من ممالكها وهي طرابلس الغرب وبرقة .

ثم سمحت الدول الكبرى كلها للبلقانيين بقتال الدولة العثمانية ، ولكنهم  
صرحن بأنهم لا يسمحون بتغيير ما في خريته البلقان ، لأن التنازع على تلك الارض  
مثار البغي والعدوان ، فاشتعلت نيران الحرب ، وظهر البلقانيون فيها من القسوة  
والوحشية والفظائع والفواحش مالا مزيد عليه ، ولم ينبض في قلوب رجال الدول  
الكبرى عرق من عروق الرأفة والرحمة ، ولا احتج أحد منهم على تلك المذابح  
والفظائع بكلمة ، وانما كان همهم محصورا في حصر الحرب في البلقان ، ومنع شررها  
ان يصل الى ممالكهم الكبار

ثم شرع البلقانيون في قسمة ما استولوا عليه من البلاد العثمانية ، فسمحت لهم الدول بذلك متناسية وعددها بدم السباح . فوقع بينهم التنازع والتقاطع ، وحل الخلاف محل الخلاف ، ولم يرضهم ما حكم به في القسمة مؤتمر السفراء ، فأوقدوا نار القتال بينهم ، ونقضوا ما أبرمته الدول لهم . ثم دخلت رومانية في الأمر معهم ، وضربت من الغنيمة بسهم ، وكانت القسمة ضري ، غبن بها البلغار ، وكان القدرح المعلى لليونان ، واعتزت الصرب أي اعزاز . وكانت النمسة مسعر نار الفتنة بينهم ، لتأمن مغبة اعزاز الروسية بهم .

وقعت الواقعة ، وفتح باب المسألة الشرقية ، وسول الفرور للدول الكبرى عملها ، وظنت ان ساستها قدروا بداهتهم على حصر نيرانها في موقدها ، ومنع شررها ان يتعدى الى ماحولها ، وأن أوربة المملوءة من البارود والديناميت ، أمنت أن تصيبها الشرارة التي أنذرها بسمر ك فيعنها الحريق . ونسوا عدل الله انعام ، في جميع الأمم والأقوام ، وانه يعاقب المقر للشر كجترحه ، ويجزي الساعي بالخير كفاعله ، ( وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون )

غمر الصرب ما أوتيت من نصر ، وهن سعة في الملك ، ومن عود الصربيين العثمانيين اليها ، فطمعت في صرب النمسيين وفيما يسكنونه من البلاد أيضا ، فزادت جمعياتها السرية الساعية الى ذلك جرأة وإقداما ، حتى اغتال بعض الفدائيين منهم ولي عهد النمسة وقرينته ( في ٢٨ يونيو الماضي ) في مدينة ( بوسنه سراي ) عاصمة البوسنه عند زيارتهما لها . وقد ثبت لدى حكومة النمسة والمجر ان هذه الجناية كانت آر مكيدة دبرت في ( بلغراد ) عاصمة الصرب ، وان بعض الضباط وعمال الحكومة من الصربيين هم الذين اعطوا الجناة ما كان معهم من السلاح والقذائف النارية ، وكلهم من جمعية صربية ثورية . فأرسلت حكومة النمسة والمجر بلاغ تهديد وانذار لحكومة الصرب ، شتمل على ما يرهقها وينذلها

فما كلفتها اياه نصريحا أو ضمنا أن تعترف باشتراك بعض ضباطها وهوظفيها في جناية قتل ولي العهد وزوجه ، وتبرأ من عملهم وتصريح بالأسف لوقوعه — وان تنشر الاعتراف والبراءة في جريدتها الرسمية وجريدتها العسكرية ، — وان تبرأ من

أعمال الجمعيات الصربية المحرصة على عداوة النمسة - وان تحمل جمعية ( نارونا ) أو ( ابرانا ) - وان تضبط جميع المطبوعات الصربية المشتملة على التحريض على النمسة والتنفير منها لهذه الجمعية ولغيرها - وان تمرل جميع الضباط والمستخدمين الذين ثبت لدى حكومة النمسة تهمة تحريضهم على عداوتها - وان تعاقب الشركاء في جنابة اغتيال ولي العهد من الصربيين المقيمين في بلادهم ، ومنهم بعض الضباط والموظفين المعينين باسمهم - ومنها ان تحذف من كتب التعليم كل ما يعد دعوة الى معاداة النمسة ، وتمرل المعلمين الذين يثبون هذه الدعوة - ومنها ان تمنع تهريب السلاح والمواد المفرقة الى ما وراء الحدود - ومنها ان تقبل من تدبيرهم حكومة النمسة لمساعدة حكومة الصرب على تنفيذ هذه الاقتراحات

كتب إنذار النمسة في ٢٣ يوليو الماضي ، وكلفت الصرب ان تجيب عنه في مدة ٤٨ ساعة . أما الصرب فلم تقبل مطالب النمسة ، وبلغت الدول الانذار وطلبت منها التوسط في الأمر ، وأما الدول فقد اختلف رأيهن - فروسية عدت بلاغ النمسة وسيلة منها الى قتال الصرب وإذلالها ، وصرحت بأنها لا تسكت على ذلك ، وبادرت الى مذاكرة فرنسا وانكلترا ومطالبتهما بالاتحاد معهما على الحرب والقتال ، فأسرعت فرنسا الى وعدها بالقيام بجميع عهودها التي تفرضها عليها المحالفة . ولكن انكلترا ترددت في الأمر ، ولم تعد بالمساعدة على الحرب ، وطلعت تخاطب سفراءها بلسان البرق ، مجتهدة في رتق الفتق . وأما ألمانيا فقد أظهرت العطف على حليفها ، وارتأت وجوب حصر الخلاف بين النمسة والصرب دون سواهما ، حتى لا يتعدى لهيب النار الى أوربة كلها ، وتبادل عاهل الألمان وقصر الروس البرقيات في وجوب صيانة السلم في أوربة ، وصرح الأول للثاني بأن ذلك موقوف على عدم نصدي روسية للاستعداد للحرب . ولكن روسية بادرت الى تعبئة جيشها تعبئة عامة ، وبلغ ناظر خارجيتها سفيرا انكلترا ان عند حكومته براهين قاطعة على ان ألمانيا تستعد برا وبحرا لمهاجمتها . فروسية بدأت بالتعبئة جهرا ، متهمة ألمانيا بأنها تستعد سرا ، وأنها لا تدعها تسبقها في الاستعداد

والمبادر عما دار بين الدول في هذه المسألة أن ما كانوا يقولونه ويكتبونه كان

له ظهر وبطن ، والظاهر منه أن انكلترة وفرنسة كاتتا حربيتين على منع الحرب الأوربية، ولكن روسية وألمانية لم تدعا لمن طريقا يسلكانه لذلك . ففي ٢١ يوليو قر قرار الروسية على التبعة العامة رسميا ، وألمانية وفرنسة امرتا بذلك في أول أغسطس . وأعلنت ألمانية الحرب على روسية في ٢ منه بناء على اجتياز بعض الجنود الروسية للحدود ، وتنايحت<sup>(١)</sup> سائر الدول الكبرى على الحرب ماعدا إيطاليا فانها لزمته الحيات

نعم ان وراء الاسباب الرسمية للحرب أسبابا أخرى تقدمتها ترجع الى أصل واحد في السياسة ، وهو تعارض الدول الكبرى في المصالح والمنافع والسيادة والمظمة في الأرض ، فروسية ترمي الى ان تكون ذات السيادة العليا بضم عصبية الشعوب السلافية في البلقان والنمسة اليها ، والتوسل بذلك الى النفوذ من زقافي الآستانة (البوسفور والدرديبل) الى البحر الابيض المتوسط ، الذي هو بين أوربة وآسية وافريقية بمنزلة القلب من جسد الانسان .

وألمانية تود أن تكون ذات السيادة العليا في أوربة كلها بل في العالم كله ، بالجمع بين القوتين البرية والبحرية ، على أكل ما يصل اليه ارتقاء العلوم الطبيعية ، والفنون الآلية وكانت انكلترة قد سبقت الدول كلها بالقوة البحرية التي جعلت لها السيادة العليا في الاستعمار ، فهي ترى انه يجب عليها أن تحافظ على ما آتاه الله بحجدها وتديرها ، فكانت كلما رأت ألمانية أنشأت بارجة حربية تنشى بارجتين مثلها ، لانها إذا لم تفعل ذلك لاتبث أن تسلبها ألمانية ملكها

وأما فرنسة فهي على ما كان لها من السبق في الفنون والأعمال الحربية ، من برية وبحرية ، لم تكن هذا في العهد الذي عظمت فيه المباراة بين انكلترة وألمانية ، مجتهدة في الاستعداد للحرب الأوربية بحسب ما تخولها ثروتها ومعارفها ، بل اكتفت من المظمة بتوسيع مساحة مستعمراتها ، بالاستيلاء على ملكة المغرب الأقصى بعد إضعافها ، بإيقاع الفتن والحروب الداخلية فيها . وانصرفت الى التمتع بسعة الثروة ونعمة الحضارة ، واكتفت من اتقاء زحف ألمانية عليها بتحصين حدودها ، وبمخالفة

(١) التنايحت بالمثناة الصحفية بمعنى التنايحت بالموحدة إلا أنه خاص بالشر



روسية ثم مودة انكلترة لها ، فكانت تمدّ روسية بالقناطير المنقطرة من الذهب ؛  
وتغريها بما يوافق هواها من الاستعداد للحرب ، وتوخر صدرها ، وتستثير دفين  
حقدتها ، وتستخرج كمين ضمئها ، على النمسة وألمانية معا . وكان من سياستها أن  
تعطي روسية المال الذي تقضي الحال اتفاقه على الاستعداد الحربي لمباراة لألمانية —  
تستفيد بذلك فائدتين — استغلال المال بدلا من اضعافه في زيادة أهبة الحرب ،  
وإعداد جند غريب للدفاع عن فرنسة بدلا من تريض معظم شبابها للقتل ، مع  
مأميةت به من قلة النسل ، — ولكن انكلترة حملتها بعد الاتفاق معها على تعزيز  
قوتها البحرية ، كما حملت هي روسية على زيادة العناية بجميع المعدات الحربية .

بذلك كله أصبحت هذه الدول المريقة في العلم والصناعة ، والثروة والحضارة ،  
تفق مئات الملايين مما تمصه من ثروة البشر وثمرات كسبهم . على الاستعداد لإراقة  
دمائهم ، وتدمير حضارتهم ، وكلها مشتركة في هذا الوزر الكبير ، ومصرة على هذا  
الحث العظيم ، الذي لا باعث له الا الطمع في الكسب ، وحب العلو في الارض ،  
وان كانت تموجه بدعوى تأييد السلم بالاستعداد للحرب ؛ وعدم استعمال هذا السلاح  
في غير التوحشين ، الذين تريد تهذيبهم بللدية والدين !!

وانما تراهم يمحسون ألمانية أو عاهلها غليوم الثاني بمزيد الألم ، ويرموه بتعمد  
اغراق أوربة في بحر من الدم ، لأن أمته قد صارت بسميه أشد ام الارض عناية  
بالفنون والاعمال العسكرية ، واستعدادا للحروب البرية والبحرية ، حتى اضطرت  
سائر الدول اضطارا لمجاراتها في ذلك ، فاذا كانت ألمانية لم ترض من الدول التي  
سبقها الى الاستعمار بمساواتهن لها في حرية التجارة والكسب في بلادهن  
ومستعمراتهن ، ولا بما بذتن به من الماء النسي في تجارتها وصناعتها فقامت تستعد  
لسلبهن ما في أيديهن ، أو الاستلاء عليهن ، — فكيف يرضين بأن يعرضن  
ملكهن للضياع والخضوع لقوة الشعب الجرمانى العسكرية القاهرة ؟

هذه حجة الامم الاوربية على ألمانية التي ارادت ان تعامل الدول التي جاراتها  
أو سبقها بالحضارة ، بمثل ما عاملن به الامم التي غلب عليها الجهل والبدائة ، وهي  
السيادة بقوة العلم والصناعة . على ان الجرائد المصرية الرئيسة كلقطم والاهرام قلت

٦٧٢ اندفاع امم أوروبا كلها للحرب وافساد العمران (المنار - ج ١ م ١٧)

لنا عن لندن وباريس وبتربسبرج ان جميع الشعوب تلقت نبأ اعلان الحرب بالسرور والابتهاج ، والاحتفاف في الشوارع والأسواق ، بل استثنوا الشعب الالمانى فرحموا أنه كاره للحرب ، مسوق اليها بتأثير العاهل غليوم الثاني والحزب العسكري . فان صبح قولهم هذا - وان بصبح - فهو فضيلة لهذا الشعب على سائر الشعوب الاوربية . ولكنهم ارادوا ان يهونوا امره ، ويبالغوا في ذم عاهله ، فمدحوه بغير قصد ، وسيرجون عن هذا المدح

حسبنا هذه الجملة الوجيزة من بيان أسباب هذه الحرب ومقدماتها ، ونضم المقال بعبارة المؤمنين بالله فيها ، فنقول ان هذه الحرب تربية من الله تعالى للبشر الذين بني اقويائهم على ضعفائهم ، ولم يشكروا نعم الله عليهم بتسخير الطبيعة لهم ، وعيكتهم بسعة العلم بسننه فيها ، من جميع أنواع الانتفاع بها ، بل كفروا هذه النعم بالبني في الأرض ، واستملاء بعضهم على بعض ، حتى انهم حقروا أخاهم الانسان الذي لم يصل الى درجتهم في العلم ، فجعلوه - وقد كرمه الله - أدنى منزلة من الحيوانات العجم ، فلو أنهم رأوا قطعا من الانعام أو أسرابا من الطير ، يفتك بعضها ببعض ، وتسرف في الظلم والمدوان ، كما فعل جيرانهم في البلقان ، لحالوا بينها ، ومنعوا من التماذي في ظلمها

أما وقد فعلوا ما فعلوا ، ورضوا بما رضوا ، وجعلوا جل همهم الاستعداد لسفك الدماء ودك صروح العمران - فلا بد أن ينتقم الله تعالى منهم لسكفرهم بنمته ، ويزلزل قواهم بما استعلوا وبنوا به على الضعفاء من خلقه ، وكذلك فعل - فقد جعل الآلات الحربية التي بها يتحكمون وبالأعليهم ، وهذا يا أيتهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ففتك بهم مناظيدهم وطياراتهم ، ويوارجهم وغواصاتهم ، وألغامهم وبنادقهم ومدافعهم ، وتفتي من جوعهم ، أكثر مما أفنوا من اخوانهم البشر بأيديهم ، أو بمساعدتهم وإقرارهم . وأذق بعضهم بأس بعض ، فجعل محالقاتهم واتفاقاتهم وبالأعليهم ، وسببا لتعميم الانتقام بهم . فصدق قول الله الذي صدرنا به الكلام عليهم . وسيصدق وعده أيضا بجعل العاقبة للمتقين ، الذين يحررون الشعوب المظلومة من استعباد الظالمين ، وإنما يرحم الله الراحمين ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

## الباب السابع\*

من كتاب الاعتصام

( في الابتداء : هل يدخل في الأمور العادية أم يختص بالأمور العبادية ؟ )

قد تقدم في حد البدعة ما يقتضي الخلاف فيه : هل يدخل في الأمور العبادية أم لا ؛ أما العبادية فلا اشكال في دخوله فيها ، وهي عامة الباب ؛ إذ الأمور العبادية إما أعمال قلبية وأمور اعتقادية ، وإما أعمال جوارح من قول أو فعل ، وكلا القسمين قد دخل فيه الابتداء كذهب القدرية والمرجئة ، والخوارج والمعتزلة ، وكذلك مذهب الإباحة واختراع العبادات على غير مثال سابق ولا أصل مرجوع إليه ؛

وأما العبادية فاقضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها ظاهرة مما تقدم في تقسيم البدع ، كالكوس والحديث من الظالم ، وتقديم الجهاد على العلماء في الولايات العلمية ، وتولية المناصب الشريفة من ليس لها بأهل بطريق الوراثة ، وإقامة صور الأئمة وولاية الأمور والقضاة ، واتخاذ المناخل وغسل اليد بالاشنان ، ولبس الطيالس ، وتوسيع الأكام ، واشباه ذلك من الأمور التي لم تكن في الزمن الفاضل والسلف الصالح ، فاتها أمور جرت في الناس وكثر العمل بها ، وشاعت وذاعت فلهقت بالبدع ، وصارت كالعبادات المخترعة الجارية في الأمة ؛ وهذا من الأدلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافي وشيخه ابن تيمية السلام ، وذهب إليه بعض السلف.

(\*) تابع لما نشر في ص ٥٩٣

فروي ابو نعيم الحافظ عن محمد بن أسلم انه ولد له ولد - قال محمد ابن القاسم الطوسي - فقال : اشتر لي كبشين عظيمين . ودفع اليّ دراهم ، فاشتريت له واعطاني عشرة أخرى ، وقال لي : اشتر بها دقيقا ولا تنخله واخبره - قال - فتخلت الدقيق وخبرته ثم جئت به ، فقال : نخلت هذا ؛ واعطاني عشرة أخرى وقال : اشتر به دقيقا ولا تنخله واخبره . فخرته وحملته اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ! العقيقة سنة ، ونخل الدقيق بدعة ، ولا ينبغي ان يكون في السنة بدعة ، ولم أحب ان يكون ذلك الخبز في بيتي بعد ان كان بدعة . ومحمد بن أسلم هذا هو الذي فسر به الحديث اسحاق بن راهويه حيث سئل عن السواد الاعظم في قوله عليه السلام « عليكم بالسواد الاعظم » فقال : محمد واصحابه . حسبنا يأتي - ان شاء الله - في موضعه من هذا الكتاب .

وأیضا فان تصور في العبادات، وقوع الابتداع وقع في العادات، لانه لا فرق بينهما . فالامور المشروعة تارة تكون عبادية وتارة عادية، فكلاهما مشروع من قبل الشارع، فكما تقع المخالفة بالابتداع في احدهما تقع في الآخر .

ووجه ثالث وهو أن الشرع جاء بالوعد باشياء تكون في آخر الزمان هي خارجة عن سنته ، فتدخل فيما تقدم تمثله ، لانها من جنس واحد .

ففي الصحيح عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم سترون بمدي اثرة وأمورا تنكرونها - قال فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال - ادوا اليم حقهم وسلوا حاكم » وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من كره من اميره

شيئا فليصبر» وفي رواية « من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه،  
فانه من فارق الجماعة شرا فمات مات ميتة جاهلية »

وفي الصحيح ايضا « اذا أسند الامر الى غير اهله فانتظروا الساعة » .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتقارب  
الزمان ، ويقبض العلم ، ويلقى الشح ، <sup>(١)</sup> وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج -

قال : يارسول الله ايما هو ؟ قال - القتل القتل » . وعن ابي موسى رضي

الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان بين يدي لا ياما <sup>(٢)</sup> ينزل

فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم ، ويكثر فيها الهرج » والهرج القتل .

وعن حذيفة رضي الله عنه . قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم حديثين ، رأيت أحدهما وانا انتظر الآخر - حدثنا ان الامانة

نزلت في جدر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة .

وحدثنا عن رفعها ثم قال « ينام ( الرجل ) النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل

اثرها مثل الوك <sup>(٣)</sup> ثم ينام النومة فتقبض ، فيبقى اثرها مثل اثر المحل ،

كجبر دحرجته على رجلك فنفس قراه ينتثر وليس فيه شيء ، ويصبح

الناس يتبايمون ولا يكاد احد يؤدي الامانة . فيقال : ان في بني فلان

رجلا امينا . ويقال للرجل : ما اعقله ! وما اظرفه ! وما اجلده ! وما في قلبه

مثقال حبة خردل من ايمان » الحديث .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

« لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ،

(١) في رواية احمد والشيخين هنا زيادة « ويظهر الجهل » (٢) لعله : بين يدي

الساعة ، وروي بلفظ « ان من ورائكم أيما » الخ رواه الترمذي وابن ماجه عنه

(٣) الوك بفتح الميم الماء او النيذ او المعجين في الاناء والقليل من المطر

دعواهما واحدة، وحتى ييمث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلم يزعم انه رسول، وحتى يقبض العلم - ثم قال - وحتى يتناول الناس في البنيان، الى آخر الحديث.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج في آخر الزمان احداث الاسنان، سفهاء الاحلام، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»

ومن حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال «بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا فيبيع دينه بمرض الدنيا» وفسر ذلك الحسن قال: يصبح محرما لدم اخيه وعرضه وماله، ويمسي مستحلاله. كأنه تأوله على الحديث الآخر «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» والله اعلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزناء ويشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون للخمسين امرأة فيم واحد»

ومن غريب حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء - قيل وما هي يا رسول الله؟ قال - اذا صار المغنم دولا، والامانة مغنما، والزكاة مغرما، واطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا اباه، وارتفعت الاصوات في المساجد، وكان زعيم القوم ارضهم، واكرم

الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان  
والمعازف ، ولمن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك رجماً حمراء ،  
وزلزلة وخسفاً ، او مسخاً وقذفاً »

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قريب من هذا وفيه  
« ساد القبيلة فاستقمهم ، وكان زعيم القوم اردلهم » وفيه « ظهرت القيان  
والمعازف » وفي آخره « فليرتقبوا عند ذلك رجماً حمراء وزلزلة وخسفاً  
وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع »

فهذه الاحاديث وأمثالها مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون  
في هذه الامة بعده إنما هو في الحقيقة تبديل الاعمال التي كانوا أحق  
بالعمل بها ، فلما عوضوا منها غيرها ، وفشا فيها كانه من المعمول به تشريعاً ،  
كان من جملة الحوادث الطارئة على نحو ما بين في المبادات .

والذين ذهبوا الى أنه مختص بالمبادات لا يسلّمون جميع<sup>(١)</sup> الاولون .  
أما ما تقدم عن القرافي وشيخه فقد صر الجواب عنه ، فانها معاصي  
في الجملة ، ومخالفات للمشروع ، كالمكوس والمظالم ، وتقديم الجهال على العلماء ،  
وغير ذلك ، والمباح منها كالمناخل ان فرض مباح - كما قالوا - فانما إباحته  
بدليل شرعي فلا ابتداع فيه ، وان فرض مكروها - كما أشار اليه محمد بن  
أسلم - فوجه الكراهية عنده كونها عدت من المحدثات ، اذ في الاثر :  
أول ما أحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل - أو كما قال -  
فاخذ بظاهره من أخذ به كمحمد بن أسلم . وظاهره ان ذلك من ناحية

(١) كذا ولا بد ان يكون قد سقط من هنا كلام . ولعل أصله : لا يسلّمون  
جميع ما قاله الاولون . او جميع ما ذهب اليه الاولون

السرف والتعم الذي أشار الى كراهيته قوله تعالى (اذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا) الآية<sup>(١)</sup> لا من جهة انه بدعة ؛

وقولهم : كما يتصور ذلك في العبادات يتصور في العادات - مسلم ؛  
وليس كلامنا في الجواز العقلي ، وانما الكلام في الوقوع ، وفيه النزاع .  
وأما ما احتجوا به من الاحاديث فليس فيها على المسئلة دليل  
واحد ، اذ لم ينص على أنها بدع أو محدثات أو ما يشير الى ذلك المعنى ؛

وأيضاً ان عدوا كل محدث العادات بدعة ، فليعدوا جميع ما لم يكن فيهم  
من المآكل والمشرب والملابس والمسائل النازلة التي لا عهد بها في الزمان  
الاول بدعا ، وهذا شنيع ؛ فان من الموائد ما تختلف بحسب الازمان  
والامكنة والاسم ، فيكون كل من خالف العرب الذين ادركوا الصحابة  
واعتادوا مثل عوائدهم غير متبعين لهم . هذا من المستنكر جدا ؛ نعم  
لا بد من المحافظة في الموائد المختلفة على الحدود الشرعية والقوانين الجارية  
على مقتضى الكتاب والسنة ؛

وأيضاً فقد يكون التزام<sup>(٢)</sup> الواحد والحالة الواحدة أو العادة

الواحدة تعبا ومشقة لاختلاف الاخلاق والازمنة والبقاع والاحوال ؛  
والشريعة تأتي التضييق والخرج فيما دل الشرع على جوازه ولم يكن ثم  
معارض . وانما جعل الشارع ما تقدم في الاحاديث المذكورة من فساد  
الزمان واشراط الساعة لظهورها وفحشها بالنسبة الى متقدم الزمان ،

(١) لعل ابن اسلم يخص كراهة الدقيق المنخول بما كان اداء لسنة كالمقينة ليفعلها

كما كانوا يفعلونها (٢) يياض بالاصل لعل مكانه « الزي »



فان الخير كان أظهر، والشركان اخفى وأقل، بخلاف آخر الزمان فان الامر فيه على العكس، والشرفيه اظهر والخير أخفى .

وأما كون تلك الاشياء بدعا فغير مفهوم على الطريقتين في حد البدعة فراجع النظر فيها تجده كذلك .

والصواب في المسئلة طريقة أخرى وهي تجمع شتات النظيرين ، وتحقق المقصود في الطريقتين ، وهو الذي بني عليه ترجمة هذا الباب ، فلنفرد في فصل على حديثه والله الموفق للصواب .

## فصل

افعال المكافين بحسب النظر الشرعي فيها على ضربين: احدهما ان تكون من قبيل التعبدات ، والثاني أن تكون من قبيل العادات . فاما الاول فلا نظر فيه هاهنا .

وأما الثاني - وهو العادي - فظاهر النقل عن السلف الاولين ان المسئلة تختلف فيها ، فمنهم من يرشد كلامه الى ان العاديات كالعباديات ، فكما انا مأمورون في العبادات بان لا نحدث فيها ، فكذلك العاديات - وهو ظاهر كلام محمد بن أسلم ، حيث كره في سنة العقيقة مخالفة من قبله في أمر عادي ، وهو استعمال المناخل ، مع العلم بأنه معقول المعنى ؛ نظرا منه - والله أعلم - الى ان الأمر باتباع الاولين على العموم غلب عليه جهة التعبد . ويظهر أيضا من كلام من قال : أول ما أحدث الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل . ويحكى عن الربيع بن أبي راشد أنه قال : لولا اني أخاف من كان قبلي لكانت الجبابة مسكني الى

ان أموت . والسكنى <sup>(١)</sup> عادي بلا إشكال . وعلى هذا الترتيب يكون قسم العاديات داخلا في قسم العباديات ؛ فدخول الابتداع فيه ظاهر . والأكثر على خلاف هذا ، عليه بنى الكلام فنقول :

ثبت في الاصول الشرعية أنه لا بد في كل عادي من شائبة التعبد ، لأن ما لم يعقل معناه على التفصيل من الأمور به أو المنهي عنه فهو المراد بالتبدي ، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي ؛ فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تبدي ، والبيع والنكاح والشراء والطلاق والاجارات والجنايات كلها عادي ، لأن أحكامها معقولة المعنى ، ولا بد فيها من التعبد ، اذ هي مقيدة بامور شرعية لاخيرة للمكاف فيها ، كانت اقتضاء أو تخيرا ، فان التخيير في التعبدات إزام ، كما ان الاقتضاء إزام — حسبما تقرر برهانه في كتاب الموافقات — واذا كان كذلك فقد ظهر اشتراك القسمين في معنى التعبد ، فان جاء الابتداع في الامور العادية من ذلك الوجه ، صح دخوله في العاديات كالعباديات ، والا فلا .

وهذه هي النكته التي يدور عليها حكم الباب ويتبين ذلك بالامثلة ، فأتى به القرافي <sup>(٢)</sup> وضع المكوس في معاملات الناس ، فلا يخلو هذا الوضع المحرم أن يكون على قصد حجب التصرفات وقتاً ما ، أو في حالة ما ، لنيل حطام الدنيا ، على هيئة غضب الغاصب ، وسرقة السارق ، وقطع القاطع للطريق ، وما أشبه ذلك . أو يكون على قصد وضعه على الناس

(١) ربما سقط من هنا كلمة « أمر » (٢) لعله سقط من هنا كلمة « من

جواز » أو « في مسألة »

كالدين الموضوع والامر المحتوم عليهم دائما ، أو في أوقات محدودة ، على  
كيفية مضروبة ، بحيث تضاهي الشروع الدائم الذي يحمل عليه  
العامة ، ويؤخذون به وتوجه على المستمع منه العقوبة ، كما في أخذ زكاة  
المواشي والحرب وما أشبه ذلك .

فاما الثاني فظاهر انه بدعة ، اذ هو تشريع زائد ، إزام للكافرين  
يضاهي إزامهم الزكاة المفروضة ، والديات المضروبة . والفراغات المحكوم  
بها في اموال النصاب والتعدين بل صار في حقهم كالمبادات المفروضة ،  
واللوازم المحتومة ؛ أو ما أشبه ذلك ، فمن هذه الجهة يصير بدعة بلاشك ،  
لانه شرع مستدرك ، وسن في التكليف مبيح ، فتصير المكوس على هذا  
الفرض لها نظران : نظر من جهة كونها محرمة على الفاعل ان يفعلها  
كسائر أنواع الظلم ، ونظر من جهة كونها اختراعا للتشريع يؤخذ به  
الناس الى الموت كما يؤخذون بسائر التكاليف ، فاجتمع فيها نهيان :  
نهى عن المصيبة ، ونهى عن البدعة ؛ وليس ذلك موجودا في البدع في  
القسم الاول ، وانما يوجد به النهي من جهة كونها تشريعا موضوعا على  
الناس أمر وجوب أو نذب ، اذ ليس فيه جهة أخرى يكون بها معصية ،  
بل نفس التشريع هو نفس المنوع ؛

وكذلك تقديم الجاهل على العلماء ، وتولية المناصب الشريفة من

لا يصلح<sup>(١)</sup> بطريق التوريث ، هو من قبيل ما تقدم ، فان جعل الجاهل

في موضع العالم حتى يصير مفتيا في الدين ، ومعمولا بقوله في الاموال

(١) اي لا يصلح لها

٦٨٢ اباحة بعض المحرمات للأئمة والحكام. زخرفة المساجد (الناجح ٩م ١٧)

والدماء والابضاع وغيرها ، محرم<sup>(١)</sup> في الدين . وكون ذلك يتخذ ويدنا حتى يصير الابن مستحقا لرتبة الاب - وان لم يبلغ رتبة الاب في ذلك المنصب - بطريق الوراثة أو غير ذلك ؛ بحيث يشيع هذا العمل ويطرد ويرده الناس كالشرع الذي لا يخالف بدعة<sup>(٢)</sup> بلا اشكال ، زيادة الى القول بالرأي غير الجاري على العلم ، وهو بدعة أو سبب البدعة كما سيأتي تفسيره ان شاء الله ، وهو الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فاستلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وانما ضلوا واطلوا لانهم افتوا بالرأي إذ ليس عندهم علم .  
وأما اقامة صور الأئمة والقضاة وولاية الامر على خلاف ما كان عليه السلف ، فقد تقدم أن البدعة لا تتصور هنا ، وذلك صحيح ؛ فان تكلف أحد فيها ذلك فيبعد جدا ، وذلك بفرض أن يمتد في ذلك العمل انه مما يطلب به الأئمة على الخصوص تشريعا خارجا عن قبيل المصالح المرسله ، بحيث يمد من الدين الذي يدين به هؤلاء المطلوبون به ، أو يكون ذلك مما يمد خاصا بالأئمة دون غيرهم ، كما يزعم بعضهم أن خاتم الذهب جائز لذوي السلطان ، أو يقول : ان الحرير جائز لهم لبسه دون غيرهم ، وهذا أقرب من الاول في تصور البدعة في حق هذا القسم .

ويشبهه على قرب زخرفة المساجد ، إذ كثير من الناس يمتد أنها من قبيل ترفيع بيوت الله ، وكذلك تعليق الثريات الخطيرة الاثمان ،  
(١) قوله « محرم » خبر قوله « فان جعل الجاهل » (٢) « بدعة » خبر قوله « وكون ذلك »

حتى يمد الانفاق في ذلك انفاقاً في سبيل الله ، وكذلك اذا اعتقد في زخارف الملوك واقامة صورهم انها من جملة ترفيع الاسلام و اظهار معالنه وشعائره ، أو قصد ذلك في فعله أولاً بأنه ترفيع للاسلام لما لم يأذن الله به ، وليس ما حكاه القرافي عن معاوية من قبيل هذه الزخارف ، بل من قبيل المعتاد في اللباس والاحتياط في الحجاب مخافة من انخرق خرق يتسع فلا يرقع - هذا ان صح ما قال ، والا فلا يعول على نقل المؤرخين ومن لا يعتبر من المؤلفين ، وأحرى أن ينبني عليه حكم<sup>(١)</sup>

وأما مسألة المناخل فقد مر ما فيها ، والمعتاد فيها انه لا يلحقها أحد بالدين ولا بتدبير الدنيا بحيث لا ينفك عنه كالتشريع فلا تطول به ، وعلى ذلك الترتيب ينظر فيما قاله ابن عبد السلام من غير فرق ، فبين مجال البدعة في الماديات من مجال غيرها ، وقد تقدم أيضاً فيها كلام فراجعه ان احتجت اليه .



وأما وجه النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في الماديات على ما أريد تحقيقه ، فنقول : ان مدار تلك الاحاديث على بضع عشرة خصلة ، يمكن ردها الى أصول هي كلها أو غالبها بدع ، وهي قلة العلم وظهور الجهل ، والشح ، وقبض الامانة ، وتحليل الدماء والزنا والحريير والغناء والربا والخمر ، وكون المنعم دولا ، والزكاة مفزوماً ، وارتفاع الاصوات في المساجد ، وتقديم الاحداث ، ولعن آخر الامة أولها ، وخروج الدجالين ، ومفارقة الجماعة .

(١) لعل الاصل « وأحرى الا ينبني عليه حكم »

أما قلة العلم وظهور الجهل فبسبب الثقة للدنيا ، وهذا إخبار بمقدمة أنتجتها الفتيا بغير علم - حسبما جاء في الحديث الصحيح « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس » الى آخره - وذلك ان الناس لا بد لهم من قائد يقودهم في الدين بجرأتهم ، والا وقع الهرج وفسد النظام ، فيضطرون الى الخروج الى من انتصب لهم منصب الهداية ، وهو الذي يسمونه عالماً ، فلا بد أن يحملهم على رأيه في الدين ، لان الفرض انه جاهل ، فيضلهم عن الصراط المستقيم ، كما انه ضال ، وهذا عين الابتداع ، لانه التشريع بغير أصل من كتاب ولا سنة. ودل هذا الحديث على أنه لا يؤتى الناس قط من قبل العلماء ، وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علماءهم أفتى من ليس بعالم فتؤتى الناس من قبله ، وسيأتي لهذا المعنى بسط أوسع من هذا ان شاء الله .

✽

وأما الشح فانه مقدمة لبدعة الاحتيال على تحليل الحرام ؛ وذلك ان الناس يشحون بأموالهم فلا يسمحون بتصريفها في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ، كالأحسان بالصدقات والهبات والمواساة والايثار على النفس . ويليه أنواع القرض الجائر ، ويليه التجاوز في المعاملات بإظهار المعسر ، وبالإسقاط كما قال ( وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ) ، وهذا كان شأن من تقدم من السلف الصالح . ثم نقص الاحسان بالوجوه الأول فتسامح الناس بالقرض ؛ ثم نقص ذلك حتى صار الموسر لا يسمح بما في يديه فيضطر المعسر الى أن يدخل في المعاملات التي ظاهرها الجواز وباطنها المنع ، كالربا والسلف الذي يجر النفع فيجعل يبعاً في الظاهر ،

ويجري في الناس شرعاً شائعاً، ويدين به العامة، وينصبون هذه المعاملات متاجر. وأصلها الشح بالأموال وحب الزخارف الدنيوية والشهوات المأجلة. فإذا كان كذلك فالخري أن يصير ذلك ابتداءً في الدين، وأن يجعل من أشرط الساعة.

فإن قيل: هذا اتجاع من مكان بعيد، وتكلف لا دليل عليه. فالجواب: أنه لو لا أن ذلك مفهوم من الشرع لما قيل به، فقد روى أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعمنة، واتبعوا أذئاب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه حتى يراجعوا دينهم» ورواه أبو داود أيضاً وقال فيه «إذا تبايعتم بالعمنة وأخذتم أذئاب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»

فتأمل كيف قرن التبايع بالعمنة بضنة الناس؛ فأشعر بأن التبايع بالعمنة يكون عن الشح بالأموال. وهو معقول في نفسه؛ فإن الرجل لا يتبايع أبداً هذا التبايع وهو يجد من يسلفه أو من يعينه في حاجته، إلا أن يكون سفياً لا عقل له. ويشهد لهذا المعنى ما خرجه أبو داود أيضاً

عن علي رضي الله عنه قال: «سيأتي على الناس زمان عضوض بعض

الموسر على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى (وما أفتقتم من

شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وينشد شرار خلق الله، يبايعون

كل مضطر. ألا إن بيع المضطر حرام؛ المسلم أخو المسلم لا يظلمه

٦٨٦ كتاب في الحيل الدينية . تكفير واضمه ومن رضي به (التارخ ج ٩ ص ١٧)

ولا يجوز به ؛ ان كان عندك خير فعد به على أخيك ، ولا تزده هلاكاً  
الى هلاكه .

وهذه الاحاديث الثلاثة - وان كانت أسانيدھا ليست هناك -  
مما يعضد بعضه بعضاً ؛ وهو خبر حتى في نفسه يشهد له الواقع . قال  
بعضهم : عامة العينة انما تقع من رجل يضطر الى ثقة يضمن عليه المومر  
بالقرض الا أن يرجح في المائة ما أحب ، فيبيعها ثمن المائة بضعفها أو نحو  
ذلك ؛ ففسر بيع المضطر ببيع العينة . وبيع العينة انما هو العين بأكثر منها  
الى أجل - حسبما هو مبسوط في التفقييات - فقد صار الشح اذاً سبباً  
في دخول هذه المفاصد في البيوع .

فان قيل : كلامنا في البدعة لا في فساد المعصية ، لان هذه الاشياء  
بيوع فاسدة فصارت من باب آخر لا كلام لنا فيه .

فالجواب : ان مدخل البدعة هاهنا من باب الاحتيال الذي أجازہ  
بعض الناس ، فقد عده العلماء من البدع المحدثات ، حتى قال ابن المبارك  
في كتاب وضع في الحيل : من وضع هذا فهو كافر ، ومن سمع به فرضي  
به فهو كافر ، ومن حمله من كورة الى كورة فهو كافر ، ومن كان عنده  
فرضي به فهو كافر . وذلك انه وقع فيه الاحتيالات بأشياء منكورة ، حتى  
احتمل على فراق الزوجة زوجها بأن ترتد .

وقال اسحق بن راهويه عن سفيان بن عبد الملك : ان ابن المبارك  
قال في قصة بنت أبي روح حيث أمرت بالارتداد ، وذلك في أيام أبي  
غسان . فذكر شيئاً ، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب : أحدثوا في



الاسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو في بيته ليأمر به أو صوبه ولم يأمر به فهو كافر - ثم قال ابن مبارك : - ما أرى الشيطان يحسن مثل هذا، ثم جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، وكان لحسنها<sup>(١)</sup> ولم يجد من يمضيها فيهم، حتى جاء هؤلاء.

وانما وضع هذا الكتاب وأمثاله ليكون حجة على زعمهم في أن يحتملوا للحرام حتى يصير حلالا، وللواجب حتى يكون غير واجب. وما أشبه ذلك من الامور الخارجة عن نظام الدين، كما أجازوا نكاح المحلل، وهو احتيال على رد المطلقة ثلاثا لمن طلقها، وأجازوا اسقاط فرض الزكاة بالهيئة المستعمارة، وأشبه ذلك. فقد ظهر وجه الاشارة في الاحاديث المتقدمة المذكور فيها الشرح، وانها تتضمن ابتداء كما تتضمن معاصي جملة.

\*

وأما قبض الامانة فعبارة عن شياع الخيانة، وهي من سمات أهل النفاق، ولكن يوجد في الناس بعض انواعها تشريعاً، وحكيت عن قوم ممن ينتمي الى العلم، كما حكيت عن كثير من الامراء، فان أهل الحيل المشار اليهم إنما بنوا في بيع العينة على اخفاء مالوا أظهوره لكان البيع فاسداً، فاخفوه لتظهر صحته، فان بيعة الثوب بمائة وخمسين الى أجل<sup>(٢)</sup> لكنهما أظهرها وساطة الثوب، وأنه هو المبيع والمشتري، وليس كذلك؛ بدليل الواقع.

وكذلك يهب ماله عند رأس الحول قائلاً بلسان حاله ومقاله :

(١) لعل الاصل « ولو كان بحسنها لم يجد » الخ (٢) أين خبر « ان » ؟

أنا غير محتاج الى هذا المال وأنت احوج اليه مني . ثم يهبه ، فاذا جاء الحول الآخر قال الموهوب له اللواهب مثل المقالة الاولى ، والجميع في الحالين ، بل في الحولين في تصريف المال سواء ؛ أليس هذا خلاف الامانة ؟ والتكليف من أصله أمانة فيما بين العبد وربّه ، فالعمل بخلافه خيانة .

ومن ذلك أن بعض الناس كان يحقر الزينة ويرد<sup>(١)</sup> من الكذب ، ومعنى الزينة التدليس بالعيوب ، وهذا خلاف الامانة والنصح لكل مسلم . وأيضاً فان كثيراً من الاصراء يحتاجون اموال الناس اعتقاداً منهم أنها لهم دون المسلمين . ومنهم من يعتقد نوعاً من ذلك في الغنائم المأخوذة عنوة من الكفار ، فيجعلونها في بيت المال ، ويحرمون الغائبين من حظوظهم منها تأويلاً على الشريعة بالمقول . فوجه البدعة هاهنا ظاهر . وقد تقدم التنبيه على ذلك في تمثيل البدع الداخلة في الضروريات في الباب قبل هذا - . ويدخل تحت هذا النمط كون الغنائم تصير دولاً . وقوله « سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها - ثم قال - أدوا اليهم حقهم وسألوا الله حقكم » .

(لما بقية)

الأدب . وكلام الصوفية فيه<sup>(\*)</sup>

## فصل

وأما الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاقرآن مملوء به ، فأمر الأدب معه كمال التسليم له والانتقاد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق ، دون أن يجعله معارضة خيال باطل بسميه معقولا ، أو بحمله شبهة أو شككا ، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانتقاد والاذعان ، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإجابة والتوكل ، فهما توحيدان لانجاة للعبد من عذاب الله الأبهما - توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه ، وذوي مذهبه ومطائفه ومن يعظمه ، فإن أذنوا له فغده وقبل خبره ، وإلا فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم ، والأحرفه عن مواضعه ، وسعى تحريفه تأويله وحمله فقال : توؤله ونممله . فلأن يلتقى العبدُ ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خيرا له من أن يلقاه بهذه الحال

وقد خاطبت يوما بعض أكابر هؤلاء قلت له : سألتك بالله لو قدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم حي بين أظهرنا وقد واجهنا بكلامه وبخطابه - أكان فرضا علينا أن نتبعه من غير أن نعرضه على رأي غيره وكلامه ومذهبه ؟ أم لا نتبعه حتى نعرض ما سمعناه منه على آراء الناس ومعقولهم ؟ فقال : بل كان الفرض المبادرة إلى الامتثال من غير التفات إلى سواه . قلت : فما الذي نسخ هذا الفرض عنا ؟ وبأي شيء ؟ فوضع أصبعه على فيه وبقي باهتا متحيرا وما نطق بكلمة

هذا أدب الخواص معه ، لا مخالفة أمره والشرك به ، ورفع الأصوات وازعاج الأعضاء بالصلاة عليه والتسليم ، وعزل كلامه عن اليقين ، وإن استفاد منه معرفة الله أو يتلقى منه أحكامه . بل الممول في باب معرفة الله على المعقول المنهوك المتحيرة

(\*) نموذج من كتاب مدارج السالكين للإمام العارف الحق ابن قيم الجوزية . وقد اطال في بحث الأدب مع الله تعالى ثم قال

المتناقضة ، وفي الاحكام على تقليد الرجال وآرائها . والقرآن والسنة انما تقرأها تبركا ، لا انا نتلقى منها اصول الدين ولا فروعها . ومن طلب ذلك ورامه عاديناه وسعينا في قطع دابره واستئصال شأنه ( بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون \* حتى اذا أخذنا مترفيهم بالمذاب اذا هم يجأرون \* لا يجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون \* قد كانت آياتي تنلى عليكم فكنتم على أعقابكم تكصون \* مستكبرين به سامرا تمجرون \* أفلم يدبروا القول ؟ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ؟ \* أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ؟ أم يقولون به جنة ؟ بل جاءهم بالحق وأكثرهم الحق كارهون \* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن ، بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون \* أم نسأهم خراجا ؟ فخراج ربك خير وهو خير الرازقين \* وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم \* وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كيون )

والناصح لنفسه العامل على نجاتها ، تدبر هذه الآيات حق تدبرها ، ويتأملها حق تأملها ، وينزلها على الواقع يرى العجب ، ولا يظنها اختصت بقوم كانوا فبانوا « فالحديث لك واسمي باجارة » والله المستعان

ومن الادب مع الرسول صلى الله عليه وسلم ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا اذن ولا تعارف حتى يأمر هو وينهى ويأذن ، كما قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ) وهذا باق الى يوم القيامة ولم ينسخ . فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته ، كالتقدم بين يديه في حياته ، لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم . قال مجاهد رحمه الله : لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله على لسانه . وقال الضحاك لا تقضوا أمرادون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابو عبيدة : تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب . أي لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه ، وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهي .

ومن الادب معه أن لا ترفع الاصوات فوق صوته فانه سبب لحبوط الاعمال ، فإذا الغلن برفع الآراء وتناجج الافكار على سنته وما جاء به ؟ ترى ذلك موجبا لقبول الاعمال ، ورفع الصوت فوق صوته موجب لحبوطها ؟

ومن الادب معه أن لا يجمل دعاءه كدعاء غيره قال تعالى ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ) وفيه قولان للمفسرين ( أحدهما ) انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قوالوا : يا رسول الله يا نبي الله ! فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول ، أي دعاءكم الرسول . ( الثاني ) ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك ، بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ، ولم يسمعكم التخلف عنها ألبتة . فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل ، أي دعاءه اياكم

ومن الادب معه انهم اذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهبا في حاجته حتى يستأذنه ، كما قال تعالى ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا مع على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ) فاذا كان هذا مذهبا مقيدا بحاجة عارضه لم يوسع لهم فيه الا باذنه ، فكيف يذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقة وجليله ؟ هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه ؟ ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون )

ومن الادب معه ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ، ولا يمارض نسه بقياس بل تهذر الاقيسه وتلقى (١) لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته تخيال يسميه أصحابه مقولا ، نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول . ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الادب معه صلى الله عليه وسلم ، وهو عين الجرأة

### فصل

وأما الادب مع الخلق فهو مما ملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ، فلكل مرتبة أدب ، والمراتب فيها أدب خاص ، فمع الوالدين أدب خاص ، وللأب منها أدب هو أخص به ، ومع العالم ادب آخر ، ومع السلطان ادب يليق به ، وله مع الاقران أدب يليق بهم ، ومع الاجانب أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي انسه ،

ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهل بيته .  
ولكل حال أدب - فلا كل آداب وللشرب آداب ، وللكوب والدخول  
والخروج والسفر والاقامة والنوم آداب ، وللبول آداب ، وللكلام آداب ، وللسكوت  
والاستماع آداب .

وأدب المرء عنوان سمادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبوارده ، فما  
استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الادب  
فانظر الى الادب مع الوالدين كيف نجى صاحبه من حبس النار حين اطبقت عليهم  
الصخرة ، والاخلال به مع الام تأويلا واقبالا على الصلاة كيف امتحن صاحبه بهدم  
صومعته ، وضرب الناس له ورميه بالفاحشة ، وتأمل أحوال كل شقي ومفتن ومدبر  
كيف تجرد قلة الادب هو الذي ساقه الى الحرمان ، وانظر قلة أدب عرف مع خالد  
كيف حرمه السلب بعد ان برد يديه ، وانظر أدب الصديق رضي الله عنه مع النبي  
صلى الله عليه وسلم في الصلاة ان يتقدم بين يديه فقال : ما كان ينبغي لابن ابي  
قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف أورثه مقامه والامامة  
بالامة بعده ، فكان ذلك التأخر الى خلفه ، - وقد أوما اليه ان اثبت مكانك -  
جزا لا سعي الى قدام ، بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق  
المطي . والله اعلم

### فصل

قال صاحب المنازل ﴿ الادب حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ﴾  
هذا من احسن الحدود . فان الانحراف الى احد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الادب ،  
والادب الوقوف في الوسط بين الطرفين ، فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها  
ولا يتجاوزها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المعتدين ، والعدوان  
هو سوء الادب . وقال بعض السلف : دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه ، فإضاعة  
الادب بالجفاء كن لم يكمل اعضاء الوضوء ولم يوف الصلاة آدابها التي سنها رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وفعلها ، وهي قريب من مئة ادب ما بين واجب ومستحب .

واضعته بالقلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها، والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا، وتطويل ما السنة تخفيفه وحذفه، كالشهادتين الاولى والسلام الذي حذفه سنة. وزيادة التطويل على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على ما فعلته سراق الصلاة والتقارون لها ويشتهونه، فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليأمر بأمر ويخالفه، وقد صانه الله من ذلك. وكان يأمرهم بالتخفيف ويؤمهم بالصافات، ويأمرهم بالتخفيف وتقام صلاة الظهر فيذهب الذهاب الى البقيع فيتضي حاجته ويأتي أهله ويتوضأ ويدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى. فهذا هو التخفيف الذي أمر به، لا تقرأ الصلاة وسرقتها، فان ذلك اختصار بل اقتصار على ما يقع عليه الاسم ويسمى به مصليا. وهو كأكل المضطر في المحمص ما يسد به ريقه، فليت شعير على القول الآخر. وهو كجائع قدم اليه طعام لذيذ جدا فأكل منه قمة أو قمتين فماذا يفنيان عنه؟ ولكن لو أحسن مجموعا لما قام عن الطعام حتى يشبع منه وهو يقدر على ذلك، لكن القلب شبعان من شيء آخر.

ومثال هذا التوسط في حق الانبياء عليهم السلام ان لا يغلو فيهم كما غلت النصراني في المسيح، ولا يجفوا عنهم كما جفت فيهم اليهود، فالنصارى عبدوهم، واليهود قتلوهم وكذبوهم، والامة الوسط آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم واتبعوا ما جاؤا به.

ومثال ذلك في حقوق الخلق ان لا يفرط في القيام بحقوقهم، ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله او عن تكميلها او عن مصلحة دينه وقلبه، وان لا يجفوا عنها حتى يطلها بالكلية، فان الطرفين من المدوان الضار، وعلى هذا الحد، فحقيقة الادب هو العدل، والله اعلم

### فصل

قال ﴿ وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الاولى منع الخوف ان يتعدى الى

الايأس (١) وحبس الرجاء ان يخرج الى الامن ، وضبط السرور ان يضاهي الجراءة ﴿

يريد انه لا يدع الخوف ينفذ به الى حد يوقه في القنوط والياس من رحمة الله ، فان هذا خوف مذموم . وصمت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : حد الخوف ما حيزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج اليه . وهذا الخوف الموقع في الاياس اساءة ادب على رحمة الله تعالى التي سبقت غضبه وجبل بها .  
 واما حبس الرجاء ان يخرج الى الامن . فهو ان لا يبلغ به الرجاء الى حد يامن معه الخربة ، فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون . وهذا اغراق في الطرف الآخر ، بل حد الرجاء ما طيب لك العبادة ، وحملك على السير ، فهو بمنزلة الرياح التي تسير السفينة ، فاذا انقطعت وقفت السفينة ، واذا زادت اقتها الى المهالك ، واذا كانت بقدر اوصلت الى البنية .

واما ضبط السرور ان يخرج الى مشابهة الجراءة ، فلا يقدر عليه الا الاقوياء او باب العزائم الذين لا تستفهم السراء فتقلب شكرهم ، ولا تضمفهم الضراء فتقلب صبرهم ، كما قيل :

لا تغلب السراء منهم شكرهم كلا ولا الضراء صبر الصابر

والنفس قرينة الشيطان ومصاحبة وتشبهه في صفاته ، ومواهب الرب تبارك وتعالى تنزل على القلب والروح ، فالنفس تسترق السمع ، فاذا نزلت على القلب تلك المواهب وثبت لتأخذ قسطها منها وتصيره ، من عدتها وحواصلها ، فالمسترسل معها الجاهل بها يدعها تستوفي ذلك ، فينسا هو في موهبة للقلب والروح وعدة وقوة له ، اذ صار ذلك كله من حاصل النفس وآلتها وعددها ، فصالت به وطفقت لآلتها رأت غناها به ، والانسان يظن ان رآه استغنى بالمال ، فكيف بما هو اعظم خطرا واجل قدرا من المال ، بما لانسبة بينهما من علم او حال او معرفة او كشف ؟ فاذا صار ذلك من حاصلها انصرف العبد به - ولا بد - الى طرف مذموم من جراءة او شطط او ادلال ونحو ذلك ، والله كم هنا من قبيل وسليب وجريج يقول : من اين آتيت ؟ ومن اين ذهبت ؟ ومن اين اصبحت ؟ واقل ما يعاقب به من الحرمان بذلك ان يفتاق عنه باب الزيد ، وهذا المارفون وارباب البصائر اذا نالوا شيئا من ذلك انصرفوا الى طرف الفل والانكسار ومطالمة عيوب النفس ، واستدعوا حارس الخوف ،



وحافظوا على الرباط بملازمة الثغر بين القلب وبين النفس ، ونظروا الى أقرب الخلق من الله وأكرمهم عليه وادناهم منه وسيلة واعظمهم عنده جاها ، وقد دخل مكة يوم الفتح وذقنه تمس قربوس سرجه انحنافا وانكسارا وتواضعا لربه تعالى في مثل تلك الحال التي عادة النفوس البشرية فيها ان يملكها سرورها وفرحها بالنصر والظفر والتأييد ويرفضها الى عنان السماء ، فالرجل من صان فتحه ونصيبه من الله وواراه عن استراق نفسه وبخل عليها به ، والمأجزم من جاد لها به ، فياله من جود ما أقبحه وسماحة ما اسفه صاحبها ! والله المستعان .

## فصل

قال ﴿الدرجة الثانية الخروج من الخوف الى ميدان القبض ، والسمود (١)﴾

عن الرجاء الى ميدان البسط ، ثم الترقى عن (٢) السرور الى ميدان المشاهدة ﴿ ذكر في الدرجة الاولى كيف يحفظ الحدين المقامات حتى لا يتعدى الى ظفر أوجها ، وذلك سوء أدب ، فذكر من الخوف ان يخرج الى اليأس (٣) والرجاء ان يخرج الى الامن ، والسرور ان يخرج الى الجراءة . ثم ذكر في هذه الدرجة أدب الترقى من هذه الثلاثة الى ما يحفظه (٤) عليها ولا يضيها بالكلية ، كان في الدرجة الاولى لا يبالغ به بل يكون خروجه من الخوف الى القبض ، يني لا يزال الخوف بالكلية ، فان قبضه لا يؤيسه ولا يقنطه ولا يحمده على مخالفة ولا بطالة ، وكذلك رجائه لا يعتمد به عن ميدان البسط ، بل يكون بين القبض والبسط ، وهذه حال الكمال ، وهي السير بين القبض والبسط ، وسروره لا يقصد (٥) به عن ترقيه الى ميدان مشاهدته ، بل يرقى بسروره الى المشاهدة ، ويرجع من رجائه الى البسط ، ومن خوفه الى القبض . ومقصوده ان ينتقل من اشباح هذه الاحوال الى ارواحها ، فان الخوف شبح والقبض روحه ، والرجاء شبح والبسط روحه ،

(١) في ب « والسمود » (٢) وفيها « من » (٣) وفيها « الا يأس » (٤) كتب

في هامش ن « لعله يحفظها » وكان يجب ان يزيد كلمة « عليه » (٥) ب « يقصد »

والسرور شبح والمشاهدة روحه ، فيكون حظ ( ١ ) من هذه الثلاثة ارواحها وحقائقها ، لاصورها ورسومها .

### فصل

قال (الدرجة الثالثة معرفة الادب، ثم الفناء (٢) عن التأديب بتأديب الحق ، ثم الخلاص من شهود اعباء الادب ) قوله « معرفة الادب » يعني لا بد من الاطلاع على حقيقته في كل درجة ، وانما يكون ذلك في الدرجة الثالثة ، فانه يشرف منها على الادب في الدرجتين الاولين ، فاذا عرفه وصار له حالا فانه ينبغي له ان يفنى عنه ، بان يطلب عليه شهود من اقامه فيه فينسب اليه تعالى دون نفسه ، ويفنى عن رؤية نفسه وقيامها بالادب بشهود الفضل لمن اقامه فيه ومته ، فهذا هو الفناء عن التأديب بتأديب الحق. قوله « ثم الخلاص من شهود اعباء الأدب » يعني انه يفنى عن مشاهدة الأدب بالكلية لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع التي غيبته عن الأدب ، فنأوؤه عن الادب فيها هو الأدب حقيقة ، فيستريح حينئذ من كلفة حل اعباء الأدب وأثقاله ، لان استغراقه في شهود الحقيقة لم يبق عليه شيئا من اعباء الادب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) ن « حفظه » (٢) في نسخة المتن « الفنى »

## البروغرام الصهيوني السياسي

﴿ بقلم الزعيم الصهيوني اوسيشكن ﴾

شرعت جريدة فلسطين بترجمة هذا الكتاب بالعربية ونشره تباعاً فيها ، فأبنا ان نقل بعض فصوله عنها بمناسبة ما نشرناه في الاجزاء الماضية عن الجنسية في البلاد العثمانية ، ولما فيها من العبر

### الفصل الاول

ان المساعي التي بذلها الشعب الاسرائيلي للخلاص من منفاه بعد ان مضى عليه فيه نحو النفي عام ، قد تحولات منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون الى حالة الحركة والعمل ، وذلك لاعادة حياته السياسية الحرة في بلاد اجداده

ولقد كان ملاقاه اليهود من المذابح وما قاسوه من الاضطهادات في غربي روسيا من اكبر البواعث على اخراج هذه المجهودات من حيز الفكر الى حيز العمل . ومن يتبع تلك المساعي يجد انها كانت تتغير وتتطور تبعا للظروف ومجاراتها لما كان يضعه الزعماء من البروغرامات والخطط . فجميات «عجة صهيون» و«الصهيونية الروحية» و«الصهيونية السياسية» لم تكن الا وسائط مختلفة وطرقاً متعددة ترمي جميعها الى غاية واحدة وتوصل الى غرض واحد

— الصهيونية السياسية —

كل امة تسمى وراءه كيان سياسي مستقل حر يجب عليها توصلها لغايتها هذه ان تراعي ثلاث حالات ضرورية : حالة الشعب — وحالة

## البلاد - وحالة الظروف الخارجية

١ حالة الشعب : من الشروط الاولية لكل امة تسعى وراء الاستقلال السياسي والاقتصادي والادبي ان يكون شعبها على شيء من الاستعداد لذلك، كأن يكون ذا شعور قومي راق، وجميات قوية منظمة، ورؤس اموال كبيرة عمومية، وصبر على احتمال المصائب، واهم من ذلك كله ان يكون مستعداً دائماً لتضحية مصالحه الخاضرة امام الصالح العام المستقبل . فاذا كانت هذه الشروط جميعها لا توجد في الشعب ولم تبدل المساعي اللازمة لا يجادها فيه، استحال على الامة ان تنشئ لنفسها مركزاً سياسياً حراً

٢ حالة البلاد : اما حالة البلاد أو الارض التي تريد الامة ان تستقل بها استقلالاً سياسياً فيجب ان تكون ملكاً لها بالفعل من الوجهتين الاقتصادية والعقيلة، اعني ان تكون جميع قوى تلك الارض الحيوية في يد شعبها، وان كانت الارض نفسها تحت سيادة غيره اسماً . وان يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، والا كانت غير صالحة للاستقلال

٣ حالة الظروف الخارجية : ثم لو فرضنا ان الشعب كان جامعاً لكل شروط الاستقلال وكانت حالة البلاد موافقة له، فاستقلاله فيها وعلان حكمه عليها، لا يتيسر ان له الا اذا ساعدته الظروف الخارجية أيضاً، لارتباط مصالح جميع الشعوب بعضها ببعض وإن تشعبت الطرق المؤدية اليها . ولذلك كان لا بد في كل حركة قومية من بروغرام سياسي تتمشى عليه لاجتناب ما ربما يقف في طريقها من المثرات، واقناع الحكام والمحكومين

باخلاص تلك الحركة وما ينجم عنها من الفوائد، مع السعي في الوقت نفسه باستمالة الرأي العام الاجنبي، واستخدام احسن ما فيه من القوى العقلية والانسانية لمنفعة تلك الحركة، والا اصابها الفشل

## الفصل الثاني

ان احسن بروغرام يجب السير عليه في كل حركة قومية تتطلب الخلاص والاستقلال هو العمل لها من الجهات الثلاث المذكورة. وبهذه الطريقة فقط تتقدم وتتقوى من يوم الى يوم ومن سنة الى اخرى. فيصلح حال الشعب ويسهل عليه امتلاك البلاد، وتصبح الظروف الخارجية ملائمة له، وتكون جميع القوى التي تملكها الامة قد استخدمت لفائدة تلك الحركة. فينما تسمى جماعة مثلا لتكثير رؤوس الاموال واقام خزائن الشعب منها، تكون غيرها ساعية وراء تعليم العامة واثماء مداركها وشعورها، وبينما تكون جماعة ترود البلاد وتدرس حالتها، تأتي اخرى لاستثمارها واستثمارها، وبينما يقوم البعض بشرح رغبات الامة وغاياتها امام الشعوب الاجنبية، يسمى آخرون بالتعارف مع الملوك والوزراء وما يترتب على ذلك من الامور السياسية. لان على مجموع هذه الاعمال المتفرقة التي يقوم بها الافراد والجماعات في جهات متعددة وفي وقت واحد يتوقف نمو الحركة ونجاحها.

وبالعكس فان النتيجة تكون عقيمة أو قليلة الفائدة<sup>(١)</sup> اذا حصر المسمى

(١) هذه عبارة تستعملها الجرائد على انها منطقية وما هي بمنطقية، ولكنها فاسدة. فالنتيجة لا تكون عقيمة وانما تسمى المقدمات التي ليس لها نتيجة صحيحة مقدمات عقيمة أي غير منتجة، ولفظ العكس مستعمل في غير محله ايضا. والمراد من الكلام ان نتيجة ما يأمن السعي يكون ضد نتيجة ما تقدم

في جهة واحدة ، وبقيت قوى كثيرة مهملة بدون عمل . ومن المحتمل أيضاً ان يكون هذا العمل الناقص ذا نتائج محزنة في المستقبل ، لان اقل عارض يطرأ عليه يوقف مجراه فيفقد العملة نشاطهم ومراكزهم ، وتقع عامة الشعب في أزمة شديدة ، وتصبح الحركة في طور حرج جداء ، وفي ذلك من الاضرار مالا يخفى على احد .

أما اذا كان العمل مشتركاً وفي جهات متعددة فبطور جزء منه في جهة يماذله نجاح جزء آخر في جهة اخرى . وهكذا تبقى الحركة سائرة سيراً طبيعياً مطرداً

لتتصور الآن ان الظروف الخارجية كانت موافقة لرغبات امة ما ، تريد ان تجدد تاريخها وحياتها الاستقلالية في أرض ما ، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتها هذه ، ولم تجد مانعاً خارجياً يقف في سبيلها ، ولكن شعبها كان من جهةه قليل الثقة بقواه الخاصة قليل الاستعداد لبلوغ الغاية التي ترمي اليها ، لا جمعيات منظمة لديه ، ولا اموال عمومية تساعد على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها ، فاذا تكون النتيجة ؟ تكون النتيجة حينئذ ان تلك الفرصة المهمة التي سنحت تفوت ، وربما لانمود في عدة قرون . ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عند ما طردوا من اسبانيا في ايام الدوق جوزيف دي نكسوس فلم يستخدموها .

ثم لو تصورنا عكس ذلك ورأينا الشعب مستعداً للحياة الاستقلالية ولديه جميع الوسائط اللازمة وكانت البلاد في قبضة يده فعلاً ولكن الظروف الخارجية كانت لا تساعد اولاً لتسمح له بالحصول على بغيته ، إما

لأنه لم يهتم بها، وأما لأنها لم تكن على استعداد تام لقبول فكرته، فإذا تكون النتيجة؟ تكون النتيجة إذ ذاك أن الشعب يضطر إلى أن يبقى تحت العبودية والنير في انتظار أيام أحسن. ومثل هذه الحالة تنطبق الآن تماماً على حالة أرمينيا العثمانية التي وإن كان استقلالها أمراً لا بد منه، إلا أن ذلك يطول مادامت الظروف الخارجية غير موافقة له.

على أنا إذا وجدنا لما تقدم مثلاً صعب علينا جداً أن نجد في التاريخ العام كله من أوله إلى آخره حالة مفاجئة أسوأ من حالة شعب ذكي متعلم راق كالشعب اليهودي هبّ لجمع شتات قواه وتنظيم رؤس أمواله، وشمر بوجوب استمالة شعوب وحكام العالم أجمع لمساعدته والآنخذ بيده، فوجد بعد كل هذا العناء أن البلاد التي ينشدها وهي غاية أمانه ومطمح انظاره ومرمى مساعيه التاريخية بين أيدي شعب آخر يضارعه اجتهاداً ولا يقل عنه في مداركه الاقتصادية. ولذلك فاني<sup>(١)</sup> أشعر بوجع شديد وترجيح اعصابي عندما أنصوّر أن الشعب الإسرائيلي ربما وجد نفسه في مثل هذه الحالة يوماً ما إذا ظلت مساعي بعض زعمائه منصرفه إلى جهة واحدة. وحينئذ قل: السلام على تاريخه المملوء بالآلام والاضطهادات وعلى أمانه وموضوع أحلامه وآماله، وقل: السلام على مستقبله الذي أضرب به جهل الزعماء، أكثر من مساعي الأعداء

(١) يكثر مثل هذا التعبير في الجرائد وكتابة بعض المتأخرين - أعني الجمع بين لام التعليل وفاء السببية بهذه الصفة - وقد يكون المقام لأحدهما فقط. والاستعمال الفصيح في الجمع بينهما أن يقال: فلذلك أشعر بوجع شديد. فإن حُصِّج إلى التأكيدي قيل: فاني لذلك أشعر بوجع الخ

## الفصل الثالث

ان سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الاخيرة يرجع معظمه الى النقص في العمل - لجمعية «عجة صهيون» لم تهتم في بحر عشر سنوات في غير امر البلاد وحالة الارض فقط، فلم تفكر في اعداد الشعب لها وانماء مداكه العقلية، ولا بانشاء رهوس اموال عمومية، ولم تعرف ان تحول هذه الحركة الى حركة رسمية سياسية، ولم تجرب ان تستميل اليها الدول الاجنبية، بل اكتفت بان تظهر في مظهر المحسن بانشاء بضم مستعمرات تعيش من مال الاحسان، ولذلك انتهت هذه المدة الاولى من تاريخ الصهيونية بازمة سنة ١٨٩١

على ان المدة الثانية التي تلت تلك الازمة وهي مدة انتشار الصهيونية الروحية لم تكن باسعد حظاً من الاولى، فقد أهمل فيها امر البلاد كما أهمل في التي قبلها امر الظروف الخارجية. وبعد خمس سنين انصرفت في اثنا عشر جميع المساعي الى التعليم الداخلي وتبنيه الشهور العقلي فقط، نبع عدد قليل جُلُّه من الخياليين، فلم يجدوا لما تعلموه فائدة محسوسة أو عملاً مادياً، وبقي مجموع الامة جامداً، وأصبحت الحركة الصهيونية مهددة بالموت - الى ان عقد المؤتمر الاول فابتدأت به المدة الثالثة وهي عصر الصهيونية النهي، فبعثت الحركة من مرقدتها ودبت في الامة روح جديدة، لانها وجدت في المؤتمر ضالتها، ووافقت قراراته هوى في نفسها.

ان جميع الصيونييين الحقيقيين اصحاب الوجدان ومفكري الامة رأوا في بروغرام مؤتمر (بال) الاول ادغام البرافرمات السابقة باخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلصه رغبات الامة، ولا سيما في تصريحه جلياً على



مسمع من العالم أجمع، باننا نجاهد لانشاء حكومة يهودية في فلسطين، وانه لا بد لنا لنصل الى هذه الغاية من اربعة امور :

١ - امتلاك فلسطين اقتصاديا وادبيا

٢ - تنظيم قوى الشعب وانشاء رؤوس اموال مامة له

٣ - انماء الشعوب القومي في الشعب وترقيته

٤ - السعي بكل طرق السياسة لجعل جميع الظروف الخارجية

موافقة لنا. وفي الحقيقة ان الشجاعة الادبية التي اظهرها هذا المؤتمر في

اعلان حقوق الامة الاسرائيلية على فلسطين، والخطوة الجلية الصريحة التي

رسمها بلوغ هذه الغاية، والقوة المنعوية التي تجلت من خلال ابجائه، -

كان فعلمها في الشعب اليهودي فعل المعجزات. فانه تنبه من سياته العميقة

وفي كل محل بلغت اليه اخبار المؤتمر عقدت الاجتماعات، وأقيمت الخطب،

فأسست الجمعيات، وتألقت الشركات . ومنذ ذلك الحين اخذ العمل يتقدم

بسرعة وبجد واجتهاد عظيمين ، فاشتهد ساعد الجمعية الصهيونية وانشأت

صندوق المال الملي، وانضمت لها قوى سياسية خارجية، وظهر لنا من نتيجة

مقابلات الملوك والوزراء بان حركتها ستعنى وتتقوى على مرّ الايام

غير ان القريب من مركز ادارة هذه الحركة والواقف على ماجرياتها،

يلاحظ في الحال ان الخطأ العظيم الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مدتها

الاولى والثانية - واعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد

المساعي وصرفها وراء نقطة واحدة من نقط البروغرام - مازال يرتكب

حتى الآن، وذلك بسعيها وراء العمل السياسي فقط لاجتناب العقبات

الخارجية

اما الجهات الاخرى فلم يفتت اليها بل اهتمت بالكلية فالامر الاول من بروغرام مؤتمر (بال) وهو امتلاك « فلسطين » اقتصاديا وادبيا كان من نتيجة قلة الاهتمام به ان اللجنة التي عينها المؤتمر للنظر في المسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لانه لم يدخل صندوقها شيء من المال، ووجد مديرو هذه الحركة في فلسطين انفسهم بعد ست سنوات أنهم لم يتقدموا خطوة الى الامام، بل ظلوا في ذات النقطة التي ابتدأوا منها ثم ان الآداب الاسرائيلية لم تتقدم أيضاً تقدماً محسوساً، وكانت مسألة البحث في احيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب . والدليل على ذلك النجاح البطيء الذي صادفته اللغة العبرانية في السبع السنوات الاخيرة مع انها من اكبر العوامل على تنبه الشعور القومي

### الفصل الرابع

ظهر مما تقدم ان ادارة العمل من جهة واحدة لا يمكن ان تأتي بالفائدة المقصودة ، ففي الوقت الذي كانت فيه مساعي الرؤساء جميعها منصرفة الى العمل السياسي ، كان بقية الاعضاء يطلبون بالحاح شغلا عمليا آخر ، ولكن هذا الشغل لم يكن موجوداً ، والعمل السياسي كما لا يخفى لا يصلح له الا رجال مخصوصون ، وهكذا أهملت نفسها التي عليها مدار الحركة ، ولم يفتت الى حفظ المواصلات معها ، وارسال قوى جديدة اليها ، كما انه لم يهتم احد للاعمال العقلية وتنبيه الشعور القومي ، وجل ما عمل اذ ذلك كان منحصراً في جمع المال واللقاء الخطب ، - الى ان جاء المؤتمر الرابع . وهذا بدلا من ان يكون صهيونيا أي ان يهتم بقيادة الحركة في الطريق

السويّ اقترح وضع بروغرام خلاصته : انشاء جمعيات للتعاون وجمعيات خيرية وجمعيات اسعاف لايطعام الجياع وصندوق للتسليف . فعمل للحركة الصهيونية دخلا في كل شيء حتى في جمعيات رجال المطافى الحرة ، فكانت النتيجة ان الغرائم انحلت وشر الناس بأن هذه الاعمال لاتصل بهم الى الغاية

ثم حدث ما هو انكى من ذلك فقد استقر في الاذهان أن الصهيونية السياسية رغم ما بذلته من المساعي واستفادته من وعد الحكومات بمقاضتها ، هي عاجزة عن تغيير طرق معيشة الشعب اليهودي واصلاح احواله وتحسين معاملته ودفع الجيف عنه في اكثر البلاد التي يقطنها ، ولذلك كان كل عمل الصهيونية في نظر الامة الاسرائيلية لايساوي شيئا . وقد اصاب الناس في هذا الاعتقاد لان امورهم الاقتصادية كانت تزداد سوءا من يوم الى يوم ، والمهاجرين ينادرون بلادم بالالوف ، والحرائق والمذابح والاضطهادات يتلو بعضها بعضا ، والافواه تردد باصوات طالية قائلة : اعطونا عملا ، نريد شغلا . فلم يجدوا من الصهيونية ما يحقق آمالهم فيها . ومما زاد في الطين بلة على اُرد ذلك قيام عثرة جسيمة في طريق سياستنا اضطرتها في سنتها السابقة ان توقف عملها مدة من الزمن فوقفت الحركة من جميع الجهات .

على ان وقوف دولاب الحركة هذا لم يكن ليضرها بمقدار ما اضرت بها فكرة بعضهم في استثمار اوغندا . وهي اعظم غلطة ارتكبت في مدة الخمس وعشرين سنة الماضية من تاريخ الصهيونية ، لان الانظار تحوت

اذ ذاك الى هذه الوجهة . وانشقت الحركة الى قسمين، وانتشبت الحرب بين الاخوة وتمزق العمل فكان من نتيجة ذلك حدوث ازمة هائلة . وبعد ان كان الصيونيون قبل المؤتمر السادس اقوياء - لا في سياستهم او في اموالهم او في جمعياتهم فقط بل في اتحادهم ووحدة مبادئهم - جاءت هذه الفكرة فهدمت ذلك الاتحاد الى سنين كثيرة، وزادت عليه فقضت بما احدثته من التأثير السيء على زعيمنا الاكبر هرتسل العظيم منشيء المؤتمرات، وذلك عندما رأى صروح عمله تنهار واتعابه تذهب أدراج الرياح . ان الامة الاسرائيلية تجتاز الآن زمناً مخيفاً فقد اصبحت لا قائد لها ولا بروغرام ، واصبح افرادها لا ثقة للواحد منهم بالآخر ، والكل يجمل ما تؤدي اليه هذه الحالة . ومن يعلم ماذا يضر لها المؤتمر السابع ، وهل هو يجري على خطة المؤتمر السادس ويتم ما ابتدأ به من هدم جميع ما اشتغلنا فيه مدة ٢٥ سنة ؟ او هو يستخرج من اليأس قوة عظيمة فيسمى للتكفير عن تلك الزلة الهائلة التي ارتكبها المؤتمر السادس فيضع خطة جديدة لادارة العمل .

انني اريد ان اعتقد أنه سيختار الخطة الثانية لان السبيل الموصل اليها سهل هين، وهو الرجوع الي بروغرام مؤتمر بال بمجملته ومافيه من الصراحة .

## الفصل الخامس

ان النقطة الاساسية في بروغرام مؤتمر بال هي انشاء وطن سياسي حرّ مستقل للشعب الاسرائيلي في فلسطين . ويفهم من هذا بوضوح ان

الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هي انشاء بلاد سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين، لا ايجاد ملجأ او مركز روحي لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها لان كل سعي يرمي الى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، واحر بالقائمين به ان لا يستظلوا بالعلم الصهيوني لنشر فكرتهم. ولذلك اصبح من واجب المؤتمر السابع ان يهدم ما وضعه اولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الاول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة « فقط » أي « في فلسطين فقط » ويمتاط بمادة اخري يضيفها الى القوانين الاساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها

وهناك أيضاً اشياء اخرى يجب على المؤتمر تقريرها. منها ان يصادق على طرق العمل التي وردت في المواد الاربع المذكورة في بروغرام مؤتمر بال. وان لا ينقص حرفاً منها ولا يزيد عليها شيئاً من شأنه ان يصرف الاذهان الى طرق اخرى كأنشاء ملاجئ أو مستعمرات خيرية، فاذا عمل ذلك سهل عليه انهاض الحركة من كبوتها والقبض على ازمتهما والسير بها في اقوم طريق. وهانحن اولاء نأتي الآن على شرح تلك المواد الاربع من بروغرام مؤتمر بال لا كما وردت بالترتيب ولكن بحسب درجاتها في الاهمية وما يترآى لنا من سهولة تناولها. (له بقية)

[ النار ]

لوم ينشر من هذا الكتاب الصهيوني الا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم عبرة وبيانا لمقاصد هؤلاء الصهيونيين. وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها ان الصهيونيين اذا تملم ما يريدون فانهم لا يقنون

« في أرض الميعاد » التي يؤتمسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا . وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط ، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد الى سورية حتى «النهر الكبير» أي نهر الفرات . فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الاسرائيليين . وفي سفر (ثنية الاشتراع) ان الرب أمرهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على يد موسى (ص) أن لا يستبقوا من أهلها نسمة مآ . والنص في ذلك تجدونه في باب الفتاوى -

نم انهم لا يبيدون الآن من فيها من غير اليهود بالسيف والنار كما فعل اسلافهم من قبل ، بل يبيدونهم بقوتي السكيد والمال ، وهما قوتان لهذا الشعب الصغير ترهبهما كبرى الأمم والدول ، حتى ان دولة الروسية القوية القاهرة انشأت تستميل في هذه الايام يهود بلادها على قتلهم لثلاثي مائة يهودا فيها أحداثا وقتنا داخلية ترتزل أقدامها في هذه الحرب التي تقتضي مصلحة الدول المحاربة فيها أن لا يكون لها شغل داخلي يشغلها . فاذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرأوقهم جبل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوته مزاحمهم ، وعلى جهلهم أيضا بالقوة أنفسهم وبطريق الانتفاع بها ؟

لا أقول إنه لا يمكن ن يسلموا ولكن أقول لا بد من الروية والحزم وقوة الاجتماع ، ولا بد من المسارعة الى تنظيم وسائل الدفاع ، وليعلموا انه لا يكاد يوجد شعب من شعوب الأرض غافل عن قوته واستمداده كك الشعب العربي . قوته واستمداده كامنان فيه كمن النار في حجر الصوان تحت الثلج ، فمن ذا الذي يزبل أو يذيب الثلج عن هذا الحجر الصلد ، وأين مقدحة الحديد التي تهدهح النار من هذا الزند ؟ ستجيب عن هذين السؤالين الايام ، فان الجواب عنهما أحداث وافعال لا أحاديث ولا كلام .

## باب المراسلة والمناظرة

( تمثيل القصص )

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة الرشيد المرشد ، شائد منار السنة ، مولانا السيد محمد رشيد رضا ،  
أيده الله وأيد أئمة مسعاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله . إني أحمد اليكم الله الأمر بالتواصي بالحق ، وأصلي وأسلم  
على صفوة الخلق ، وآله وصحبه أئمة الصدق

( أما بعد ) فقد رأيت لفضيلتكم في الجزء السابع من المجلد السابع عشر من  
مناركم الاغرف قوى في حل التمثيل وحضوره عُلِّل فيها الحل بأنه لانص على حرمة  
وليس ذريعة لفساد حتى يحرم سدا للذرائع ، فلا يحرم الا على من يفريه بمحرم ، ما لم  
يكن موضوعه منكراً بحيث يكون موضوع القصة المثلة عملاً محظوراً فيحرم اذاً ،  
ولا عبرة بوجود نساء في موضعه كاشفات الرؤوس والسواعد اذ الغالب أن يكن  
كافرات غير مخاطبات بالفروع ، وأن يكون الناظر المقصود التمثيل قطعاً ، على أنهم  
كثيراً ما يُرَى في الطرق على تلك الصفة فلا فرق بين رؤيتهن كذلك فيها  
ونظرهن بهذه الصفة في موضع التمثيل . هذا معنى ما جاء في جوابكم . وفيه أن كون  
التمثيل لانص على حرمة يرد بأن حضور النساء كاشفات على مامر مبديات زينتهن  
المبالغ في التأنق فيها جزء من التمثيل الغرامي وذلك محرم بنص ( قل المؤمنین يفضوا  
عن أبصارهم ) ( ولا يبدین زينتهن ) الآية . والنصوص المانعة من حضور المنكر  
والتسبب فيه . وعدم كونه ذريعة فساد يرد بأننا نعلم بالسبر أن الاكثر يتهاقون جدا  
على التمثيل الغرامي لاشي سوى وجود أولئك النساء ، بدليل أنهم لا يعقنون كذلك  
بما لا يحضره ، ونسمع الكثير يسألون عن حال المثلات من حيث نحو الجمال قبل  
السمي الى التمثيل ، حتى لقد أخذ هذا الضرب من التمثيل وسيلة لمحض التكسب  
به كثير من فاسدي الاخلاق الذين لا يعقل أن يقصدوا تهذيب غيرهم ، وسحنا

كثيراً غب مفارقة التمثيل يلهجون بوصف جمال المثلثات وروثق زينتهن ورخامة أصواتهن ، وأبأنا بعض من حضروا ذلك التمثيل ثم تابوا لما رأوا من سجي آره بأن من الحضور من كان مستصحباً نظارة تجعل المثلثة كأنها الى جنبه ، وهذا مما يؤكده سوء أثر نظرهن ، وبالغ هذا النبي في سوء آثار حضور التمثيل المذكور وأنه لا يكاد يسلم من ذلك أحد مما كان ورعاً ، على أنه يحضره كثير ممن لا عناية لهم بالاخلاق ، ولا وازع يزعمهم عن الاسترسال في مطلق الشهوات ، فيخرجون وقد استفحل الداء في نفوسهم ، واستولت الاضطرابات على قلوبهم ، وكون الكفار غير مخاطبين بالفروع مختلف فيه ومعتد الشافية والمالكية الخطاب لدخولهم في عموم الوعيد ولاية ( ماسلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ) الخ ولئن سلم جواز السفر للكافرات لم يسلم جواز حضور مكائهن حال السفر مع نظرهن ، للامر بنقض البصر وتحريم النظر لغير الوجه والكف بالسنة دون فرق بين مؤمنة وكافرة . وهو مقتضى حكمة تحريم النظر ، وهو كونه بريد الزنا - كما ورد - بل سعي في الصحيح زنا العين ، وقد أطلتم في بعض أبحاث المنار القول في مفسد النظر بما يعلم به أن مفسدته تغلب مصلحة التمثيل الغرامي - ان كانت -

أما كون الناظر انما يلاحظ مقصود التمثيل ، فخلافاً ما عهدنا في كثير . نعم من الناس من هو كذلك ولكن قليل ما هم . وأما التسوية بين نظر السافرات في مواضع التمثيل ونظرهن في الطرق فقد يرد بأن الماشي في الطريق غير مستقر في موضع فتصادفه منهن من تصادفه بدون قصد أو به ، مع شدة الحاجة الى المشي فيه ، ومع كون اللاتي فيه لا يتأقن في الزينة تأتق المثلثات اللاتي يتخرن من أجل الطبقات ، ويعددن من الزينة ما تجلب به الرجال للتمثيل ويبالغن في ترخيم أصواتهن عند قراءة الأشعار الغرامية التي قد تحدث وحدها في النفس آرا سيئاً ، فما الظن اذا حدث من نسوة على هذه الصفات بهذا الترخيم على مرأى من الرجال الذين جبلوا على شدة الميل الى مثل ذلك ؟ فهذا كله يقتضي أن مفسدة مثل هذا التمثيل غالبية ، على أن لنا عما يقصد منه من الاعتبار والتهديب غنى بأداب ديننا التي جاء بها القرآن والآثار وحكم العارفين ، فما بالنا نفرغ في طلب العفلة الى هذا الامر الذي



ضره أضعاف نفعه ؛ اني لأعتقد أن لتمثيل القصص الغرامية الحظ الأوفر في افساد أخلاق المصريين والمصريات ، الذين عرف بالاستقراء فرط شغفهم بالشهوات ، وتكالبهم على الزخارف وان كانت محظورات ، وعدم مبالاتهم بالتهتك . ولذا كنت اود أن تفسحوا في منازكم الآخر مكاناً لانتقاد ذلك التمثيل والتفكير منه جداً مادام على غير صفة شرعية . والآن أرجو ابانة رأيكم بعدما ذكرت لكم ما عندي ليستين الحق اتم استبانة لأزلم عضدا للحق والحقيقة ما ( محمد زهران )

[المنار] ان ما ذكره اخونا الكاتب من وصف التمثيل خاص بتمثيل القصص الغرامية المصهود بمصر ، وهو مبني على السماع والمبالغة في دعوى براعة جمال المثلثات ورخامة أصواتهن وافتتان الرجال بهن . وكلام المنار السابق في التمثيل المطلق . ومنه ما يقوم به الرجال وحدهم وما يقوم به نساء لسن من مظنة الفتنة في شيء . واذا ثبت ان التمثيل الدائع هنا مصدر للفتنة ، وللدريعة للمفسدة ، فهو مما جزمنا بتحريمه في كلامنا السابق . ومن الغريب جعله آية نهي المؤمنات عن ابداء زينتهن نصا على وجوب ذلك على الكوافر بمعنى مطالبتهن به كالمسلات ، وجعل هذا منذهباً للشافعية ؛ وانما المذهب ان الكفار يماقبون على ترك فروع الشريعة في الآخرة بدليل آية المدر التي ذكرها . بل قال «لصوم الخطاب» وانما الخطاب في الآية للمؤمنات ، وفي الرسالة مسائل أخرى قابلة للبحث والنقد ولا حاجة الى ذلك ، وحسبنا ان نقول ان حكم هذا التمثيل منوط بما فيه من المصلحة أو المفسدة والثاني هو الذي يحظر دون الأول

### ( المعازف - آيات اللهو )

بسم الله الرحمن الرحيم  
فضيلة الامتاذ الاوحد رافع منار الدين وحامي حوزة السيد محمد رشيد رضا الحسيني أتبع الله تعالى مساعيه وأكثر في المسلمين من أمثاله  
السلام عليكم ورحمة الله . اني أحمد اليكم الله الذي وفقكم لاجل الخدمات الاسلامية ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسائر القاميين بنصرة

## الشريعة المحمدية

(أما بعد) فقد كنت منذ بدء اشتغالي بالعلم شديد التعطش الى معرفة الحق في مسألة آلات الملاهي فكنت أراجعها في كل كتاب يسري من كتب المقلدين والمستقلين فلا يشفى لي غليل ، حتى أتيت لي مراجعتها في نيل الاوطار مرارا فكاد يثجج صدري بتعقيق ذلك العالم الرباني ، وكنت أقرأ في المنار الأسس اجوبة اسئلة في هذا الشأن فحيل استيفاء البحث على اول اجزاء المجلد التاسع وتاليه فيشتد شغفي لاقتنائها حتى يسر ذلك ، فأتممت الفكر بمطالعة المبحث فيها فإذا حاصل ما زدتوه على الشوكاني في نيل الاوطار ان رجحتم ادلة الاباحة على ادلة الحظر بمواقفتها للبراءة الأصلية ومقتضى الفطرة وسماحة الدين وكونها صحيحة دون ادلة الحظر . وقولكم : ان ادلة الحظر تحظر المعازف والدف - منها قطعا - اي فتكون معارضة لاحاديث جواز الدف . فقدم هذه لما مر - وقولكم : ان غناء النساء الثابت جوازه في الصحيح اشد الملاهي تأثيرا في النفس . أي فغيره أولى بالجواز - وقولكم عقب نقل كلام الشوكاني : ومعلوم ان نذر الحرام او المكروه لا ينعقد ، وذا يبطل دعوى الشوكاني نهوض ادلة المنافين شبهة على المنع - وقولكم في حاشيتي صفحتي ٤٦ و ٤٧ من الجزء الاول بعد نقل كلام الشوكاني في رد الحافظ ابن حجر على ابن حزم في دعواه اقتطاع حديث المعازف الذي في الصحيحين مانعه : ومنه نعلم ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يمتدحان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظر آلات اللهب الا الحديث الاول مما اوردنا . - وزيادات أخرى أوردتموها في بحث القياس الفقهي في السماع وفي خلاصة البحث

أما ترجيح ادلة الجواز لمواقفتها لاصل الاباحة ولتقتضى الفطرة ويسر الشريعة فانما يصح لو تعارضت ادلة الجواز وادلة المنع ، ولا تعارض ، اذ القاعدة الأصولية تقتضي تخصيص احاديث تحريم المعازف بنسخ ما صح في الاحاديث جوازه من الدف والغناء كما هو الشأن في مخالف العام والخاص ، واذا لم يحرم الشافية ما ذكر من الدف والغناء حيث أمنت الفتنة بالناس ، وخص المالكية جواز الدف في النكاح او كل سرور ووقفاً مع ظاهر الوارد . وادى هذا قريباً واحوط

وأما الترجيح بصحة أدلة الجواز وضعف مقابلهما ففيه انكم اعترقتم تبعاً للحافظين بصحة حديث البخاري في المعازف ، وهو كاف في اثبات المنع غير انه يخص بأحاديث الدف والغناء كما مر ، وبذا علم ما في قولكم ان أدلة المنع تحظر المعازف والدف منها

وأما كون غناء النساء اشد الملاهي تأثيراً في النفس فغير مسلم على العموم ، اذ ليس غناء كل امرأة اشد تأثيراً من كل لهُو آخر ، بل كثيراً ما يكون صوت العود مثلاً اشد تأثيراً من غناء بعض النساء

على أنه بعد صحة الحديث بتحريم المعازف المراد بها غير الغناء والدف بدليل الأحاديث الأخرى لا مساع لهذا اذ لا يجوز الغناء حديث صحيح لمجرد توهم مخالفته لمقتضى اقياس الأولي على ما في حديث آخر ، لانه لا وثوق لنا بأن اعلية جوازها في هذا الحديث هي ما فهمناه ، اذ لا مانع من كون العلة شيئاً آخر لم يبلغه ادراكنا ، فلماذا لا يجمع بين الأدلة ما امكن ونعمل بجميعها امتثالاً لما أمرنا به من الاخذ بكل ما أتانا به الرسول (ص) ؟

وأما كون الأمر بضرب الدف لمن نذره يدل دلالة واضحة على جواز الملاهي لعدم انعقاد نذر المنهي عنه — ففيه أن اذا انما يدل جلياً على جواز ضرب الدف فقط فيخصص بذلك وبأحاديث الغناء حديث منع المعازف كما سبق فيبقى باقيها على المنع ، فكيف يقال: ان الأمر المذكور قد منع نهوض أدلة المنع شبهة

وأما كون اقتصار الحافظ على رد تضعيف حديث البخاري في المعازف يدل على أنه يرى ضعف سائر الباب ففيه انه قد يكون سكوتة عن بيان حالها لعدم علمه به لالعله بضعفها

وبعد فاني أرى ان ما استنتجه الشوكاني من كلامه الطويل من ان المقام مقام شبهة نقط لا يصلح نتيجة لبحثه فانه ثقل أجوبة المجوزين عن حديث البخاري المعلق ووردها ، فعلم منه أن الحديث حجة للمانعين ، وقد قال في خلال البحث ان الأحاديث ينهض مجموعها حجة لتعاضدها ، فقد نصر المانعين بحجتين سلمهما . وما احتج به للمجوزين من نحو عموم (ويحل لهم الطيبات) يرد بتخصيصه بتيك الحجتين

وبعد دلالة السنة على المنع لاسماع لمقاس فقهي ولا غيره الا قياس مع وجود دليل من كتاب أو سنة . فصفوة بحث الشوكاني نصرته المانعين وترجيح التحريم ، لا مجرد ان المقام مقام شبهة

نعم قد يقال ان لفظ المعازف جمع محلي بأل وهو للعموم فمعنى استحلال المعازف استحلال جميعها حتى نحو الغناء المبيح على محرم فيكفي في تحقق معنى الحديث تحريم مثل ذلك ويكون هذا جمعاً مقبولاً بين الأدلة يتفق مع القياس الفقهي ومع الامور التي رجحتم بها أدلة الجواز

وقد يرد كون مجموع أحاديث الحظر غير الاول ينهض حجة بأن تعدد الاحاديث الضعيفة انما يقتضي بلوغ درجة الحسن اذا كان الضعف لنحو سوء حفظ الراوي لا لفسقه أو اتهمه بالكذب والاول غير متحقق هنا فلا جزم بالحسن . ولو ان الشوكاني ذكر هذين النقصين لانتج بحثه ما ذكره من أن الموضوع موضوع شبهة فخلاصة بحث الفقير هو مارآه الشوكاني أخيراً من الاشتباه لا مارأيتموه . وقد أطلعت فضيلتكم عليه كي تروه أو تردوه . ولي وطيد الامل ان تميزوا ذلك عن عناية تامة احقاقاً للحق ، وازالة للثام الشبهة عن وجهه ، لا برحمتهم علماً للمهتدين ، وبنبراساً للمستضيئين ما

محمد زهران

خادم العلم الشريف بيندر المحمودية ( بحيرة )

وأحد مشركي المنار الاغر

### [ المنار ]

يؤخذ من لسان العرب وغيره من المعاجم ان العزف يطلق في اللغة على اللهو وعلى اللعب وعلى بعض الاصوات كالغناء والنواح والرعد والريج ، وصوت الرمل اذا هبت بها الريح ، وقيل ان هذا هو الذي كانت العرب تطلق كلمة « عزيف الجن » على ما يسمع منه في الليل . ويطلق بكثرة على الدف أو صوته . والعزيف الصوت . قال في اللسان : عزف يعزف عزفا لها . والمعازف الملاهي ، واحداها معزف ومعزفة . وعزف الرجل يعزف اذا أقام في الاكل والشرب . وقيل واحد المعازف عزفة على غير قياس ، ونظيره ملامح ومثابه في جمع شبهة ولهجة ، والملاعب التي يضرب بها

يقولون للواحد والجمع معازف رواية عن العرب . فاذا افرد المعزف ضرب من الطنابير ويتخذها أهل اليمن . وغيرهم يجعل العود معزفا . وعزف الدف صوته . وفي حديث عمر انه من بعزف دف فقال ما هذا ؟ قالوا ختان ، فسكت . العزف اللعب بالمعازف وهي الدفوف وغيرها مما يضرب به . . وكل لعب عزف اه المراد

فمن تأمل هذه المعاني يعلم انها هي التي كانت تراد من العزف والمعازف في عصر النبي (ص) ولم يصح نص بتحريم شيء منها ، وكان اشهر آلات الملاهي في ذلك العصر الدف — وقد ثبت في السنن العملية والتولية اباحته واستحبابه في بعض الاوقات كالعرس . وسائر آلات اللهب التي لم تكن في ذلك العصر معروفة أو مشهورة يصح إطلاق لفظ المعازف عليها كما يصح إطلاق لفظ الخمر على المسكرات التي حدثت بعد عصر الوحي وان لم تكن تخطر هذه ولا تلك في بال من كان يطلق اللفظ قبل وجودها . ولو جاء في الكتاب أو السنة نص صريح في تحريم المعازف لكان أول ما يتبادر الى فهم الصحابة منه تحريم ما كان ذائعا في عصرهم منه كالدف . ثم يلحق به غير الذائع وغير المعروف عندهم بعموم اللفظ اذا كان الوضع اللغوي يساعد على ذلك ، أو بطريق القياس اذا التحدت العلة .

وقد علمنا من عبارة لسان العرب ان تسمية العود معزفا ليس متفقا عليها . ولو كان المشهور من المعازف التي كانت في عصره (ص) محرما لورد النص عليه في الكتاب أو السنة المشهورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك واشتغاره ، ولم يصح حديث مشهور ولا دون المشهور في التخصيص على تحريم شيء منها ، بل صح ما يدل على الاباحة كما يعلم اخونا الباحث المتقد . واشتهر عن بعض كبار الصحابة والتابعين وأئمة الحديث كرواة الصحيحين والسنن أنهم كانوا يبيحون القناء والاوتار لا الدفوف فقط . وكان جمهور هؤلاء من أهل المدينة الذين هم أجدر الناس بمعرفة السنن المتبعة في عصر النبي (ص)

أما الحديث الذي هو موضوع البحث والسؤال فليس نصا ولا ظاهرا في إنشاء حكم تحريم المعازف ولا خبرا بمعنى إنشاء ذلك . وانما هو حديث آحادي في الإخبار عن شيء يقع في المستقبل ، كالأحاديث في اشرط الساعة واماراتها الواردة

في سياق الكلام عن الساعة ، أو في مناسبات أخرى : كحديث أبي هريرة عند احمد ومسلم « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد — قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » فهذا الحديث ليس إنشأ لتحریم حمل السياط التي تشبه أذناب البقر (وهي التي نسميها الكرابيج) وضرب الناس بها ، ولا لتحریم كل وصف من أوصاف النساء التي فيه . ولكنه يدل ضمنا على ان كلا من الصنفين يتلبس بمحرم يستحق به عذاب الله تعالى . ان لم يكن في جزئيات ما وصف به ففي جملتها ومجموعها . ولا بد ان يكون لتلك المحرمات أدلة تدل عليها من شرع الله تعالى في غير هذا الحديث .

فأنا أفهم حديث المعازف الذي نتكلم فيه — كما أفهم هذا الحديث : أفهم ان حديث أبي هريرة يبين حال رجال من الظلمة يحملون نوعا من السياط يضربون بها الناس بغير حق ، لانهم أنشؤا لأنفسهم شريعة في عقاب المذنبين اليهم بذلك . فحمل السياط التي تشبه أذناب البقر ليس محرما اذ لا دليل على تحريمه ، وضرب الناس بها اذا كان في اقامة حد الله تعالى على الوجه المشروع ليس محرما أيضا . ولكن ضرب الكرابيج الذي كان معهودا بمصر محرما شرعا لأنه من الظلم البين ، وحرمة معلومة من الدين بالضرورة . وكذلك النساء الكاسيات العاريات بما يلبسن من الشفوف التي تحكي ما تحتها من البدن ، لا دليل في الشريعة على تحريم هذا منهن اذا فعلته امام أزواجهن فقط ، ولك ان تقول مثل هذا في سائر أوصافهن في هذا الحديث . ولكن وجد في هذا العصر نساء يبرزن بهذه الصفات مع الاجانب ، وقد فسدن وافسدن بذلك كثيرا من الناس ، فكل أفعالهن هذه محرمة بلا ريب . وعلى هذا النحو ومثل هذا الفهم أفهم حديث أبي عاصم او أبي مالك « ليكون قوم من أمي قوم يستحلون الحر والحريم والخمر والمعازف » معناه سيوجد من أمي قوم يطلب عليهم الجهل بالدين أو التأويل للنصوص حتى توافق أهواءهم ، فيقعون في الحرام معتقدين بالجهل أو بالتأويل انه حلال ، كاستحلالهم الفروج بالمحال من

الطلاق الثلاث ، وبالتسري بالحرائر اللواتي يبيعن أبائهن أو يحتظفن من بلادهن ، وكذلك يستحلون لبس الحرير الذي هو متعى الزينة التي لا تليق إلا بالنساء باعتقاد ان المحرم منه ما كان حريرا خالصا ، وما يلبسونه مشوبا بقطن أو كتان - مثلا - ويستحلون الخمر التي يستحدثونها بدعوى ان المحرم لذاته منها ما كان من عصير العنب ، ولا يحرم من غيره الا القدر المسكر الذي لا يميز شاربه السماء من الارض - مثلا - ويستحلون المعازف المستحدثة على الوجه الذي بين في رواية الحديث الأخرى « بعزف كل دءوسهم بالمعازف والمغنيات » والمراد بالمغنيات هنا القيان المشار اليهن في حديث علي وابي هريرة عند الترمذي في الخصال الخمس عشرة التي يترتب عليها نزول البلاء بهذه الامة قبل الساعة ومنها « وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر » فالمراد من ذلك شيء لم يكن في زمنه (ص) مع العلم بأن كل هذه المفردات كانت موجودة ، وهو ما استحدثه بعض الفساق من الجمع بين العزف والغناء وشرب الخمر ، ويدل عليه قول بعض علماء اللغة في تفسير القينة وهو ان المراد بها الجارية البيضاء التي تعني للرجال في مجلس الشرب . فاقتران المعازف بالقيان وشرب الخمر هو الخبر عنه بأنه من أسباب حلول البلاء وان لم يذكر ذلك في كل رواية للحديث - وهو حديث واحد لا يعرف المراد منه الا بعد معرفته كله - وكثيرا ما يكون الاقتصار على بعض ألفاظ الحديث سببا لجهل المراد منه . ومثله في هذا الحديث « وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه » فإطاعة المرأة وإدناء الصديق ليس منكرا في الدين وانما كان أنكر باعتبار اقترانه بعقوق الأم واقصاء الأب . أو فهم منه ان اطاعة المرأة وإدناء الصديق في اتباع الهوى والمنكرات . وجملة القول إتي أفهم الحديث الذي نحن بصدد البحث فيه كما أفهم أمثاله مما ورد في أنباء المستقبل التي أخبر بها النبي (ص) فأجزم بأنها ليست تشريعا وانما هي أخبار بأشياء ستحدث بعده فما دل منها على تحريم شيء عرف في شرعه دليل تحريمه فالأمر فيه ظاهر من هذه الجهة ، وما دل على تحريم شيء لا يعرف فيه دليل على تحريمه فلا بد ان يكون ما أخبر به (ص) سيقع على وجه محرم ، وان يكون غنى به وقوعه على ذلك الوجه ، كحديث الرجال الذين بأيديهم سباط

كأذئاب البقر الخ وغيره .

فهذه الأحاديث لا يقع التعارض والترجيح بينها وبين نصوص الكتاب والسنة في التحليل والتحرير كما فعل الباحث إذ جعل السنن العملية والقولية التي صحت في إباحة المعازف والغناء مخصصة لعموم لفظ المعازف في حديث « ليكون أناس من أمي » كأنه هو الأصل في تحرير ما ذكره ، وكأن النبي ( ص ) أراد بما سمعه وما أجازته وأقره أو ندب إليه من سماع الدفوف والغناء في الوقائع المختلفة تخصيص ذلك العموم ، وجعل ما كان يقع في عصره من عزف الناس وسماعهم بسائق الفطرة استثناء من ذلك الأصل التشريعي العام ! ولا يفهم هذا الفهم ويقول هذا القول ذو ملكة عربية إلا إذا حصر نظره في تحكيم قواعد أصول الفقه في أمرين أحدهما لفظ يدل على حرمة المعازف مطلقا وثانيهما لفظ أو عمل يدل على إباحة بعضها . فهو يعد الأول بمعنى « حرمت عليكم المعازف » أو « اجتنبوا المعازف » أما إذا نظر في أسلوب الحديث وسياقه الذي بيناه وقارنه بأمثاله من الأحاديث فإنه يجزم بما جزمنا به . ويعلم أن تحرير الشيء ابتداء وجعله حكما شرعيا لا يكون بمثل تلك العبارة ، وناهيك بشيء من مقتضى الفطرة عهد من الناس في كل زمان ومكان . فلو أراد الشارع تحرير مثله لحرمه بنص صريح يبلغه جمهور الأمة ، وتتوفر الدواعي على نقله بالتواتر أو الاستفاضة

فلم مما شرحنا ان هذا الحديث لم يقصد به تحرير ما ذكر وإنما قصارى ما يدل عليه انه سيوجد قوم يسرفون في ذلك اسرافا مقترنا بالفساد ، وبمنكرات قبيحة محرمة بنص الكتاب ، كشرب الخمر وتهتك القيان ، وانهم يستحلون ذلك بعد معازفهم الإفسادية من قبيل المعازف التي أباحها الشرع لترويح النفس في بعض الأحيان ، أو السرور بنعمة الله في أيام الأعياد والأعراس وقدم المسافرين ، من غير ان يقترن بها منكر من المنكرات المحرمة في الدين ، كما يستحلون بعض الخمر بدونها من قبيل النبيذ المباح الذي هو تقيع نحو التمر والزبيب في الماء الذي لم يختمر فيصير مسكرا . وما شدد من شدد من الفقهاء في إطلاق تحرير السماع إلا مثل هذه المفاسد التي قطن بها المغرمون به حتى صارت من لوازمه عندهم . وما



أنكر عليهم من أنكر من المحدثين والفقهاء والصوفية إلا نصيب التحريم ، وتكلف الاستدلال عليه بالآيات والأحاديث ، ولم يسلم لهم دليل مما استدلووا به . كما يعلم من الكتب المؤلفة في إباحته ومن مثل نيل الأوطار والأحياء وشرحه .  
 والقول الفصل ان الأصل في العزف والمعارف ( ومنه الغناء واللعب ) الحل .  
 وأنه ورد في السنة ما يؤيد هذا الأصل كلعب الحبشة في المسجد وغناء الجواري وسماع الدف والأذن به ، وان الحرمة تعرض لبعض ذلك ، كما يعرض لبعضها الاستحباب ، ولا يبعد ان تصل معارف الحرب الى درجة الوجوب اذا كانت الحرب شرعية ، فقد ثبت بالتجارب المتعددة المفيدة للقطع أن معارف الحرب التي يسمونها « موسيقى » تنشط المقاتلين وتحفز همهم وتزيد في ثباتهم وإقدامهم وجرأتهم ، وتزيل الشعور بالتعب والمشقة أو تخففه عنهم ، كما يفعل الحداء بالابل . فاذا كان الثبات والإقدام من الواجبات بنص قوله تعالى ( فاثبتوا ) وبمبوم الأدلة الأخرى ، فقد تكون المعارف في بعض الأحيان داخلة في قاعدة « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »

هذا وان من أصول دين الفطرة ، والشريعة السمحة ، الثابتة بالنصوص القطعية ، والمعلومة من الدين بالضرورة ، - أصل اليسر وتقي الحرج . وعدم تحريم شيء على الناس إلا لضرره ، ورفع الإصر والأغلال عن الأم التي كانت قبله ، حتى ان النبي (ص) علل أمره للحبشة باللعب في مسجده باظهار هذه المزية في الاسلام أفندم هذه الأصول الثابتة ، والقواعد الراسخة ، ونستنبط من حديث آحادي روي بالمعنى في سياق الاخبار عن المستقبل ، وذكر بعض الرواة من ألفاظه وقبوده ما لم يذكره غيره ، - أن الأصل في آيات الله ان تكون محرمة في الاسلام وان وجدت بيعت الفطرة عند جميع الامم ، ولم تحرمها قبله الاديان الالهية في ملة من الملل ، ثم نفرع عن هذا الاصل أن إباحة كل آلة منها تحتاج الى نص من الشارع يخصص ذلك الاصل العام ، ان لم يمكن تأويله وتطبيقه عليه كما فعل المشددون ؟ كلا ان الامر بالعكس كما تقدم ، ولا سبيل الى تحريم شيء من ذلك بخصوصه ، وانما يجزم بحرمة ما فيه مفسدة ظاهرة من سماع الفساق وعزفهم الذي نراه في عصرنا مصداقا للحديث ، وبهذا الشرح نستغني عن بيان رأينا في سائر مباحث هذه الرسالة

## باب الاخبار والآراء

## ( الحرب الأوروبية . والدولة العثمانية )

كان أخوف ما يخاف على دولتنا قبل هذه الحرب اتفاق الدول الكبرى على تقسيم بلادها الى مناطق نفوذ اقتصادي، يتبعه النفوذ السياسي، فتمهد كل منهن السبل في منطقتها، للاستيلاء التام عليها، وتنتظر الفرص لاعلان امتلاكها، وكنا قد رأينا بوادر هذا الاتفاق، ومنها الاتفاق، مع فرنسا على منافعها في سورية ومع انكلترا على العراق. بازاء ما لألمانية من الحقوق بامتياز سكة الحديد بين الاستانة وبغداد.

أما وقد وقع بين تلك الدول ما كانت تتمخض به حوادث الاعصار وتشخص رؤية أهواله الأبخار، فقد سحقت لها فرصة لم شعنتها، وتوفير ثورتها، وجمع كلمة شعوبها، واعداد وسائل الدفاع الوطني في بلادها. وازالة ما للاجانب من النفوذ والامتياز فيها، مع حفظ حقوقهم، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم، بحيث تكون مستقلة في داخليتها حق الاستقلال، ولا تكون دون الجبل الاسود والبلغار واليونان، وما شرعت فيه من الاستعداد العسكري وتميئة الجيش المنظم يجب أن تراعي فيه الاقتصاد. وتجهله وسيلة للاستفادة من الحياض، ولا شك ان الامة كلها تشد أزرها في ذلك « وعند الشدائد تذهب الاحقاد »

هذا ما نراه وما يراه كل من نعرف من العقلاء الذين ذاكرناهم في هذه المسألة من محرب وترك وغيرها. وأنا لنعلم مع ذلك ان بين الحكومة الاتحادية والدولة الألمانية اتفاقاً سرياً قبل الحرب، والظاهر ان الثانية جعلته ذريعة لاستخدام جيش الأولى في قتال أعدائها.

الدولة قريبة العهد بحزب لم تبق في خزائنها مالا، ولا في مسالحها سلاحاً، وقد ايد بها مئات الألوف من خير جندها، والامة فقيرة لا تستطيع ان تمد الدولة عن سعة عما تستطيع ان تحارب به دولة كبيرة كالروسية وحدها، فكيف تحاربها ومهما انكلترا وفرنسة واليابان، وبعض حكومات ابلقان. وهذه الحرب قد تستمر عدة أعوام؟ كم تسوق من الجند الى روسية وكم تبقى لحماية بلادها الواسعة، وثغورها غير محصنة؟ واذا غلب جيش لها في رجاء من الاجاء، أو احتاج الى الميرة والذخيرة والسلاح، فكيف التبيل الى إمداده من الارحاء الاخرى. والبحار محرمة عليها، ولا سكة حديدية تصل بين أقطارها؟

# المعجم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي حبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبي الذين يستمعون القول فينبغون أحسنه  
أولئك هم الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ازلاسلام سوى وده منارا ه كثار الطريق

مصر سلخ شوال ١٣٣٢ هـ ق ١ الخريف الأول ١٢٩٣ هـ ش ٢٠ سبتمبر ١٩١٤

## فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

المتحننا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسهل طمأنينة الناس ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بهد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور مما قد مناه تاخر السبب كعاجلة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبتنا غير مشترك لتتل هذا ولن نضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا يغفاله

( علم الله بصفاته . الرضاع من الجدّة )

(س ٢٢) من صاحب الامضاء الجاوي بمصر  
سيدي الاستاذ الاكبر السيد رشيد رضا زاده الله من مرضاته  
أما بعد فاني ألقى الي مسئلتان من البلاد . إحداهما مسألة علمه سبحانه  
بصفات كمالاته . فانها قد شوهدت أفكار الاغلب من أهل بلادي في (سومترا)  
اذ لم يوجد منهم للآن من يفصل القول المحكوم بالدليل أو السنة فيتبعونه  
يقولون . هل يعلم الله أعداد بنية صفاته التي هي صفات الكالات خلاف  
العشرين مثل كذا أو كذا من العدد . أم لا ؟  
فان أجبتهم بنعم ، فما المراد بقولهم ان صفات الكالات من غير نهاية . فان  
التبادر من معنى تلك الكلمة معلوم وظاهر . وان اجبتهم بلا فما المراد أيضا بقول  
الاية ( وأحصى كل شيء عددا ) ثم ألا يعد عجزا عليه سبحانه وتعالى لو فرضنا  
أنه لا يعلم تلك الأعداد ؟ . فهاهي ( ذي ) المسئلة الاولى .  
أما الثانية فهي مسئلة الرضاة . يقول فيها السائل . هل عثرتم من مفهوم  
الكتاب او السنة أو من قول بعض العلماء على إن الطفل اذا رضع من جدته من  
جهة الأم يؤدي الى وقوع الطلاق بين والدي الطفل فيقع الطلاق واحدا اذا رضع  
الطفل مرة واثنين اذا كان مرتين وثلاثا اذا كان ثلاث مرات  
فانكم المسئلان احترت عليهما (١) اذ قلبت كثيرا من كتب الفقه ومن كتب

(١) الصواب ان يقول : حرت أو تحيرت فيهما .

(المنار - ج ١٠) (٩٣) (المجلد السابع عشر)

التوحيد اعلى اعثر من عبارة تحمل عقد تينك المسئلتين فلم أجد . وحقيقة انهما لغريبتان بجانب فهمي التصير ولذلك وجهت بهما الى بحر علومكم راجيا ان تحلوا وثاقهما وما ذلك على واسع علومكم بعظيم .

ابراهيم بستاري سراج الجاوي

تحريرا في ٢١ شعبان سنة ١٣٣٢

### ( علم الله تعالى بصفاته )

الجواب عن المسألة الأولى : ان الله سبحانه وتعالى يعلم صفاته بلا شك ، سواء كان مراد العلماء بقولهم : ان صفات الله لانهاية لها ولا حصر - أنها كذلك بالنسبة الى علم الخالق ، أو في الواقع ونفس الأمر . ولا إشكال في ذلك فان الله تعالى يعلم ما لا نهاية له من الحوادث أيضا كالحوادث التي تكون في الجنة والنار وسائر العالم في المستقبل الذي لانهاية له

وههنا يحسن التذكير بأمرين هما أهم من تينك المسألتين : أحدهما أنه سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ( ص ) بصفات من الكمال معروفة ، والألفاظ الدالة عليها هي أسماءه الحسنى . وحكمته في ذلك ان نعرف بها كماله وعظمته وآثار فضله ورحمته فينا ونعمه علينا ، لنزداد بذكرها إيمانا وتزكية لانفسنا وحبنا في الكمال وأفعال البر ، لا لأجل ان نعددها عدا ، ونبحث فيما زاد عنها ، ثم نشغل أنفسنا بالفكر والكلام في امكان إحصائها أو عدمه ، وفي كيفية علمه بها ، واحاطته بعددها ، فان أمثال هذه المباحث مما لم نكلفه ولا نرى لنا فائدة فيه ، بل ربما يضر البحث فيها بضعيف العلم أو الفهم ويحدث له شكوكا في الدين . ولهذا قال العلماء في تفسير الاحصاء من حديث « ان لله تسعة وتسعين اسما

من أحصاها دخل الجنة » (١) : أي من احصاها حفظا لمعانيها وعلمها بها وإيماناً - أو من استخراجها من كتاب الله تعالى وكلام رسوله ( ص ) لأجل ان يزداد بها إيمانا ومعرفة بر به عز وجل ويدعوه بها - أو من أطاق العمل بما تهدي اليه من الكمال والبر - أو من أخطرها بيباه وتفكر في معانيها عند ذكرها بتلاوة القرآن والأذكار المأثورة خاشعا معتبرا متديرا راجيا راجيا . هذا مجمل مقالوه في معنى الاحصاء ولك ان تقول به كله . ولم يقل أحد يعتقد بعلمه وفهمه ان المراد عدها بالأرقام أو إحصاؤها على السبع . ولم يثبت برواية صحيحة انه (ص) عدها لهم .

(١) رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة

واستشكلوا روايات عددها من جهة المتن ، كما تكلموا فيها من جهة السند . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الاسماء مدرج في الحديث وانهم جمعوها من القرآن . واجابوا عن ذلك بما لاحاجة الي ذكره هنا . وقد ورد في بعض روايات الحديث الضعيفة « وما من عبد يدعو بها الا وجبت له الجنة » رواه الديلمي من حديث علي كرم الله وجهه . وفي أخرى « من دعا بها استجاب الله له » رواه ابن ماجه عن أبي هريرة . وليس فيهما ذكر الاحصاء . وعندنا فوق ذلك كله قول الله عز وجل في سورة الاعراف ( ولله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين ياخذون في أسئته ) وقوله في سورة الاسراء ( قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أیما تدعوا فله الاسماء الحسنی ) فهو تعالی یهدینا الى ان ندعوه ونتضرع اليه بهذه الاسماء الحسنی لاشتمالها علی أحسن المعانی الدالة علی منتهی السکمال والفضل

الامر الثاني - لا ينبغي لأحد ان يجعل ما لا يفهمه من كلام العلماء وما لا يتضح له انه صواب - مشكلا من مشكلات الدين ، بل يحسن ان يعده كأن لم يقل ، ولا سيما أقوال المتكلمين واصطلاحاتهم التي استنبطتها قرأتهم لتأييد مذاهبهم والرد علی مخالفهم ، فان فيما قالوه الخطأ والصواب ، وما اذا احتجج اليه للرد علی خصم كان في زمنهم لا يحتاج اليه في زمن آخر . وكذلك ما صوروا به عقيدة الاسلام التي يدافعون عنها ، لا ينبغي ان يجعل هو الاسلام الذي يلقنه المسلمون في كل عصر ، ويجعلون حفظهم من حماية الدين الدفاع عنه .

مثال ذلك ما كتبه السنوسي رحمه الله تعالی من العقائد ولا سيما العقيدة الصغرى التي انتشرت في المشرقين والمغربين ، ووحذا حدوه فيها معلمو المدارس الرسمية وغيرها حتى فيما يضعونه من العقائد للمبتدئين . وقاعدتها في الالهيات ان الواجب علی كل مكلف شرعا انه يؤمن بأنه يجب لله تعالی عشرون صفة ويستحيل عليه أضدادها . واصطلاحه في هذه الصفات مخالف لما كان يفهمه السلف وأهل اللغة من معنى كلمة صفة ومن اطلاقهم الايمان بصفات الله تعالی . فهو يعد الامور الاعتبارية والعدمية صفات ، فالوجود والمخالفة للحوادث - أي عدم الاحتياج الى المكان والتخصيص - صفتان لله تعالی عنده ، والقدرة وكونه تعالی قادرا صفتان متغايرتان . ولم ينقل مثل هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين ، دع عدم ذكره في القرآن او في كلام الرسول (ص) فكيف تقتصر عليه وتجعله هو العمدة في تلقين عقيدة الاسلام ، ونجعل ما عساه يخالفه ولو في عدد الصفات محلا للاشكال ؟

( مسألة رضاع الطفل من جدته )

وأما الجواب عن المسألة الثانية فهو أننا لم نطلع في الكتاب ولا في السنة ولا في كتب الأئمة على كلام يدل بمنطوقه أو مفهومه على أن الطفل إذا رضع من جدته لأمه رضعة تطلق أمه من أبيه طلاقة واحدة وإذا رضع مرتين تطلق طلقتين وإذا رضع ثلاثا تطلق ثلاثا . وإنما الطلاق كلام يقوله الرجل يدل على حله لعقدة الزوجية ، والله أعلم .

( كلمات الاستقلال والاعتماد على النفس والاجتهاد )

( س ٢٣ ) من أحد المشتركين السوريين بمصر

سيدي الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا دام ثقه

المعروض بعد التحية أن بعض الأفاضل منتقد استعمال كلمة : « الاعتماد على النفس » أو « الاستقلال الشخصي » بمعنى اجتهاد الانسان ، ودليله في ذلك عدم استعمال العرب له ، ولما لم يكن يفتق مني بأن ذلك الاستعمال محمول على اجتهاد المرء الذي هو ضد كسبه وخموله فقال بأن المستعملين ذلك لا يعنون منه سوى اجتهاده في كل حاجياته بحيث لا يعتمد على غيره ألبتة كما هو ظاهر ذلك الاستعمال - جئكم بهذه الكلمات راجيا منكم البيان الوافي المقتنع لمثل ذلك المنتقد - في المنار الأغر  
ولكم الفضل

( ج ) قال في القاموس المحيط : واستقله حملة ورفعته وأقله ( أي أطاق حملة وهذا أصل المعنى ) الطائر في طيرانه ارتفع . وقال غيره : استقل الطائر نهض للطيران وارتفع . وقال الزبيدي فيما استدركه على القاموس في هذه المادة من شرحه : والاستقلال الاستبداد يقال : هو مستقل بنفسه ، ضابط لأمره . و : هو لا يستقل بهذا ، أي لا يطيقه اه

وأما الاعتماد على الشيء فأصاه الاتكاء عليه والتورك عليه . ومنه العماد والعمود الذي يقام عليه البناء والاعتماد على المرء عبارة عن الاتكال عليه ونوط الامور به . ومنه عمدة القوم وعميدهم وعمودهم ، وهو سيدهم الذي يعتمدون عليه في مصالحهم . هذا ما يؤخذ من جميع معاجم اللغة

وأما الاجتهاد فهو بذل الجهد والمشقة في تحصيل الشيء . سواء استقل الانسان بالسعي والعمل أو اعتمد على مساعدة غيره مع بذل جهده

فإذا تدبرت معاني هذه الالفاظ ترى أن المنتقد مخطئ ، وان استعمال كلمة الاستقلال فيما نستعملها فيه فصيح ولا تحل محلها كلمة الاجتهاد

## شعر منشور

في

العربية والعرب

[من إنشاء فؤاد الخطيب أستاذ الآداب العربية في مدرسة غردون الكلية بالخرطوم]  
لاجرم أن اللغة العربية ، أجزل اللغات السامية ، وأوسعها مجالاً ، وأحكمها استعمالاً ، لا يذهب مرّ العشي بسلاستها ، ولا يعث كراً الغداة بطلاوتها .  
ولقد طاحت دول ، وبادت ملل ، فاستسرت لغاتها ، وعفت آياتها ؛ وتلك اللغة تدور مع الاحقاب ، في غلائل الآداب ، وغلواء الشباب ، لا يرهقها هرم ، ولا يخلقها قدم . فكانتها وهي ابنة القرون الخالية ، والامم الماضية ، نشأت في اليوم الحاضر ، أو أمس الدابر ، فجاءت دفعة واحدة مستوفية أقسام جهالها ، وصحة ابنية اسمائها وأفعالها ؛ تجول بها أسلات الالسنه واطراف اليراع ، في صدور المحافل وبطنون الرقاع ، فتنظم فرائدها ، وتعتقل شواردها ، فلا نشد نادرة ، ولا تند بادرة .  
أجل . ان السيف الباتر ، والجبروت القاهر ، والمكاتب المتأوجة بالزحام ، والمدارس المكتظة بالطلاب ، والصحف الذائعة في الآفاق ، والوفود الضاربة في الاصقاع — لم تحول لغة عن أصلها ، ولم تجذب أمة بجبلها . فأين ذلك مما وقع للعربية ، مع تلك الشراذم البدوية ؟ فانها لم تنهب الارض في قطار ، ولم تجزع (١) الفضاء في منطاد ، ولم تمخر البحار بالبخار ؛ بل جابت المسارح ، ورادت المكامن ، وطافت المجامع ؛ فوجلجت كل مصر ، وسكنت كل نفس ، وقالت لكل شيء :  
حسبك فانك عربي منذ اليوم .

فسقى الغيث ذلك العهد القديم ، ورعى الله ذلك العربي الصميم ؛ فانه كان نورا في الظلمات ، وهدى في الشبهات ؛ اذا جال في مضمار الفكر ، وراوح بين النظم والنثر ؛ صور على الطرس ، حقيقة النفس ، فاجتكت بأسرارها ، وحدثتك بأخبارها ؛ فاذا الغيب تكاد تراه عينك ، واذا الوهم تكاد تلمسه يداك .



فهكذا الأدب ، وكذلك العرب ؛ فلقد سبروا غور العلم ، ومشوا الى اعماق  
الفهم ، فاتزعوا العقول من عقالها ، واستلوا الوجود من العدم ، واستخرجوا اليقين  
من الريب ، وتغلغلوا بين الذرة واجزائها ، وتسربوا بين العصا ولحائها ، فكاتوا  
وكل سحر غير سحرهم باطل ، وكل بلد خيموا فيه بابل  
اللهم سبحانه ! انطق العربي بالحكمة الناصمة ، ويهتف بالثقافية الرائعة ،  
فتكاد لحلاوة آياتها ، تقبل أفواه رواتها - وهو في ذلك المنقطع من الارض ،  
يهم في ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا مشت عيونه فمني صميم القفر ، واذا وقفت به  
فملى اديم الصخر .. ؟

فلا يزال في الوجود ، كالمثل الشرود ، تتاقفه الاقطار ، وتتخطفه الاسفار ،  
فن هضاب يحوم فيها كالعقبان ، الى بطاح يعمل فيها كالسيدان ، ومن مجالدة  
زعزع نكباء تنسف التلال ، الى مكابدة هاجرة سحراء تأكل الظلال .  
فما ثم مرتع شائق فيستمد من جماله البيان . وما ثم مورد رائق فيمتح من  
عذبه اللسان ، وانما هي ارجاء عابسة ، وبيداء طامسة . تجول فيها الافكار فتشكل ،  
وتدور فيها الابصار فتضل .

فسلام على تلك الجزيرة الجرداء ، ومرحى لتلك الجاهل الخلاء ، فوالله ماتعوزها  
الرياض مبثوثة الزرابي والاماط ، ولا الحقول مبسوطة البرود والرياط ، ولا النيمر  
يرفوق ، على حصباء تتألق ، فقد نبتت فيها حسنات الزمان ، وتفجرت منها ينابيع  
العرفان ، فغنيت بنصرة الآداب ، عن بهجة الاعشاب ، وبكمال السكان ، عن  
جمال المكان ، بل كانت مسبح الروح الامين ، وموئل الدنيا والدين ، فتبارك الله  
احسن الخالقين ،

فأي نياط لا يتقطع ، وأي مهجة لا تصدع ؟ وقد أودى اولئك السكرام ،  
وتنكرت تلك الايام ، حتى تباذى الرهام ، واستنسر الحمام ، ولم يبق غير آفة مكسال ،  
لا تتحرك الا بزلزال ، ولا تقطع من اشواط الدهر ، الا مسافة العمر من القبر .  
فأين بنو قحطان ، وفتيان عدنان ؟ فيهبوا بالنفوس من غمرتها ، وينهضوا باللغة  
من كبوتها ، فتلك مفاخر بلادهم ، وماثر أجدادهم ، ملء الأنجاد والافوار ، وطالع

الدفاتر والأسفار ، وانها لتطوي بالمرء مراحل العصور والاجيال ، وتطل به على عالم الخفائق من ملكوت الخيال .

اما والله لولا تنطس بعض المزمتمين<sup>(١)</sup> ، وسد هم على اللغة أبواب التعريب والاشتقاق ، فحجروها في الحواشي ، واقبعوها في المتون — لما ازور الطلاب عنها ، وامتلاً ونفورا منها ، وكان العلم كل العلم ان يعض المرء كلام غيره ، ويلوك أقوال سواه ، فيتشقق بالمذاهب العقيمة ، ويتبجح بالامثال السقيمة ، وان قعد به المعجز عن انشاء ققرة ، وتصوير فكرة ، ولم يغن عنه سواد الحدود والمصاحطات ، وما افنّ فيه من الشواهد والنكات ،

ولا بدع فان الاصول وسيلة والانشاء غاية . ولشد ما بينهما من شاسع الفرق وواسع البون . وكم بين الماء والسراب ، والتشور واللباب !

وأما من رزق قريحة وقادة ، وبصيرة تنادة ، واحاطة بما لامندوحة عنه من قواعد اللغة وأصول العربية ، ثم راض نفسه على مزاولة أساليب العرب ومناحيهم ، وتوفر على مطالعة تراكمهم وعراميمهم ، فقد اكتسب من ملكتهم ، ما أخرجه الى لهجتهم فبات وما يترضه عي ولا ترتهنه لكنة ، ولا تحيف بيانه عجمة .

وهل البلاغة — لعمري — الا بصقال الديباجة ، ومثانة الاسلوب ، وحلاوة الأداء ، تسكون المعاني اعلق بالخاطر ، وأسرى في السمع ، وافعل في النفس ؟ أرايتك — وقد ثقفت الالفاظ المتخيرة ، وعرفت أين تضع يدك في سبكا وتأليفها — كيف تهز القلوب وتخلب الالباب ، وتملك قياد الأهواء ؟ ..

ولله در ابي هلال العسكري اذ قال في الصناعتين : « ان مدار البلاغة عليه تحسين اللفظ . وليس يطلب من المعنى الا ان يكون صوابا » . وقال ابن الاثير : ان اللفظة الواحدة تنتقل من هيئة الى أخرى فتحسن أو تقبح . هذه لفظة الارض فانها لم ترد في القرآن الكريم الا مفردة سواء أفردت بالذكر عن السماء كما في قوله تعالى ( والله أنبتكم

( ١ ) المزمتمت من يظهر بمظهر الزميت وهو الكثير السكون والسكوت وقارا ورزانة ، والتنطس التأثق والتدقيق والاستقصاء في الاشياء . يريد مبالغة بعض أهل اللط في المحافظة على القدم من استعمال اللغة

من الارض نباتا) أو قرنت بالسماء مفردة كما في قوله تعالى ( ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ) أو مجموعة كما في قوله تعالى ( الله الذي خلق السموات والارض ) ؛ ولو كان استعمالها بلفظ الجمع مستسحنا لسكان هذا الموضع أو شبهه ألتقى به . ولما أراد أن يأتي بها مجموعة قال ( الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ) وكذلك قول أفصح الخلق لبعض النساء « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . وحسبك ان المعاني المنقولة من لغة الى أخرى تفقد ماءها ، وتفارق صفاتها ، وما ذلك الا لانها انسلخت من بروودها المعطلة ، وانحللت من قوالبها المحكمة . فكانت شبعا ناعلا ، وخيالا ماثلا .

وايت شعري ماذا يضر المعاني ، اذا أجيبت لها المباني ، فكانت شرعاً في المتانة ، وسواء في الصياغة ؛ ولا سيما وقد جاشت غوارب العجبة ، وفشت لوثة اللحن ، ومست الحاجة الى شد أواصر اللغة ، وتقويم مناد اللسان .  
الا وانه لمن البر بالادب ، والغيرة الصادقة على العرب ؛ أن ينسج المتأدب على منوال الفصحاء ، ويطلع على غرار البلغاء ، - فذلك تاريخ آباءنا ، يصبح بنا من وراثنا ، وكله دموع تثرى ، لا ألقاظ تتلى ، ( وما يذكر الا اولو الالباب ) والله الموفق الى الصواب .

## التعريف بكتاب الاعتصام

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا \* وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

العلماء المستقلون في هذه الامة ثلثة من الاولين ، وقليل من الآخرين ، والامام الشاطبي من هؤلاء القليل ، وما رأينا من آثاره الا القليل ، رأينا كتاب ( المواقفات ) من قبل ، ورأينا كتاب ( الاعتصام ) اليوم ، فأشدنا قول الشاعر :

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل

أدخل دار الكتب الخديوية وارم بصرك الى الألو ف من المصنفات في خزائنها ، تر أن كثرتها قلة ، وكثيرها قليل ، لأن القليل منها هو الذي تجد فيه علما صحيحاً لا تجده في غيره ، لأنه مما فتح الله به على صاحبه دون غيره . وقد كان كتاب ( الاعتصام ) من هذا القليل ، فأحسنت نظارة المعارف الى الامة الاسلامية كلها بأجابة مجلس ادارة دار الكتب الخديوية الى طبعه

اتفق علماء الاجتماع والسياسة والمؤرخون من الامم المختلفة على أن العرب ما نهضوا نهضتهم الاخيرة بالمدينة والعمران الا بتأثير الاسلام في جمع كلمتهم ، واصلاح شؤونهم النفسية والعملية ، ولكن اضطرب كثير من الناس في سبب ضعف المسلمين بعد قوتهم ، وذهاب ملكهم وحضارتهم ، فنسب بعضهم كل ذلك الى دينهم ، ومن يتكلم في ذلك على بصيرة يثبت ان الدين الذي كان سبب الصلاح والاصلاح ، لا يمكن أن يكون سبب الفساد والاختلال ، لان العلة الواحدة ، لا يصدر عنها معلولات متناقضة ، فاذا كان لدين المسلمين تأثير في سوء حال خلفهم ، فلا بد أن يكون ذلك من جهة غير الجهة التي صلحت بها حال سلفهم ، وما هي الا البدع والمحدثات التي فرقت جماعتهم ، وزحزحتهم عن الصراط المستقيم

من أجل ذلك كان تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنياهم ، ويكون أعظم عون للدعاة الاصلاح الاسلامي على سعيهم .

وقد كتب كثير من العلماء في البدع ، وكان أكثر ما كتبوا في الترهيب والتنفير ،  
والرد على المبتدعين . ولكن الفرق التي يرد بعضها على بعض ، يدعي كل منها أنه  
هو الحق ، وأن غيره الضال والمبتدع ، إما بالأحداث في الدين ، وإما بجهل  
مقاصده ، والجود على ظواهره ، وما رأينا أحداً منهم هُدي إلى ما هُدي إليه  
( أبو اسحاق الشاطبي ) من البحث العلمي الاصولي في هذا الموضوع ، وتقسيمه  
إلى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة

لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين كان  
مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة ، وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع ، وكان  
المصنف بهذا الكتاب وبصنوه كتاب الموافقات - الذي لم يسبق إلى مثله سابق  
أيضاً - من أعظم المجددين في الإسلام . فثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن  
ابن خلدون ، كل منهما جاء بما لم يسبق إلى مثله ، ولم تنتفع الأمة - كما كان يجب -  
بعلمه

كتاب الموافقات لاند له في بابه ( أصول الفقه وحكم الشريعة وأسرارها )  
وكتاب الاعتصام لاند له في بابه ، فهو ممتع مشبع ، ولا يتمه المصنف رحمه الله  
تعالى . وقد صدره بمقدمة في غرابة الإسلام وحديث « بدأ الإسلام غريباً » المنبئ  
بذلك . ثم جعل مباحث ما كتبه في عشرة أبواب

( الباب الاول ) في تعريف البدع ومعناها ( الثاني ) في ذم البدع وسوء متقلب  
أهلها ( الثالث ) في أن ذم البدع والمحدثات عام ، وفيه الكلام على شبه المبتدعة ،  
ومن جعل البدع حسنة وسيئة ( الرابع ) في مأخذ أهل البدع في الاستدلال  
( الخامس ) في البدع الحقيقية والاضافية والفرق بينهما ( السادس ) في أحكام  
البدع وأنها ليست على رتبة واحدة ( السابع ) في الابتداع : يختص بالعبادات ، أم  
تدخل فيه العادات ؟ ( الثامن ) في الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان  
( التاسع ) في السبب الذي لأجله اقرقت فرق المبتدعة عن جماعة المسلمين  
( العاشر ) في الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه المبتدعة .

وفي هذه الابواب مباحث تشبه فيها المسائل ، وتعارض الدلائل ، وتنتفج

الشبهات ، وتترأى في معارض البينات ، حتى يعز تحرير القول فيها ، والفصل بين قوادمها وخوافيها ، الاعلى من كان مثل المصنف في نور بصيرته ، وغزارة مادته ، وقوة عارضته ، وفصاحة عبارته

ومن أغمض هذه المسائل ما كان سنة أو مستحبا في نفسه وبدعة لوصف وهيئة عرضت له ، كالتزام المصلين المكث بعد الصلاة لاذكار وأدعية مأثورة يؤدونها بالاجتماع والاشترك ، حتى صارت شعارا من شعائر الدين ، ينكر الناس على تاركها دون فاعليها ، وقد أطال المصنف في اثبات كونها بدعة وأورد جميع الشبه التي دعمت بها ، وكر عليها بالنقض فهدمها كلها

ومالي لا أذكر لعلماء الشرع الاعلام ، ولأهل السياسة من علماء الحقوق والاصراء والحكام ، أهم ما شرحه لهم هذا الكتاب من أصول الاسلام ، وهو بحث المصالح المرسله والاستحسان ، من أصول مذهبي مالك وأبي حنيفة النعمان . وبهما يظهر اتساع الشرع لمصالح الناس في كل زمان ومكان ؟

بين المصنف وجه اشتباه ماسموه البدع المستحسنة ، بالاستحسان الفقهي والمصالح المرسله . ثم كشف كل شبهة . وأزال كل غمة . فبين أن البدع ليست من هذين الاصلين في ورد ولا صدر ، ولا تتفق معهما في علة ولا غرض ، فان البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع وافقيات عليه ، وأما مسائل المصالح المرسله والاستحسان فهي موافقة لحكمته ، وجارية على غير المعين من عموم بيناته وأدلته . وقد أورد المصنف ما قيل في تعريف ذينك الاصلين ووضح ذلك بالشواهد والامثلة ، فلو انك قرأت جميع ما تناوله المدارس الاسلامية من كتب أصول الفقه وفروعه ، لا تثبت وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسله والاستحسان ، كما تعرفنا من هذا البحث الذي أوردها المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات من أراد أن يعرف فضل الاسلام وسماحته ، وسهولته ومرونته ، فليأخذ من ينبوعه ، وليستن على فهمه بهؤلاء الحكماء الذين يشددون في انكار البدع ، ويدعون المسلمين الى السنة التي كان عليها السلف ، ويرون ضلال من يزيد في العبادات عليهم ، أشد وأضر من ضلال من ينقص في غير أصول الفرائض عنهم ،

ويوسعون على الناس في أمور العادات ، بناء على أصل الاباحة في الاشياء ، وان ظن كثير من الجاهلين ، ان هذا هو عين الجود في الدين ، وجعله ديناً خاصاً بأهل البداوة ، لا يطبق احتمالاً أهل المدنية والحضارة ، والامر بالضد ، والله الامر من قبل ومن بعد

كان هذا الكتاب كنزاً مخفياً لا توجد منه في هذه الاقطار الا نسخة بخط مغربي في كتب الشيخ محمد محمود الشنقيطي المحفوظة في دار الكتب الخديوية ، فاستخرجه مجلس ادارتها في العام الماضي واقترح طبعه ، فوافق ذلك رغبة صاحب السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف لذلك العهد ، وعهد الي بطبعه بشروط بينها في الكتاب الذي كتبه الي بذلك . وأرسلت الي دار الكتب الجزء الاول منه مذبوحاً نسخاً جديداً على أوراق متفرقة لتجمع حروف الطبع عنها . فتصفحت بعضها فألفت فيها غلطاً وتحريفاً كثيراً حتى في الاحاديث ، فكتبت في حاشية ما جمعت حروفه منها ليكون نموذجاً للطبع تصحيحاً لما ظهر لي غلطه ، وتحريفاً لحديث « بدأ الاسلام غريباً » الذي بنى عليه المصنف مقدمة الكتاب وجعله الاصل في وجه الحاجة اليه . وفسرت فيها بعض الكلم الغامض وأطلعت على ذلك صديقي الاستاذ الفاضل السيد محمد البلاوي وكيل دار الكتب الخديوية الذي يرجع اليه في تصحيح الكتب التي تطبع على نفقتها ، وقلت له يعز علي أن يطبع هذا الكتاب النفيس من غير أن يصحح أصله ويعلق عليه شيء . وأنا أتبرع بما أراه ضرورياً من ذلك ، ومطبعتي تبرع بتصحيح الطبع أيضاً . ولو كنت في سعة من وقتي لخرجت أحاديثه كلها ، وبذلت العناية بمراجعة كل نقوله من مظانها ، وبغير ذلك من تصحيحه . فقال : نحن نرى من التوفيق أن يطبع هذا الكتاب تحت نظرك واشرافك ، ونرى انك أجدر وأحق بتصحيحه ....

ما تيسر لي قراءة شيء من الكتاب في وقت فراغ ، بل كانت المطبعة تعرض علي الاوراق عند ارادة الاشتغال بطبعها ، فكنت أرى الغلط فيه أنواعاً - (أحدها) ما اقطع بأن صوابه كذا كتحرير بعض الايات ، أو الاحاديث المعزوة الي غير جيبها ، وتحريف أو تصحيف بعض الكلم ، فأنا أصحح هذا ولا أذكر في

الحاشية ما كان في الاصل الا قليلا ( ثانيها ) ما أظن ان صوابه كذا . وهو ما اكتب في الحاشية « لعل أصله كذا » أو ما يفيد هذا المعنى ( ثالثها ) ما أشبهه في أصله ما هو . فنه ما أفهم المراد منه بالقرينة ، فإما ان أشير اليه في الحاشية ، وإما ان أتركه للقارئ . ويقل فيما تركته التحريف الذي لا يفهم المراد منه مطلقا ، أو الا بعد تأمل طويل .

وقد يرى القارئ في بعض المواضع منه كلمات بين هذه العلامات ( ) التي يعبرون عنها بالاهلة أو الأقواس أو بدونها وقد تكون من حرف صغير ، ويرى ان المعنى لا يلتزم الابهاء ، ويجزم بأنها من الاصل ، وانما ميزناها بما ذكر لي علم انها من المصحح ، ويرى في بعض المواضع علامة الاستفهام بين قوسين هكذا - ؟ ) ويشار بها الى خفاء في تلك المواضع أو غلط لم نهتد الى أصله . ولكن لم نلتزم ذلك في كل مواضع الغلط لمبهم

وقد تركت تصحيح بعض الاحاديث والآثار التي أحفظها من كتب الصحاح والسنن على غير ما وردت عليه في الكتاب ، اثلا يكون بعض المحدثين الذين لم نطلع على كتبهم رواها بسياق المصنف . وكتبت بازاء بعض ذلك علامة المراجعة على أوراق الطبع ، مريدا بذلك ان تعيده المطبعة الي للتأمل فيه أو مراجعته في مظانه . وعلمت بعد ذلك ان المطبعة كانت تراجع في بعض ذلك نسخة الكتاب المغربية فاذا رأت المعدل للطبع موافقا لها طبعته ولم تعده الي ؛ فيفوتني ما أريد من تصحيحه

وجملة القول اني على ما أقاسي من العناء في تصحيح الكتاب لا أدعي انه قد تيسر لي تصحيحه كما أحب . وانما أقول انه بصح تصحيحاً يمكن القارئ من فهمه ، فلا يكاد يخفى عليه منه الا النادر من المفردات أو الجمل التي لا يخل خفاؤها بفهم المسألة التي عرضت له فيها . فهذا هو الطريق الذي سلكته في تصحيحه ، يئته قبل الأمام ، وعسى الله ان يوفقني بالخير الى زيادة العناية وحسن الختام ما

محمد رشيد رضا

وكتب في ١٥ شوال سنة ١٣٣٢

منشئ المنار ، وناظر مدرسة دار الدعوة والارشاد



## ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج ديباج ابن فرحون باختصار

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصوليا مفسرا ، فقيها محدثا ، لغويا بيانيا ، نظارا ثبنا ، ورعا صالحا ، زاهدا سنيا ، اماما مطلقا ، مجاذا مدققا ، جدليا بارعا في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، وأكابر الأئمة المتقنين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون - فقها وأصولا ، وتفسيرا وحديثا ، وعربية وغيرها - مع التحري والتحقيق ، له استنباطات جميلة ، ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محققة ، كان على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصا على اتباع السنة ، مجاوبا للبدع والشبهة ، ساعيا في ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل ما ينحو للبدع واهلها ، وقع له في ذلك أمور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل وله تأليف جميلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات ونحقيقات شريفة ، قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه ، الامام المحقق العلامة الصالح ، أبو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله أهله .

أخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها مالا مطمع فيه لسواه ، مجاذا ، وحفظا ، وتوجيها ، ابن الفخار الألبيري ، لازمه الى ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، أبو الناسم السبتي ، شارح مقصورة حازم ، والامام المحقق أعلم أهل وقته ، الشريف أبو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته باجماع ، ابو عبد الله المقرئ ، وقطب الدائرة شيخ الحلة ، الامير الشهير ، أبو سعيد ابن لب ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجد ، والعلامة المحقق المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البلنسي ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو عباس القباب ، والمفتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقباب وقاضي

الجماعة الفشتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير أبي عبدالله ابن عباد . وجرى  
له معهم اجاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ،  
منها مسألة مراعاة الخلاف في المذهب (١) فيها له بحث عظيم مع الامامين القباب  
وابن عرفة . وله اجاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقد دره في العلوم فوق  
ما يذكر ، وتحليلته في التحقيق فوق ما يشهر .

ألف تواليف نفيسة ، اشتمت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات  
الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو . في أسفار أربعة ~~كبار~~ ، لم  
يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيا فيما أعلم . وكتاب (المواقفات) في أصول الفقه سماه  
« عنوان التعريف بأصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل  
على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن  
مرزوق : كتاب المواقفات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف  
كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام)  
وكتاب (الجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من  
الفوائد والتحقيقات ، مالا يعامه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في  
كراسين فيه طرف وتحف . وملح ادبيات وانشادات . وله أيضا كتاب (عنوان  
الانفاق) في علم الاشتقاق ) وكتاب (أصول النحو) . وقد ذكرها معا في  
شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني  
اتلف أيضا . وله غيرها . وفتاوي كثيرة  
ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

بليت يا قوم والبلوى متنوعة      بمن اداريه حتى كاد يردني  
دفع المضرة لاجلها لمصلحة      فحسي الله في عقلي وفي ديني

انشدهما تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ابي يحيى بن عاصم الشهير  
وأخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم . والشيخ ابي عبدالله البياني ، وغيرهم .  
وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعمائة ولم أقف على مولده رحمه الله .  
( فائدة ) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ،  
عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع  
للشيخ الماتقي في كتاب الورع . قال : توظيف الخراج على المسلمين من المصالح  
المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا

(١) شار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب المواقفات

الآن . لكثرة الحاجة لما يأخذه العذر من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وإنما النظر في القدر المحتاج اليه من ذلك ، وذلك هو كقول الامم ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول كما قال القائل ، لمن اجز شرب العصير بعد كثرة طبخه وصار ربا : احللتها والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستمرار الى نقص الطبخ . حتى تحل الخمر بمقالك ، فاني أقول - كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا أحل شيئا حرمه الله ، ولا أحرم شيئا أحله ، وان الحق أحق ان يتبع (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفا على أهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد بن ابي ، فأفتى انه لا يجوز ولا يسوغ ، وافق صاحب الترجمة بسوغه . مستندا فيه الى المصلحة المرسله . معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي في كتابه فاستوفى . ووقع لابن القراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ، لانظيل به . وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين . ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات . وترد عليه الكتب في ذلك من بعض أصحابه . فيوقع له : وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادي على التأليف المتأخرة . فليس ذلك مني محض رأي . ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير . وابن شاس . وابن الحاجب . ومن بعدهم . ولان بعض من لقيته من الملماء بالفقه أوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين . وأتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة . والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله ، ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف . ونقل عن بعض الاصحاب : لا تجوز مخالفته . وذلك مشعر بالتساهل جدا . ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما أعلم .

والعبارة الخشنة التي أشار اليها كان ينقلها عن صاحبه أبي العباس القباب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه ، وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة ، اما للهجل بمؤلفيها أو لتأخر أزمنتهم جدا . فلذلك لا أعرف كثيرا منها ولا اقتنيتها . وعمدني كتب الاقدمين المشاهير . وانقتصر على هذا القدر من بعض فوائده

( دخول الابتداع في العاديات (\*) )

وأما تحليل الدماء والربا والحريز والغناء والخمر، فخرج أبو داود وأحمد وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليشربن ناس من امتي الخمر يسمونها بغير اسمها » — زاد ابن ماجه — « يعزف على رءوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الارض ، ويحمل منهم القردة والخنازير » وخرجه البخاري عن أبي حنبل وأبي مالك الأشعري قال فيه « ليكونن من امتي أقوام يستحلون الخمر<sup>(١)</sup> والحريز والمعازف ، ولينزلن اقوام الى جنب علم ، تروح عليهم سارحة لهم . يأتيهم رجل لحاجة فيقولون : ارجع الينا غدا ، فيبيتهم الله ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » . وفي سنن أبي داود « ليكونن من امتي أقوام يستحلون الخمر والحريز — وقال في آخره — يمسح منهم آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة » .

والخمر هنا نوع من الحريز ليس الخمر المأذون فيها المنسوج من حريز وغيره . وقوله في الحديث « لينزلن اقوام » يعني — والله أعلم — من هؤلاء المستحلين ، والمعنى ان هؤلاء المستحلين ينزل منهم أقوام الى جنب علم — وهو الجبل — ، فيواعدهم الى الغد ، فيبيتهم الله — وهو أخذ العذاب ليلا — ويمسخ منهم آخرين ، كما في حديث أبي داود كما في الحديث

( \* ) تابع لما نشر من كتاب الاعتصام في ص ٦٧٣ ج ٩ وهو تنمة بحث النظر في أمثلة الوجه الثالث من أوجه دخول الابتداع في العاديات

( ١ ) الرواية المشهورة بمهملتين ، وسيأتي ذكر هذا اللفظ وتفسيره في حديث

آخر في ص ٧٥٥

قبل : يخسف الله بهم الارض ويمسح منهم قردة وخنازير . وكان الخسف هاهنا هو التبييت المذكور في الآخر ؛

وهذا نص في ان هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها حيث زعموا ان الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر ، وانما له اسم آخر إما النبيذ أو غيره ، وانما الخمر عصير العنب النبيء ، وهذا رأي طائفة من الكوفيين ، وقد ثبت ان كل مسكر خمر .

قال بعضهم : وانما أتى على هؤلاء حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم ، ولم يلتفتوا الى وجود المعنى المحرم وثبوته - قال - : وهذه بعينها شبهة اليهود في استحلالم اخذ الحيتان يوم الاخذ بما اوقموها به يوم السبت في الشباك والحفائر من فعلهم يوم الجمعة حيث قالوا : نيس هذا بصيد ، ولا عمل يوم السبت ؛ وليس هذا باستباحة الشح<sup>(١)</sup>

بل الذي يستحل الخمر زاعما (انه) ليس خمر مع علمه بان معناه معنى الخمر ومقصوده مقصود الخمر ، أفسد تأويلا ، من جهة أن أهل الكوفة من اكثر الناس قياسا ؛ فائن كان من القياس ما هو حق ؛ فان قياس الخمر المنبوذة على الخمر العصيرة من القياس في معنى الاصل ، وهو من القياس الجلي ؛ اذ ليس بينهما من الفرق ما يتوهم انه مؤثر في التحريم فاذا كان هؤلاء المذكورون في الحديث إنما شربوا الخمر استحلالا لها لما ظنوا ان المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ ، وظنوا ان لفظ الخمر لا يقع على غير عصير العنب النبيء ، فشبهتهم في استحلل الخمر والمعاذف أظهر

(١) كذا ولعله «السبت» . والعبارة كلها مضطربة ليست سالمة من التحريف

بأنه أبيض الحرير (النساء) مطلقا، وللرجال في بعض الأحوال؛ فكذلك  
 الفناء والدف قد أبيض في العرس ونحوه، وأبيض منه الحداء وغيره؛  
 وليس في هذا النوع من دلائل التحريم ما في الحجر؛ فظهر ذم الذين  
 يخسف بهم ويمسحون، إنما فعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي  
 استحلوأ به المحارم بطريق الحيلة، وأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته  
 في تحريم هذه الأشياء.

وقد خرج ابن بطة عن الأوزاعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 «يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الربا بالبيع» قال بعضهم: يعني  
 العينة. وروى في استحلال الربا حديث رواه إبراهيم الحربي عن أبي  
 ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك  
 وجبرية، ثم ملك عضوض يستحل فيه الحر والخز» يريد استحلال  
 الفروج الحرام، والحر بكسر الحاء المهملة والراء المخففة الفرج، قالوا:  
 ويشبهه - والله أعلم - أن يراد بذلك ظهور استحلال نكاح المحلل ونحو  
 ذلك بما يوجب استحلال الفروج المحرمة؛ فإن الأمة لم يستحل أحد منها  
 الزنا الصريح، ولم يرد بالاستحلال مجرد الفعل، فإن هذا لم يزل معمولاً  
 في الناس؛ ثم لفظ الاستحلال إنما يستعمل في الأصل فيمن اعتقد  
 الشيء حلالاً، والواقع كذلك؛ فإن هذا الملك العضوض الذي كان بعد  
 الملك والجبرية قد كان في أواخر عصر التابعين، في تلك الأزمان صار  
 في أولي الأمر من يفتي بنكاح المحلل ونحوه، ولم يكن قبل ذلك من يفتي  
 به أصلاً.

ويؤيد ذلك أنه في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المشهور أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن آكل الربا وشاهديه وكاتبه والمحلل له .  
وروى احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « ما ظهر في قوم الربا والزنا الا أحلوا بانفسهم عقاب الله » فهذا  
يشعر بان التحليل من الزنا كما يشعر ان العينة من الربا .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً وصرفوا قال « يأتي

على الناس زمان يستحل فيه خمسة اشياء - : يستحلون الخمر باسماء يسمونها

بها ، والسحت بالهدية ، والقتل بالريبة ، والزنا بالنكاح ، والربا بالبيع » فان

الزيادة المذكورة اولا قد سنت ، واما السحت الذي هو العطية للوالي

والحاكم ونحوها باسم الهدية فهو ظاهر ، واستحلل القتل باسم الارهاب

الذي يسميه ولاية الظلم سياسة وابهة الملك ونحو ذلك فظاهر ايضا ،

وهو نوع من انواع شريعة القتل المخترعة . وقد وصف النبي صلى الله عليه

وسلم الخوارج بهذا النوع من الخصال فقال « ان من ضئضى هذا قوما

يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يقتلون اهل الاسلام ، ويدعون

اهل الاوثان ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ولعل

هؤلاء المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة رضي

الله عنه « يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا » الحديث . يدل عليه تفسير

الحسن قال : يصبح محرماً لدم اخيه وعرضه ويمسي مستحلاً ، الى آخره .

وقد وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله

المتسمى بالمهدي المغربي الذي زعم انه المبشر به في الاحاديث ، فجعل القتل

عقاباً في ثمانية عشر صنفاً ذكروا منها : الكذب ، والمداهنة ، واخذهم

ايضا بالقتل في ترك امتثال امر من يستمع أمره، وبايموه على ذلك؛ وكان يعظمهم في كل وقت ويذكرهم، ومن لم يحضر أدب، فان تمادى قتل، وكل من لم يتأدب بما ادب به ضرب بالسوط المرة والمرة، فان ظهر منه عناد في ترك امتثال الاوامر قتل، ومن داهن على اخيه او أبيه او من يكرم او المقدم عليه قتل. وكل من شك في عصمته قتل او شك في انه المهدي المبشر به، وكل من خالف امره اصحابه فعروه، فكان اكثر تاديه القتل - كما ترى - كما انه كان من رأيه ان لا يصلي خلف امام او خطيب ياخذ اجرا على الامامة او الخطابة، وكذلك لبس الثياب الرفيعة - وان كانت حلالا - فقد حكوا عنه قبل ان يستفحل امره انه ترك الصلاة خلف خطيب اغتمت بذلك السبب. فقدم خطيب آخر في ثياب حفيظة تباين التواضع - زعموا - <sup>(١)</sup> فترك الصلاة خلفه.

وكان من رأيه ترك الرأي واتباع مذاهب الظاهرية. قال العلماء: وهو بدعة ظهرت في الشريعة بعد المائتين. ومن رأيه ان التماذي على ذرة من الباطل كالتماذي على الباطل كله.

وذكر في كتاب الامامة انه هو الامام، واصحابه هم الغرباء الذين قيل فيهم «بدئ الاسلام غريبا وسيمود غريبا كما بدئ»، فطوبى للغرباء» وقال في الكتاب المذكور: جاء الله بالمهدي وطاعته صافية تقية لم ير مثلها قبل ولا بعد؛ وان به قامت السموات والارض، وبه تقوم، ولا

(١) كلمة «زعموا» جملة معترضة تؤذن بالبراءة مما يحكى عنهم. وأفصح منه ان يقال: بزعمهم. كما قال تعالى (فقالوا: هذا لله - بزعمهم - وهذا شركائنا)



ضد له ولا مثل ولاندة ، انتهى . وكذب . فالمهدي عيسى عليه السلام .  
 وكان يأمرهم بلزوم الحزب بعد صلاة الصبح ، وبعد المغرب ،  
 فأمر المؤذنين اذا طلع الفجر ان ينادوا « اصبح والله الحمد » إشعاراً - زعموا -  
 بان الفجر قد طلع لالزام الطاعة ، ولحضور الجماعة ، وللغد ، ولكل  
 ما يؤصرون به .

وله اختراعات وابتداعات غير ما ذكرنا ، وجميع ذلك الى <sup>(١)</sup> انه  
 قائل برأيه في العبادات والعادات ، مع زعمه انه غير قائل بالرأي . وهو  
 التناقض بعينه ، فقد ظهر اذا جريان تلك الاشياء على الابتداع

\*

وأما كون الزكاة مغرماً ، فالمغرم (ما) يلزم اداؤه من الديون ، والغرامات  
 كان الولاية يلزمونها الناس بشيء معلوم من غير نظر الى قلة مال الزكاة  
 . أكثرته أو قصوره عن النصاب أو عدم قصوره ، بل يأخذونهم بها على  
 كل حال الى الموت ، وكون هذا بدعة ظاهر .

\*

وأما ارتفاع الاصوات في المساجد فناشئ عن بدعة الجدل في  
 الدين ، فان من عادة قراءة العلم وإقراءه وسماعه وإسماعه أن يكون في  
 المساجد ، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الاصوات في غير المساجد ، فما  
 ظنك به في المساجد ؟ فالجدال فيه زيادة الهوى ، فانه غير مشروع في  
 الاصل ، فقد جعل العلماء من عقائد الاسلام ترك المراء والجدال في الدين ،  
 وهو الكلام فيما لم يأذن في الكلام فيه ، كالكلام في التشابهات من

(١) كذا في الاصل والمعنى المراد ان جميع ذلك يدل على انه قائل برأيه

الصفات والافعال وغيرها ، وكتشابهات القرآن ، ولاجل ذلك جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ) الآية ، قال - « فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » وفي الحديث « ماضل قوم بعد هدى الأوتوا الجدل » وجاء عنه عليه السلام انه قال : « لا تماروا في القرآن فان المراء فيه كفر » وعنه عليه السلام انه قال « ان القرآن يصدق بعضه بعضاً ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، ما علمتم منه فاقبلوه وما لم تعلموا منه فكلوه الى عالمه » وقال عليه السلام « اقرؤا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فيه فقوموا عنه » وخرج ابن وهب عن معاوية بن قررة قال : اياكم والخصومات في الدين فانها تحبط الاعمال . وقال النخعي في قوله تعالى ( وألقينا بينهم المداوة والبغضاء ) قال : الجدل والخصومات في الدين .

وقال معن بن عيسى : انصرف مالك يوماً الى المسجد وهو متكئ على يدي ، فاجتقه رجل يقال له ابو الجديرة يتهم بالإرجاء ، فقال يا أبا عبد الله : اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأبي . فقال له : احذر أن أشهد عليك . قال : والله ما أريد الا الحق . اسمع مني ، فان كان صواباً فقل به أو فتسكلم ؛ قال : فان غلبتني ؟ قال : اتبعني . قال فان غلبتك ؟ قال اتبعتك ؛ قال : فان جاء رجل فكلمناه فقلنا ؛ قال : اتبعناه . فقال له مالك : يا عبد الله ؛ بمث الله محمداً بدين واحد وأراك تنتقل . وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات اكثر التنتقل . وقال مالك : ليس الجدل في الدين بشيء .

والكلام في ذم الجدال كثير . فاذا كان مذموماً فمن جعله محموداً  
وعده من العلوم النافعة باطلاق فقد ابتدع في الدين . ولما كان اتباع الهوى  
أصل الابتداع لم يعد صاحب الجدال أن يماري ويطلب الغلبة ، وذلك  
مظنة رفع الاصوات .

فان قيل : عدت رفع الاصوات من فروع الجدال وخواصه وليس  
كذلك ؛ فرفع الاصوات قد يكون في العلم ، ولذلك كره رفع الاصوات  
في المسجد ، وان كان في العلم أو في غير العلم . قال ابن القاسم في المبسوط :  
رأيت مالكا يعيب على أصحابه رفع أصواتهم في المسجد . وعلل ذلك محمد  
ابن مسامة بعلمتين : احدهما انه يجب أن يتزه المسجد عن مثل هذا  
لأنه مما امر بتعظيمه وتوقيره . والثانية انه مبني للصلاة ، وقد أمرنا أن  
نأتيها وعلينا السكينة والوقار ، فان يلزم ذلك في موضعها المتخذ لها أولى .  
وروى مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنى رحبة بين ناحية المسجد  
تسمى البطحاء<sup>(١)</sup> وقال : من كان يريد أن يانط أو ينشد شعراً أو يرفع  
صوته فليخرج الى هذه الرحبة . فاذا كان كذلك ، فن أين يدل  
ذم رفع الصوت في المسجد على الجدل المنهي عنه ؟

فالجواب من وجهين : (أحدهما) أن رفع الصوت من خواص  
الجدل المذموم ، أعني في أكثر الامر دون الفلتات ، لان رفع الصوت  
والخروج عن الاعتدال فيه ناشئ عن الهوى في الشيء المتكلم فيه .  
وأقرب الكلام الخاص بالمسجد الى رفع الصوت الكلام فيما لم يؤذن فيه ،  
وهو الجدال الذي نهى عليه الحديث المتقدم . وأيضاً لم يكتر الكلام جدا

في نوع من أنواع العلم في الزمان المتقدم الا في علم الكلام ، والى غرضه تصويت سهام النقد والذم ، فهو اذا هو . وقد روي عن عميرة ابن أبي ناجية المصري انه رأى قوماً يتعارفون في المسجد وقد علت أصواتهم فقال : هؤلاء قوم قد ملوا العبادة ، وأقبلوا على الكلام ، اللهم أمت عميرة . فمات من عامه ذلك في الحج ؛ فرأى رجل في النوم قائلاً يقول : مات في هذه الليلة نصف الناس . فعرفت تلك الليلة ، فجاء موت عميرة هذا . (والثاني ) انا لو سلمنا أن مجرد رفع الاصوات يدل على ما قلنا لكان أيضاً من البدع اذا عد كأنه من الجائز في جميع أنواع العلم فصار معمولاً به لاسي<sup>(١)</sup> ولا يكف عنه مجرى البدع المحدثات<sup>(٢)</sup> .

\*

وأما تقديم الاحداث على غيرهم ؛ من<sup>(٣)</sup> قبيل ما تقدم في كثرة الجهال وقلة العلم ؛ كان ذلك التقديم في رتب العلم او غيره ، لان الحدث ابداً او في غالب الامر غير لم يتحسك ، ولم يرتض في صناعته رياضة تبلغه مبالغ الشيوخ الراسخين الاقدام في تلك الصناعة ؛ ولذلك قالوا في المثل : وابن اللبون اذا ما أزر في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس هذا ان حملنا الحدث على حداثة السن ، وهو نص في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، فان حملناه على حدثان العهد بالصناعة - ويحتمله قوله « وكان زعيم القوم ارضهم » وقوله « وساد القبيلة فاسقم » وقوله

(١) الكلمة غير منقوطة في الاصل وتحتمل بالتصحيف والتحريف عدة احتمالات  
(٢) كذا . ولعل أصله : فجرى مجرى البدع المحدثات (٣) لعل الاصل « فن »

« اذا اسند الامر الى غير اهله » فالمعنى فيها واحد - فان الحديث العهد بالشيء لا يبلغ مبالغ التقديم العهد فيه . ولذلك يحكى عن الشيخ ابي مدين انه سئل عن الاحداث الذين نهى شيوخ الصوفية عنهم ، فقال : الحدث الذي لم يستكمل الامر بعد ، وان كان ابن ثمانين سنة .

فاذا تقديم الاحداث على غيرهم ، من باب تقديم الجهال على غيرهم . ولذلك قال فيهم « سفهاء الاحلام - وقال - يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم » الى آخره ، وهو منزل على الحديث الآخر في الخوارج « ان من ضئضى هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » الى آخر الحديث . يعنى انهم لم يتفقهوا فيه ، فهو في السننهم لا في قلوبهم .

\*

واما لمن آخر هذه الامة اولها ، فظاهر مما ذكر العلماء عن بعض الفرق الضالة ، فان الكاملة من الشيعة كفرت الصحابة رضي الله عنهم حين لم يصرفوا الخلافة الى علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفرت عليا رضي الله عنه حين لم يأخذ بحقه فيها .

واما ما دون ذلك مما يوقف فيه عند السبب ، فنقول موجود في الكتب ، وانما فعلوا ذلك لمذاهب سوء لهم رأوها فبنوا عليها ما يضاهاها من السوء والفحشاء ، فلذلك عدوا من فرق اهل البدع

قال مصعب الزبيري وابن نافع : دخل هارون ( يعنى الرشيد ) المسجد فركع ، ثم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، ثم اتى مجلس مالك فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . ثم قال لمالك : هل لمن سب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفياء حق ؟ قال لا !

ولا كرامة ولا مسرة . قال : من اين قلت ذلك : قال : قال الله عز وجل  
( ليغيظ بهم الكفار ) فمن عابهم فهو كافر ، ولا حق لكافر في الفياء .  
واحتج مرة اخرى في ذلك بقوله تعالى ( للمفقر المهاجرين الذين  
اخرجوا من ديارهم واموالهم ) الى آخر الآيات الثلاث - قال - فهم  
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وانصاره ،  
( والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا  
بالايمان ) فمن عدا هؤلاء فلا حق لهم فيه . وفي فعل خواص الفرق من  
هذا المعنى كثير .

\*

واما بعث الدجالين ؛ فقد كان ذلك جملة ، منهم من تقدم في زمان  
بني العباس وغيرهم . ومنهم معدة <sup>(١)</sup> من العبيدية الذين ملكوا افريقية ؛  
فقد حكى عنه انه جعل المؤذن يقول : اشهد ان معدة رسول الله .  
عوضا من كلمة الحق « اشهد ان محمدا رسول الله » فهم المسلمون بقتله  
ثم رفعوه الى معد ليروا هل هذا عن امره ، فلما انتهى كلامهم اليه ،  
قال : أردد عليهم اذانهم لمنهم الله .

ومن يدعي لنفسه العصمة ؛ فهو شبه من يدعي النبوة . ومن يزعم  
انه قامت السموات والارض فقد جاوز دعوى النبوة ، وهو المغربي  
المتسمى بالمهدي .

وقد كان في الزمان القريب رجل يقال له الفازازي ادعى النبوة  
واستظهر عليها بامور موهمة للكرامات ، والاخبار بالمغيبات ، ومخيلة

لخوارق العادات ؛ تبعه على ذلك من العوام جملة ؛ ولقد سمعت بعض طلبه ذلك البلد الذي اختله هذا الباس - وهو ما لقة - آخذا ينظر في قوله تعالى ( وخاتم النبيين ) وهل يمكن تأويله ؛ وجعل يطرق اليه الاحتمالات ، ليسوغ امكان بعث نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وكان مقتل هذا المفترى على يد شيخ شيوخنا ابي جعفر ابن الزبير رحمه الله . ولقد حكى بعض مؤلفي الوقت قال : حدثني شيخنا ابو الحسن ابن الجياب ، قال : لما امر بالتأهب يوم قتله وهو في السجن الذي اخرج منه الى مصرعه جهر بتلاوة سورة يس ، فقال له احد الذعرة ممن جمع السجن بينهما : اقرأ قرآنك ، لاي شيء تفضل على قرآننا اليوم ؟ او في معنى هذا . فتركها مثلا بلوذعيتها .

\*

واما مفارقة الجماعة ، فبدعتها ظاهرة ؛ ولذلك يجازى <sup>(١)</sup> بالميتة الجاهلية . وقد ظهر في الخوارج وغيرهم ممن سلك مسلكهم كالعبودية واشباههم

فهذا ايضا من جملة ما اشتملت عليه تلك الاحاديث . وباقي الخصال المذكورة عائد الى نحو آخر ككثرة النساء وقلة الرجال ، وتناول الناس في البنيان ، وتقارب الزمان .

فالخاصل ان اكثر الحوادث التي اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم من انها تقع وتظهر وتنتشر امور مبتدعة على مضاهاة التشريع ، لكن من جهة التعبد لا من جهة كونها عادية ؛ وهو الفرق بين المعصية التي

(١) أي يجازى مفارقها . ولعل الفاعل قد سقط من الاصل بسهو الناسخ

هي بدعة ، والمعصية التي هي ليست بدعة . وان العاديات من حيث هي عادية لا بدعة فيها ، ومن حيث يتعبد بها او توضع وضع التعبد تدخلها البدعة ؛ وحصل بذلك اتفاق الفواين ، وصار المذهبان مذهبا واحدا ، وبالله التوفيق

## فصل

فان قيل : اما الابتداع بمعنى انه نوع من التشريع على وجه التعبد في العاديات من حيث (هو) توقيت معلوم معقول ؛ فايحابه او إجازته بالرأي - كما تقدم - من امثلة بدع الخوارج ومن داناهم من الفرق الخارجة عن الجادة ، فظاهر .<sup>(١)</sup> ومن ذلك القول بالتحسين والتقيح العقلي ، والقول بترك العمل بخبر الواحد ، وما اشبه ذلك . فاقول بأنه بدعة قد تبين وجهه واتضح مغزاه

وانما يبقى وجه آخر يشبهه وليس به ، وهو ان المعاصي والمنكرات والمكروهات قد تظهر وتفسو ويجري العمل بها بين الناس على وجه لا يقع لها انكار من خاص ولا عام ، فما كان منها هذا شأنه : هل يعدّ مثله بدعة أم لا ؟

فالجواب : ان مثل هذه المسئلة لها نظران (احدهما) نظر من حيث وقوعها عملا واعتقادا في الاصل ، فلا شك انها مخالفة لا بدعة ، اذ ليس من شرط كون المنوع والمكروه غير بدعة أن لا ينشرها ولا يظهرها

(١) قوله « فظاهر » جواب « أما الابتداع » في اول الفصل . وما بينهما اعتراض ، وقوله فيه « فايحابه » مبتدأ خبره « من أمثلة بدع الخوارج » وفي الكلام تعقيد معنوي ظاهر



أنه ليس من شرط ان تنشر ، بل لا تزول المخالفة ظهرت اولاً ، واشتهرت  
 ام لا ؛ وكذلك دوام العمل او عدم دوامه لا يؤثر في واحدة منهما ،  
 والمبتدع قد يقام عن بدعة ، والمخالف قد يدوم على مخالفته الى الموت -  
 عياداً بالله .

( والثاني ) نظر من جهة ما يقترن من خارج ؛ فالقارئ قد يقترن ؛  
 فتكون سبباً في مفسدة حالية ، وفي مفسدة مالية كلاهما راجع الى  
 اعتقاد البدعة .

اما الحالية فبأمرين : الاول ان يعمل بها الخواص من الناس عموماً ،  
 وخاصة العلماء خصوصاً ، وتظهر من جهتهم . وهذه مفسدة في الاسلام  
 ينشأ عنها عادة من جهة العوام استسهالها واستجازتها ، لان العالم المنتصب  
 مفتياً للناس بعمله كما هو مفت بقوله . فاذا نظر الناس اليه وهو يعمل بأمره  
 هو مخالفة <sup>(١)</sup> حصل في اعتقادهم جوازه ، ويقولون : لو كان ممنوعاً  
 أو مكروهاً لامتنع منه العالم . هذا وان نص على منعه أو كراهته ، فان عمله  
 معارض لقوله ؛ فإما أن يقول العامي : ان العالم خالف بذلك ، ويجوز عليه  
 مثل ذلك . وهم عقلاء الناس وهم الاقلون . وإما أن يقول : انه وجد فيه  
 رخصة فانه لو كان كما قال لم (بات) به فيرجح بين قوله وفعله . والفعل أغلب  
 من القول في جهة التأسى - كما تبين في كتاب المواقفات - فيعمل  
 العامي بعمل العالم تحسیناً للظن به فيعتقده جائزاً ، وهؤلاء هم الاكثرون .  
 فقد صار عمل العالم عند العامي حجة ، كما كان قوله حجة على

(١) كذا في الاصل ، وهو تحريف ظاهر ، والمعنى مفهوم من القرينة وهو :  
 فاذا نظر اليه الناس يعمل . بأمره هو بمخالفته أي بتركه حصل في اعتقادهم جوازه .

الاطلاق والعموم في الفتيا ، فاجتمع على العملي العمل مع اعتقاد الجواز  
بشبهة دليل ، وهذا عين البدعة

بل قد وقع مثل هذا في طائفة ممن تميز عن العامة بانتصاب في رتبة  
العلماء ، فعملوا العمل ببدعة الدعاء بهيئة الاجتماع في آثار الصلوات ، وقراءة  
الحزب ، حجة في جواز العمل بالبدع في الجملة ، وان منها ما هو حسن ،  
وكان منهم من ارتسم في طريقة التصوف فأجاز التعبد لله بالعبادات  
المبتدعة ، واحتج بالحزب والدعاء بعد الصلاة - كما تقدم -

ومنها من اعتقد أنه ما عمل به إلا مستند ، فوضعه في كتاب وجمعه  
فقها كـ بعض أماريد الرس ممن قيد على الامة ابن زيد .

وأصل جميع ذلك سكوت الخواص عن البيان ، والعمل به على الغفلة ،  
ومن هنا تستشنع زلة العالم ، فقد قالوا : ثلاث تهدم الدين - زلة العالم ،  
وجردال منافق بالقرآن ، وأئمة ضالون .

وكل ذلك عائد وباله على عالم<sup>(١)</sup> وزله المذكور عند العلماء يحتمل  
وجهين : (أحدهما) زله في النظر حتى يفتي بما خالف الكتاب والسنة  
فيتابع عليه ، وذلك التفتيا بالقول . والثاني زله في العمل بالمخالفات ،  
فيتابع عليها أيضاً على التأويل المذكور ، وهو في الاعتبار قائم مقام الفتيا  
بالقول ، إذ قد علم أنه متبع ومنظور اليه ، وهو مع ذلك يظهر بقوله  
ما ينهى عنه الشارع ، فكانت مفت به - على ما تقرر في الاصول -

والثاني من قسعي المفسدة الحالية أن يعمل بها العوام وتشيع فيهم  
لنهر فلا ينكرها الخواص ولا يرفعون لها رؤسهم<sup>(٢)</sup> قادرون على

(١) كذا ولعل أصله « على العالم » بفتح اللام على حد قولهم : اذا زل العالم

« زل العالم » بالفتح (٢) سقط من هنا كلمة ربما كانت « وهم »

الانكار فلم يفعلوا ، فالعالمى من شأنه اذا رأى أمراً مجهول حكمه يعمل العامل به فلا ينكر عليه ، اعتقداً أنه جائز وأنه حسن أو أنه مشروع ؛ بخلاف ما اذا أنكر عليه فإنه يعتقد أنه عيب ، أو أنه غير مشروع (أو) أنه ليس من فعل المسلمين . هذا أمر يلزم من ليس بعالم بالشريعة ، لأن مستنده الخواص والعلماء فى الجائز مع غير الجائز .

فإذا عدم الانكار ممن شأنه الانكار ، مع ظهور العمل وانتشاره وعدم خوف المنكر ووجود القدرة عليه ، فلم يفعل ؛ دل عند العوام أنه فعل جائز لا حرج فيه ، فنشأ فيه هذا الاعتقاد الفاسد بتأويل يتنع بمثله من العوام<sup>(١)</sup> فصارت المخالفة بدعة — كما فى القسم الاول —

وقد ثبت فى الاصول ان العالم فى الناس قائم مقام النبي عليه الصلاة والسلام ؛ والعلماء ورثة الانبياء ؛ فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله واققراره ، كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله واققراره . واعتبر ذلك ببعض ما أحدث فى المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينظرها العلماء ، أو عملوا بها فصارت بعد سننا ومشروعات ، كزيادتهم مع الاذان «أصبح والله الحمد» والوضوء للصلاة ، «تأهبوا» ، ودعاء المؤذنين بالليل فى الصوامع ؛ وربما احتجوا ذلك بعض الناس بما وضع فى نوازل ابن سهل غفلة عما عليه فيه<sup>(٢)</sup> وقد قيدنا فى ذلك جزءاً مفرداً فمن أراد الشفاء فى المسئلة فعليه به ، وبالله التوفيق .

(١) كذا ولعل الاصل « من كان من العوام » (٢) لعل الاصل « وربما احتجوا على ذلك بما يفعله بعض الناس وبما وضع فى نوازل ابن سهل غفلة عما أخذ عليه فيه » أو أن فى الكلام حذفاً غير ما ذكر تصح به العبارة

وخرج أبو داود قال : اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ، فقليل : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها أذن بعضهم بعضاً . فلم يعجبه ذلك ؛ - قل - فذكر له القمع ، يعني الشبور ، وفي رواية شبور اليهود فلم يعجبه ؛ وقال « هو من أمر اليهود - قال : فذكر له النافوس ، فقال - هو من أمر النصارى » فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأري الاذان في منامه - إلى آخر الحديث .

وفي مسلم عن أنس بن مالك أنه قال : ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه ، فذكروا أن ينوروا ناراً ، أو يضربوا ناقوساً<sup>(١)</sup> فأمر بلال أن يشفع الاذان ويوتر الإقامة . والقمع والشبور - هو البوق - وهو القرن الذي وقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

فأنت ترى كيف كره النبي صلى الله عليه وسلم شأن الكفار فلم يعمل على موافقته . فكان ينبغي لمن اتسم بسمه العلم أن ينكر ما أحدث من ذلك في المساجد اعلاماً بالاوقات أو غير اعلام بها ؛ أما الاية فقد وضعت اعلاماً بالاوقات ، وذلك شائع في بلاد المغرب ، حتى أن الاذان معها قد صار في حكم التبع<sup>(٢)</sup>

(١) يظهر انه قد سقط من هذا الموضع كلام بمعنى ما تقدم من الاعراض عن هذه الاشياء لانها شعائر الملل السابقة ، وبما كان من اختيار الاذان ، ثم فرغ عليه امر بلال بالترفة بين الاذان والإقامة يجعله شغفاً وجعلها وتراً (٢) في بعض بلاد الشام يرفعون علماً من منارة الجامع الذي يكون فيه الموقت لاجل ان يراه المؤذنون من سائر المنارات فيؤذنون في وقت واحد ، وانما يكون ذلك في وقت الظهر والعصر والمغرب

وأما البوق فهو العلم في رمضان على غروب الشمس ودخول وقت الافطار ، ثم هو علم أيضاً بالمغرب والاندلس على وقت السجور ابتداءً وانتهاءً<sup>(١)</sup> والحديث قد جرس علماً لانتهاء نداء ابن أم مكتوم قال ابن شهاب : وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعشى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت .

وفي مسلم وابي داود « لا يمنع احدكم نداء بلال من سجوره فانه يؤذن ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم » الحديث . فقد جعل اذان بلال لان ينتبه النائم لما يحتاج اليه من سجورده وغيره ، فالبوق ما شأنه ؛ وقد كرهه عليه السلام ، ومثله النار التي ترفع دائماً في اوقات الليل وبالعشاء والصبح في رمضان ايضاً ، اعلاماً بدخوله ، فتوقد في داخل المسجد ثم في وقت السجور ، ثم ترفع في المنار اعلاماً بالوقت ، والنار شعار الجوس في الاصل .

قال ابن العربي : اول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد — ملكهما الوالي امر الدين فكان محمد بن خالد حاجبا ويحيى وزيراً ، ثم ابنه جعفر بن يحيى — قال — وكانوا باطنية يعتقدون آراء الفلاسفة ، فاحبوا الجوسية ، واتخذوا البخور في المساجد — وانما تطيب بالخلوق — فزادوا التجمير<sup>(٢)</sup> ويمرونها بالنار منقولة حتى

(١) قد استبدت المرافع في هذا العصر بالبوق (٢) قال بعض المؤرخين : ان البرامكة زينوا للرشيدي وضع الخمر في الكعبة المشرفة ليأس الناس من وضع النار في اعظم معابدهم ، والنار معبود الجوس . والظاهر ان البرامكة كانوا من رقبته جمعيات الجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب واعادة ملك للمجوس . وانما فتك بههارون الرشيد لانه وقف على دخولهم

يحملوها عند الاندلس بيخورها ثابتة<sup>(١)</sup> انتهى.

وحاصله ان النار ليس ايقادها في المساجد من شأنا السلف الصالح، ولا كانت مما تزين بها المساجد البتة، ثم احدث التزين بها حتى صارت من جملة ما يعظم به رمضان، واعتقد العامة هذا كما اعتقدوا طلب البوق في رمضان في المساجد، حتى لقد سأل بعض عنه: اهو سنة ام لا؟ ولا يشك احد ان غالب العوام يعتقدون ان مثل هذه الامور مشروعة على الجملة في المساجد، وذلك بسبب ترك الخواص الانكار عليهم. وكذلك ايضا لما لم يتخذ الناقوس للاعلام، حاول الشيطان فيه بمكيدة أخرى، فعلق بالمساجد واعتد به في جملة الآلات التي توقد عليها النيران وتزخرف بها المساجد، زيادة الى زخرفها بغير ذلك، كما تزخرف الكنائس والبيع

ومثله ايقاد الشمع بعرفة ليلة الثامن: ذكر النواوي انها من البدع القبيحة، وانها ضلالة فاحشة جمع فيها انواع من القبائح - منها اضاعة اللال في غير وجهه، ومنها اظهار شعائر المجوس، ومنها اختلاط الرجال والنساء والشمع بينهم ووجوههم بارزة، ومنها تقديم دخول عرفة قبل وقتها المشروع اه.

وقد ذكر الطرطوشي في ايقاد المساجد في رمضان بعض هذه الامور، وذكر ايضا قبائح سواها. فاین هذا كله من انكار مالك لتحنج المؤذن او ضربه الباب ليعلم بالفجر، او وضع الرداء؟ وهو اقرب مراما وأيسر خطبا من ان تنشأ بدع محدثات، يعتقدها العوام سننا بسبب

(١) كذا في الاصل ولعله قد سقط من الكلام شيء

سكوت العلماء والخوارج عن الانكار وسبب عملهم بها .

\*  
\*  
\*

واما المفسدة المالية فهي على فرض (١) ان يكون الناس عاملين بحكم المخالفة ، وانها قد ينشأ الصغير على رؤيتها وظهورها ، ويدخل في الاسلام احد ممن يراها شائعة ذائعة فيعتقدونها جائزة او مشروعة . لان المخالفة اذا فشا في الناس فعلها من غير انكار ، لم يكن عند الجاهل بها فرق بينها وبين سائر المباحات او الطاعات .

وعندنا كراهية العلماء ان يكون الكفار صيارفة في اسواق المسلمين لعلمهم بالربا (٢) فكل من يره من العامة صيارف وتجارا في اسواقنا من غير انكار يعتقد ان ذلك جائز كذلك ؛ وانت ترى ، ذهب مالك المعروف في بلادنا ان الحلبي الموضوع من الذهب والفضة لا يجوز بيعه بجنسه الا وزنا بوزن ، ولا اعتبار بقيمة الصياغة اصلا (٣) والصاغة عندنا كلهم او غالبهم يتبايعون على ذلك ان يستفضوا قيمة الصياغة او اجارتها ، ويعتقدون ان ذلك جائز لهم ، ولم يزل العلماء من السلف الصالح ومن بعدهم يتحفظون من أمثال هذه الاشياء ، حتى كانوا يتركون السنن خوفا من اعتقاد العوام أصرا هو اشد من ترك السنن ، وأولى أن يتركوا المباحات أن لا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع - وقد صر بيان هذا في باب البيان من كتاب الموافقات . فقد ذكروا ان عثمان رضي الله عنه كان لا يقصر في السفر

(١) قوله « على فرض » ظرف خبر قوله « فهي » والجملة من المبتدأ والخبر خبر قوله « وأما المفسدة المالية » (٢) اصله : لعلمهم أو لتعلمهم بالربا (٣) في كتاب أعلام الموقعين للمحقق ابن القيم بيان وتحقيق لا اعتبار قيمة الصياغة وجواز بيع الحلبي بأكثر من زنته لاجل ذلك

فيقال له : أليس قد قصرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول بلى ولكنني إمام الناس فينظر اليّ الاعراب وأهل البادية اصلي ركعتين فيقولون : هكذا فرضت .<sup>(١)</sup>

قال الطرطوشي : تأملوا رحمكم الله : فان في القصر قولين لاهل الاسلام — منهم من يقول : فريضة . ومن أتم فائدا يثم ويعيد أبداً ، ومنهم من يقول : سنة . يعيد من أتم في الوقت . ثم انتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يعتقد الناس ان الفرض ركعتان .

وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يضحون (يعني انهم لا يلتزمون<sup>(٢)</sup>) قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان مخافة ان يرى أنها واجبة . وقال بلال : لا ابالي ان أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الاضحية ، ويقول لعكرمة : من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : اني لا ترك أضحيتي — واني لمن ايسركم — مخافة ان يظن أنها واجبة . وقال طارس : ما رأيت بيتاً اكثر لحماً وخبزاً وعلماً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ، ثم لا يذبح يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة . وكان اماماً يقتدى به .

قال الطرطوشي : والقول في هذا كالذي قبله ، وان لاهل الاسلام قولين في الاضحية أحدهما سنة والثاني واجبة . ثم اقتحمت الصحابة

(١) تقدم ذكر هذه المسألة مع تنبيه في الحاشية على ما اجابوا به عن عثمان فيها

(٢) لعل المتعول وهو « الاضحية » سقط من قلم الناسخ



ترك السنة حذرا من أن يضع الناس الامر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة .

قال مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : انه لم ير أحدا من أهل العلم والفقهاء يصومها - قال - ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف ، وان أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهالة والجفاء برمضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ، ورأوهم يقولون ذلك . فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لعل كلامه مشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وان كان مستحبا في الاصل ؛ لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في الأضحية ، وثمان في الاتمام في السفر .

وحكى الماوردي ما هو أغرب من هذا وان كان هو الاصل ؛ فذكر ان الناس كانوا اذا صلوا في الصحن من جامع البصرة أو الطريقة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب ، كأنه كان مفروشا بالتراب ، فأمر زياد بإلقاء الحصى في صحن المسجد ؛ وقال : لست آمن من أن يطول الزمان فيظن الصغير اذا نشأ ان مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح ؛ فكيف به في المكروه أو المنوع ؟ .

ولقد بلغني في هذا الزمان عن بعض من هو حديث عهد بالاسلام أنه قال في الخمر : ليست بحرام ولا عيب فيها ؛ وانما العيب أن يفعل بها ما لا يصلح كالقتل وشبهه . وهذا الاعتقاد لو كان ممن نشأ في الاسلام كان كفرا ، لانه انكار لما علم من دين الأمة ضرورة ؛ وبسبب ذلك ترك الانكار من الولاية على شاربها ، والتخلية بينهم وبين اقتنائها ، وشهرته

بجارة أهل الذمة فيها<sup>(١)</sup> وأشباه ذلك .

ولا معنى للبدعة إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المبتدع مشروعاً وليس بمشروع . وهذا الحال متوقع أو واقع . فقد حكى القرافي عن المعجم ما يقتضي أن ستة الأيام من شوال ملحقة عندهم بـرمضان ، لا بقائهم حالة رمضان الخاصة بها كما هي إلى تمام الستة الأيام . وكذلك وقع عندنا مثله ؛ - وقد مر في الباب الأول -

وجميع هذا منوط أتمه بمن يترك الإنكار من العلماء أو غيرهم ، أو من يعمل ببعضها بمرأى من الناس أو في مواقعهم ؛ فانهم الأصل في انتشار هذه الاعتقادات في المعاصي أو غيرها .

\*\*

وإذا تقرر هذا فالبدعة تنشأ عن أربعة أوجه (أحدها) - وهو أظهر الأقسام - أن يخترعها المبتدع . (والثاني) أن يعمل بها العالم على وجه المخالفة فيفهمها الجاهل مشروعة (والثالث) أن يعمل بها الجاهل مع سكوت العالم عن الإنكار وهو قادر عليه ، فيفهم الجاهل أنها ليست بمخالفة . (والرابع) من باب الذرائع ، وهي أن يكون العمل في أصله معروفاً ، إلا أنه يتبدل الاعتقاد فيه مع طول العهد بالذكري .

إلا أن هذه الأقسام ليست على وزن واحد ، ولا يقع اسم البدعة عليها بالتواطئ ، بل هي في القرب والبعد على تفاوت . فالأول هو الحقيق

(١) ينظر ما مراده بهذه الجملة . والظاهر أنه كان لاهل الذمة في الأندلس طارات يسكنونها وحدهم أو يكثرون فيها وان الخمر كانت تباع فيها . كما هي الحال في بعض بلاد المسلمين بالشرق

باسم البدعة ، فإما تؤخذ علة بالنص عليها ، ويليه القسم الثاني ، فإن العمل يشبهه التنصيص بالقول ؛ بل قد يكون أبلغ منه في مواضع - كما تبين في الاصول - غير أنه لا ينزل هاهنا من كل وجه منزلة الدليل أن العالم قد يعمل وينص على قبح عمله . ولذلك قالوا لا تنظر الى عمل العالم ولكن سله يصدقك . وقال الخليل بن أحمد أو غيره :

اعمل بعلمي ولا تنظر الى عملي

ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

ويليه القسم الثالث ، فإن ترك الانكار ، - مع أن رتبة المنكر رتبة من يعد ذلك منه اقرار ، - يقتضي أن الفعل غير منكر ، ولكن ينزل منزلة ما قبله ، لان الصوارف للقدرة كثيرة ، قد يكون الترك لعذر بخلاف الفعل ، فانه لا عذر في فعل الانسان بالمخالفة ، مع علمه بكونها

ة .

ويليه القسم الرابع ، لان المحذور الحالي فيما تقدم غير واقع فيه رض ، فلا تبلغ المفسدة المتوقعة أن تساوي رتبة الواقعة أصلا ، فلذلك كانت من باب الذرائع ، فهي اذا لم تبلغ أن تكون في الحال بدعة ، فلا تدخل بهذا النظر تحت حقيقة البدعة .

وأما القسم الثاني والثالث فالمخالفة فيه بالذات ، والبدعة من خارج ، الا أنها لازمة لزوما عاديا ، ولزوم الثاني أقوى من لزوم الثالث . والله أعلم .

## فصل

ومن منازل « اياك نعبد و اياك نستعين منزلة التعظيم »

وهذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب ، وأعرف الناس به اشد هم له تعظيما واجلالا ، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظته ، ولا عرفه حق معرفته ، ولا وصفه حق صفته . واقوالهم تدور على هذا . وقال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقارا » قال ابن عباس ومجاهد : لا ترجون لله عظمة ، وقال سعيد بن جبیر : ما لكم لا تعظمون الله حق عظته ؟ وقال الكلبي : لا تخافون الله عظمة . قال البغوي : والرجاء بمعنى الخوف ، والوقار العظمة اسم من التوقير ، وهو التعظيم . وقال الحسن : لا تعرفون الله حقا ، ولا تشكرون له نعمة . وقال ابن كيسان . لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا . وروح العبادة هو الاجلال والمحبة ، فاذا خلى احدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فاذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد ، والله سبحانه اعلم

## فصل

قال صاحب المنازل رحمه الله « التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على

ثلاث درجات : الاولى تعظيم الامر والنهي ، وان لا يعارضا بترخص جاف ، ولا

يعرضا لتشدد غال ، ولا يحملا على علة توهم الاقياد ) هاهنا ثلاثة اشياء تنافي تعظيم

الامر والنهي ( احدها ) الترخص الذي يجفوه به صاحبه عن كمال الامثال ( والثاني )

الفلو الذي يتجاوز به صاحبه حدود الامر والنهي ، فالاول تفريط والثاني افراط .

وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان ، إما الى تفريط وإضاعة ، وإما الى

افراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجاني عنه والغالي فيه ، كالوادي بين الجبلين ،

(\*) منقول من الجزء الثاني من مدارج السالكين

والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميين . وكما ان الجاني عن الامر مضيق له ، فالغالي فيه مضيق له ، هذا بتقصيره عن الحد ، وهذا بتجاوزه عن الحد وقد نهى الله عن الفلو بقوله ( قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ) والفلو نوعان نوع يخرج عن كونه مطبعا ، كن زاد في الصلاة ركعة ، او صام الدهر مع ايام النهي ، اورمى الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق ، او سمى بين الصفا والمروة عشرا ، أو نحو ذلك عمدا . وغلوا يخاف منه الاقطاع والاستحسار ، كقيام الليل كله ، ومرد الصيام الدهر اجمع بدون صوم ايام النهي ، والجور على النفوس في العبادات والاوراد الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا ويسروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » يعني استعينوا على طاعة الله بالاعمال في هذه الاوقات الثلاثة فان المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسبر فيها ، وقال « ليصل احدكم نشاطه فاذا فر فليبرد » رواها البخاري . وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « هلك المتطمعون » - قالها ثلاثا - وهم المتممقون المشددون وفي صحيح البخاري عنه « عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فوالله لا يعمل الله حتى تغلوا » وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبفض الى نفسك عبادة الله » او كما قال

واما قوله « ولا يحملوا على علة توهن الانتقاد » يريد ان لا يتأول في الامر والنهي علة تعود عليه بالابطال ، كما تأول بعضهم تحريم الخمر بانه مملل بايقاع العداوة والبغضاء والتعرض للفساد ، فاذا أمن من هذا المندور منه جاز شربه ، كما قيل :

أدراها فما التحريم فيها لذاتها ولكن لاسباب تضمنها السكر  
اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى فسيان ماء في الزجاجه أو خمر

وقد بلغ هذا بأقوام الى الانسلاخ من الدين جملة ، وقد حمل طائفة من العلماء أن جعلوا تحريم ما عدا شراب العنب ممللا بالاسكار ، فله أن يشرب منه ما لم يسكر

ومن الملل التي توهن الانتقاد أن يعامل الحكم بعلة ضمنية لم تكن هي الباعثة

(المنار - ج ١٥ ص ١٧) الدرجة ٢ تعظيم الحكم الكوني وبم يكون WA

عليه في نفس الامر فيضهف اتقياده اذا قام عنده ان هذه هي علة الحكم ، ولهذا طريقة القوم عدم التعرض لعلل التكاليف خشية هذا المحذور . وفي بعض الآثار القديمة « يا بني امرائيل لا تقولوا لم أمر ربنا ولكن قولوا بهم أمر ربنا » وأيضا فانه اذا لم يمثل الامر حتى تظهر له علة لم يكن منقادا للامر ، وأقل درجاته أن يرضهف اتقياده له ، وأيضا فانه اذا نظر الى حكم العبادات والتكاليف مثلا (١) وجعل العلة فيها هي جمعية القلب والاقبال به على الله فقال : أنا اشتغل بالمقصود عن الوسيلة ، فاشتغل بجمعيته وخلوته عن أوراد العبادات فمطأها ، وترك الاتقياد بحمله الامر على العلة التي اذهبت اتقياده ، وكل هذا من ترك تعظيم الامر والنهي ، وقد دخل من هذا الفساد على كثير من الطوائف ما لا يعلمه الا الله ، فما يدري ما أوهنت لعلل الفاسدة من الاتقياد الا الله ، وكم عطلت لله من أمر ، وأباحت من نهي وحرمت من مباح ! وهي التي اتفقت كلمة السلف على ذمها

### فصل

قال في الدرجة الثانية تعظيم الحكم أن لا يبغي له عوج ، أو يدافع به لم ، أو يرضى بموض ، الدرجة الاولى تتضمن تعظيم الحكم الديني الشرعي ، وهذه الدرجة تتضمن تعظيم الحكم الكوني القدري ، وهو الذي يخصه المصنف باسم الحكم ، وكما يجب على العبد أن يرعى حكم الله الديني بالتمظيم فكذلك يرعى حكمه الكوني به ، فذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء ( أحدها ) « أن لا يبغي له عوج ، أي يطلب له عوج أو يرى فيه عوج بل يرى كله مستقيما ، لانه صادر عن عين الحكمة فلا عوج فيه ، وهذا موضع أشكل على الناس جدا . فقالت نفاة القدر : ما في خلق الرحمن من تفاوت ولا عوج ، والكفر والمعاصي مشتملة على أعظم التناوت والموج ، فليست بخلقه ولا مشيئته ولا قدره . وقالت فرقة تقابلهم : بل هي من خلق الرحمن وقدره ، فلا عوج فيها وكل ما في الوجود مستقيم . والطائفتان منحرفتان عن الهدى . وهذه الثانية أشد انحرافا ، لأنها جعلت الكفر

(١) أنظر أين جواب هذا الشرط ؟

مستقيماً لا عوج فيه، وعدم تفريق الطائفتين بين القضاء والمقضي والحكم والمحكوم به هو الذي أوقفهم فيما أوقفهم فيه

وقول سلف الأمة وجمهورها ان القضاء غير المقضي ، فالقضاء فعله ومشيته وما قام به ، والمقضي مفعوله المبين له المنفصل عنه ، وهو المشتمل على الخير والشر والعوج والاستقامة ، فقضاؤه كله حق ، والمقضي منه حق ومنه باطل . وقضاؤه كله عدل ، والمقضي منه عدل ومنه جور ، وقضاؤه كله مرضي ، والمقضي منه مرضي ومنه مسخوط . وقضاؤه كله مسلم ، والمقضي منه ما يسالم ومنه ما يجارب

وهذا أصل عظيم يجب مراعاته، وهو موضع مزلة أقدام كما رأيت، والمنحرف عنه اما جاحد للحكمة أو القدرة أو للأمر والشرع ولا بد، وعلى هذا يحمل كلام صاحب المنازل رحمه الله، اي لا يتنقى للحكم عوج .

وأما قوله « أو يدفع بعلم » فأشكل من الاول ، فان العلم مقدم على القدر وحاكم عليه ، ولا يجوز دفع العلم بالحكم . فأحسن ما يحمل عليه كلامه أن يقال : قضاء الله وقدره وحكمه الكوني ، لا يناقض دينه وشرعه وحكمه الديني ، بحيث تقع المدافعة بينهما، لان هذا مشيئته الكونية وهذا ارادته الدينية . وان كان المراد ان قد يتدافعان ويتعارضان، لكن من تعظيم كل منهما أن لا يدافع بالآخر ويعارض ، فأنهما وصفان للرب تعالى ، وأوصافه لا يدافع بعضها ببعض ، وان استعيز ببعضها من بعض . فالكل منه سبحانه وهو المميز من نفسه بنفسه، كما قال أعلم الخلق به « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك » فرضاؤه وان أعاذ من سخطه فإنه لا يبطله و(لا) بدفعه ، وانما يدفع تعلقه بالمستعيز ، وتعلقه بأعدائه باق غير زائل ، فهكذا أمره وقدره سواء ، فان أمره لا يبطل قدره ولا قدره يبطل أمره، ولكن يدفع ما قضاه وقدره بما أمر به وأجبه ، وهو أيضا من قضائه، فما دفع قضاؤه إلا بقضائه وأمره، فلم يدفع العلم بالحكم بل المحكوم به ، والعلم والحكم دفعا المحكوم به الذي قدر دفعه وأمر به

فتأمل هذا فإنه محض الجودية والعرفة والإيمان بالقدر والاستسلام له ، والقيام بالأمر والتنفيذ له بالقدر ، فما نفذ المطيع أمر الله إلا بقدر الله، ولا دفع مقدور

الله الا بقدر الله وأمره

وأما قوله « ولا يرضى بعوض » أي ان صاحب مشهد الحكم قد وصل الى حد لا يطلب معه عوضا ولا يكون ممن يعبد الله بالعوض ؛ فانه يشاهد جريان حكم الله عليه وعدم تصرفه في نفسه، وان المتصرف فيه حقا مالكة الحق ، فهو الذي يقيمه ويقمده ويقبله ذات اليمين وذات الشمال ، وانما يطلب العوض من غاب عن الحكم وذهل عنه ، وذلك مناف لتعظيمه ، فمن تعظيمه ان لا يرضى المبد بعوض يطلبه بعمله ، لان مشاهدة الحكم وتعظيمه عنده ان يرى لنفسه ما يعاوض عليه. فهذا الذي يمكن حمل كلامه عليه من غير خروج عن حقيقة الامر. والله سبحانه أعلم

### فصل

قال ﴿ الدرجة الثالثة تعظيم الحق سبحانه ، وهو أن لا يجمل دونه سببا ، ولا يرى عليه حقا ، ولا ينازع له اختيارا ﴾ هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والامر ، والتي قبلها تتضمن تعظيم قضاة لا مقضيه ، والاولى تتضمن تعظيم أمره . وذكر من تعظيمه ثلاثة اشياء (أحدها) « ان لا تجمل (١) دونه سببا » أي لا تجمل للوصلة اليه سببا غيره ، بل هو الذي يوصل اليه عبده ، فلا يوصل الى الله لا الله ، ولا يقرب اليه سواه ، ولا أدلى اليه غيره ، ولا يتوصل الى رضاه إلا به ، فمادل على الله الا الله ، ولا هدى اليه سواه ، ولا أدنى اليه غيره ، فانه سبحانه هو الذي جعل السبب سببا ، فالسبب وسببته وايصاله ، كله خاتمه وفعله ( الثاني) أن لا يرى عليه حقا ، أي لا ترى لاحد من الخلق لالك ولا لغيرك حقا على الله ، بل الحق لله على خلقه . وفي أثر اسرائيلي ان داود عليه السلام قال : يارب بحق آبائي عليك . فأرحم الله تعالى اليه : يا داود ا أي حق لا باتك علي ؟ ألسنت أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم ولي الحق عليهم ؟

(١) الظاهر ان نسخة الشارح بالخطاب وأن ذكر عبارة المتن وما يأتي من حكايته في الشرح بافعال الغائب من تصرف النسخ



وأما حقوق العبيد على الله تعالى من اثابته لطبيعتهم وتوحيته على تائبهم وإجابته لسائلهم ، فذلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده واحسانه ، لأنها حقوق أحقها هم عليه ، فالحق في الحقيقة لله على عبده ، وحق العبد عليه هو ما اقتضاه جوده وبره واحسانه اليه بمحض جوده وكرمه . هذا قول أهل التوفيق والبصائر ، وهو وسط بين قواين منحرفين قد تقدم ذكرهما مرارا . والله أعلم

وأما قوله (١) «ولا ينازع له اختيارا» أي إذا رأيت الله عز وجل قد اختار لك أو اضمر لك شيئا إما بأمره ودينه ، وإما بقضائه وقدره ، فلا تنازع اختياره ، بل ارض باختيار ما اختاره ، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه . ولا يرد عليه ما قدره عليه من المعاصي ، فإنه سبحانه وإن قدرها لكنه لم يخترها له ، فنازعتها غير اختياره من عبده ، وذلك من تمام تعظيم العبد له سبحانه . والله أعلم اهـ

(المنار) هذا الكلام لا يسلم على إطلاقه بل له قيد لا بد منه . وقد سبق للمصنف تحقيقه فلماذا اكتفى هنا بالاجمال . وإنما نحتاج الى التيقن إذا أردنا بالاختيار متعلقه وهو ما اختاره الله لنا من الامور ، وهو المقضي والمقدر . كما هو المتبادر هنا . فهذا إذا كان شرا لنا كلالامراض والمظالم والفتن فإنه لا يشرع لنا ان نرضى به ، بل يجب ان نقاومه وندافع الاقدار بالاقدار ، كما قال عمر بن الخطاب باقرار جمهور من الصحابة (رض) عند ما فر من الشام ولم يدخلها لوباء فيها « نهر من قدر الله الى قدر الله » اما نفس اختيار الله تعالى الذي هو فعله فلا وجه لمنازعتة فيه ، ولا تردد في الرضا به وعدم الاعتراض عليه فيه . ولا فرق بين الذي قلناه آشا - وقد سبق تقرير المصنف له - وبين ما قاله هنا آشا في المعاصي ، ومسألة الاختيار مبهمه هنا ، فاختياره تعالى بالمعنى المصدرى لا ينازع ولا يعارض مطلقا . وهو يتناول كل ما قضاه وقدره لأنه فعله ، وكل أفعاله اختيارية . فلا يمكن ان يقال أنه قدر المعاصي بغير اختيار منه . وأما الاختيار بالمعنى الحاصل بالمصدر أي ما اختاره سبحانه لعباده فهو قسمان أفعال وأحكام ، او خلق وأمر ، فأما أحكام دينه وأمره ونهيها فلا ينازع فيها بل تؤخذ بالرضاء والتسليم ، واما أفعاله التي تقع بقدره وحسب سننه في خلقه قسمان ، أحدها ما يوافق مصالح الناس ومنافعهم فيجب الرضا بها مع الشكر عليها ، وثانيها ما لا يوافق مصالحهم ومنافعهم كلالامراض وبعدي بين الظالمين وظفيان المياه ، فهذه تنازع وتقاوم مع الصبر عليها .

(١) كان الظاهر أن يحكى هذا بالعدد فيقول : الثالث ان لا ينازع له اختيارا

## أقوال علماء السلف الاثبات

في عقيدة السلف واثبات الصفات

٢

﴿ احمد بن محمد بن حنبل شيخ الاسلام ﴾

رحمه الله ثراه<sup>(١)</sup> وجعل الجنة مشواه

المنقول عن هذا الامام في هذا الباب طيب كثير مبارك فيه ، فهو حامل لواء السنة، والصابر في المحنة، والمشهود بأنه من اهل الجنة ، فقد تواتر عنه تكفير من قال بمخلاق القرآن العظيم جل منزله ، واثبات الرؤية والصفات والعلو والقدر ، وتقديم الشيخين ، وان الايمان يزيد وينقص — الى غير ذلك من عقود الديانة مما يطول شرحه ، فقال يوسف بن موسى القطان شيخ ابي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه .

وقال ابو طالب احمد بن حميد : سألت احمد بن حنبل عن رجل قال : الله معنا وتلا ( ما يكون من نجوى ثلاثة الا هورابهم ) فقال قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها ، قرأت عليه ( ألم تر ان الله يعلم ) فعلمه معهم . وقال في سورة ق ( ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ) فعلمه معهم .

قال المروزي قلت لأبي عبد الله : ان رجلا قال اقول كما قال الله

(١) كذا ولعل اصله طيب الله ثراه — أو — رحمه الله وطيب ثراه

(ما يكون من نجوم ثلاثة الا هو رابعهم) اقول هذا ولا اجوزه الى غيره .  
فقال هذا كلام الجهمية بل علمه معهم ، فأول الآية يدل على انه علمه .  
رواه ابن بطة في كتاب الإبانة عن عمر بن محمد رجاء عن محمد بن داود  
عن المروزي

وقال حنبل بن اسحاق قيل لابي عبد الله ما معنى (وهو معكم)؟ قال :  
علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حدود ولا صفة .

قال ابن ابي حاتم في كتاب مناقب الامام احمد : ثنا محمد بن مسلم  
نا سلمة بن شديد قال كنت عند احمد بن حنبل ، فدخل عليه رجل  
عليه اثر السفر فقال : من فيكم احمد بن حنبل ؟ فأشاروا الى احمد بن حنبل ،  
فقال اني ضربت البر والبحر من أربع مائة فرسخ ، اتاني الخضر عليه  
السلام فقال ائت احمد بن حنبل فقل له ان ساكن السماء راض عنك لما  
بذلت نفسك في هذا الامر .

قال الاثرم قلت لابي عبد الله حدث محدث وانا عنده بحديث « يضع  
الرحمن فيها قدمه » وعنده غلام ، فأقبل على الغلام فقال ان لهذا تفسيراً .  
فقال ابو عبد الله : انظر اليه كما تقول الجهمية سواء .

قال ابن ابي حاتم ثنا صالح بن احمد بن حنبل قال : سمعت ابي  
يحتج بان القرآن غير مخلوق ، يقول قال تعالى (الرحمن علم القرآن )  
فأخبر تعالى ان القرآن من علمه ، قال يعقوب الدورقي قال لي احمد : اللفظة  
انما يدورون على كلام جهم ، يزعمون ان جبريل انما جاء بشيء مخلوق

هو اسحاق بن راهويه عالم خراسان

قال حرب بن اسماعيل الكرماني قلت لاسحاق بن راهويه قوله

تعالى ( ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ) كيف تقول فيه ؟ قال  
حيثما كنت فهو اقرب اليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه .  
ثم ذكر عن ابن المبارك قوله : هو على عرشه ، بائن من خلقه . ثم قال  
أعلى شيء في ذلك وايبنه قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) رواها  
الخلال في السنة عن حرب

﴿ الحافظ أبو عوانة صاحب الصحيح ﴾

كان من كبار الحفاظ ، حمل عن أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع . قال  
الحاكم في ترجمته : سمع يحيى بن منصور القاضي يقول : سمعت أبا عوانة  
رحمه الله يقول : دخلت على ابراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه فقلت  
له : ما قولك في القرآن ؟ فقال كلام الله غير مخلوق . فقلت هلا قلت قبل  
هذا ؟ قال : لم يزل هذا قولي وكرهت الكلام فيه لان الشافعي كان ينهى عن  
الكلام فيه ، يعني البحث والجدال في ذلك

﴿ أبو الحسن الاشعري صاحب التصانيف ﴾

قال الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الاشعري البصري  
المتكلم في كتابه الذي سماه ( اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين )  
فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم الى أن قال ( ذكر مقالة  
أهل السنة ، وأصحاب الحديث جملة ) قولهم الاقرار بالله وملائكته وكتبه  
ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الشاهات عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، لا يردون من ذلك شيئاً ، وان الله على عرشه كما قال ( الرحمن على  
العرش استوى ) وان له يدين بلا كيف كما قال « لما خلقت بيدي » وان  
( المنار - ج ١٠ ) ( ٩٩ ) ( المجلد السابع عشر )

أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله  
 علما كما قال «أنزله بعلمه» وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه» وأثبتوا  
 السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وقالوا : لا يكون  
 في الأرض من خير وشر إلا ما شاء الله ، وإن الأشياء تكون بمشيئته كما  
 قال تعالى « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » — إلى أن قال : ويقولون :  
 القرآن كلام الله غير مخلوق . ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل مستغفر»  
 كما جاء الحديث ، ويقولون إن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك  
 والملك صفا صفا) وإن الله يقرب من خلقه كيف يشاء قال (ونحن أقرب  
 إليه من جبل الوريد) — إلى أن قال : فهذا جملة ما يأبرون به ويستعملونه  
 ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله  
 وذكر الأشعري في هذا الكتاب المذكور في باب (هل الباري  
 تعالى في مكان دون مكان أم لا في مكان أم في كل مكان) فقال اختلفوا  
 في ذلك على سبع عشرة مقالة : منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث أنه  
 ليس بجسم ولا يشبه الأشياء وأنه على العرش كما قال (الرحمن على العرش  
 استوى) ولا تقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول استوى بلا كيف ،  
 وإن له يدين كما قال (خلقت يدي) وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء  
 في الحديث

ثم قال : وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى وتأولوا اليد  
 بمعنى النعمة ، وقوله (تجري بأعيننا) أي بعلمنا  
 وقال أبو الحسن الأشعري في (كتاب جمل المقالات) له — رأته

بخط المحدث أبي علي بن شاذان - فسر د نحوامن هذا الكلام في مقالة  
أصحاب الحديث تركت ايراد ألفاظه خوف الاطالة والمعنى واحد  
وقال الاشعري في كتاب « الابانة في أصول الديانة » له في باب  
الاستواء : فان قال قائل : ماتقولون في الاستواء ؟ قيل نقول ان الله  
مستو على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى - وقال - اليه يصعد  
الكلم الطيب - وقال - بل رفعه الله اليه - وقال حكاية عن فرعون -  
وقال فرعون ياها مان ابن لي صرحا لعلني اباغ الاسباب أسباب السموات  
فأطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا » كذب موسى في قوله ان الله  
فوق السموات . وقال عز وجل « ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم  
الارض » فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات وكل  
ماعلا فهو سماء ، وليس اذا قال « ءأمنتم من في السماء » يعني جميع  
السموات ، وانما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى انه  
ذكر السموات فقال « وجعل القمر فيهن نورا » ولم يرد انه يعلأهن جميعاً  
قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء ،  
لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، فلولا ان الله على  
العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش . وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية  
والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر ، وانه تعالى في كل  
مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في  
الاستواء الى القدرة . فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين  
الارض السابعة لانه قادر على كل شيء ، والارض ( شيء ) فالله قادر عليها  
وعلى الحشوش ، وكذا لو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز

أن يقال هو مستو على الأشياء كلها ، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول : إن الله مستو على الإخية والحشوش . فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء . وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ، ونسخه بخطه الإمام محي الدين النواوي ، ونقل الإمام أبو بكر بن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبي الحسن الأشعري في كتاب (المقالات والخلاف ، بين الأشعري وبين أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ) تأليف ابن فورك فقال : الفصل الأول في ذكر ما حكى أبو الحسن رضي الله عنه في كتاب المقالات من جمل مذاهب أصحاب الحديث ، وما أبان في آخره أنه يقول بجميع ذلك . ثم سرد ابن فورك المقالة بهيئتها ثم قال في آخرها : فهذا تحقيق لك من ألفاظه أنه معتقد لهذه الأصول التي هي قواعد أصحاب الحديث وأساس توحيدهم

قال الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطريقي قرأت كتاب أبي الحسن الأشعري الموسومة بالإبانة أدلة على إثبات الاستواء . قال في جملة ذلك : ومن دعاء أهل الإسلام إذا هم رغبوا إلى الله يقولون : ياسا كني العرش . ومن حلفهم : لا والذي احتجب بسبع وقال الاستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله في شكاية أهل السنة : ما نقموا من أبي الحسن الأشعري إلا أنه قال بإثبات القدر ، وإثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته وسمعته وبصره ووجهه ويده ، وأن القرآن كلامه غير مخلوق

سمعت ابا علي الدقاق يقول سمعت زاهر بن احمد الفقيه يقول : مات  
الأشعري رحمه الله ورأسه في حجرى فكان يقول شيئا في حال نزعه :  
لمن افه المعتزلة موهوا ومخرقوا .

قال الحافظ الحجّة ابو القاسم ابن عساكر في كتاب ( تبين كذب  
المفتري . فيما نسب الى الأشعري ) فاذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر  
عنه من حسن الاعتقاد ، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد ،  
يوافقه في اكثر ما يذهب اليها كبار العباد ، ولا يقدر في مذهبه غير  
أهل الجهل والعناد ، فلا بد أن يحكي عنه معتقده على وجهه بالامانة ، ليعلم  
حاله في صحة عقيدته في الديانة ، فاسمع ما ذكره في كتاب الابانة ، فانه  
قال « الحمد لله الواحد ، العزيز الماجد ، المنفرد بالتوحيد ، المتمجد  
بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد » فرد في  
خطبته على المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فعرفونا  
قولكم<sup>(١)</sup> الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي  
به نقول ، وديانتنا التي بها ندين ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله  
عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك  
معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نصر الله وجهه قائلون ، ولمن  
خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان  
الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج . وقع به المبتدعين . فرحمه  
الله من امام مقدم . وكبير مفهم . وعلى جميع أئمة المسلمين . وجملة قولنا أن  
نقر بالله وملائكته وكتبه ورسوله وما جاء من عند الله . ورواه الثقات عن



رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا نرد من ذلك شيئاً . وأن الله اله واحد فرد صمد لا اله غيره ، وان محمدا عبده ورسوله . وأن الجنة والنار حق . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) وان له وجها كما قال ( ويبقى وجه ربك ) وأنه له يدين كما قال ( بل يدها مبسوطتان ) وأن له عينين بلا كيف كما قال ( تجري بأعيننا ) وان من زعم ان اسم الله غيره كان ضالا . وندين ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر . يراه المؤمنون — الى أن قال : وندين بأنه يقبب القلوب وان القلوب بين أصبعين من أصابعه . وأنه يضع السموات والارض على أصبع كما جاء في الحديث — الى أن قال : وانه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ( ونحن أقرب اليه من جبل الوريد ) وكما قال ( ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ) ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة . ومجانبة أهل الأهواء . وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي باباً باباً وشيئاً شيئاً .

ثم قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه ! واعترفوا بفضل هذا الامام الذي شرحه وبينه . وقال الحافظ بن عساكر : وقال الامام أبو الحسن في كتابه الذي سماه « العمد في الرؤية » : ألفنا كتاباً كبيراً في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية ، فيه فنون كثيرة من الصفات في اثبات الوجه واليدين وفي استوائه على العرش كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن أبي علي الجبائي . ثم نابذه ورد عليه وصار متكهما للسنة . ووافق أئمة الحديث في جمهور ما يقولونه ، وهو

ما سقناه عنه من أنه نقل إجماعهم على ذلك وأنه موافقهم . وكان يتوقد  
ذ كاء . أخذ علم الأرعن المحافظ زكريا الساجي وتوفي سنة أربع وعشرين  
وثلاثمائة وله أربع وستون سنة ، رحمه الله تعالى  
فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها  
لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا  
خلف المنطق ، فلا قوة إلا بالله

### ﴿ ابن أبي زيد ﴾

قال الامام أبو محمد بن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في أول رسالته  
المشهوره في مذهب مالك الامام : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ،  
وأنه في كل مكان بعلمه . وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبي جعفر بن أبي  
شيبه وعثمان بن سعيد الدارمي . وكذلك أطلقها يحيى بن عمار واعظ  
سجستان في رسالته ، والمحافظ أبو نصر الواثلي السجزي في كتاب الابانة  
له . فإنه قال : وأئمتنا كالثوري ومالك والحامدان وابن عيينة وابن المبارك  
والفضيل وأحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاته ، وان  
علمه بكل مكان . وكذلك أطلقها ابن عبد البر كما سيأتي . وكذا عبارة  
شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري ، فإنه قال : وفي أخبار شتى أن  
الله في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرجي  
الشافعي في تلك القصيدة :

عقائدهم أن الإله بذاته على عرشه مع علمه بالفواهب  
وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقي الدين ابن الصلاح :  
هذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث

وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن ثابت الطريقي الحافظ والشيخ عبد القادر الجيلي ، والمفتي عبد العزيز القحيطي وطائفة . والله تعالى خالق كل شيء بذاته ، ومدبر الخلاق بذاته ، بلامعين ولا موازر . وإنما أراد ابن أبي زيد وغيره التفرقة بين كونه تعالى معنا وبين كونه تعالى فوق العرش ، فهو كما قال ومعنا بالعلم وأنه على العرش كما أعلمنا حيث يقول (الرحمن على العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمناه .

وبلا ريب إن فضول الكلام ، تركه من حسن الاسلام وكان ابن أبي زيد من العلماء العالمين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية في علم الاصول . وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في كتاب « تبين كذب المفترى . فيما نسب الى الاشعري » ولم يذكره وفاة . توفي سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وقيل سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وقد نقموا عليه في قوله بذاته فليته تركها (١)

(١) لله در المؤلف ما الطف تقدمه وانكاره لهذه الكلمة . وإنما تلفظ هذا التلطف لان المفوضة من بعض علماء الاثر وأنصار مذهب السلف ، وطا قاطا أحد المعتزلة لشنع عليه بأنه قال في أصول العقيدة ما لم يقله أحد من السلف ولا ورد به أثر ، ولا هو مما ثبت بالبرهان العقلي أيضاً . ولكثير من الاثريين مثل هذه الهفوات والشذوذ . يحشرون آراءهم في النصوص ويفسرونها بما مع ادعائهم اتباع مذهب السلف وأنه التفويض والامسالك عن تعيين المراد من آيات الصفات وأحاديثها . ونرى كثيراً من الناس يقبل منهم ذلك ويقول به ويعدهم اتباعاً للسلف ولو بمعنى مخالفة الجهمية . ولا يستغرب مع هذا تسليمهم وقبولهم بعض الروايات المنكرة المخالفة للاحاديث الصحيحة كتقول تجاهد ان الله تعالى يقعد النبي معه على العرش . كأن من قبله اكنفى بأن يخالف الجهمية في عدم قبول مثله وأن صحح الا بالتأويل . وقد تقدم بيان المصنف لنكارته ومخالفته للاحاديث الصحيحة مع ذكر من قبله ، ونقل آنفاعن الدارقطني انه لا يجحده!! على ان العقائد يطلب فيها القطع . وهذا لم يصل الى مرتبة الظن . وهناك مخالفة أخرى لطريقة السلف ينهها الغزالي =

## باب امراسلة والمناظرة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم  
من انصاري الى الله

يا إخواني المسلمين ! رحمكم الله وحماكم ، وحفظكم ونجاكم ، ان بعض سكان بلادكم المحروسة قد سمع حالاتي وعرفها ، واني أرى ان أذكر لكم مما أنا عليه لأزدياد المعرفة -- اني جئت من الهند من مدة تزيد على سنة ونصف الى لندرة ، واطلعت على حالات أهلها في صولهم على ديننا الحق ، تكدرت جداً لانهم يقدمونه بين يدي الناس بوجوه ردية لينفروهم عن القرب اليه ، وذلك بنقلهم الى الغت سمينه -- والى الكدر معينه -- والى الظلمات نوره -- والى الاخرية قصوره . فهذه بليّة عظي على ديننا الاسلام ما سمع نظيرها من قبل . وما وجد مثلها في الاولين . فلما رأيت ذلك عزمت على أن اشمر الذيل لاشاعة الدين القويم ، واعلاء كلمة الحق ، وما التوفيق الا بالله -- فالحمد لله ثم الحمد لله ، ما انصرت سنة كاملة الا ورأيت التوجه الى ديننا الاسلام . وذلك فضل الله -- ان الله على كل شيء قدير -- فانكم قد سمعتم دخول لورد هيدلي في الاسلام ، وغيره أيضاً من الرجال

== في « إجماع العوام عن علم الكلام » وهي جمع معاني الآيات والاحاديث الواردة في الصفات بترتيب لم يرد في الكتاب والسنة بحيث يفيد الجمع معنى غير معنى الايمان بكل منها مع التنزيه عن الكيفية : كأن تلقن العاصي عقيدته بمثل قولك : يجب أن تؤمن بان الله تعالى وجها وعينين ويدين وقدمين وانه ينزل ويمشي ويهرول ويشحك . فان هذا يحدث في خيال العاصي صورة حسية لعله لا يزيلها منه قولك وانه لا يشبه في ذلك البشر ولا غيرهم من الخلق . ومذهب السلف ان يذكر ماورد في السياق الذي ورد فيه ، مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه ، وترك التأويل ، والقيل والتفيل

والنساء من الامراء المشهورين، مثل [واي كونت] وابن الامير الروسي (بوركويت) الذي تزوج ابنة الملك (اغني من أقارب خديو مصر) المسماة صالحمة، فقد أسلم على يدي والحمد لله على ذلك، فالآن عدد الذين هم دخلوا في الاسلام ثلاثون شخصاً؛ وذلك من فضل الله تعالى. وان شاء الله تعالى يدخلون في ديننا الاسلام جمّة كثير، لانه دين الفطرة السليمة — وليس المقصود التام بدخول بعض النصارى في الاسلام، بل المقصود التام قمع الشبهات، ورفع الاغلوطات، التي تحتوها اعداء الدين. ولذلك اجريت المجلة المسماة (اسلامك ريبويو) والحمد لله تعالى قد قبلت بأحسن وجه، وسلمت طاقتها عند أولي البصائر

ولكن يسادتي اني وحيد فريد — وان تبليغ الاسلام، واشاعته بين الخواص والعوام، فرض واجب على كل مسلم ومسلمة. قال الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فلا بد من أهل المهم العالية السنية من اخواني المسلمين ان يوازروني ويمدوني بحصة من أموالهم لحصول الاجر والثواب في اشاعة ديننا الاسلام، وذلك ازدياد طبع مجلة (اسلامك ريبويو) واشاعتها مجانا في جميع الاطراف، فتكون فائدة تامة ان شاء الله تعالى —

ثم ترجمنا القرآن الكريم بلسان الانكليزي بأحسن وجه، ونريد طبعه واشاعته أيضاً، وأما التراجم التي طبعت قائمها محشوة من الاغلوطات<sup>(١)</sup> لانها ترجمة المخالفين، وقد فعلوا ما فعلوا — فيا اخواني لا بد من طبع ترجمتها واشاعتها مع الأصل وتلك لا تكون الا بئذ المال الجزيل — وانكم مسلمون وقد بايعتم الله على أن لكم الجنة بأموالكم وأنفسكم. قال الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وأيضاً ان الاسلام قد شاع أولاً في بلادكم المحروسة فلها شرفية على سائر البلدان. ولذلك نرجو الاعانة منكم في ارسال حصة من أموالكم لأجل اشاعة القرآن الكريم، واشاعة (اسلامك ريبويو) قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)

(١) الاغلوطات المسائل التي يغلط فيها الناس أو يغالط بها بعضهم بعضاً. ولا ندري أيريد هذا أم يريد جمع الغلط

وقال سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم « من كان في عون اخيه كان الله في عونه »  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته  
خادم الاسلام والمسلمين  
( خواجا كمال الدين مدير اسلامك ريو يو )

[ المنار ]

نحض من بلفته هذه الدعوة على مساعدة اخينا صاحب هذه المجلة الاسلامية الانكليزية على ايداعها . وننصح له بأن لا يطبع ترجمة القرآن التي نوه بها الا بعد عرضها على جماعة من كبار العلماء في مصر أو الهند واجازتهم اياها . فان رسالته هذه تدل على ضعفه في اللغة العربية فيخشى ان تكون ترجمته كثيرة الغلط كغيرها . على ان ترجمة القرآن ترجمة تامة تؤدي من المعاني والتأثير ما تؤديه عبارته العربية ضرب من المحال . وحسب من يترجم القرآن للجانب ان يأتيهم بتفسير مختصر سليم من الحشو وانما تقوم بذلك الجمعيات لا الافراد .

( بسم الله الهادي الى الحق )

الدين النصيحة

الى اخوتي المسلمين . اني قد ولدت ونشأت مسلماً ودرست القرآن وتفسيره مع العلوم الاسلامية على اعظم علماء سورية ومصر ورأيت القرآن يشهد بأنه جاء مصدقاً للتوراة والانجيل ومهيماً عليهما اي حافظاً لهما من التغيير والتحريف لكن لدى دراستي للتوراة والانجيل رأيت القرآن يخالفهما في حقائق كثيرة لاسيما مخالفته لهما في مسألة الكفارة والفداء التي هي خلاصة الكتاب المقدس . مع أن القرآن قد تكلم عن قربان منذ زمن آدم وقد أثبتت السنة القربان في عيد الاضحى مع أن جميع القربان والدبايح التي كانت تقام في العهد القديم كلها رمز واشارة الى الذبيحة الحقيقية ( المسيح ) الذي قدم نفسه قرباناً فدية عن انخطئين الذين يؤمنون به والا فكيف يعقل أن حيواناً أبكم يكون فداء عن إنسان عاقل إذ لا بد أن يكون الفداء على الأقل معادلاً للمفتدي ان لم يكن الفداء آمن منه يأبها الاخوة تبصروا في هذا الامر المهم الذي يتوقف عليه خلاص نفوسكم من الهلاك الأبدي واعلموا

أن كاتب هذه الرسالة هو من سلالة نبيكم ونشأ مساماً ولكن الله قد أنار بصيرته حتى رأى الحق صريحاً وذلك أن الكتاب المقدس هو كلمته وكتابه الوحيد لم يعتره تغيير ولا تحريف وأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يتخلص من الهلاك الأبدي إلا بواسطة كلمة الله المتجسد في أحشاء مريم وقد اتبعته وآمنت به واعتمدت باسمه تاركاً دين آبائي وأملاكي وأقاربي وأصدقائي لأجل أن أتخلص من الهلاك الأبدي والآن أدعوكم وأنصحكم بإخلاص ومحبة أخوية لتقرأوا كتاب الله تاركين كل تحزب وتعصب إذ الدين بالاستدلال لا بالارث عن الآباء وحينئذ قلل الله نفسه بهديكم إلى الصراط المستقيم الذي تطلبونه منه كل يوم مرات عديدة وإذا صعب فهم شيء من الكتاب المقدس على أحدكم فعليه بسؤال الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وهم يجيبونكم عن كل ما ترومونه والله القادر يرشدكم إلى طريق الحق والحياة بنعمته وهدايته آمين

[ المنار ]

جاءتنا هذه الرسالة في البريد بامضاء متنصر سمي نفسه باسمين ، أواسم جعل نفسه به عبداً للإلهين ، وهو ( عبد الله ، عبد القادي ) ونحن لانناقشه فيما ادعاه من النسب . ولا من ترك النسب ، فأما دعواه دراسة التفسير والعلوم الاسلامية فلا يبعد ان يكون لها أصل ، لأن كثيراً من الناس يزاول دراسة بعض الكتب عدة سنين ولا يفهم منها شيئاً . ويجوز ان لا يكون له أصل ، ويترجح اذا كان الرجل صحيح الفهم ، لأن من يدرس التفسير وعلوم الاسلام ، لا يمكن ان يثبت مسألة الفداء الاخروي التي صرح بنفيها القرآن ، ويستدل عليها بالاضحية والتقربان ، فالقرآن انما شرع لنا الفدية في الدنيا فقط ، كفدية الصيام لمن يطيقه بمشقة شديدة لهرم أو داء عضال وهي أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، وفدية محرمات الاحرام قال تعالى ( ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ) وفداء الاسير ، وفدى الاسير بمثله أو بمال كما هو المتبع عند جميع الامم . وأما النجاة في الآخرة فانما تكون بالايان الصحيح والعمل الصالح كما هو منصوص في الآيات الكثيرة ، ولا يمكن ان تكون بالفداء . قال الله تعالى ( ... ) الذين كفروا لو أن لهم في الارض جميعاً ومثلاً مما ليقنتوا به من عذاب يوم

القيامة ما تُقبل منهم ولهم عذاب مقيم) وقال تعالى في شأن يوم القيامة (٢ : ١٢٣) واتقوا يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) والعدل هنا الفدية وهو بمعنى المعادل وأما حكمة الاضحية وما في معناها من النسك فهي التوسعة على الفقراء ومساواتهم بالاغنياء في خير اطعمتهم وألذها. قال تعالى (ان ينال الله لحوماً ولو لا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

فن عرف هذه الضروريات من الاسلام بحزم بأن صاحب هذه النشرة إما كاذب في دعواه انه كان مسلماً وأنه قرأ شيئاً من علم الاسلام، واما انه قرأ شيئاً وهو يتعمد اليوم تحريفه وتبديله، ويريد ان يغش عوام المسلمين به كما يفعل امثاله واقتاله. فعليه ان ينصح نفسه قبل ان ينصح غيره، وان يعلم ان الدنيا لا تغني عن الآخرة التي لا تنفعه فيها فدية فادولاً شفاعة شافع، الا ان يؤمن بالله وحده، ويزكي نفسه بالعمل الصالح (فما تنفعهم شفاعة الشافعين. فما لهم عن التذكرة معرضين) ان التحريف صار صنعة لدعاة النصرانية حتى ان من يلتصق بهم لأمر ما لا يلبث ان يتقن صنعتهم، ولهذا نرى صاحب هذه الرسالة حرف ماورد من الفدية في القرآن عن موضعه، ووضع له معنى طالما صرح القرآن ببطلانه، كما حرف معنى قوله تعالى «ومهيمننا عليه» ومعناه ان القرآن رقيب على ما قبله من الكتب الالهية يظهر ما حرف منها ويفضح أصحابه، فجعله بمعنى منع الناس من تحريفه بالفعل لا باظهار تحريفهم، وكيف يكون مانعاً من شيء وقع قبل نزوله؟ ولا يبعد ان يدعي في رسالة أخرى ان القرآن يثبت التثليث، وينهى عن التوحيد!! ألم تر انه ادعى أن خلاصة الكتاب المقدس - أي ما يعزى الى انبياء بني اسرائيل من وحي وغيره - لا تخرج عن معنى الكفارة والفداء؟ وهذه دعوى افتحرها القوم الذين التصق بهم ما أنزل الله بها من سلطان، ولا خطرت على بل أحد من الانبياء ولا ممن عاصروهم أو جاء بعدهم من الاحبار، وقد ينامن قبل أصلها وما أخذها فلا حاجة الى اعادته هنا.

وأعجب من هذا وذلك أن مثل هذا الرجل يذ كر كلمة «الدين بالاستدلال» فيالله العجب من تهافت نوع الانسان!!



## ( جيوش الدول المتحاربة )

انشأ المقدم مقالا مطولا عنوانه ( الجيوش المتحاربة — تأليفها وعدد هافي زمن السلم والحرب ) قال في الفصل الذي تكلم فيه عن الجيش الألماني ( في عدد الجمعة ٧ أغسطس ١٥ رمضان ) بعد تفصيل :

« فيكون مجموع الجيش الألماني كله في زمن الحرب خمسة ملايين ومئة وخمسين ألف جندي . ولكن الثقات الحربيين لا يظنون أن ألمانيا تستطيع رصد هذا العدد من الجنود للحرب ويرجعون أنها لا تقوى على رصد أكثر من ١٥٠٠٠٠٠ رء — ٥٠٠٠٠٠ رء جندي على أكبر تقدير » وقال في آخرها :  
« ويقول الثقات العسكريون الذين شهدوا مناورات الجيش الألماني ان الفنون الحربية والحركات العسكرية المتبعة فيه صارت قديمة ( ! ) وان رجال المدفعية في الجيش الفرنسي أمهر في الرماية منهم في الجيش الألماني . ولكن كلا الجيشين متساويان في سرعة التعبئة . فان الجيش الألماني يعبأ كله في تسعة أيام ويوضع على حدود روسيا أو على حدود فرنسا »

وقال في آخر الفصل الذي عقده لجيش فرنسة ( في عدد السبت ٨ أغسطس )  
« ويبلغ عدد الجيش الفرنسي في زمن الحرب نحو أربعة ملايين جندي وفيه نحو ثلاثة آلاف مدفع . والجندي الفرنسي مشهور باقدامه وكره وحماسته وشجاعته ومقدرته على تحمل المشاق وقوة الابتكار الفائقة . ورجال المدفعية الفرنسيون احسن رجال المدفوعات في العالم في الرماية وهم متمنون عليها ولا سيما على اطلاق المدافع السريعة تمرنا لا مثيل له في الجيوش الاوربية . وموضع الضعف في الجيش الفرنسي هو في مدفعيته الكبيرة

« وتم تعبئته الجيش الفرنسي في ثمانية أيام و١٢ ساعة ، أي انه يعبأ اسرع من الجيش الألماني باثني عشرة ساعة

« وسلاح الجنود بندقية لبل من عيار ١٣ ، وهي طراز قديم قليلا ولكنها أحدث من بندقية موزر المستعملة في الجيش الألماني . اما مدافع الميدان فمن التي

قطر فوهتها ثلاث بوصات وهي احدث من مدافع الميدان في الجيش الألماني أيضا» (١)  
وقال في أواخر الفصل الذي عقد للجيش الروسي « اما قوته في زمن الحرب  
فلا حد لها وإنما يقال انها تبلغ سبعة ملايين ونصف مليون جندي ، فهو اضخم  
جيوش الارض وأكبرها كلها »

ثم ذكر ان تعبته تستغرق نحو ثلاثة أسابيع وان هذا وضع الضعف فيه .  
وقال في الفصل الذي عقد للجيش الانكليزي ان جملته في زمن السلم في الامبراطورية  
كلها ٨١٠٨٤٩ وكان في العام الماضي ٧٢٩٩٩١ « ثم ذكر انه سيزاد حتى يبلغ  
مليوناً ونصف مليون

( برقيات الحرب المخصصة من المقطم )

( استعداد الدول الكبرى )

( من لندن ٣١ يوليو ) طلبت الحكومة الألمانية من الحكومة الروسية ان  
تكف عن تعبته الجيوش والا فانها تشرع في التعبئة مقابلة لها بالمثل  
والظاهر ان روسية مصممة على التدرع بالحزم ووقوف موقف صحيح العزيمة  
في المشكلة الحالية

تظن دوائر برلين السياسية ان الحكومة الألمانية تشرع في التعبئة اليوم  
(الجمعة) والاستعداد في فرنسا وانكلترا قائم على ساق وقدم والهمة مبدولة لاعداد  
كل ما يستطاع بأسرع ما يستطاع

( ١ أغسطس ) أصدر قيصر روسية أمره بجعل تعبته الجيوش عامة في جميع  
أنحاء الامبراطورية الروسية ، وكانت ( من قبل ) مقتصرة على خمسين ولاية منها  
وقد أجابت ألمانيا على هذا الأمر باعلان الحكم العرفي في جميع أنحاء  
الامبراطورية الألمانية . وينتظر ان يسري الحكم العرفي بعد التعبئة يوم السبت (اليوم)  
وقد شرعت كل من ألمانيا وفرنسا وروسية في إرسال الفيالق الى الحدود من قبيل  
الاستعداد والاحتياط أما الاحتياطات التي تتخذ في بريطانيا العظمى فمن أعظم ما يكون .

(١) في برقية من لندن للمقظم الذي صدر في ١٤ أغسطس مانصبه: اعان ولاية  
الامور رسمياً هنا ان مدافع الميدان الألمانية من طبقة واطئة جدا

( اعلان الحرب و بدءها )

( لندن - ٢ أغسطس ) أعلنت وكالة ان تليفرافا رسميا وصل الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم وفيه ان الالمانيين غزوا فرنسا واجتازوا الحدود عند سيري ( بلدة على الحدود قرب ستراسبورج )

( براين - ٢ منه ) غزا جيش روسي بمدافعه وفرسانه من القوزاق بلاد ألمانيا بقرب ببالا ( لندن ٢ أغسطس ) رسمي : أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا . وقد برح كل

من سفير روسيا في براين وسفير ألمانيا في بطرسبرج مقر وظيفته

وقد شرعت الحكومة الفرنسية في تعبئة جيشها استعدادا للحرب

وكانت ألمانيا قبل ذلك قد أرسلت امس ( السبت ) بلاغا نهائيا الى روسيا وفرنسا وأعطتهما مهلة اثنتي عشرة ساعة للاجابة عليه ، فكان جواب روسيا وفرنسا عليه جوابا غير مرضي . وشاع بعد ارسال ألمانيا لبلاغها النهائي انها مدت هذه المهلة حتى ظهر يوم الاثنين وتوسط ملك الانكليز في الامر فأرسل تليفرافين لقيصر روسيا وامبراطور ألمانيا ولكن كل المساعي ذهبت ادراج الرياح فيما يظهر

( لندن ٤ منه ) برح السفير الألماني باريس في الليلة البارحة قم بذلك قطع

العلاقات السياسية تماما بين الدولتين

استولى الالمانيون على ثلاث مدن وثلاث جزائر روسية في بحر البلطيك

( لندن ٥ منه رسمي : أعلنت انكلترا الحرب على ألمانيا الساعة السابعة من

امس . ) بناء على عدم احترام ألمانيا حياد بلجيكة (

براين ٥ منه ) أعلنت ألمانيا الحرب على انكلترا ( وبدأت الحرب بينها وبين بلجيكة )

لندن ٧ منه أعلنت النمسا الحرب رسميا على روسيا

لندن ١٣ منه أعلنت انكلترا الحرب في منتصف هذا الليل على النمسا والمجر

﴿ منع المنار من السودان ﴾

أمرت حكومة السودان بمصادرة مجلة المنار واحراق نسخها ، وما أنذرتنا ولا أخبرتنا ، بل علمنا ذلك من بعض المشتركين . وكان ذلك في غيبة الحاكم العام فلما عاد من أوروبا بعد وقوع الحرب شكونا اليه ذلك ، وطالبناه باسم الحرية الدينية التي امتاز بالعناية باحترامها انصافنا ولعله يفعل عن قريب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد  
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

# المعراج

١٣١٥

قوله عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إذا كان يومي ربيع ١٣ من شهر ربيع الثاني كان الطريق

مصر صلح ذي القعدة ١٣٣٢ هـ ق ٣٠ الحريف الثاني ١٢٩٣ هـ ش ١٩ أكتوبر ١٩١٤

## صفات الباري تعالى

تحقيق الحق في مذاهب السلف واختلاف الخلف فيها

فتوى للإمام الشوكاني رحمه الله تعالى

اعلم ان الكلام في الآيات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذبوله، وتشعبت أطرافه، وتباينت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت النحل. وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتى تفرقوا فرقاء وتشعبوا شعبا، وصاروا أحزابا، وكانوا في البداية ومحاوله الوصول الى ما يتصورونه من العامة مختلفي المقاصد متبايني المطالب

فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكافئة علم ما لم يكلفها الله سبحانه بعلمه أسماء وأقلها عقوبة وجراما، وهي التي أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب، لكن سلكت في طلبه طريقة متوعرة، وصعدت في الكشف عنه الى عقبة كؤود، لا يرجع من سلكها سائلا فضلا عن أن يظفر فيها بمطوب صحيح. ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقا، فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في ذلك الدفع بشبهة واهية، وحالات مختلفة

وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الأولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشر عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أو نفي من شمس النهار، وأظهور من فلق الصباح، وظنوا هذا من صديعهم موافقاً للحق. وطابقوا لما يريد الله سبحانه، فضاوا الطريق المستقيمة وأضلوا من رام سلوكي.

والطائفة الأخرى هي طائفة التي غلت في إثبات القدرة فلما بلغ الى حد أنه لا تأثير لغيره، ولا اعتبار له سواه، وأفضى ذلك الى إيلام الخضم، والقسر الخالص

فلم يبق لبعثة الرسل وانزال الكتب كبير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة؛ وجاؤا بتأويلات للآيات البينات، ومحاولات لحجج الله الواضحات، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والاضلال، مع ان كلا المقصدين صحيح، ووجه كل منهما صحيح، لولا ما شأنه من الغلو القبيح.

وطائفة توسطت<sup>(١)</sup> ورامت الجمع بين الضب والنون، وظنت انها قد وقفت بمكان بين الافراط والتفريط، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها، وتبجول على الاخرى وتصول بما ظفرت به مما يوافق مذهبها اليه، وكل حزب بما لديهم فرحون، وعند الله تلتقي الخصوم

ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه العلمية بطريق الخلف ان تمنى محققهم وأذكياءهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا هنياً للعامة؛ فتدبر هذه العلمية التي كان حاصلها أن يهنا من ظفر لاهل الجهل (؟) البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، ومن تدين بدينهم، ويمشى على طريقهم. فان هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة، على أن هذه العلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير. فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه، ويتمنى عند البلوغ الى غايته، والوصول الى نهايته، ان يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه؟ ففي هذا عبرة للمعتبرين، وآية بينة للناظرين، فهلا عملوا على جهل هذا المعارف التي دخلوا فيها باديء بدء، وساءوا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تعبها، وقالوا كما قال القائل:

رأى الامر يفضي الى آخر فسير آخره أولاً

ورجحوا الخلوص من هذا التمني والسلامة من هذه التهنئة للعامة؛ فان العاقل لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها، ولا يهني لمن هو مثله أو دونه، بل لا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته، ومكانه أعلى من مكانه، فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه، وأفضل مقدارا بالنسبة اليه؛ وهل سمع السامعون بمثل هذه القرية أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها

(١) هي فرقة الأشعرية التي توسطت بين المعتزلة والجبرية السابق ذكرها

وإذا كان حال هذه الطائفة<sup>(١)</sup> التي قد عرفناك أنها أخف الطوائف تكلفا، وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها، وتبين بطلان مواردها ومصادرها، كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به كإياد الإسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه، بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى التمدح في الدين وتغفير أهله عنه<sup>(٢)</sup>

وعند هذا تعلم أن خير الأمور السالفات على الهدى، وشر الأمور المحدثات البدائع<sup>(٣)</sup>؛ وإن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم، يرون آيات الصفات على ظاهرها، ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون ولا يأولون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرر من مذاهبتهم، لا يشك فيه شك، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل، وإن نزغ من بينهم نازغ، أو نجم في عصرهم نجم، أوضحوا للناس أمره، وبينوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في الجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته، كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه وقالوا «ان الأمر أنف»<sup>(٤)</sup> فتبرؤا منه، وبينوا ضلالاته وبطلان عقائده للناس، فحذروه، إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجمع بن درهم ومن قال بقوله واتحل نحلته الباطلة<sup>(٥)</sup>

ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المتدع في الصفات أن يتظاهر بدعته، بل

(١) الأشعرية (٢) هذا وصف طوائف الباطنية كالإسماعيلية والبايية

(٣) هذا بيت شعر أوله: وخير الأمور الخ جعله نثرا

(٤) أنف بضمين أي مستأنف جديد، يعني أن أفعال الباري تعالى ليست

بقدر سابق، ولا نظام اقتضت الحكمة، وإنما يتبدى كل فعل ابتداء، وهم القدرية أي منكرو القدر

(٥) هم الجهمية منكرو الصفات الإلهية

يتكتمون بها كما يتكتم الزنادقة بكفرهم. وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة

ولكننا تقتصر ههنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من المتكافين علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان ان اصرار آيات الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وان كل من اراد من نزاع المتكافين، وشذاذ المحرفين المتأولين، أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر، قاموا عليه وحذروا الناس منه . وبينوا لهم انه على خلاف ما عليه اهل الاسلام

فصار المبتدعون في الصفات، القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين، وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور، ولا ينذع بزخارف اقوالهم الا مخدوع، وهم مع ذلك على تخوف من اهل الاسلام، وترقب لتزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين، والرؤساء والسلاطين، حتى نجم نجم المحنة، و برق بأرق الشر من جهة الدولة، ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والايراد اعظم صولة . وذلك في الدولة المأمونية بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد . فعند ذلك أطلع المنكمشون في تلك الزوايا رؤسهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم، وأعلنوا مذاهبهم الزائفة، وبدعهم المضلة، ودعوا الناس اليها، وجادلوا عنها، وناخلوا المخالفين لها، حتى اختلط المعروف بالمنكر، واشتبه على العامة الحق بالباطل، والسنة بالبدعة

ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وحفظه عن التعريف والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة لهم في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم، وينسك على أهل البدع بدعهم، فكان لهم - والله الحمد - المقامات المحموده، والمواقف المشهورة، في نصر الدين، وهتك المبتدعين

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرناه نعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم هو اصرار آيات الصفات على ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل، يفضي اليه كثير من



(المنار - ج ١١ م ١٧) سيرة السلف وهديمهم والمذاهب المبتدعة بعلمهم ٨٢١

التأويل. وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقليل، وقالوا قال الله هكذا ولا ندرى بما سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاورته، فان أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجره عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول اليه، الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه. وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الماضية، الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعا متفقة، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه، من الايمان بالله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد، وانفاق الأموال في أنواع البر، وطلب العلم النافع، وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاختصاص بحسب الاستطاعة، وبما تبلغ اليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله به، ولا تعبدتهم بالوقوف على حقيقته، فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع، خالصا عن شوب قدر التمدد.

فعلى هذا النمط كان الصحابة والتابعون وتابعوهم، وبهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتدوا، وبأعماله وأقواله اقتدوا، فن قال انهم تابسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو غيرها، فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك، فان تقول الأئمة المطاعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقات الاثبات، ترد عليه وعاليمهم وتدفع في وجهه.

يعلم ذلك كل من له علم، ويعرفه كل عارف، فاشدد يديك على هذا. واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الدين يلوونهم ثم الدين يلوونهم، ودع عنك ما حدث من تلك المذاهب في الصفات وأرجح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها، وجعلوها أصلا يرد اليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فان واقفاها

## ٨٢٢ جعل المذاهب أصولا يرد اليها وبها الكتاب والسنة (المنار—ج ١١ م ١٧)

فقد وافقا الاصول المقررة في زعمهم ، وان خالفها فقد خالفا الاصول المقررة في زعمهم ، ويجعلون الموافق لها من قسم المتبول والمحكم ، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ؛ ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى . أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح ، لم يبالوا به ولا رفعوا اليه ، ووسمهم ، ولا عدوه شيئا . ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام . فانه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها

ومن العجب العجيب ، والنبا الغريب ، ان تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام ، التي جعلها من بعدهم أصولا ، لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل ، والغرية على الفطرة ، وكل فرد من أفرادها تنازعت فيه عقولهم ، وتخالفت فيه ادراكاتهم ، فهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا . ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلا يرجع اليه ، ومعيارا لكلام الله وكلام رسوله ، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه . فيأله وبالللمسلمين ! ويا لعلماء الدين ! من هذه الفواقير الموحشة التي لم يصب الاسلام وأهله بمثلا ؟

وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع ، أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات التي تعقلوها — على اختلافهم فيها ، وتناقضهم في معتولاتها — أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها أيضا معيارا لصفات الرب سبحانه ، فما تعقله هذا من صفات الله قال به جزما ، وما تعقله خصمه منها قطع به . فأثبتوا لله الشيء ، ونقيضه ، استدلالا بما حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ، ولم يلتفتوا الى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بل ان وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقويا ، وقالوا قد ورد دليل السمع ، مطابقا لدليل العقل ؛ وان وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الاصل ، ومتشابهها وغير معقول المعنى ، ولا ظاهر الدلالة ، ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم . فافتري على عقله ، بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه ، وجعل ذلك أصلا يرد اليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده ، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقا له عنده فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه ، وكفالك بهذا

وليس بعده شيء ، وعندده يتعثر القلم حياء من الله عز وجل  
وربما استبعد هذا مستبعد ، واستكبره مستكبر ، وقال ان في كلامي هذا مبالغة  
وتهويل ، وتشنيعا وتطويلا ، وان الامر ايسر من ان يكون حاصله هذا الحاصل الذي  
ذكرت ، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها . فأقول : \* خذ جملة البلوى ودع  
تفصيلها \* واسمع ما يصك سمعك ، ولولا هذا الالحاح منك ماسمته ولا جرى القلم بمثله  
هذا أبو علي <sup>(١)</sup> وهو رأس من رءوسهم ، وركن من أركانهم ، واسطوانة من  
أساطينهم ، قد حكى عنه الكبار منهم ، وآخر من حكى ذلك عنه صاحب شرح  
القلائد - يقول : والله لا يعلم الله من نفسه الا ما يعلم هو !! فخذ هذا التصريح ، حيث  
لم تكف بذلك التلويح ، وانظر هذه الجرأة على الله التي ليس بعدها جرأة ،  
في الأمام أبي علي الويل ! أينق بمثل هذا النهيق ، ويدخل نفسه في هذا المضيق؟ وهل  
سمع السامعون بيمين أجز من هذا اليمين الملعونة؟ أو تقل الناقلون كلمة تقارب معنى  
هذه الكلمة المفتونة؟ أو بلغ مفتخر الى ما بلغ اليه هذا المختال الفخور؟ أو وصل من  
يفجر في ايمانه الى ما يقارب هذا الفجور؟ وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف ان ابنه  
أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجرا فيها . لأن كل فرد  
من أفراد الناس ينطوي على صفات وقرائن لا يجب أن يطلع عليها غيره ، ويكره أن  
يقف على شيء منها سواه . ومن ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره ويستكن  
في ضميره؟ ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير  
من نفسه ، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما لا يعلمه هذا المدعي؟ فهو اما مصاب  
العقل ، يهذي بما لا يدري ، ويتكلم بما لا يفهم ، أو كاذب شديد الكذب العظيم الاقتراء ،  
فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه ، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم ما توسوس به  
نفسه ، وما يسر عباده وما يعلنون ، وما يظهرون وما يكتمون ، كما أخبرنا بذلك في كتابه

(١) يعني الجبائي . وانما جاء بالشاهد من قول المعتزلة لفظاعته ولأن أهل وطنه (البن)  
من الزيدية لا يزالون يأخذون بأقوالهم . وما من فرقة من الفرق الا ولها شذوذ  
في هذه المسائل ، حتى لم يسلم منه من سموا أنفسهم الأثرية أو الحنابلة ، فان منهم  
من بالغ في الرد على غيره ، حتى قال ما لم يقله سلفه ، وكذلك الاشعرية الذين حاولوا  
الجمع بين المأثور والمفقول

العزير في غير موضع. فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه الا الله سبحانه من عباده، فما ظنك بمن تجاوز هذا وتعداه وأقسم بالله ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو؟ ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل؟ فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف

ولهل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل ( ولا يحيطون به علماً - وقوله - ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ) وقال لهم هذا يرد ما قاله صاحبهم ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مقتراة - لئالوا : هذا ونحوه مما يدل دلالة ويفيد مفاده من التشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول المقررة

وبالجملة فاطالة ذبول الكلام في مثل هذا المقام اضاءة للاوقات ، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ؛ وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى أن المذهب الحق في الصفات هو امرارها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف . ولا تكلف ولا تعسف ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل . وان ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعيهم

فان قلت: وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررهما؟ فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه، ولا يصدق مناهه ويوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار، وهم المنكرون للصانع (قلت) يا هذا ان كنت ممن له العلم بعلم الكلام، الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم، ويدكرونه في مؤلفاتهم، ويحكونه عن أكابرهم، ان الله سبحانه وتعالى وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه (١) فأنتدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة؟ فكان «ولاء» في فرارهم من شبهة

(١) قولهم هذا له تنمة وهي: ولا هو متصل به ولا هو منفصل عنه. ولا مباين له ولا محايث له، ولا هو فينا ولا خارج عنا

التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل:

فكنت كالساعي الى مشعب موثلا من سبل الراءد<sup>(١)</sup>

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار، والمهارب من لسمة الزنبور الى لدغة الحية، أو من قرصة الغملة الى قضمة الاسد

وقد كان يفني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلمين كلتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلها على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وهما (ولا يحيطون به علما - و - ليس كمثل شيء) فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب، وتضمنتا ما يفنى أولى الالباب، السالكين في تلك الشعاب والمضاب، الصاعدين في متوعدات هاتيك العقاب

فالكلمة الاولى منها دلت دلالة بيّنة على ان كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق، ودعاوي التحقيق، فهو مشوب بشبهة من شعب الجهل، مخلوط بمخلوط هي منافية للعلم مباينة له، فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علما، فمن زعم ان ذاته كذا او صفته كذا، فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة. وقد نفيت عن كل فرد، لأن هذه القضية هي في قوة: لا يحيط به فرد من الافراد علما، فكل قول من اقوال المتكلمين صادر عن جهل، اما من كل وجه او من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل، ولا سيما اذا كان في ذات الله وصفاته، فان في ذلك من المخاطرة بالدين ما لم يكن في غيره من المسائل، وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف، ولم يحظ بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويتطف من ثمارها، الا المرون للصفات على ظاهرها، المريحون انفسهم عن التكلمات والتعريفات، والتأويلات والتحريرات، وهم السلف الصالح كما عرفت، فهم لا يعرفوا بعدم الاحاطة ووقفوا انفسهم حيث اوقفها الله. وقالوا: الله اعلم بكيفية

(١) المتعب المكان الذي يتفجر منه الماء المجتمع في حوض ونحوه. والمواثيل

اللاجئ الى ما من يأمن به من ضرر أو شربحانه. والمعنى فكنت كالمهارب من مطر يحرقه الى سيل متفجر يحرقه. واعل «سبل» محرفة عن «سيله»

ذاته، وماهية صفاته، بل العلم كله له: وقالوا كما قال من قال، ممن اشتغل بطلب هذا المجال، فلم يظفر بغير القيل والقال:

العلم للرحمن جل جلاله وسواه في جهلاته يتعمق  
مالاتراب والعلوم وانما يسمى ليظلم انه لا يعلم  
بل اعترف كثير من هؤلاء المتكافين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنومه  
بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الخبرة التي وجد عليها غيره من المتكافين فقال:  
وقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرقي بين تلك المعالم  
فلم ار الا واضما كف حائر على ذقن او قارعا سن نادم

\*\*

وها أنا (ذا) اخبرك عن نفسي، واوضح لك ما وقعت فيه في امسي، فاني ايام الطلب  
وعنفوان الشباب، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد،  
وتارة علم اصول الدين؛ واكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ودمت الرجوع  
بمائدة، والعود بمائدة، فلم اظفر من ذلك بغير الخيبة والخيرة؛ وكان ذلك من  
الاسباب التي حبت اليّ مذهب السلف. على اني كنت من قبل ذلك عليه، ولكن  
أردت أن ازداد فيه بصيرة وبه شفاء، وقلت عند النظر في تلك المذاهب:

وغاية ما حصلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التدبر  
هو الوقف ما بين الطريقين خيرة فما علم من لم يلق غير التحير  
على اني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بدون التبهر

\*\*

وأما الكلمة الثانية وهي (ليس كمثل شيء) فيها استفاد نفي المماثلة في كل شيء. فيدفع  
بهذه الآية في وجه المجسمة، ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير،  
وعند ذكر السمع والبصر واليد والامستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة،  
فيتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات، لاعلى وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات. فيدفع  
به جانبي (١) الافراط والتفريط، وهما المبالغة في الاثبات المنفي الى التجسيم، والمبالغة

(١) كذا والصواب « جانبا » لانه فاعل يندفع، الا ان يكون في الكلام

فص سقط به فاعل يندفع

في النفي المفضية الى التعطيل، فيخرج من بين الجانبين، وغلو الطرفين، حتى مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو، فانه القائل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

ومن جملة الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل، صفة الاستواء التي ذكرها السائل فاتهم يقولون نحن ثبت ما أثبتته الله لنفسه، من استوائه على عرشه، على هيئة لا يعلمها الا هو، وفي كيفية لا يدري بها سواه<sup>(١)</sup> ولا تكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثل شيء لاني ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علما

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض ما فيه دليل عليها. والادلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم منها - لاسيما أهل الحديث - مباحث طوّلوا بها بذكريات قرآنية وأحاديث صحيحة، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب<sup>(٢)</sup> والمسئلة أوضح من أن تلتبس على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية، كثر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، خصوصا بين الخنابلة وغيرهم من أهل المذاهب. فلهم في ذلك تلك الفتن الكبرى، والملاحم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر

(١) انما يذكر لفظ الهيئة والكيفية في هذا المقام كما يذكر لفظ الصفة، بناء على ان ما يستعمل في الكلام عن الباري تعالى من الالفاظ انما يشار بها اشارة الى المعنى الشريف الذي يعرفه الخلق من أنفسهم مع نفي التشبيه والتشليل من كل وجه بناء على ما ثبت من تنزيهه عقلا وتقلا. ومن العلماء من يعبر عن مذهب السلف بنفي الكيف لا باثباته مع نفي العلم به، وهو ما عبروا عنه باللكفة المنحوتة من قولهم: بلا كيف

(٢) قد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار. وفيه أيضا ما نقل عن أشهر علماء السلف ومن بعدهم من كبار الفقهاء والمتكلمين في اثبات الصفات

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش ،  
والكون في تلك الجهة، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ؛  
ويطول نشرها ، وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير  
حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه ، ويحسه في فطرته ،  
وتجذبه اليه طبيعته ، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه ، والتجأ اليه ووجه أذعيته  
الى جنبه الرفيع ، وعزه المنيع . فانه يشير عند ذلك بكفه ، أو يرمي الى السماء بطرفه ،  
ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء ، وحدث بواعث الاستغاثة ، ووجود  
مقتضيات النزاع ، وظهور دواعي الالتجاء ، عالم الناس وجاهلهم ، والمأشي على طريقة  
السلف ، والمتدي بأهل التأويل ، القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء — كما قاله  
جمهور المتأولين — أو الاقبال — كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والقراء  
وغيرهم — أو كناية عن الملك والسلطان (١) — كما قاله آخرون — فالسلامة والنجاة  
في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بالاستواء والسكون (٢) على ما نطق به الكتاب  
والسنة من دون تكليف ولا قيل ولا قال ، ولا فضول في شيء من

(١) هذا القول لا يناق في إمرار اللفظ على ظاهره ، والتسامح باستواء يليق بالرب  
ويفوض اليه علم كنهه ، لان الكناية لا تناق في الحقيقة كما يناقها المجاز عند الجمهور  
المالعين من جمعه معها . فذكر الاستواء في القرآن في سياق خلق السموات والارض  
يفيد معنى القيام بأمر الملك وتديره ، وصرح به في سورة يونس فقال (١٠ : ٣) استوى  
على العرش يدبر الامر) وهذا المعنى هو الذي يتبادر الى فهم كل عربي قبح من كلمة  
استوى فلان على عرش الروم أو الفرس مثلا . فهو لا يفكر عند سماع الكلمة في  
كيفية الكرسي الخاص ملك تلك البلاد ، ولا في كيفية جلوس الملك عليه . وإنما  
يفكر في المراد من هذا التعبير . ولو ان خادما من خدم قصر الملك جالس على عرشه  
عند تنظيف الحجرة التي هو فيها لا يقال فيه انه استوى على عرش تلك المملكة . فاذا  
قلنا انه ينبغي لنا في تدرجات الاستواء على العرش ان نفكر في لازم الاستواء وهو  
الاتقاراد بالملك والسلطان والتدبير ، لم نكن بذلك متأولين والآيات ، ولا خارجين عن  
عن مذهب السلف في امرارها كما جاءت ، من غير ان نجيز لأنفسنا البحث عن كيفية  
ذلك الاستواء من حيث معناه الحقيقي

(٢) لعله سقط من ههنا « في جهة العلو »



المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفریط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما تقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة فنكذا تقول في مثل قوله سبحانه ( وهو معكم أينما كنتم - وقوله - ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ) وفي نحو ( ان الله مع الصابرين - ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) الى ما يشابه ذلك ويمثله ويقاربه ويضارعه ، فيقول في مثل هذه الآيات: هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ، وتكاف بتأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بأن المراد بهذا السكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته ، فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف ، وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم (١)

واذا انتهيت الى السلا مة في مداك فلا تجاوز

وهذا الحق ليس به خفاء فدعني من بُنيات الطريق

وقد هلك المنتطعون ، ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجني . وفي هذه الجملة وان كانت قليلة ما يعني من يشح بدينه ويحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذبوله ، وتوسيع دائرة فروعه وأصوله . والمهدي من هداه الله ، والله أعلم . انتهى

## فتاوى المنار

( س ٢٣ و ٢٤ ) من صاحب الامضاء الرمزي في سمبس برنيو (جاوه)

حضرة العلامة الكبير ، والامام الجليل ، استاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب

المنار الاخر نفني الله والمسلمين بوجوده الشريف آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فيا سيدي الاستاذ نرجو من فضيلتكم

التكرم علي بأن تجيبوني عن الاسئلة الآتي ذكرها جوابا مقنعا ولكم الفضل والشكر وهي :

(١) ورد عن الامام أحمد وغيره من علماء السلف جعل المعية بمعنى العلم فصار هذا التأويل مما يعترف به الحنابلة والأربون ، وانما ألجأهم اليه رد قول الجهمية وغيرهم انه تعالى في كل مكان . وقد نقل الذهبي ذلك في كتابه المشار اليه آنفاً عن كثيرين

(١) ماتقولون في قول الفقهاء: - لا يجوز تحليف القاضي ولا الشهود وان كان ينفخ الخصم تكذيبهما أنفسهما لأن منصبهما يأبى ذلك ولأن التحليف كالطعن في الشهادة أو في الحكم . فإذا علم الشاهد أو القاضي أنه يحلف امتنع الأول من الشهادة والثاني من الحكم فيؤدي ذلك الى ضياع حقوق الناس ، وهذا فساد عام . فهل هذا القول صحيح ؟ وقد جرت الحكومة الهولندية بتحليف الشهود قبل أن يؤدوا الشهادة سواء كانوا صادقين أو كاذبين - فرأى كثير من عمال الحكومة أن ذلك هو الاحسن والاحوط والأوفق لهذا العصر . والمرجو من فضيلة سيدي الاستاذ ابداء رأيه السديد في هذه المسألة بالحجة والبرهان .

(ب) هل من العقل والحكمة ومن مقاصد الشريعة الاسلامية ما اشترطه الفقهاء في الهبة من أنها لا تصح الا باليجاب وقبول ولا تلزم الا قبض الموهوب له بأذن الواهب ؟ قال في بداية المجتهد : وأما الهبة فلا بد من الايجاب فيها والقبول عند الجميع ..... وأما الشروط فأشهرها القبض ، أعني أن العلماء اختلفوا: هل القبض شرط في صحة العقد أم لا ؟ فاتفق الثوري والشافعي وأبو حنيفة أن من شرط صحة الهبة القبض وأنه اذا لم يقبض لم يلزم الواهب ، وقال مالك أنه يعقد بالتول ويجبر على القبض كالبيع - الى قوله : - فمالك القبض عنده في الهبة من شروط التمام لا من شروط الصحة ، وهو عند الشافعي وأبي حنيفة من شروط الصحة . وقال أحمد وأبو ثور تصح الهبة بالعقد ، وليس القبض من شروطها أصلاً . لا من شروط تمام ولا من شروط صحة اه فأبي الاصح من هذه الاقوال المختلف فيها ؟ أقول باشتراط القبض ؟ أم أقول بعدم اشتراطه ؟ وهل يصح أن يحتج من اشترط القبض في الهبة بحديث أبي بكر انه كان نحل عائشة جنداً عشرين وسقاً من مال الغابة فلما حضرته الوفاة قال : - والله يا بنية ما من الناس أحد أحب الي غني بعدي منك . ولا أعز علي فقرا بعدي منك . واني كنت نحلتك جنداً عشرين وسقاً فله كنت جندتبه واحترتبه كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ؟ وهل صح ما استدلوا به على أن القبض شرط في صحة الهبة من خبر أنه صلى الله عليه وسلم أهدى لسجاني ثلاثين أوقية مسكاً من نبي صلى الله عليه وسلم (ص) بين لسانه ؟

هذا وأرجو فضيلتكم بيان هذه المسائل على قاعدة ( درء المفسد مقدم على جلب المصالح ) ( م . ب . ع )

### ( تحليف القاضي والشهود )

( ج ) القول بأن تحليف القاضي والشهود لا يجوز شرعاً لما ذكر من العلل — لم يظهر لنا وجه صحته، فقولهم: ان ذلك مما ياباه منصبهما، — لانعرف له مستنداً في الكتاب والسنة، وما يليق بالمنصب وما لا يليق به ليس أمراً ثابتاً مطرداً دائماً، بل هو مما يختلف باختلاف العرف والعادة ويتغير آناً بعد آناً، كما يهد من الناس في الامكنة المختلفة والازمان. مثال ذلك ان العرف والعادة في مصر والآستانة والشام ان لا يخرج القاضي الشرعي والمفتي وكبار العلماء الى زيارة أحد بغير عمامة، وهذه عادة قديمة حتى عد بعض العلماء من اعداء ترك الجمعة والجماعة فقد الهامة الثلاثة بأشكال هؤلاء. ولكن هذه العادة لا تلازم في الهند فقد يخرج كبار العلماء من بيوتهم الى زيارة بعض الاخوان بغير عمامة، وانما يضعون على رؤسهم نوعاً من الكبت الرقيقة ( الكمة بالضم شيء مستدير يوضع على الرأس ومنه ما يسمى في مصر طاوية وفي غيرها عراقية ) وقد ورد ان النبي ( ص ) خرج مع بعض أصحابه لزيارة وليس على رؤسهم شيء .

وقولهم ان التحليف كالطمع في الشهادة أو الحكم فممنوع، وقد يقال انه تأكيد لها . وأما قولهم ان القاضي والشاهد يمتنعان من القضاء والشهادة اذا علما أنهما يحلفان، فهو من النظريات المقبوضة بما عليه عمل كثير من الامم الآن. فالحكومة العثمانية والحكومة المصرية قد جرتا على تحليف الشهود ولم يمتنعوا، وعلى تحليف من تسند اليهم المناصب الكبيرة يمين الاخلاص لرئيس الحكومة ( السلطان ) ولو قالوا ان التحليف لمن ذكر لا يجب شرعاً لما وجدنا الى مخالفتهم سبيلاً، ولكن نفي الجواز لا يسلم الا بدليل شرعي

هذا وان لنا أكيد الشهود شهادتهما بالقسم أصلاً في القرآن كما ترى في شهادة الوصية ( فيقسمان بالله ان ارتبتم لانشري به نمناً — فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ) وقد قال تعالى بعد بيان أحكام هذه الشهادة معللاًها ( ذلك أدنى

أن يأتوا بالشهادة على وجهها ) الخ وسأيتي في التفسير قريباً ان شاء الله تعالى  
( الهبة وما يشترط فيها )

معنى الهبة عند الجمهور تملك بلا عوض ، ويرى بعضهم انه يدخل في عمومها  
الابراء من الدين والهدية والصدقة ، وانما يخص بعض الانواع باسم لافادة المعنى  
الخاص الذي انفرد به عن سائر الانواع ، فالصدقة هبة يراد بها ثواب الآخرة ،  
والاصل فيها ان تكون للمحتاج . والهدية هبة يراد التودد بها الى المهدي اليه ،  
وتكون بين الاغنياء والفقراء ، لان التودد يكون بين جميع اصناف الناس  
والعمدة فيها العرف فما تعارف الناس عليه كان صحيحاً شرعاً لم يكن مخالفاً للشرع .  
وتحصل بالاجاب القولي من الواهب والقبول القولي من الموهوب له كما تحصل بالتعاطي  
وهو اجاب وقبول بالفعل . وهي تتحقق بالقبض قطعاً . وعدم القبض قد يكون رداً  
وقد يكون توانيماً . فهو جدير بأن يختلف فيه . وليس في الباب نصوص عن الشارع  
كاف الناس اتباعها في طرق التملك والتملك . والحديث في هدية النبي ( ص )  
للنجاشي جار على مسألة العرف وتحقق الهبة بالفعل أو عدم تحققها ، وهو في مسند  
احمد من حديث أم كلثوم بنت أبي سلمة ، وفي اسناده مسلم بن خالد الزنجي اختلف  
في توثيقه وضعيفه . وأم موسى بنت عقبة ، قال في مجمع الزوائد : لا أعرفها  
وأما أثر عائشة فقد رواه مالك في الموطأ من طريق ابن شهاب عن عروة عنها ،  
وروى البيهقي نحوه عن مالك وغيره . وظاهر الاثر ان عائشة لم تقبل نحلة أبيها فبقيت  
في يده الى ان أدركته الوفاة فذكر لها انه يتركها إرثاً . وأن هذا ليس من باب  
الاعتصار ، وهو رجوع الوالد بما يهبه للولد في حياته ، وهو جائز عند أكثر الفقهاء  
وما قاله ابن رشد — من أن الهبة لا بد فيها من الاجاب والقبول عند الجميع —  
فهو غير صحيح اذا اراد بهما الصيغة باللسان أو الكتابة ، فقد نقل العلماء الخلاف  
في ذلك كالحافظ ابن حجر والامام الشوكاني وغيره . وتجدر تحرير هذه المسألة  
بدلائلها في جميع العقود في المبحث النفيس الذي كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في  
مسألة العقود ، فراجع في المجلد الثالث من مجموعة فتواه المطبوعة بمصر . وخص بالتأمل  
الوجه الثالث في ص ٢٧٢ — ٢٧٤

( الفرق بين البدع والمصالح المرسلة والاستحسان (\*) )

من مباحث كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي . وهو ما عقد له الباب الثامن منه . قال رحمه الله تعالى :

هذا الباب يُضطرُّ الى الكلام فيه عند النظر فيما هو بدعة وما ليس ببدعة ، فان كثيرا من الناس عدوا اكثر المصالح المرسلة بدعاً ، ونسبوها الى الصحابة والتابعين ، وجعلوها حجة فيما ذهبوا اليه من اختراع العبادات . وقوم جعلوا البدع تنقسم بأقسام أحكام الشريعة ، فقالوا: ان منها ما هو واجب ومندوب ، وعدوا من الواجب كتب المصحف وغيره ، ومن المندوب الاجتماع في قيام رمضان على قارئ واحد

وأيضاً فان المصالح المرسلة يرجع معناها الى اعتبار المناسب الذي لا يشهد له أصل معين ، فليس له على هذا شاهد شرعي على الخصوص ، ولا كونه قياساً بحيث اذا عرض على العقول تلقته بالقبول . وهذا بعينه موجود في البدع المستحسنة ، فانها رجعة الى أمور في الدين مصالحة - في زعم واضعيها - في الشرع على الخصوص

واذا ثبت هذا ، فان كان اعتبار المصالح المرسلة حقاً ، فاعتبار البدع المستحسنة حق ؛ لانهما يجريان من واحد واحد . وان لم يكن اعتبار البدع حقاً ، لم يصح اعتبار المصالح المرسلة .

وأيضاً فان القول بالمصالح المرسلة ليس متفقاً عليه ، بل قد اختلف

(\*) تابع لما نشر في ص ٧٥٣

فيه أهل الاصول على أربعة أقوال - فذهب القاضي وطائفة من الاصوليين الى رده ؛ وان المعنى لا يعتبر ما لم يستند الى أصل . وذهب مالك الى اعتبار ذلك ، وبني الاحكام عليه على الاطلاق . وذهب الشافعي ومعظم الحنفية الى التمسك بالمعنى الذي لم يستند الى أصل صحيح ، لكن بشرط قربه من معاني الاصول الثابتة . هذا ما حكى الامام الجويني

وذهب الغزالي الى أن المناسب ان وقع في رتب التحسين والتزيين لم يعتبر حتى يشهد له أصل معين ، وان وقع في رتبة الضروري فيله الى قبوله ، لكن بشرط . قال : ولا يبعد أن يؤدي اليه اجتهاد مجتهد . واختلف قوله في الرتبة المتوسطة ، وهي رتبة الحاجي ، فرده في المستصفي وهو آخر قوله ، وقبله في شفاء الغليل كما قبل ما قبله . واذا اعتبر من الغزالي اختلاف قوله - : فالاقوال خمسة ، فإذًا الراد لا اعتبارها لا يبقى له في الواقع له <sup>(١)</sup> في الوقائع الصحاح مستند الا انها بدعة مستحسنة - كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاجتماع لقيام رمضان : نعمت البدعة هذه . - اذ لا يمكنهم ردها ، لاجماعهم عليها .

وكذلك القول في الاستحسان فانه - على ما <sup>(٢)</sup> المتقدمون -

راجع الى الحكم بغير دليل ، والنافي له لا يعد الاستحسان سببا ، فلا يعتبر في الاحكام البتة ، فصار كالمصالح المرسلة اذا قيل بردها .

فلما كان هذا الموضوع مزلة قدم لأهل البدع أن يستدلوا على بدعتهم من جهته - كان من الحق المتعين النظر في مناط الغلط الواقع لهؤلاء ،

(١) قوله « في الواقع له » لا معنى له ولعله زائد (٢) بياض في الاصل ويصح

المعنى بتقدير الساقط « قال » او « ذهب اليه »

حتى يتبين ان المصالح المرسله ليست من البدع في ورد ولا صدر ، بحول  
الله ، والله الموفق . فنقول :

\*\*

المعنى المناسب الذي يربط به الحكم لا يخلو من ثلاثة اقسام  
(احدها) ان يشهد الشرع بقوله ، فلا إشكال في صحته ، ولا خلاف  
في إعماله ، والا كان مناقضة للشريعة ، كشرعية القصاص حفظاً  
للفوس والاطراف وغيرها

(والثاني) ما شهد الشرع برده ، فلا سبيل الى قبوله ، اذ المناسبة  
لا تقتضي الحكم لنفسها ، وانما ذلك مذهب أهل التحسين العقلي ، بل  
اذا ظهر المعنى وفهمنا من الشرع اعتباره في اقتضاء الاحكام ، فينشد  
تقبله ، فان المراد بالمصلحة عندنا ما فهم رعايته في حق الخلق من جلب  
المصالح ودرء المفسد على وجه لا يستقل العقل بدركه على حال ، فاذا لم  
يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل برده ، كان مردوداً باتفاق المسلمين

ومثاله ما حكى الفزالي عن بعض اكابر العلماء انه دخل على بعض  
السلاطين فسأله عن الوقاع في نهار رمضان ، فقال : عليك صيام شهرين  
متتابعين . فلما خرج راجعه بعض الفقهاء وقالوا له : القادر على إعتاق  
الرقبة كيف يعدل به الى الصوم والصوم وظيفة المعسرين ، وهذا الملك  
يملك عبيدا غير محصورين ؛ فقال لهم : لو قلت له عليك إعتاق رقبة  
لا تستحق ذلك وأعتق عبدا صرارا ، فلا يزجره إعتاق الرقبة ويزجره  
صوم شهرين متتابعين

فهذا المعنى مناسب ، لان الكفارة مقصود الشرع منها الزجر ،

والملك لا يزجره الاعتاق ويزجره الصيام . وهذه الفتيا باطلة لان العلماء بين قائلين : قائل بالتخيير ، وقائل بالترتيب ، فيقدم العتق على الصيام ، فتقديم الصيام بالنسبة الى الغني لا قائل به . على انه قد جاء عن مالك شيء يشبه هذا ، لكنه على صريح الفقه

قال يحيى بن بكير : حث الرشيد في يمين فجمع العلماء فأجمعوا ان عليه عتق رقبة . فسأل مالك ، فقال : صيام ثلاثة ايام . واتبعه على ذلك اسحاق بن ابراهيم من فقهاء قرطبة .

حكى ابن بشكوال ان الحكم أمير المؤمنين ارسل في الفقهاء وشاورهم في مسألة نزلت به ، فذكر لهم عن نفسه انه عمد الى احدى كرائمه<sup>(١)</sup> ووطئها في رمضان ، فأفتوا بالإطعام ، واسحاق بن ابراهيم ساكت . فقال له أمير المؤمنين : ما يقول الشيخ في فتوى اصحابه ، فقال له : لا اقول بقولهم ، واقول بالصيام . فقيل له : أليس مذهب مالك الإطعام ؟ فقال لهم : تحفظون مذهب مالك ، إلا انكم تريدون مصانعة أمير المؤمنين . انما أمر مالك بالإطعام لمن له مال ، وأمير لا مال له ، انما هو بيت مال المسلمين . — فأخذ بقوله أمير المؤمنين وشكر له عليه اه وهذا صحيح .

نعم حكى ابن بشكوال انه اتفق لعبد الرحمن بن الحكم مثل هذا في رمضان ، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته . فقال يحيى بن يحيى : يكفر ذلك صيام شهرين متتابعين . فلما برز ذلك من يحيى سكت سائر الفقهاء حتى خرجوا من عنده ، فقالوا ليحيى : مالك لم تفته بمذهبنا عن

(١) المراد بكرامته عقائل نساءه الحرائر لا بناته كما هو المستعمل في عرف زماننا



مالك من انه مخير بين العتق والطعام والصيام ؛ فقال لهم : لو فتحتاه  
هذا الباب سهل عليه ان يطأ كل يوم ويعتق رقبة ؛ ولكن حملته على  
اصعب الامور لثلاثا يهود . فان صح هذا عن يحيى بن يحيى رحمه الله  
وكان كلامه على ظاهره كان مخالفا للاجماع .

(الثالث) ما سكتت عنه الشواهد الخاصة ، فلم تشهد باعتبارها

ولا بالغائه . فهذا على وجهين :

— احدهما — ان يرد نص على وفق ذلك المعنى ، كتعليل منع القتل

للميراث ، فالمعاملة بتقيض المقصود تقدير ان لم يرد نص على وفقه (١)

فان هذه العلة لا عهد بها في تصرفات الشرع بالفرض ولا بملائها بحيث

يوجد لها جنس معتبر ، فلا يصح التعليل بها ، ولا بناء الحكم عليها

باتفاق . ومثل هذا تشريع من القائل به فلا يمكن قبوله

— والثاني — ان يلائم تصرفات الشرع ، وهو ان يوجد ذلك المعنى

جنس اعتبره الشارع في الجملة بغير دليل معين ، وهو الاستدلال المرسل

المسمى بالمصالح المرسله ، ولا بد من بسطه بالامثلة حتى يتبين وجهه

بحول الله

ولتقتصر على عشرة أمثلة

\*  
\* \*

(احدها) ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جمع

المصحف ، وليس ثم نص على جمعه وكتبه أيضاً ، بل قد قال بعضهم :

كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فروي عن

(١) تأمل العبارة من أولها

زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ارسل اليّ ابو بكر رضي الله عنه . قتل  
 (أهل) اليمامة ، واذا عنده عمر رضي الله عنه ، قال ابو بكر : ( ان عمر اناني  
 فقال ) ان القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم اليمامة <sup>(١)</sup> واني اخشى ان  
 يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير ، واني ارى  
 ان تأمر بجمع القرآن - قال - فقلت له : كيف أفعّل شيئاً لم يفعله  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لي : هو والله خير . فلم يزل عمر  
 يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له ، ورأيت فيه الذي رأى عمر .  
 قال زيد - فقال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت  
 تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمه .  
 قال زيد - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من  
 ذلك - فقلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ؟ فقال ابو بكر : هو والله خير . فلم يزل يراجعني في ذلك ابو بكر  
 حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدورهما . فتتبعت القرآن أجمعه  
 من الرقاع والمسب واللاخاف <sup>(٢)</sup> ومن صدور الرجال . فهذا عمل لم ينقل  
 فيه خلاف عن احد من الصحابة

ثم روي عن أنس بن مالك ان حذيفة بن اليمان كان يغازي أهل  
 الشام وأهل العراق في فتح ارمينية واذريجان ، فأفرعه اختلافهم في  
 القرآن ، فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا  
 في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، فارسل عثمان الى حفصة :

(١) استحر القتل اشتد وكثر . والقراء حفظة القرآن (٢) المسب جمع عسيب  
 وهو جريد النخل . واللاخاف كالحاف : حجارة بيض رقاق واحدها خلفه كسمكة

ارسلني اليّ بالصحف تنسخها في المصاحف ثم نردها عليك . فارسلت حفصة به الي عثمان ، فارسل عثمان الي زيد بن ثابت والي عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاصي ، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، فأمرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف . ثم قال لارسط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه اتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش ، فانه نزل بلسانهم . قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف ، بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوها . ثم أمر بما سوى ذلك من القراءة في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق .

فهذا أيضاً اجماع آخر في كتبه وجمع الناس على قراءة لا يحصل منها في الغالب اختلاف . لانهم لم يختلفوا الا في القراءات — حسبما نقله العلماء المعتنون بهذا الشأن — . فلم يخالف في المسئلة الا عبد الله بن مسعود فانه امتنع من طرح ما عنده من القراءة المخالفة لمصاحف عثمان ، وقال : يا أهل العراق ، ويا أهل الكوفة : اكتبوا المصاحف التي عندهم وغلوها ، فان الله يقول ( ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ) وألقوا اليه بالمصاحف . فتأمل كلامه فانه لم يخالف في جمعه . وانما خالف اصراً آخر . ومع ذلك فقد قال ابن هشام : بلغني أنه كره ذلك من قول ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم يرد نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما صنعوا من ذلك ، ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً ، فان ذلك راجع الي حفظ الشريعة ، والامر بحفظها معلوم ، والي منع الذريعة للاختلاف في أصلها الذي هو القرآن ، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بما

لا مزيد عليه <sup>(١)</sup> .

وإذا استقام هذا الاصل فأجل عليه كتب العلم من السنن وغيرها ،  
إذا خيف عليها الاندراس ، زيادة على ما جاء في الاحاديث من الامر  
بكتب العلم .

وأنا أرجو أن يكون كتب هذا الكتاب الذي وضعت يدي فيه  
من هذا القبيل ؛ لاني رأيت باب البدع في كلام العلماء مغفلاً جداً الا من  
النقل الجلي كما نقل ابن وضاح ، أو يؤتى باطراف من الكلام لا يشفى  
الغليل بالتفقه فيه كما ينبغي ؛ ولم أجد على شدة بحثي عنه الا ما وضع فيه  
أبو بكر الطرطوشي ، وهو يسير في جنب ما يحتاج اليه فيه ، والا  
ما وضع الناس في الفرق الثنتين والسبعين ، وهو فصل من فصول الباب  
وجزاء من أجزاءه ، فأخذت نفسي بالعناء فيه ، عسى أن ينتفع به واضعه ،  
وقارئه ، وناشره ، وكاتبه ، والمنتفع به ، وجميع المسامين ، انه ولي ذلك  
ومسديه بسعة رحمة

### ( المثال الثاني )

اتفاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد شارب الحمر  
ثمانين . وانما مستندهم فيه الرجوع الى المصالح والتمسك بالاستدلال  
المرسل ، قال العلماء لم يكن فيه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا القول يحتاج الى مزيد بيان ، وهو ان الله تعالى سمي القرآن كتاباً فأفاد  
ذلك وجوب كتابته كله ، ولذلك اتخذ النبي (ص) كتاباً للوحي . وتفريق الصحف  
المكتوبة لا يعقل ان يكون مطلوباً للشارع حتى يحتاج جمعها الى دليل خاص ؛  
ولم يأمر النبي (ص) بجمعها في حياته لاحتمال المزيد في كل سورة ما دام حياً ، كما  
قال العلماء .

حد مقدر؛ وإنما جرى الزجر فيه مجرى التعزير. ولما انتهى الأمر إلى أبي بكر رضي الله عنه قرّر على طريق النظر بأربعين، ثم انتهى الأمر إلى عثمان رضي الله عنه فتتابع الناس فجمع الصحابة رضي الله عنهم فاستشارهم، فقال علي رضي الله عنه: من سكر هذى ومن هذى اقترى؟ فأرى عليه حد المفترى.

ووجه إجراء المسألة على الاستدلال المرسل أن الصحابة أو الشرع<sup>(١)</sup> يقيم الأسباب في بعض المواضع مقام المسببات، والمظنة مقام الحكمة، فقد جعل الإيلاج في أحكام كثيرة يجري مجرى الإنزال، وجعل الحافر للبئر في محل العدوان وإن لم يكن ثم مرد كالردي نفسه، وحرّم الخلوة بالأجنبية حذراً من الذريعة إلى الفساد، إلى غير من الفساد؛ فأروا الشرب ذريعة إلى الاقتراء الذي تقتضيه كثرة المذيات، فانه أول سابق إلى السكران - قالوا - فهذا من أوضح الأدلة على إسناد الأحكام إلى المعاني التي لا أصول لها (يعني على الخصوص به) وهو مقطوع من الصحابة رضي الله عنهم.

### (المثال الثالث)

إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناعات. قال علي رضي الله عنه « لا يصلح الناس إلا ذلك » ووجه المصلحة فيه أن الناس لهم حاجة إلى الصناعات، وهم يفتنون عين الامتعة في غالب الأحوال؛ والأغلب عليهم التفريط وترك الحفظ، فلو لم يثبت تضمينهم مع ميسر الحاجة

(١) في نسخة ثانية « الشريعة تقيم » كما استفاد من هامش الأصل

الى استعمالهم لافضى ذلك الى أحد امرين : إما ترك الاستصناع بالكلية ،  
وذلك شاق على الخلق ؛ وإما أن يعملوا ولا يضمنوا ذلك بدعواهم الهلاك  
والضياع ، فتضيع الاموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الحياة ، فكانت  
المصلحة التضمين . هذا معنى قوله « لا يصلح الناس الا ذلك »

ولا يقال: ان هذا نوع من الفساد وهو تضمين البريء. اذ لعله  
ما أفسد ولا فرط ، فالتضمين مع ذلك كان نوعاً من الفساد . لانا نقول:  
اذا تقابلت المصلحة والمضرة فشان العقلاء النظر الى التفاوت ، ووقوع  
التلف من الصناعات من غير تسبب ولا تفريط بهيد . والغالب الفوت  
فوت الاموال ، وانها لا تستند الى التلف السماوي ، بل ترجع الى صنع  
المباد على المباشرة أو التفريط . وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار »  
تشهد له الاصول من حيث الجملة ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن  
أن يبيع حاضر لباد . وقال « دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض »  
وقال « لا تلقوا الركبان بالبيع حتى يهبط بالسلع الى الاسواق » وهو  
من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، فتضمين الصناعات  
من ذلك القبيل

#### ( المثال الرابع )

ان العلماء اختلفوا في الضرب بالتهمة . وذهب مالك الى جواز  
السجن في التهمة ، وان كان السجن نوعاً من العذاب . ونص أصحابه  
على جواز الضرب ، وهو عند الشيوخ من قبيل تضمين الصناعات ، فانه  
لو لم يكن الضرب والسجن بالتهمة ، لتعذر استخلاص الاموال من أيدي  
السراق والغصاب ، اذ قد يتعذر اقامة البيعة ، فكانت المصلحة في

التعذيب، وسيلة الى التحصيل بالتعيين والاقرار .

فان قيل : هذا فتح باب تعذيب البريء <sup>(١)</sup> قيل : ففي الاعراض عنه ابطال استرجاع الاموال ؛ بل الاضرار عن التعذيب أشد ضرراً ، اذ لا يعذب أحد لمجرد الدعوى ، بل مع اقتران قرينة تحيك في النفس ، وتؤثر في القلب نوعاً من الظن . فالتعذيب في الغالب لا يصادف البريء ، وان أمكن مصادفته ، فتغتفر ، كما اغتفر في تضمين الصناعات <sup>(٢)</sup> فان قيل : لا فائدة في الضرب ؛ وهو لو أقر لم يقبل اقراره في تلك الحال .

فالجواب : إن له فائدتين - احدها - أن يمين المتاع فتشهد عليه البينة لربه ، وهي فائدة ظاهرة . - والثانية - أن غيره قد يزدجر حتى لا يكثر الاقدام ، فنقل أنواع هذا الفساد .

وقد عد له سحنون فائدة ثالثة وهو الاقرار حالة التعذيب ، فإنه يؤخذ عنده بما أقر في تلك الحال . قالوا وهو ضعيف ، فقد قال الله تعالى ( لا إكراه في الدين ) ولكن نزله سحنون على من أكره بطريق غير مشروع ، كما اذا أكره على طلاق زوجته ، أما انما أكره بطريق صحيح فإنه يؤخذ به ، كالكافر يسلم تحت ظلال السيوف فإنه يأخوذ به . وقد تتفق له بهذه الفائدة على مذهب غير سحنون اذا أقر حالة التعذيب ثم تمادى على الاقرار بعد أمنه فيؤخذ به . قال الغزالي - بعد ما حكى عن

(١) لعل الاصل « لتعذيب البريء » (٢) ينظر ابن يرحم الضمير الذي اسند اليه هذا الفعل ؛ فان كان المصادفة ، فالظاهر ان يؤنث بالتاء فيقال « اغتفرت » كما قال « فتغتفر » وان أرجع الى التعذيب رد بان تضمين الصناعات ليس تعديباً . ولعل الاصل تأنيث الفعل ، او حذف « في » وجعل « تضمين » هو الفاعل .

الشافعي أنه لا يقول بذلك : وعلى الجملة فالمسئلة في محل الاجتهاد . - قال -  
ولسنا نحكم بمذهب مالك على القطع ، فاذا وقع النظر في تعارض المصالح ،  
كان ذلك قريباً من النظر في تعارض الاقيسة المؤثرة .

(المثال الخامس)

انا اذا قررنا اماما مطاعاً مفتقراً الى تكثير الجنود لسد الثغور  
وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند  
الى ما لا يكفيهم ، فلابد امام اذا كان عدلاً أن يوظف على الاغنياء ما يراه  
كافياً لهم في الحال ، الى أن يظهر مال بيت المال ، ثم اليه النظر في  
توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك ، كيلا يؤدي تخصيص  
الناس به الى ايماش القلوب . وذلك يقع قليلا من كثير بحيث لا يحجب  
بأحد ويحصل المقصود

وانما ينقل مثل هذا عن الاولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم  
بخلاف زماننا ، فان الفضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فانه  
لوم يفعل الامام ذلك النظام بطلت شوكة الامام ، وصارت ديارنا عرضة  
لاستيلاء الكفار

وانما نظام ذلك كله شوكة الامام بعمده . فالذين يحذرون من  
الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة ، يستحقرون بالاضافة اليها أموالهم كلها ،  
فضلا عن اليسير منها ، فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق  
لهم بأخذ البعض من أموالهم ، فلا يمارى في ترجيح الثاني عن الاول .  
وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد  
والملاءمة الاخرى - ان الاب في طفله ، أو الوصي في يتيمة ،



أو الكافل فيمن يكفله، مأمور<sup>(١)</sup> برعاية الاصلح له، وهو يصرف ماله الى وجوه من النفقات أو المؤن المحتاج اليها. وكل ما يراه سبباً لزيادة ماله أو حراسته من التلف جاز له بذل المال في تحصيله. ومصلحة الاسلام عامة لا تقتصر عن مصلحة طفل، ولا نظر امام المسلمين يتقاعد عن نظر واحد من الآحاد في حق مجوره

ولو وطى الكفار أرض الاسلام لوجب القيام بالنصرة، واذا دعاهم الامام وجبت الاجابة، وفيه اتعاب النفوس وتعريضها الى الهلكة، زيادة الى انفاق المال. وليس ذلك الا لحماية الدين، ومصلحة المسلمين

فاذا قدرنا هجومهم<sup>(٢)</sup> واستشعر الامام في الشوكة ضعفاً وجب على الكافة امدادهم. كيف والجهاد في كل سنة واجب على الخلق؛ وانما يسقط باشتغال المرتزقة، فلا يبارى في بذل المال لمثل ذلك

واذا قدرنا انعدام الكفار الذين يخاف من جهمهم، فلا يؤمن من افتتاح باب الفتن بين المسلمين. فالمسئلة على حالها كما كانت، وتوقع الفساد عتيد؛ فلا بد من الحراس

فهذه ملاءمة صحيحة، الا أنها في محل ضرورة، فتقدر بقدرها، فلا يصح هذا الحكم الا مع وجودها. والاستقراض في الازمات انما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر أو يرتجى، وأما اذا لم ينتظر شيء وضعفت وجوه<sup>(٣)</sup> الدخل بحيث لا يعني كبير شيء، فلا بد من

(١) قوله « مأمور » خبر « ان الاب » باعتبار ما عطف عليه (٢) قوله « هجومهم »

يعني المسلمين الذين وطى الكفار أرضهم محاربين لهم (٣) في الاصل « وجوده »

## جريان حكم التوظيف

وهذه المسألة نص عليها الغزالي في مواضع من كتبه ، وتلاه في تصحيحها ابن العربي في أحكام القرآن له ، وشرط جواز ذلك كله عندهم عدالة الامام ، وايقاع التصرف في أخذ المال واعطائه على الوجه المشروع

(المثال السادس)

إن الامام لو أراد أن يعاقب بأخذ المال على بعض الجنايات<sup>(١)</sup> فاختلف العلماء في ذلك - حسبما ذكره الغزالي - على أن الطحاوي حكى أن ذلك كان في أول الاسلام ثم نسخ فأجمع العلماء على منعه .

فأما الغزالي فزعم أن ذلك من قبيل الغريب الذي لا عهد به في الاسلام ، ولا يلائم تصرفات الشرع ؛ مع أن هذه العقوبة الخاصة لم تتعين ؛ لشرعية العقوبات البدنية بالسجن والضرب وغيرها - قال - فان قيل : فقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاطر خالد بن الوليد في ماله ، حتى أخذ رسوله برد نعله وشطر عمامته . قلنا : المظنون من عمر أنه لم يتدع العقاب بأخذ المال على خلاف المألوف من الشرع ، وانما ذلك لعلم عمر باختلاط ماله بالمال المستفاد من الولاية واحاطته بتوسمته ، فلمله ضمن المال فرأى شطر ماله من فوائد الولاية ، فيكون استرجاعاً للحق لا عقوبة في المال ، لان هذا من الغريب الذي لا يلائم قواعد الشرع . هذا ما قال . ولما فعل عمر وجه آخر غير هذا ، ولكنه لا دليل فيه على العقوبة بالمال كما قال الغزالي

وأما مذهب مالك فان العقوبة في المال عنده ضربان (أحدهما) كما

(١) ينظر ابن جواب لو ؟ وما موقع الفاء من قوله « فاختلف العلماء » ؟

صوره الغزالي ، فلا صرية في أنه غير صحيح ، على أن ابن المطار في رقايقه صنى الى اجازة ذلك ، فقال في اجازة أعوان القاضي اذا لم يكن بيت مال : انها على الطالب ، فان أدى المطلوب كانت الاجازة عليه . ومال اليه ابن رشد . ورده عليه ابن النجار القرطبي ، وقال : ان ذلك من باب العقوبة في المال ، وذلك لا يجوز على حال

(والثاني) أن تكون جنابة الجاني في نفس ذلك المال أو في عوضه ، فالعقوبة فيه عنده ثابتة . فإنه قال في الزعفران المغشوش اذا وجد بيد الذي غشه : انه يتصدق به على المساكين قل أو كثر . وذهب ابن القاسم ومطرف وابن الماجشون الى أنه يتصدق بما قل منه دون ما كثر . وذلك محكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانه أراق اللبن المغشوش بالماء ، ووجه ذلك التأديب للغاش . وهذا التأديب لانص يشهد له ، لكن من باب الحكم على الخاصة لاجل العامة . وقد تقدم نظيره في مسألة تضمين الصناع

على أن أبا الحسن اللخمي قد وضع له أصلاً شرعياً ، وذلك انه عليه السلام أمر باكفاء القدور التي أغليت بلحوم الحمر قبل أن تقسم . وحديث العتق بالمشة أيضاً من ذلك .

ومن مسائل مالك في المسألة : اذا اشترى مسلم من نصراني خمرأ فانه يكسر على المسلم ، ويتصدق بالثمن أدباً للنصراني ان كان النصراني لم يقبضه . وعلى هذا المعنى فرع أصحابه في مذهبه ، وهو كله من العقوبة في المال ، الا أن وجهه ما تقدم

(المثال السابع)

انه لو طبق الحرام الارض ، أو ناحيةً من الارض يسر الانتقال منها ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ، ومست الحاجة الى الزيادة على سد الرمق ، فان ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة ، ويرتقي الى قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن ، اذ لو اقتصر على سد الرمق لتمطلت المكاسب والاشغال ، ولم يزل الناس في مقاساة ذلك الى أن يهلكوا ، وفي ذلك خراب الدين . لكنه لا ينتهي الى الترفه والتنعم ، كما لا يقتصر على مقدار الضرورة .

وهذا ملائم لتصرفات الشرع وان لم ينص على عينه ، فانه قد أجاز اكل الميتة للمضطر ، والدم ولحم الخنزير ، وغير ذلك من الخبائث المحرمات وحكى ابن العربي الاتفاق على جواز الشبع عند توالي الخمصة ، وانما اختلفوا اذا لم تتوال : هل يجوز له الشبع أم لا ؛ وأيضاً فقد أجازوا أخذ مال الغير عند الضرورة أيضاً . فإنحن فيه لا يقتصر عن ذلك وقد بسط الغزالي هذه المسألة في الاحياء بسطاً شافياً جداً ،<sup>(١)</sup> وذكرها في كتبه الاصولية كالمنحول وشفاء العليل

(المثال الثامن)

انه يجوز قتل الجماعة بالواحد . والمستند فيه المصلحة المرسله ، اذ لانص على عين المسألة ، ولكنه منقول عن عمر بن الخطاب رضي الله

(١) للغزالي كلمة في عدم تعدي الحرام اذا كثروا وهي « اذا حرم كله حل كله » أي لا يباح المرء في هذه الحال عن أصل المال ، بل يحرم ان يأخذه من وجهه حلال .

عنه . وهو مذهب مالك والشافعي . ووجه المصاحبة أن القتل معصوم ، وقد قتل عمدا ، فأهداره داع الى خرم أصل القصاص ، واتخاذ الاستعانة والاشترك ذريعة الى السعي بالقتل اذا علم أنه لا قصاص فيه ، وليس أصله قتل المنفرد فانه قاتل تحقيقاً ، والمشارك ليس بقاتل تحقيقاً

فان قيل : هذا أمر بدعي في الشرع <sup>(١)</sup> وهو قتل غير القاتل . قلنا : ليس كذلك ، بل لم يقتل الا القاتل ، وهم الجماعة من حيث الاجتماع عند مالك والشافعي ، فهو مضاف اليهم تحقيقاً اضافته الى الشخص الواحد ، وانما التعمين في تنزيل الاشخاص منزلة الشخص الواحد ، وقد دعت اليه المصاحبة فلم يكن مبتدعاً مع ما فيه من حفظ مقاصد الشرع في حقن الدماء ، وعليه يجري عند مالك قطع الايدي باليد الواحدة ، وقطع الايدي في النصاب الواجب <sup>(٢)</sup>

### المثال التاسع

ان العلماء نقلوا الاتفاق على ان الامامة الكبرى لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ، كما انهم اتفقوا أيضاً - أو كادوا أن يتفقوا - على ان القضاء بين الناس لا يحصل الا لمن رقي في رتبة الاجتهاد . وهذا صحيح على الجملة ، ولكن اذا فرض خلو الزمان عن مجتهد يظهر بين الناس ، وافتقروا الى امام يقدمونه لجريان الاحكام وتسكين ثورة الثائرين ، والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم ، فلا بد

(١) البدع المخرع على غير مثال سابق . والمعنى انس له أصل من الشرع ، لا خاص فيكون قياساً عليه ، ولا عام فيكون من المصالح المرسلة (٢) أي اذا قطع جماعة يد أحد أو سرقوا نصاباً بالتعاون والاشترك تقطع أيديهم كلهم

من اقامة الامثل ممن ليس بمجتهد ، لانا بين أمرين : إما ان يترك الناس فوضى ، وهو عين الفساد والمهرج . وإما ان يقدموه فيزول الفساد بته ، ولا يبقى الا قوت الاجتهاد ، والتقليد كاف بحسبه  
 واذا ثبت هذا فهو نظر مصاحي يشهد له وضع أصل الامامة ؛ وهو مقطوع به بحيث لا يفتقر في صحته وولاءه ، ته الى شاهد ؛ هذا -  
 وان كان ظاهره مخالفا لما نقلوا من الاجماع في الحقيقة - إنما انمقد على فرض ان يخلو الزمان من مجتهد ، فصار مثل هذه المسئلة مما لم ينص عليه ، فصح الاعتماد فيه على المصلحة

#### المثال العاشر

ان الغزالي قال في بيعة المفضل مع وجود الافضل : ان ردنا في مبدأ التولية بين مجتهد في علوم الشرائع وبين متقاصر عنها ؛ فيتعين تديم المجتهد ، لان اتباع الناظر علم نفسه ، له مزية على اتباع علم غيره ، فالتقليد والمزايا لا سبيل الى اهمالها مع القدرة على مراعاتها  
 أما اذا انمقدت الامامة بالبيعة أو تولية العهد لمنفك عن رتبة الاجتهاد ، وقامت له الشوكة ، واذعنت له الرقاب ، بأن خلا الزمان عن قرشي مجتهد مستجمع جميع لشرائط ، وجب الاستمرار<sup>(١)</sup>

وإن قدر حضور قرشي مجتهد مستجمع للفروع والكفاية ، وجميع شرائط الامامة . واحتاج المسامون في خلع الاول الى تعرضه لا إثارة فتن واضطراب أمور ، لم يجز لهم<sup>(٢)</sup> خله والاستبدال به ، بل يجب

(١) قوله « وجب » الخ جواب قوله « أما اذا انمقدت » (٢) قوله « لم يجز

لهم » الخ جواب وجزاء قوله « وان قدر » الخ

عليهم الطاعة له ، والحكم بنفوذ ولايته وصحة إمامته ؛ لانا نعلم ان العلم مزية روعيت في الامامة تحصيلها لمزيد المصلحة في الاستقلال بالنظر والاستغناء عن التقليد ، وان الثمرة المطلوبة من الامام تطفئة الفتن النائرة ، من تفرق الآراء المتنافرة : فكيف يستجيز العاقل تحريك الفتنة ، وتشويش النظام ، وتفويت اصل المصلحة في الحال ؛ تشوقا الى مزيد<sup>(١)</sup> دقيقة في الفرق بين النظر والتقليد - قال - وعند هذا ينبغي ان يقيس الانسان ما ينال الخاق من الضرر بسبب عدول الامام عن النظر الى التقليد ، بما ينالهم لو تعرضوا لظلمه والاستبدال به ، او حكموا بأن امامته غير منعقدة .

هذا ما قال<sup>(٢)</sup> ؛ وهو متجه بحسب النظر المصاحي ، وهو ملامم لتصرفات الشرع - وان لم يعضده نص على التعيين وما قرره هو أصل مذهب مالك . قيل ليحي بن يحيى : البيعة مكروهة ؛ قال : لا ، قيل له : فان كانوا أئمة جور ؛ فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ؛ أخبرني بذلك مالك عنه أنه كتب اليه وأمره بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه قال يحيى : والبيعة خير من الفرقة - قال - واقدم آتى مالكا العمري

(١) كذا وامله « مزية » (٢) أي الغزالي . وقد فاته وفات أمثاله أن ينبهوا المسلمين على أن هذه الاقوال والفتاوى المبنية على الضرورة تتقدر بقدرها كسائر الضرورات ، وأن يسعى المسلمون لازالتها بوسائل تنقضي فيها الفتنة أو يرتكب فيها أخف الضررين ، وقد يكون أخفهما خلع الامام الجائر الجاهل ، وكم من سلطان خلع ، ومن دولة دالت ، ولم يكن ضرر ذلك أرجح من الصبر عليه ، على أن ذلك لم يكن الا متنازعا على الملك ، فكيف لو كان لاجل وضع الحق في نصابه

فقال له : يا أبا عبد الله بايعني أهل الحرمين ، وانت ترى سيرة أبي جعفر ، فما ترى ؟ فقال له مالك : أتدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز ان يولي رجلا صالحا ؟ فقال العمري : لا أدري . قال مالك : لكني انا أدري ، انما كانت البيعة ليزيد بعده ، تخاف عمر ان ولي رجلا صالحا ان لا يكون ليزيد بدء من القيام ، فتقوم هجمة فيفسد ما لا يصلح . فصدر رأي هذا العمري على رأي مالك .

فظاهر هذه الرواية انه اذا خيف عند خلع غير المستحق واقامة المستحق ان تقع فتنة وما لا يصلح ، فالمصاححة في الترك وروى البخاري عن نافع قال : لما خلع اهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : ابي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لكل غادر لواء يوم اليامة » وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله ، واني لا اعلم احدا منكم خلمه ولا تابع في هذا الامر الا كانت الفيصل بيني وبينه

قال ابن العربي : وقد قال ابن الخياط : ان بيعة عبد الله ليزيد كانت كرها ، وابن يزيد من ابن عمر ؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لأمر الله والفرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الاموال والانفس ما لا يخفى . فخلع يزيد - لو تحقق ان الامر يعود في نصابه . (١) فكيف ولا يعلم ذلك ، وهذا أصل عظيم فتفهموه والزموه ترشدوا ان شاء الله .

(١) سقط من هنا خبر المبتدأ الذي هو قوله « فخلع يزيد » واهل الساقط قوله « تعرض للفتنة » كما يفهم من سابق الكلام - أي ان خلع يزيد تعرض للفتنة لا يجوز مع العلم بأن الخلافة تعود الى مستحقها ، فكيف وذلك غير معلوم ، لجواز ان ينكل عن خاموه ويبقى الامر بيده أو تعود الى مثله أو شر منه .



## مدرسة دار الدعوة والارشاد

### دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية اسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض من هذه المحاضرات إيقافكم على أصول بعض أنواع العلوم الطبيعية والطبية خصوصا ما كان منها له مساس بعلم قارئ الصحة (فانه هو المقصد الأصلي الذي نرعى اليه في جميع هذه المحاضرات، لأن هذا العلم هو كشمرة شبيهة مما تنتجها شجرة العلوم العصرية، طبيعية كانت أو طبية، والغرض منه معرفة الاصول والتواعد الصحية التي بها يُحفظ الجسم من الضعف والانحلال بقدر الامكان، وكذا من الامراض المعدية وغير المعدية

وستسمون مني في سياق هذه المحاضرات تعريب كثير من الألفاظ العلمية،

وتطبيق حقائق هذه العلوم على نصوص الديانة الاسلامية الغراء

وهاكم أسماء العلوم التي نريد أن نتكلم عليها بعون الله تعالى :

١ الكيمياء ٢ الطبيعة ٣ التشريح ٤ الفسيولوجيا (١) ٥ المستولوجيا (٢)

٦ البكتريولوجيا (٣) الامراض المعدية، وغير ذلك

( نبذة في علم الكيمياء ) Chemistry

الكيمياء القديمة كان الغرض منها معرفة حجر الفلاسفة وهو الجوهر الذي اذا وضع على أي معدن يصيره ذهباً على زعمهم . ومعرفة اكسير الحياة، وهو الذي كانوا يظنون أنه يعيد التبيخ شاباً أو أنه يشفي جميع الامراض . وأما الآن فالغرض من الكيمياء معرفة أصول المركبات وكيفية تركيبها وتحليلها . وهذه الاصول تسمى بالعناصر والعناصر كثيرة، ولكننا الآن لا تتجاوز الثمانين؛ ومن أهمها الحديد (١) وظائف الاعضاء (٢) التشريح الدقيق (٣) علم الميكروبات أو الجراثيم

والنحاس والاكسجين والكربون

وأما المركبات فمنها الخشب والسكر والماء وغير ذلك . والراجع عند العلماء الآن ان جميع العناصر هي أيضا مركبات وكلها ترجع الى أصل واحد، وهو الأثير الذي هو أبسط جميع الموجودات . وبنه ركبته ؛ وأصغر أجزاء هذه العناصر تسمى بالجواهر الفردة، وهي التي لا يمكن تقسيمها الى أقل منها ولو في الدهن والعناصر جميعا تنقسم الى قسمين معادن وغير معادن، فالمعادن هي مثل النحاس والحديد ، وغيرها مما مثل الفحم والكبريت ( المسمى بالعمود )

والمعادن تختلف عن غير المعادن في أربعة أشياء (١) ان المعادن لها لمة خاصة بها، وغيرها ليس كذلك (٢) ان المعادن توصل الحرارة والكهرباء (٣) أن المعادن تقبل الانطراق والتمدد وغير المعادن لا يقبل ذلك (٤) ان أكسيد المعادن يسمى القاعدة؛ وأكسيد غير المعادن يتركب منه الحمض . والأ أكسيد هو ما ينشأ من اتحاد الأ كسجين مع أي عنصر من العناصر ، مثال ذلك صدأ الحديد فإنه يسمى أكسيد الحديد اتركبه من الأ كسجين مع الحديد ، والقاعدة سميت بذلك لأنها كالأساس تبنى عليه الاملاح ، والحمض غير العضوي ينشأ من إذابة أكسيد غير المعادن في الماء ، واتحاد القواعد مع الحوامض يولد الاملاح

ثم ان أكسيد المعادن الذي يذوب في الماء يسمى (قلوي) ولفظ قلوي نسبة الى قلى وهي كلمة فارسية معربة تطلق على نبات ينبت بشواطئ البحر يسمى الأشنان، اذا أحرقت تخلف منه رماد يشتمل على كثير من ملح يسمى (كربونات الصوديوم) ومنه يعمل الصابون . وكربونات الصوديوم تسمى بالعربية نظرونا، ولفظ النظرون أخذ منه اسم العنصر المسمى (صوديوم) فسماه نظريوم، ومن كلمة قلى أخذ لفظ قليوم وهو اسم لعنصر (البوتاسيوم)

وأشهر القلويات أ أكسيد الصوديوم أو النظريوم وأ أكسيد البوتاسيوم أو القليوم . واذا أذيب القلوي في الماء تكون منه ما يسمى (هيدرات) أو إيدرات؛ ومعنى كل منهما (ماء) فاذا قيل هيدرات الصوديوم فعناه ماء الصوديوم أو بالحري ماء أكسيد الصوديوم .

﴿ أشهر العناصر ﴾

وأشهر العناصر ما يأتي ١ الأكسجين ٢ الهيدروجين ٣ النيتروجين ٤ الكلورين  
٥ الصوديوم ٦ البوتاسيوم ٧ الكالسيوم (وهو ما يتركب منه الجير) ٨ الفسفور  
٩ الكبريت ١٠ الحديد ١١ الكربون (الفحم) فالأربعة الأولى كلها غازات  
طيارة كاللواء ، وهي لا لون لها؛ ما عدا الكلورين فإنه أخضر اللون : وهو معنى  
اسمه باليونانية : وأما الصوديوم والبوتاسيوم ووالخ فهي اجسام صلبة .

﴿ العناصر المركبة في الجسم ﴾

ويتركب من هذه العناصر اجسام اخرى مركبة تدخل في جسم الانسان  
وهي تنحصر في خمسة انواع - ١ الماء ٢ المواد الزلالية ٣ المواد الدهنية ٤ المواد  
السكرية والنشوية ونحوها ٥ أملاح عديدة أهمها كلوريد الصوديوم (ملح الطعام)  
و كربونات الكالسيوم (معدن الجير) وسلفات الصوديوم (كبريتات)

\*

فأما الماء فهو مركب من الأكسجين والهيدروجين ويدخل في جميع أجزاء  
الجسم ومنه يتكون أكبر جزء فيه، وهو من أهم ما يلزم لحياة الجسم، بحيث ان الانسان  
واي حيوان آخر اذا امتنع عنه بضعة ايام يموت قطعاً

\*

وأما المواد الزلالية فهي كزلال البيض (بياضه) وهي مركبة من الأكسجين  
والهيدروجين والنيتروجين والكربون (الفحم) والكبريت . وبعضها يدخل  
فيه الحديد كالمادة المسماة (هيموجلوبين وهي الداخلة في كرات الدم الحمراء) ويتركب  
من المواد الزلالية العظام واللحم والمخ والنخاع وجميع الاحشاء

\*

وأما المواد الدهنية فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والأكسجين،  
وتوجد في الغالب تحت الجلد وحول الاحشاء في البطن وغيره  
ثم ان هذه العناصر الثلاثة الأخيرة يتركب منها الغلرين وحمض عضوية .  
فلا حمض العضوية هي التي لا تتكون بنفسها الا في اعضاء النباتات والحيوانات .

وباجتماع الغلسترين مع الاحماض العضوية ينشأ الدهن والزيوت الثابتة ( مثل زيت السمك وزيت الزيتون ) أما الزيوت غير الثابتة فهي مثل زيوت الروائح العطرية، وتركيبها يختلف عن ذلك كثيرا

\*

واما المواد النشوية والسكرية ونحوها فتسمى في علم الكيمياء (بالكربوهيدرات) لانها مركبة من الكربون والهيدروجين والاكسجين، والفرق بينها وبين المواد الدهنية هو في عدد الذرات وفي وضع بعضها بالنسبة الى البعض الآخر. والمواد السكرية والنشوية توجد بكثرة في الدم والكبد، فيوجد في الدم سكر العسل وفي الكبد نوع من النشا يسمى النشا الحيواني ( الجليكوجين )

واعلم ان الياء والكاف [ يك ] إذا أضيفتا الى آخر اسم الحامض دلتا على ان فيه ا كسجين كثيرا، والواو والزاي [ وز ] يدلان على ا كسجين قليل، ولنفظ [ فوق ] يدل على ان الاكسجين أكثر مما في الحمض المنتهى بالياء والكاف ولنفظ [ تحت ] يدل على أنه أقل الحوامض التي من نوعه في الاكسجين. مثال ذلك

١	فوق حامض الكلوريك فيه	٤	ذرات من الاكسجين
٢	وحامض الكلوريك فيه	٣	»
٣	وحامض الكلوروز فيه	٢	»
٤	وتحت حامض الكلوروز فيه	١	»

والمالح الذي ينشأ من الاول يسمى « فوق كلورات » والذي ينشأ من الثاني « كلورات » والذي ينشأ من الثالث « كلوريت » والذي ينشأ من الرابع « تحت كلوريت »

وكل ياء ودال [ يد ] يدلان على ان الجسم مركب من عنصرين فقط مثل كلوريد الصوديوم فانه مركب من عنصرين فقط هما الكلورين والصوديوم ولاجل تمييز الحوامض عن القلويات يستعمل ورق عباد الشمس Litmus فالحمض يصيره أحمر والقلوي يصيره أزرق والمالح لا يغير لونه ويسمى (متعادلا)

### ﴿الاتحاد والمزج﴾

بقيت مسألة واحدة تتعلق بموضوع الكيمياء وهي الفرق بين الاتحاد وبين  
الخلط أو المزج

فالاتحاد معناه الارتباط والانضمام، والخلط والمزج معناهما ظاهر. وهناك في  
علم الكيمياء ثلاثة فروق كبيرة بين الاتحاد وبين الخلط أو المزج

(١) ففي حالة الاتحاد ينشأ مركب يخالف في صفاته وخواصه وطبائعه صفات  
أجزائه التي يتركب منها. وفي حالة الخلط أو المزج ليس الأمر كذلك. مثال ذلك  
الخشب فإن له صفات تباين صفات عناصره كل المغايرة، وإذا خلطنا السكر مع  
الفحيم بقي كل منهما حافظا لصفاته وخواصه، وهناك مثال آخر وهو الماء والهواء، فالماء  
مركب متحد، والهواء مركب ممزوج

(٢) ان الاتحاد الكيماوي يكون دائما بنسب ثابتة لا تتبدل ولا تتغير،  
والنسب في الخلط ليست ملزمة

(٣) ان الاتحاد الكيماوي قد يولد حرارة وكهرباء، والخلط لا يولد شيئا منهما

### ( النبذة الثانية في علم الطبيعة ) Physics

علم الطبيعة هو علم ظواهر المادة يبحث فيه عن طباعها وخواصها وقواها فهو  
علم الظاهر والكيمياء علم الباطن

أما قوى المادة فمنها حركات جواهرها (ذراتها) المختلفة، وتنشأ منها أعراض  
كثيرة أهمها ما نسميه بالكهرباء والحرارة والنور والمغناطيس. فان الأشياء الأربعة  
ليست الا حركات مختلفة لذرات المادة

ثم ان المادة لها ثلاثة أحوال (١) اليوسة (٢) السيولة (٣) البخارية أو الغازية،  
ويسمى الجسم في الحالة الأخيرة الساطع أو الريح أو البخار وبالفرنسية الغاز

واختلاف هذه الأحوال الثلاثة إنما نشأ من اختلاف مقدار الحرارة الموجودة  
في كل منها، فذرات الغاز أشدها اضطرابا وأكثرها حركة وحرارة، وذرات الجامد  
(اليابس) أقلها حركة وحرارة، وذرات السائل متوسطة بين الحالتين في الحرارة

والحركة. فلا يمكننا تحويل الجسم من حالة السيولة الى حالة السيوالة الا بالارارة ولا يمكننا تحويله من حالة السيولة الى الحالة الغازية الا بالحرارة أيضاً. وكذلك الحالة في اذابة جميع الاجسام الجامدة في السوائل فانها تمتص الحرارة من الاجسام المجاورة لها فاذا اذبتنا مثلاً الملح الأنكليزي في الماء أحسننا برودة في الأثناء بسبب امتصاص حرارته لأجل الأذابة

والحرارة نوعان حرارة كاملة وهي منصرفة في تفريق ذرات المادة ولا يمكن الاحساس بها، وحرارة ظاهرة وهي التي يشعر بها الانسان  
سنن التجاذب وأنواع الجذب

بين ذرات المادة تجاذب يظهر في أجرامها العظيمة كالنوكا وفي أجرامها الصغيرة كالخصى، ويشاهد هذا الجذب بين القمر والارض مثلاً في ماء البحار فيحصل فيه ما يسمى بالمد

ويسمى هذا التجاذب باسماء مختلفة باختلاف الاحوال: فالتجاذب بين ذرات الجسم الواحد كالخصى يسمى قوة الانضمام وبالانكليزية Cohesion والتجاذب بين جسمين مختلفين كالجدار وطلاته يسمى قوة الالتصاق وبالانكليزية Adhesion وبين الارض وما عليها يسمى قوة الجذب attraction وكل ثقل لاي جسم انما هو ناشئ، من هذا الجذب الارضي. واختلاف الاثقال هو ناشئ عن عدد اختلاف الذرات، فالجسم الثقيل هو ما كانت ذراته كثيرة والجسم الخفيف هو ما كانت ذراته قليلة. وكل ما نعرفه ونشاهده على الارض من الاجسام حتى الهواء له ثقل تسبب عن جذب الارض له

وثقل الهواء على الاجسام يسمى الضغط الجوي وقياسه يستعمل البارومتر أما البارومتر فهي كلمة يونانية معناها (مقياس الثقل) أي ثقل الهواء وأبسط طريقة لصناعته أن تملأ أنبوبة زجاجية بالزئبق عادة طولها ٩٠ سنتي متراً وقطرها سنتي واحد ثم تسد بالأصبع وتفطس فتحتها في إناء مملوء بالزئبق ثم يرفع الاصبع فترى أن الزئبق ينزل في الانبوبة ويترك مسافة فارغة في أعلاها ويكون ارتفاع الزئبق في الانبوبة عن سطح الزئبق الذي في الإناء نحو ٧٦ سنتي متراً والذي رفعه الى

هذه المسافة هو ضغط الهواء على سطح الزئبق الذي في الاناء . ويمكن أيضا عمل البارومتر بأنبوبة على شكل حرف «ل» مسدودة من طرفها الأعلى ومفتوحة من الأسفل فيبقى الزئبق مرتفوعا كما في الطريقة الاولى

ومن فوائد البارومتر معرفة ارتفاع الجبال وغيرها كالمناطيد لان الزئبق ينزل في الانبوبة كلما ارتفعنا خلفه الهواء في الاماكن العالية ، وكذلك نعرف منه قرب حصول المطر فان الهواء المشبع بالرطوبة أخف من الهواء الجاف فينخفض الزئبق اذا اقترب المطر

### تعدد الاجسام ومقياس الحرارة

وجميع الاجسام تعدد بالحرارة في جميع جهاتها أي يكبر حجمها بسبب تفرق أجزائها فتتسع المسام التي بينها وتتكسح أيضا بالبرودة أي يصغر حجمها وهمل المسافات (المسام) التي بين ذراتها

وعلى هذه القاعدة بني مقياس الحرارة Thermometer وهو عبارة عن أنبوبة من الزجاج فارغة من الهواء يوضع في أسفلها الزئبق ثم يبرد بالتلج حين ذوبانه حتى يصل الى أصغر حجمه ثم توضع في بخار الماء الذي يغلي حتى يصل الزئبق في الانبوبة الى أكبر حجمه . وتسمى النقطة الاولى التي وصل اليها الزئبق بالتبريد (نقطة الصفر) - وهي درجة الجليد . أي التي يجمد بها الماء فيكون جليدا والنقطة الثانية التي وصل اليها بالتسخين (نقطة المئة) - وهي درجة الغليان أي للماء - ثم تقسم المسافة التي بين هاتين النقطتين الى مائة قسم يسمى كل قسم منها درجة ويرمز للدرجة بدائرة صغيرة كرقم ٥ فاذا وضعت بجانب عدد كان المراد انه عدد الدرجات كما ترى قريبا وقد يوضع في هذه الانبوبة مواد أخرى غير الزئبق كالكحول (روح الخمر أو السبرتو)

وفي بعض البلاد يقسمون المسافة التي بين النقطتين المذكورتين الى ٨٠ قسما أو درجة وفي هذا المقياس تكون الدرجة أكبر من درجة المقياس الاول وقد يقسمون هذه المسافة أيضا الى ١٨٠ قسما فتكون الدرجة أصغر . ويضعون في هذا المقياس الاخير بدل الصفر رقم ٣٢ وبدل ١٠٠ رقم ٢١٢

ويسمى القياس الاول بالمقياس المئوي Centigrade ( سنتجراد )  
 ويسمى المقياس الثاني مقياس ( رومر ) والمقياس الثالث يسمى مقياس  
 ( فهرنهيت ) وأكثر هذه المقاييس استعمالا في مصر وفرنسا هو الاول ويليه الثالث  
 كما في بلاد الانكليز وأما الثاني فهو قليل الاستعمال . أما حرارة الجسم الانساني  
 الطبيعية فهي بالمقياس الاول من  $36^{\circ}$  صباحاً الى  $37^{\circ}$  مساءً وبالمقياس الثالث  
 من  $98^{\circ}$  الى  $99^{\circ}$  تقريباً

وكل درجة من هذه الدرجات تقسم الى عشرة أقسام فالخمس منها هي نصف  
 الدرجة وهكذا . وطريقة معرفة حرارة الإنسان أن يوضع المقياس في أي جزء  
 من الجسم بحيث يكون محاطاً باللحم من جميع الجهات مدة ثلاث دقائق تقريباً . وأشهر  
 هذه الاماكن تحت اللسان وتحت الابط وقد تؤخذ الحرارة أيضاً من الشرج  
 وذلك في الانعام والاطفال

والحيوانات تنقسم الى قسمين باعتبار الحرارة :

القسم الاول الحيوانات ذوات الدم الحار كالانسان والخيول والاسباع والطيور  
 وغيرها . والقسم الثاني ذوات الدم البارد كالضفادع والاسماك والزواحف  
 فحيوانات القسم الاول تبقى حرارتها على حالة واحدة تقريباً في الحر والبرد في  
 أواسط الارض عند خط الاستواء وفي أعلاها عند المنجمد الشمالي مثلاً  
 وحيوانات القسم الثاني تختلف حرارتها باختلاف البيئة ( الوسط ) فترتفع  
 حرارتها اذا كان المكان ساخناً وتنخفض اذا كان بارداً

أما الانسان فاذا قلت حرارته عن  $35$  أو ارتفعت عن  $42$  مات غالباً . وارتفاع  
 الحرارة هو ما يسمى بالحمى ، وانخفاضها يسمى بالحمود ( أو الهبوط ) وهو الحالة التي  
 يكون الانسان فيها عند الموت عادة

المادة وقواها

إن جميع الاجسام وقواها المشاهدة في هذا العالم لا توجد الآن من العدم  
 ولا تقبل العدم أو الزوال وذلك بحسب استقراءنا الحالي وعلى ذلك يجب علينا ان  
 نبين مصادر ( أو منابع الحرارة ) في العالم حيث أنها لا تنبعث من العدم :



( مصادر الحرارة )

للحرارة مصدران : طبيعي وصناعي

(١) أما المصدر الطبيعي فهو الشمس وباقي الشمس الاخرى المسماة عندنا بالنجوم الثابتة، والحرارة التي فيها انما تنشأ من احتراق اجزائها. والاحتراق عبارة عن اتحاد الاجزاء بعضها مع بعض اتحادا كيمياويا . وأهم أنواع الاحتراق المشاهد في هذه الارض ما يحصل من اتحاد الفحم مع الاكسجين، والهيدروجين مع الاكسجين أيضا . والاحتراق لا يعدم المادة وانما يحولها الى صور وأشكال أخرى (٢) وأما المصدر الصناعي فهو ينشأ من الاسباب الآتية :

(أ) الاحتكاك

(ب) القرع . كقذح الزناد الحجرية أو زناد الآلات النارية (البنادق)

(ج) التفاعل الكيماوي أو الاتحاد الكيماوي ( كاحتراق الخشب )

(د) التيار الكهربائي ( كالأتون الكهربائي )

فالحرارة الحيوانية تتولد في الجسم من الاحتراق ومن الشمس ومن الحركات الجثمانية الظاهرة والباطنة . وأهم احتراق يحصل في الجسم هو اتحاد ما يوجد فيه من الفحم أو الهيدروجين بأكسجين الهواء . والفرق بين اشتعال الجسم الانساني وبين اشتعال غيره أن اشتعال الجسم تدريجي بطيء واشتعال الآخر سريع شديد . ويتولد من اتحاد الفحم مع الاكسجين غاز يسمى (ثاني أكسيد الفحم) ويرمز اليه هكذا (ك<sub>٢</sub> أ<sub>٢</sub>) (١) ومن اتحاد الهيدروجين مع الاكسجين يتولد الماء ويرمز اليه هكذا (ه<sub>٢</sub> أ) وهذان الجسمان ينشآن أيضا من احتراق كثير من اجسام أخرى كالخشب والشمع وزيت البترول (٢)

ويخرج الحرارة من الجسم الانساني عدة طرق :

(١) طريق التوصيل وذلك بسرير الحرارة من الجسم الانساني الى جميع

(١) أي جوهر فرد من الكربون (الفحم) متحد مع جوهرين من الاكسجين في كل ذرة من ذرات الغاز (٢) البترول معناه زيت الصخر أو الحجر لانه ينبع منه وتسمية العامة بالجاز أو الكاز

الاجسام المحيطة به كالملابس والفرش والهوا (٢) الاشعاع أي خروج الحرارة من الجسم بشكل أشعة كأشعة النور منبعثة في جميع اتجاهات، وسريانها هذا يكون في الاثير (٣) طريقة الحمل وذلك يكون بحمل الهوا. المحيط بالجسم للحرارة وارتفاعه بسبب خفته وحلول هواء آخر بارد محله فان الهوا الحار أخف من الهوا البارد (٤) طريقة الافرازات كالبول والبراز وغيرها فانهما يحملان شيئاً كثيراً من حرارة الجسم. ومثلها الهوا الخارج من الرئتين في الشهيق (٥) التبخر وذلك يكون بتبخر عرق الجسم ولا ينفى أن تحول الماء الى بخار يحتاج الى حرارة كما قلنا سابقاً فذلك كان العرق في تبخره مخرجاً لكثير من حرارة الجسم وهو من أهم الطرق المذكورة هنا فاذا اشتدت حرارة الجوانب من داخل الجسم الى خارجه وملاً بالدم كله وكثيراً إفراز العرق وقل الاحتراق الداخلي في الجسم حتى لا يزيد الحرارة عن الدرجة الطبيعية

واذا اشتدت برودة الهوا كثر الاحتراق الداخلي في الجسم وهرب الدم من ظاهره الى باطنه وامتنع العرق وبذلك تحفظ حرارة الجسم فيه وتبقى في الدرجة الطبيعية وكل هذه الحركات التي تحصل في الجسم من هروب الدم الى الباطن وخروجه الى الظاهر ومن زيادة الاحتراق أو قلته مدبرة بالاعصاب ومركز هذا التدبير في الدماغ أو المخ

فاذا أصيبت مراكز التدبير بأي شيء اختلت وظيفتها فإما أن يبرد الجسم برودة شديدة أو يسخن سخونة شديدة. وذلك الأخير هو الحى وقد يموت الشخص بسبب البرودة أو السخونة

والذي يفقد عمل هذه المراكز العصبية المدبرة في الغالب سموم تتولد في الجسم من الجراثيم المرضية (الميكروبات). وقد ينتأ اختلال هذه المراكز من اصابات أخرى للدماغ أو آلام شديدة في جزء من أجزاء الجسم كالنص الصكوي. فأعظم أسباب ارتفاع الحرارة الجنائية (أي الحى) شيثان (١) سموم الميكروبات التي تدور في الدم (٢) كل ما يؤثر في المراكز العصبية كالألم الشديد أو ضربة الشمس أو غيرها

ومما تقدم يفهم أن الحمى تتولد في الجسم بثلاثة طرق (١) زيادة الاحتراق مع خروج الحرارة من الجسم كالمعتاد (٢) قلة خروج الحرارة عن المعتاد مع كون التولد كالمعتاد (٣) اجتماع الطريقتين السابقتين بأن يزيد الاحتراق ويقل خروج الحرارة. وهذا أشد طرق الحمى

ففي الأمراض المختلفة المصحوبة بالحمى يحصل احد هذه الطرق وخصوصا الاول والثالث منها

فالحمى على ذلك ضرب من ضروب النار. وأفيد عمل لإطفائها بسرعة استعمال الماء البارد مصداقا للحديث الشريف (الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) أي كأنها من حر جهنم أو مما انتشر منها الى الارض ومن الغلط الشائع معالجة الحمى بكثرة التدفئة بالملابس وغيرها فان ذلك يزيد حرارة الجسم ويضر المريض كما لا يخفى

### كلمة في الخمر

يظن كثير من جهلة الناس أن استعمال الخمر في البلاد الباردة ضروري للحياة وقد أثبت جميع أطباء العالم بلا خلاف بينهم تقيض هذه الدعوى وظهر لهم أن الخمر من أعظم ما يخفض الحرارة الجثمانية لاسباب (أحدها) أنها تقلل الاحتراق الداخلي في الجسم المسمى بالتفاعل الحيوي (ثانيها) أنها تمدد جميع أوعية الجلد وتكثر العرق وبذلك يخرج كثير من حرارة الجسم (ثالثها) أنها اذا تعوطيت بمقادير كبيرة انتهى الامر بها الى إضعاف جميع قوى الجسم فيضعف القلب والدورة الدموية، ولذلك شوهد في البلاد الباردة كثير من الناس الذين تقتلهم الخمر

نعم إن جزءاً منها يحترق في الجسم فيولد فيه حرارة ولاكنها لا تعد شيئاً في جانب تبريدها الشديد للجسم كما بينا

أما الاحساس بالحرارة عتب تعاطيها فذلك ناشئ من ورود الدم بكثرة الى الجلد لا للزيادة في الاحتراق فهو إحساس كاذب ضار بالجسم

ومما تقدم يعلم ان الخمر نافعة في تبريد حرارة الجسم اذا أصابته الحمى، وهي كذلك، فان خمر استعمالها طبييا هو في الحيات بشرط عدم الاستمرار عليها طويلا

وعدم الاكثار منها ، وإلا لا حدثت سرعة في النبض وزادت في هذيان المحوم وقد تستعمل أيضا بمقادير قليلة للتنبيه والانعاش فانه في أول أمرها وبمقادير قليلة تؤدي الى تنشيط حركة الجسم ولكن ذلك يعقبة غالبا (وخصوصا اذا أخذت بمقدير كبيرة ) هبوط ضار في جميع القوى

أضف الى ذلك مضراتها الأخرى الكثيرة بجميع الاحشاء وغيرها من أجزاء الجسم ، فان الخمر هي من أعظم أسباب جميع الامراض العقلية والعصبية والجنمانية ، وهي تضعف الذل وتوزئه بعض ما أصابت به والديه كالصرع مثلا . ومن أكبر مضراتها أيضا نعوق حركة السكريات البيضاء التي في الدم وبذلك يتغاب كثير من الامراض على الجسم فتفتك به كما هو مشاهد كثيرا في الكيرين فقل أن ينجو منهم أحد أصيب بمرض شديد

وقد يتروم بعض الناس مما ذكر أن الخمر اذا شربت بمقادير قليلة نعت الجسم والحقيقة خلاف ذلك ، فان الادمان والمواظبة على شرب الخمر ولو قليلا لمدة طويلة قد ينشأ عنه كثير من الامراض التي ذرت والقليل يجر الى الكثير حتما والا لضاعت مزيتها عند الشارب

والمدمن على تعاطيها ولو باعتدال هو دائما ضعيف القوى بحيث لا يتحمل ما يتحمله غيره من المشاق ، وهو أيضا معرض لكثير من الامراض المعدية كالسل والخرة ، لأن الخمر تقلل مقاومة الجسم لجميع الميكروبات كما قلنا وخصوصا ميكروب التهاب الرئوي ولذلك لوحظ ان الجنود الاسلامية أقوى الناس تحملا للمشاق وأقلهم تعرضا للامراض والخلاصة : ان الخمر اذا أخذ منها قليل مرة أو مرتين قد تنفع ولكن الادمان على قليلها هو ضار جدا كالاكثار منها غير أن ضرر القليل بطيء وضرر الكثير سريع قد يقتل الشخص في أقرب وقت فهي كما أخبرنا الله تعالى في كتابه فيها منافع للناس وأنها أكبر من نفعها

( الدوبان وما يتعلق به )

ذا وضع جزء من السكر أو نحوه في الماء وترك قليلا من الزمن مع تحريك

السائل أو السكر أنحل السكر كأنه فقد ، والحقيقة أنه لا يزال باقيا في الماء فيعطيه خواصه وصفاته

وإذا مزج قليل من الدقيق بالماء شوهد أنه باق فيه بلا انحلال  
فالحالة الأولى تسمى حالة الذوبان والحالة الثانية تسمى حالة التعليق ، لأن ذرات  
الجسم الصلب تكون معلقة أو محمولة على ذرات الجسم السائل  
وكما يحصل الذوبان في الأجسام الصلبة كذلك يحصل في السوائل والغازات  
فإذا مزجنا بعض السوائل ببعض الآخر يشاهد فيها هذا الانحلال ( الذوبان )  
مثال ذلك اختلاط النخل بالماء والخر به فانهما يذوبان فيه  
وكذلك الغازات فان بعضها يذوب في السوائل أي تنحل وتمزج بها امتزاجا  
تاما كالهواء مع الماء

وكما أن بعض الأجسام الصلبة لا يذوب في بعض السوائل كذلك توجد  
سوائل لا تذوب فيها كالزيت في الماء

وأحسن طريقة لتعليق الزيت في الماء أن يمزج الماء قبل اضافة الزيت اليه  
بقليل من الصمغ ويسمى المزيج الحاصل من هذه الأشياء الثلاثة ( مستحلبا )  
فن امثلة التعليق في الأجسام الحيوانية الدم واللبن فان الدم مركب من بعض  
اجسام ذائبة وبعض اجسام غير ذائبة وكذلك اللبن فان الدهن معلق فيه كتعليق  
الزيت فيما سميناه هنا مستحلبا تشبيها له باللبن الحليب ( المحلوب )

ويمتاز الجسم المعلق عن الجسم الذائب بما يأتي : -

(١) إن الجسم المعلق يشاهد بالعين المجردة او بالآلات المكبرة (الميكروسكوب)  
(٢) اذا ترك الجسم المعلق زمنا متا شوهد انه ينفصل عن السائل الذي كان  
معلقا فيه فاما أن يصعد الى أعلا كالزيت أو يسقط الى أسفل كالدقيق  
(٣) اذا وضع السائل المعلق عليه شيء في اناء ناضح فضح السائل وحده وبقى  
الجسم المعلق في داخله

(٤) توجد آلة تسمى ( المبعدة عن المركز ) اذا وضع فيها سائل عليه أشياء

( المنار ج ١١ ) « ١٠٩ » ( المجلد السابع عشر )

معلقة وأديرت بسرعة شديدة طردت الأشياء الثقيلة الى جهة دائر محيطها واقتربت الخفيفة نحو مركزها وبذلك يمكن فصل الاجسام المعلقة بعضها عن بعض وهذه الآلة تستعمل في فصل زبدة اللبن عنه فتوجد فيها الزبدة بقرب المركز لخفتها وكذلك تستعمل في فصل كريات الدم عن بقيته فتوجد الكريات عند محيطها لتقلها . وفصل الجسم الذائب في السائل عنه طريقة شهيرة وهي التبخير السريع أو

البطء . والسائل الذي يبخر اذا برد وجمع يسمى مقطرا، وهو يكون خاليا من جميع الاجسام التي كانت ذائبة فيه الا التي تتصاعد بالحرارة كالروائح الزكية وغيرها

وهذه سنة الله تعالى في استخراج ماء المطر من البحار كما قال الله تعالى ( أخرج منها ماءها ومرعاها ) ويستعملها الانسان لاستخراج الملح لطعامه ولا استخراج الماء العذب من الماء الملح اذا كان مسافرا في البحار ( المحيطة )

وتختلف الاجسام في الذوبان باختلاف أنواعها فمنها ما يذوب كثيرا ومنها ما يذوب قليلا، ولها كلها في الذوبان نسب خاصة ثابتة ، وكلها تحتاج لحرارة في ذوبانها فتختلف النسب حينئذ باختلاف درجة الحرارة ، فاذا كانت الحرارة كثيرة ذاب كثير واذا كانت قليلة ذاب قليل، ولا يستثنى من ذلك الأجسام قليلة كالحلح الطعام الذي يذوب في الماء البارد كالساخن مع فرق طفيف

واذا أذيب في السائل في درجة ماء أكبر مقدار يمكن اذابته فيه في هذه الدرجة سمي السائل مشبعاً وهذه الطريقة تسمى سنة ( الاشباع )

واذا أشبع السائل وهو حار بمقدار ماء من الملح ثم برد السائل رسب من الملح ما ذاب في حالة السخونة وبقي مقدار قليل ذائبا يناسب الدرجة التي وصل اليها الماء في برودته

وهذه الاجسام الراسبة تتخذ أشكالا هندسية بديعة عجيبة في أثناء رسوبها تسمى ( البلورات ) وكلما أن الرسوب يحصل اذا اختلفت الحرارة من عالية الى واطئة كذلك يحصل اذا قل مقدار السائل بالتبخير . ومما يساعد على رسوب الاجسام من السائل المتبخر وجود أي جسم غريب فيه فيكون كبدا للرسوب، وكما أن الرواسب تحصل في الخارج اذا انخفضت حرارة السائل أو وضع فيه جسم غريب كذلك

يجوز أن تكون الحصوات في الجسم الانساني ( كالحصوات الكلوية والصفراوية ) من انخفاض حرارته فجأة في بعض الحميات ومن وجود بعض أجسام غريبة في داخله كبريضات الديدان الطفيلية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان أكثر الحصوات الكلوية هي من حامض البوليك وهو يكثر افرازه في الحميات ويرسب في البول اذا اشتدت حموضته فلذا أرى أن الحميات هي من أعظم أسباب الحصوات الكلوية لان البول يكثر فيه هذا الحامض ويكون شديد الحموضة فلذا يرسب فيه الحامض البوليك وأملاحه خصوصا اذا انخفضت الحرارة أما ذوبان الغازات في السائل كالماء فانه يختلف في أحكامه عن الاجسام الصلبة فالغازات تذوب بكثرة كلما اشتدت برودة السائل وكلما زاد الضغط عليها، وهي في ذوبانها كباقي الاجسام الأخرى تختلف أيضا باختلاف طبيعتها، فمنها ما يذوب كثير ومنها ما يذوب قليلا

ولولا ذوبان الهواء في الماء لماتت الحيوانات البحرية، فانه ضروري لحياتها كالحيوانات البرية سواء بسواء . أما الأكسجين الموجود في الهواء الذائب فهو بنسبة خمسة وثلاثين في المائة من حجمه . وفي الهواء العادي ٢١ في ١٠٠ وهذه الحقيقة الأخيرة تثبت أن الأكسجين في الهواء ليس متحدًا اتحادًا كيميائيًا مع النيتروجين بل ممزوجًا به فقط، ولذلك اختلفت النسبة في حالة الذوبان عنها في الجو ( يتبع )

## الامتيازات والشريعة الاسلامية\*

الاسباب التي تحمل الدول الاوربية على صيانة الامتيازات الاجنبية في تركيا - الشريعة الاسلامية قاعة على القرآن لانساوي بين المسلم وغير المسلم  
أعلنت الحكومة العثمانية انها ألغت امتيازات الاجانب في بلادها فاحتجت الدول الاوربية والولايات المتحدة على هذا العمل الذي خرقت به تركيا المعاهدات الدولية، وعات الاصوات بالشكوى من الحالة السيئة التي يصير اليها الاجانب في تركيا فيما لو ألغيت الامتيازات المذكورة وصار الاجانب في تركيا مثل العثمانيين خاضعين للمحاكم الاهلية، ولم يبق لهم الحق على رجوعهم الى محاكم قنصلياتهم في دعاويهم المدنية والجنائية وقد عثرنا على مقالة خطيرة في هذا الشأن لأخذ الكتبة السياسيين في جريدة الصن النيويوركية أردنا تلخيصها تماما للفائدة قال :

لا الولايات المتحدة ولا دولة اخرى اجنبية نصرانية ترضى ان رعاياها الذين لهم مصالح في تركيا والذين لسبب من الاسباب اضطروا ان يسكنوا فيها موقتا أو دائما ان يكونوا خاضعين للمحاكم القضائية القائمة على تعاليم القرآن، فطرائق العدالة الاسلامية شرعية بلفظها ومعناها، وطرائق العقاب الاسلامية بلغت من القساوة مبالغ عظيمة بحيث ان الحكومة الاجنبية التي تترك رعاياها تحت رحمة محاكم تركيا الوطنية تخسر ثقة شعبها وفضلا عن ذلك ان الاجانب بعد إلغاء هذه الامتيازات لا يكونون تحت رحمة تلك المحاكم الجائرة فقط، بل يعرضون نفوسهم لضرائب فادحة،

\* هذه المقالة لكاتب أمريكي ترجمتها بالعربية جريدة الهدى العربية

السورية التي تصدر في نيويورك فرأينا أن نقلها عنها ونعلق عليها ما فيه العبرة



فان الحكومة العثمانية التي تنفق أموالا طائلة على جنديتها وبحريتها وعليها دين وطني واجنبي عظيم، وهي منكوبة بأشد أزمة مالية، لا بد ان تضرب في المستقبل ضرائب فادحة على الاجانب في بلادها، بعد ان نضبت مواردها الوطنية بكثرة ما وضعته عليها من الضرائب الباهظة

ولا يقدر الباب العالي ان يمنح الحكومات الاجنبية شيئا يذكر في مقابل موافقتها على الغاء الامتيازات الاجنبية في تركيا، فالحكومة الحاضرة في الآستانة غير قائمة على أساس ثابت، بل هي دائما تحت رحمة اناس مغامرين متهوسين نظير انور باشا ناظر الحربية السابق (?) أو المسيطر الحقيقي على تركيا، الذي تلطخت يده بدم ناظم باشا القائد العثماني الشجاع المقتول بخيانة وجبانة. ولذلك باتت الحكومة العثمانية تحت خطر دائم، ولا يبعد ان تقع ثورة في الغد تسقط هذه الحكومة وتلغي الدستور وتقضى كل الاتفاقات التي عقدها الحكومة السابقة، وتعيد الحكم الاستبدادي بما يرافقه من جور وفضاعة

وما لا بد من ذكره ان امتيازات الاجانب في تركيا لم تؤخذ منها بالقوة بل هي منحتها مختارة، ومنشأها احتقار المسلم الشديد لكل من هو غير مسلم، فالاسلام لا يقدر ان يتصور وجود مملكة مختلفة، فهو لا يحسب حسابا الا للبلاد التي كل سكانها مسلمون، ويعتقد ان العالم كله سيؤلف في آخر الامر مثل هذه المملكة

هذا من جهة النظريات، امامن الوجه العملي فالمسلم لا يكثر لوجود غير مسلم في بلاده، ولا يعترف بمساواة غير المسلم به. وبالتالي ان المسلمين لا يهتمون ما يفعله غير المسلمين ويتفكرون به مازالوا خارجين عن دائرة الاسلام

والذي يستحق الذكر أيضا ان الاسلام انتشر بالفتح لا بمساع سلمية، وقد استعان المسلم الفاتح على ادارة شؤون البلدان التي فتحها بالطرائق الادارية التي وجدها مرعية فيها، وقد رأى في تلك البلدان دوائر روحية للصاري واليهود ابقاها على حالها، وصار الاساقفة والحاخاميون رؤسائهم المسؤولين واسطة بينهم وبين الحكام المسلمين

وعلى هذه القاعدة صار الاجانب الساكنون والمتاجرون في تركيا وبلاد فارس ومصر وبقية الممالك الاسلامية تحت سيطرة فضايلهم القضائية أولا باستمرار العادة وثانيا بعقد معاهدات. ولم ينالوا هذا الامر من باب الامتياز بل من وجه اهم احظ من ان ينتفعوا بمنافع العدالة الاسلامية القائمة على القرآن

وقد فتحت عن هذه الطريقة شريعة الامتيازات الخارقة العادة التي اعفت السفير الاجنبي وبيته واملاكه من القضاء العماني، وتناولت هذه الشريعة رعايا دولته الاصليين والمتجنسين بجنسيتها. ومع نقصان قوة المملكة الاسلامية وازدياد قوات الدول الاجنبية كانت امتيازات الاجانب تزداد قوة واهمية في البلدان الخاضعة للحكم الاسلامي حتى صارت المستعمرات الاجنبية في كل مملكة اسلامية اشبه بممالك صغيرة ضمن مملكة كبيرة ومن الادلة على ان الامتيازات الاجنبية في الممالك الاسلامية لم تنل بالقوة ان سويسرا والبرتغال والبلجيك تتمتع في تركيا وبلاد فارس ومصر بنفس الامتيازات التي تتمتع بها الولايات المتحدة وانكترا وفرنسا وروسيا وألمانيا وغيرها من الدول العظمى هذا وان كثيرين من رجال الحكومة العثمانية نظير احمد رستم بك

(المنار - ج ١١ م ١٧) مزاعم الافرنج في شيخ الاسلام وحكم الشريعة ٨٧١

السفير العثماني في واشنطن المتعصب لاسلامه الجديد يقولون ان قوانين تركيا المدنية والجنائية لا تنقص بشيء عن القوانين الغربية بعد ان وضعها مشترعون عثمانيون وأوروبيون

انهم مصيبون في قولهم، فالقوانين العثمانية خليط بين نظام نابليون والشريعة الاسلامية وملتقى الانهر، ولكنها موجودة بالاسم فقط، فان نجم الدين بك ناظر العدلية في الحكومة العثمانية الجديدة أدري الناس بهذا الامر، فقد رفع بالامر تقريراً عن الاصلاحات التي أدخلتها حكومته على دوائر الشريعة والقضاة وانهذا النظام الجديد، ولما سئل عما اذا كان هذا النظام يساوي بين المسلم والنصراني واليهودي أجاب بكلام لا يحتمل الريب وقال «ان هذا الامر يستحيل على المسلم ان يتصوره فهو لا يفكر به أبدا» وبناء على ما تقدم يظهر ان نظام العدل في تركيا ديني غير خاضع لناظر العدلية كما هو في بقية الحكومات، بل لشيخ الاسلام الذي ليس رئيس رجال الدين الاسلامي في المملكة العثمانية فقط بل قاضيه الاكبر، فلا مرد لحكمه ولا اعتراض على فتواه. وهو يرأس مرتين في الاسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استامبول

ولشيخ الاسلام سيطرة على الامة والعلماء والمتصوفة، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية، فكل القضاة في محاكم تركيا العليا والبدائية ينالون مناصبهم منه وهم تحت نفوذ ديني شديد، بدليل ان مرتباتهم المالية تؤخذ من ريع الاوقاف الاسلامية التي هي ثلاثة ارباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية، وقد رافقت اجارها من الفلاحين شروطاً جائزاً منها ان الفلاح المستأجر بعضها اذا مات بدون عقب فأرضه تعاد الي

الأوقاف لأنه لا يقدر ان يتركها لارملته أو أحد أنسابه  
ولا يمكن حمل مفسري الشريعة الاسلامية على جعلها حديثة، أو  
اقناعهم بأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان، وبأن الأزمنة قد تغيرت منذ  
أربعة عشر قرنا حين وضع النبي محمد الشريعة الاسلامية في بلاد العرب  
لتتطبق على حاجات أبناء البادية وسكان الوب. فشيخ الاسلام في الآستانة  
والمفتي الأكبر في القاهرة وكل قاض مسلم كبيرا كان أم صغيرا يعتبرون  
الحيدان عن تعاليم النبي محمد خطيئة مميتة أو جريمة ضد الاشياء المقدسة  
ومن الأدلة على عدم امكان تطبيق أحوال النصارى على منطوق  
الشريعة الاسلامية ما جرى في القاهرة سنة ١٩١٠ حين رفض المفتي الأكبر  
الموافقة على اعدام الورداني قاتل بطرس باشا غالي رئيس الوزارة المصرية  
والاول مسلم والثاني نصراني قبطي، وكانت حجة المفتي في عدم الموافقة  
على اعدامه ان الشريعة الاسلامية لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا، فالمسلم  
الذي يقتل نصرانيا لا يعتبر مجرما في نظر الشريعة الاسلامية  
وقد استغربت الحكومة الانكليزية هذه الفتوى ولم تعمل بهاء  
وشنقت الورداني غير مكرثة لفتوى المفتي الأكبر الذي ذكر سببا آخر  
لامتناعه عن الفتوى باعدام الورداني فقال انه لم يرد في القرآن ذكر  
للمسدسات، ولا في الشريعة القائمة على الحديث، ولذلك لا يعتبر المسلم  
بالشريعة المقدسة مجرما اذا استعمل المسدس لجرح أو قتل  
وزيادة القول ان فتوى مفتي الديار المصرية في عدم مجرم مسلم يقتل نصرانيا،  
وقول ناظر العدلية العثمانية باستحالة مساواة النصراني واليهودي بالمسلم امام  
الشريعة العثمانية، حجة قاطعة تحتج بها دول أوروبا والولايات المتحدة في  
عدم تنازلها عن الامتيازات الاجنبية في تركيا والسماح للباب العالي بإعطائها

( تنديد مزاعم السياسي الامريكاني في الشريعة الاسلامية )

يتوهم كثير من الشرقيين ولا سيما المتفرنجين منهم أن كتاب السياسة والتاريخ وعلماء القوانين والشرائع من الافرنج لا يكتبون في جرائمهم الشهيرة ومصنفاتهم الا لحقائق الثابتة التي قتلوها مجناً وتدقيقاً وتعميماً . ويظن الذين يسيئون الظن بالافرنج ويتهمونهم بالتعصب وغمط حقوق الشرقيين كافة والمسلمين خاصة ، انه لا يكاد يوجد فيهم عارف منصف يقول الحق اذا كان لغير قومه لاهم ، ولا حظ لهم فيه ، والمحققون المعتدلون يعلمون ان المستقلين فيهم كثيرون ، ويظنون أن الامريكانيين منهم أقرب الى الانصاف ، وأبعد عن الجور والاعتساف ، فيما يحكون به على الشرق والاسلام ويصفونهما به ، لانه ليس بين الامريكانيين والشرقيين من المنازعات والمطامع السياسية مثل ما بين الاوربيين والشرقيين . وهؤلاء يستغربون مثل هذه المقالة من سياسي أمريكي في جريدة أمريكية شهيرة

بل أقول قد يستغرب مثل هذه المقالة كل من قرأها من أبناء العربية في مصر وضرورة بقدر احترامه للأمة الامريكية الجليلة ، لانه لا يستطيع أن يرى الكاتب من احدى الجانبين : الجهل أو التعصب الحامل على قول الزور ، فان من لم يعلم من أهل هذه البلاد أن ما حكم به الكاتب على الاسلام زور وبهتان كقائلي الاطلاع من النصراني يعلم أن مانسبه الى مفتي مصر من القول بأن الشريعة الاسلامية لا تحمق بقتل المسلم الذي يقتل النصراني قول باطل لم يقاله ولا يمكن أن يقوله مفتي مصر لان جميع الكتب التي يستمد منها نصوص الفتوي مصرحة بان المسلم يقتل بغير المسلم . جعل الكاتب السياسي العلة الاولى لوجوب عدم رضاء الدول بالخضوع للمحتاكم العثمانية هي كونها قائمة على تعاليم القرآن وكون المسلم يحقر غير المسلم ولا يعترف بمساواته له

ماذا عرف هذا الكاتب من أحكام القرآن في العدل والمساواة ومن اين استنبط حكمه عليه ؟

قال الله تعالى في مسألة الحكم بين اليهود وكانوا أشد الناس عداوة للنبي (ص) وللمؤمنين من جميع من ناصبوه - (٥:٥) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان

الله يحب المقسطين ) والنسط هو العدل

وقال تعالى في مسألة الحقوق والحكم العام بين الناس كافة من مسلم وغيره ( ٥٧ : ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) قال بين الناس ولم يقل بين المسلمين

وقال في العدل العام والشهادة التي هي ركن القضاء ( ٤ : ١٣٤ ) يأبأ الذين آمنوا كونوا قوامين بالنسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ) امر بالمبالغة في العدل وشهادة الحق ، ومنع أن يجابي أحد في ذلك نفسه أو والديه أو أحدا من أقاربه أو غنيا لغناه أو فقيرا لفقره ، وأن يتبع هوى نفسه في ترك شيء من العدل أو يحرف فيه أو يعرض عنه . وكل هذه الآيات في سورة واحدة

وقد نهى تعالى عن ترك العدل مع الاعداء ، سواء كان في الاحكام أو الشهادة كما نهى عن ترك العدل مع الاوداء ، فقال ( يأبأ الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالنسط ، ولا يجرمنكم شئان قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خير بما تعملون ) الشئان البغض والعداوة أي ولا يكسبنكم ومحمانكم بغض قوم وعداوتهم لـكم أو عداوتكم لهم على ترك العدل فيهم اذا حكمتم بينهم أو شهدتم في خصام لهم .

وليست هذه الآيات كل ما في القرآن من الامر بالعدل ، بل ثم آيات أخرى كقوله عز وجل « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » وقوله « قل أمر ربي بالنسط » ومثله ماورد في الميزان

فليأتنا ذلك السياسي الذي يفر هو وقومه من حكم القرآن بمثل هذا التشديد في الامر بالعدل المطلق والمقيد بالاعداء وتحريم المحاباة فيه - لعلة من العدل - من التوراة أو الانجيل أو كتب الاولين والآخرين . اما نحن فنستطيع أن نأتيه بالنصوص والشواهد على عدم مساواة الاقربح الاقربحين والاسويين بأنفسهم

وأما المساواة فهي لم توجد على حقيقتها وإطلاقها وعمومها الا في الاسلام ، كما تدل على ذلك النصوص والاعمال ، وتشهد به تواريخ القرون والاجيال أما النصوص فحسبك منها ما تقدم من الآيات أنها قامت امرت بالتزام الحق والعدل في الحكم والشهادة والمعاملة مع اللواق في الدين والمخالف ، والغني والفقير ،

والقريب والبعيد ، والمحب الوديد ، والعدو البغيض . وانما يخرج الناس عن صراط المساواة بحجابه من يمت اليهم بصلة الدين أو لجهة النسب وشيخة الرحم ، أو رابطة الصداقة والمودة ، أو من يطمعون في غناه أو يرجونه لفقره ، وحينئذ يظلمون خصم من يحابونه ، ومن الناس من يظلم كل من يخالفهم في دين أو جنس ، أو يفضونه لسبب ما . وقد أتت الآيات على جميع ذلك

وأما العمل فقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من أمراء المسلمين من العدل والمساواة ما لم يؤثر عن غيرهم . وناهيك بقضية غضب علي المرتضى من عمر الفاروق لانه كناه وسمى خصمه اليهودي ولم يساو بينهما في التسمية كما ساوى بينهما في سائر الامور . واعترف عمر بذلك . ولا تنس مساواة عمر بين الغلام القبطي وولد عمرو بن العاص فاتح مصر وأميرها . فأمثال هذه القضايا لا تجرأ أمر يكاني ولا أوربي أن يدعي مثلها لحكومته . كيف ومن قواعد حكومة الولايات المتحدة التي هي من أرقى حكومات الغرب ان المساواة بين الابيض والاسود غير جائزة . بل رأينا بعض محاكمهم في هذه الايام - ولا أقول في هذا القرن الذي يضر بون المثل بارتقاء البشر فيه - تسكر على السوريين حق الجنسية الامريكانية والتشرف بمساواة البيض ، على عراقية السوريين في النسب الساعي من الجنس الابيض وكونهم من وطن المسيح عليه السلام ، الذي يعبد الامريكيون ويتخذونه ربا وإلهما .

فالشرعية الاسلامية وحدها هي التي ساوت بين جميع البشر في الحقوق ، حتى ان الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعد نفسه مساويا لغيره في الحقوق ، وقصة اليهودي الذي جذبه من طوقه لدين له لم يحل أجله مشهورة . وقد طلب من الناس في مرض موته أن يقتص منه من كانت له قبله مظلمة ، فادعى عكاشة بن محصن (رض) أنه (ص) ضربه مرة على عاتقه مكشوفاً فكشف له (ص) عاتقه ليضربه كما ضربه !!

وليس للخلفاء في الاسلام امتياز على أحد من الناس في الحقوق المدنية ولا الجزائية ، وكان الموالي والذميون والمهادون يتحاكون مع الخليفة الى اتقاضي فيساوي بينهم . فان كان العثمانيون قد قالوا في قانونهم الاساسي « ان السلطان مقدس وغير مسئول » وجعلوه من قبل ذلك لا يحاكم ولا يخاصم فهم إنما أخذوا ذلك عن الاجانب غير المسلمين

واننا نعد من استعلاء الافرنج بقوتهم على ضعفنا نحكمهم بدم كل شيء لنا أو

عندنا ، وان كانوا لم يعرفوا كنهه ولا وقفوا على حقيقته ، كانهم يرون أن الحق والنصيلة والخير وكل ما يمدح لا يكون الا للاقوياء أصحاب المدافع الكبيرة والذهب الكثير ، بل هذا مذهب معروف صرح به كثير من فلاسفتهم وسياستهم ، وهم مجرون عليه في مستعمراتهم .

ولولا اطلاعنا على أقوال العلماء المستقلين والحكماء الراسخين في وصف الاسلام والمسلمين كقوستاف لوبون وجبون واضرابهما لظننا أنه لا يوجد في الافرنج كالم عارف منصف يقول الحق الذي يعتقد

يقول الكاتب الامريكي ان المسلمين أعطوا الأجانب ما أعطوهم من امتياز الحكم فيما بينهم طوعاً واختياراً لأن الاسلام لا يقدر أن يتصور وجود اناس غير مسلمين يستحقون أن يتمتعوا بعدل الاسلام . فكأنه يقول ان المسلمين يريدون بذلك أن تجاهلوا وجود أحد غير مسلم في الارض !

وانما المعروف من القرآن العظيم أن الله تعالى خير رسوله «ص» في الحكم بين اليهود في قضية عرضوها عليه ، وأمره بأن يحكم بالعدل اذ هو اختار الحكم بينهم في تلك القضية التي كانت لهم فيها هوى يبناه في التفسير من عهد قريب . ثم قال (وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) فقيل هذا ناسخ للتخبر وقيل غير ناسخ فن هنا أخذ المسلمون أن حكمانا مخيرون في غير المسلمين بين الحكم بينهم

وبين السامح لهم بأن يحكموا بشريعتهم فيما بينهم . ولغلبة الحرية الدينية والتسامح في الاسلام واحترام عقائد الناس سمح الخلفاء والملوك لغير المسلمين بأن يحاكموا الى رؤساء دينهم في الامور الشخصية . وكذا في غيرها احيانا اذا كان خاصا بهم . فهذه المبالغة في الحرية والتسامح واحترام المخالفين ، كانت يجب أن يطري به الأمريكي وغيره الاسلام والمسلمين ، فما كان منه الا أن قلب الحقيقة ، وعكس القضية ، فجعل ما يقتضي الاطراء في المدح ، موجبا للاسراف في النتم والتقدح !!

ثم إن الكاتب أخطأ فيما نقله عن شيخ الاسلام في حكومة الاستانة كما أخطأ فيما نقله عن مفتي الديار المصرية ، فهل يوثق بعلمه بالشريعة الاسلامية نفسها وبأحكامها ، وهو لا يوثق بعلمه في الامور الرسمية التي تقع في عصره وهو لا يحتاج فيها الى علم واسع ، بل يكفي فيها التثبت في النقل ، واننا نحمل كلامه على الخطأ وسوء الفهم ، وعدم التثبت في النقل ، ونربأ به عند تمدد الكذب ، لمحض الغلو في التعصب

الجهل والخطأ أهون من الكذب ، وشر الكذب ما حمل عليه التعصب



واحتقار الامة ، وأقبحه ما صدر ممن يدعي الحرية والانصاف ، ويحتكر لنفسه وقومه فضيلة العدل والمساواة ، ولولا الادب مع الكاتب لاحترام أمته لقلنا انه كذب شر الكذب وأقبحه على الاسلام والمسلمين عامة ، وعلى ناظر العدلية العثماني اذ زعم أنه قال : أنه يستحيل على المسلم أن يتصور المساواة بين المسلم أو النصراني واليهودي ، وعلى مفتي الديار المصرية اذ زعم انه احتج على امتناعه من الافناء بقتل قاتل بطرس باشا بأن الشريعة لا تحكم باعدام المسلم لقتله نصرانيا ولا تعده مجرما

وليس الخطأ في كلمات أو وقائع اسندت الى بعض الرجال ، بأقبح منه في الشرائع والنظام العام ، ومنه قول الكاتب ان نظام العدل في تركية ديني غير خاضع لناظر العدلية ، وان شيخ الاسلام في الاستانة هو القاضي الأكبر الذي لامرد لحكمه ، وانه يرأس مرتين في كل أسبوع محكمة العدل العليا المتصلة بقصره في استانبول ، وان له السيطرة على الامة وعلى العلماء والمتصوفة ، وعلى رؤساء الكليات الدينية والمحاكم القضائية ، وان جميع القضاة في المحاكم التركية الابتدائية والعالية يتأولون منه مناصبهم وهم تحت نفوذ ديني شديد

وليست هذه المزاعم بأغرب من الاستدلال عليها بكون مرتبات من ذكر من القضاة وغيرهم تؤخذ من الاوقاف الاسلامية ، ومن زعم الكاتب ان تلك الاوقاف هي ثلاثة أرباع العقارات المدنية في المملكة العثمانية

شيخ الاسلام ليس قاضيا لمحكمة تسمى محكمة العدل العليا - ولا سيطرة له على الامة ولا على محاكم العدلية المدنية والجنائية ، ولا هو يعين أحدا من قضاة هذه المحاكم ، بل يعين رؤساءها ناظر العدلية ، وأعضاؤها ينتخبون انتخابا من الادالي المسلمين وغير المسلمين ، ويأخذون مرتباتهم من خزينة الحكومة لا من الاوقاف الاسلامية - والاوقاف الاسلامية ليست ثلاثة أرباع العقارات ولا ربعها ولا عشرها

وليس شيخ الاسلام ناظرا للاوقاف ليكون مسيطرا على من يأخذ مرتبا منها نعم ان شيخ الاسلام هو الذي يولي القضاة الشرعيين الذين يحكمون بين المسلمين في الامور الشخصية ، وهؤلاء تستؤنف أحكامهم وتميز في باب المشيخة الاسلامية ، في مجالسها رؤساء غير شيخ الاسلام ، ومراتبهم كمراتب قضاة المحاكم المدنية تؤخذ من خزينة الحكومة . وفي باب المشيخة رئيس للمدارس الدينية التي بناها السلاطين في الاستانة وغيرها يسمى وكيل الدرس ، وبالتركية «درس وكيلى» ولهذا المدارس أوقاف خاصة بها تديرها نظارة الاوقاف

ولا حاجة الى تنفيذ كلامه في اجارة الاوقاف الاسلامية وعيهه إياها بأن  
المستأجرين لها لا يتركونها إرثاً لأولادهم ، فان أجهل الناس في كل أمة وملة يعلمون  
ان المستأجر لا يكون مالكا حتى يترك ما استأجره إرثاً لأولاده

بهي مما يؤبه له كلامه في تعذر إقناع مفسري الشريعة الاسلامية بان الاحكام  
تتغير بتغير الأزمان، وبان الازمنة تغيرت عما كانت عليه منذ اربعة عشر قرنا، وأن  
الشريعة الاسلامية وضعت في بلاد العرب لتتنطبق على حاجات أبناء البادية -  
فهذا الكلام لا نلومه عليه لانه قلد فيه كثيرا من الاوربيين الذين لا يخطر في بال  
مثله ان كلامهم لا يؤخذ على علاته . وهذا التعليق لا يتسع لاطالة الكلام في بيان  
الحق في هذه المسألة ، فنكتفي بكلمة وجيزة نقولها له ولأمثاله وهي:

ان مفسري الشريعة الاسلامية لا يحتاجون الى الاقناع بان الاحكام تتغير بتغير  
الازمنة فكلمهم يعرفون ذلك وطالما قرروه في كتبهم، واقدم كلمة بروونها في التصريح  
بذلك عن إمام في العلم والحكم من اهل العصر الاول ماقاله عمر بن عبد العزيز الذي  
يعده المسلمون خامس الخلفاء الراشدين في علمه وعدله وهو « يحدث للناس افضية  
بحسب ما أحدثوا من الفجور » ومثله ما يحدثونه من غير الفجور أيضا - ويعلمون  
أيضا أن هذا الزمان مخالف للزمان الذي وجدت فيه الشريعة الاسلامية، ويعلمون  
ان الشريعة الاسلامية وضعت لتتنطبق على حاجات أبناء البادية كما يعلم الكاتب  
وامثاله - ويعلمون أيضا مالا يعلمه هو وأمثاله وهو ان هذه الشريعة وضعت  
لتتنطبق على حاجات أهل الحضرة في ذلك الزمان وفي كل زمان ومكان أيضا، وكان  
ينبغي ان يعلم هو وأمثاله انه كان للمسلمين حضارة فاقت حضارة سائر الامم المجاورة  
لهم في الشرق وفي الغرب كحضارة بغداد والاندلس ، وأن الشريعة الاسلامية  
كانت منطبقة عليها ولم يكن عندهم شريعة غيرها ، وان عدلها هو الذي جعل الناس  
يخضعون لها مختارين ولولا ذلك لم يستطع أولئك الشراذم من العرب فتح الشرق  
والغرب في جيل واحد ، فالدين الاسلامي هو الذي أوجد الحضارة والفتوحات  
بطبيعته لا بقوة سيوف أهله ، ولم تكن الفتوحات الموحدة أو الناشئة له

وقد بين علماء الشريعة أن معنى سمعتها وموافقتها لمصالح الناس من بدو وحضر  
في كل زمان ومكان هو كون قواعدها العامة مبنية على أساس الشورى والعدل  
والمساواة، واعتبار عرف الناس الحسن في معاملاتهم، ودرء المفاسد وجلب المصالح  
ودفع الضرر والضرار، وكون أولي الامر ورجال الشورى فيها يجب ان يكونوا من

أهل الاجتهاد القادرين على استنباط الاحكام التي تمس اليها حاجة الناس في سياستهم وأقضيةهم. ولم يقل أحد من أئمة هذه الشريعة ما يدعيه هذا الكاتب وأمثاله من ان النبي (ص) وضع أحكاما تفصيلية لجميع ما يحتاج اليه أمته في زمنه - دع سائر الازمنة - وانه يحرم على سائر المسلمين ان يزيدوا فيها شيئا تقتضيه المصلحة. بل صرح بعض الأئمة بان مراعاة المصالح في كل زمان ومكان أصل من أصول هذه الشريعة يتفرع عنه مالا يحصى من الاحكام . وقد شرحنا هذه المسألة وفصلناها غير مرة في تفسير القرآن الحكيم وفي غيره من مباحث المنار

نعم إن حكام المسلمين والمشتغلين بالعلم منهم قصروا منذ قرون فيما يجب عليهم من الاجتهاد في هذه الشريعة ، وجمدوا على بعض الكتب التي ألفها من قبلهم فجنوا بذلك على انفسهم وعلى ملتهم ، وكان من آثار هذا الجمود والجهل ان لجأت بعض حكوماتهم الى الاستمداد من القوانين الاوربية - كما نقل الكاتب عن السفير العثماني في بلاده - بعد أن كان الاوربيون يستمدون من كتب شريعتنا كما فعل نابليون الاول . ولكن نابليون اقتبس من شريعتنا في قانونه مارآه موافقا لمصلحة امته ، واما حكامنا فانهم صاروا يأخذون من قانونه ومن سائر القوانين الاوربية ما يوافق مصالح أمتهم وما يخالفها ، ذلك بأن نابليون اقتبس بعقل واجتهاد ، وحكامنا يقدرون الافرنج تقليدا . ومن هذا الجمود توقف بعض المتفهمة عن جمل القتل بالرصاص كالقتل بالسيف أو السكين ، ولولا هذا الجمود لما اضطروا الحكام الجاهلين بالشريعة الى الالتجاء الى قوانين الامم الاخرى ، فهذا شر عواقب جهل رؤسائنا بأصول شريعتنا وتركهم الاجتهاد الواجب فيها، والأئمة متفقون على اشتراط الاجتهاد في الحكم والمفتين ، ولكن من يتفقد هذا الشرط ؟

ومن التناقض في كلام الكاتب أنه جعل العلة لنفور الاجانب من الخضوع للمحكاهم العثمانيه هي كونها تستند في أحكامها الى القرآن المنافية للعدل والمساواة، ثم اعترف بأن العثمانيين أخذوا معظم قوانينهم عن الاوربيين . وليته يعلم انهم لو حكموا بين الاجانب بما يأمر به القرآن لكان خيرا لهم ، لانهم حينئذ يحكمون بعدل كامل يقيمون بالاخلاص سرا وجهرا ، وليست حالهم في القوانين كذلك . هذا وان الحقائق التي اشرنا اليها يعرفها كثير من الأوربيين ، ويصرح بها بعض المستقلين . وقد قلنا من عهد غير بعيد قول لورد كاتشر امضو من أعضاء مجلس الامة العثماني ان هذه القوانين لا توافق حال العثمانيين كما توافق حال من أخذوها عنهم ، وقوله

أن عندكم شريعة عادلة تنطبق على مصالحكم فخير لكم ان تعملوا بها .  
وقد كان لورد كرومر كتب في آخر تقرير له عن مصر كلمة في الشريعة الاسلامية  
في معنى كلمة الكاتب الامريكى من حيث موافقته هذا الزمان وعدمه ، فكتبت  
اليه كتابا قلت له فيه اذا كان يعني بما كتبه الدين لاسلامى الذي هو القرآن والسنة  
فأنا مستعد لأن أبين له ان معظم ما جاء فيهما من الاحكام القضائية والسياسية قواعد  
عامة توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب  
المصالح بحكم الشورى . وان كان يعني كتب الفقه الاسلامى فتلك من وضع الناس  
فيها كثير من آراءهم التي ينتقدها عليهم غيرهم  
فأجابني عن ذلك بأنه يعني بما كتبه مجموعة القوانين الاسلامية التي تسمى الفقه  
قال « ولم أعن الدين الاسلامى نفسه ، ولذلك قلت في هذا التقرير وفي غيره  
بوجوب مساعدة الحزب الاسلامى الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من  
غير أن يس اصول الدين »

ونص كتابي وكتابه في ذلك مطبوعان في ص ٢٣١ و ٢٣٢ من مجلد المنار العاشر  
أكتفي بهذه العجالة في الرد على الكاتب الامريكى ، وكان لي ان اوجه  
كلمة كتاب الى رصيفنا صاحب جريدة الهدى الذي ترجم هذه المقالة وصدرها  
بمقدمة تدل على اقرار كاتبها على ما كتبه ، ولم يعقب عليه بكلمة انكار . ولكنني  
استبدل بالعتاب الرغبة الى انصافه بان ينشر هذا الرد في جريدته وينبه جريده  
الصين الى ما يجب عليها من ترجمته ونشره لئلا ينسخ ذلك الباطل بالحق اليقين ، وحيا الله  
الانصاف والمنصفين

### تاريخ اعلان الدول الحرب

ذكرنا من قبل اعلان اكثر الدول للحرب والآن نعيده مستوفى فتقول :  
أعلنت النمسة الحرب على السرب في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤ . وأعلنتها ألمانيا على  
روسية في ١ أغسطس وفي ٤ أغسطس أعلنتها على البلجيك وفرنسة . وفي منتصف ليل  
٥ أغسطس أعلنت انكلترة الحرب على ألمانيا . وفي ٦ أغسطس أعلنتها النمسة على  
روسية . وفي ٧ أغسطس أعلنتها الجبل الاسود على النمسة . وفي ١٠ منه أعلنتها فرنسة  
على النمسة . وفي ١٢ منه أعلنتها انكلترة على النمسة . وفي ١٧ منه أعلنتها الجبل  
الاسود على ألمانيا . وفي ٢٣ منه أعلنتها اليابان على ألمانيا . وفي ٢٦ منه أعلنتها  
النمسة على اليابان

يقضي بالحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة لقد  
أوتى غيرا كثيرا وما يذكر الأول الألباب

المعراج  
١٣١٥

في شهر صادي الدين يستهون القول فيجبون أحسنه  
أولئك الذي هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و مناراه كمنار الطريق

مصر سلخ ذي الحجة ١٣٣٢ هـ ق الخريف الثالث ١٢٩٣ هـ ش ١٨ نوفمبر ١٩١٤

## مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس من الكائنات

محاضرات علمية طيبة إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

٢

( المطر )

( اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ  
وَيُجْمَلُهُ كَيْسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ )

المطر يتولد من تصاعد بخار مياه البحار وفيها، والعمدة في تبخيرها حرارة الشمس والفرق بين الغليان وبين هذا التبخر التدريجي هو أن التبخر يحصل من سطح السائل فقط وفي حالة الغليان يبعث البخار من جميع أجزاء الماء أما الحرارة اللازمة للتبخر في الحالتين فكميتها واحدة

وتتولد الحرارة أيضا في مياه البحار من احتكاك بعض ذراتها ببعض وهن احتكاك الهواء بسطح البحر . وعمل الريح ضروري جدا لتوليد السحاب من البحر ذلك ( ١ ) أنه باحتكاكه بسطح البحر يولد حرارة تساعد على التبخر ( ٢ ) وأنه يحمل معه كثيرا من ذرات الماء بمجرد هبوه عليه حملا آليا ( ميكانيكا ) ( ٣ ) وأنه يسوق الهواء الذي شبع بالماء ويرفعه الى السماء ليحل محله هواء آخر خال من الماء وبذلك يزداد تبخر البحر، ولولا ذلك لوقفت حركة التبخر لامتلاء الهواء الذي على سطح البحار بالماء

لذلك قال الله تعالى ( الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا ) أي تهيجه وتحرکه وترفعه عن سطح البحار كما ترفع التراب عن الارض

والماء يوجد في الهواء بصور مختلفة أشهرها الطل والضباب والبرد والصقيع -

والمطر . ففي حالة البرد والصقيع يكون الماء متجمدا وفي حالة الضباب والطلل والمطر يكون سائلا والفرق بين هذه الاحوال انما هو في درجة الحرارة فقط

واذا اجتمعت ذرات الضباب بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة طل أو مطر واذا اجتمعت ذرات البرد بعضها ببعض سقطت الى الارض بصورة قطع صغيرة من الثلج تسمى الصقيع

وعليه فلا فرق بين أنواع السحاب سواء أ كانت قريبة من سطح الأرض أم بعيدة عنه فهي على كل حال عبارة عن ذرات صغيرة جدا من الماء السائل أو المتجمد

ويجب أن نفهم أن السحاب ليس بخار (غاز) الماء وانما هو بخار تكاثف أي قطرات صغيرة في حالة السيولة لافي الحالة الغازية والا لما أمكننا مشاهدته فان بخار الماء لا يرى لانه غاز كالهواء

وفي أثناء سقوط المطر يختلط بالهواء فيذوب فيه بالنسبة التي سبق بيانها وكذلك يختلط بكل ما يوجد في الهواء من تراب أو أي غبار آخر أو جراثيم مرضية أو غير مرضية الخ

ولذلك يتلون المطر في بعض البلاد بألوان مختلفة كالأسود والأحمر بحسب

ما يختلط به

فإن المطر وإن كان أتقى ماء في الكون الا انه ليس أتقى من الماء المقطر

الذي نحصل عليه صناعيا

ومن هذه الاجزاء الذائبة في ماء المطر ما هو نافع للحيوانات والنباتات فان الهواء الذائب في الماء ضروري للحيوانات البحرية ونافع للحيوانات البرية كالانسان ، فانه يجعل الماء خفيفا على معدته بخلاف ما اذا كان خاليا من الهواء، وكذلك توجد بعض مواد ذائبة في ماء المطر كانت ساهجة في الهواء، فاذا سقطت الى الأرض نفعت النباتات فغذت منها ولا تمتص النباتات شيئا من الارض ما لم يذب في الماء

ومن الاشياء المختلطة بالمطر ما هو ضار كالجراثيم المرضية

الانهار والعيون

إذا نزل المطر الى الأرض سالت منه أودية على سطحها نسي بالانهار وامتنعت الأرض جزأً آخر منه بسيل في جوفها كالانهار وهو في الحقيقة أنهار باطنية وجميع هذه الانهار الظاهرة والباطنة تتجه شطر البحار ونحوها

ومن هذه الانهار الباطنية تتفجر الينابيع ويستخرج ماء الآبار فجميع الماء العذب الذي يشربه الحيوان سواء أكان أصله من الانهار أم من الآبار أو الينابيع هو كله من ماء المطر . قال تعالى ( ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ) الآية

وإذا امتصت الأرض الماء أو سال على ظهرها اختلط بجميع ما يوجد فيها من الاملاح وغيرها ومن ذلك نشأ الاختلاف بين أنواع المياه لاختلاف تربتها ، فمنها العذب الفرات ومنها الملح الاجاج ، وان كانت في الاصل كلها عذبة

أما سبب انفجار الينابيع<sup>(١)</sup> الطبيعية فهو اختلاف في مسويات طبقات الأرض المتنوعة فاذا كنا في بقعة من الأرض منخفضة عن باقي سطحها سهل انفجار الينابيع فيها بنفسها أو بمساعدتنا ، فان من السنن الالهية ان السوائل تميل الى الموازنة فلذا يصعد ماء الينبوع المنفجر حتى يساوي ماء النهر الباطن الذي صدر منه

والآبار نوعان آبار قريبة وآبار عميقة : فالآبار القريبة هي التي يأتيها الماء من الطبقة الاسفنجية<sup>(٢)</sup> الاولى وهي عرضة لان تلوث بللمياه المتقذرة التي على سطح الأرض أو بللمياه القريبة من هذه الآبار كالمراحيض ، والآبار العميقة هي التي يأتي إليها الماء بثقب طبقة الأرض البعيدة حتى تصل الى الطبقة الاسفنجية الثانية ، وقد يرتفع الماء بنفسه في هذه الآبار بنوعها اذا كان مصدره عاليا وقد يحتاج الى الآلات لجذبه اليها . والنوع الثاني من الآبار أبعد عن التلوث من النوع الاول ويسمى بالآبار الارتوازية نسبة الى إقليم ارتواز (Artois) بشمال فرنسا حيث حفر أول بئر سنة ١١٢٦ ولاجل صيانة الآبار عن التلوث يجب أن تراعى الشروط الآتية في حفرها :

(١) من الينابيع ما مائه حار جدا الى درجة الغليان كما في الولايات المتحدة لصدموره من مكان غائر جدا في جوف الأرض المتهيب (٢) اعني ذات المسام الممتلئة بالماء



الشرط الأول أن تكون بعيدة عن جميع المنازل المسكونة بنحو ٣٠ متراً على

الأقل

الثاني أن لا تكون في الجهة البحرية للمنازل في بلاد مصر لأن المياه الباطنية في مصر تنحدر كياه النيل من الجهة القبلية الى الجهة البحرية وعلى ذلك تكون الآبار المخنورة في الجهة البحرية في طريق المياه الملوثة من المنازل الثالث أن تكون حيطان ( جدران ) هذه الآبار صقيلة وأن تكون الآبار

دائماً مغطاة

ولسهولة الحصول على مياه صحية نقية توجد طريقة أخرى سهلة وهي استعمال الطالبات الحبشية لنرتون ( Norton ) وهي مؤلفة من أنابيب معدنية تدق في الأرض الى بعد عميق جداً وتكون الأولى منها ذات طرف دقيق ( مدبب ) كالسهم وجميع جوانبها مخرقة الى بعد نحو قدمين وفي نهاية هذه الأنابيب من الجهة العليا يركب عليها طلمبة لجذب الماء

والمياه التي تخرج بهذه الطلمبة نقية جداً لأنها صادرة من أعماق الأرض البعيدة ولا تتلوث بشيء مما على سطح الأرض أو في داخلها

والأشياء التي توجد في المياه هي كما سبق نوعان: أشياء معلقة وأشياء ذائبة أما الأشياء المعلقة فهي توجد في مياه الأنهار بكثرة عظيمة، وأما مياه الآبار فانهم تكاد تكون خالية الا من الأشياء الذائبة لأنها تصفى من خلال طبقات الأرض

فالمياه الباطنية إذا أقل ضرراً للصحة من مياه الأنهار الظاهرة كما لا يخفى وللحصول على ماء نظيف من مياه الأنهار الظاهرة يجب إما عليها أو تطهيرها أو تصفيتها بالآلات المسماة بالنواضح ( المرشحات ) وقد يستعمل ( الشب ) لتنقية الماء وهو لا ضرر فيه والسبب في فساد هذا أنه يتحد مع بعض أملاح الماء مثل

( بي كبرونات الجير ) فيتكون ما يسمى هيدرات الألومنيوم<sup>(١)</sup> وهي مادة غروية ترسب الى أسفل الأثناء فتحمل معها كل ما كان معلقاً في الماء تقريباً وبذلك ينتقى . ويوضع

(١) هو العنصر الذي يتركب منه الشب مع عناصر أخرى وتعمل منه الآن أدوات

كثيرة منزلية وغيرها خفيفة جداً

النسب في الماء بنسبة جرام الى كل ١٤ لترا من الماء تقريبا  
أما تنقيته بنوى الشمس المر فهي ضارة لانه قد يتولد منه حامض الهيدرونيثريك  
وخصوصاً اذا كان مقداره عظيماً وترك مدة طويلة ، وهذا الحامض هو سم زعاف  
سريع التأثير جدا

وعيب الماء المغلي انه يشتمل على المواد المعقمة ويكون خالياً من الهواء  
وعيب الماء المقطر أنه يكون خالياً من جميع الاملاح التي كانت في الماء فيكون  
قليل التغذية للجسم فان هذه الاملاح ضرورية للحياة  
وعيب الماء النقي بالنسب انه لا يكون تنياً للغاية المطلوبة واذا زاد مقدار النسب  
أفسد طعم الماء وأحدث عند متعاطيه امساكاً شديداً . أما الماء المصفى بالنواضح  
فهو خير المياه لانه يكون مشتملاً على الهواء والاملاح اللازمة للجسم ونظيفاً من كل  
ما يضر تقريبا

وأشوع النواضح كثيرة فمنها الخابية (الزير) ومنها ما يكون مصنوعاً من  
الفخار أو الفحم (وهو أردوها) وقد يستعمل الرمل لتنقية الماء بالنضح أيضاً  
والنواضح عبارة عن أنبوبة من الفخار جوفاء يمر في مسامها الماء من ظاهرها  
الى جوفها الفارغ والدافع للماء على هذا المرور هو الضغط عليه  
وفي البلاد التي فيها الشركات المائية يندفع الماء بسبب ارتفاع الخزانات التي  
تضمها هذه الشركات دائماً في مكان أعلى من المدينة

ويجب تنظيف هذه النواضح كل ثلاثة أيام بغسلها جيداً بالماء والصابون مع  
شيء خشن كالمسفرة (الفرشه) أو الليف ثم تغلي في الماء لمدة عشر دقائق على  
الاقبل لتقتل جميع الجراثيم الساكنة فيها

وأسهل طريقة لتنظيف الخوابي (الازيار) هي غسلها أولاً بالماء المغلي من الداخل  
والخارج غسلها جيداً ثم طرحها في الشمس مدة طويلة حتى تجف تماماً وبذلك يمكن  
أن تموت جل أو كل ميكروباتها الضارة

أما مرور الماء أو تخزينه في أنابيب أو خزانات من الرصاص ففيه ضرر  
وهذا الضرر يختلف باختلاف أنواع المياه والمواد الذائبة فيها: فالأملاح الكلورية

والنيترات تساعد على اذابة شيء من الرصاص في الماء وكذلك الهواء والاحماض فاذا اشتمل الماء على شيء من هذه الاشياء المذكورة ( وهو قل أن يخلو منها ) ذاب من الرصاص ما يكفي لافساد صحة الانسان

أما الاملاح الأخرى الآتية وهي السلفات والفسفات والكاربونات فانها تصوق ذوبان الرصاص في الماء ولذلك قلنا ان ضرر الرصاص يختلف باختلاف الاشياء الغذائية في الماء

وإذا استمر الانسان على تعاطي الماء الملوث بالرصاص أدى الى أعراض مرضية كثيرة منها :

الضعف، والصفار، والمغص الشديد، وزرقة تشاهد في اللثة، ومرض في الكلى، وضعف واضطراب في أعضاء التناسل، وشلل في بعض أعضاء الجسم فيحصل في اليدين ارتخاء يسمى عند الأطباء « الرسغ الساقط »

ولتوقي هذه المضار يجب أن يوضع الماء في خزانات من الحجر أو الحديد ونحوهما وأن تكون المواسير مصنوعة من مثل الحديد المصبوب ( الزهر ) أو الفخار

( ينبع )

## فصل (١)

ومن منازل اياك نعبد واياك نستعين « منزلة المحبة »

وهي المنزلة التي فيها يتنافس المتنافسون ، واليهما شخص العاملون ، والى علمها شمر السابقون ، وعليها تفانى المحبون ، وبروح نسيما تروح العابدون ، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي الحياة التي من حرمتها فهو من جملة الاموات ، والنور الذي من فقدته ففي بحار الظلمات ، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأقسام ، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ، وهي روح الايمان والاعمال ، والمقامات والأحوال ، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه ، تحمل أثقال السائرين الى بلاد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيبا ، وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها ، وتبوتهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخلها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم في ظهورها دائما الى الحبيب ، وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الأولى من قريب ، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فيالها نعمة على المحبين سابقة! تالله لقد سبق القوم السعاة وهم علي ظهور الفرش نائمون . ولقد تقدموا الركب بمراحل ، وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المدال تمشي رويدا ونجي في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح ! وبدلوا نفوسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بندهم بالرضا والسباح ، وواصلوا اليه المسير بالإدلاج والخذو بالرواح ، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح

فيها ان كنت ذا همة فقد حدا بك حادي الشوق فاطو المراحل

وقل لمنادي حبيبم ورضاهم اذا ما دعا « لييك » ألفاً كواملا

ولا تنظر الاطلال من دونهم فان نظرت الى الاطلال عدن حوائلا

(١) من الجزء الثالث من مدارج السالكين

ولا تنتظر بالسير رققة قاعد  
 وخذ منهم زادا اليهم وسر على  
 وأحي بذكراهم سراك اذا ونت  
 وإما تخافن الكلال فقل لها  
 وخذ قبساً من نورهم ثم سر به  
 وحي على واد الأراك فقل به  
 وإلا ففي نمان عند معرف الـ  
 والا ففي جمع<sup>(٢)</sup> بليتته فان  
 وحي على جنات عدن بقرهم  
 ولكن سباك الكاشحون لاجل ذا  
 فدعها رسوما دارسات فما بها  
 رسوم عفت تقى بها الخلق كم بها  
 وخذ يمنة عبا على المنهج الذي  
 وقل ساعدي يانفس بالصبر ساعة  
 فا هي الا ساعة ثم تقضي  
 أول تقدة من أمان المحبة بدل الروح ، فما للفلس الجبان البخيل وسومها ؟  
 بدم المحب يباع وصلهم فن الذي يتناع بالثمن

تالله ما هزلت فيستامها الفيلسون ، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة<sup>(١)</sup> المعسرون  
 لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد ، فلم يرض لها بثمن دون بدل النفوس ،  
 فتأخر البطالون ، وقام المحبون ينظرون ، أيهم يصلح أن يكون ثمناء فدارت السلعة بينهم  
 ووقعت في يد (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)

(١) كذا وامله تحريف فظاهر الاعراب الرفع بالعطف ، ولا يظهر الاستثناء .  
 بل المراد ليس ما يهديك هو المشاعل . ويمكن أن يقال : فاطف المشاعل - أو - فارم  
 المشاعل (٢) جمع هي الزدلفة . ومعرف في البيت الذي قبله عرفات (٣) كذا والظاهر ان  
 يقال « قاتل » بالرفع لان « كم » خبرية كالتي قبلها (٤) في غير ح - فينتقها بالنسيئة

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقه الشجي ، فتتوع المدعون في الشهود ، فقيل : لا تقبل هذه الدعوى الا بيينة ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه ، فطولبوا بعدالة البينة بزيك ( يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لأم ) فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون ، فقيل لهم : ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فلهوا الى بيعه ( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ) فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقدا تبايع عرفوا قدر السلعة وان لها شأناء فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس ، فعقدوا معه بيعه الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار ، وقالوا : والله لا تقيلك ولا نستقيلك . فلما تم العقد وسهوا المبيع قيل لهم : مذصارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر مما كانت وأضاعفها معها ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون \* فرحين بما آتاهم الله من فضله ) اذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الاخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلاها كل حين باذن ربها ، أصلها ثابت في قرار القلب ، وفرعها متصل بسدره المنتهى ، لا يزال سعي الحب صاعدا الى حبيبه لا يحجبه دونه شيء ( اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه )

### فصل

لا تحد المحبة بحد أوضح منها . فالمدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء ، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وانما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهداها وثمراتها وأحكامها ، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ، وتنوعت بهم القبارات وكثرت الاشارات بحسب ادراك الشخص ومقامه وحاله ، وملكه للعبارة . وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء :

( أحدها ) الصفاء واليباض . ومنه قولهم لصفاء يياض الاسنان ونضارتها حجب

الاسنان (الثاني) العلو والظهور، ومنه حَبَبُ الماء وحُبَابُه وهو ما يعلوه عند المطر الشديد، وحَبب الكاس منه (الثالث) اللزوم والثبات، ومنه حَبَّ البعير وأحب إذا برك ولم يقم<sup>(١)</sup> قال الشاعر:

حلت عليه بالفلاة ضرباً ضرب بعير السوء إذ أحبا

(الرابع) اللب ومنه حبة القلب لبه وداخله، ومنه الحبة لواحدة الحبوب<sup>(٢)</sup> إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه (الخامس) الحفظ والامساك. ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه، وفيه معنى الثبوت أيضاً. ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، فإنها صفاء المودة وهيجان ارادات القلب المحبوب، وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد، وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها لزوماً لا تفارق<sup>(٣)</sup> ولا إعطاء الحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه، ولا اجتماع عزماته واراداته وهوومه على محبوبه. فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا معناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة، الحاء التي هي من أقصى الخلق، والباء الشفوية التي هي نهايته، فلحاء الابتداء، والباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه. وقالوا في فعلها<sup>(٤)</sup> حبه وأحبه. قال الشاعر:

أحب أبا ثروان من حب تمرة ولم تعلم أن الرفق بالجار أرفق<sup>(٥)</sup>

فوالله لولا تمرة ما حبيته ولا كان أذنى من عبيد ومشرق

ثم اقتصر وا على اسم الفاعل من «أحب» فقالوا محب، ولم يقولوا حاب، واقتصر وا على اسم المفعول من «حب» فقالوا محبوب، ولم يقولوا محب، الا قليلا كما قال الشاعر:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

وأعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة

(١) في ب: فلم يقم (٢) وفي غيرها: ومنه لواحدة الحبوب (٣) لعلمها

« لا تفارقه » (٤) في غير ح: فعله (٥) هذا البيت من زيادة ب

مسماه وقوتها ، وأعطوا الحب - وهو المحبوب - حركة الكسر لختها عن الضمة وخفة المحبوب وذكرة على قلوبهم وألسنتهم ، مع إعطائه حكم نظائره كيهب بمعنى منهوب وذبح بمعنى مذبح وحمل المحمول - بخلاف الحمل الذي هو مصدر - لخته ، ثم ألحقوا به حملاً لا يشق على حامله حمله كحمل الشجرة والولد ، فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة المعجبية بين الألفاظ والمعاني ، تطلعك على قدر هذه اللغة وإن لها شأنًا ليس لسائر اللغات

### فصل

في ذكر رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهداه والكلام على ما يحتاج إليه منها (١)

(الاول) قيل: المحبة الميل الدائم ، بالقلب الهائم . وهذا الحد لا يميز فيه بين المحبة الخاصة والمشاركة والصحيحة والمعولة

(الثاني) ايثار المحبوب ، على جميع المصحوب ، وهذا حكم من أحكام المحبة وأثر من آثارها

(الثالث) موافقة الحبيب ، في المشد والمغيب . وهذا أيضاً موجباً ومقتضاهما وهو اكمل من الحدين قبله ، فإنه يتناول المحبة الصادقة الصحيحة خاصة ، بخلاف مجرد الميل والايثار بالارادة فإنه ان لم تصحبه موافقة فحجته معلولة

(الرابع) محور المحب اصفاته ، واثبات المحبوب لذاته . وهذا أيضاً من أحكام الفناء في المحبة - أن تمنح صفات المحب وتقتفي في صفات محبوبه وذاته ، وهذا يستدعي بياناً أتم من هذا لا يدركه الا من أفناه واراد المحبة عنه ، وأخذ منه (الخامس) مواطاة القلب لمرادات المحبوب . وهذا أيضاً من موجباتها وأحكامها والمواطاة الموافقة لمرادات المحبوب وأوامره ومراضيه

(السادس) خوف ترك الحرمة ، مع اقامة الخدمة ، وهذا أيضاً من اعلامها وشواهدا وآثارها - أن يقوم بالخدمة كما ينبغي مع خوفه من ترك الحرمة والتعظيم



(السابع) استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبتك . وهذا قول أبي يزيد ، وهو أيضاً من أحكامها وموجباتها وشواهداها ، والمحبة الصادق له يدل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ، ولو ناله من محبوبه أيسر شيء ، لاستكثره واستعظمه

(الثامن) استكثار القليل من جناتك ، واستقلال الكثير من طاعتك . وهو قريب من الذي قبله لكنه مخصوص بما من المحب

(التاسع) معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة . وهو لسبيل بن عبد الله ، وهو أيضاً حكم المحبة وموجبها

(العاشر) دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب . وهو للعنيد . وفيه غموض ، ومراده استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه الا ذلك ، ولا يكون شعوره واحساسه في الغالب الا بها ، فيصير شعوره واحساسه بدلا من شعوره واحساسه بصفات نفسه ، وقد يحتمل معنى أشرف من هذا ، وهو تبدل صفات المحب الذميمة التي لا توافق صفات المحبوب بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته . والله أعلم

(الحادي عشر) أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا ينفى لك منك شيء . وهو لابي عبد الله القرشي . وهو أيضاً من موجبات المحبة وأحكامها ، والمراد أن تهب ارادتك وعزوماتك وأفعالك ونفستك ومالك ووقتك لمن تحبه ، وتجعلها حبساً في مرضاته ومحابه ، فلا تأخذ لنفسك منها الا ما أعطاك فتأخذه منه له

(الثاني عشر) أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وهو للشبلي ، وكالمحبة يقتضي ذلك فانه مادامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة (الثالث عشر) إقامة العتاب على الدوام . وهو لابن عطاء . وفيه غموض ومراده أن لا تزال عاتباً على نفسك في مرضاة المحبوب ، وأن لا ترضى له فيها (١)

عملا ولا حالة

(الرابع عشر) أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك . وهو للشبلي أيضاً ، وفيه كلام سنذكره إن شاء الله في منزلة الغيرة ، ومراده احتقارك لنفسك أو استصغارها أن يكون مثلك من محبيه

(الخامس عشر) ارادة غرست أغصانها في القلب فأعمرت الموافقة والطاعة

(السادس عشر) أن ينسى المحب حظه في محبوبه ، وينسى حوائجه اليه .

وهو لابي يعقوب السوسي ، ومراده أن استيلاء سلطانها على قلبه غيبه عن حظوظه وعن حوائجه ، واندرجت كلها في حكم المحبة

(السابع عشر) مجانبة السلو على كل حال . وهو للنصر ابادي ، وهو أيضاً

من لوازمها وعمراتها كما قيل :

مرت بارحاء الخيال طيوفه فبكت على رسم السلو الدارس

(الثامن عشر) وحيد المحبوب بخالص الارادة وصدق الطلب

(التاسع عشر) سقوط كل محبة من القلب الا محبة المييب . وهو لمحمد بن

الفضل ، ومراده توحيد المحبوب بالمحبة

(العشرون) غرض طرف القلب<sup>(١)</sup> عما سوى المحبوب غيره ، وعن المحبوب

هية . وهذا يحتاج الى تبين : أما الاول فظاهر . وأما الثاني فان غرض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ، ولكن عند استيلاء الهية يقع مثل هذا ،

وذلك من علامات المحبة المقارنة للهية والتعظيم ، وقد قيل : ان ذا تفسير قول

النبي صلى الله عليه وسلم « حبك للشيء يعنى ويصم » أي يعنى ههنا سواء غيره ،

وعنه هية . وليس هذا مراد الحديث ، ولكن المراد به أن حبك للشيء يعنى

ويصم عن تأمل قبائحهم ومساويهم ، فلا تراها ولا تسمعها وان كانت فيه ، وليس

المراد به ذكر المحبة المطلوبة المعلقة بالرب ، ولا يقال في حب الرب تبارك وتعالى :

حبك الشيء ، ولا يوصف صاحبها بالعمى والضم . ونحن لاننكر المرتبتين

المذكورتين ، فان المحب قد يعنى ويصم عنه بالهية<sup>(٢)</sup> والاجلال ولكن لا توصف

(١) في ب « غرض طرفه » (٢) وفيها « فان المحب قد يعنى ويصم عن سوى

محبوبه وقد يعنى ويصم عنه » الخ

محبة العبد لربه تعالى بذلك ، وليس أهلها من أهل العمى والصمم ، بل هم أهل السمع والبصيرة على الحقيقة ، ومن سواهم عم الصمم البكم العمي الذين لا يعقلون (العاشر والعشرون) ميالك للشيء بكليتك ، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ، ثم علمك بتقصيرك في حبه . قال الجنيدي : سمعت الحارث المحاسبي رحمه الله يقول ذلك

(الثاني والعشرون) المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب ، وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : لمت بعض المباحية فقال لي ذلك ، ثم قال : والسكون كله مراده ، فأبي شيء أبغض منه ، فقال الشيخ فقلت له : اذا كان المحبوب قد أبغض أفعالا وأقوالا وأقواما وعاداهم فطردهم ولعنهم فأحببتهم أنت أكرمت مواليا للمحبوب أو معاديا له ؟ - قال - : فكأنما ألتم حجرا واقتضح بين أصحابه ، وكان مقدما فيهم مشارا اليه . وهذا المدح صحيح ، وقائله انما أراد انما تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب الديني الامري الذي يحبه ويرضاه ، لا المراد الذي قدره وقضاه ، لكن لقلة حظ المتأخرين منهم وغيرهم من العلم وقعوا فيها وقصوا فيه من الاباحة والخلل والاتحاد ، والمعصوم من عصمه الله

(الثالث والعشرون) المحبة بذل الجهود ، وترك الاعتراض على المحبوب . وهذا أيضا من حقوقها وممراتها وموجباتها

(الرابع والعشرون) سكر لا يصحوا صاحبه الا بمشاهدة محبوبه . ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف ، وأنشد :

فأسكر التمهؤ دور الكأس بينهم لكن سكري نشا من رؤية الساقى  
ويبغى صون المحبة والحبيب عن هذه الالفاظ التي غاية صاحبها أن يمدح بصدقه وغلبة الوارد عليه وقبره له ، فحجة الله أعلى وأجل من أن تضرب في هذه الامثال ، وتجهل عظمة الافواه المتلوثة ، والالفاظ المتدعة ، ولكن الصادق في خفارة صدقه

(الخامس والعشرون) أن لا يؤثر على المحبوب غيره ، وأن لا يتولى أمورك غيره

(السادس والعشرون) الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته ، والحرية من اسرقاق ما سواه

(السابع والعشرون) المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ، وطمح اللسان بذكره على الدوام. قلت: أما سفر القلب في طلب المحبوب فهو الشوق الى لقائه ، وأما طمح اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئاً أكثر من ذكره

(الثامن والعشرون) ان المحبة هي ما لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر . وهي ليحيى بن معاذ ، بل الإرادة والطلب والشوق الى المحبوب لذاته ، فلا ينقص ذلك جناؤه ولا يزيده بره ، وفي ذلك ما فيه ، فان المحبة الذاتية تزيد بالبر ولا تنقصها زيادتها بالبر ، وليس ذلك بعلته ، ولكن مراد يحيى أن القلب قد امتلأ بالمحبة الذاتية ، فاذا جاء البر من محبوبه لم يجد في القلب مكاناً خالياً من حبه تشغله محبة البر ، بل تلك المحبة قد استحقت عليه بالذات بلا سبب ، ومع هذا فلا يزيل الوهم ، فان المحبة لانهاية لها ، وكلما قويت المعرفة والبر قويت المحبة ، ولانهاية لجمال المحبوب ولا بره ، فلا نهاية لمحبته ، بل لو اجتمعت محبة الخلق كلهم وكانت على قلب رجل واحد منهم كان ذلك دون ما يستحقه الرب جل جلاله . ولهذا لا تسمى محبة العبد لربه عشقاً - كما سيأتي - لانه افراط المحبة ، والعبد لا يصل في محبة الله الى حد الافراط البتة ، والله أعلم

(التاسع والعشرون) المحبة أن تكون كلك بالمحبوب مشغولاً ، وذلك له مبدولاً (الثلاثون) - وهو من أجمع ما قيل فيها - قال أبو بكر الكتاني رحمه الله :

جرت مشقة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم ، فتكلم الشيوخ فيها وكان<sup>(١)</sup> الجنيد أصفرهم سناً فقالوا : هات ما عندك يا عراقى ! فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال : عبد ذاهب<sup>(٢)</sup> عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هيئته ، وصفاء شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق فعن الله ، وان تحرك فبأمر الله

(١) في ح « فكان » الخ (٢) في ب « ذهب »

وأن سكن فمع الله ، فهو بالله والله ومع الله . فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد ،  
جزاك (١) الله ياتاج العارفين

### فصل

في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة ( أحدها ) قراءة القرآن  
بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به ، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه  
ليتفهم مراد صاحبه منه ( الثاني ) التقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فانها  
توصله الى درجة المحبوبة بعد المحبة ( الثالث ) دوام ذكره على كل حال باللسان  
والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر ( الرابع )  
اثار محابه على محابك عند غلبات الهوى ، والتسليم الى محابه وان صعب المرقى  
( الخامس ) مطالعة القلب لاسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وثقله في رياض  
هذه المعرفة ومبايها ، فمن عرف الله باسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لآحالة ، ولهذا  
كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب ، بينها وبين  
الوصول الى المحبوب ( السادس ) مشاهدة براه وأحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة ،  
فانها داعية الى محبته ( السابع ) - وهو من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين  
يديه تعالى ، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الاسماء والعبارات ( الثامن )  
الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب  
بين يديه ، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة ( التاسع ) مجالسة المحبين الصادقين ،  
والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر . ولا تتكلم الا اذا ترجحت  
مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك ( العاشر ) مباحة

كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون الى منازل المحبة ، ودخلوا على الحبيب ،  
وملاك ذلك كله أحران : استعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة .

و بالله التوفيق

## فصل<sup>\*</sup>

فهذه امثلة عشرة توضح لك الوجه العملي في المصالح المرسلّة وتبين لك اعتبار أمور

(احدها) الملازمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي اصلا من اصوله ولا دليلا من دلائله

(والثاني) ان عامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على دون المناسبات المعقولة التي اذا عرضت على العقول تلقىها بالقبول ، فلا مدخل لها في التبعيدات ولا ما جرى مجراها من الامور الشرعية ، لأن عامة التبعيدات لا يعقل لها معنى على التفصيل ، كالوضوء والصلاة والصيام في زمان مخصوص دون غيره ، والحج ، ونحو ذلك فليتأمل الناظر الموفق كيف وضعت على التحكم المحض المنافي للمناسبات التفصيلية

ألا ترى ان الطهارات على اختلاف أنواعها قد اختص كل نوع منها بتميذ مخالف جدا لما يظهر لبادي الرأي ؛ فان البول والغائط خارجان بجسنان يجب بهما تطهير اعضاء الوضوء دون المخرجين فقط ، ودون جميع الجسد ، فاذا خرج المني أو دم الحيض وجب غسل جميع الجسد دون المخرج فقط ، ودون اعضاء الوضوء<sup>(١)</sup>

(\* تابع لما نشر في ص ٨٣٣

(١) روي عن بعض علماء السلف مثل هذا وعد الطهارتين على خلاف القياس أو العقل . وأخذ الناس ذلك بالقبول . مع أن حكمة الطهارتين معقولة ، فان خروج المني ودم الحيض يحدث من الفتور والضعف في البدن كله مالا يحدث =

ثم ان التطهير واجب مع نظافة الاعضاء ، وغير واجب في قذارتها  
 بالاوساخ والادران اذا فرض انه لم يحدث  
 ثم التراب -- وسن شأنه التلويت -- يقوم مقام الماء الذي من  
 شأنه التنظيف

ثم نظرنا في أوقات الصلوات فلم نجد فيها مناسبة لاقامة الصلوات  
 فيها لاستواء الاوقات في ذلك

وشرع للإمام بها أذكار مخصوصة لا يزداد فيها ولا ينقص منها ،  
 فاذا أقيمت ابتدأت اقامتها بأذكار أيضا ، ثم شرعت ركعاتها مختلفة  
 باختلاف الاوقات ، وكل ركعة لها ركوع واحد وسجودان دون العكس ،  
 الا صلاة خسوف الشمس فانها على غير ذلك ، ثم كانت خمس صلوات  
 دون أربع أو ست وغير ذلك من الاعداد ؛ فاذا دخل المتطهر المسجد  
 أمر بتحيته بركتين دون واحدة كالموتر ، أو أربع كالظهر ؛ فاذا سها في  
 صلاة سجد سجدتين دون سجدة واحدة ، واذا قرأ سجدة سجد  
 واحدة دون اثنتين

ثم أمر بصلاة النوافل ونهي عن الصلاة في أوقات مخصوصة ،  
 وعلل النهي بأمر غير معقول المعنى

= مثله بخروج البول والغائط ، فشرع الغسل من الاولين ليعود به للبدن نشاطه  
 وللمصيب فيه تنبيهه ، فيقوى على العبادة ، واكتفى بالوضوء من الاخرين لضعف  
 تأثيرهما ، وثم حكمة أخرى وهي جعل الطهارة الخفيفة لما يتكرر كل يوم ، والطهارة  
 الشاقة لما لا يتكرر الا في الاسبوع أو الشهر . وللامثلة الاخرى التي سيدكرها حكم  
 أيضا يناب بعضها في مجلة المنار وفي ( تفسير القرآن الحكيم ) ولا ينكر مع ذلك ان  
 في كل عبادة معنى التعبد الذي يؤخذ بالتسليم كعدد الركعات والركوع والسجود فيها

ثم شرعت الجماعة في بعض النوافل كالعيدين والخسوف والاستسقاء ،  
دون صلاة الليل ورواتب النوافل

فاذا صرنا الى غسل الميت وجدناه لا معنى له معقولا ، لأنه غير  
مكلف ، ثم أمرنا بالصلاة عليه بالتكبير دون ركوع أو سجود أو تشهد ،  
والتكبير أربع تكبيرات دون اثنتين أو ست أو سبع أو غيرها من الاعداد ،  
فاذا صرنا الى الصيام وجدنا فيه من التعبدات غير المعقولة كثيرا ،  
كإمسك النهار دون الليل ، والامساك عن المأكولات والمشروبات ،  
دون الملابس والمركوبات ، والنظر والمشي والكلام واشباه ذلك ،  
وكان الجماع - وهو راجع الى الاخراج - كاللأ كول - وهو راجع  
الى الضد ، وكان شهر رمضان - وان كان قد انزل فيه القرآن - ولم  
يكن ايام الجمع ، وان كانت خيرا ايام طلعت عليها الشمس ، أو كان الصيام  
أكثر من شهرا أو أقل . ثم الحج أكثر تعبدا من الجميع  
وهكذا تجد عامة التعبدات في كل باب من أبواب الفقه ما عملوا (؟)

ان في هذا الاستقراء معنى يعلم من مقاصد الشرع أنه قصد قصده ونحي  
نحوه واعتبرت جهته ، وهو ان ما كان من التكاليف من هذا القبيل فان  
قصد الشارع ان يوقف عنده ويغزل عنه النظر الاجتماعي جملة ، وأن  
يوكل الى واضعه ويسلم له فيه ، سواء علينا أقلنا : ان التكاليف معاملة  
بمصالح العباد ، أم لم تقله . اللهم الا قليلا من مسائلها ظهر فيها معنى فهمناه  
من الشرع فاعتبرنا به أو شهدنا في بعضها بعدم الفرق بين المنصوص عليه  
والمسكوت عنه ، فلا حرج حينئذ فان اشكل الامر فلا بد من الرجوع  
الى ذلك الاصل ، فهو العروة الوثقى للمتفقه في الشريعة والوزير الاحمي



ومن أجل ذلك قال حذيفة رضي الله عنه : كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدها ، فان الأول لم يدع للآخر مثالا ، فاتقوا الله يا معشر القراء ، وخذوا بطريق من كان قبلكم . ونحوه لابن مسعود ايضا - وقد تقدم من ذلك كثير -

ولذلك التزم مالك في العبادات عدم الالتفات الى المعاني ، وان ظهرت لبادي الرأي ، وقوفا مع ما فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه ، فلم يلتفت في ازالة الاخبار ، ورفع الاحداث ، الى مطلق النظافة التي اعتبرها غيره ، حتى اشترط في رفع الاحداث النية ، ولم يتم غير الماء مقامه عنده - وان حصلت النظافة - حتى يكون بالماء المطلق ، وامتنع من اقامة غير التكبير والتسليم والبراءة بالعمرية مقامها في التحريم والتحليل والاجزاء ، ومنع من اخراج القيم في الزكاة ، واختصر في الكفارات على مراعاة العدد ، وما أشبه ذلك

ودورانه في ذلك كله على الوقوف مع ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب - ان تصور - لقلة ذلك في التعبادات وندوره ، بخلاف قسم العادات الذي هو جارٍ على المعنى المناسب الظاهر للعقول ، فانه استرسل فيه استرسال المدلل العريق في فهم المعاني المصلحية ، نعم مع مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلا من أصوله ؛ حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوه استرساله ، زاعمين انه مخلق الرتبة ، وفتح باب التشريع . وهيئات ما أبعده من ذلك ! رحمه الله ؛ بل هو البذي رضي لنفسه في فقهه بالاتباع ، بحيث يخيل لبعض أنه مقلد لمن قبله ، بل هو صاحب البصيرة في دين الله - حسبها بين اصحابه في كتاب سبره -

(الناشر - ج ١٢ م ١٧) الثناء على مالك. رجوع المصالح المرسلة الى رفع الحرج ٩١٧

بل حكى عن أحمد بن حنبل أنه قال : اذا رأيت الرجل يبغض مالكا فاعلم أنه مبتدع . وهذه غاية في الشهادة بالاتباع . وقال أبو داود : أخشى عليه البدعة . ( يعني المبغض لمالك ) وقال ابن مهدي : اذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة ، واذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة . وقال ابراهيم بن يحيى بن هشام : ما سمعت أبا داود لعن أحدا قط الا رجلين ، أحدهما رجل ذكر له أنه لعن مالكا ، والآخر بشر المريسي

وعلى الجملة فغير مالك أيضا موافق له في أن أصل العبادات عدم معقولية المعنى ، وان اختلفوا في بعض التفاصيل ، فالأصل متفق عليه عند الأمة ، ما عدا الظاهرية ، فانهم لا يفرقون بين العبادات والعمادات ، بل الكل تعبد غير معقول المعنى ، فهم آخري بان لا يقولوا بأصل المصالح فضلا عن أن يعتقدوا المصالح المرسلة

( والثالث ) ان حاصل المصالح المرسلة يرجع الى حفظ أمر ضروري ، ورفع حرج لازم في الدين ؛ وأيضا مرجعها الى حفظ الضروري ، من باب « ما لا يتم الواجب الآ به . . . » فهي اذاً من الوسائل لا من المقاصد . ورجوعها الى رفع الحرج راجع الى باب التخفيف لا الى التشديد .

أما رجوعها الى ضروري فقد ظهر من الامثلة المذكورة وكذلك رجوعها الى رفع حرج لازم ؛ وهو إما لاحق بالضروري ، وإما من الحاجي ؛ وعلى كل تقدير فليس فيها ما يرجع الى التقييح والتزيين البتة . فان جاء من ذلك شيء : فإما من باب آخر منها ، كقيام رمضان في المساجد جماعة - حسبما تقدم - وأما معدود من قبيل البدع التي

انكرها السلف الصالح - كزخرفة المساجد والتثويب بالصلاة - وهو من قبيل ما يلائم .

وأما كونها في الضروري من قبيل الوسائل ، و « ما لا يتم الواجب الآ به . . . » إن نص على اشتراطه ، فهو شرط شرعي فلا مدخل له في هذا الباب ، لأن نص الشارع فيه قد كفاً ما مؤنة النظر فيه

وإن لم ينص على اشتراطه فهو إما عقلي أو عادي ، فلا يلزم أن يكون شرعياً ، كما أنه لا يلزم أن يكون على كيفية معلومة ، فإنا لو فرضنا حفظ القرآن والعلم بغير كتب مطرد الصبح ذلك ، وكذلك سائر المصالح الضرورية يصح لنا حفظها ، كما أنا لو فرضنا حصول مصلحة الإمامة الكبرى بغير امام على تقدير عدم النص بها لصح ذلك ، وكذلك سائر المصالح الضرورية - إذا ثبت هذا - لم يصح أن يستنبط من بابها شيء من المقاصد الدينية التي ليست بوسائل

وأما كونها في الحاجي من باب التخفيف فظاهر أيضاً ، وهو أقوى في الدليل الراجع للخرج ، فليس فيه ما يدل على تشديد ولا زيادة تكليف ، والامثلة مبينة لهذا الاصل أيضاً

إذا تقررت هذه الشروط علم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسله لأن موضوع المصالح المرسله ما عقل معناه على التفصيل ، والتعبادات من حقيقتها أن لا يعقل معناها على التفصيل . وقد مر أن العادات إذا دخل فيها الابتداع فأنما يدخلها من جهة ما فيها من التعب لا باطلاق

وأيضاً فإن البدع في عامة أمرها لا تلائم مقاصد الشرع ، بل إنما تتصور على أحد وجهين : إما مناقضة لمقصوده - كما تقدم في مسألة

المفتي للملك بصيام شهرين متتابعين - وإما مسكوتاً عنه فيه كحرمان القتال ومعاملته بنقيض مقصوده على تقدير عدم النص به . وقد تقدم قتل الاجماع على اطراح القسمين ، وعدم اعتبارهما . ولا يقال : ان المسكوت عنه يلحق بالمأذون فيه . اذ يلزم من ذلك خرق الاجماع لعدم الملازمة ، ولان العبادات ليس حكمها حكم العادات في أن المسكوت عنه كالمأذون فيه - ان قيل بذلك ، فهي تفارقها ، اذ لا يقدم على استنباط عبادة لا أصل لها ، لانها مخصوصة بحكم الاذن المصرح به ، بخلاف العادات . والفرق بينهما ما تقدم من اهتداء العقول للعادات في الجملة ، وعدم اهتدائها لوجوه التقريبات الى الله تعالى . وقد أشير الى هذا المعنى في كتاب الموافقات والى هذا (؟)

فاذا ثبت أن المصالح المرسله ترجع اما الى حفظ ضروري من باب الوسائل ، أو الى التخفيف ، فلا يمكن احداث البدع من جهتها ولا الزيادة في المندوبات ، لان البدع من باب الوسائل ، لانها متعبد بها بالفرض ، ولانها زيادة في التكليف ، وهو مضاد للتخفيف

فصل من هذا كله أن لا تعلق للمبتدع بباب المصالح المرسله الا القسم الملغى باتفاق العلماء ، وحسبك به متعلقاً ، والله الموفق وبذلك كله يعلم من قصد الشارع أنه لم يكمل شيئاً من التعبدات الى آراء العباد ، فلم يبق الا الوقوف عند ما حده به الزيادة عليه بدعة ، كما ان النقصان منه بدعة . وقد مر لها أمثلة كثيرة ، وسيأتي آخرها في أثناء الكتاب بحول الله .

## فصل

وأما الاستحسان ؛ فلان لأهل البدع أيضاً تعلقا به ؛ فان الاستحسان لا يكون الا بمستحسن ، وهو إما العقل أو الشرع أما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منها ، لان الادلة اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحساناً ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والاجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال . فلم يبق الا العقل هو المستحسن ، فان كان بدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه الى الادلة لا الى غيرها ، وان كان بغير دليل فذلك هو البدعة التي تستحسن

ويشهد<sup>(١)</sup> قول من قال في الاستحسان انه يستحسنه<sup>(٢)</sup> المجتهد بعقله ، ويميل اليه برأيه - قالوا - : وهو عندهم لاء من جنس ما يستحسن في العوائد ، ويميل اليه الطباع ، فيجوز الحكم بمقتضاه اذا لم يوجد في الشرع ما ينافي هذا الكلام ما بين (١) ان تتم من التبعيدات ما لا يكون عليه دليل ؛ وهو الذي يسمى بالبدعة ، فلا بد أن ينقسم الى حسن وقبيح ، اذ ليس كل استحسان حقا

وأيضاً فقد يجري على التأويل الثاني للاصوليين في الاستحسان ، وهو أن المراد به دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه ولا يقدر على اظهاره . وهذا التأويل ، فلا استحسان يساعده لبعده ، لانه يبعد في مجاري العادات أن يتدع أحد بدعة من غير شبهة دليل ينقدح له ، بل عامة البدع لا بد لصاحبها من متعلق دليل شرعي ، لكن قد

(١) لعل أصله « ويشهد لذلك » اوله (٢) لعل أصله « ما يستحسنه »

يمكنه اظهاره وقد لا يمكنه - وهو الاغلب - فهذا مما يحتجون به



وربما يتقدح لهذا المعنى وجه بالادلة التي استدلت بها أهل التأويل

الأولون ، وقد أتوا بثلاثة ادلة

(احدها) قول الله سبحانه (واتبعوا احسن ما أنزل اليكم من ربكم)

وقوله (الله نزل احسن الحديث) وقوله (فبشر عبادي الذين يستمعون

القول فيتبعون احسنه) هو ما استحسنته عقولهم

(والثاني) قوله عليه السلام «ما رآه السامعون حسنا فهو عند الله حسن»

وانما يعني بذلك ما رآوه بعقولهم ، والا لو كان حسنه بالدليل الشرعي

لم يكن من حسن ما يرون ، اذ لا مجال للعقول في التشريع على ما زعمتم ،

فلم يكن للحديث فائدة ، فدل على ان المراد ما رآوه برأيهم

(والثالث) ان الامة قد استحسنت دخول الحمام من غير تقدير اجرة

ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل ، ولا سبب لذلك الا ان

المشاحة في مثله قبيحة في العادة ، فاستحسن الناس تركه ، مع اننا نقطع ان

الاجارة المجهولة<sup>(١)</sup> أو مدة الاستئجار أو مقدار المشتري اذا جهل فاته

ممنوع ، وقد استحسنت اجارته مع مخالفة الدليل ، فاولى ان يجوز اذا لم

يخالف دليلا

فانت ترى ان هذا الموضوع مزلة قدم أيضا لمن اراد ان يتدع ، فله

ان يقول : ان استحسنت كذا وكذا فغيري من العلماء قد استحسنت .

(١) لا بد أن يكون سقط من هنا شيء ولعله المنفعة

وإذا كان كذلك فلا بد من فضل اعتناء بهذا الفصل ، حتى لا يقتر به جاهل أو زاعم أنه عالم ، وبالله التوفيق ، فنقول :

✽

إن الاستحسان يراه معتبراً في الأحكام مالك وأبو حنيفة ، بخلاف الشافعي فإنه منكر له جداً حتى قال « من استحسّن فقد شرع » والذي يستقرى من مذهبهما أنه يرجع إلى العمل بأقوى الدليلين . هكذا قال ابن العربي — قال — فالعموم إذا استمر ، والقياس إذا أطرد ، فإن مالكا وأبا حنيفة يريان تخصيص العموم بأي دليل كان من ظاهر أو معنى — قال — ويستحسن مالك أن يخص بالمصلحة ، ويستحسن أبو حنيفة أن يخص بقول الواحد من الصحابة الوارد بخلاف القياس — قال — ويريان معاً تخصيص القياس وقص العلة ، ولا يرى الشافعي لعل الشرع إذا ثبت تخصيصاً

هذا ما قال ابن العربي . ويشعر بذلك تفسير الكرخي أنه المدلول عن الحكم في المسئلة بحكم نظائرها إلى خلافه لوجه أقوى . وقال بعض الحنفية : أنه القياس الذي يجب العمل به ، لأن العلة كانت علة بأثرها : سموا الضعيف الأثر قياساً والقوي الأثر استحساناً ، أي قياساً مستحسنًا ، وكأنه نوع من العمل بأقوى القياسين ؛ وهو يظهر من استقراء مسائلهم في الاستحسان بحسب النوازل الفقهية

بل قد جاء عن مالك أن الاستحسان تسمة اعشار العلم . ورواه اصبح عن ابن القاسم عن مالك ، قال اصبح في الاستحسان : قد يكون أغلب

من القياس . وجاء عن مالك ان الفرق في القياس يكاد يفارق السنة <sup>(١)</sup> . وهذا الكلام لا يمكن ان يكون بالمعنى الذي تقدم قبل ، وانه ما يستحسنه المجتهد بعقله ، او أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد ، تصير عبارته عنه ، فان مثل هذا لا يكون تسعة اعشار العلم ، ولا اغلب من القياس الذي هو احد الأدلة

وقال ابن العربي في موضع آخر : الاستحسان إثار ترك مقتضى الدليل ، على طريق الاستثناء والترخص ، لمعارضته ما يمارض به في بعض مقتضياته . وقسمه اقساماً عددها اربعة اقسام ، وهي ترك الدليل للمعرف ، وتركه للمصلحة ، وتركه لليسير ، لرفع المشقة ، وإثار التوسعة <sup>(٢)</sup> وحده غير ابن العربي من أهل المذهب بانه عند مالك : استعمال مصلحة جزئية في مقابلة قياس كلي . - قال - فهو تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وعرفه ابن رشد فقال : الاستحسان - الذي يكثر استعماله حتى يكون اعم من القياس - هو ان يكون طرحاً لقياس يؤدي الى غلو في الحكم ومبالغة فيه ، فمدل عنه في بعض المواضع بمعنى يؤثر في الحكم يختص به ذلك الموضع .

وهذه تعريفات قريب بعضها من بعض

(١) كانت العبارة في صلب النسخة هكذا « ان الفرق في القياس ، يكاد يفارق الناس . ووضع فوق « يفرق الناس » خط وكتب بازائه في الماشية « يفارق السنة » على ان معنى العبارة المصححة ظاهر . ( ٢ ) اذا كان قوله « لرفع المشقة » الخ معيلاً لتركه في « اليسير » ( وهو التليل النافه ) فابن القسم الرابع ؛ وان كان قسماً رأسه فلماذا لم يقل « وتركه لرفع المشقة » ؟ وليراجع المثال السابع في ص ٩٢٧



وإذا كان هذا معناه عن مالك وأبي حنيفة فليس بخارج عن الأدلة البتة ، لأن الأدلة يقيد بعضها ويخصص بعضها بعضاً ، كما في الأدلة السنية مع القرآنية . ولا يرد الشافعي مثل هذا أصلاً . فلاحجة في تسميته استحساناً لمبتدع<sup>(١)</sup> على حال

ولا بد من الإتيان بأمثلة تبين المقصود بحول الله ، وتقتصر على عشرة أمثلة .

(أحدها) ان يعدل بالسنة عن نظائرها بدليل الكتاب ، كقوله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) فظاهر اللفظ العموم في جميع ما يتمول به ، وهو مخصوص في الشرع بالأموال الزكوية خاصة ؛ فلو قال قائل : مالي صدقة . فظاهر لفظه يتم كل مال ؛ ولكننا نحمله على مال الزكاة ، لكونه ثبت الحمل عليه في الكتاب . قال العلماء : وكان هذا يرجع إلى تخصيص العموم بعادة فهم خطاب القرآن . وهذا المثال أورده الكرخي تمثيلاً لما قاله في الاستحسان

(والثاني) ان يقول الحنفي : سور سباع الطير نجس ، قياساً على سباع البهائم . وهذا ظاهر الأثر ، ولكنه ظاهر استحساناً ؛ لأن السبع ليس بنجس العين ، ولكن لضرورة تحريم لحمه ، فثبتت نجاسته بمجاورة وطويات لعابه . وإذا كان كذلك فارق الطير ، لأنه يشرب بمنقاره وهو طاهر بنفسه ، فوجب الحكم بطهارة سوره ، لأن هذا أثر قوي وان خفي ، فترجع على الأول ، وان كان أمره جلياً ، والاخذ بأقوى القياسين متفق عليه (والثالث) ان أبا حنيفة قال : إذا شهد أربعة على رجل بالزنا ولكن

(١) قوله « لمبتدع » خبر قوله « فلا حجة »

عين كل واحد غير الجهة التي عينها (الآخر) ، فالقياس ان لا يحد ، ولكن استحسن حده . ووجه ذلك انه لا يحد الا من شهد عليه اربعة . فاذا عين كل واحد دارا ، فلم يأت على كل مرتبة باربعة . لامتناع اجتماعهم على رتبة واحدة . فاذا عين كل واحد زاوية فالظاهر تعدد الفعل ، ويمكن التزاحف .

فاذا قال : القياس ان لا يحد . فمعناه ان الظاهر انه لم يجتمع الاربعة على زاوا واحد ، ولكنه يقول <sup>(١)</sup> في المصير الى الامر الظاهر تفسيق العدول ، فانه ان لم يكن محذورا صار الشهود فسقة ، ولا سبيل الى <sup>(٢)</sup> ما وجدنا الى العدول عنه سبيلا ، فيكون حمل الشهود على مقتضى المدالة عند الامكان يجر ذلك الامكان البعيد . فليس هذا حكما بالقياس ، وانما <sup>(٣)</sup> تمسك باحتمال تلقي الحكم من القرآن ، وهذا يرجع في الحقيقة الى تحقيق مناطه

(والرابع) ان مالك بن انس من مذهبه ان يترك الدليل للعرف ، فانه رد الأيمان الى العرف ، مع ان اللفظة تقتضي في النواظير ما يقتضيه العرف ، كقوله : والله لا دخلت مع فلان بيتا . فهو يحنث <sup>(٤)</sup> بدخول كل موضع يسمى بيتا في اللغة ، والمسجد يسمى بيتا فبحنث على ذلك ، الا ان عرف الناس ان لا يطلقوا هذا اللفظ عليه ، فخرج بالعرف على <sup>(٥)</sup>

مقتضى اللفظ فلا يحنث

(١) ان اسمه ، يقول . فان اذنا اذا ثبت بشهادة من شهدوا به يؤل الامر الى قدره للمشهود عليه وهو فسق . ومبارة كما ترى لانهم لا يتكف (٢) لعلة سقط من هنا لفظ « التفسيق » (٣) لعلة سقط من هنا كلمة « هو » (٤) نص - فحنثنا « فلا يحنث » وهو غلط حقا (٥) لعلة عن

( والخامس ) ترك الدليل لمصلحة ، كما في تضمين الاجير المشترك وان لم يكن صانعا ، فان مذهب مالك في هذه المسئلة على قولين ، كتضمين صاحب الحمام الثياب ، وتضمين صاحب السفينة ، وتضمين الساسرة المشتركين ، وكذلك جمال الطعام — على رأي مالك — فانه ضامن ، ولا حق عنده بالصناع . والسبب في ذلك بعد السبب في تضمين الصناع .

فان قيل : فهذا من باب المصالح المرسله لا من باب الاستحسان . قلنا : نعم ؛ الا انهم صوروا الاستحسان تصور الاستثناء<sup>(٢)</sup> من القواعد ، بخلاف المصالح المرسله . ومثل ذلك يتصور في مسئلة التضمين ، فان الاجراء مؤتمنون بالدليل لا بالبراءة الاصلية ، فصار تضمينهم في حين المستثنى من ذلك الدليل ، فدخلت تحت معنى الاستحسان بذلك النظر ( والسادس ) انهم يحكون الاجماع على ايجاب الغرم على من قطع ذنب بغلة القاضي ، يريدون غرم قيمة الدابة لاقية النقص الحاصل فيها . ووجه ذلك ظاهر ، فان بغلة القاضي لا يحتاج اليها الا للركوب ، وقد امتنع ركوبه لها بسبب فحش ذلك العيب ، حتى صارت بالنسبة الى ركوب مثله في حكم العدم ، فالزموا الفاعل غرم قيمة الجميع . وهو متجه بحسب الفرض الخاص ، وكان الاصل أن لا يغرم الا قيمة ما نقصها القطع خاصة ، لكن استحسننا ما تقدم

وهذا الاجماع مما ينظر فيه ، فان المسئلة ذات قولين في المذهب

(٢) الظاهر ان يقول : صوروا الاستحسان بصورة الاستثناء . — أو — تصوروا

الاستحسان تصور الاستثناء الخ

وغيره ، ولكن الأشهر في المذهب المالكي ما تقدم حسبما نص عليه  
القاضي عبد الوهاب

( والسابع ) ترك مقتضى الدليل في اليسير لتفاهته ونزارته لرفع  
المشقة ، وإيثار التوسعة على الخلق ؛ فقد أجازوا التفاضل اليسير في  
المراطة الكثيرة ، وأجازوا البيع بالصرف إذا كان أحدهما تابعا للآخر ،  
وأجازوا بدل الدرهم الناقص بالوازن<sup>(١)</sup> لزارة ما بينهما . والاصل المنع في  
الجميع ، لما في الحديث من أن الفضة بالفضة والذهب بالذهب مثلا بمثل  
سواء بسواء ، وأن من زاد أو ازداد فقد أربى . ووجه ذلك ان التفاهة في  
حكم العدم ، ولذلك لا تنصرف اليه الاغراض في الغالب ، وان المشاحة  
في اليسير قد تؤدي الى الحرج والمشقة ، وهما مرفوعان عن المكلف  
( والثامن ) أن في العتبية من سماع اصبع في الشريكين يطآن  
الامة في طهر واحد فتأتي بولد فينكر أحدهما الولد دون الآخر - انه  
يكشف منكر الولد عن وطئه الذي أقر به ؛ فان كان في صفته ما يمكن معه  
الاتزال لم يلتفت الى انكاره ، وكان كما لو اشتركا فيه ، وان كان يدعي  
العزل من الوطاء الذي أقر به ، فقال أصبغ : اني أستحسن هاهنا أن ألحقه  
بالآخر ؛ والقياس أن يكونا سواء ، فلعنه غلب ولا يدري . وقد قال -  
عمرو بن العاص في نحو هذا « ان الوكلاء قد يتقلب » - قال -  
والاستحسان هاهنا ان ألحقه بالآخر ، والقياس أن يكونا في العلم قد  
يكون أغلب من القياس ( ؛ ) - ثم حكى عن مالك ما تقدم  
ووجه ذلك ابن رشد بأن الاصل : من وطئ أمته فعزل عنها وأنت  
(١) الوازن ما وزن فعرف أنه تام . يقال : درهم وزن - ووازن - وموزون

الآخر الذي لم يعزل عنها أن يكون الحكم في ذلك بمنزلة ما إذا كانا جميعاً يعزلان أو ينزلان . والاستحسان - كما قال - أن يلحق الولد بالذي ادعاه وأقر أنه كان ينزل ، وتبرأ منه الذي أنكره وادعى أنه كان يعزل ، لأن الولد يكون مع الانزال غالباً ولا يكون مع العزل إلا نادراً ، فيغلب على الظن أن الولد إنما هو للذي ادعاه وكان ينزل ، لا الذي أنكره وهو يعزل ، والحكم بغلبة الظن أصل في الأحكام ، وله في هذا الحكم تأثير ، فوجب أن يصار إليه استحساناً - كما قال أصبغ - وهو ظاهر فيما نحن فيه

(والتاسع) ما تقدم أولاً من أن الأمة استحسنت دخول الحمام من غير تقدير أجره ولا تقدير مدة اللبث ولا تقدير الماء المستعمل . والأصل في هذا المنع ، إلا أنهم أجازوا - كما قال المحتجون على البدع ، بل لا مر آخر هو من هذا القبيل الذي ليس بخارج عن الأدلة ، فأما تقدير العوض فالعرف هو الذي قدره ، فلا حاجة إلى التقدير ، وأما مدة اللبث وقدر الماء المستعمل فإن لم يكن ذلك مقدرًا بالعرف أيضاً فإنه يسقط للضرورة إليه . وذلك لقاعدة فقهية ، وهي أن نفي جميع الفرر في العقود لا يتدر عليه ، وهو يضيق أبواب المعاملات ، وهو تحميم أبواب المفاوضات (؟) ونفي الضرر إنما يطلب تكميلاً ورفعاً لما عسى أن يقع من نزاع ، فهو من الأمور المكتملة ، والتكميلات إذا أفضى اعتبارها إلى إبطال المكملات سقطت جملة ، تحميلاً للمهم - حسباتين في الأصول - فوجب أن يسامح في بعض أنواع الفرر التي لا ينفك عنها ، إذ يشق طلب الاتسكالك عنها ، فسومح المكلف بتيسير الفرر ، لضيق الاحتراز

مع تفاهة ما يحصل من الغرض<sup>(١)</sup> ولم يسامح في كثيره اذ ليس في محل الضرورة، ولعظيم ما يترتب عليه من الخطر، لكن الفرق بين القليل والكثير، غير منصوص عليه في جميع الامور، وانما نهي عن بعض أنواعه مما يعظم فيه الغرر، فجعلت اصولاً يقاس عليها غير القليل اصلاً في عدم الاعتبار وفي الجواز، وصار الكثير في<sup>(٢)</sup> المنع، ودار في الاصلين فروع تعجذب العلماء النظر فيها؛ فاذا قل الغرر وسهل الامر وقل النزاع ومست الحاجة الى المسامحة فلا بد من القول بها، ومن هذا القبيل مسألة التقدير في ماء الحمام ومدة اللبث

قال العلماء ولقد بالغ مالك في هذا الباب وامعن فيه، فجوز أن يستأجر الاجير بطعامه وان كان لا ينضبط مقداراً كاه، ليسار أسرته وخفة خطبه وعدم المشاحة، وفرق بين تطرق يسير الغرر الى الاجل فأجازه، وبين تطرقه للثمرة فشمعه، فقال: يجوز للانسان ان يشتري سلعة الى الحصاد أو الى الجذاذ، وان كان اليوم بهينه لا ينضبط؛ ولو باع سلعة بدرهم أو ما يقاربه لم يجز، والسبب في التفرقة المضايقة في تعيين الاثمان وتقديرها ليست في المرف، ولا مضايقة في الاجل، اذ قد يسامح البائع في التقاضي الايام، ولا يسامح في مقدار الثمن على حال

وبعضه ما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بشراء الابل الى خروج المصدق، وذلك لا يضبط يوماً ولا بعين ساعته ولكنه على التقريب والتسهيل

(١) لعله الغرر أو الضرر (٢) لعل أصله « في حكم المنع - أو - في حيز المنع »

فتأملوا كيف وجه الاستثناء من الأصول الثابتة بالخرج والمشتقة .  
واين هذا من زعم الزاعم أنه استحسان العقل بحسب العوائد فقط ؛  
فتبين لك بون ما بين المتزلتين .

(العاشر) أنهم قالوا : ان من جملة أنواع الاستحسان مراعاة  
خلاف العلماء . وهو أصل في مذهب مالك ينبي عليه مسائل كثيرة  
(منها) ان الماء اليسير اذا حلت فيه النجاسة اليسيرة ولم تُذير احد  
أوصافه أنه لا يتوضأ به بل يتيم ويتركه ؛ فان توضأ به وصلى أعاد مادام في  
الوقت ، ولم يُمد بعد الوقت ؛ وانما قال « يعيد في الوقت » مراعاة لقول  
من يقول : أنه طاهر مطهر . ويروى جواز الوضوء به ابتداءً ، وكان  
قياس هذا القول ان يعيد ابدأ ، إذ لم يتوضأ الا بقاء يصح له تركه  
والانتقال عنه الى التيمم

(ومنها) قولهم في النكاح الفاسد الذي يجب فسخه : ان لم يتفق على  
فساده فيفسخ بطلاق ، ويكون فيه الميراث ، ويلزم فيه الطلاق على  
حده في النكاح الصحيح ؛ فان اتفق العلماء على فساده فسخ بغير طلاق ،  
ولا يكون فيه ميراث ولا يلزم فيه طلاق

(ومنها) مسألة من نسي تكبيرة الاحرام وكبر للركوع وكان مع  
الامام<sup>(١)</sup> ان يتمادى ، لقول من قال : ان ذلك يجزئه . فاذا سلم الامام  
أعاد هذا المأموم . وهذا المسمى كثير جدا في المذهب ؛ ووجهه أنه راعى  
دليل المخالف في بعض الاحوال ، لأنه ترجح عنده ؛ ولم يرجح عنده

(١) سقط من هنا ما يكون به قوله « أن يتمادى » جملة مفيدة ، ولعل أصله :  
وجب - أو - فطيه أن يتمادى

في بعضها فلم يراعه .

ولقد كتبت في مسألة مراعاة الخلاف الى بلاد المغرب والى بلاد افريقية لإشكال عرض فيها من وجهين : احدهما مما يخص هذا الموضوع على فرض صحتها ، وهو ما أصلها من الشريعة وعلني م تبني من قواعد أصول الفقه ؛ فان الذي يظهر الآن ان الدليل هو المتبع فحيثما صار صير اليه ، ومتى رجح للمجتهد احد الدليلين على الآخر - ولو بادني وجوه الترجيح - وجب التعويل عليه وإلغاء ما سواه ، على ما هو مقرر في الاصول ؛ فاذا رجوعه - اعني المجتهد - الى قول الغير إعمال لدليله المرجوح عنده ، وإهمال للدليل الراجح عنده الواجب عليه اتباعه ؛ وذلك على خلاف القواعد .

فأجابني بعضهم باجوبة منها الأقرب والأبعد ؛ إلا أنني راجعت بعضهم بالبحث ، وهو اخي ومفيدني ابو العباس ابن القباب رحمة الله عليه ، فكتب اليّ بما نصه :

« واتضمن الكتاب المذكور عودة السؤال في مسألة مراعاة الخلاف ، وقلتم ان رجحان احدي الامارتين على الاخرى ان تقديمها على الاخرى<sup>(١)</sup> اقتضى ذلك عدم المرجوحة ، طلقاً ، واستشنعتم ان يقول المفتي « هذا لا يجوز » ابتداءً ، وبعد الوقوع يقول بجوازه ، لانه يصير الممنوع اذا فعل جائزاً . وقلتم انه انما يتصور الجمع في هذا النحو في منع التنزيه لامنع التحريم . - الى غير ذلك مما أوردتم في المسئلة .

« وكلها ارادات شديدة صادرة عن قريحة قياسية منكورة



لطريقة الاستحسان ؛ والى هذه الطريقة ميل فحول من الأئمة والنظار ، حتى قال الامام ابو عبدالله الشافعي : من استحسن فقد شرع .

« ولقد ضاقت العبارة عن معنى أصل الاستحسان - كما في علمكم - حتى قالوا : أصح عبارة فيه انه معنى ينقذح في نفس المجتهد تعسر العبارة عنه فاذا كان هذا أصله الذي ترجع فروعه اليه ، فكيف ما يبني عليه ؟ فلا بد ان تكون العبارة عنها أضيق .

« ولقد كنت أقول بمثل ما قال هؤلاء الاعلام في طرح الاستحسان وما بني عليه ، لولا أنه اعتضد وتقوى لوجدنا به كثيراً في فتاوى الخلفاء واعلام الصحابة وجمهورهم مع عدم النكير ، فتقوى ذلك عندي غاية ، وسكنت اليه النفس ، وانشرح اليه الصدر ، ووثق به القلب ، للامر باتباعهم والافتداء بهم ، رضي الله عنهم .

« فمن ذلك المرأة يتزوجها رجلان ولا يعلم الآخر بتقديم نكاح غيره الا بعد البناء ، فأبأنا عليه بذلك عمر ومعاوية والحسن رضي الله عنهم . وكل ما أوردتم في قضية السؤال وارد عليه ، فانه اذا تحقق ان الذي لم يبن هو الاول فدخول الثاني بها دخول بزواج غيره ، وكيف يكون غلطه على زوج غيره مبيحاً على الدوام ، ومصححاً لعقده الذي لم يصادف محلاً ، ومبطلاً لعقد نكاح جمع على صحته ، لوقوعه على وفق الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً ؛ وانما المناسب ان الغلط يرفع عن الغالط الاثم والعقوبة ، لا إباحة زوج غيره دائماً ، ومنع زوجها منها

« ومثل ذلك ما قاله العلماء في مسألة امرأة المفقود : انه ان قدم

المفقود قبل نكاحها فهو احق بها ، وان كان بعد نكاحها والدخول بها

بانت ؛ وان كانت بعد العقد وقبل البناء فقولان ، فانه يقال : الحكم لها بالعدة من الاول ان كان قطعاً لعصمته فلاحق له فيها ولو قدم قبل تزوجها ؛ أو ليس بقاطع للعصمة ، فكيف تباح لغيره وهي في عصمة المفقود ؟

« وما روي عن عمر وعثمان في ذلك أغرب ، وهو أنهما قالوا : اذا قدم المفقود يخير بين امرأته أو صداقها ، فان اختار صداقها بقيت للشاني . فأين هذا من القياس ؟ وقد صحح ابن عبد البر هذا النقل عن الخليفتين عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال بمثل ذلك ، أو أمضى الحكم به ، وان كان الأشهر عنه خلافه . ومثله في قضايا الصحابة كثير من ذلك

« قال ابن المعدل : لو ان رجلين حضرها وقت الصلاة فقام أحدهما فأوقع الصلاة بثوب نجس مجانا (١) . وقعد الآخر حتى خرج الوقت ولا يغيره (٢) (٣) مع نقل غير واحد من الاشياخ الاجماع على وجوب النجاسة (٤) عامداً جمع الناس ان لا يساوي مؤخرها على وجوب النجاسة حال الصلاة (٥) ومن نقله اللحمي والمازري ، وصححه الباجي ، وعليه مضى عبد الوهاب في تلقينه

« وعلى الطريقة التي أوردتم - ان المنهي عنه ابتداءً غير معتبر - اخرى بكون أمر هذين الرجلين بعكس ما قال ابن المعدل ؛ لأن الذي

(١) كذا في الاصل وفيه حذف وتحريف ظاهر وقد وضع فوق ألف « مجانا » ثلاث نقط ، وكلمة « يغيره » يحتمل أن تكون « يقاربه » (٢) لا تزال العبارة مضطربة تدل على الحذف والبت والتصحيف والتحريف .

صلى بعد الوقت قضى ما فرط فيه ، والآخر لم يعمل كما أمر ، ولا قضى شيئاً ؛ وليس كل منهي عنه ابتداءً غير معتبر بعد وقوعه

وقد صحح الدارقطني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها ، فان الزانية هي التي تزوج نفسها » وأخرج أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها « ايما امرأة نكحت بغير إذن موليتها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فان دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها » . فحكم أولاً ببطلان العقد وأكدته بالتكرار ثلاثا ، وسماه زنا . واقل مقتضياته عدم اعتبار هذا العقد جملة . لكنه صلى الله عليه وسلم عقبه بما اقتضى اعتباره بعد الوقوع بقوله « ولها مهرها بما أصاب منها » ومهر البغي حرام

وقد قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ) الآية . ففعل النبي عن استحلاله بابتغائهم فضل الله ورضوانه مع كفرهم بالله تعالى ، الذي لا يصح معه عبادة ، ولا يقبل عمل ؛ وان كان هذا الحكم الآن منسوخا ، فذلك لا يمنع الاستدلال به في هذا المعنى

« ومن ذلك قول الصديق رضي الله عنه : وستجد أقواما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . ولهذا لا يسي الراهب ويترك له ماله أو ما قل منه ، على الخلاف في ذلك ، وغيره ممن لا يقاتل يسي ويملك ، وإنما ذلك لما زعم انه حبس نفسه له ، وهي عبادة الله تعالى . وإن كانت عبادته أبطل الباطل . فكيف يستبعد اعتبار عبادة مسلم على وفق دليل شرعي لا يقطع بخطأ فيه ؛ وان كان يظن ذلك ظنا . وتتبع مثل هذا يطول

« وقد اختلف فيما تحقق فيه نهي من الشارع : هل يقتضي فساد النهي عنه ؛ وفيه بين الفقهاء والاصوليين ما لا يخفى عليكم ، فكيف بهذا ؟ »  
« واذا خرجت المسئلة المختلف فيها الى أصل مختلف فيه ؛ فقد خرجت عن حيز الاشكال ، ولم يبق الا الترجيح لبعض تلك المسائل ؛ ويرجع كلُّ أحد ما ظهر له بحسب ما وُفق له . ولنا كتب بهذا القدر في هذه المسئلة »  
انتهى ما كتب لي به وهو بسط ادلة شاهدة لاصل الاستحسان ، فلا يمكن مع هذا التقرير كله ان يتمسك به من اراد ان يستحسن بغير دليل أصلا

## فصل

فاذا تقرر هذا فنرجع الى ما احتجوا به أولا : فاما من حدة الاستحسان بانه « ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل اليه برأيه » - فكان هؤلاء يرون هذا النوع من جملة أدلة الاحكام ، ولا شك ان العقل يجوز ان يرد الشرع بذلك ، بل يجوز أن يرد بان ما سبق الى أوهم العوام - مثلا - فهو حكم الله عليهم ، فيلزمهم العمل بمقتضاه . ولكن لم يقع مثل هذا ولم يعرف التعبد به لا بضرورة ولا بنظر ولا بدليل من الشرع قاطع ولا مظنون ، فلا يجوز اسناده لحكم الله ؛ لانه ابتداء تشريع من جهة العقل .

وايضا فانا نعلم ان الصحابة رضي الله عنهم حصروا نظرهم في الوقائع التي لا تصرح فيها في الاستنباط<sup>(١)</sup> والرد الى ما فهموه من الاصول الثابتة . ولم يقل أحد منهم : اني حكمت في هذا بكذا لأن طبعي مال اليه ، اولانه  
(١) قوله « في الوقائع » متعلق بنظرهم ، وقوله « في الاستنباط » متعلق بحصروا

يوافق محبتي ورضائي . ولو قل ذلك لاشتد عليه النكير ، وقيل له : من أين لك ان تحكم على عباد الله بمحض ميل النفس وهوى القلب ؟ هذا مقطوع بطلانه

بل كانوا يتناظرون ويعترض بعضهم بعضاً على مأخذ بعض ، ويحصرون ضوابط الشرع

وأيضاً فلو رجع الحكم الى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة ، لأن الناس تختلف أهواؤهم واغراضهم في الاطعمة والاشربة واللباس وغير ذلك ، ولا يحتاجون الى مناظرة بعضهم بعضاً : لم كان هذا الماء اشهى عندك من الآخر ؟ والشريعة ليست كذلك

على ان ارباب البدع العملية اكثرهم لا يحبون ان يناظروا احدا . ولا يفتخون علما ولا غيره فيما يتبعون ، خوفا من الفضيحة ان لا يجدوا مستندا شرعيا . وانما شأنهم اذا وجدوا علما أو لقوه ان يصانعوا ، واذا وجدوا جاهلا عاميا ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالات ، حتى يزلوهم ويخلطوا عليهم ، ويابسوا دينهم . فاذا عرفوا منهم الحيرة والالتباس ، ألقوا اليهم من بدعهم على التدرج شيئا فشيئا ، وذموا أهل العلم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها ، وان هذه الطائفة هم أهل الله وخاصته . وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد على ما يلقون اليهم ، حتى يهوا بهم في نار جهنم . وأما ان يأتوا الامر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين فلا

وتأمل ما نقله الغزالي في استدراج الباطنية غيرهم الى مذهبهم ، تجدهم لا يعتمدون الا على خديعة الناس من غير تقرير علم ، والتحليل عليهم

بأنواع الحيل ، حتى يخرجوهم من السنة ، أو من الدين جملة . ولولا الإطالة  
لأثبت بكلامه ، فطالعه في كتابه (فضائح الباطنية)



وأما المد الثاني فقد رده به لو فتح هذا الباب لبطلت الحجج  
وادعى كل من شاء ما شاء ، واكتفى بمجرد القول ، فأجأ الخصم الى  
الابطال . وهذا يجر فسادا لاخفاء له . وان سلم فذلك الدليل ان كان  
ناسدا فلا عبرة به ، وإن كان صحيحا فهو راجع الى الادلة الشرعية فلا  
ضرر فيه

وأما الدليل الاول فلا متعلق به ، فان أحسن الاتباع الينا تابع الادلة  
الشرعية ، وخصوصا القرآن فان الله يقول (الله نزل أحسن الحديث كتابا  
متشابها) الآية . وجاء في صحيح الحديث - خرج به مسلم - ان النبي صلى  
الله عليه وسلم قال في خطبته « أما بعد فإحسن الحديث كتاب الله »  
فيفتقر أصحاب الدليل ان يبينوا أن ميل الطباع او اهواء النفوس مما  
انزل الينا ، فضلا عن ان يكون من أحسنه .

وقوله (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) الآية يحتاج الى  
بيان ان ميل النفوس يسمى قولا . وحينئذ ينظر الى كونه أحسن القول  
كما تقدم . وهذا كله فاسد

ثم انا نعارض هذا الاستحسان بان عقولنا تميل الى ابطاله ، وانه  
ليس بحجة ؛ وانما احجة الادلة الشرعية المتلقاة من الشرع  
وأياضا فيلزم عليه استحسان العوام ومن ليس من أهل النظر ،  
( المنار - ج ١٢ ) ( ١١٨ ) ( المجلد السابع عشر )

إذا فرض أن الحكم يتبع مجرد ميل النفوس وهووى الطباع، وذلك محال؛  
 للعلم بأن ذلك مضاد للشريعة، فضلاً عن أن يكون من أدلتها  
 وأما الدليل الثاني فلا حجة فيه من أوجه (أحدها) أن ظاهره  
 يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، والامة لا تجتمع على باطل.  
 فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعاً، لأن الاجماع يتضمن  
 دليلاً شرعياً، فالحديث دليل عليكم لاكم.

(والثاني) انه خبر واحد في مسألة قطعية فلا يسمع

(والثالث) انه اذا لم يرد به أهل الاجماع واريد بعضهم فيلزم عليه  
 استحسان العوام، وهو باطل باجماع. لا يقال: ان المراد استحسان  
 أهل الاجتهاد؛ لانا نقول: هذا ترك للظاهر، فيبطل الاستدلال. ثم انه  
 لا فائدة في اشتراط الاجتهاد، لان المستحسن بالفرض لا ينحصر في  
 الادلة، فاي حاجة الى اشتراط الاجتهاد؟

فان قيل: انما يشترط حذراً من مخالفة الادلة فان المامي لا يعرفها  
 قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الادلة، بدليل ان الصحابة روي  
 الله عنهم قصروا احكامهم على اتباع الادلة وفهم مقاصد الشريعة  
 فالحاصل ان تعلق المتدعة بمثل هذه الامور تعلق بمسألة لا  
 ولا يفهم البتة، لكن ربما يتعلقون في آحاد بدعتهم بأحاد شريعة  
 في مواضعها ان شاء الله. ومنها ما قد مضى.

### فصل

فان قيل: أفليس في الاحاديث ما يدل على الرجوع الى ما وقع  
 القلب ويجري في النفس، وان لم يكن ثم دليل صريح على حكمه؟

أحكام الشرع ، ولا غير صريح ؛ فقد جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فان الصدق طمأنينة والكذب ريبة »

وخرج مسلم عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه » وعن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله ما الايمان ؟ قال « اذا مرتك حسناتك وساءتكم سيئاتك فأنت مؤمن — قال : يا رسول الله ؛ فما الاثم ؟ قال — اذا حاك شيء في صدرك فدعه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وعن وابصة رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « يا وابصة ! استفت قلبك واستفت نفسك ؛ البر ما اطأنت اليه النفس واطأنت اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان أفنأك الناس وأفتوك » وخرج البخاري في معجمه عن عبد الرحمن بن معاوية : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ما يحل لي مما يحرم علي ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه ثلاث مرات ، كل ذلك يسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال « ابن السائل ؛ — فقال أنا ذا يا رسول الله . فقال ونقر بأصبعه — ما أنكر فوك فدعه »

وعن سيد الله قال : الاثم حواز القلوب ، فما حاك من شيء في قلبك فانه ريب . فيه نظرة فان للشيطان فيه مطمعا . وقال أيضاً : الحلال



بين والحرام بين وبينها أمور مشتبهات ، فدع ما يريك الى ما لا يريك .  
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : ان الخير طمأنينة ، وان الشر ريبة ؛ فدع  
ما يريك الى ما لا يريك . وقال شريح : دع ما يريك الى ما لا يريك ،  
فوالله ما وجدت فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله .

فهذه صهر من مضاهي الرجوع في جملة من الاحكام الشرعية لي ما يقع  
بالقلب ويهيجس بالنعفس ويعرض بالخطاير ، وانه اذا اطمانت النفس اليه  
فالاقدام عليه صحيح ، واذا توقفت أو ارتابت فالاقدام عليه محظور ، وهو  
عين ما وقع انكاره من الرجوع الى الاستحسان الذي يقع بالقلب ويميل  
اليه الخطاير ، وان لم يكن ثم دليل شرعي ، فانه لو كان هنالك دليل شرعي  
أو كان هذا التقرير مقيدا بالأدلة الشرعية لم يحل به على ما في النفوس  
ولا على ما يقع بالقلوب ، مع انه عندكم عبث وغير مفيد ، كمن يحيل  
بالاحكام الشرعية على الامور الوفاقية ، أو الافعال التي لا ارتباط بينها  
وبين شرعية الاحكام . - فدل ذلك على ان لاستحسان العقول وميل  
النفوس أثرًا في شرعية الاحكام ، وهو المطلوب .

\*

والجواب : ان هذه الاحاديث وما كان في معناها قد زعم الطبري  
في تهذيب الآثار ان جماعة من السلف قالوا بتصحيحها ، والعمل بما دل  
عليه ظاهرها . وتى بالآثار المقدمة عن عمر وابن مسعود وغيرهما ؛ ثم  
ذكر عن آخرين القول بتوهينها وتضعيفها وإحالة معانيها .  
وكلامه وترتيبه بالنسبة الى ما نحن فيه لا يثق ان يؤتى به على وجهه ،  
فانبت به على تحري معناه دون لفظه لطوله ؛ فحكى عن جماعة انهم

قالوا: لا شيء من امر الدين الا وقد بينه الله تعالى بنص عليه أو بمعناه، فان كان حلالا فعلى العامل به اذا كان عالما تحليله، أو حراما فعليه تحريمه، أو مكروها غير حرام فعليه اعتقاد التحليل أو الترك تنزيها

فاما العامل بحديث النفس والمعارض في القلب فلا، فان الله حظر ذلك على نبيه فقال (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله) فامرهم بالحكم بما اراه الله لا بما رآه وحدثته به نفسه، فقهره من البشر أولى ان يكون ذلك محظورا عليه. وأما ان كان جاهلا فعليه مسألة العلماء دون ما حدثته نفسه.

وقيل عن عمر رضي الله عنه انه خطب فقال: ايها الناس! قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، ان تضلوا بالناس يميناً وشمالاً<sup>(١)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كان في القرآن من حلال أو حرام فهو كذلك، وما سكت عنه فهو مما عفي عنه.

وقال مالك: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم هذا الامر واستكمل، فينبغي ان تتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا يتبع الرأي، فانه من اتبع الرأي جاءه رجل آخر أقوى في الرأي منه فاتبعه، فكما غلبه رجل اتبعه، ارى ان هذا بعد لم يتم. واحملوا من الآثار بما روي عن جابر رضي الله عنه: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بهدي اذا اعتصمتم به: كتاب الله وسنتي ولن يتفرق حتى يردا علي الحوض»<sup>(٢)</sup>

(١) اي كراهة ان تضلوا - أو اتقاء ان تضلوا. (٢) لا أعرف الحديث بهذا للفظ عن جابر وهو مروري عنه بالفاظ أقربها الى ما هنا بما رواه ابن ابي شيبة =

٩٤٢ حصر العمل في الكتاب والسنة . وحديث العترة بدل السنة (المنار - ج ١٢ م ١٧)

وروي عن عمرو بن . . . . . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وهم يجادلون في القرآن ، تفرج وجهه أحمر كالدّم فقال <sup>(١)</sup> « يا قوم ! على هذا ملك من كان قبلكم ، جادلوا في القرآن وضربوا بعضه ببعض ؛ فما كان من حلال فاعملوا به ، وما كان من حرام فاتموا عنه ، وما كان من متشابه فآمنوا به »

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه يرفعه قال : ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته ، فان الله لم يكن لينسى شيئاً (وما كان ربك نسياً) قالوا : فهذه الاخبار ورويت بالعمل بما في كتاب الله ، والإعلام بان العامل به لن يضل ، ولم يأذن لأحد في العمل بمعنى ثالث غير ما في

= والخطيب في المتفق والمفترق عنه وهو « تركت فيكم ما لن تضلوا ان اعتمستم به - كتاب الله وعترتي اهل بيتي » ورواه الترمذي والنسائي عنه بلفظ « يا ايها الناس اني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » والحديث مروى بلفظ العترة بدل السنة عن كثير من الصحابة منهم زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وابو سعيد الخدري . وروي عن أبي هريرة بلفظ السنة بدل العترة . وفي كلا السياقين لفظ « لن يفترقا حتى بردا علي الحوض » والجمع بينهما في المعنى ان عترته اهل بيته يحافظون على سنته . أي لا يخلو الزمان عن قدوة منهم يقيمون سنته لا يتنبه عنها التقليد ولا الابتداع ولا الفتن .

(١) كذا في الاصل والحديث اخبرجه نصر المقدسي في الخجة عن ابن عمر قال : خرج رسول الله عليه وسلم ومن وراءه حجرة قوم يتجادلون بالقرآن ، تفرج شجرة وجنتاه كأنما تقطران دماً فقال : « يا قوم ! لا تجادلوا بالقرآن ، فانما ضل من قبلكم بجدالهم ، ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، وانزل يصدق بعضه بعضاً ، فما كان من محكمه فاعملوا به ، وما كان من متشابهه فآمنوا به »

الكتاب والسنة ، ولو كان ثم ثالث لم يدع بيانه ، فدل على ان لا ثالث ؛  
ومن ادعاه فهو مبطل .

قالو — فان قيل : فانه عليه السلام قد سن لامته وجهها ثالثا وهو قوله  
« استفت قلبك » وقوله « الأئم حواز القلوب » الى غير ذلك . قلنا :  
لو صحت هذه الاخبار لكان ذلك ابطالا لأمره بالعمل بالكتاب والسنة -  
اذ صحا مما ، لان احكام الله ورسوله لم ترد بما استحسنته النفوس  
واستقبلته ، وانما كان يكون وجهها ثالثا لو خرج شيء من الدين عنهما ،  
وليس بخارج ؛ فلا ثالث يجب العمل به .

فان قيل : قد يكون قوله « استفت قلبك » ونحوه اصرامن ليس  
في مسئلته نص من كتاب ولا سنة ، واختلفت فيه الامة ، فيعد وجهها  
ثالثا . قلنا : لا يجوز ذلك لامور

( احدها ) ان كل ما لا نص فيه بعينه قد نصبت على حكمه دلالة ،  
فالو كان فتوى القاب ونحوه دليلا لم يكن لنصب الدلالة الشرعية عليه  
معنى ، فيكون عبثا ، وهو باطل

( والثاني ) ان الله تعالى قال ( فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله  
والرسول ) فاصر المتنازعين بالرجوع الى الله والرسول دون حديث النفوس  
وفتيا القلوب

( والثالث ) ان الله تعالى قال ( فاسألوا اهل الذكر ان كنتم  
لا تعلمون ) فاصرهم بمسئلة اهل الذكر لينخبروهم بالحق فيما اختلفوا فيه  
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمرهم ان يستفتوا في ذلك انفسهم  
( والرابع ) ان الله تعالى قال لتبیه احتجاجا على من انكروا وحدانيته

( افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؛ ) الى آخرها . فامرهم بالاعتبار بعبودية ، والاستدلال بادلته . على صحة ما جاءهم به ، ولم يأمرهم ان يستفتوا فيه نفوسهم ، ويصدروا عما اطأنت اليه قلوبهم ؛ وقد وضع الاعلام والادلة ، فالواجب في كل ما وضع الله عليه الدلالة ان يستدل بادلته على ما دلت ، دون فتوى النفوس وسكون القلوب من أهل الجهل باحكام الله هذا ما حكاه الطبري عن تقدم ، ثم اختار أعمال تلك الاحاديث ، بما لانا صحت عنده أو صحح منها عنده ما تدل عليه معانيها ، كحديث « الحلال بين والحرام بين » الى آخر الحديث ، فانه صحيح خرجه الامامان . ولكنه لم يعملها في كل من ابواب التمسك ، اذ لا يمكن ذلك في تشريع الاعمال واحداث التعبدات ؛ فلا يقال بالنسبة الى احداث الاعمال : اذا اطأنت نفسك الى هذا العمل فهو بر ، أو : استفت قلبك في احداث هذا العمل ، فان اطأنت اليه نفسك فاعمل به والا فلا .

وكذلك في النسبة الى التشريع التركي ، لا يتأتى تنزيل معاني الاحاديث عليه بان يقال : ان اطأنت نفسك الى ترك العمل الفلاني فاتركه ، والا فدمه . أي فدح الترك واعمل به . وانما يستقيم أعمال الاحاديث المذكورة فيما عمل فيه قوله عليه السلام « الحلال بين والحرام بين » الحديث وما كان من قبيل العادات من استعمال الماء والطعام والشراب والنكاح واللباس ، وغير ذلك مما في هذا المعنى ، فمنه ما هو بين الحلية ، وما هو بين التحريم ، وما فيه اشكال - وهو الامر المشتبه الذي لا يدري أحلال هو أم حرام - فان ترك الاقدام اولى من الاقدام مع جهله بحاله نظير قوله عليه السلام « اني لأجد الخمر ساقطة على فراشي ، فلولا

أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها» (١) فهذه التمرة لا شك  
إنها لم تخرج من إحدى الحالين : إما من الصدقة وهي حرام عليه ، وإما  
من غيرها وهي حلال له ، فترك أكلها حذرا من أن تكون من الصدقة في  
نفس الأمر

قال الطبري - فكذلك حق الله على العبد فيما اشبهه عليه مما هو في  
سعة من تركه والعمل به ، أو مما هو غير واجب - أن يدع ما يربيه فيه إلى  
مالا يربيه ، إذ يزول بذلك عن نفسه الشك ، كمن يريد خطبة امرأة فتخبره  
امرأة أنها قد أرضعته وأياها ولا يعلم صدقها من كذبها ، فإن تركها أزال  
عن نفسه الريبة اللاحقة له بسبب اخبار المرأة ، وليس تزوجه أياها  
بواجب بخلاف ما لو أقدم ، فإن النفس لا تطمئن إلى حلية تلك الزوجة .  
وكذلك قول عمر إنما هو فيما شكك امره في البيوع فلم يشر حلال هو أم  
حرام ؛ ففي تركه سكون النفس وطأ نية القلب ، كما في الإقدام شك :  
هل هو أم لا ؛ وهو معنى قوله عليه السلام للنواص ووابنة رضي الله  
عنها . ودل على ذلك حديث المشتبهات ؛ لا ما ظن أولئك من أنه أمر للجبال  
أن يعملوا بما رأته أنفسهم ، ويتركوا ما استبحوه دون أن يسألوا علماءهم  
قال الطبري - فإن قيل : إذا قال الرجل لامرأته : أنت علي حرام .  
فسأل العلماء فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : قد بان منك بالثلاث .  
وقال بعضهم : إنها حلال غير أن عليك كفارة يمين . وقال بعضهم :  
ذلك إلى نيتك إن أراد الطلاق فهو طلاق ، أو الظهار فهو ظهار ، أو يمينا

(١) كان الحديث محرقا محرقا مضمرا للمعنى

فهو يمين ، وان لم ينو شيئاً فليس بشيء : ايكون هذا اختلافاً في الحكم  
 كاخبار المرأة بالرضاع فيؤمر هنا بالفراق ، كما يؤمر هناك ان لا يتزوجها  
 خوفاً من الوقوع في المحذور؛ او لا ؟ قيل : حكمه في مسألة العلماء ان يبحث  
 عن احوالهم وامانتهم ونصيحتهم ثم يقلد الارجح . فهذا ممكن ؛ والحزاة  
 مرتفعة بهذا البحث ؛ بخلاف ما اذا بحث مثلاً عن احوال المرأة فان  
 الحزاة لا تزول ، وان اظهر البحث ان احوالها غير حميدة ؛ فهما  
 على هذا مختلفان . وقد يتفقان في الحكم اذا بحث عن العلماء فاستوت  
 احوالهم عندهم ، لم يثبت له ترجيح لاحدهم ؛ فيكون السمل المأمور به من  
 الاجتناب كالمعمول به في مسألة المخبرة بالرضاع سواء ، اذ لا فرق بينهما  
 على هذا التقدير . انتهى معنى كلام الطبري .

وقد اثبت في مسألة اختلاف العلماء على المستفتي أنه غير مخير ، بل  
 حكمه حكم من التمس عليه الامر فلم يدر أحلاله سواء حرام ، فلا خلاص  
 له من الشبهة الا باتباع أفضلهم والعمل بما أفتى به ، والا فالترك ، اذ  
 لا تطمئن النفس الا بذلك ، حسبما اقتضته الاولة المتقدمة .

### فصل

ثم يبقى في هذا الفصل الذي فرغنا منه اشكال على كل من اختار  
 استفتاء القلب مطلقاً أو بقيد ، وهو الذي رآه الطبري . وذلك ان حاصل  
 الامر يقتضي ان فتاوى القلوب وما اطأنت اليه النفوس معتبر في  
 الاحكام الشرعية ، وهو التشريع بعينه ؛ فان طأنته النفس وسكون  
 القلب مجردا عن الدليل - إما أن تكون معتبرة أو غير معتبرة شرعاً ؛  
 فان لم تكن معتبرة فهو خلاف ما دللت عليه تلك الاخبار ، وقد تقدم

أنها معتبرة بتلك الأدلة . وإن كانت معتبرة فقد صار ثم قسم ثالث غير الكتاب والسنة ، وهو غير ما نفاه الطبري وغيره

وإن قيل : أنها تعتبر في الأحكام دون الإقدام . لم تخرج تلك عن الأشكال الأولى ، لأن كل واحد من الإقدام والأحكام فعل لا بد أن يتعلق به حكم شرعي ، وهو الجواز وعدمه ، وقد علق ذلك بطأ نية النفس أو عدم طأ نيتها . فإن كان ذلك عن دليل ، فهو ذلك الأول بعينه باق على كل تقدير والجواب أن الكلام الأول صحيح ، وإنما النظر في تحقيقه :

فاعلم أن كل مسألة تفتقر إلى نظرين : نظري دليل الحكم ونظري مناطه . فأما النظري دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلا من الكتاب والسنة ، أو ما يرجع إليهما من إجماع أو قياس أو غيرهما ، ولا يعتبر فيه طأ نية النفس ، ولا نفي ريب القلب ، لا من جهة اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل <sup>(١)</sup> ولا يقول أحد الأهل البدع الذين يستحسنون الأمر بأشياء لا دليل عليها ، أو يستحبون كذلك من غير دليل إلا طأ نية النفس <sup>(٢)</sup> إن الأمر كما زعموا ، وهو مخالف لإجماع المسلمين وأما النظر في مناط الحكم ، فإن المناط لا يلزم منه أن يكون ثابتاً بدليل شرعي فقط ، بل يثبت بدليل غير شرعي أو بغير دليل ، فلا يشترط فيه بلوغ درجة الاجتهاد ، بل لا يشترط فيه العلم فضلاً عن درجة الاجتهاد . الأثرى إن المعاني إذا سأل <sup>(٣)</sup> عن الفعل الذي ليس من جنس الصلاة إذا

(١) يظهر أنه سقط من هذا الموضع مقابل « لا » فإن اعتقاد كون الدليل دليلاً أو غير دليل أمر واحد أو جهة واحدة . ولتأمل قوله « ولا يقول أحد » الخ ولعله قد سقط منه شيء أيضاً (٢) لعله « سئل »



فعله المصلي: هل تبطل به الصلاة أم لا؟ فقال العامي: ان كان يسيرا ففتنر، وان كان كثيرا فبطل. لم يفتنر في اليسير الى أن يفتنر له العاطل. بل العاطل يفرق بين الفعل اليسير والكثير. فقد انبى هاهنا الحكم وهو البطلان أو عدمه على ما يقع بنفس العامي، وليس واحدا من الكتاب أو السنة، لانه ليس ما وقع بقلبه دليلا على حكم، وانما هو مناط الحكم، فاذا تحقق له المناط بأي وجه تحقق فهو المطلوب، فيقع عليه الحكم بدليله الشرعي وكذلك اذا قلنا بوجود الفور في الطهارة، وفرقنا بين اليسير والكثير في التفريق الحاصل أثناء الطهارة، فقد يكتفي العامي بذلك حسبما يشهد قلبه في اليسير أو الكثير، فتبطل طهارته او تصح بناء على ذلك الواقع في القلب، لانه نظر في مناط الحكم

فاذا ثبت هذا فن ملك لحم شاة ذكية حل له اكله، لان حليته ظاهرة عنده اذا حصل له شرط الحلية لتحقق مناطها بالنسبة اليه. او ملك لحم شاة ميتة لم يحل له اكله لان تحريمه ظاهر من جهة فقده شرط الحلية، فتحقق مناطها بالنسبة اليه. وكل واحد من المناطين راجع الى ما وقع بقلبه، واطمأنت اليه نفسه، لا بحسب الامر في نفسه، ألا ترى ان اللحم قد يكون واحدا بعينه فيعتقد واحد حليته بناء على ما تحقق له من مناطها بحسبه، ويمتد آخر تحريمه بناء على ما تحقق له من مناطه بحسبه، فإكل أحدهما حلالا ويجب على الآخر الاجتناب لانه حرام؛ ولو كان ما يقع بالقلب يشترط فيه ان يدل عليه دليل شرعي لم يصح هذا المثال وكان محالا، لأن ادلة الشرع لا تناقض أبدا. فاذا فرضنا لهما أشكل على

المالك تحقيق مناطه لم<sup>(١)</sup> ينصرف الى احدى الجهتين ، كاختلاط الميتة بالذكية ، واختلاف الزوجة بالاجنبية

فها هنا قد وقع الريب والشك والاشكال والشبهة . وهذا المناط محتاج الى دليل شرعي يبين حكمه ، وهي تلك الاحاديث المتقدمة ، كقوله «دع ما يريبك الى ما لا يريبك» وقوله «البر ما اطأنت اليه النفس ، والاشم ما حاك في صدرك» كأنه يقول اذا اعتبرنا<sup>(٢)</sup> باصطلاحنا: ما تحققت مناطه في الحلية أو الحرمة فالحكم فيه من الشرع بين ، وما أشكل عليك تحقيقه فآزره واياك والتلبس به ، وهو معنى قوله - ان صح - «استفت قلبك وان أفنوك» فان تحقيقك لمناط مسائلتك أخص بك من تحقيق غيرك له اذا كان مثلك . ويظهر ذلك فيما اذا أشكل عليك المناط ولم يشكل على غيرك ، لانه لم يعرض له ما عرض لك . وليس المراد بقوله «وان أفنوك» أي ان تقاوا لك الحكم الشرعي فآزره وانظر ما يفتيك به قلبك ، فان هذا باطل ، وتقول على التشريع الحق . وانما المراد ما يرجع الى تحقيق المناط نعم قد لا يكون ذلك درية<sup>(٣)</sup> أو انسا بتحقيقه فيحققه لك غيرك ، وتقلده فيه ؛ وهذه الصورة خارجة عن الحديث ؛ كما انه قد يكون تحقيق المناط أيضاً موقوفاً على تعريف الشارع ، كحد الفنى الموجب لازكاة ، فانه يختلف باختلاف الاحوال ، فحققه الشارع بعشرين ديناراً ومائتي درهم

(١) هذا جواب «قذا» وكان في الاصل مقروناً بالفاء (٢) اهل أصله «عبرنا» من التعبير (٣) في الاصل «ذريعة» وقد جعل فوقها علامة الترميز وأصلحت فصارت «درية» والدرية اصلها دريئة وهي الحلقة التي يتعلم بها الطعن وما يختل الصائد به الصيد والظاهر ان يكون اصله : قد لا يكون لك دراية او أنسى بحقيقته

وأشبه ذلك ؛ وإنما النظر هنا فيما وكل تحقيقه الى المكلف .  
 فقد ظهر معنى المسألة وان الاحاديث لم تتعرض لاقتناص الاحكام  
 الشرعية من طمأينة النفس أو ميل القلب كما أورده السائل المستشكل ،  
 وهو تحقيق بالغ . والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

## الحرب المدنية الكبرى

بلغ العالم المدني في العلوم والصناعات وشؤون الاجتماع شأوا لم تعرف له  
 الأرض نظيرا ، فرماها بقاصمة من الحرب المدنية لم تر لها نظيرا ، فهذه الحرب تشغل  
 اليوم عقول الأمم في العلم والمدنية وجميع قواهم وجوارحهم وما كسبته في  
 لايام الخالية من علم ومال ، وما أنشأته من الآلات وعُدده القتال ، في انتقام عدة أمم  
 ودول من أمم ودول أخرى ، وكل دولة مقاتلة تتوسل الى من بقي على الحياد من  
 الدول لتجذبها اليها وتجعلها من أحزابها ، فلو نال كل فريق من المقاتلين ما يتمناه  
 من مساعدة غيره لاحتقرت الأرض كلها بنار هذه الحرب ، وكان البشر كلهم  
 حولها كالغراش يتهافتون فيها

له فكر كل امرئ من الناس بكنهه هذه الحرب ونكباتها وشرورها ، وما تصبه  
 في كل ساعة بل في كل دقيقة بل في كل ثانية من أصوات العذاب وصواعق  
 النكال على الألوف من اخوانه البشر ، وما يخسره العالم بقصد من تصعقهم من  
 العلماء والحكام والصناع والزراع ، وأرباب البيوت الذين خلفوا وراءهم نساء  
 وأطفالا لا عائل لهم من دولهم - لو فكر كل امرئ في ذلك وأعطاه حته من  
 التصور والتدبير لاضطرب قلبه ، وحار لبه ، وسالت عبرته ، وعظمت عبرته ، ولكن

شغل كل امرئ ما أصابه أو يتوقع ان يصيبه من شر هذه الحرب عما أصاب غيره  
وقلما يوجد أحد في الأرض آمن من مصائبها ، وما جعل الله لرجل من قلوبين في  
جوفه

إن أبعاد الناس عن مواقع القتال وأقربهم الى الأمان على أنفسهم من نيران  
مدافعها وبنادقها وأسننة حرابها ، لهم فيما شواغل أخرى بما قصصته من مكاسبهم ،  
وما قطعته من موارد أرزاقهم ، فقد اضطربت المعاملات المالية في العالم كله منذ  
بدأت ، لأن هذه الدول التي أشعلت نارها هي القائمة بمعظم تجارة العالم ، والصناعة  
لا كثر ما عونه ولباسه وسائر أدوات عمله ، وما هذا الشاغل عند الاكثرين  
الا دون ما لكل منهم من الضلع والميل الى أحد الفريقين المتحاربين على الآخرة  
قبرى أمثال هؤلاء أكثر تفكيراً في عاقبة الاحلاف المحاربة من التفكير في عاقبة  
أمر أنفسهم في معاشهم وموارد رزقهم ورزق من يعولونه ، لهوى لهم في ذلك  
يرضونه ، أو نفع من ورائه يرجونه

هذا وان الناس يزنون أخبار الحرب بموازين أهوائهم ، ويحكمون في عواقبها  
بأمانهم لا بأرائهم ، فحكمهم هذا لا يتوقف على معرفة أخبارها الصادقة ، ولا على  
كثرة قوات الدول المحتربة . على ان من هذه القوات ما هو معلوم بالتواتر  
أو الاستفاضة لا يحاري فيه أحد من عوام الناس - دع خواصهم - ومنه ان دولة  
انكلترة أقوى دول الأرض في البحر ، وان دولة ألمانيا أقواهن في البر ، وثانيتين  
في البحر ، واختلف الناس في المفاضلة بين الدول في الأساطيل الجوية ، فذهبت  
الصحف عندنا الى أن فرنسا صاحبة السبق في هذا المضمار وان لها القدر المثل فيه ،  
ثم ظهر أن ألمانيا هي المبرزة فيه ، كما كنا نظن وفاقا لكثير من الناس . بل  
المعلوم بالأجمال عند جماهير الناس في الغرب وأكثر المتعلمين في الشرق أن ألمانيا  
أشد الدول استعدادا للحرب واتقاناً لنظامها وعددها وكواعبها ، وانه لولا أن انكلترة  
تكثرت في أساطيل البحر . لما لها في ذلك من السبق ، لسهل عليها ان تسود الأمم  
كلها بقوتها

هذا وان جميع الدول الأوربية متقاربة في الاستعداد للقتال ، وقبلما تسبق واحدة الى اختراع شيء أو أحداث عدة أو انشاء حصن وتستطيع إخفائه زما طويلا عن غيرها ، فان لكل منهن عيوننا اجد ابصارا من زرقاء اليمامة ، وأشد استرقا للسمع من الشياطين ، ولكل من فنون العلم ودور الصناعات ما يمكنه من مساواة الآخرين في الاستعداد الذي يحتاج اليه لحماية حقيقته ، وحفظ مكائنه ، ولم يكن يبقى للسابقين من مزية على اللاحقين في شيء بل صار الاول آخرًا وعاد البدء ثانيا في كثير من الشؤون ، حتى خيف بعد تلك المساواة أو المقاربة في العلم والعمل ان يستعلي شعب واحد على شعوب أوربة كلها فيسود بذلك العالم كله الفرنسيين اذكى الأوربيين أذهانا ، وأشدهم إقداما ، وأسبقهم الى المحامد يديا ولسانا ، والانكليز أرجح الشعوب أحلاما ، وأشدهم حصافة وإحكاما ، وأمثلهم سياسة وأعدلم أحكاما . فلماذا سبق هذان الشعبان جميع الشعوب الى استعمار الممالك ، والاستمتاع بثروة الامم في المغرب والمشرق ، وقد تنافسا وتناظرا ، وتنازلا وتصارولا ، فكان الفلج والظفر لأهل الأناة والروية ، على أهل الذكاء والاريجية ، وبذلك كان للانكليز المقام الأعلى في العالم منذ عدة أجيال ، ويليهم الفرنسيين في الثروة والاستعمار

ثم نبغ الألمان وبرعوا في جميع العلوم والاعمال والصناعات والتجارة حتى بدأوا الفرنسيين والانكليز في ذلك فصار الماء النسي في ثروتهم اعلى من مثله في ثروة أولئك وخيف ان يصير اللاحق سابقا ، والثنيان بدءا . واشتدت المناظرة ، حتى أفضت الى هذه الحرب الحاضرة

وأما سائر الدول والامم المحاربة مع هؤلاء فهي إما حاربت بالتبع لها واقواهن الروسية ، فهي شديدة الاسر ، راسخة الأصل ، نامية الفرع ، غزيرة العدد ، وافرة المدد ، ولو كان شعبها كالألمان في العلوم والفنون ، لسادت الناس اجمعين ، ولكنها دون النمسة وايطالية في العلم والصناعة ، وفوق الدولة العثمانية التي فتمت من المدنية الأوربية بتقليد الأوربيين في ظواهر النظام والزي وأساليب المعيشة ،

دون العلوم والفنون التي ترقى الصناعة والزراعة والتجارة ، وتحمي الثروة وتغنيها عن  
الاجانب فيما يحتاج اليه من أسباب القوة ، وأقله معامل السلاح والفخيرة  
ولولا ان الامة العثمانية حربية بالطبع ، ولولا موقع عاصمتها الذي تنافس فيه  
ونحاسد عليه أقوى دول الارض ، فلم يسمح به بعضن لبعض ، ولولا مكاتبا من  
نفوس الشعوب الاسلامية ، التي كانت توادها لاجله الدولة البريطانية - لولا  
ذلك كله لاسرعت الدول الكبرى في الاجهاز عليها ، بدلا من هذه المطاولة بتقصها  
من أطرافها ، والاكتفاء بفتح النفوذ الاقتصادي والسياسي في أحشائها .

ولا يسع الباحث ان يغفل عن سائر الدول الصغرى التي اشتعلت نار الحرب  
في بلادها أولا ، وهي الصرب والجبل الأسود وبلجيكة ، فجيوش لاتفضله جيوش  
الدول الكبرى في الشجاعة ، والبلجيكيون من أرقى الشعوب في العلم والصناعة والتجارة  
فجملة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكة  
والصرب والجبل الأسود أكثر من ألمانية والنمسة والعثمانية رجلا ومالا وأساطيل  
بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول  
الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوربة  
كلها وتتنصر عليها

بيد أن هذا السبق في الاستعداد ، ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات ،  
بل يمكن لدول الاحلاف أن يلحقوها به ، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة  
فاصلة في فرنسة . أما اذا وقف مدها عند تدويج بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى  
بضع ولايات من شمال فرنسة وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ،  
فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم  
الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر

فمحل الرجاء للحلفاء إنما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالأكثر منهم حصي وأمنيا العزة للكاهن

أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجح الا من قبل بريطانيا

المعظمي لأن الفرنسيين قد بدلوا كل ما في وسعهم ، والروس - وإن كانوا أكثر عددا - لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعماهم ومالهم ، وليس عندهم جنديّة اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وإنما يهز عليهم التعجيل بإيجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرآة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشر ناظر الحربيّة القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب ثلاث سنين

بين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلي للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عمهم الألمان ، وسائر الدول تبع لها في علها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها . دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترا أو لالمانية لا لمحالة ، ويكون احلافهما تبعهما . فتكون لانكلترا اذا فازت هي واحلافها بالنصر التام لا يتم لن يناووا ذلك الا بها ، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها ، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثيلها في وقت من الاوقات ، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة . وحينئذ تكون أعظم الدول ربحا وأقلهن خسارة ، واذا كان من بواكر هذا الربح مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات المانية في أفريقية أو جميعها كما هو المتظر فكيف تكون أواخره ؟ واما اذا كان النصر التام لالمانية واحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن المانية حينئذ تجمل أوربة كلها تحت سيطرتها ، وتنتزع منها جميع مستعمراتها ، وأنها بذلك تسود العالم كله ، واملنا نفوذ الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير ، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف ، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة ما

## ﴿ إلغاء الامتيازات الأجنبية والحذر من الفن الأهلية ﴾

أخذت الدولة العلية تهيئ جيشها وتستعد القتال عقب إعلان الحرب في أوروبا، وتضافرت الروايات والآراء على أنها تحارب مع المانية والنمسة، وقد كان مقدمات ذلك إلغاؤها للامتيازات الأجنبية، وهي قد آذنت الدول بذلك في شهر سبتمبر، وقد خشى كثير من نصارى السوريين أن يفضي إلغاء امتيازات الدول إلى فن أهلية في سورية، فكيف إذا حاربت الدولة روسية وفرنسية وأكثره الحامية للنصارى في بلاد الدولة، وقد تحدث اخواننا السوريين هنا بذلك، وكثر خوض الجرائد السورية الأمريكية في المسألة واشتد تشاؤمها وقلت عن سفير الدولة في واشنطن كلاما يؤيد هذا التشاؤم، حتى أنه ليخيل لمن قرأ ما كتبت، أن الفتنة وقعت أو كربت أما نحن فإنا نعلم ان هداية الاسلام التي حفظت لغير المسلمين حريتهم في القرون التي كانت دول الاسلام فيها أقوى دول الارض لا تزال ذات السلطان الأعلى على نفوس المسلمين، فاذا كانت السياسة قد غلبتها واستخدمتها في بعض الاوقات في المدوان الذي تنهى عنه فمن تستطيع ان تنال ذلك منها في كل وقت، بل نعلم فوق ذلك ان مسلمي سورية صاروا يعلمون ان مصالحهم القومية والوطنية لن تقوم الا بتعاونهم مع سائر أبناء وطنهم المشاركين لهم في تلك المصلحة - فالنتيجة اذا ان دين المسلمين وديانهم متفقان على نهيمهم عن الاعتداء، وحشهم على التعاون والاتفاق، وقد كان النهضة العربية الحديثة أعظم التأثير في ذلك.

واننا على ثقنا بما بينا قد كتبنا مکتوبات خاصة الى من تثق بحسن سمعهم في البلاد السورية نذكرهم فيها بما يجب عليهم العناية به الآن، ونشرنا في جريدة الاهرام اليومية التي صدرت في ٦ ذي القعدة الماضي (٦٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) خطابا عاما في ذلك شبهه هنا ليكون أثرا تاريخيا، اذ تأخر صدور هذا الجزء من المنار ومنعت الصحف المصرية من دخول البلاد العثمانية وهذا نصه:



## الى اخواني الكرام

مسلمي سورية

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم  
والمدون واتقوا الله . ان الله شديد العقاب »

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أجد اليكم الله عز وجل .  
وأصلي وأسلم على رسوله محمد نبي الرحمة . ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة  
والهمة ، في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ،  
والكف الموقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الخال الحاضرة قدرها ، حتى  
انكم ساهتم في هذا أرقى أم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها  
الداخلية ، عند مرأت حكوماتها بازاء الاخطار الخارجية ، مضطرة لتقلد السلاح ،  
والاصطلاء بنار القتال ، فيما كم الله أيها الاخوان ، وزادكم نجدة وأريحية ، واستمسكا  
بعروة الدولة العلية ، بحسب ما تهدي اليه الشريعة الاسلامية ، وتقضيه الوراثة  
العربية . ولا يتم لكم هذا الا بالاتفة والاتفاق مع أبناء جنسكم ووطنكم من غير  
أبناء دينكم ، الذين ساوت الشريعة بينكم وبينهم في الحقوق العامة ، وأوجبت  
عليكم ما لم توجهه شريعة من العدل والاحسان ، وتأكد الوصية بالخير  
أيها الاخوان الكرام ! بلغنا ان الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور  
الناس ، قد أخذ ينفث في عقد المودة الجنسية والوطنية ليحلبها ، وليفصم عروتها  
وينقض غزلها ، ويزين وسوسته هذه باسم الجامعة الاسلامية ، والقيام بالنهضة  
الدينية ، فلا يفتنكم الشيطان ، ولا يخدعكم باسم الاسلام وتحريف آيات القرآن ،  
فان بعض الذين يطلبون المال والجاه بهذه الاسماء لا يفهمون مسماياتها ، ويستدلون  
بالآيات ولا يقولون مدلولاتها ، أستم تعرفون بينكم ممن يلفظ بالدعوة الى الجامعة  
الاسلامية ، عن لا يعرف عقيدة الاسلام كما يجب ، ولا يصلي ولا يصوم ؟ ولا نبحت  
في زكاة أمثال هؤلاء ، وحجهم فاما وجوب الزكاة والحج على مالك النصاب والمستطيع ،  
وربما يدعون عدم الاستطاعة

إنكم تعرفون هذا بينكم، وإن لمن تعرفون من هذا الصنف أعوانا في غير بلادكم، هم أشد منهم نفاقا وأبرع في فن التجارة بالدين، فلا تغفروا بما يقولون ولا بما يكتبون، ورب كلمة حق أريد بها باطل، ومن المسائل المعلومة من الدين بالضرورة ان الله تعالى حرم البغي والعدوان. حتى انه قال فيمن يقاتلون المسلمين (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تقعدوا ان الله لا يحب المعتدين) وانني أستحي أن أطيل عليكم في سرد الدلائل على تحريم البغي والتعدي لأن هذا مما تعرفه العامة كما تعرفه الخاصة، فالإطالة فيه تُتضمن نسبة الجهل اليكم (وحاشاكم) نعم ان العامة عرضة للنفس والخذاع ولا سيما اذ جاءها الخداع من باب الدين، فيجب على خاصتكم ان تحذروا عانتكم من وسوسة المناقذين الذين يفتنونكم الفتنة «الفتنة نامة لعن الله من أيقظها»

وأذكركم بباب آخر من أبواب الخداع. وهو تحريضكم على النصارى بدنب ميلهم الى الاجانب من أبناء دينهم كراهة لكم والدولة العلية لاجل الدين، وربما يتقل اليكم أو تسمعون ما يدل على ذلك، الا فاعلموا ان هذا ان صح وفرضا انه عام فيهم - فانه لا يبيح لكم الاعتداء على انفسهم ولا على أموالهم، لان الشريعة الاسلامية لم تضع عقوبة دينوية على الميل والحب والبغض ونحو ذلك من أعمال القلوب، على ان الحكماء هم المطالبون بتنفيذ العقوبات لا أفراد الامة. ولا نبحت هنا في عذر من يحب الاجانب لاحسانهم اليه والى أهل ملته. ومن يبغض الوطني لظنه انه لا ينتجيه من شره واذاه الاحماية الاجانب له

اذا وقع أقل عدوان منكم على غيركم في هذه الايام، تكونون قد أثبتتم بالفعل ان ترك العدوان قبل اليوم اما كان خوفاً من الاجانب لاعمالاً بهداية الاسلام، ولا قياماً بحقوق تكافل أهل الاوطان، هذه هي التهمة التي يرمينا بها من يجمل حقيقة ديننا وتاريخنا، اذ كانت دولنا أقوى دول الارض كبا، وكان المخالفون لنا في الدين يفضلون حكم خلفاء المسلمين، على حكم أبناء دينهم من الرومانيين

ان لنا في هذه الايام افضل فرصة لاقتناع أبناء جنسنا ووطننا، بما نتحدث به دائماً فيما بيننا من حسن نيتنا، ورغبتنا في الاتفاق معهم، على كل ما فيه مصلحتنا المشتركة بيننا

و يفتهم على قاعدة المنار الذهبية: (تعاون فيما نشترك فيه. ويعذر بعضنا بعضاً فيما يختلف فيه) ونحن متفقون في اللغة وفي مصالح البلاد الزراعية والصناعية والتجارية والاجتماعية فتعاون على ذلك بفاية الاخلاص . ويعذر بعضنا بعضاً في أمر الدين ثم اتى أختم الكلام بما بدأت به من حمدكم وشكركم على بذل الجهد في طاعة الدولة العلية، واثبات كون النهضة العربية نهضة علم وعمران ترقى بها الدولة العلية، لانها مقاومة ومساكسة للتركية، ولكنني اذ كرم بأن الطاعة الواجبة للدولة انما هي طاعة أوامرها الرسمية الشرعية، فلا تدعوا العامة تنخدع بدعوى الاوامر السرية أو الشفوية . فضلا عن أوامر الجمعيات والاحزاب وغيرها، ولا سيما اذا كانت مخالفة لهداية الشرع ومصالح الامة والوطن « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » والسلام على من اتبع الهدى . ورجح الحق على الهوى

أخوكم

محمد رشيد رضا

منشى المنار

### ﴿ كيف دخلت الدولة العثمانية في الحرب ﴾

لم تلبث الدولة بعد إضرار نار الحرب في أوربة أن أمرت بعبئة جيشها تعبئة عامة، وان كانت قد « أعلنت الحياد » ثم بثت الاطام في زقاقى الدردنيل والبسفور ومنعت المرور منهما بعد ان آوت الى الاستانة البارجتان الألمانية اللتان كان يطاردهما الاسطولان الانكليزي والفرنسي - وهما الدردنوط غوبن والطراد برساو - وكانت دور الصناعة الانكليزية قد صنعت للدولة بارجتين من أحسن نوع الدردنوط وقرب موعد ارسالهما الى الاستانة فلما أعلنت انكثرة الحرب على ألمانيا آذنت الدولة العثمانية بالحاق المدرعتين باسطولها، فساء ذلك الدولة العثمانية وطفقت جرائد الاستانة وغيرها من الجرائد العثمانية تطعن في انكثرة أشد الطعن، ثم شاع أن الدولة تعد جيشا في سورية للزحف على مصر وإزالة سيطرة انكثرة عنها، ثم أعلنت الدولة إلغاء الامتيازات الاجنبية تخفيفا ان يكون ذلك سببا للاعتداء على رعايا الدول الاتفاقي الثلاثي اللواتي أنكرون هذا الالغاء وحفظن لأنفسهن الحق في العمل الذي يقتضيه ما يترتب على ذلك، وان يكون ذلك مقدمة للحرب وسببها، ولكن الدولة لم تسمى معاملة أحد من الاجانب بعد إلغاء امتيازاتهم

أما الجرائد في أوروبا ومصر فكانت تصورها قائما أن في الدولة تحز بين أحدهما يميل إلى الحرب مع ألمانيا ورئيسه أنور باشا ناظر البحرية ، وثانيهما يميل إلى إنكلترا وفرنسة ويرى إجابة رغبتهما إلى المحافظة على الحياد التام ، وان من أعضاء هذا الحزب الصدر الاعظم سعيد حلم باشا وجمال باشا ناظر البحرية وجاويد بك ناظر المالية ، بل قال بعضهم إن من أعضائه طلعت بك ناظر الداخلية أيضا !

كانت إنكلترا أشد دول الأحلاف حرصا على محافظة العثمانية على الحياد ، وانتهت مهن على ان يضمن لها استقلالها اذا هي حافظت على ذلك ، ولكن الدولة سئمت ذلك الاستقلال الصهي الذي لا يمنع دول الاجانب أن ينفذون فيها كل ما يتفقن عليه وكثيرا مما يختصن فيه ، وان يحلمن بلادها مناطق نفوذ اقتصادي وسياسي ، وقد ضمننت لها ألمانيا أيضا الاستقلال ، وان تعاملها معاملة الامثال ، اذا هي انضمت اليها في هذه الحرب ، وتقدم اليها ما يحتاج اليه من المال والرجال والذخيرة ، فوثق رجال الاتحاد والترقي بذلك وان كان يرتاب فيه غيرهم من العثمانيين وكانت ألمانيا قبل هذه الحرب وبعد خرب البلقان أرسلت إلى الاستانة بعثة عسكرية لاصلاح الجيش العثماني ، تقامت لذلك دولة الروس وقعدت ، وأرغمت وأزبدت ، ثم انها باعتمها البارجتين غوبن ورسلو وأرسلت اليها كثيرا من ضباط البحرية ومهندسيها فحلوا محل البعثة الانكليزية التي كانت الدولة استحضرتها لاصلاح البحرية أمر منادرتها الآستانة بعد الحرب ، وبذلك اشتد الجفاء بين الدولة وبين إنكلترا وأحلافها ، ووقف اسطول انكليزي فرنسي أمام زقاق الدردنيل مرابطا مراقبا للبارجتين الألمانيتين اللتين لم تمتد دول الأحلاف بينهما للعثمانية .

وبذلك قوي نفوذ الألمان في الجيش العثماني وفي البحرية ، حتى قطع دول الاحلاف الصلات السياسية معها (في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٤) على أمر مصادمة بين الاسطولين العثماني والروسي بلغ الروس أحلافهم أن الاسطول العثماني في البحر الاسود كان هو المعتدي فيها وأنه ضرب بعض المواني الروسية أيضا ، وبلغ العثمانيون الدول ان الاسطول الروسي هو الذي بدأ بالعدوان ، وان الدولة مستعدة لتتلافى الحادثة بالطرق السياسية ، وقد طلبت إنكلترا من سفيرها في الآستانة ان يطالب الدولة العثمانية بالتنصل من تبعه العدوان على روسية وعزل البعثين الألمانيين البرية والبحرية ، واخراج بحارة غوبن ورسلو الألمانيين منهما ، وان يمهلهما ١٢ ساعة فان لم تفعل فليطلب حواجز السفر وليعاد الاستانة ، وكذلك فعل هو وسفيرا فرنسا وروسية ، وعلى إثر ذلك اطلق الاسطولان الانكليزي والفرنسي قنابلهما على مدخل الدردنيل ، وصارت الدولة حرا بالدول الاحلاف ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

## خاتمة السنة السابعة عشرة

نختم السنة السابعة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله الذي لا حمد على الصراء والضراء سواء ، واليه يرجع الامر كله ولا حول ولا قوة الا بالله ، وايه نسال ان يقينا شر هذه الحرب الأوربية ، التي عمّت رزاياها جميع البرية ، فكأنها عقاب من الله تعالى للبشر كافة ، لا من أوقدوا نارها خاصة ، فكسدت التجارات ، وتصرّت جميع المطاملات ، وراقبت الحكومات جميع المطبوعات ، واقطعت المواصلات والمكاتبات بين بعض الامم والاقطار ، وقات حتى في البلاد التابعة لحكومة واحدة ، أو حكومات متحالفة متألّفة .

فكان مما أصاب المنار ان اقطع في أثناء السنة عن المملكة العثمانية ، وبطلت القصة بوصوله الى كثير من البلاد المشرقية والمغربية ، واقطعت عنه الحولات المالية من خارج هذا القطر ، وقل من يوفيه حقه أو بعض حقه من أهله ، لان الناس أخذوا هذه الحرب عدرا لا يستحي من الاحتذار به الاغنياء وكثير من أصحاب الرواتب التي مازلوا يتقاضونها في أوائل الشهور لم تنقصهم الحرب منها شيئا . ولا أخربنا عن أوقاتها قل ما يرد الى المنار من المشتركين حتى لم يعد يكفي لعشر نققاته ، ولم يتجدد في أيام هذا الضيق عمل جديد للمطبعة ، وغلا عن الورق وغيره ، وأما نحن فما غيرنا . وان تغير ان شاء الله . ما جرتنا عليه من الوفاء لعمالنا ومعاملينا ، فعمالنا يوفون أجورهم في كل أسبوع ، ولا نشترى شيئا الا ونؤدي ثمنه دفعة واحدة ، أو أقساطا مطردة ، وقد اجازت الحكومة المصرية عند بدء الحرب ما يحيزه سائر الحكومات من تأجيل أداء الديون فلم يحملنا ذلك على تعيير معاملتنا مع أحد لأجل هذا حسبنا بطول أمد الحرب كل حساب ، وخفنا ان نعجز عن الاستمرار على سيرنا هذا عدة سنين ، كما يقدر لهذه الحرب بعض العارفين ، فارتأينا أولا أن نصدر أجزاء السنة في سنتين ، ونقاضي الاشتراك بحسب الاجزاء لا بحسب الزمن الذي صدرت فيه ، وأشار علينا بعض الاصدقاء الاوفياء بأن ننقص من الاجزاء نصف حجمها ونبقي الاشتراك على حاله ، ثم نعيد الى ما كان عليه بعد الحرب ، ففزع علينا العمل بهذا الرأي . ولكننا عزمنا الآن على جعل سنة المنار عشرة أشهر كأكثر الجلات المصرية ، وهي سنة سنين منسقة بحجالة الهلال ، ودعاني اليها عقب إنشاء المنار و فرغبت عنها حرصا على كثرة الفائدة . وايقارنا لها على حب الراحة . وانما الجلات اليها الضرورة أما الانتقاد على المنار فما ورد علينا منه شيء لم ننشره ، فان كان أحد كتب الينا نقدا لشيء ولم ننشره أو ننشر ما كان أجمع منه معاني في موضوعه فليذكرنا بذلك ، مينا ما يراه لا يزال منتقدا الى الوقت الذي يكتب فيه ، فان نقد الكلام ، من أسباب تحري الكمال ، والله الموفق وله الحمد على كل حال .

ملحق

﴿ مجلة النور الاسلامي في مصر ﴾

سنة ١٣٣٦

## السفر الجميل في أبناء الخليل

( لأحمد اقبدي ترجمان )

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

في اسمعيل ثم في اسحق ثم دخول المسلمين الى الشام وفوائد ( في اسمعيل ) في التكوين بحسب الاصل المبراني ١٢:١٦ آدم يرى، يده في الكل ويد الكل فيه وامام جميع اخوته يسكن . وقال قبله لام اسمعيل : لان الرب سمع لذلتك . وكلمة « يرى » مثلها بلضارع في نبوة هوشع ١٥:١٢ يمشو كما في قاموس الامريكانية والمراد بقوله « يده في الكل ويد الكل فيه » النبي ( عم ) لانه من اسمعيل، وقوله « امام جميع اخوته يسكن » ففعل نزول اسمعيل وسكنه ومع اولاده ويان اسمائهم في التكوين ١٣:٢٥ وهذه أسماء بني اسمعيل - نياوت بكر اسمعيل وقيدار . الى آخره اثنا عشر - ١٨ وسكنوا من حويثة الى شور الى قوله « امام جميع اخوته نزل » اي اسمعيل . وحويثة الثاني عشر من بني يقطان تكوين ٢٩:١٠ ويطان بن مابر تكوين باب ١٠ وابراهيم أبو اسمعيل من مابر تكوين باب ١١ وفي تاريخ سوريا للمطران يوسف الدبسي مجلد أول في سكنى بني يقطان « حويثة الثاني عشر من أبناء يقطان استوطنت قريته في بلاد خولان شمال اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسمعيل كما جاء في التكوين فصل ٢٥ عدد ١٨ » اه أما قاران ففي كتاب تحفة الارب قال « قاران اسم رجل من ملوك المماقة الذين اقتسموا الارض فكان الحجاز وتخومه قاران » وقال ياقوت « قاران جبال الحجاز . وقاران قرية من نواحي صفد من أعمال سمرقند ، وقاران والطور كورتان من كور مصر القبلية »

ولما هاجر النبي ( عم ) من مكة ونزل المدينة وأهلها الأوس والخزرج وأصلهم من بني يقطان أسلموا وأيضاً أسلم بنو يقطان الذين هم في اليمن وغيرهم . ولما قام المسلمون للفتح - بنو عدنان من بني اسمعيل وبنو يقطان وغيرهم - قومة واحدة اقتصروا على الفرس والرومان واخذوا البلاد ، وفي تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي بك زيدان صاحب اللال بمصر قال : كان اليهود بالشام يدلون العرب على عوارات المدف ضد الروم ويدخلونهم اليها فصارت يد بني عابريدا واحدة . وقوله في اسمعيل في التكوين ١٦ : ١٢ يده في الكل ويد الكل فيه . قلنا ان المراد به النبي

(ع م) لانه من اسمعيل . ويانه في نبوة اشعيا ٤١: ٧ بحسب العبراني { من أرض من المشرق الصديق يدعو لقدمه وفي عدد ٢٥ منه قدانمضته من الشمال فاني من مشرق الشمس يدعو باسمي } فاولا قام النبي من مكة ديار بني اسمعيل الى المدينة مهاجرا ثم قام من المدينة المنورة الى مكة فاجا ودخلها من اعلاها شرقا ، والمدينة شمال مكة ومكة شمال حوية وحوية { خولان } شمال اليمن على تخوم الحجاز كما سبق البيان . وفي نبوة اشعيا ٤٢ : ١ هوذا عهدي الذي اعطاه مختاري - ثم قال في عدد ٦ منه - فامسك يدك والعبراني « وامسك يدك » وترجمة الكاتوليك واخذت يدك أي امسكت يدك يانا لما في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ « يده في السكك » ثم بعد قوله وامسكت يدك في نبوة اشعيا باب ٤٢ ذكر في عدد ١١ ذكر ديار قيدار وتمجيدهم للرب من رؤس الجبال اشارة للحج الاسلامي وفي عدد ١٢ خروج الرب كرجل حروب { كناية عن اعانة الرب وغايته للمسلمين في جهادهم وتأيدهم من الرب . وقيدار ابن اسمعيل تكوّن ١٣ : ٧٥ } ( تبيه اول ) في خروج اسمعيل الى الحجاز بحيث لان وقت فطام اسحق كان عمر اسمعيل ١٧ سنة كما في شرح الاسرائيلية القرآين . فكيف يقال في اسمعيل عند ما كان مع امه : طرحت الولد قومي اسمعيل الفلام ؟ ومنه قدر سن يوسف بن يعقوب لما كان يرعى ( ١٠ سنة ) كما في التكوين ٣٧ : ٢ فالاسرائيلية اختصروا في القصة فوقع فيها الارتباك . وسنشر كتابنا انشاء الله تعالى ونكملها من التاريخ والكتاب ( تبيه ثان ) بعد ولادة اسمعيل لابراهيم من هاجر بحسب العبراني قال الرب لابراهيم { يكون اسمك ابراهيم لاني جعلتك ابا جمهور امم } اشارة الى نسل اسمعيل ولنسل اسحق الذي سيأتي قال الرب له ( واجعلك ابا ) وامره بالحنان وجهه بهذا ابديا وعاهده أيضا على اعطائه ارض كنعان بالفام ، ثم بشره بأنه سيعطيه ابنا أيضا من سارة فقال ابراهيم في قلبه . هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسمعيل يعيش امامك . فقال الله له : حقا سارة تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه لتسليمه من بعده ، أما اسمعيل فقد سمحت لك فيه ها أنا بركته وأمّرته وأكثرتة - الى قوله - وعهدي أقيم مع اسحق ( كل ذلك في التكوين باب ١٧ وترجمة النصارى مناخلاف العبراني الذي اعترفوا بالنقل عنه ) (والاصل ما ذكرنا ) وفي شرح الاسرائيلية الربانيين المهد لاسحق الحنان وبهوا اسمعيل مع اسحق اه لان اسمعيل خستن قبل ميلاد اسحق . وأيضاً المهد لاسحق بأرض كنعان بالفام كما في سفر الخروج ٦ : ٣ ومزمور ١٠٥ : ٩ الذي طاهد به ابراهيم



وقسمه لاسحق ١٠ فبنته ليعقوب الى قوله قائلاً أعطني لك أرض كنعان ( فجلس  
 الرب لبني اسمعيل اليد في الكل وجعل لبني اسحق أرض كنعان بالشام . ( ملحق ) ان  
 الله تعالى بارك اسمعيل لاجل ابراهيم كما في التكوين باب ١٧ وبارك اسحق أيضاً لاجل  
 ابراهيم كما في التكوين باب ٢٦ وفي نبوة اشعيا من قول الرب ٤١ : ٨٠ - ابراهيم خليلي )  
 قال لكل لاجل ابراهيم ، وسمع الرب ذلك هاجر فجلس اسمعيل ايها يده في الكل ، تكوين  
 ١٦ : ١٢ والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده وهو على كل قدر اه وفي سفر اوبوب  
 ٢٢ : ٢١ تعرف به واسم ) أي تعرف بالرب واسم له ، والبراني « وشلام » وأيوب كان  
 قبل موسى كما في حاشية الكاويك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين للبروتستان  
 قلاً صل « الاسلام » اه

( في اسحق ) بركة الرب لاسحق في الارض المقدسة كما في التكوين باب ٢٦ تنقل  
 من يده الى يعقوب ثم الى داود ثم الى المسيح في اخوته . ويانه في دعاء اسحق ليعقوب  
 بالوحي الالهي كما في التكوين ٢٧ : ٢٨ فليطك الله من ندى السماء ومن دسم الارض  
 وكثرة خنطة ونيذ ٢٩ يستجد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاختوتك  
 وليسجد لك بنو امك . لا عنك . ملعون ومباركك مبارك ) فنقول اسحق ليعقوب يستجد  
 لك شعوب وتسجد لك قبائل . هذا تم لداود في ارض الشام لان يعقوب لم يخضع  
 له شعوب بل لداود الذي هو من يعقوب ، وسلطنته في بلاد الشام ويانه من قول  
 داود في مز مور ١٨ : ٤٧ الاله المنتقم لي والذي يخضع الشعوب تحتي . والبراني  
 ( يخضع شعوب تحتي ) ثم قول اسحق ليعقوب : كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو  
 أمك لا عنك ملعون ومباركك مبارك ) وهذا المراد به المسيح لانه من داود وداود  
 من يعقوب فهو نفس يعقوب ايضاً وفي نبوة اشعيا خطاباً لشعب اسرائيل ٥١ : ٢  
 انظروا الى ابراهيم ايكم والى سارة التي ولدنكم لأنني دعوته وهو واحد وباركته  
 واكثرته ) فالمسيح في مجيئه الثاني يكون كثيراً لاختوته بني اسمعيل من ابيه ابراهيم  
 ويخضع له بنو امه وهم بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من سارة . والسجود بمعنى  
 الخضوع والخضوع يسبقه العناد ابتداء والخضوع انتهاء . وفي شرح الاسرائيلية الربانيين  
 في قول اسحق ليعقوب ( كن سيدا لاختوتك ) قالوا كبير على بني اسمعيل وبني  
 قبطورا يعني من ابراهيم وفي قوله ( وليسجد لك بنو امك ) قالوا بنو يعقوب اه لان  
 يعقوب بن اسحق بن ابراهيم من زوجته سارة ، ولا يقال في قول اسحق ليعقوب  
 ( كن سيدا لاختوتك وليسجد لك بنو امك ) المراد به داود ايضاً لان داود لم يكن

وثيسا على بني اسمعيل وبني نوية اشعيا في المسيح باب ٤٩ بحسب العبراني انه سمي المسيح فيها اسرائيل واسرائيل هو يعقوب، وفيها ان المسيح مجيئه: الاول لم يقبل اليهود منه، ومجيئه الثاني يكون في وقت رخاء ومجدهم ويقم الارض، وهي بيان لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل بني امه ساره حدة يعقوب، وقول اسحق ليعقوب بعد قوله له كن سيدا لاخواتك وايسجد لك بنو امك - والمراد المسيح كما توضح - قال لا عنك ملعون ومباركك مبارك ( فلان عن المسيح ملعون ومباركك مبارك حسب قول اسحق، فلا يتأني للنصارى اذا كانوا تابعين للمسيح - كما يقولون - ان يسموا المسيح امته كما في رسالة بولس الى اهل غلاطية ٢ : ١٣ او يسموا المسيح ملعونا كما في مرشد الطالبين للبروتستان صحيفة ٤٤٢ طبعة سادسة سنة ١٩٠٩ لان لا عن المسيح ملعون ومباركك مبارك حسب قول اسحق . وكيف يسمون المسيح ملعونا ولا عنه ملعون ؟ وسيدا اسحق من الانبياء العظام والمسيح مؤيد لنبوات الانبياء والناموس اي الشريعة كما في التحيل متى ٥ : ١٧ فبنو اسمعيل اخوة المسيح لا يسه ابراهيم على هدى ونور من ربهم لا ياتهم بالرب وبانبيائه واعترافهم بالمسيح ( ع م ) بانه من الانبياء العظام وهم ينتظرون نزوله كما اخبرهم نبيهم ( ع م ) في الحديث (١) الشريف الصحيح . يكون المسيح في مجيئه الثاني كبيرا لهم فلذلك تقدموا في قول اسحق ليعقوب والمراد المسيح بقوله كن سيدا لاخواتك اي كبيرا لهم . وامناد بني اسرائيل وانكارهم للمسيح وهم بنو امه ساره حدة يعقوب والدة ابيه وصفهم اسحق بقوله ( وايسجد لك بنو امك ) اشارة لخضوعهم اليه انتهاء وبلزوم من الخضوع العناد ابتداء ثم الخضوع انتهاء ، ثم قول اسحق ( لا عنك ملعون ومباركك مبارك ) فقوله مبارك مبارك يراد به بنو اسماعيل ومن معهم من المسلمين لانهم يباركون المسيح كما في القرآن الشريف يحكي قول المسيح عن الرب { وجعلني مباركا ابنا كنت } ولا

( ١ ) قوله في الحديث الشريف اما ماورد في القرآن الشريف في قوله تعالى للمسيح ( اني متوكل ورافك ) الاية المراد بالتوكل النوم ومنه قوله تعالى ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيميتك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ) فجعل النوم وفاة وكان سيدنا عيسى قد نام قرفهاته وهو نائم . لئلا يلحقه خوف فعنى الاية ( متيكل ورافك ) اه من الخازن وفي الزمور ٣٧ خطاب للمسيح عدد ٣٤ . انظر الرب واحفظ طريقه فبرفك لثرت الارض . ومثله زمور ٩٩ وفي القرآن الشريف ايضا في المسيح ( وان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته وبوم القيامة يكون عليهم شهيدا ) اي قبل موت المسيح لان سياق السلام فيه وهذا في مجيئه الثاني وحكمه حين ترجم اليهود الى الله تعالى وتؤمن لمسيح ثم ينتقل الى كرامة الله تعالى . ومجيئه في آخر الزمان كما في قوله تعالى في المسيح ( وانه لهم الساعة ) اي نزوله قرب الساعة . ومثله في نبوة هوشع ٣ : ٥ في آخر الايام

يقولون في المسيح انه لعنة او ملعون بل يشكرون ذلك اشد الانكار والهداية من الله تعالى . وبناء على ما توضح فالمسلمون على هدى ونور من ربهم والمسيح مع اسحق وبقية الانبياء مؤيداً لهم كما في انجيل متى ٥ : ١٧ ( تنبيه ) في الامثال ٨ : ٣٠ كنت عند صانعا والمبراني مريا ( ملخص ) من نبوات الانبياء بالوحي الالهى المبينة لقول اسحق في امر المسيح مع بني اسرائيل في قول اسحق وليسجد لك بنو امك ( الاول ) من نبوة اشيا في المسيح باب ٤٩ باقتافهم مضمونها ان المسيح يرسله الرب الى بني اسرائيل بن رجوع الى الرب فلم يقبلوا منه فيخفيه الرب في كنفه كناية عن حفظه ، وقال له ( انت عبي اسرائيل الذي به اعبد ) واسرائيل هو يعقوب باشارة لقول اسحق ليعقوب والمراد المسيح ( وليسجد لك بنو امك ) والخضوع يلزم منه الفناء ابتداء ثم الخضوع اليه انتهاء . وفي نبوة اشيا هذه مجيئه الاول يكون في وقت دولة اليهود فلسطين وتسلط الكهنة على الشعب كما في عدد ٧ منها { هكذا قال الرب - لمختر النفس لكره الامة لسيد المتسلطين - } وقد اشبهت دولتهم وتفتتوا قسرين مجيئه الاول، ولجيئه الثاني قال ( ينظر ملوك فيقومون رؤساء فيسجدون ) أي لما ينظرونه يقومون اجلالاً له وتطيلاً ( ويحييه الرب في وقت رضاه فيعيته في خلاصهم من الامم ويقيم الارض اي بهم وهذا يتم في مجيئه الثاني . فالمسيحيون ترجوا عدد ٦ من باب ٤٩ من نبوة اشيا هذه بخلاف الاصل والاصل العبراني وهو اصل النبوة يحكي قول المسيح عن الرب قال ( «سهل» ، او «يسير» ، ان تكون لي عبدا لتقيم اسباط يعقوب ورد محصورى اسرائيل واجملك نورا لاعم لتكون خلاصي الى اقصى الارض ) فقالوا بدل ذلك قال ( قليل ان تكون لي عبدا لتقيم - او لاقامة - اسباط يعقوب ورد محفوظي اسرائيل فقد جعلتك نورا للامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض ) بناء على قول بولس كما في اعمال الرسل ١٣ : ٤٧ - قد اقتنك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض ) وقصدهم جعل الاعم بدل بني اسرائيل وهذا خلاف الاصل وتحرير النبوة عن اصلها وموضوعها كأن الرب الذي ارسل المسيح ( عم ) لم يعرف ما يستحقه المسيح من الوظيفة وقد فاتهم ما ذكر في عدد ٨ منه في وقت رضاه اجبتك وفي يوم خلاص امتك وحفظك - الى قوله - لتقيم الارض أي الشعب في الارض ومعنى نورا لاعم اي موصيا في مجيئه الثاني كما في نبوة اشيا ٤٥ : ٤ ( هوذا جعلته شارعا ) والعبراني شاعدا للشعب رئيسا وموصيا ) وفي الامثال ٦ : ٢٣ ( لان الوصية مصباح ) اي نور يعني يوصي بتوحيد الرب واطاعته واما مجيئه الاول كان

رسولا كما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٥ جابلي من البطن عبدا له لارجاع يعقوب ، أي بني يعقوب اه ولا عبرة بقول انصارى « رمزي وحر في » لان التحريف ممنوع كما في نبوة ارميا ٢٣ : ٣٦ - كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرثتم كلام الاله الحي - ( الثاني ) من نبوة ميخا ٥ : ٢ - انت يا بيت لحم - مخرج لي الذي يكون حا كما على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل، اي مخارجه في مجيئه الاول منذ (١) القدم بالنسبة لجيئه الثاني وحكمه الذي ابدا النبوة فيه ولذلك قال: لذلك يسلمهم الى حين تلد الوالدة ) اي يتركهم للضيق مثل الوالدة لما تلد وهذا في مجيئه الاول لعنادهم ثم في مجيئه الثاني يبنه بقوله ( ثم ترجع بقية اخوته الى بني اسرائيل ؛ ويقف ويرعى بقدرة الرب بظمة اسم الرب إلهه ويسكنون لانه الآن يعاظم الى اقاصي الارض ه ويكون هذا سلا ما . ) اي ترجع بقية اخوته الذين في الخارج على الموجودين بالشام ويرعاهم جميعا بقدرة الرب ويسكنون ويكون سلام لان يعاظمه الى اقاصي الارض يسهل رجوع الذين في الخارج الى الارض المقدسة بالشام ، وهذا معنى ما في نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ لتكون خلاصي الى اقاصي الارض ، اي لخلاص بني اسرائيل (ثالث) من نبوة هوشع ٣ : ٤ لان بني اسرائيل سيقعدون اياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس - الى قوله - وبعد ذلك يعود والبراني يرجع بنو اسرائيل ويطلبون الرب إلههم والى داود ملكهم - الى قوله في آخر الايام ) والمراد بداود ملكهم المسيح لانه من داود وداود من يعقوب. المعنى ان بني اسرائيل يقعدون اياما كثيرة جبارى بلا رئيس وبعد ذلك يرجعون عن الضاد ويطلبون الرب إلههم ويرجعون الى داود ملكهم ويأزم من وجوعهم اليه عنادهم ابتداء معه فالانصارى تركوا « الى » في قوله الى داود ملكهم قتالوا وداود ملكهم تحريفًا بالتقصان اه

( ملحق ) قول لاهل الكتاب لانستغربوا أن للمسيح مجيئين حسب نصيبيات الانبياء للقدسة عندهم والله على كل شيء قدير بأن يحفظ المسيح من الاعداء ويأتي به حسب ما تنص عليه حكمته ، ومثل ذلك ايليا رفضه الله الى السماء كما في ملوك ثاني ١١ : ٢ - فصعد ايليا في العاصفة الى السماء ) وفي نبوة مالاخي من قول الرب ٤ : ٥ ( هانذا ارسل اليكم ايليا النبي قبل مجيئه يوم الرب العظيم والخوف ) البراني هنا « الياهو » وفي حاشية الكاتوليك على نبوة مالاخي قالت التقليد الراهن والتعق

(١) منذ القديم يطلق على الزمن الماضي القديم قديم وازل كما في مزمو ١ : ٤٤ - في ايامهم في ايام القديم وفي نبوة اشعيا ٤٩ : ٦٤ ومنذ الازل لم يسموا )

عليه عند قوم اليهود والمسيحيين ان ايليا النبي مجيء بشخصه في متتهى العالم لمقاومة  
الدجال وقد صرح بذلك السيد المسيح نفسه ( مت ١٧: ١١ ومرقس ١٩ : ١ ) اه  
وقولهم « في متتهى العالم » نص النبوة قبل مجيء « يوم الرب » وفي شرح الاسرائيلية الربانيين  
قال : قبل مجيء اليوم العظيم اه فاذا كنتم يا اهل الكتاب مصدقين بكتابكم يلزم ان  
تصدقوا بجميعه خصوصاً نبوات الانبياء لا ان تصدقوا البعض وتكفروا البعض الآخر  
( تنبيهات ) ( الاول ) في ترجمة المسيحيين لداود مزمو ٢٢ : ١٦ ( تقبوا يدي  
ورجلي ) الاصل العبراني كاسديدي وورجلي وفي حاشية كتاب البروتستانت أو كاسد.  
فقد اعترفوا . وقول داود في مزمو ٢٢ : ١٦ ( كاسد يدي وورجلي ) بناء على قول  
يقوب في يهوذا ابنه كما في التكوين ٤٩ : ٩ يهوذا شبل أسد الى قوله كاسد ) والمراد يهوذا  
داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام ( الثاني ) في نبوة أشعيا باب ٤٣ عدد ٨ - انه ضرب  
من أجل ذنب شعبي ) والاصل العبراني « لهم ضربة » يعني الشعب ولفظها العبراني « لاموا »  
فتركوا « لهم » وقالوا ضرب ، وفي عدد ١٠ منه - ان جعل نفسه ذبيحة أم . كلمة ذبيحة  
زادوها . والاصل العبراني فحسب نفسه آثماً ، وقامهم قوله « مدها » يري نسلاً ) والمراد  
الشعب لا المسيح وفي عدد ٦ - وضع عليه اسم جميعنا - والمراد الشعب ويانه في مراني  
النبي أرميا ٧ : ٥ أبونا أخطأوا ولبسوا بوجودين ونحن نحمل آثامهم ) فرائي أرميا  
هي بيان لنبوة أشعيا باب ٥٣ وقد اعترف الكاثوليك والبروتستانت كما في كتبهم أنهم  
يترجمون من الاصل العبراني وهنا خالفوا ونسبوه للاصل العبراني ( الثالث ) نبوة زكريا  
باب ١٢ وباب ٩٣ تمت في يهوذا وأخيه يونانان من المكابيين من بيت هرون ) وعبارتهم  
انني سفر المكابيين الاول وهو من الاسفار القانونية عند الكاثوليك والاورتدكس ،  
والبروتستانت تعتبره تاريخاً لليهود ( الرابع ) في نبوة أشعيا ٧ : ١٤ - ها العذراء تحبل  
وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ) الاصل العبراني الفتاة حبل والكلمة العبرانية مثلها  
حرفياً في هاجر لما كانت حاملاً باسمميل كما في التكوين ١٦ : ١٦ - ها أنت ( حبل ) اوفى قاموس  
البروتستانت للكتاب ( عمانوئيل ) اسم ولد في أيام أشعيا الخ ( الخامس ) في نبوة أشعيا  
٩ : ٦ لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً الى قوله مشيراً إلهاً الخ وترجمة الكاثوليك لانه قد  
ولد لنا ولد أعطي لنا ابن الى قوله مشيراً إلهاً الخ مثل العبراني في شرح الاسرائيلية  
الربانيين هو زفيا أي ملك يهوذا اه ويطلق عند الاسرائيلية على النضاة والرؤساء  
آلهة كما في سفر الخروج في العبد الذي يعتق ٦ : ٢١ يقدمه سيده الى الله والعبراني  
لى الآلهة . وترجمة الكاثوليك يقدمه مولاه الى الآلهة ) وفي حاشيتهم أي النضاة

وفي سفر الخروج ١٠:٧ فقال الرب لموسى - أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، العبراني جعلتك  
 إلهاً لفرعون { فيطلق الجمع ويراد به المفرد من باب التعظيم ومثله في صموئيل أول  
 ١٣:٢٨ ( السادس ) في أنجيل يوحنا من قول المسيح لليهود ٣٤:٧ ستطابوني ولا  
 تجدوني - ) وفي أنجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ - نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى  
 الى الابد - ٣٥ فقال لهم يسوع النور معكم - فسيروا مادام لكم النور - ) والناموس  
 نور كما في زبور ٩ : ٧ ناموس الرب كامل الى قوله ينير العينين، ومثله في زبور  
 ١٠٥:١١٩ سراج لرجلي كلامك ونور لسبلي ) والمسيح مؤيد للناموس والانبياء كما في  
 انجيل متى ٥ : ١٧

( فصل في ميلاد المسيح ) من قول يعقوب بلوحي في يهوذا ابنه كما في التكوين  
 ١٠:٤٩ لا يزول قضيب من يهوذا ومشرع من بين رجله الخ معنى المشرع معطي  
 الشريعة وعقوبها فالمراد يهوذا داود لانه من يهوذا وسلطته بالنام والمشرع من بين  
 رجله أي مابين الشريعة وهو المسيح لانه ولد من أنثى من نسل داود من بين  
 رجلها ، والكلمة مثلها في التثنية ٥٧:٢٨ بمشيتمنا الخارجة من بين رجلها، كما في  
 القاموس العبراني، والمشيمة غشاء المولود، ويانه في نبوة أرميا ٢٢:٣١ لان الرب قد  
 خلق شيئاً جديداً اي جديداً في الارض انثى تحيط برجل ٢٣ هكذا قال الرب الخلود -  
 سيقولون بعد هذه الكلمة أو انقول في أرض يهوذا ومدنها عند ما أرد سبيهم يباركك  
 الرب يا مسكن البر يا أبها الحليل المقدس ٢٤ فيسكن فيه « والعبراني يسكن » فيه يهوذا  
 وكل مدته مما ) أي عند ما يرد الرب سبيهم ويسكنون بولد المسيح من غير أب بخناق  
 الله تعالى لذلك - كما توضح - فكما خلق الرب حواء من آدم من ضلع من أضلاعه كما في  
 التكوين ٢:٢١ و ٢٢ و ٢٣ خلق المسيح من أمه كما توضح من قول يعقوب ونبوة  
 أرميا، وقول الاسرائيلية في شروحاتهم على نبوة أرميا هذه ( أن المراد بالانثى أورشليم  
 أو الارض، والرجل الشعب. لم يذكر في الكتاب أنثى ويراد بها أورشليم أو الارض  
 وانما ورد انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١:٢٧ - ذكر وأنثى خلقهم ) أي آدم  
 وحواء وأم المسيح مثل أمها حواء وانما اليهود أخفوا نبوة أرميا هذه عن النصاري  
 وأبدلوها بشكل آخر وترجموا في السبعينية اليونانية بما يأتي وجملوا باب ٣١ عبرانية لنبوة  
 أرميا باب ٣٨ سبعينية وقالوا في السبعينية بدل قوله خلق الرب شيئاً جديداً في الارض انثى  
 تحيط برجل الخ قالوا الرب خلق خلاصاً للناس سيدورون في الخلاص  
 لانه هكذا يقول الرب الخ والترجمة السبعينية موجودة ومطبوعة باليوناني وبالانكليزي

عن اليوناني (تبيه) في الترجمة السبعينية التي كان عليها النصارى أولاً ثم من بعد أزمنة قالوا ترجمنا العهد القديم من الاصل المبراني كما في كتبهم وقلوا كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية أنظر المجلد الثالث من كتاب الكاتوليك ومرشد الطالبين للبروتستان وفي كتاب ذخيرة الالباب في بيان الكتاب لالكاتوليك طبع بيروت قال في الترجمة السبعينية لم يترجم فيها الا الاسفار الخمسة الاولى أما بقية العهد العتيق فقد ترجم في أعصار مختلفة، ثم ذكر ان الترجمة السبعينية دخلها اغلاط الى أن قال ان ايرنيوس الذي كان يعرف المبرانية ترجم العهد العتيق من المبرانية وايرنيوس الذي تعلم المبرانية كان في اواخر القرن الرابع، وفي مرشد الطالبين للبروتستان ان ايرنيوس ترجم في أوائل القرن الخامس، والتوراة عند اليهود تطلق على الاسفار الخمسة الاولى وبقية العهد القديم وان كان عندهم مقدساً لا يطلقون عليه توراة، والنصارى يطلقون التوراة على كل العهد القديم (في الاناجيل) في قاموس الكتاب للبروتستان قل في الاناجيل انها كانت مستعملة في الكنائس قبل سنة ٢٠٠ مايقين وربما قبل سنة ١٥٠ اي بعد الميلاد فقوله «ربما» شك منهم وفي مقتطف مارس سنة ١٩١٢ تقریظ رسالة في الاناجيل للاب انطون رباط اليسوعي قال عليها ان الادلة التاريخية التي أوردها يرتقي بعضها الى أواسط القرن الثاني وكانت كما هي عليه الآن منذ أواخر القرن الثالث اه والحواريون ماتوا قبل أواسط القرن الثاني أي قبل سنة ١٥٠ فعلى ذلك الاناجيل ليست من تصنيف الحواريين أتباع المسيح وإنما هي روايات فيها وفيها، فالذي يوافق منها نبوات الانبياء حرفياً في الموضوع بدون زيادة أو نقصان أو تغيير حسب الاصل المبراني الذي اعتمده أخيراً يصح قبوله لان المسيح مع الانبياء اه

( فصل في دخول المسلمين الى الشام) النصوص كثيرة اما نذكر منها ما يأتي في نبوة هجبي بحسب المبراني من قول الرب ٦:٢ - بعد قليل فازل السموات والأرض ٧ - وازل كل الامم ويأتون احسن كل الامم او افخر كل الامم فاملأ هذا البيت مجداً ٩ - وفي هذا المكان اعطي السلام - فقد اتت أمة الاسلام وهي احسن كل الامم لانها على التوحيد وتعظيم الرب والايان بانبيائه واحترامهم، واعطت السلام والايان وبنيت بيت الرب في المدينة المقدسة بعد ما كان البيت خراباً واملأ البيت مجداً لعبادة الرب فيه، اما ترجمة النصارى هنا في قولها «ويأتي مشتهى كل الامم» خلاف الاصل المبراني والمبراني بالجمع «ويأتون» وفي عدد ٢٠ منه وصارت كلمة الرب ثانية - كلم زوبابل والي يهوذا فاملأ «اني ازل السموات والأرض ٢٢

وأقلب كرمي الملاك ١٣ - في ذلك اليوم - آخذك يا زربابل عدي - وأجلك كخاتم )  
والمراد به المسيح في مجيئه الثاني وحكمه لانه من زربابل ، والخاتم الذي يوضع في اليد  
كتابة عن الساطنة أظن نبوة أرميا ٢٢: ٢٤

في نبوة دانيال باب ٩ مضمونه مقضي على الشعب سبعين (١) اسبوعا وبعدها البر  
الابدي وقال في شرح الاسرائيلية وحاشية الكاثوليك كل اسبوع بسبع سنين  
تكون المدة ٤٩ سنة بحسب المدة من حرب الرومان لليهود سنة ١٣٢ بعد الميلاد  
وبهذه الحرب تشتتوا وآخر المدة سنة ٦١٢ ميلادية وفيها هاجر النبي (ص) الى  
المدية وصار رئيسا عليها وبعد ١٤ سنة دخل المسلمون الشام ، فالاربعة عشر السنة  
في نظير اخذ دولة فارس للشام من الروم ١٤ سنة من سنة ٦١٤ لغاية سنة ٦٢٨ م  
دخل المسلمون المدينة المقدسة سنة ٦٣٦ كما في تواريخ المسيحيين وفي نبوة دانيال باب  
٧ وأي في الرؤيا أربع حيوانات وأوحى اليها أربع دول تقوم على الأرض أي  
الأرض المقدسة وبعدهم تكون الأرض للقديسين الى الابد ، وقد اعترف أهل  
الكتاب ان الدول الأربع الكلدان والفارس واليونان والرومان اه فقد اتهموا  
وحل المسلمون الأرض المقدسة وهم فيها لان وبعثه تعالى الى الابد ، ويمثله في نبوة  
زكريا ١ : ١٨ وآم ببيتة قرون اربعة في أرض يهوذا أي الأرض المقدسة وانتهى  
امرهم ، وفي انجيل يوحنا من قول المسيح ١٦ : ١٣ - روح الحق فهو يرشدكم - لانه  
لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به - ١٤ : ١٤ ذاك بمجديني ) فالذي يسمع  
يكون له صفة السمع والصفة تقوم بذات ولا تقوم بصفة ، وروح الحق انسان كما في  
رسالة يوحنا الاولى ٤ : ١٠ ايها الاحبة لا تصدقوا كل روح - كل روح يعترف يسوع  
المسيح - فهو من الله ٣ وكل روح لا يعترف يسوع - فليس من الله ٦ - من هذا اعرف  
روح الحق - ) والنبي (ص) يؤمن بالمسيح ويعظمه ويتكلم بما يوحى اليه ( يا اخت هرون )  
في الحديث الشريف كانوا يسمون بأسماء انبيائهم والصالحين قبلهم ٥ من ابن كثير وقد  
سمي المسيح داوداً كما في نبوة حزقيال ٣٧ : ٢٤ « فصل » المسيح كان على التوحيد  
كما في انجيل يوحنا من قول المسيح يخاطب الرب ١٧ : ٣ وهذه هي الحياة الابدية  
ان يبرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته ، وترجمة الكاثوليك  
والذي ارسلته يسوع المسيح - أي يبرنون ان الاله الحقيقي واحد والذي ارسله  
هو المسيح مثل قول اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله

(١) قوله سبعين اسبوعاً سبق بيان هذه النبوة تفصيلاً في كتاب البرهان الدرهم في بشارة  
النبي والمسيح وفي الكتاب اسبوع بسبع سنين واسبوع سنة وبيننا الكتاب الخ وأطلق على  
ابراهيم واسحق مسماه كما في مزموو ١٠٥ : ١٥ ( تنبيه ) سامرة البراني شعرون موصوف  
منها في سفر يشوع ١٢ : ٢٠ شعرون بل سامرة جلة بلاد